

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

‘وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم’

‘قال الشيخ الإمام العالم العلامة ذو الفنون العديدة ، والتصانيف المفيدة ، والأقاويل السديدة ، أبو الحسن^١ إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط^٢ بن علي بن أبي بكر البقاعي^٣ الشافعي^٤ رحمه الله تعالى آمين^٥ : هـ

(١-١) هكذا ثبتت العبارة في النسخة المخزونة بالرباط - المراقش التي جعلناها أصلاً وأساساً للتعليق ، وكذا في نسخة مكتبة المدينة ورمزها «مد» ، وموضعها في نسخة دار الكتب المصرية ورمزها «م» : رب زدني علماً يا فتاح .
(٢-٢) في م ومد : قال أقرر الخلائق إلى عفو الخالق ؛ وفي الأصل : أبو اسحاق - مكان : أبو الحسن ، والتصحيح من الأعلام للزركلي ج ١ ص ٥٠ وعكس المخطوطة أمام ص ٥٦ وهاشم الأنساب للسمعاني ج ٢ ص ٢٨٠ .
(٣) ضبطه في الأعلام بضم الراء وتخفيف الباء .

(٤) ضبطه الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني رحمه الله في تعليقه على الأنساب ج ٢ ص ٢٨٠ وقال : البقاعي بكسر الموحدة وفتح القاف مخففة و بعد الألف عين مهملة بلد معروف بالشام ينسب إليه جماعة أشهرهم الإمام المفسر إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي أبو الحسن برهان الدين من أجلة أهل القرن التاسع له عدة مؤلفات ولد سنة ٨٠٩ هـ وتوفي سنة ٨٨٥ هـ - ٨١٠ هـ .
(٥-٥) في م ومد : لطف الله بهم أجمعين ، إلا أن لفظ «أجمعين» ليس في مد . =

الحمد لله الذى أنزل الكتاب متناسبا سورة وآياته ، متشابها فواصله
وغاياته ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله الذى تمت كلماته ، وعمت مكرماته ،
وأشهد أن سيدنا محمدا عبده الذى ختمت به نبواته ، وكملت برسالته^١
رسالاته ؛ توالى عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وأحبابه
صلواته ، وتواتر تسليمه وبركاته ما دامت حياته وبقيت ذاته وصفاته .

وبعد فهذا كتاب عجاب ، رفيع الجنب ، فى فنٍ ما رأيت من
سبقى إليه ، ولا عول ثاقب فكره عليه ؛ أذكر فيه إن شاء الله مناسبات
ترتيب السور والآيات ، أطلت فيه التدبر وأنعمت فيه^٢ التفكير لآيات
الكتاب ، أمثالا لقوله تعالى ”لِيَذْكُرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ“^٣ ،
١٠. واستنانا بما أشار إليه أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه
ورضى عنه فيما خرجه البخارى^٤ فى الجهاد^٥ وغيره عن أبى جحيفة
قال : قلت لعلى رضى الله عنه : هل عندكم شيء من الوحى إلا ما فى
كتاب الله ؟ قال : لا والذى فلق الحبة وبرأ النسمة ! ما^٦ أعلمه إلا فهم^٧

= والعبرة من « وآله » إلى هنا ليست فى نسخة المكتبة الظاهرية ورمزها « ظ » .

(١) فى م ومد وظ : برسالته . (٢) ليس فى م ومد وظ .

(٣) سورة ٣٨١ آية ٢٩ (صا)

(٤) فى م وظ : أخرجه .

(٥-٥) ليس فى م .

(٦) فى النسخ كلها : لا ، وفى البخارى : ما ، وقول على رضى الله عنه نقل من
البخارى فأثبتناها .

(٧) فى ظ : فهم ، وفى متن البخارى كذلك ، وعلى حاشيته : فهم .

يعطيه الله رجلا في القرآن وما في هذه الضحيفة - الحديث ؛ و تعرضا لنفحات
 ما أشار إليه ما أخرجه البخارى وغيره عن عبد الله بن عمر^١ رضى الله
 عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : بلغوا^٢ عنى ولو آية ، و البخارى
 وغيره أيضا عن أبى بكر^٣ وغيره رضى الله عنهم أنه صلى الله عليه
 وسلم قال : ليلغ^٤ الشاهد الغائب ، فرب مبلغ أوعى من سامع ؛ و وقفا ه
 على الباب الذى اطلع عليه حبر الامة و بحر علومها الجمة عبد الله بن عباس
 رضى الله عنهما فيما رواه الشيخان و الطبرانى^٥ و هذا^٦ لفظه : إنه رضى الله
 عنه كان فى بيت خالته ميمونة رضى الله عنها^٧ فوضع للنبي صلى الله عليه
 وسلم طهورا فقال النبي صلى الله عليه وسلم : من وضعه ؟ قيل : ابن عباس -
 رضى الله عنهما ! قال : فضرب على منكبي وقال : اللهم ! فقهه^٨ فى الدين ١٠
 و علمه التأويل . و روى عنه الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى
 مقدمة تفسيره و الإمام أبو بكر بن الانبارى فى مقدمة كتاب الوقف

(١) فى ظ و مد : عمرو .

(٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : فاببلغوا .

(٣) من م و مد و ظ ، و هو الصحيح لما فى البخارى : عن عبد الرحمن بن
 أبى بكر^٣ ، و فى الأصل : بكر .

(٤) زيد فى م : عنى .

(٥ - هـ) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : هذا و - كذا .

(٦) و فى مد : عنها .

(٧) فى م : فقه .

و الابتداء أنه قال رضى الله عنه: تفسير القرآن على أربعة وجوه: تفسير يعلمه العلماء، وتفسير يعرفه العرب، وتفسير لا يُعذر أحد بجهالة، وتفسير لا يعلمه إلا الله عز وجل، فمن ادعى علماً به فهو كاذب؛ وقال شيخ الإسلام ولي الله محي الدين النواوى فى آخر كتاب الفصل من شرح المذهب: ويحرم تفسيره بغير علم والسكلام فى معانيه لمن ليس من أهله، وهذا يجمع عليه، وأما تفسير العلماء فحسن بالإجماع؛ فأمدنى فيه والحمد لله تأييد سماوى فجعلته كالرديف لتفسير القاضى ناصر الدين البيضاوى، ولعل تسهيله كان ببركة مبشرة من آثار النبوة رأيتها فى صباى وأنا فى حدود العاشرة من سنى فى قريتنا من بلاد البقاع،

(١) قال الشيخ العارف بالله أبو محمد روزبهان ابن أبى النصر البقلى الشيرازى فى تفسيره المسمى بعرائس البيان فى حقائق القرآن ما نصه: قال جعفر بن محمد: كتاب الله على أربعة أشياء: العبارة والإشارة واللائف والحقائق، فالعبارة للعوام والإشارة للخواص واللائف للأولياء والحقائق للأتبياء. وقال أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه: ما من آية إلا ولها أربعة معان: ظاهر وباطن وحد ومطلع، فالظاهر التلاوة والباطن الفهم والحد هو احكام الحلال والحرام والمطلع هو مراد الله من العبد به، قيل: القرآن عبارة - الخ؛ لتزيد التفصيل فليراجع ج ١ ص ٤ .

(٢) فى م ومد: تعرفه .

(٣) زيد فى م وظ: يعنى علما .

(٤-٤) ليست هذه العبارة فى ظ و لفظ « الدين » فقط ليس فى م .

(٥) من م ومد وظ: وفى الأصل: فامدى .

(٦) وفى م ومد: مبشر .

رأيت روح القدس جبريل المنزل لهذا الروح والمؤيد بروح القدس محمداً^١
 النبي المنزل عليه هذا الروح صلى الله عليها^٢ وسلم^٣ في صورتي شابين أمردين
 في أحسن صورة راكبين فرسين أخضرين في غاية الحسن متوجهين نحو
 المشرق؛ / فأيدني الله^٤ ببركتها^٥، في تفسيره وتصنيفه^٦ بروح منه، كما
 يشهد من طالع^٧ه وتدبره - والله ولي التوفيق^٨ وسميته «نظم الدرر»^٩
 في تناسب الآيات و السور، ويناسب أن يسمى «فتح الرحمن» في تناسب
 أجزاء القرآن، وأنسب الأسماء له «ترجمان القرآن» ومبدى مناسبات
 الفرقان^{١٠}، و علم المناسبات الأهم^{١١} من مناسبات القرآن وغيره [علم -^{١٢}
 تعرف منه علل الترتيب، وموضوعه أجزاء الشيء المطلوب علم مناسباته من
 حيث الترتيب، وثمرته الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء^{١٣} بسبب ما له
 بما وراءه وما أمامه من الارتباط والتعلق الذي هو كلحمة^{١٤} النسب؛

(١) من ظ، وفي الأصل وم ومد : مجد .

(٢) زيد في م وظ ومد : الأي .

(٣ - ٢) ليس في ظ .

(٤) زيد في مد : تعالى .

(٥ - ٥) ليست في مد؛ وفي م وظ : في تصنيفه .

(٦) في م : يطالع .

(٧) في م وظ : الاعم .

(٨) زيد من م وظ .

(٩) من م وظ، وفي الأصل ومد : الجزا .

(١٠) من م وظ، و وقع في الأصل ومد : كلمة - كذا مصحفاً .

فعلم مناسبات القرآن علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال، وتوقف الإجابة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها. ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها؛ فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة وكانت نسبتة من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو. وطالعت على ذلك كتاب العلامة أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الأندلسي المعلم بالبرهان في ترتيب سور القرآن، وهو لبيان مناسبة تعقيب السورة بالسورة فقط، لا يتعرض فيه للآيات، وسأذكر في أول كل سورة ما قاله فيها بلفظه. كما ستراه إن شاء الله تعالى، ثم ظفرت بكتاب الإمام ١٠ بدر الدين [محمد - ٢] بن عبد الله الزركشي المصري الشافعي سماه «البرهان في علوم القرآن»، فرأيت ذكر فيه ما يعرف بمقدار كتابي هذا فقال في النوع الثاني منه: وهو في المناسبة قد قل اعتناء المفسرين بهذا النوع لدقته، ومن أكثر منه الإمام غفر الدين وقال في تفسيره: أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط، وقال القاضي أبو بكر بن العربي

(١) في م وظ: المقال.

(٢) كرر في الأصل «لما اقتضاه» ثانيا.

(٣) من م ومد، وفي الأصل: الاجازة، وفي ظ: الاجارة.

(٤) زيد من ظ ومد.

(٥) من م ومد، وفي الأصل وظ: الفرع.

(٦) وفي ظ: اسرار.

في "سراج المريدين": ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى يُكوّن^١ كالكلمة الواحدة مُتّسعة^٢ المعاني منتظمة المباني علم عظيم لم يتعرض له^٣ إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله عز وجل لنا فيه، فلما لم نجد له حملة^٤ ورأينا الخلق^٥ بأوصاف البطلة ختمنا^٦ عليه وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه . ونقل الزركشي عن سلطان العلماء الشيخ عز الدين ه ابن عبد السلام أنه قال ما حاصله: المناسبة علم حسن لكن يشترط في حسن^٧ ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد^٨ مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط، ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يصاب عن مثله حسن الحديث فضلا عن أحسنه، فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة^٩ شرعت لأسباب مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض، قال الزركشي: وقال بعض مشايخنا المحققين: قد وهم^{١٠} من قال: لا يطلب

(١) من ظ، وفي الأصل م و مد: تكون .

(٢) كذا في الأصل، وفي م و مد و ظ: متسقة .

(٣) ليس في ظ .

(٤) من م و مد، وفي الأصل و ظ: جملة .

(٥) في م: الخلائق .

(٦) في م: حتمنا - بالحاء المهملة .

(٧) من م و مد و ظ، وفي الأصل: احسن .

(٨) من م و ظ، وفي الأصل و مد: متجه .

(٩) زيد في م: على .

الآى الكريمة مناسبة ، لأنها على حسب الوقائع المتفرقة ، و فصل الخطاب
أنها على حسب الوقائع تنزيلا ، و على حسب الحكمة ترتيبا و تأصيلا ،
مرتبة سوره كلها و آياته بالتوقيف كما أنزل جملة إلى بيت العزة ، و من
المعجز البين أسلوبه و نظمه الباهر ؛ و الذى ينبغى فى كل آية ٣ أن يبحث
أول كل شئ عن كونها تكملة ٥ لما قبلها أو مستقلة ، ثم المستقلة

٤ / ما وجه مناسبتها لما قبلها ، فى ذلك علم جم - انتهى . قلت : و الشيخ
المشار إليه هو العارف ولى الله محمد بن أحمد الملوى المنفلوطى الشافعى

(١) فى تفسير القرآن المسمى بتبصير الرحمن للإمام الشيخ العلامة على المهاشمى :
فأمكننى أن أبرزهن من خدورهن ليرى البرايا جمالهن صور الإعجاز من
بديع ربط كلماته و ترتيب آياته من بعد ما كان يعد من قبيل الإلغاز فيظهر به
انها جوامع الكلمات و لوامع الآيات لا مبدل لكلماته و لا معدل عن تحقيقاته فكل
كلمة سلطان دارها و كل آية برهان جارها ، و إن ما توهم فيها من التكرار فمن
قصور الأنظار الحاضرة عن الاستكبار ، و لا بد منه لتوليد الفوائد الجملة من
العلوم المهمة و تقرير الأدلة القويمة و كشف الشبه المدلّمة مأخوذة من تلك
العبارات من غير تأويل لها و لا تطويل فى إحصاء المقدمات و لا إبعاد فى اعتبار
المناسبات - الخ .

(٢) فى الأصل و النسخ كلها : سورة - كذا .

(٣) زيد فى ظ : فى .

(٤) ليس فى م .

(٥) و فى ظ : مكلمة .

(٦) و فى م و ظ : الدين .

'ذكر ذلك' في كلام مفرد على قوله تعالى "وهو الذي جعلكم خلائف^١ الارض" "ونريد ان نن^٢ على الذين استضعفوا في الارض^٣".
ونقل الإمام شمس الدين محمود الأصفهاني في تفسير قوله تعالى "امن الرسول^٤" عن الإمام الرازي أنه قال: ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة^٥ ألفاظه^٦ و شرف معانيه فهو أيضا بسبب ترتيبه ونظم آياته، ولعل الذين^٧ قالوا: إنه معجز بسبب أسلوبه، أرادوا ذلك؛ إلا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير متنبهين^٨ لهذه الأسرار. وليس الأمر في هذا الباب إلا كما قيل^٩:

و النجم تستصغر الأبصار صورته
١٠ فالذنب^{١٠} للطرف لا للنجم في الصغر - انتهى.

(١-١) في مد: ذكرته .

(٢) زيد في م: في - راجع سورة ٦ آية ١٦٦ . ١٦٥

(٣) سورة ٢٨ آية ٥ .

(٤) سورة ٢ آية ٢٨٥ .

(٥) من م وظ ومد، وفي الأصل: الطائفة .

(٦) في الأصل فقط: الذي .

(٧) في م: مستهين .

(٨) في ظ: قال .

(٩) في الأصل فقط: والذنب .

و اتفعت في هذا الكتاب كثيرا بتفسير على وجه كلى للامام الرباني
 أبي الحسن على بن أحمد بن الحسن التجيبي الحرّالي - بمهملتين مفتوحتين
 ومد و تشديد اللام - المغربي نزيل حماة من بلاد الشام سماه مفتاح
 الباب المقفل لفهم القرآن المنزل و كتاب اعروة لهذا المفتاح يذكر فيه
 ٥ وجه إنزال الأحرف السبعة و ما تحصل به قراءتها و كتاب التوشية
 و التوفية في فصول تتعلق بذلك ، و قد ذكرت أكثر هذا الكتاب في
 تضاعيف كتابي [هذا - '] معزوا إليه في مواضع تليق [به - '] ثم
 بعد وصولي إلى سورة الأنفال ملكت جزءا من تفسيره فيه من أوله
 إلى " ان الله اصطفى " في آل عمران فرأيت عديم النظر و قد ذكرت ٣ فيه
 ١٠ المناسبات و قد ذكرت ما أعجبنى منها و عزوته إليه ، يتر الله الاطلاع
 على بقیته بحوله وقوته ؛ و بعد أن وصلت إلى سورة "كهف" ذكر لي
 أن تفسير ابن النقيب الحنفی و هو فی نحو ستین مجلدا يذكر فيه المناسبات
 و فی خزائنه جامع الحاکم كثير منه ، فطلبت منه جزءا فرأيت الأمر
 كذلك بالنسبة إلى الآيات لا جملها و إلى القصص لا جميع آياتها ؛ و من
 ١٥ نظر كتابي هذا مع غيره علم النسبة بينهما ، والله الموفق . و بهذا العلم

(١) زيد من م .

(٢) زيد من م و ظ .

(٣) من م ، و فی الأصل ومد و ظ : ذكر .

يرسخ الإيمان في القلب و يتمكن من اللب [و ذلك - ١] أنه^١ يكشف أن
 للإعجاز طريقين: أحدهما نظم كل جملة على حياها بحسب التركيب،
 و الثاني نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب، و الأول أقرب تناولاً
 و أسهل ذوقاً، فان كل من سمع القرآن من ذكي و غبي يهتز لمعانيه
 و تحصل له عند سماعه روعة^٢ بنشاط و رهبة مع انبساط لا تحصل^٣ عند
 سماع غيره، و كلما دقق النظر في المعنى عظم عنده موقع^٤ الإعجاز، ثم
 إذا عبر الفطن من ذلك إلى تأمل ربط كل جملة بما تلتته^٥ و ما تلاها
 خفي عليه وجه ذلك و رأى أن الجمل متباعدة^٦ الأغراض متتالية^٧ المقاصد
 فظن أنها متنافرة، فحصل له من القبض و الكرب أضعاف ما كان حصل
 له بالسماع من الهز و البسط^٨ ربما^٩ شككه ذلك [بكثير- ١] و زلزل إيمانه ١٠
 و زحزح إيقانه، و ربما وقف مكيس من أذكياء المخالفين عن الدخول

(١) زيد من م و ظ .

(٢) ليس في م .

(٣) من م و ظ، وفي الأصل ومد: روعة .

(٤) من م، وفي الأصل ومد و ظ: لا يحصل .

(٥) في م: معظم، و فوته: موقع .

(٦) وقع في الأصل فقط: تلقه - محرراً .

(٧) زيد في م: و .

(٨) قد م: متتالية .

(٩) في مد: النشاط .

(١٠) من ظ، و في م ومد: وربما، وفي الأصل: بما .

في هذا الدين بعد ما وضحت لديه دلائله ورزت له من حجاجها دقائقه
وجلائله لحكمة أرادها منزله وأحكمها مجمله ومفصله؛ فإذا استعان
بالله^١ وأدام الطرق لباب الفرج بانعام / التأمل وإظهار العجز والوثوق
بأنه في الذروة من أحكام الربط كما كان في الأوج من حسن المعنى
واللفظ ليكون كلام من جل عن شوائب النقص وحاز صفات الكمال
إيماناً بالغيب وتصديقاً للرب قائلاً [ما -^٢] قال الراسخون في العلم
”ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت
الوهاب“^٣ فانفتح له ذلك الباب ولاحت له^٤ من ورائه بوارق أنوار^٥
تلك الأسرار رقص الفكر منه طرباً وشكروا الله استغراباً وعجباً وشاط^٦
لعظمة ذلك جناحه فرسخ من غير مرية^٧ [إيمانه -^٨] ورأى أن المقصود
بالترتيب معانٍ جليلة الوصف بديعة الرصف^٩ عالية^{١٠} الأمر عظيمة

(١) من م، وفي الأصل ومد، ظ : الله - بدون حرف الجر .

(٢) زيد من م و ظ .

(٣) سورة ٣ آية ٨ .

(٤) ليس في م ومد و ظ .

(٥) ليس في م .

(٦) أي احترق، وفي م وظ ومد : طاش، أي ذهب .

(٧) من م و ظ و مد : وفي الأصل : مريية .

(٨) زيد من م ومد و ظ .

(٩) في النسخ كلها : الوصف، والصحيح : الرصف، أي ضم البعض إلى
البعض .

(١٠) في م ومد : عاليته .

القدر مباحدة لمعانى الكلام على أنها منها أخذت، فسبحان^١ من أنزله
 وأحكمه وفصله وغطاه وجلاه، وبينه غاية البيان وأخفاه؛ وبذلك
 أيضا يوقف على الحق من معانى آيات حار فيها المفسرون لتصنيع^٢ هذا
 الباب من غير ارتياب، منها^٣ قوله تعالى فى سورة البقرة «ام كنتم شهداء
 اذ حضر يعقوب الموت»^٤ - الآيتين، ومنها قوله تعالى فى سورة النساء «
 فضل الله المجتهدين بأموالهم و انفسهم على القعدين درجة»^٥، مع قوله
 عقيقه «و فضل الله المجتهدين على القعدين اجرا عظيما»^٦، و قوله
 تعالى فى آخر هود «فلا تك فى مرية بما بعد هؤلاء»^٧، الآية^٨ - إلى غير
 ذلك، و قوله تعالى فى سبحان «و يستلونك عن الروح»^٩، الآية، و قوله
 تعالى فى السجدة «قل يتوفكم ملك الموت»^{١٠}، و قوله تعالى فى يس^{١١}

(١) فى مد: سبحان .

(٢) من مد وظ، وفى الأصل وم: لتصنيع - كذا .

(٣) من م ومد وظ، وفى الأصل: منه .

(٤) سورة ٢ آية ١٣٣ .

(٥) سورة ٤ آية ٩٥ .

(٦) سورة ٤ آية ٩٥ و ٩٦ .

(٧) سورة ١١ آية ١٠٩ .

(٨) ليست فى م من هنا إلى «الموت» .

(٩) سورة ١٧ آية ٨٥ .

(١٠) سورة ٣٢ آية ١١ .

هـ انهم اليهم لا يرجعون^١، 'مما تراه و ينكشف لك غامض معناه ،
 و به يتبين^٢ لك أسرار^٣ القصص المكررات ، و أن كل سورة أعيدت
 فيها قصة فلبغى ادعى في تلك السورة استدل عليه بتلك القصة غير
 المعنى الذى سبقت^٤ له في السورة السابقة ؛ و من هنا اختلفت الألفاظ
 بحسب تلك الأغراض و تغيرت^٥ النظم بالتأخير و التقديم و الإيجاز
 و التطويل مع أنها^٦ لا يخالف^٧ شئ من ذلك أصل المعنى الذى تكونت
 به القصة ، و على قدر غموض تلك المناسبات يكون وضوحها بعد
 انكشافها . و لقد شفى بعض فضلاء المعجم و قد سأله عن شئ من
 ذلك فرآه مشكلا ، ثم قررت^٨ إليه^٩ وجه مناسبه و سأله هل وضع
 له ؟ فقال : يا سيدى ! كلامك هذا يتسابق إلى الذهن . فلا تظن أيها
 الناظر لكتابتى هذا أن المناسبات كانت كذلك قبل الكشف لقناعها

(١) سورة ٣٦ آية ٣١ .

(٢) زيد فى م و مد : الى غير ذلك .

(٣) فى م : تبين .

(٤) فى م : احرار .

(٥) من مد و ظ ، و فى الأصل و م : سبقت - بالباء الموحدة .

(٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : تغير .

(٧) فى ظ و مد : انه .

(٨) فى الأصل و النسخ كلها : تخالف .

(٩) كذا ، و الظاهر : قربت .

(١٠) و فى م و ظ و مد : له .

والرفع لسورها^١، قرب آية أقت^٢ في تأملها شهورا^٣، منها د واذ
غدوت من اهلك^٤، في آل عمران، و منها د ويستفتونك في النساء قل الله
يفتيكم فيهن^٥، ويستفتونك قل الله يفتيكم في الكلفة^٦، ومن أراد تصديق
ذلك فلي تأمل شيئا من^٧ الآيات قبل أن ينظر ما قلته ثم لينظره يظهر له
مقدار ما تعبت و ما حصل [لى-٧] من قبل الله و من العون سواء كان ه
ظهر له وجه لذلك عند تأمله أولا، وكذا إذا رأى ما ذكر غيرى من
مناسبات بعض الآيات. وبه أيضا يتضح أنه لا وقف تام في كتاب الله
ولا على آخر سورة د قل اعوذ برب الناس، بل^٨ هي متصلة مع كونها
آخر القرآن بالفتحة التي هي^٩ أوله كاتصالها بما قبلها بل أشد، إلا أن
يحمل/ نفيهم لتعلقه على اللفظ مطلقا ولو خفيا^{١٠}، و'' في الكافي'' على ١٠ / ٦

(١) في م: لسورها - كذا.

(٢) من م و مد، وفي الأصل وظ: انت.

(٣) سورة ٣ آية ١٢١. وزيد في م: تبوى المؤمنين.

(٤) سورة ٤ آية ١٢٧.

(٥) سورة ٤ آية ١٧٦.

(٦) زيد في م: ذلك - كذا.

(٧) زيد من م وظ و مد.

(٨) في م: هل - كذا.

(٩) من م و مد وظ، وفي الأصل: من.

(١٠) من م و مد وظ، ووقع في الأصل: جفنا - كذا محرفا.

(١١-١١) من م و مد وظ، في الأصل: للكافي.

اللفظ بقيد الجلاء، ولا تنكشف هذه الأغراض أتم انكشاف إلا لمن
خاض غمرة هذا الكتاب وصار من أوله وآخره وأثنائه على ثقة
وصواب، وما يذكر إلا أولوا الالباب .

وقد ذكر الزركشى نحو أربع ورقات من مناسبات بعض الآيات،
هـ وإذا تأملتها عظم عندك ما في هذا البحر الزاخر من نقائس الجواهر
وبدائع السرائر، وقد أدرجت فيه مما ليس من بابہ الیسیر من خرائب
التفسیر مما لم أظفر به فی کتاب مع أنه كالمثل یسیر، والله أسأل أن
یجعله موجبا لرضوانه والفوز الدائم فی أعلى جناته .

(١) من ظ، وفي الأصل وم ومد: هذا.

(٢) من م ومد وظ، وفي الأصل: املا.

سورة الفاتحة

بسم الله القيوم الشهيد الذي لا يعزب شيء عنه، ولا يكون شيء إلا بأذنه؛ الرحمن الذي عمّت رحمته الموجودات، وطبع في مرأى القلوب عظمتة فتعالت تلك السبحات، وأجرى على الألسنة ذكره في العبادات والعبادات؛ الرحيم الذي تمت نعمته بتخصيص أهل ولايته ه بأرضى العبادات .

قال شيخنا الإمام المحقق أبو الفضل محمد بن العلامة القدوة أبي عبدالله محمد ابن العلامة القدوة أبي القاسم محمد المشدالي^١ المغربي^٢

(١) في م ومد وظ : فاتحة الكتاب .

(٢) من م وظ ، وفي الأصل : المشدالي ، وفي مد : البشرالى ، ترجم له في معجم المؤلفين ٢٥٩/١١ وقال : محمد بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن عبد الصمد ابن حسن بن عبد المحسن المشدالي ، البجائي ، المغربي ، المالكي ، فاضل ؛ ولد بعد سنة ٨٢٠ هـ ، وتوفي بعينتاب (سنة ٨٦٥ هـ) . من آثاره شرح جمل الخونجي في المنطق - انتهى .

(٣) من م ومد وظ ، وفي الأصل : العربي ؛ قال أبو سعد في الأنساب (البجاي) ٨٨/٢ : وهذه النسبة إلى بجاية وهي من بلاد المغرب ، وعلق عليه شيخنا عبد الرحمن المعلمي اليماني رحمه الله وقال : وقع لأبي سعد رحمه الله في فصل (البجاي) أو هام الأول قوله انه نسبة إلى بجاية ، وهذا وإن جاز عربية فلم نعلمه استعمل و(بجاية) الموجودة بلدة بساحل المغرب بنيت في حدود سنة ٤٥٧ و نسب إليها من نسب بعد ذلك « البجائي » الخ .

البجائي^١ المالكى علامة الزمان سقى^٢ الله عهده سحاب الرضوان، وأسكنه
أعلى^٣ الجنان: الأمر الكلى المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو
أنك تنظر الغرض الذى سيقى له السورة، و تنظر ما يحتاج إليه ذلك
الغرض من المقدمات [و تنظر إلى مراتب تلك المقدمات - ^٤] فى
القرب و البعد من المطلوب، و تنظر عند انجرار الكلام فى المقدمات
إلى ما يستتبعه^٥ من استشراف نفس السامع إلى الأحكام و اللوازم التابعة
له التى تقتضى البلاغة شفاء العليل^٦ يدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف
عليها؛ فهذا هو الأمر الكلى المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء
القرآن^٧، و إذا^٨ فعلته تبين لك إن شاء الله^٩ وجه النظم مفصلاً بين
١٠ كل آية و آية فى كل سورة سورة و الله الهادى - انتهى . و قد ظهر لى
باستعجالى لهذه القاعدة بعد وصولى إلى سورة سبأ فى السنة العاشرة من
ابتدأى فى عمل هذا الكتاب أن اسم كل سورة مترجم عن مقصودها

(١) فى م و مد: البجائى، وفى ظ: البجائى، وفى الأصل: البخارى .

(٢) فى الأصل و النسخ الأخرى: يبقى - كذا .

(٣) من م و مد و ظ، وفى الأصل: على .

(٤) زيد من م و مد و ظ .

(٥) من م و ظ، وفى الأصل: يستبقه، وفى مد: يستقبه .

(٦) فى م و ظ و مد: العليل - كذا بالعين المعجمة .

(٧-٧) فى م و مد: فاذا .

(٨) زيد فى م: تعالى .

لأن اسم كل شيء تظهر المناسبة بينه وبين مسماه عنوانه الدال إجمالاً على تفصيل ما فيه، وذلك هو الذي أنبأ به آدم عليه الصلاة والسلام عند العرض على الملائكة عليهم الصلاة والسلام، ومقصود كل سورة هاد إلى تناسبها^٣؛ فأذكر المقصود من كل سورة، وأطبق بينه وبين اسمها، وأفسر كل بسملة بما يوافق مقصود السورة، ولا أخرج عن معاني كلماتها^٤؛ فالفاتحة اسمها «ام الكتاب»، و«الأساس»، و«المثاني»، و«الكنز»، [و«الشافعية»^٥] و«الكافية»، و«الواقية»^٦، [و«الواقية»^٧] و«الرقية»، و«الحمد»، و«الشكر»، و«الدعاء»، و«الصلاة»؛ فمدار هذه الأسماء كما ترى على^٨ أمر خفي كاف لكل مراد وهو المراقبة التي

(١) في م وظ ومد: تلحظ.

(٢-٢) ليست في م ومد وظ.

(٣) في م: متناسبها.

(٤-٤) ليست في ظ، ولفظ «لا» في «لا أخرج» ليس في م.

(٥) في تفسير عرائس البيان: سمي الفاتحة لأنها مفتاح أبواب خزائن أسرار الكتاب، ولأنها مفتاح كنوز لطائف الخطاب، بانجلائها ينكشف جميع القرآن لأهل البيان، لأن من عرف معانيها يفتح بها أقفال التشابهات، ويقتبس بسنائها أنوار الآيات - انتهى.

(٦) في مد: المباني - كذا.

(٧) زيد من م ومد وظ، لأن المصنف فسرهما بعد أسطر بقوله: شافية.

(٨) سقط من الأصل والنسخ الأخرى وقد فسرهما المصنف بعد بقوله: واقية من كل سوء، فردناه.

(٩-٩) ليست في مد. (١٠) في م: عن.

سأقول إنها^١ مقصودها فكل شيء لا يفتح بها لا اعتداد به، وهي أم كل خير، وأساس كل معروف، ولا يعتد بها إلا إذا ثبتت فكانت دائمة التكرار، وهي كنز لكل شيء^٢، شافية لكل داء، كافية لكل هم^٣، وافية^٤ بكل مرام، واقية من كل سوء، رقية لكل ملم، وهي إثبات للحمد الذي / هو الإحاطة بصفات الكمال، وللشكر^٥ الذي هو تعظيم المنعم، وهي عين^٦ الدعاء فانه التوجه إلى المدعو، وأعظم مجامعها الصلاة^٨.

إذا تقرر ذلك فالغرض^٩ الذي سيقت له الفاتحة و'' هو إثبات

(١) ليس في م .

(٢) من م ومد و ظ، وفي الأصل: ثبتت، خطأ عن قلم الناسخ وهو تفسير «الثاني» .

(٣) من مد، وفي الأصل وم و ظ: منى - كذا .

(٤) في مد و ظ: مهم .

(٥) من م ومد و ظ، وفي الأصل: كافية - كرهه الكاتب .

(٦) في م و ظ: الشكر .

(٧) في مد: غير .

(٨) زيد في الأصل: الذي - كذا، وليس في م ومد و ظ لحذفناه .

(٩) في ظ: تقرر .

(١٠) وفي تفسير المهائمي ما نصه: ومعرفة اسمائه بأنها الوسائط القرية له بينه

وبين خلقه بها يربى ويرحم ويفضل، ومعرفة توحيده بأنه رب كل شيء

ما عداه، ومعرفة استحقاقه للعبادة بأنه المنعم المتفضل الرجوع إليه، ومعرفة =

استحقاق

(٥)

استحقاق الله تعالى لجميع المحامد و صفات الكمال ، و اختصاصه بملك
الدنيا و الآخرة ، و باستحقاق العبادة و الاستعانة ، بالسؤال في المنّ بالزام
صراط الفأزين و الإنقاذ من طريق الهالكين محتصا بذلك كله ،
و مدار ذلك كله مراقبة العباد لربهم^١ ، ٣ لإفراده بالعبادة^٢ ، فهو مقصود
الفاخرة بالذات و غيره وسائل إليه ، فانه لا بد في ذلك من إثبات إحاطته ه
تعالى بكل شيء و لن يثبت حتى يعلم أنه المختص بأنه الخالق الملك المالك ،
لأن المقصود من إرسال الرسل و إنزال الكتب نصب الشرائع ،
و المقصود^٣ من نصب الشرائع جمع الخلق على الحق ، و المقصود من
جمعهم تعريفهم الملك^٤ و بما يرضيه^٥ ، و هو مقصود القرآن الذي انتظمته

= افتقار العبد إليه ابتداء بأنه الرب و وسطا بأنه الرحمن الرحيم و انتهاء بأنه
ملك يوم الدين ، و معرفة النبوة و الولاية و الإيمان بالإنعام ، و معرفة الكفر
و البدعة و الفسق بالتعصب و الضلالة ، و معرفة السعادة و الشقاوة بذلك
أيضا - الخ .

(١) في الأصل بالغاء الموحدة ، و الصواب بالقاف المثناة .

(٢) زيد في م : و المقصود من جمعهم تعريفهم بالملك و بما يرضيه و هو إفراده
بالعبادة و هو مقصود القرآن الذي انتظمته الفاتحة (و لاجابة إلى هذه الزيادة
لأن المصنف قد حررها بعد أسطر ، و هي على محلها) .

(٣-٣) ليست في ظ .

(٤) ليس في م و ظ .

(٥) في م و مد و ظ : بالملك .

(٦) زيد في م و مد : و هو إفراده بالعبادة .

الفاحة بالقصد الأول، ولن يكون ذلك إلا بما ذكر علما وعملا؛ ولما كان المقصود من جمعهم على الله تعالى معرفته لأجل عبادته^١ وكان التزام اسمه تعالى في كل حركة وسكون قائدا إلى مراقبته وداعيا إلى مخافته واعتقاد أن مصادر الأمور ومواردها منه^٢ وإليه شرعت التسمية أول كل شيء فصدرت بها الفاتحة . وقدم^٣ التعوذ الذي هو من [دره -^٤] المفاصد تعظيما للقرآن بالإشارة إلى أن^٥ يتعين لتاليه^٦ أن يجتهد في تصفية سره وجمع متفرق أمره، لينال سؤله^٧ ومراده بما أودعه من خزان السعادة بأعراضه عن العدو الحسود وإقباله على الولي الودود؛ ومن هنا^٨ تعرف مناسبة المعوذتين بالفاتحة^٩ . ولما افتتح التعوذ

(١) في م ومد وظ : عبادته .

(٢) زيد في م ومد : به .

(٣) أظن في تبصير الرحمن تحت عنوان « الكلام في الاستعاذة » فالتحقيق أنيق، إن شئت الاطلاع عليه فراجع ج ١ ص ٦ .

(٤) زيد من مد، وفي م : درم - كذا، وفي ظ : دراء .

(٥) في م وظ ومد : انه .

(٦) في م : لهاليه - كذا .

(٧) في م : سؤاله .

(٨) من م ومد وظ، وفي الأصل : بما .

(٩) من م ومد وظ، وفي الأصل : هذا .

(١٠) من م ومد وظ، وفي الأصل : من الفاتحة .

بالهمزة إشارة^١ إلى ابتداء الخلق و ختم بالميم إيماء إلى المعاد فجعلت البسمة كلها للمعاد لا ابتدائها بحرف شفوي^٢ ، و ختام أول كلماتها وآخرها بآخر إشارة إلى أن الرجوع إليه في الدنيا معنى بتدبير الأمور وإن كان أكثر الخلق غافلا عنه^٣ ، وفي البرزخ حسا^٤ بالموت ، وفي الآخرة كذلك بالبعث^٥ ؛ كما أشار إلى ذلك تكرير الميم^٦ المختتم [بها - °] في اسمها ه بذكرها فيه مرتين إشارة إلى المعادين الحسنيين^٧ والله أعلم ؛ والمراد بالاسم^٨ الصفات العليا^٩ . وقال الأستاذ أبو الحسن الحرالي^{١٠} في تفسيره في

(١) من م ومد وظ ، وفي الأصل : أشار .

(٢) في م : معنوى .

(٣) في ظ : حسبا - كذا .

(٤) ليس في مد .

(٥) زيد من م ومد .

(٦) وفي الأصل : الحسين - كذا .

(٧) من م ومد ، وفي الأصل وظ : باسم .

(٨) في م فقط : العلى .

(٩) قال الشيخ عبد الرحمن المعلمي اليماني رحمه الله في تعليقه على الإكمال ٨/٣ هـ :

والشهور بهذه النسبة واللام مشددة أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن بن أحمد بن إبراهيم التجيبي الحرالي - وحرارة من أعمال مرسية بالأندلس - رحل إلى المشرق

ثم قل ثم رجع إلى المشرق وكان مفتنا ، ألف في التفسير وغيره وعنده تفلسف وتصوف ونجوم وتخليط ... وذكره صاحب القاموس (ح ر ل) وأخطأ

في اسمه فينبه شارحه - اه .

غريب ألفاظ البسمة: الباء معناها^١ أظهره الله سبحانه من حكمة التسبب^٢؛ «الاسم» ظهور ما غاب أو غمض للقلوب بواسطة الآذان على صورة الأفراد^٣؛ «الله»^٤ اسم ما تغنو إليه القلوب عند موقف العقول فتأله^٥ فيه أى تحجير قتالها^٦ و تلهو به أى تغنى به عن كل شئ^٧؛ «الرحمن» شامل الرحمة لكافة ما تناولته الربوبية؛ «الرحيم» خاص الرحمة^٨ بما ترضاه الإلهية. وقال فى غريب معناها: لما أظهر^٩ الله سبحانه حكمة التسبب وأرى^{١٠} الخلق استفادة^{١١} بعض الأشياء من أشياء أخر متقدمة عليها كأنها

(١) فى م ومد وظ: معناه اسم ما .

(٢) من ظ، وفى الأصل وم ومد: التسبب .

(٣) فى عرائس البيان: «بسم» الباء كشف البقاء لأهل الفناء، والسين كشف سناء القدس لأهل الأنس، والميم كشف الملكوت لأهل النعوت والياء بره للعموم - وما بقى من الحقائق فليراجع ثمة .

(٤) زيد فى ظ: ظهور ما معما - كذا .

(٥) فى الأصل: فقال .

(٦) فى ظ ومد: قتاله، وزيد بعده فى م ومد وظ: أى تتجبد له .

(٧) وفى عرائس البيان: وأما «الله» فانه اسم الجمع لا ينكشف إلا لأهل الجمع - ثم كشف المصنف ما أراد الله به فليراجع ثمة .

(٨) من م وظ ومد، وفى الأصل: الربوبية .

(٩) فى الأصل والنسخ الأخرى: أظهره - كذا .

(١٠) فى م: أولى .

(١١) من م ومد وظ، وفى الأصل: استناده .

أسبابها، وقف بعض الناس عند أول سبب فلم ير ما قبله، ومنهم من وقف عند سبب السبب إلى ما عساه ينتهى إليه عقله^١، فطوى^٢ الحق تعالى تلك الأسباب وأظهر بالبسملة أى بتقديم الجار أن كل شيء باسمه لا بسبب^٣ سواء . وقال :^٤ «أستفتح أم القرآن بالبسملة لما كانت نسبتها من متلو الصحف و المکتب الماضية نسبة» أم القرآن من القرآن ه الكتاب الجامع للصحف و الكتب لموضع طيها الأسباب ، كما تضمنت أم القرآن سر ظهور / الأفعال بالعناية^٥ من الحميد المجيد فى آية «اياك نعبد و اياك نستعين» هذا فى ظاهر الخطاب إلى ما وراء ذلك من باطنه فان لكل آية ظهرا و بطنا و ليلزمها الخلق فى ابتداء أقوالهم و أفعالهم ، هكذا قال . و أشد منه أنه لما كانت نسبة البسملة من الفاتحة نسبة الفاتحة ١٠ من القرآن صُدرت^٦ بها الفاتحة كما صدر القرآن بالفاتحة ، لأنها لما أفادت نسبة الأمور كلها إليه سبحانه وحده أفادت أنه الإله وحده وذلك

(١) فى م : غفلة - كذا .

(٢) فى ظ : و طوى .

(٣) فى ظ : سبب .

(٤) زيد فى م و ظ : و .

(٥) من م و مد و ظ ، وفى الأصل : نسبه .

(٦) وفى م و ظ و مد : بالاعانة ، وهو الأظهر ، كما يدل عليه « و اياك نستعين » .

(٧) وفى تفسير المهانمى : و تقديم الاستعاذة على التسمية مع أنها لا شتمالها على البدئية بالبداية أولى للاشعار بأنه لا بد من رفع الحجب التى أعظمها الشيطان أولا و أما ترتيب الحمد على التسمية مع أنه أيضا ثناء فلائنه لما ذكره =

هو [إجمال تفصيل الفاتحة كما أن الفاتحة - ١] إجمال تفصيل القرآن من الأصول و الفروع و المعارف و اللطائف . و لما كان اسم الجلالة علما و كان جامعا لجميع معاني الأسماء الحسنى أولية و الرحمن . من حيث أنه كالعلم في أنه لا يوصف به غيره . و من حيث أنه أبلغ من الرحيم ، فأولى الأبلغ [الأبلغ - ٢] ، و ذلك موافق لترتيب الوجود ، الإيجاد ثم النعم العامة ثم الخاصة بالعبادة ، و ذكر الوصفان ترغيا ، و طويت النعمة في إفهام اختصاص الثاني . إتمام الترغيب بالإشارة^٣ إلى التهيب . و المراد بهما هنا أنه سبحانه يستحق الاتصاف بهما لذاته ، و كررها بعد تبيينها^٤ على وجوب ذلك للربوبية و الملك ، و للدلالة^٥ على أن الرحمة غلبت^٦ الغضب ، و فيها^٧ إلى ما ذكر من الترغيب الدلالة على سائر

= الكامل بذاته و صفاته و أفعاله عقبها بالحمد ليكون على الجميع بعد معرفة المحمود و جهات حمده ، و تخصيص التسمية بهذه الأسماء ليعلم أن الأولى تتعلق بجامع الكالات ليفيضا ما يستحق من عامها أو خاصها بحسب الاستعداد الحاصل بالتعلق - انتهى .

(١) زيد من م و ظ و مد .

(٢) زيد من م و مد .

(٣) من ظ ، و في الأصل و م و مد : الثاني .

(٤) هكذا في الأصل و مد و ظ ، و في م : بلا إشارة .

(٥) من م و مد و ظ ، و في الأصل : تبيينها .

(٦) في م : الدلالة .

(٧) في ظ : سبقت .

(٨) في م : فيها .

الصفات الحسنى، لأن من ' عمت رحمته امتنع أن يكون فيه شوب نقص،
وفي آخر سبحان لهذا المكان مزيد بيان؛ ' وكونها تسعة عشر حرفا
خطية وثمانية عشر لفظية إشارة إلى أنها دوافع الثقمة من النار التي
أصحابها تسعة عشر، ٣ وجواب للرحمة بركعات الصلوات الخمس وركعة
الوتر اللاتي من أعظم العبادات الكبرى ٣. و لما كانت البسمة نوعا من ٥
الحمد ناسب كل المناسبة تعقيها باسم الحمد الكلى الجامع لجميع أفرادها،
فكأنه قيل: احمده لأنه المستحق لجميع المحامد، و خصوا هذا النوع من
الحمد في افتتاح أموركم لما ذكر من استشعار الرغبة إليه و الرهبة منه المؤدى
إلى لزوم طريق الهدى، والله الموفق .

ولما أثبت بقوله «الحمد لله» أنه المستحق لجميع المحامد لا لشيء غير ١٠
ذاته الحائز لجميع الكمالات أشار إلى أنه يستحقه أيضا من حيث كونه
ربا مالكا منعما فقال «رب»، وأشار بقوله «العلين» إلى ابتداء الخلق
تنبيها على الاستدلالات^١ بالمصنوع على الصانع وبالبداءة على الإعادة

(١) في م: ضمن - كذا .

(٢-٢) ليست في ظ، و وقع في الأصل: خطيئة - مكان: خطية، خطأ،
و التصحيح من م و مد .

(٣-٣) ليست في ظ، وفي م و مد: الكبر - مكان: الكبرى .

(٤) من م و مد، وفي الأصل و ظ: نوع - كذا .

(٥) في م: مستحق .

(٦) في م و ظ و مد: الاستدلال .

كما ابتدأ التوراة بذلك [لذلك - '] قال الحرالي : ' و الحمد ، ' المدح الكامل الذى يحيط بجميع الأفعال و الأوصاف ، على أن جميعها إنما هو من الله سبحانه و تعالى ٣ و أنه كله مدح لا يتطرق إليه ذم ، فإذا اضمحل ازدواج المدح بالذم و علم سريان المدح فى الكل استحق عند ذلك ظهور اسم الحمد مكملًا معرفًا بكلمة ' ال ' ، ' وهى ' كلمة دالة فيما اتصلت به على انتهائه و كماله - انتهى .

ولما كانت مرتبة الربوية لا تستجمع الصلاح [إلا بالرحمة - '] اتبع ذلك بصفى ' الرحمن الرحيم ' ، ترغيبًا فى لزوم حمده ، وهى تتضمن تثنيةً تفصيل ما شمله الحمد أصلاً ؛ و - يأتى سر لتكرير ٦ هاتين الصفتين ٨

(١) زيد من م و ظ و مد .

(٢-٢) ليس فى مد .

(٣-٣) ليس فى م و مد .

(٤) وقع فى م : الى - كذا مصحفا .

(٥) من م و مد و ظ ، وفى الأصل : متى - كذا .

(٦) فى ظ : تنبيه .

(٧) وفى م : تكرير .

(٨) فى عرائس البيان مثل ما فى هذا الكتاب و زاد « قال الأستاذ : الرحمن خاص الاسم عام المعنى ، و الرحيم عام الاسم خاص المعنى ، فالرحمن بما دوح و الرحيم بما لوح ، فالترويح للعاد و التلويح بالأنوار ، و الرحمن بكشف تجليه و الرحيم بلطف توليه » ثم قال « أما من اختراعى أن اسم الرحمن محل طلوع أنوار العناية ، و الرحيم محل إشراق شمس الكفاية ، فبالعناية - راجع ج ١ ص ٨ إن شئت الإيضاح .

في الأنعام عند فكلكم بما ذكر اسم الله عليه، عن الإمام حجة الإسلام
الغزالي رحمه الله تعالى أنه لا مكرر في القرآن .

ولما كان الرب المنعوت بالرحمة قد لا يكون مالكا وكانت الرواية
لا تتم إلا بالملك المفيد لتمام التصرف، وكان المالك قد لا يكون ملكا

ولا يتم ملكه إلا بالملك المفيد للعزة المقرون بالهيبة المثمرة للبطلان
والقهر المنتج / لنفوذ الأمر اتبع ذلك بقوله «ملك يوم الدين» ترهيبا
من سطوات مجده . قال الحرالي : و اليوم مقدار ما يتم فيه أمر ظاهر،

٩/

(١) سورة ٦ آية ١١٨ .

(٢) في النسخ كلها بزيادة الواو .

(٣) في م فقط : مالكا .

(٤) في م ومد : للهيبة .

(٥) في النسخ كلها : الثمر - كذا .

(٦) من م ومد وظ ، وفي الأصل : لتعود ، وهو محرف .

(٧) قال المصنف في تفسيره : وللمادة للربط والشدة ، فالك الشيء من اشتد

ارتباطه به فاستقل بالتصرفات فيه لو كل رأيه ولم يتعلق به حق الغير بعينه

و الملك من اشتد ارتباط الخلق به لقدرته على حفظ مصالحهم ودفع مفاسدهم

ونفوذ أمره ونهيهم فيه - الخ .

(٨) قال المصنف : و اليوم ما بين طلوع فجر الصادق إلى غروب الشمس

وقد يراد به مجرد الوقت و «يوم الدين» يوم القيامة ما بين النفخة الثانية

إلى استقرار أهل الجنة والنار فيها و «الدين» الملة أي يوم ظهور نفع ملة

الإسلام أو حقيقتها لكل - وأطال البحث فليراجع .

ثم قال: «يوم الدين» في الظاهر هو يوم ظهور انفراد الحق بامضاء المجازاة حيث تسقط دعوى المدعين، وهو من أول يوم الحشر إلى الخلود فالأبد، وهو في الحقيقة من أول يوم نفوذ الجزاء عند مقارعة الذنب في باطن العامل أثر العمل إلى أشد^١ انتهائه في ظاهره، لأن الجزاء لا يتأخر عن الذنب وإنما يخفى لوقوعه في الباطن وتأخره^٢ عن معرفة ظهوره في الظاهر، ولذلك يؤثر عنه عليه الصلاة والسلام: إن العبد إذا أذنب نكت^٣ في قلبه^٤ نكتة سوداء. وأيضاً فكل عقاب يقع في الدنيا على أيدي الخلق فانما هو جزاء من الله وإن كان أصحاب الغفلة ينسبونه للعوائد، كما قالوا: «مس اباءنا الضراء والسراء»، ويضيفونه للعتدين عليهم بزعمهم، وإنما هو كما قال^٥ تعالى «وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم»، وكما^٦ ورد عنه عليه الصلاة والسلام: الحى من فيح جهنم، وإن شدة^٧ الحر والقر من نفسها. وهى سوط الجزاء الذى أهل الدنيا بأجمعهم مضروبون

(١) من م و ظ، و وقع في الأصل و مد: مقارعة - خطأ.

(٢) من م و ظ و مد، وفي الأصل: اسد - كذا.

(٣) من م و مد و ظ، وفي الأصل: تأخر، بدون الإضافة إلى الضمير.

(٤) - (٤) ليست في م.

(٥) زيد في م: معا.

(٦) سورة ٧ آية ٩٥.

(٧) زيد في م: الله.

(٨) سورة ٤٢ آية ٣٠.

(٩) ليس في مد.

(١٠) من م و مد، وفي الأصل و ظ: اشد.

به، ومنهل التجهم^١ الذى أجمعهم^٢ واروده^٣ من حيث لا يشعر به أكثرهم، قال عليه الصلاة والسلام: المرض سوط الله فى الأرض يؤدب الله به عباده . وكذلك ما يصيبهم من عذاب النفس بنوع النعم والهم والقلق والحرص وغير ذلك، وهو تعالى مَلِك ذلك كله ومالكه، سواء ادعى فيه مدع أو لم يدع، فهو تعالى بمقتضى ذلك [كله مَلِك -^٤] يوم ه الدين ومالكه مطلقا فى الدنيا والآخرة وإلى الملك أنهى^٥ الحق تعالى تنزل أمره العلى لأن به رجوع الأمر عودا على بدء^٦ بالجزاء العائد على آثار ما جبوا^٧ عليه من الأوصاف تظهر^٨ عليهم من الأفعال^٩ كما قال تعالى «سيجزىهم وصفهم»^{١٠} و«جزاء بما كانوا يعملون»^{١١}، وبه تم انتهاء^{١٢}

(١) وفى م: التجهم - كذا .

(٢) وفى مد و متن م: أكثرهم، وبهامش م: اجمعهم .

(٣) من م ومد و ظ، وفى الأصل: و اراده - كذا .

(٤) زيد من مد، وفى م و ظ زيادة «ملك» فقط .

(٥) من م و ظ، وفى الأصل ومد: انتهى .

(٦) زيد فى ظ: ملك .

(٧) من م ومد و ظ، وفى الأصل: حياوا - كذا .

(٨) فى م ومد: وظهر .

(٩) فى تفسير المهاشمي: وحكمته بالفرقة بين المحسن والمسيء بالإتيان بالصرف والانتقام بالصرف والجزاء مصلح للظاهر والباطن رافع للحجب الظلمانية من متابعة الهوى والغضب وبه يتم التمدن .

(١٠) سورة ٦ آية ١٣٩ .

(١١) سورة ٣٢ آية ١٧ وسورة ٤٦ آية ١٤ وسورة ٥٦ آية ٥٢ .

(١٢) من م ومد و ظ، وفى الأصل فقط: انتهى - كذا .

الشرف العلى' وهو المجد الذى عبر عنه قوله تعالى: مجدى عبدي - انتهى، ولما لم يكن فرق هنا فى الدلالة على الملك بين قراءة «مَلِك» وقراءة «مَلِك»، جاءت الرواية بهما، وذلك لأن المالك إذا أضيف إلى اليوم أفاد اختصاصه بجميع ما فيه من جوهر وعرض، فلا يكون لأحد معه أمر ولا معنى للملك سوى هذا، ولما لم تُقدِّم إضافة إلى الناس هذا المعنى لم يكن خلاف فى «مَلِك الناس». فلما استجمع الأمر استحقاقاً^٣ وتحبباً^٤ وترغيباً^٥ كان من شأن كل ذى لب الإقبال إليه وقصر الهمم عليه فقال^٦ عادلاً عن أسلوب الغيبة إلى الخطاب لهذا^٧ مقدماً^٨

- (١) زيد فى م العبارة السابقة من «لأن به رجع» إلى «من الأفعال» مكررة .
 (٢) فى م وظ: لم يفد .
 (٣) زيد فى م: أى بتعليق الأمر بالذات فى الحمد لله .
 (٤) زيد فى م: أى بالربوبية .
 (٥) زيد فى م: بالرحمة .
 (٦) زيد فى م: أى بالملك .
 (٧) ليس فى مد .

(٨) فى تفسير المهانمى: وتقديم «اياك» للتنبيه على عظمة الله ليعبد على الخشية فلا يلتفت يميناً وشمالاً، ولأن الابتداء بذكر المعبود أولى من الابتداء بصفة العبد وإنما خاطبه بعد الغيبة لأنه قبل ذكر الصفات لم ينكشف انكشافه بعد ذكرها فكان فى حكم الغائب قبل ذكرها والمشاهدة بعدها - وإن أردت الاطلاع على ما فيه من وجوه سواها فراجع ج ١ ص ١١ . وفى انوار التنزيل لليضوى: وكرر الضمير للتنصيص على أنه المستعان به لا غير، وقدمت العبادة على الاستعانة ليتوافق رؤس الآى، ويعلم منه ان تقديم الوسيلة على طلب الحاجة =

للسيلة على طلب الحاجة لأنه أجدر بالإجابة: «اياك» أى يا من
 هذه الصفات صفاته ١ «نعبد» إرشادا^١ لهم إلى ذلك؛ ومعنى «نعبد» كما قال
 الحرالى: تبلغ الغاية فى أنحاء التذلل، وأعقبه بقوله مكررا للضمير حثا^٢
 على المبالغة^٣ فى طلب العون «و اياك نستعين» إشارة إلى أن عبادته
 لا تنهى إلا بمعونه و إلى أن ملاك^٤ الهداية بيده: فانظر كيف ابتدأ^٥
 سبحانه^٦ بالذات، ثم دل عليه بالأفعال، ثم رقى إلى الصفات، ثم رجع
 إلى الذات إيماء إلى^٧ أنه الأول [و-^٨] الآخر المحيط، فلما حصل^٩ الوصول
 إلى شعبة^{١٠} من علم الأفعال و الصفات علم الاستحقاق للأفراد بالعبادة
 = ادعى إلى الحاجة، واقول: لما نسب المتكلم العبادة إلى نفسه او هم ذلك تبجحا
 واعتدادا منه بما يصدر عنه فعقبه بقوله «اياك نستعين» ليدل على ان العبادة ايضا
 مما لا يتم ولا يستتب إلا بمعونة منه و توفيق - انتهى .

(١) وقع فى ظ: بلاجاة - كذا مصحفا، و زيد بعدها فى مد: فقال .

(٢) فى م: ارشا - كذا .

(٣) من م و مد، و وقع فى الأصل و ظ: حقا - خطأ .

(٤) زيد فى ظ: فى الاخلاص .

(٥) فى مد: ملك - كذا .

(٦) زيد فى م: و تعالى .

(٧) ليس فى ظ .

(٨) زيد من ظ .

(٩) من م و ظ و مد، و فى الأصل: جعل .

(١٠) من م و مد و ظ، و فى الأصل: سعيه .

فعل العجز عن الوفاء بالحق^١ فطلبت الإعانة^٢ فهو كقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم و أبو داود في الصلاة و الترمذى و ابن ماجه في الدعاء و النسائى و هذا لفظه في التعوذ عن عائشة رضى الله عنها: أعوذ بعفوك^٣ من عقوبتك^٤، و برضاك^٥ من سخطك^٦، و بك^٧ منك^٨؛ ثم أتبعه

١٠ / فيما زاد^٩ عن النسائى الاعتراف بالعجز في قوله: لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك^{١٠}. و فى آخر سورة اقرأ شرح بديع لهذا الحديث^{١١}.

قال الحرالى: و هذه الآيات أى هذه و ما بعدها مما جاء كلام الله فيه جاريا على لسان خلقه فان القرآن كله كلام الله لكن منه ما هو كلام الله عن نفسه^{١٢} و منه ما هو كلام الله عما كان يجب أن ينطق به الخلق على اختلاف

(١) وفى تفسير المهايمى ما نصه: «وترتب الاستعانة عليه لأنها إما لخوف الثواب او انقلاب سببه سببا للعقاب او لخوف الحجاب و لو بالعبادة عن المعبود و إنما يتم رفعه يومئذ الى ان قال المصنف: و نون نعبد للجمع- إن قرأ فى الصلاة جماعة و إن صلى فيها منفردا فمع الملائكة ثم انه يذكر مع عبادته عبادة غيره معيافى حقه أو دلالة انه واحد من العباد نفيًا لتوهم ادعاء التفرد بها واستقصار المذكور عبادته وحده من غير أن يضمها إلى عبادة أخيه» إن شئت

الاطلاع على ما بعده فراجع - ج ١ ص ٢٦ .

(٢) زيد فى م: هذا فعل .

(٣) زيد فى م: صفة الوهية .

(٤) زيد فى م: ذات .

(٥) فى ظ: زاده .

(٦-٦) ليست فى ظ .

ألسنتهم وأحوالهم وترقى درجاتهم ورتب تفاضلهم بما لا يمكنهم البلوغ إلى كنهه^١ لقصورهم وعجزهم، فتولى الله الوكيل على كل شيء الإنشاء^٢ عنهم بما كان يجب عليهم بما لا يبلغ إليه وسع خلقه وجعل تلاوتهم^٣ لما أنبأ به على ألسنتهم نازلاً لهم منزلة أن لو كان ذلك النطق ظاهراً منهم لطفاً بهم وإتماماً للنعمة عليهم^٤، لانه تعالى لو وكلهم في ذلك إلى أنفسهم لم يأتوا بشيء يصلح^٥ به^٦ أحوالهم في دينهم و دنياهم، ولذلك لا يستطيعون شكر هذه النعمة إلا أن يتولى هو تعالى بما يلقنهم^٧ من كلامه بما^٨ يكون^٩ أداء^{١٠} لحق^{١١} فضله عليهم بذلك، وإذا كانوا لا يستطيعون الإنشاء عن أنفسهم بما يجب عليهم من حق ربهم فكيف بما يكون نبأ عن تحميد الله وتمجيده، فأذا^{١٢} ليس لهم

(١) في الأصل: كنه - بدون الإضافة إلى الضمير .

(٢) من م وظ ومد، وفي الأصل: الإنباء .

(٣) قال عبد الله بن عمر الشافعي في تفسيره المسمى بأنوار التنزيل وأسرار التأويل: هذا وما بعده منقول على السنة العباد ليعلموا كيف يتبرك باسمه ويحمد على نعمه ويسأل عن فضله .

(٤) زيد في ظ: و .

(٥) في مد: يصلح .

(٦) من م ومد، وفي الأصل وظ: له .

(٧) وفي م: يلقينهم .

(٨) في م ومد: ما .

(٩-٩) من م، وكذا هو في الأصل وظ بزيادة الألف بعد الهزمة، وفي مد: ادّ الحق .

(١٠) في مد: فاذن .

وصلة إلا تلاوة كلامه العلى بفهم كان ذلك أو 'بغير فهم' ، و تلك هي
صلاتهم المقسمة التى [عبر-^٢] عنها فيما صح عنه عليه الصلاة والسلام
من قوله تعالى : قسمت الصلاة بينى و بين عبدى نصفين - ثم تلا هذه
السورة ؛ فجاءت الآيات الثلاث الأول بحمد^٣ الله تعالى نفسه ، فاذا تلاها
العبد قبل الله منه تلاوة عبده كلامه و جعلها منه حمدا و ثناء و تمجيذا ،
و جاءت هذه الآيات على لسان خلقه فكان ظاهرها التزام عهد العباد
و هو ما^٤ يرجع إلى العبد^٥ و عمادها طلب المعونة من الله سبحانه و هو

(١-١) فى م : يعرفهم .

(٢) زيد من م و مد و ظ .

(٣-٣) ليست فى م و مد .

(٤) من ظ ، و فى الأصل و م و مد : الحمد .

(٥) فى م و مد : ما .

(٦) و فى أنوار التنزيل : قال ابن عباس رضى الله عنها معناه نعبدك و لا نعبد
غيرك ، و تقديم ما هو مقدم فى الوجود و التنبيه على أن العابد ينبغي أن يكون
نظره إلى المعبود أولا و بالذات و منه إلى العبادة لا من حيث أنها عبادة
صدرت عنه بل من حيث أنها نسبة شريفة إليه و وصلة بينه و بين الحق فان
العارف إنما يحق وصوله اذا استغرق فيه فى ملاحظة جناب القدس و غاب عما
عداه حتى انه لا يلاحظ نفسه و لاحالا من احوالها إلا من حيث انها ملاحظة له
و منتسبة إليه .

ما^١ يرجع إلى الحق، فكانت بينه وبين عبده و تقدمت بينته^٢ تعالى،
 لأن المعونة مقدمة على العبادة و واقعة بها و هو مجاب فيما طلب من
 المعونة، فمن كانت عليه مؤنة شيء فاستعان الله فيها على مقتضى هذه الآية
 جاءته المعونة على قدر مؤنته، فلا يقع لمن اعتمد مقتضى هذه الآية عجز
 عن مرام أبدا و إنما يقع العجز ببخس^٣ الحظ من الله تعالى و الجهل^٤ ه
 بمقتضى ما أحكمته هذه الآية و الغفلة عن النعمة بها، و في قوله «نعبد»
 بنون الاستتباع إشعار بأن الصلاة بنيت على الاجتماع - انتهى . و في
 الآية نديب إلى اعتقاد العجز و استشعار الافتقار و الاعتصام بحوله و قوته،
 فاقضى ذلك توجيه الرغبات إليه بالسؤال فقال «اهدنا الصراط المستقيم»
 تلقينا لأهل لطفه و تنيها على محل السلوك الذي لا وصول بدونه، و الهدى ١٠
 قال الحرالي: مرجع الضال إلى ما ضل عنه، و الصراط الطريق الخطر^٥
 السلوك^٦ هو الآية من كلام الله تعالى على لسان العلية^٧ من خلقه، و جاء

(١) و في م و مد: مما .

(٢) و في ومدوظ، و في الأصل: بينته - كذا .

(٣) من م و مد و ظ، و في الأصل: لبخس - كذا .

(٤) من م و مد و ظ، و في الأصل: الجليل - و هو محرف .

(٥) من م و مد و ظ، و في الأصل: الخطو - كذا .

(٦) قال الهائمي في تفسيره: و الصراط الطريق الواضح و أصله السين، سمي

به لأنه يسطر السابلة أي يتتبعهم، و كأنه يشير إلى أن من عظمت له بحيث
 لا يظهر سالكوه و إن بلغوا ما بلغوا من بذل و سعيهم فيه .

(٧) العلية و العلية، و هو من عليّة قومه أي من أهل الشرف و العلاء و الرفعة

فيهم (نظر المحيط) و في ظ: العيلة .

مكملا بكلمة "ال" لأنه الصراط الذي لا يضل بمهتديه^١ لإحاطته
ولشمول سريانه^٢ وفقا لشمول معنى الحمد في الوجود كله وهو الذي
تشتت الآراء وتفرقت الفرق بالميل إلى واحد من جانبيه وهو الذي
ينصب مثاله - وعلى حذو^٣ معناه بين ظهرائي^٤ جهنم يوم الجزاء للعيان
٥ وتحفه^٥ مثل تلك الآراء خطاطيف وكلايب، تجري أحوال الناس معها^٦
في المعاد على حسب مجراهم مع حقائقها التي^٧ ابتداء^٨ في يوم العمل، وهذا
الصراط الأكمل و^٩ هو المحيط المترتب على الضلال الذي يعبر به عن/ حال
من لا وجهة له، وهو ضلال ممدوح لأنه يكون عن سلامة الفطرة
لأن من لا علم له بوجهة فحقه^{١٠} الوقوف عن كل وجهة وهو ضلال
١٠ يستلزم هدى محيطا^{١١} منه «ووجدك ضالا فهدى»، وأما من هدى وجهة ما

/ ١١

(١) في م: الى - كذا .

(٢) كذا، والظاهر: مهتديه - بدون الباء .

(٣) من ظ، وفي الأصل وم ومد: سريانه .

(٤) من م ومد وظ، وفي الأصل: حذر .

(٥) من م ومد وظ، وفي الأصل: طرائي .

(٦) وفي م: تحضه، وفي ظ: تحفه .

(٧) في م: معها - كذا .

(٨) ليس في م ومد وظ .

(٩) كذا، والظاهر: ابتداءها .

(١٠) من م ومد وظ، وفي الأصل: منعه .

(١١) زيد في م ومد «و» .

فضلّ عن^١ مرجعها فهو ضلال مذموم لأنه ضلال بعد هدى وهو يكون عن اعوجاج في الجبلّة - انتهى . ثم أكد سبحانه وتعالى الإخبار بأن ذلك لن يكون إلا بانعامه منها بهذا التأكيد الذي أفاده الإبدال على عظمة هذا الطريق فقال « صراط الذين أنعمت عليهم » فأشار إلى [أن - ٢]
الاعتصام به في اتباع رسله ، ولما كان سبحانه عام^٢ النعمة لكل موجود ه
عدوا كان أو وليا و كان حذف المنعم به لإرادة التعميم^٣ من باب تقليل اللفظ لتكثير المعنى فكان من المعلوم أن محط السؤال بعض أهل النعمة وهم أهل الخصوصية - يعنى^٤ لو قيل : اتبع طريق أهل مصر مثلاً لا أهل دمشق ، علم أن المنى غير داخل في الأول لأن شرطه أن يتبعاه^٥ متعاطفاه كما صرحوا به ، بخلاف ما لو قيل : اتبع طريق أهل مصر غير الظلمة ، فانه ١٠
يعلم أن الظلمة منهم ، فأريد هنا التعريف بأن النعمة عامة ولو لم تكن إلا بالإيجاد ، ومن المعلوم أن السلوك لا بد وأن يصادف طريق بعضهم وهم منعم عليهم فلا يفيد السؤال حيثئذ ، فعرف أن المسؤل إنما

(١) في م وظ ومد : في .

(٢) زيد من م وظ ومد .

(٣) كذا ، والظاهر : عم .

(٤) من م ومد وظ ، وفي الأصل : المنعم .

(٥) ليس في م ومد ، والعبارة الآتية إلى « هو طريق أهل النعمة » ليست في م ومد وظ .

(٦) في الأصل : ان يتبعاه - كذا .

هو طريق أهل النعمة بصفة^١ الرحيمية تشوقت النفوس إلى معرفتهم فيزهم^٢
 ببيان أضرارهم^٣ تحذيرا منهم^٤، فعرف أنهم قسمان: قسم أريد للشقاوة
 فناند في إخلاله^٥ بالعمل فاستوجب الغضب، وقسم لم^٥ يرد للسعادة
 فضل من جهة إخلاله^٦ بالعلم فصار إلى العطب فقال مخوفا بعد الترجية^٦
 ليكمل الإيمان بالرجاء والخوف معرفا^٧ بأن النعمة عامة والمراد منها
 ما يخص أهل الكرامة: «غير المغضوب عليهم»، أى الذين تعاملهم معاملة
 الغضبان لمن وقع عليه غضبه، و تعرفت «غيره» لتكون صفة للذين
 باضافتها إلى الضد فكان مثل: الحركة غير السكون، ولما كان المقصود
 من «غير» النفي^٨ لأن السياق له وإنما عبر بها دون أداة استثناء دلالة

(١) من ظ وم ومد، وفي الأصل: خاصة .

(٢) زيد في ظ «بيان أنهم قسمان» .

(٣-٣) في ظ : تحذرا .

(٤) من م ومد، وفي الأصل وظ : خلاله .

(٥) ليس في مد .

(٦) من مد وظ ، و وقع في الأصل وم : التوجيه .

(٧) من م وظ ومد، وفي الأصل : معرفان .

(٨) من م ومد، وفي الأصل وظ : المنفى، وفي تفسير المهائمي : وهذا أقرب حذر

عن متابعتهم لأنها كتابعة أعداء الملوك يجعل التابع في حكم المتبوع، وابتدأ باسم الله

وحمده وانتهى بذي الغضب والضلال لأن مطلع الخيرات الإقبال على الله

وتمامها بالسلامة عن الغضب والضلال، وفيه إشارة إلى سبق الرحمة، ثم إن

جعل «غير» بدلا فكان الداعي رأى قصور نفسه عن سلوك صراط النعم =

على بناء الكلام بادئ^١ بدء على إخراج المتلبس بالصفة^٢ وصونا للكلام^٣ عن
إفهام أن ما يعد^٤ أقل ودون لا^٥ ولا الضالين، فلم مقدار النعمة على القسم
الأول وأنه لا نجاة إلا باتباعهم^٦ وأن من حاد عن سبيلهم عامدا أو مخطئا
شقي ليشمر^٧ أولو الجدد عن^٨ ساق العزم وساعد الجهد في اقتفاء^٩ آثارهم^{١٠}
للفوز بحسن جوارهم في سيرهم وقرارهم .

قال الحرالي : « المعضوب عليهم » الذين ظهر^{١١} منهم المراغة وتعمد
= عليهم فأعرض عن طلبه وأخذ يطلب السلامة..... و لفظة « غير » تشعُر
بالتأيرة الكلية وزيادة « لا » مشعرة بأن المطلوب الإخلاء عنه سواء قارنه
الغضب أم لا .

(١) في م : يادئ - كذا .

(٢) من هنا إلى « أقل » ليست في ظ .

(٣) في مد : للفظ .

(٤) من مد ، وفي الأصل وم : بعد .

(٥) زيد في م وظ ومد : للتنبيه على أن الصنفين من أهل النعمة وكانت « لا » مع
كونها أخصروا أرشقا وأدل (في مد : أولى) بالنفي وأحق وأوفق تفيد مع
التأكيد أن المراد مجانية كل واحد من الصنفين على حياله قال .

(٦) من م ومد وظ ، وفي الأصل : ليستمر .

(٧) من م ومد ، وفي الأصل وظ : على ، وهو الأوفق يستمر .

(٨) في م : الاقتفاء .

(٩) زيد في م ومد وظ : والاهتداء بآثارهم .

(١٠) في م ومد وظ : ظهرت .

المخالفة فيوجب ذلك الغضب من الأعلى والبغض من الأدنى . و « الضالين »
الذين وجهوا وجهة هدى فزاغوا عنها من غير تعمد لذلك . « آمين » كلمة
عزم من الأمن ، مدلولها أن المدعو مأمون منه أن يرد من دعاه لأنه
« لا يعجزه شيء » ولا يمنعه شيء « لا تصلح إلا لله لأن ما دونه لا ينفك عن عجز
أو منع [انتهى - °] . وهو صوت سمي به الفعل الذي هو استجب . وقد
انعطف المنتهى على المبتدأ بمراقبة القسم الأول اسم الله فجازوا ثمرة
الرحمة وخالف هذان القسمان فكانوا من حزب الشيطان فأخذتهم
النقمة ، وعلم أن نظم القرآن على ما هو عليه معجز ، ومن ثم اشترط

/ ١٢

- (١) من م ومد وظ ، وفي الأصل : فوجب .
- (٢) في مد : الذي .
- (٣) من م ، وفي الأصل ومد وظ : عزمة .
- (٤ - ٤) ليست في م .
- (٥) زيد من م ومد وظ .
- (٦) وفي تفسير المهائمي : آمين بمعنى استجب أو كذلك أفعّل أو قاصدين نحوك
أو عاجزين عن بلوغ الثناء عليك أو راجين إجابة الدعوة أو مشتغلين بها عن
سائر الأشياء أو راضين بما قضيت لنا أو علينا ، وبالجملة ففيه رجوع إلى الله وإدانة
الافتقار إليه وهو أصل كل خير وبه يتم سلوك طريق الحق ويسلم من
الآفات - انتهى .
- (٧) ليس في م .
- (٨) من م ومد وظ ، وفي الأصل : فجازوا .
- (٩) من م ومد ، وفي الأصل وظ : هذا .

في الفاتحة في الصلاة اكونها واجبة فيها الترتيب، فلو قدم فيها
أو أخر لم تصح الصلاة [وكذا لو أدرج فيها ما ليس منها للاخلال
بالنظم - ٢] .

قال الأصهباني: فإن القرآن معجز والركن الآيين^١ الإعجاز يتعلق
بالنظم والترتيب - انتهى . والحاصل أنه لما رفعت^٢ تلك الصفات هـ
العلية لمخاطبتها الحجب وكشفت^٣ له بسمو مجدها وعلو جدها [وشرف
حمدها - ٧] جلائل السترة^٤ وأشرقت^٥ به^٦ رياض الكرم ونشرت له
لطائف^٧ عواطفها بسط البر والنعم^٨ ثم اخترقت به مهامه العظمة والكبرياء
وطوت في تيسيرها له مفاوز الجبروت والعز^٩ وأومضت له بوارق

(١) زيد في ظ : و .

(٢) من م ومد، وفي الأصل و ظ : و .

(٣) زيد من م مد .

(٤) زيد في م ومد : في .

(٥) من م ومد، وفي الأصل و ظ : وقعت، وزيدت بعده في الأصل و ظ :
ولذا لو أدرج فيها ما ليس منها للاخلال بالنظم (وزيد بعد « بالنظم » في
الأصل فقط « لا » .

(٦) من م ومد و ظ، وفي الأصل : كشف .

(٧) زيد من م ومد و ظ .

(٨) في مد : السير .

(٩) في مد و ظ : اشرفت .

(١٠) زيد في م ومد و ظ : على .

(١١) في م ومد و ظ : بلطائف .

(١٢-١٣) ليست في مد .

النقم من ذلك الجنب الأشم^١ وصل إلى مقام الفناء عن^٢ الفاني وتمكن
 في^٣ رتبة شهود البقاء للباقي فبادر الخضوع له معرضا عن السوى حاكما
 على الأغيار بما لها من ذواتها [من - ^٤] العدم والتوى^٥ فقال «ياك
 نعبد، وفي تلك الحال تحقق العجز عن توفية^٦ ذلك المقام ما له من
 الحق فقال: «وياك نستعين» .

فكشف له الشهود في حضرات المعبود عن طرق عديدة و منازل
 سامية بعيدة ورأى أحوالاً جمّة وأودية مدلهمة وبحارا مغرقة^٧ وأنوارا^٨
 هادية وأخرى محرقة، ورأى لكل أهلا^٩ قد أسلكوا^{١٠} فجاء تارة حزنا
 وأخرى^{١١} سهلا، وعلم أن لا نجاة إلا بهدايته ولا عصمة بغير عنايته
 ١٠. ولا سعادة إلا برحمته ولا سلامة لغير أهل نعمته^{١٢}؛ فلما أشرق واستنار

(١) في مد فقط : الاسم .

(٢) في م : من .

(٣) من م ومد وظ ، وفي الأصل : من .

(٤) زيد من م ومد وظ .

(٥) في م : التوى .

(٦) في م : توفية .

(٧) من م ومد ، وفي الأصل وظ : معرفة .

(٨) في م : أنوارها .

(٩-١٠) ليست في م .

(١٠) في م : تارة .

(١١) في تفسير المصطفى «فن الأصول معرفة الله تعالى بأنه الذي قامت به الموجودات

قيام الأجساد بالأرواح ومعرفة وجوده بأنه الذي رجح من رحمته أحد طرفي

الممكنات ومعرفة صفاته بأنها الكالات الموجبة للحمد والتربية تقتضي الحياة =

وعرف مواقع الأسرار [بالأقدار - '] كأنه قيل له : ما ذا تطلب
 [وفي - '] أى مذهب تذهب ؟ فقال : « اهدنا الصراط المستقيم » .
 ولما طلب أشرف طريق سأل أحسن رفيق فقال : « صراط الذين
 انعمت عليهم » ، ولما كانت النعمة قد تخص الدينية عينها واستعاذ^١
 من أولئك الذين شاهدتم فى التيه سائرين وعن القصد عاثرين حائرين ه
 أو جائرين فقال : « غير المغضوب عليهم ولا الضالين » .

وقد أشير فى أم الكتاب - كما قال العلامة سعد الدين مسعود
 ابن عمر التفتازانى الشافعى - إلى جميع النعم فانها ترجع إلى إيجاد وإبقاء
 أولا و٣ [إلى - '] إيجاد وإبقاء ثانيا فى دار الفناء والبقاء ، أما الإيجاد
 الأول فبقوله « الحمد لله رب العالمين » فان الإخراج من العدم إلى الوجود ١٠
 أعظم تربية ، وأما الإبقاء الأول فبقوله « الرحمن الرحيم » أى المنعم
 بجلائل النعم ودقائقها التى بها البقاء ، وأما الإيجاد الثانى فبقوله « ملك

= العلم ... ومعرفة أسمائه بأنها الوسائط القربية له بينه وبين خلقه بها يربى
 ويرحم ويفضل ومعرفة توحيده بأنه رب كل شىء ما عداه ومعرفة استحقاقه
 للعبادة بأنه المنعم المتفضل المرجوع إليه ومعرفة افتقار العبد إليه ابتداء بأنه الرب
 ووسطا بأنه الرحمن الرحيم وانتهاء بأنه مالك يوم الدين « أطال المصنف وأجاد
 من شاء الاطلاع عليه فليراجع .

(١) زيد من م وظ ومد .

(٢) فى م ومد : فاستعاذ ، وفى ظ : واستعاد .

(٣) ليس فى م .

(٤) زيد من ظ .

يوم الدين، وهو ظاهر، وأما الإبقاء الثاني فبقوله «إياك نعبد» - إلى آخرها، فإن منافع ذلك تعود إلى الآخرة .

ثم جاء التصدير بالحمد بعد الفاتحة في أربع سور أشير في [كل - ١] سورة منها إلى نعمة من هذه النعم على ترتيبها - انتهى، وسيأتي في أول [كل - ١] سورة من الأربع ما يتعلق بها من بقية كلامه . إن شاء الله تعالى، وهذا يرجع إلى أصل مدلول الحمد فإن مادته بكل ترتيب تدور على بلوغ الغاية ويلزم منه الاتساع والإحاطة والاستدارة فيلزمها مطأطأة الرأس وقد يلزم الغاية الرضا فيلزمه الشكر وسيبين و ينزل على الجزئيات في سورة النحل إن شاء الله تعالى، ثم في أول ١٠ سبأ تحقيق ما قاله [الناس - ١] فيه وفي النسبة بينه وبين الشكر فقد بان سر الافتتاح بها من حيث تصديرها بالحمد^١ جزئياً فكلياً الذي / كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه^٢ فهو أجزم^٣؛ وتعقبه^٤ بمدح المحمود بما ذكر من

/ ١٣

(١) زيد من ظ و م و مد .

(٢) قال على المهاشمي في تفسيره: "ثم أشار إلى سر حمده بأنه ربي الكل تربية رحمة بأن خافه كما ينبغي ثم أفاض ما يحتاج إليه في بقائه وما يفيد سائر الكمالات التي لا تنهاى" وقال "(فمنها) فاتحة الكتاب لافتتاح قراءته و كتابته بها لأن تسميتها وحدها مبدأ كل أمر ذى بال تحامياً عن البتر لأن وجود كل شيء بظهور اسم الله تعالى فيه و تقررده بشكره بل هو مستزید" انتهى .

(٣) وفي م و مد : به .

(٤) في م : جزم .

(٥) وفي م و مد و ظ : تعقبه .

أسمائه الحسنى مع اشتغالها على جملة ' معاني القرآن من الحكم النظرية
والاحكام العملية فهى أم القرآن لأنها [له - '] عنوان وهو كله
لما تضمنته على قصرها بسط و تبيان .

قال الاستاذ أبو الحسن الحزالى فى مفتاح الباب المقفل لفهم
القرآن المنزل فى آخر الباب التاسع منه : ولنته هذه الأبواب بذكر هـ
القرآن ومحتواه على الكتب وجمعه وقراءته وبيانه وتنزيله وإنزاله
وحكيمه^٢ ومبينه ومجيده وكريمه وعظيمه ومرجه إلى السبع المثاني
والقرآن العظيم أم القرآن ومحتواها عليه^١ ، فنذكر جميع ذلك فى الباب
العاشر ، الباب العاشر فى محل أم القرآن من القرآن ووجه محتوى
القرآن على جميع الكتب والصحف المتضمنة لجميع الأديان . ١٠
اعلم أن الله سبحانه جمع نبأه العظيم كله عن شأنه العظيم جمعا فى
السبع المثاني أم القرآن وأم الكتاب وكنزها تحت عرشه ليظهرها^٥
فى الحتم عند تمام أمر الخلق وظهور بادئ الحمد بمحمد صلى الله عليه
وسلم ، لأنه تعالى يختم بما به بدأ ولم يظهرها قبل ذلك ، لأن ظهورها

(١) فى م : حملة .

(٢) زيد من م ومد وظ .

(٣) من م ومد ، وفى الأصل وظ : حكيه ، وهو محرف .

(٤) وفى تفسير المهاشمي : و (منها) سورة الكنز لقول على رضى الله عنه : نزلت

سورة الفاتحة من كنز تحت العرش ، أى من أسرار المعارف المحيطة معرفة الذات

والأسماء والأفعال والمعاد والعراط المستقيم والجزاء والحاجة والأحكام .

(٥) فى ظ : لتظهرها .

يذهب وهل الخلق ويمحو كفرهم ولا [يتم - '] بناء القرآن إلا
مع قائم بمشهود بيان الفعل لئتم الأمر مسمعا ومرأى^١ وذلك لمن^٢
يكون من خلقه كل خلق ليبين به ما من أمره كل أمر، ثم فيما بين
بدء الأمر المكنون وخاتم الخلق الكامل تدرج تَشَوُّؤُ الخلق وبدو
٥ الأمر على حسب ذلك الأمر صحفا فصحفا وكتابا فكتابا، فالصحف
لما يتبدل سريعا، والكتاب لما يثبت ويدوم أمدًا، والآلواح لما
يقيم وقتًا.

ففي التوراة أحكام الله على عباده في الدنيا بالحدود والمصائب
والضراء والبأساء، وفي القرآن منها ما شاء الله وما يظهره الفقه من
١٠ الحدود، ومعارف^٣ الصوفية من مواخذة المصائب؛ وفي الإنجيل أصول
تلك الأحكام والإعلام بأن المقصود بها ليست هي بل ما وراءها من
أمر الملكوت، وفي القرآن منها ما شاء الله مما يظهره^٤ العلم والحكمة
الملكوية، وفي الزبور تطريب الخلق وجداً وهم عن أنفسهم إلى
ربهم، وفي القرآن منه ما شاء الله مما تظهره الموعظة الحسنة، ثم أنهى

(١) من م ومد .

(٢) في م ومد : مرأى - كذا، ووقع في الأصل و ظ : امرا - مصحفاً .

(٣) من مد، وفي الأصل و م و ظ : بمن .

(٤) من م و ظ، وفي الأصل و مد : تنشر .

(٥) من م و ظ و مد، وفي الأصل : مقارف - كذا .

(٦) زيد في م : الله .

الامر . الخلق من جميع وحوهه، فصار قرآنا جامعا للكل متما
للنعمه مكلا للدين . اليوم اكملت لكم دينكم . - الآية ، بعثت لانتم مكارم
الاخلاق - وإن إلى ربك المنتهى .

و وجه فوت ٣ أم القرآن [للقرآن - ١] أن القرآن مقصود تنزيله
التفصيل و الجوامع، فيه نجوم مبثوثة غير منتظمة ، واحدة إثر واحدة، ه
و الجوامع في أم القرآن منتظمة واحدة بعد واحدة إلى تمام السبع
على وفاة لا مزيد فيه ولا ينقص عنه؛ أظهر تعالى " بما له " سورة صورة
تجليه من بدء الملك إلى ختم الحمد، و بما لعبده " سور مصورة " تأديه
من براءته من الضلال إلى هدى الصراط المستقيم ، و وجدك ضالا
فهدى، و بما بينه و بينه قيام ذات الامر و الخلق فكان ذلك هو القرآن ١٠

(١) زيد بعده في الأصل : و الخلق - كذا .

(٢) و في تفسير الماهمي : و اكل معنى جمع من علوم جملة ما لا يتناهى من فوائد
مهمة في الفاظ قليلة قريبة الفهم بعيدة الغور يشهد له العلوم و يشهد بها و يشتمل
على أصول مسائلها مع دلالتها و رفع الشبه عنها لاتباعه بوجوه كثيرة باعتبار ربط
كلماته و ترتيب آياته للذى يشتر فيه إلى تأمل كامل و تدبر تام من ذى علوم
كثيرة و باعتبار استقلالها بالزول - الخ .

(٣) من م و مد و حظ ، و في الأصل : يوت - كذا ؛ و في تاج العروس :
(ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) ... اختلافا و لا اضطرابا و عن الليث فات
يفوت فوتا فهو فانت كما يقولون بون ما بينى و بينكم - الخ .

(٤) زيد من م و مد و حظ .

(٥-٥) ليس في مد .

(٦) في ظ : تجيله، و في مد : تجيلته - كذا .

(٧-٧) في مد و حظ : سورة صورة .

العظيم الجامع لما حواه القرآن المطلق الذكر بما فيه من ذلك تفصيلا
 من ميبه^١ وهو ما عويفت آية مسموعة ، ومن مجيده وهو ما جربت
 أحكامه من بين عاجل^٢ ما شهد / وآجل ما علم ، يعلم ما شهد فكان
 معلوما بالتجربة المتينة^٣ بما تواتر من القصص الماضي^٤ وما شهد له من
 الأثر الحاضر وما يتجدد مع الأوقات من أمثاله وأشباهه ، ومن كريمه
 وهو ما ظهرت فيه أفانين إنعامه فيما دق وجل وخفي وبداء ، ومن
 حكيمه^٥ وهو ما ظهر في الحكمة المشهورة^٦ تقاضيه وانتظام مكتوب
 خلقه على حسب تنزيل أمره ، وما كان منه بتدرج وتقريب للأنفهام
 فقاءت^٧ من حال إلى حال وحكم إلى حكم كان تنزيلا ، وما أهوى
 ١٠ به^٨ من علو إلى سفلى^٩ كان إنزالا ، وهو إنزال حيث لا وسائط
 وتنزيل حيث الوسائط ؛ وبيانه حيث الإمام العامل به مظهره في أفعاله
 وأخلاقه كان خلقه القرآن ، وقرآنه تلفيق تلاوته على حسب
 ما تتقاضاه التوازل .

(١) من م ومد وظ ، وفي الأصل : بينه .

(٢) من م ومد وظ ، وفي الأصل : جاعل ، وهو محرف العاجل المقابل بأجل .

(٣) في ظ : المتينة .

(٤) كذا ، ولعله : الماضية .

(٥) في مد : حكيه - كذا .

(٦) وفي م : الشهودة .

(٧) في م ومد وظ : ثأت .

(٨) زيد في م وظ : اهواء ، وفي مد : اهوى .

(٩) من م ، مد وظ ، وفي الأصل : اسفل .

آخر آية أنزلت « و اتقوا يوما ترجعون فيه الى الله » قال صلى الله عليه وسلم في مضمون قوله تعالى « ان علينا جمعه ^١ و قرآنه ^٢ » : اجعلوها بين آية الدين والآية التي قبلها ، [لأنه - ^٣] ربما تقدم كيان الآية وتأخر في النظم قرآنها ^٤ على ما تقدم عليها ، آية « يا أيها النبي انا احللتنا لك ازواجك ^٥ » الآية متأخرة الكيان متقدمة ^٦ القرآن على آية « لا يحل لك النساء من ^٧ بعد ^٨ » فقد يتطابق ^٩ قرآن الأمر و تطوير الخلق و قد لا يتطابق والله يتولى إقامتهما ، وأما الجمع ففي قلبه نسبة جوامعه السبع في أم ^{١٠} القرآن إلى القرآن بمنزلة نسبة ^{١١} جمعه في قلبه لمحا واحدا إلى أم القرآن « وما امرنا الا واحدة كلفح بالبصر ^{١٢} » ، فهو جمع في قلبه ، و قرآن على لسانه ،

(١) سورة ٢ آية ٨٢١ .

(٢-٣) ليست في م . سورة ٧٥ آية ١٧ .

(٣) زيد من م و ظ و مد .

(٤) من م و مد و ظ ، وفي الأصل : يقدم .

(٥) في ظ : قرأتها .

(٦) سورة ٣٣ آية ٥٠ .

(٧) في م : بتقدمة .

(٨) سورة ٣٣ آية ٥٢ .

(٩) من م و مد و ظ ، وفي الأصل : تطابق .

(١٠) من م و مد و ظ ، وفي الأصل : امر .

(١١) زيد في ظ فقط : امر القرآن إلى ، وبهامشه : نسبة القرآن في .

(١٢) سورة ٤٤ آية ٥٠ .

و بيان في أخلاقه و أفعاله ، و جملة في صدره ، و تنزيل في تلاوته ،
 و قال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة^١ ، قال الله
 تعالى : كذلك - أى كذلك أنزلناه^٢ ، إلا ما هو منك بمنزلة سماء الدنيا
 من الكون ، أنا أنزلناه في ليلة مباركة^٣ ، أى إلى سماء الدنيا ، و أنزلناه
 تنزيلاً^٤ ، على لسانه في أمد أيام النبوة ، و قال في تفسيره : القرآن باطن^٥
 و ظاهره محمد صلى الله عليه وسلم ، قالت عائشة رضى الله عنها : كان خلقه
 القرآن ، فحمد صلى الله عليه وسلم صورة باطن سورة القرآن ، فالقرآن
 باطنه و هو ظاهره^٦ ، و نزل به الروح الأمين^٧ على قلبك^٨ .

و قال في تفسير الفاتحة : و كانت سورة الفاتحة أما للقرآن ، لأن
 ١٠ القرآن جميعه مفصل من مجملها ، فالآيات الثلاث الأولى شاملة لكل
 معنى تضمنته الأسماء الحسنى و الصفات العلى ، فكل ما في القرآن من
 ذلك فهو مفصل من جوامعها ، و الآيات الثلاث الآخر من قوله

(١) سورة ٢٥ آية ٣٢ .

(٢) في م و مد : نزلناه .

(٣) في م و مد : الى .

(٤) من م و مد و ظ ، و في الأصل : اسماء .

(٥) سورة ٤٤ آية ٣ .

(٦-٧) سورة ١٧ ، آية ١٠٦ ، و في م و مد و ظ : رتلناه ترتيلاً ، و زيد بعده

في ظ : اى .

(٧) في م : باطنه .

(٨) من م و مد و ظ ، و في الأصل : ظاهر .

(٩) سورة ٢٦ آية ١٩٤ .

• اهدنا ، شاملة لكل ما يحيط بأمر الخلق في الأصول إلى الله والتحيز
إلى رحمة الله والانتقطاع دون ذلك ، فكل ما في القرآن منه فمن تفصيل
جوامع هذه ، و كل ما يكون وصلة بين ذلك بما ظاهرهن ' هذه ' من
الخلق ومبدؤه وقيامه من الحق ففصل ٣ من آية ٣ • اياك نعبد و اياك
نستعين • انتهى •

و من أنفع الأمور في ذوق هذا المشرب استجلاء الحديث القدسي
الذي رواه مسلم في صحيحه و أصحاب السنن الأربعة عن أبي هريرة '

(١) في م ومد : ظاهره .

(٢) ليس في م ومد .

(٣-٣) ليس في م ومد وظ .

(٤) نقل العلامة المہاشمي في تفسيره هذا الحديث بزيادة و شرح شرحا انيقا ما
نصه : روى ابو هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى
قال : قسمت الصلاة - اى السورة التى هى اعظم اركان الصلاة - بينى وبين
عبدى نصفين - اى قسمين - فاذا قال العبد : بسم الله الرحمن الرحيم ، قال الله تعالى
ذكرنى عبدى - اى الذكر الجامع لذاتى و اسمائى وصفاتى و أفعالى ، و إذا قال :
الحمد لله رب العالمين ، يقول الله : حمدنى عبدى - اى بالحمد الجامع الحمد للكل ،
و إذا قال : الرحمن الرحيم ، يقول الله : عظمنى عبدى - اى بنسبة إيجاد الكل إلى
على ما ينبغي ، و إذا قال : ملك يوم الدين ، يقول الله : مجدى عبدى - اى أفردنى
عبدى بالعظمة إذ لا ملك يومئذ غيره اصلا ، و إذا قال : اياك نعبد ، يقول
الله : عبدنى عبدى - اى بعبادة الكل على أتم وجوه الإخلاص ، و إذا قال : و اياك
نستعين ، قال : هذا بينى وبين عبدى - اى جامع لحق العبودية من الاستعانة وحق
الربوبية من الاعانة ، و إذا قال : اهدنا الصراط المستقيم - الآية ، قال الله : هذا
لعبدى و لعبدى ما سأل - ما بقى من الشرح فليطلب من ج ١ ص ١٣ .

رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قال الله عز وجل: قسمت الصلاة بيني وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأل. فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله تعالى: حمدنى عبدى، وإذا قال: الرحمن / الرحيم، قال الله: أثنى على عبدى، وإذا قال: ملك / ١٥ يوم الدين، قال الله: مجدنى عبدى - وقال مرة: فوض إلى عبدى، وإذا قال: اياك نعبد و اياك نستعين، قال: هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل، وإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، قال: هذا لعبدى ولعبدى ما سأل - 'والله أعلم'.

(١) فى م: حمد .

(٢=٢) ليس فى م ومد و ظ .

سورة البقرة

مقصودها إقامة الدليل على [أن - ١] الكتاب [هدى - ٢]
 ليتبع^٣ في كل [ما - ٤] قال ، وأعظم ما يهدى إليه الإيمان بالغيب ،
 وجمعه الإيمان بالآخرة ، فداره^٥ الإيمان بالبعث^٦ الذي أعربت^٧ عنه
 قصة البقرة [التي مدارها الإيمان بالغيب - ٨] فلذلك سميت بها السورة ه

(١) سميت بها للدلالة قصتها على وجود الصانع إذ حياة القتل ليست من ذاته
 وإلا لحي كل قتيل ولا يضرب بعض البقرة عليه وإلا حصلت متى ضرب ، وعلى
 قدرته لأنه أحى بمحض قدرته لا بهذا السبب بل عنده ، وعلى حكمته لأنه أشار
 بذلك إلى إحياء القلب بذبج النفس الأمانة المظلمة له ، وعلى النبوة لكونها
 معجزة ، وفيها إشارة إلى وجوب طاعة الأنبياء من غير تفتيش لتقل المؤنة
 ولا تقع الفضيحة التي وقعت للقائين « اتخذنا هزوا » ، وعلى الاستقامة لأن
 طلب الدنيا ذلة وطلب ما سوى الله شية - من تفسير المهاشمي ، ويطلب ما فيه
 من التحقيق .

(٢) زيد من م ومد و ظ .

(٣) في مد : فينبع .

(٤) زيد من م .

(٥) من مد ، وفي الأصل : مداره ، وفي م و ظ : ومداره .

(٦) من م و ظ ومد ، وفي الأصل فقط : بالغيب .

(٧) في م : أعرب .

(٨) زيد من م و ظ ومد .

وكانت بذلك أحق من قصة إبراهيم عليه ' الصلاة و' السلام لأنها في نوع البشر وما تقدمها في قصة بني إسرائيل من الإحياء بعد الإمامة بالصعق ' وكذلك ما شاكلها' ، لأن الإحياء في قصة البقرة عن سبب ضعيف في الظاهر بمباشرة من كان من آحاد الناس فهي أدل على القدرة ولا سيما هـ وقد اتبعت بوصف القلوب ٣ والحجارة ٣ [بما عم - ٢] المهتدين بالكتاب و الضالين فوصفها* بالقوة الموجبة للشقوة ٦ ووصفت* الحجارة ٧ بالخشية الناشئة في الجملة عن التقوى ٤ المانحة للدد* المتعدى نفعه إلى عباد الله ، وفيها ١١ إشارة ١١ إلى أن هذا الكتاب فينا كما لو كان فينا ١٢ خليفة من أولى العزم من الرسل يرشدنا في كل أمر إلى صواب

(١-١) ليس في م ومد .

(٢-٢) في ظ : كذا ما ساكلها ، وفي م ومد : كذا ما شاكلها .

(٣-٣) من م ومد و ظ ، وفي الأصل : بالحجارة .

(٤) زيد من م ومد و ظ ، غير أن في مد «ما» مكان «بما» .

(٥) من م ومد و ظ ، وفي الأصل : بوصفها .

(٦-٦) في ظ : من وصف ، وفي م : وضعف .

(٧) زيد في م «و» .

(٨) في ظ : القوي - كذا .

(٩) من م ومد و ظ ، وفي الأصل : المداد - كذا .

(١٠) ليس في م ، وفي مد : فيها .

(١١) من ظ ومد ، وفي الأصل وم : الإشارة .

(١٢) من م ومد و ظ ، وفي الأصل : فيمن .

المخرج منه^١ فمن أعرض خاب، ومن تردد كاد، ومن أجاب
اتقى وأجاد .

وسميت بالزهراء^٢ لإنارتها^٣ طريق الهداية والكفاية في الدنيا
والآخرة^٤، و^٥ لإيجابها إسفار الوجوه في يوم الجزاء لمن آمن بالغيب
ولم يكن في شك مريب في حال^٦ بينه وبين ما يشتهي^٧، وبالسلام لأنه^٨
ليس في الإيمان بالغيب بعد التوحيد الذي هو الأساس الذي ينبئ^٩ عليه
كل خير والمتهى^{١٠} الذي هو غاية^{١١} السير والعالي^{١٢} على كل غير بأعلى^{١٣}

(١) ليس في مد .

(٢) من م ومد وظ، وفي الأصل: الزهراء . والعبارة الآتية إلى « والآخرة »
ليست في م وظ .

(٣) من مد، وفي الأصل وم وظ: لا تارتها - بالناء الثلاثة .

(٤) في مد: الأخرى .

(٥) ليس في ظ .

(٦) من ظ ولكنه بلا نقط فيه، وليس في م، وفي مد: فاحيل، وفي الأصل: فيما .

(٧) من م ومد وظ، وفي الأصل: لأن .

(٨) من م ومد وظ، وفي الأصل: ينبئ .

(٩) وفي ظ ومد: التاج .

(١٠) في م ومد وظ: نهاية .

(١١) من م ومد وظ، وفي الأصل: العالي .

(١٢) من ظ، وفي الأصل وم ومد: اعلى .

ولا أجمع من الإيمان بالآخرة، و^١ لأن الستم أعلى ما في بطن^٢ المطية
الحاملة والكتاب الذي هي سوره^٣ هو أعلى ما في الحامل للامر^٤
وهو الشرع الذي أتاها به رسولهم صلى الله عليه وسلم^٥.

«بسم الله» الذي نصب مع كونه باطنا دلائل الهدى حتى كان
ظاهرا، «الرحمن» الذي أفاض رحمته على سائر خلقه بعد الإيجاد ببيان
الطريق، «الرحيم» الذي خص أهل وده بالتوفيق^٦. ^٧ قال العلامة
أبو الحسن الحرالي في كتاب العروة لمفتاح الباب [المقفل - ^٨] في
معنى ما رواه عن ابن وهب من حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال: كان الكتاب الأول ينزل من باب

(١) ليس في مد و ظ .

(٢) ليس في م و مد و ظ .

(٣) زيد في الأصل «او» ولم تكن الزيادة في م و مد و ظ فحذفناها .

(٤) في م و ظ : للامة، وفي مد : للامر، وفي الأصل : للامرة .

(٥) زيد بعده في الأصل « عن حياة عن عقيل بن خالد عن سلمة بن أبي سلمة
ابن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن ابن مسعود رضي الله عنه فذكر من غير ذكر
النبي صلى الله عليه وسلم » ولم تكن الزيادة في م و مد و ظ فحذفناها وسنجدى .

(٦) وفي تفسير المهاشمي ، ما نصه : بسم الله الرحمن الرحيم أى باسم الله الذي تجلى
بذاته وصفاته في كتابه الشامل على بيان كلالته ، الرحمن بنفى الريب عنه بجعله
معجزا لا لكل ، الرحيم بجعله هدى للتقين - اهـ .

(٧) زيد هنا في الأصل فقط «و» .

(٨) زيد من م و مد و ظ .

واحد على حرف واحد و نزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة
 أحرف: زاجر و أمر و حلال و حرام و محكم و متشابه و أمثال^١ فأحلوا
 حلاله و حرموا حرامه و أفعلوا^٢ ما أمرتم به و اتهموا عما نهيتهم عنه
 ١٦ / و اعتبروا بأمثاله و أعملوا بمحكمه و آمنوا بمتشابهه و قولوا: آمنا به ،
 كل من عند ربنا - وهذا الحديث رواه أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده ٥
 و أبو يعلى الموصلى و من طريقة ابن حبان في صحيحه ، كلهم من طريق
 ابن وهب^٣ عن حيوة^٤ عن عقيل بن خالد عن سلمة بن أبي سلمة بن
 عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن ابن مسعود رضى الله عنه - فذكره
 من غير ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ؛ و قال العلامة الحافظ أبو شامة
 عبد الرحمن بن إسماعيل الدمشقي [الشافعي^٥ -] في كتابه « المرشد الوجيز » ١٠
 إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ، بعد أن ساق هذا الحديث من رواية
 سلمة بن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابن مسعود^٦ رضى الله عنه :

(١) في ظ : ف نزل .

(٢) في م : أمثاله .

(٣) من هنا إلى « وسلم » الآتى ليست في مد .

(٤) من م و ظ ، و في الأصل و مد : حياة - كذا ؛ و هو حيوة بن شريح ،

روى عن أبي هانيء و شرحبيل بن شريك الماعزى و جماعة ، و عنه الليث و ابن

لهيعة و نافع بن يزيد و ابن وهب و غيرهم - راجع تهذيب التهذيب ٦٩١/٣ .

(٥) زيد من م و مد و ظ .

(٦) من م و مد و ظ ، و في الأصل : الرجيز - كذا .

(٧) من هنا إلى « ابن مسعود » الآتى ليست في م .

قال أبو عمر بن عبد البر: هذا حديث عند أهل الحديث لم يثبت، وأبو سلمة لم يلق ابن مسعود، وابنه سلمة ليس بمن يحتج به، وهذا الحديث يجمع على ضعفه من جهة إسناده وقد رده قوم من أهل النظر منهم أحمد بن أبي عمران فيما سمعه الطحاوى منه، ويرويه الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن أم سلمة [عن أبي سلمة - ١] عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلًا^١، قال أبو شامة: وهكذا رواه البيهقي في كتاب المدخل وقال: هذا مرسل جيد، أبو سلمة لم يدرك ابن مسعود، ثم رواه موصولًا وقال: فان صح فعنى قوله: سبعة أحرف، أى سبعة أوجه، وليس المراد به^٢ اللغات التى أبحاث القراءة عليها^٣ ١٠ وهذا المراد به الأنواع التى^٤ نزل القرآن عليها والله أعلم.

قلت^٥: عزاه شيخنا العلامة مقرئ زمانه شمس الدين محمد بن محمد بن^٦ محمد بن^٧ الجزرى^٨ الدمشقى الشافعى فى أوائل كتابه^٩ والنشر فى

(١) زيد من م ومد و ظ .

(٢) ليس فى م .

(٣) زيد فى م ومد و ظ : ماورد فى الحديث الآخر من نزول القرآن على سبعة احرف ذلك المراد به .

(٤) فى ط : الذى .

(٥) زيد فى م ومد : انتهى .

(٦) فى مد : و - مكان : قلت ، وزيد بعده فى م و ظ : و .

(٧-٧) ليس فى م .

(٨) من م ومد و ظ ، وفى الأصل : جزرى - كذا .

(٩) فى م فقط : كتاب .

القراءات العشر، إلى الطبراني من حديث عمر بن أبي سلمة المخزومي
 رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لابن مسعود رضى الله
 عنه: إن الكتب كانت تنزل من السماء من باب واحد وإن القرآن
 أنزل من ^١ سبعة أبواب على سبعة أحرف: حلال وحرام ومحكم
 ومتشابه وضرب أمثال و [أمر و - ^٢] زاجر ^٣، فأحل حلاله وحرم ^٥
 حرامه وأعمل بمحكمه وقف عند متشابهه واعتبر أمثاله، فإن كلا من
 عند الله وما يذكر إلا أولوا الأبواب. ورواه الحافظ أبو بكر بن
 أبي داود في كتاب ^٤ المصاحف، من وجه آخر عن عبد الله قال:
 إن القرآن أنزل على نبيكم صلى الله عليه وسلم من سبعة أبواب على
 سبعة أحرف - أو: حروف - وإن الكتاب قبلكم كان ينزل - أو: نزل - ^{١٠}
 من باب واحد على حرف واحد. ورواه البيهقي في فضل القرآن من
 الشعب عن أبي هريرة رضى الله عنه بلفظ: نزل القرآن على خمسة
 أوجه: حلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال.

قال الحرالي: وفي حديث آخر من طريق ابن عمر رضى الله عنهما:
 إن الكتب كانت تنزل من باب واحد وإن هذا القرآن أنزل من ^{١٥}

(١) من م ومد وظ، وفي الأصل: على.

(٢) زيد من م وظ ومد، غير أن في مد: واوامر.

(٣) في مد: زواجر.

(٤) في م فقط: كتابه.

سبعة أبواب على سبعة أحرف ، وقال فى معنى ذلك ^١ : اعلم أن القرآن منزل ^٢ عند انتهاء الخلق وكمال كل الأمر بدءا فكان ^٣ المتخلق به جامعا لانتهاه كل خلق وكمال كل أمر ، فلذلك هو صلى الله عليه وسلم قُسم ^٤ الكون - وهو الجامع الكامل - [و-°] لذلك كان خاتما ، وكان كتابه ^٥ ختما ، وبدأ المعاد من حد ظهوره ، إنه هو يبدئ ويعيد ، فاستوفى ^٦

/ ١٧

(١) قال فى حاشية الإتيان: قوله: أنزل القرآن على سبعة أحرف ، قال فى القاموس: أى سبع لغات من لغات العرب ، وليس معناه أن يكون فى الحرف الواحد سبعة أوجه وأن جاء ع-لى سبعة وعشر أو أكثر ولكن المعنى هذه اللغات السبعة مفرقة فى القرآن - انتهى . وفى التوشيح: اختلف فى المراد بها على نحو أربعين قولاً وبسطتها فى الإتيان وأقربها قولان: أحدهما أن المراد سبع لغات . وتعقب بأن لغات العرب أكثر من سبعة ، وأجيب أن المراد بها أفصحها ، وعليه أبو عبيدة و ثعلب والأزهري وآخرون وصححه ابن عطية والبيهقى ؛ والثانى أن المراد سبعة أوجه من المعانى المتفقة بالفاظ مختلفة - ان شئت مزيد تحقيق فراجع الى حاشية الصحيح للبخارى ج ٢ ص ٧٤٦ .

(٢) وفى مد: ينزل .

(٣) من م ومد ، وفى الأصل: و كان .

(٤) من مد وظ ، وفى م: قسم ، وفى الأصل: قسم - بالفاء الموحدة ، والصواب بالقاف - راجع قطر المحيط ص ١٦٦ .

(٥) زيد من م وظ ومد .

(٦) فى متن م ومد: كختمه ، وفى هامشها: كتابه .

(٧) من م ومد وظ ، وفى الأصل: فاستوى .

صلاح هذه ' الجوامع الثلاث التي قد خلت في الأولين بداياتها وتمت
عنده نهاياتها^٢؛ بعث لآتمم مكارم الأخلاق - رواه أحمد عن معاذ
رضي الله عنه رفعه ، وهي صلاح الدنيا والدين والمعاد التي جمعها في قوله
صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: اللهم
أصلح لي ديني الذي^٣ هو عصمة أمري ، وأصلح لي دنياي التي فيها ه
معاشي ، وأصلح لي آخرتي التي إليها^٤ معادي . وفي كل صلاح إقدام
وإحجام قصير الثلاثة الجوامع ستة بفصلات هي حروف القرآن
الستة التي لم يبرح يستزيدها^٥ من ربه حرفا^٦ حرفا ، فلما استوفى الستة
وهبه^٧ ربه حرفا جامعا سابعافردا لا زوج له ، فتم إنزاله على سبعة أحرف .
فأدنى^٨ تلك الحروف هو ' حرف إصلاح^٩ الدنيا ، فلها حرفان: ١٠

(١) من م ومد وظ ، وفي الأصل : هدا - كذا .

(٢) في م : غاياتها .

(٣) ليس في م .

(٤) من م ومد وظ ، وفي الأصل : فيها .

(٥) في الصحيح للإمام البخاري فضائل القرآن باب ه : ان ابن عباس رضي الله
عنهما حدثه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أقرأني جبرئيل على حرف
فراجعته فلم ازل أستزيده ويزيدني حتى انتهى الى سبعة احرف .

(٦) زيد في ظ : واحد .

(٧) زيد في م : من .

(٨) من م ومد وظ ، وفي الأصل : فاوتي .

(٩-١٠) في م ومد : حرفا صلاح .

أحدهما حرف الحرام الذى لا تصلح^١ النفس و البدن إلا بالتطهير^٢
 منه لبعده عن تقويمها^٣؛ والثانى حرف الحلال الذى تصلح النفس
 و البدن عليه لموافقته لتقويمها؛ وأصل هذين الحرفين فى التوراة،
 و تمامهما فى القرآن .

٥ ثم يلى^٤ هذين حرفا صلاح المعاد: أحدهما حرف الزجر و النهى
 التى لا تصلح الآخرة إلا بالتطهير^٥ منه لبعده عن حسناتها ، و الثانى
 حرف الأمر الذى تصلح الآخرة عليه لتقاضيه بحسناتها^٦، و قد يتضرر
 على ذلك حال الدنيا، لأنه يأتى على كثير من حلالها لوجوب إثارة^٧
 الآخرة لبقائها و كليتها على الدنيا لفنائها و جزئيتها، لكون خير الدنيا
 ١٠ جزءا من مائة^٨ و شر الدنيا جزءا من سبعين [جزءا - ^٩] و لا يؤثر^{١٠}

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ : لا تصح ، و هو كما ترى .

(٢) من مد، و فى الأصل و م و ظ : بالتطهير .

(٣) فى الأصول : تقويمها .

(٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : تلى .

(٥) من ظ ، و فى الأصل و م و مد : لحسناتها .

(٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ : آثار .

(٧) فى م : امامه - كذا .

(٨) زيد من ظ .

(٩) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : يومر - كذا .

هذا الجزء الأدنى لحضوره على ذلك الكل الأنهى لغيابه إلا من سفه
نفسه و ضعف إيمانه ، فتخلص المرء^١ من حرف الحرام طهره و تخلصه
من النهى طيه ؛ و أصل هذين الحرفين فى الإنجيل و تمامهما فى القرآن .
ثم بلى^٢ هذين حرفا صلاح الدين : أحدهما حرف المحكم الذى بان
للعبد فيه خطاب ربه من جهة أحوال قلبه و أخلاق نفسه و أعمال بدنه ه
فيما بينه و بين ربه من غير التفات لغرض النفس فى عاجل الدنيا
ولا آجلها ، و الثانى حرف التشابه الذى لا يتبين للعبد فيه خطاب ربه
من جهة قصور عقله عن إدراكه و وجوب تسريح ربه عن تمثّل عبده
إلى أن يؤيده الله بتأييده . و الحروف الخمسة للاستعمال و هذا الحرف
السادس للوقوف ليكون العبد قد وقف لله بقلبه عن حرف كما قد ١٠
كان أقدم لله على تلك الحروف ، و لينسخ بمعجزه^٤ و إيمانه عند هذا
الحرف السادس انتهاء ما تقدم من طوقه^٥ /^٦ و علمه^٦ فى تلك الحروف
ابتداء ؛ و أصل هذين الحرفين فى الكتب المتقدمة كلها و تمامها^٧

(١) فى ظ : المرء - كذا .

(٢) من م و مد و ظ ، وفى الأصل : تلى .

(٣) وفى مد : تمثيل .

(٤) من م و مد و ظ ، وفى الأصل : بمعجزه .

(٥) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : طرقة .

(٦-٦) كرده فى الأصل ثانيا .

(٧) فى مد : تمامها .

في القرآن .

فهذه الحروف الستة يشترك فيها القرآن مع سائر الكتب ويزيد عليها تمامها وبركة جمعها ، ويختص القرآن بالحرف السابع الجامع مبین المثل الأعلى و مظهر المثل الأعظم حرف الحمد الخاص بمحمد صلى الله عليه وسلم و هو حرف المثل ، وعن جمعه و كمال جمعه لمحمد صلى الله عليه وسلم في قلبه وقراءته على لسانه و بيانه في ذاته ظهرت عليه خواص خلقه الكريم و خلقه العظيم ، و لا ينال إلا موهبة من الله تعالى لعبده بلا واسطة ، و الستة ^٢ تنزل بتوسطات من استواء الطبع و صفاء العقل بمثابة وحى النبي و إلهام الولي .

١٠ و لما كان حرف الحمد هو سابعها الجامع افتتح الله به ^٣ سبحانه و تعالى الفاتحة أم القرآن و أم الكتاب و جمع فيها جوامع الحروف السبعة التي بثها في القرآن كما جمع في القرآن ما بث في جميع الكتب المتقدمة ، كفضة ^٤ ثقلت على مريد ^٥ السفر [فابتاع بها ذهباً فذلك مثل القرآن ثم ثقل عليه الذهب - ^٦] فابتاع به جوهراً ، فذلك مثل أم القرآن ١٥ فاذن كمال الحروف [التي أنزل عليها القرآن - ^٦] موجودة في جوامع

(١) في ظ : بمحمد .

(٢) في م و مد : ستة .

(٣) ليس في م و مد .

(٤) من م و مد و ظ ، وفي الأصل : كقعة - كذا .

(٥) في مد : تريد .

(٦) زيد من م و ظ و مد .

أم القرآن ، فالآية الأولى تشتمل على حرف الحمد السابع ، و الثانية تشتمل على حرفي الحلال والحرام اللذين أقامت الرحمانية بهما الدنيا ، يريد - ١ - والله سبحانه وتعالى أعلم - أن الرحمانية وسعت على العباد الاستمتاع بالخلق من النعم والخيرات الموافقة لطباعهم وأمرجتهم وقبول نفوسهم في جميع جهات الاستمتاع ، فكان في ذلك رحمتان : رحمة ه بالإبادة وهي إزالة حرج الحظر ، ورحمة بمنع لحاق حرج الإثم أو يجعل المباح شهيا للطبع ، و أما الرحيمية فطهرتهم من مضار أبدانهم ورجاسة نفوسهم وبجھلة قلوبهم ، ففي ذلك رحمة واحدة وهي حماية المحبوب عن المضار ٣ من المحبوب . أو يريد - وهو والله تعالى أعلم أقرب - أن الرحمانية أقامت بعدمومها ٦ كل ما ٦ شملته الربوية من إفاضة النعم ١٠ وإزاحة النقم على وجه مسعد أو مشق ، والرحيمية أقامت بخصوصها كما تقدم بما ترضاه الإلهية إدراة النعم ودفع النقم على الوجه المسعد خاصة - انتهى .

و الآية الثالثة تشتمل على أمر الملك القيم على حرفي الأمر والنهي

(١) من م وظ ومد ، وفي الأصل : بهم .

(٢-٢) في م ومد وظ : الله اعلم .

(٣) من مد ، وفي الأصل وم وظ : الضار .

(٤) ليس في م ومد .

(٥) قدمه في ظ على « والله » .

(٦-٦) من م ومد وظ ، وفي الأصل : كلما - كذا .

الذين يبدو أمرهما في الدين ، و الرابعة تشتمل على حرفي المحكم في قوله « اياك نعبد ، والمتشابه في قوله « و اياك نستعين » ، ولما كانت بناء خطاب محاضرة لم تردد^١ مسألتيها في السورة فانفرد هذان^٢ الحرفان عن الدعاء فيهما ، وعادت مسألة الآية الخامسة على حرف الحمد ومسألة الآية السادسة على آية النعمة من حرفي الحلال والحرام ومسألة الآية السابعة على آية^٣ الملك من حرفي الأمر والنهي ؛ فجمعت الفاتحة جوامع / الحروف السبعة .

/ ١٩

ولما ابتدئت^٤ الفاتحة^٥ أم القرآن بالسابع^٦ الجامع الموهوب^٧ ابتدئ^٨ القرآن بالحرف السادس^٩ المعجوز عنه وهو حرف المتشابه ، لأنه^{١٠} عن

(١) في م ومد : نبأ - كذا .

(٢) في ظ فقط : لم تردد .

(٣) في م : هذا .

(٤) من م ومد و ظ ، وفي الأصل : انه - وهو محرف .

(٥) من م ومد و ظ ، وفي الأصل : ابتدئنا .

(٦) من م ومد و ظ ، وفي الأصل : لفاتحة .

(٧) من م ومد و ظ ، وفي الأصل : السامع - كذا .

(٨) من م ومد و ظ ، وفي الأصل : الرهوب - كذا .

(٩) زيد في الأصل فقط « من » ولم تكن الزيادة في م ومد و ظ فحذفناها .

(١٠) من م ومد و ظ ، وفي الأصل فقط : السابع .

(١١) في الأصول كلها : لأن .

إظهار العجز ومحض الإيمان كانت الهبة^١ والتأييد^٢، وليكون العبد
يفتح القرآن بالإيمان بغيب^٣ متشابه في قوله «آلَمْ» فيكون أتم اتقيادا
لما دونه وبريثا من الدعوى في مستطاعه في سائر الحروف؛ ثم ولي
السادس المفتوح به القرآن الخامس المحكم من وجه في قوله «سبحانه
و^٤ تعالى» و يقيمون الصلوة^٥ وما رزقنهم ينفقون^٥، لأن من عمل بها
من قلبه شعبة إيمان وعلم كانت له من المحكم، ومن عمل بها اتقارا
وإجاء ولم يدخل الإيمان في قلبه كانت له حرف أمر^٥ وان تطيعوا الله
ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا^٥.

وهذا إنما وقع ترتيبه هكذا في القرآن المثلوث^٥، وأما تنزيله في
ترتيب البيان فإن أول ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم هو حرف ١٠
المحكم وهو قوله «سبحانه و^٤ تعالى» اقرا باسم ربك الذي خلق^٥.

(١) في م: الهبة.

(٢) ليس في م ومد.

(٣) من م ومد، وفي الأصل وظ: بالغيب.

(٤-٤) ليس في م ومد.

(٥) زيد بعده في الأصل «ويوتون الزكوة» ولم تكن الزيادة في م ومد
وظ ولا في القرآن لحذفناها.

(٦) سورة ٤٩ آية ١٤.

(٧) في الأصل فقط: التلوا - كذا.

'خلق الانسان من علقه اقرا وربك الاكرم'، الآيات الخمس، 'وأول ما أنزل إلى الأمة في ترتيب البيان هو من حرف الزجر والنهي وهو قوله 'سبحانه' و'تعالى' بآيها المدثرة قم فانذره ٣، [أى - ٥] و'نذير لكم بين يدي عذاب شديد'، أعلمهم بما^٦ تخاف^٧ عاقبته^٨ في الآخرة وإن كانوا قد اتخذوا في الدنيا مودة بأوثانهم وقال تعالى^٩ 'ولما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض'، الآية، فابتدأ^{١٠} 'سبحانه' و'تعالى' ترتيل الأمة باصلاح المعاد الأهم لأن عليه يصلح^{١١} أمر الدنيا، من استقل بآخرته كفاه الله أمر دنياه؛

(١-١) ليس في م ومد .

(٢) سورة ٩٦ آية ١ - ٥ .

(٣) سورة ٧٤ آية ١ و ٢ .

(٤) زيد في الأصل فقط : وربك فكبر الى قوله تعالى .

(٥) زيد من م ومد وظ .

(٦) سورة ٣٤ آية ٤٦ .

(٧) في م وظ : ما .

(٨) من م وظ ، وفي الأصل ومد : يخاف .

(٩) في ظ فقط : عاقبة .

(١٠) ليس في م ومد وظ .

(١١) سورة ٢٩ آية ٢٥ .

(١٢-١٣) ليس في م وظ ، وفي مد : الله .

(١٣) من م ومد وظ ، وفي الأصل : تصلح - كذا .

وبدأ منها بحرف الزجر والنهى وهو المبدوء به فى الحديث وردد النبي صلى الله عليه وسلم لفظ الزجر بلفظ النهى لأن المقصود بهما واحد وهو الردع عما يضر فى المعاد ، إلا أن الردع على وجهين: خطاب لمعرض ويسمى زجرا كما يسمى فى حق البهائم ، وخطاب لمقبل على التفهم ويسمى نهيا؛ فكأن الزجر يزيع الطبع والنهى يزيع العقل - ٥ انتهى . وقد بان من هذا سر افتتاح البقرة بالحروف المقطعة .

ولما كان الذى ابتدئت به السور ٣ من ذلك شطر حروف المعجم كان كأنه قيل من زعم أن القرآن ليس كلام الله فليأخذ الشطر الآخر ويركب عليه كلاما يعارضه به ، نقل ذلك الزركشى فى البرهان عن القاضى أبى بكر قال : وقد علم ذلك بعض أرباب الحقائق ، وجمعها ١٠

(١) من مد ، وفي م : يزيع ، وفي الأصل و ظ : يريع - بالمهمتين .
(٢) وفي أنوار التنزيل وأسرار التأويل ما نصه : ثم ان مسمياتها لما كانت عنصر الكلام وبساطته التى تتركب منها افتتحت السور بطائفة منها إيقاظا لمن تحدى بالقرآن وتنبهها على ان المتأول عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم فلو كان من عند غير الله لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الإتيان بما يدانيهم وليكون أول ما يقرع الأسماع مستقلا بنوع من الإعجاز فان النطق بأسماء الحروف مختص بمن خط ودرس فأما من الأمى الذى لم يخالط الكتاب فستغرب مستبعد خارق للعادة كالكتابة والتلاوة سيما وقد راعى فى ذلك ما يعجز عنه الأديب الأريب الفائق فى فنه .

(٣) من مد و ظ ، وفي الأصل و م : السورة .

الزركشى فى قوله : نص حكيم قاطع له سر . وعن أبى بكر رضى الله عنه :
فى كل كتاب [سر -] وسر الله فى القرآن أوائل السور . وعن على رضى الله
تعالى عنه 'وكرم وجهه' : ان لكل كتاب صفوة ، و صفوة هذا الكتاب
حروف التهجى .

٥ ولما كانت حروف المعجم تسعة^٦ وعشرين حرفا بالهمزة [و -^٧]
كان أحدها شطرها على التحرير متعذرا فقسمت خمسة عشر وأربعة عشر ،
وأخذنا الأقل من باب الأنصاف وفرق فى ' / تسع^٨ وعشرين سورة

/ ٢٠

(١) زيد فى م ومد : لله تعالى .

(٢) زيد من م ومد وظ . وفى أنوار التنزيل للبيضاوى : وقيل إنه سراساثره
الله بعلمه ، وقد روى عن الخلفاء الأربعة وغيرهم من الصحابة ما يقرب منه -
انتهى . وفى الحاشية : روى عن أبى بكر أنه قال : فى كل كتاب سر وسر الله فى
القرآن أوائل السور ، وعن عمرو عثمان وابن مسعود أنهم قالوا : الحروف
المقطعة من المكتوم الذى لا يفسر ، وعن على : فى كل كتاب صفوة و صفوة هذا
الكتاب حروف الهجاء .

(٣) زيد فى م ومد وظ : ابن أبى طالب .

(٤-٤) ليست فى م ومد .

(٥) من م ، و ليس فى مد ، وفى الأصل وظ : عيان - وهو خطأ .

(٦) من م ومد ، وفى الأصل وظ : تسعا .

(٧) لا بد من الواو فزيدت .

(٨) فى مد فقط : احر - كذا .

(٩) من م ومد وظ ، وفى الأصل : احد .

(١٠) زيد فى الأصل : وفرق بين فى ، ولم تكن الزيادة فى م ومد وظ فخذناها .

على عدد الحروف^١، وتحدى به على هذا الوجه . وأبدى الإمام
شمس الدين ابن قيم الجوزية الدمشقي^٢ الحنبلي في كتاب له كالتذكرة
سماه «بدائع الفرائد»^٣، سرا غريبا في ابتداء القرآن بقوله «السم» حاصله
أن حروفه الثلاثة جمعت^٤ المخارج الثلاثة: الحلق و اللسان و الشفتان^٥ -
على ترتيبها، وذلك^٦ إشارة إلى البداية التي هي بدء الخلق و النهاية
التي^٧ هي المعاد و الوسط الذي هو المعاش من التشريع بالأوامر و النواهي؛
وفي ذلك تنبيه على أن هذا الكتاب الذي ركب من هذه الحروف
التي لا تعدو المخارج الثلاثة التي بها يخاطب جميع الأمم جامع لما

(١) قال البيضاوي في تفسيره: وهو أنه أورد في هذه الفواتح أربعة عشر اسما -
هي نصف أسامي حروف المعجم إن لم تعد فيها الألف حرفا برأسها - في تسع وعشرين
سورة بعددها إذا عدت فيها الألف مشتملة على انصاف انواعها - إلى ان قال:
ولو استقرت الكلم وتراكيبها وجدت الحروف المتروكة من كل جنس
مكتورة بالذكور.

(٢) ليس في ظ .

(٣) في م و مد: الفوايد .

(٤) في ظ: جمع .

(٥) كذا، و الظاهر: الشفتين .

(٦) قال البيضاوي في تفسيره: وقيل الألف من أقصى الحلق وهو مبدأ
المخرج، و اللام من طرف اللسان وهو وسطها، و الميم من الشفة وهي
آخرها؛ جمع بينها إيماء إلى أن العبد ينبغي أن يكون أول كلامه وأوسطه
و آخره ذكر الله تعالى .

(٧) ليس في م و مد .

يصلحكم من أحوال بدء الخلق وإعادته وما بين ذلك، وكل سورة افتتحت بهذه الحروف ذكرت فيها الأحوال الثلاثة .

وقال الحرالي في تفسيره: « الف، اسم للقائم الأعلى المحيط ثم لكل مستخلف في القيام كآدم والكعبة، « ميم، اسم للظاهر الأعلى الذي من أظهره ملك يوم الدين، واسم للظاهر الكامل المؤتى جوامع الكلم^١ محمد صلى الله عليه وسلم، ثم لكل ظاهر دون ذلك كالسما والفلك والأرض، « لام، اسم لما بين باطن الإلهية التي هي محار العقول^٢ و ظاهر الملك الذي هو متجلى يوم الجزاء من مقتضى الأسماء الحسنى والصفات العلى التي هي وُصِّلَ تنزل ما بينهما كاللطيف ونحوه،
١٠ ثم للوصل الذي^٣ كالملائكة وما تتولاه^٤ من أمر الملكوت . وهذه الألفاظ عند انعجام^٥ معناها تسمى حروفا، والحرف طرف الشيء الذي لا يؤخذ منفردا وطرف القول الذي لا يفهم وحده، وأحق ما تسمى^٦ حروفا إذا نظر إلى صورها^٧ وقوعها أجزاء من الكلم

(١) من م ومد وظ، وفي الأصل: العلم - كذا؛ ولظاهر: الكلم، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: أوتيت جوامع الكلم .

(٢) في م: العقل .

(٣) في م: الدنى - كذا .

(٤) من م، وفي الأصل: ما تنزلاه - وهو محرف تنولاه .

(٥) في م: العجام .

(٦) في ظ: يسمى .

(٧) ليس في م .

ولم تفهم لها دلالة فتضاف إلى مثلها جزء من كلمة مفهومة تسمى^١ عند ذلك حروفاً وعند النطق بها هكذا ألف لام ميم [فينبغي أن يقال فيها أسماء وإن كانت غير معلومة الدلالة كحروف ألف باء تاء -^٢] فإنها كلها أسماء على ما فهمه الخليل وإنها إنما تسمى حروفاً عند ما تكون أجزاء كلمة محركة للابتداء أو مسكنة للوقف والانتهاء^٣ .

و أما حقيقتها فهي جوامع^٤ أصلها في ذكر أول من كلام الله تعالى فنزلت إلى الكلم العربية وترجمت بها ونظم منها هذا القرآن العربي المبين، فهي في الكتب العلوية المملوكة المترتبة في الجمع والتفصيل آية وكلم^٥ وذات كتاب، فلما نزلت إلى غاية مفصل القرآن أقيمت^٦

(١) من ظ، وفي الأصل: فيسمى .

(٢) زيدت من م ومد وظ .

(٣) وفي أنوار التنزيل: "الـم" وسائر الألفاظ التي يتجهج بها أسماء مسمياتها الحروف التي ركبت منها الكلم لدخولها في حد الاسم واعتوار ما يختص به من التعريف والتنكير والجمع والتصغير ونحو ذلك عليها وبه صرح الخليل وأبو علي، وما روى ابن مسعود أنه قال: من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: "الـم" حرف، بل ألف حرف ولام حرف وميم حرف، فالمراد به المعنى الذي اصطلاح عليه فإن تخصيصه به عرف مجدّد بل المراد المعنى اللغوي ولعله سماه باسم مدلوله - انتهى .

(٤) في م: جامع .

(٥) في مد: كلمة .

(٦) من م وظ، وفي مد: ما بقيت، وفي الأصل: القت .

في افتتاحه لتكون علما على نقله للتفصيل من ذلك الكتاب ، ولأنها
 آتم وأوجز في الدلالة على الجمع من المفصل منها ودلالاتها جامعة
 للوجود كله من أبطن قيمه إلى أظهره وأظهر مقامه وما بينهما من
 الوصلة [و - '] الواصلة وهي جامعة الدلالة على الكون المرتق للدين
 ٥ بالعين والوحي المسموع ؛ ولأجل ما اقتضته من الجمع لم تنزل في كتاب
 متقدم لأن كتاب كل وقت مطابق بحال الكون فيه والكون كان
 بعد لم يكمل فكانت كتبه و صحفه بحسبه ، ولما كمل الكون في وقت
 سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كان كتابه كاملا^٢ جامعا فوجب ظهور
 هذه الجوامع فيه^٣ ليطابق الختم البدء ، لأنها طرفا كمال وما بينهما
 ١٠ تدرج^٤ إليه ، وقد كان وعد بانزالها في بعض تلك الكتب فكان
 نزولها نجازا^٥ لذلك - انتهى^٦ .

(١) زيد من ظ .

(٢) ليس في م ومد .

(٣) في ظ : كلاً ، وفي مد : كله ما - كذا .

(٤) في م : فيها .

(٥) من م ومد وظ ، وفي الأصل : يدرج .

(٦) من م ومد وظ ، وفي الأصل : نجازا .

(٧) في السراج النير للعلامة محمد الشربيني الخطيب : وقيل معناه ذلك الكتاب
 الموعود إزاله بقوله تعالى « انا سنلقى اليك قولاً ثقيلاً » أوفى الكتب المتقدمة
 لأن سورة البقرة مدنية كما مرواكثرها احتجاج على اليهود وعلى بنى إسرائيل =

و أما مناسبة ما بعد ذلك ' للفاتحة ' فهو أنه لما أخبر سبحانه
 ٣ و تعالى ٣ أن عباده المخلصين سألوا في الفاتحة هداية الصراط المستقيم
 الذى هو [غير - ٤] طريق الهالكين أرشدهم في أول التى تليها* إلى
 أن الهدى المسؤل إنما هو فى [هذا - ٦] الكتاب ، و بين لهم صفات
 الفريقين الممنوحين بالهداية حثا على التخلق بها و الممنوعين منها زجرا ه
 عن قربها. فكان / ذلك من أعظم المناسبات لتعقيب الفاتحة بالبقرة ، لأنها
 سقت لنفى الريب عن هذا الكتاب و لأنه هدى للتقين ، و لوصف
 المتقين و ما يجازون به بما ٧ فى الآيات الثلاث و لوصف الكافرين الذين
 لا يؤمنون لما وقع من الحتم على حواسهم و الحتم ٨ لعقابهم ليعلم أن
 ما اتصف به المتقون هو الصراط المستقيم فيلزم و ما اتصف به من ١٠

= و قد كانت بنو إسرائيل أخبرهم موسى و عيسى عليهما السلام أن الله يرسل
 محمدا وينزل عليه كتابا فقال تعالى «ذلك الكتب» أى الذى أخبر الأنبياء المتقدمون
 بأن الله سينزل على النبي المبعوث من ولد إسماعيل .

(١) ليس فى ظ .

(٢) فى ظ : الفاتحة .

(٣-٣) ليس فى م ومد و ظ .

(٤) زيد من م ومد و ظ .

(٥) من م ومد و ظ ، وفى الأصل : يليها .

(٦) زيد من م و ظ .

(٧) ليس فى مد .

(٨) وفى م ومد و ظ : الحتم - كذا .

عدام^١ هو طريق الهالكين فيترك^٢؛ وفي الوصف بالتقوى بعد ذكر
 المغضوب عليهم^٣ والضالين إشارة إلى أن المقام مقام الخوف .
 وإن شئت قلت : مقصود^٤ هذه السورة وصف الكتاب فقط^٥ وما
 عدا ذلك فتوابع ولوازم ولن يثبت أنه هدى إلا بآيات أنه حق^٥ معنى
 ونظما ، ولما كان المعنى أهم قدم الاستدلال عليه فأخبر من تلاميذهم
 على الكفر بما يكون تكذيبهم به تصديقا له ، واتبع ذلك بذكر المناققين
 إعلاما بأن المنفى الإيمان^٦ بالقلب وأنه لا عبرة باللسان إذا تجرد عنه ،

(١) في م : عذابهم .

(٢) زيد في م « لا » .

(٣) ليس في م .

(٤) في تفسير المهاشمي : الأصل اللازم للاستدل ذلك الكتاب البعيد درجة كماله
 لجمعه ما في الكتب الإلهية قبله مع رفعه كل ريب بإقامة الحجج ورفع الشبه
 مؤيدا بالإيجاز وتصديق الكتب الإلهية له قبله وكشوف الأولياء بعده بل إنما
 يعرف صدق الجميع به ، والأدلة العقلية المحضة قلما تخلو عن معارضة او مناقضة
 او نقض والنقلية المحضة من سائر الكتب تحتل التحريف وقد ارتفع من
 هذا الكتاب ما ذكر مع كمال هدايته لما لا يتناهى من المطالب العلمية والعملية
 او اعلى لامع ماح للظلمات ذلك الكتاب .

(٥) وفي م : احق .

(٦) وفي م : للإيمان .

و ساق ذلك على وجه يعلمون به أنه الحق بما هتك من سرائرهم و كشف
من ضمائرهم ، فلما تم ذلك و كان المقصود منه الدعاء إلى الله اتهمت
تلك الفرصة بقوله تعالى « يا أيها الناس اعبدوا ربكم » لما أسس لها من
الترغيب بالترهيب ، ثم أقيم الدليل على حقيقة نظمه بتقصيرهم عن مدى
سهمه ، فرجع حاصل ذلك إلى إثباته بعجزهم عن معارضته في معناه بإيجاد هـ
ما أخبر بنفيه و في نظمه بالإتيان بمثله ، فلما ثبت ذلك ثبت أنه من
عند الله فثبت تأهله لتعليم الشرائع فجعلها ضمن مجادلة أهل الكتاب بما
يعلمون حقيقته^١ بلا ارتياب من الدعاء إلى ما أخفوه من الدعائم الخمس
التي بنى عليها الإسلام .

- و لما كان معنى « الـم » هذا كتاب^٢ من جنس حروفكم التي قد فُتِم^{١٠}
في التكلم^٣ بها سائر الخلق فما عجزتم عن الإتيان بسورة من مثله إلا لانه
كلام الله أتسج ذلك كماله ، فأشير إليه بأداة البعد و لام الكمال^٤ في
قوله^٥ « ذلك الكتب » لعلو مقداره بجلالة آثاره و بعد رتبته عن نيل
المطرودين . و لما علم كماله أشار إلى تعظيمه بالتصريح بما ينتجه و يستلزمه
ذلك التعظيم فقال « لا ريب فيه » أي في شيء من^٥ معناه و لا نظمه في ١٥

(١) في مد : حقيقته .

(٢) في ظ : الكتاب .

(٣-٣) ليس في مد .

(٤-٤) في مد : فقال .

(٥) في ظ : فهي - كذا .

نفس الامر عند من تحقق بالنظر ' فالمنق' كونه متعلقا للريب و مظنة له .
ولم يقدم الظرف لانه كان يفيد الاختصاص فيفهم أن غيره ٢ من
الكتب ٢ محل الريب .

قال الحرالي : « ذا ، اسم مدلوله المشار إليه ، واللام مدلوله معها
٥ بعد ما « الكتب ، من الكتب وهو وصل الشيء المنفصل بوصلة خفية من
أصله كالخرز » في الجلد بقدر منه والحياطة في الثوب بشيء من جنسه
ليكون أقرب لصورة اتصاله الأول ، فسمى به ما ألزمه الناس من الأحكام
وما أثبت بالرقوم من الكلام ، « لا ، لنفي ما هو بمتنع مطلقا أو في
وقت ، « الريب ، التردد بين موقعي تهمة بحيث يمتنع من الطمأنينة على
١٠ كل واحد منهما - انتهى . وأصله قلق النفس واضطرابها » ، ومنه

(١) من ظ ، وفي الأصل ومدوم : النظر .

(٢) في تفسير النسفي : وإنما نفى الريب على سبيل الاستغراق وقد ارتاب فيه كثير
لأن المنفى كونه متعلقا للريب ومظنة له لأنه من وضوح الدلالة وسطوع
البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب أن يقع فيه لا أن احدا لا يرتاب ، وإنما لم يقل :
لا فيه ريب ، كما قال « لا فيها غول » لأن المراد في إيلاء الريب حرف النفي نفى
الريب عنه وإثبات أنه حق لا باطل كما يزعم الكفار ، ولو أولى الظرف لبعد
عن المراد وهو أن كتابا آخر فيه ريب لا فيه .

(٣-٣) ليس في ظ .

(٤) في م : كالخرز .

(٥) وفي تفسير النسفي ، « لا ريب » لاشك ، وهو مصدر رابنى إذا حصل فيك =

رب^١ الزمان لنوائبه المقلقة ، و لما كان ذلك يستلزم الهدى قال : « هدى » ،
 و خص المتنعين^٢ لأن الألد^٣ لا دواء له و المتعنت^٤ لا يرده شئ . فقال :
 « للمتقين » ، أى الذين جبلوا فى أصل الخلقة على التقوى ؛ فافهم ذلك
 أن غيرهم لا يهتدى به بل يرتاب و إن كان ليس موضعاً للرب أصلاً .
 قال الحرالى : جمع المتقى و هو المتوقف عن الإقدام على كل أمر ه

لشعوره بتقصيره عن الاستبداد و عليه^٥ بأنه غير مستغن بنفسه فهو متق
 لوصفه و حسن فطرته و المتقى^٦ كذا متوقف لأجل ذلك ، و التقوى^٧

= الرية ، و حقيقة الرية قلق النفس واضطرابها ، ومنه قوله عليه السلام : دع ما
 يريك إلى ما لا يريك ، فان الشك رية وإن الصدق طمأنينة ، أى فان كون
 الأمر مشكوكاً فيه مما تقلق له النفس و لا تستقر ، و كونه صحيحاً صادقاً مما تطمئن
 له و تسكن ، و منه رب الزمان و هو ما يقلق النفوس و يشخص بالقلوب
 من نوائبه - انتهى .

(١) فى م : مريب .

(٢) بهامش م : لعله المتقين .

(٣) فى م : الدأ - كذا .

(٤) فى م : المتعنت - كذا .

(٥) ليس فى مد .

(٦) فى ظ : علم .

(٧) و فى الأصول كلها : متقى - كذا .

(٨) فى أنوار التنزيل : فى الأصل مصدر كالسرى والتقى ومعناه الدلالة - إلى =

أصل يتقدم الهدى و كل عبادة ، لأنها فطرة توقف تستحق الهدى
و كل خير و هى وصية الله [لأهل الكتاب - ١] - انتهى .

ثم وصفهم بمجامع الأعمال تعريفا لهم فقال : « الذين يؤمنون
بالغيب » ، أى الأمر الغائب الذى لا نافع فى الإيمان غيره ، وعبر بالمصدر
٥ / ٢٢ للبالغة . « و يقيمون الصلوة » أى / التى هى حضرة المراقبة و أفضل

أعمال البدن بالمحافظة عليها و بحفظها فى ذاتها و جميع أحوالها . و لما
ذكر^١ صلة الخلق بالخالق و كانت النفقة مع أنها من أعظم دعائم الدين
صلة بين الخلائق اتبعها بها فقال مقدما للجار ناهيا عن الإسراف و منها

= ان قال : و اختصاصه بالمتقين لأنهم المهتدون به و المنتفعون بنصبه و ان كانت
دلالة عامة لكل ناظر من مسلم او كافر ، و بهذا الاعتبار قال : « هدى للناس » .
(١) فى ظ : تقدم .

(٢) زيد من ظ ، و فى م و مد : لأهل الكتب ، و قد سقط من الأصل ولكن
علامة الزيادة ثابتة فيه ايضا .

(٣) ليس فى مد .

(٤) و فى انوار التنزيل : و الغيب مصدر وصف به للبالغة كالشهادة فى قوله تعالى
« عالم الغيب و الشهادة » و المراد به الخفى الذى لا يدركه الحس و لا يقتضيه
بداهة العقل .

(٥) ليس فى م .

(٦) زيد بعده فى م و م و ظ : و قد ضمن (فى م : و قد فسر) بمض (فى م :
يومئذ ، و فى مد : يومن) يقرأ (فى ظ : نص ا) و يعترف كما يأتى بيانه عند
« و منهم من (ليس فى ظ) يستمعون اليك » فى يونس .

بالتجسس على طيب النفقة لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً و أمراً
بالورع و زاجراً عما فيه شبهة [لأن الرزق يشمل الحلال و الحرام
و المشتبه -^١] « و بما رزقهم ، أى مكناهم من الانتفاع به على عظمة
خزائنا و هولنا دونهم . » ينفقون ، أى فى مرضاتنا بما يلزمهم من الزكاة
و الحج و الغزو و غيرها و بما يتطوعون به من الصدقات و غيرها ، والمراد هـ
بهذه الأفعال هنا إيجاد حقائقها على الدوام^٢ .

قال أبو حيان و غيره فى قوله تعالى فى سورة الحج « ان الذين
كفروا و يصدون^٣ ، المضارع قد لا يلحظ فيه زمان معين من حال
أو استقبال فيدل إذ ذاك على الاستمرار - انتهى . و هذا مما لا محيد
عنه و إلا لم يشمل^٤ هذا فى هذه السورة المدنية من تخلق به قبل الهجرة ١٠
' و قوله تعالى « فلم تقتلون انبياء الله من قبل^٥ » قاطع فى ذلك .

(١) ليس فى مد .

(٢) زيد من م و مد و ظ غير ان فى م و مد « يشتمل » مكان « يشمل » .
(٣) وفى أنوار التنزيل : و الظاهر من إنفاق ما رزقهم الله صرف المال فى سبيل
الخير من الفرض أو النفل . و يحتمل ان يراد به الإنفاق من جميع المعادن التى آتاهم
الله من النعم الظاهرة و الباطنة ، و يؤيده قوله عليه السلام : ان علما لا يقال به
ككنز لا ينفق منه ؛ و إليه ذهب من قال : و بما خصصناهم به من أنوار المعرفة
يفيضون - انتهى .

(٤) سورة ٢٢ آية ٢٥ .

(٥) وفى مد : لم يشتمل .

(٦-٦) ليس فى ظ .

(٧) سورة ٢ آية ٩١ .

وقال الحرالي: «يؤمنون»، من الإيمان وهو مصدر آمنه يؤمنه
 إيماناً إذا آمن من ينبهه على أمر ليس عنده أن يكذبه أو يرتاب فيه،
 و«الغيب» ما غاب عن الحس ولم يكن عليه علم يهتدى به العقل
 فيحصل به العلم؛ وصيغة «يؤمنون»، و«يقيمون» تقتضى الدوام إلى
 ٥ الحتم، وإدامة العمل إلى الحتم تقتضى ظهوره عن فطرة أو جلبة وأنه
 ليس عن تعمل ومראה، وعند ذلك يكون علما على الجزاء؛
 و«الصلوة» الإقبال بالكلية على أمر، فتكون من الأعلى عطفاً شاملاً،
 ومن الأدنى وفاء بأنحاء التذلل ٣ والإقبال بالكلية على التلقى، وإيمانهم
 بالغيب قبولهم من النبي صلى الله عليه وسلم ما تلقاه بالوحي من
 ١٠ أمر غائب الدنيا الذي هو الآخرة وما فيها وأمر غائب الملكوت وما
 فيه إلى غيب الجبروت وما به بحيث يكون عملهم على الغائب الذي
 تلقته قلوبهم على سبيل آذانهم كعملهم على ما تلقته أنفسهم على سبيل

(١-١) في م ومد: العقل، وفي ظ: بالعقل.

(٢) قال البيضاوى في تفسيره: وإن جعلته حالا على تقدير ملتبس بالغيب كان
 بمعنى النية والخفاء، والمعنى أنهم يؤمنون غائبين عنكم لا كالمناقين «إذا لقوا
 الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شيطانهم قالوا أنا معكم»، وقيل المراد
 بالغيب القلب، والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كن يقولون بأفواههم ما ليس
 في قلوبهم.

(٣) من م ومد و ظ، وفي الأصل: التذلل - بالذال المهملة.

أعينهم و سائر حواسهم و داموا على عملهم ذلك على حكم إيمانهم إلى الخاتمة .

و لما كانت الصلاة التزام عهد العبادة مبنيا على تقدم الشهادة متممة بجماع^١ الذكر و أنواع التحيات لله من القيام له تعالى و الركوع له^٢ و السجود الذي هو أعلاها و السلام بالقول الذي هو أدنى التحيات^٣ كانت لذلك تعهدا للإيمان و تكرارا ، و لذلك^٤ من لم يدم الصلاة ضعف إيمانه و ران عليه كفر فلا إيمان لمن لا صلاة له ، و التقوى وحده^٥ أصل^٦ و الإيمان^٧ فالصلاة ثمرته ، و الإنفاق خلافة و لذلك البخل عزل عن خلافة الله^٨ و اتفقوا بما جعلكم مستخلفين فيه^٩ ، و هذا الأمر بتمامه هو الذي جعلت الخلافة لآدم به إلى ما وراء ذلك من كمال أمر الله^{١٠} الذي أكمله بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فالتقوى قلب باطن ، و الإنفاق وجه ظاهر ، و الإيمان فالصلاة وصلة بينهما . و وجه ترتب الإيمان بالغيب على التقوى أن المتقى^{١١} لما كان متوقفا غير متمسك بأمر كان إذا أرشد

(١) في م فقط : بالجماع - كذا .

(٢) ليس في مد و ظ .

(٣) في ظ : كذلك .

(٤) ليس في ظ .

(٥ - ٥) في م فقط : فالإيمان .

(٦) سورة ٥٧ آية ٧ .

(٧) قال المصنف في تفسيره : المتقى من وق نفسه عما يضرها في الآخرة من =

إلى غيب لا يعلمه لم يدفعه بمقتضى ما تقدم له عليه ؛ ووجه ترتب
 الإتفاق على الإيمان بالغيب أن المدد غيب ، لأن الإنسان لما كان لا يطلع
 على جميع رزقه كان رزقه غيباً ، فاذا أيقن بالخلف جاد بالعطية ، فتي
 أمد بالارزاق تمت خلافته وعظم فيها سلطانه وانفتح له باب إمداد
 ٥ برزق أعلى و أكمل من الأول . فاذا أحسن الخلافة فيه بالإتفاق منه
 أيضاً انفتح له باب إلى أعلى إلى أن ينتهى إلى حيث ليس وراءه
 مرأى^١ و ذلك هو الكمال المحمدى ، وإن بخل فلم ينفق و استغنى بما
 عنده فلم يتق فكذب تضائل أمر خلافته وانقطع عنه المدد من الأعلى ؛
 فيَحَقِّ سمي الإتفاق زكاة^٢ ؛ وفي أول الشورى كلام فى الإيمان عن
 ١٠ على رضى الله عنه نفيس - انتهى^٣ .

و لما وصفهم بالإيمان جملة أشار^٤ إلى بعض تفصيله على وجه يدخل

= اعتقاد وخلق وعمل كملت هدايتهم لأنهم لما اتقوا لم يعطوا النظر ولم يقصروا
 فيه ولا الجوارح ولم يتركوا الأخلاق الرديئة فيها وغيرهم يتمسكون بالشبهات
 الداعية إلى التعطيل والتقصير والترك ، اما الاعتقادات فلأنهم الذين « يؤمنون
 بالغيب » وأما الأعمال فلأنهم الذين « يقيمون الصلوة » وأما الأخلاق فلأنهم
 الذين « مما رزقهم ينفقون » .

(١) ليس فى م .

(٢) وفى م : مرعى .

(٣) زيد فى م و مد : انتهى .

(٤) ليس فى م و مد .

(٥) وفى تبصير الرحمن للهائى : وكيف لا يكون هذا الكتاب هدى إلى =

فيه ' أهل الكتاب دخولا أوليا فقال: «و الذين يؤمنون»، أى وجودون
 هذا الوصف بعد سماعهم للدعوة إجمادا مستمرا «بما انزل إليك، أى
 من القرآن والسنة سواء كان قد وجد أو سيوجد؛ «وما انزل / من
 قبلك، أى على الأنبياء الماضين، ولما كان الإيمان بالبعث^١ من الدين
 بمكان عظيم جدا^٢ بينه بالتقديم إظهارا لمزيد الاهتمام فقال: «وبالآخرة»، هـ
 أى التى هى دار الجزاء ومحل التجلي وكشف الغطاء ونتيجة الأمر.
 قال الحرالى: الآخرة معاد الأمر بعد تمامه على أوليته - انتهى . ولما
 تقدم من الاهتمام عبر بالإيقان وأتى بضمير الفصل فقال: «هم يوقنون»،

= ما لا ينهى وهو يوجب الإيمان بكل ما أنزل إليك منه ومن السنة وبما أنزل
 على الأنبياء من كتبهم وسنتهم من قبلك؟ فلا شك ان الذين يؤمنون بما أنزل
 إليك وما أنزل من قبلك احاطوا بالهدايات كلها، كيف [و] قد زاد اهل هذا
 الكتاب بمزيد تفصيل وتحقيق للأمور الأخروية، فلا شك أنهم بالآخرة هم
 يوقنون فان لم يطلعوا على تفاصيل هدايات سائر الكتب فلا شك ان اولئك
 مستولون على هدى عظيم من ربهم الذى ربي الأمم كلها بتلك الهدايات بالإيمان
 بها إجمالا بل بما كان هذا الكتاب شاملا على ما فيها وليست شاملة على ما فيه،
 فلا شك ان اولئك هم الغفلون بالهدايات كلها.

(١) زيد فى ظ: دخول.

(٢) فى مد: بالغيب.

(٣) ليس فى م.

(٤) ليس فى ظ.

لأن ذلك قائد إلى كل خير و ذائد عن كل ضرر، و الإيقان كما قال
الحرالى صفاء العلم و سلامته من شوائب الريب و نحوه، من يقن الماء
و هو ما نزل من السماء فأنحدر إلى كهف جبل فلم يتغير من قرار و لا
وارد - انتهى . فهو ' يكون بعد شك و لذا ' لا يوصف ^٢ به الله ^٣ .
و الوصف ' بهذه الأوصاف كما ترى إشارة إلى أمهات الأعمال البدنية

(١) و فى السراج المنير ج ١ ص ١٧ ما نصه : هم يوقنون أى يعلمون أنها كائنة ،
لأن اليقين و العلم بالشئ بعد أن كان صاحبه شاكاً فيه - قاله الإمام الرازى ،
ولذلك لا يوصف به العلم القديم و لا العلم الضرورى فلا يقال تيقن الله كذا
و لا تيقنت أن الكل أكبر من الجزء . و فى تفسير المظهرى : الإيقان إتقان العلم
بنفى الشك عنه نظراً و استدلالاً فلا يسمى الله موقناً - انتهى .

(٢) فى م : لهذا .

(٣-٣) فى ظ : الله به .

(٤) و فى أنوار التنزيل و أسرار التأويل : الذين يؤمنون بالغيب ، إما موصول
بالمؤمنين على أنه صفة مجرورة مقيدة إن فسر التقوى بترك ما لا ينبغي مترتبة عليه
ترتب التحلية على التخلية و التصوير على التصقيل أو موضحة إن فسر بما يعم فعل
الحسنات و ترك السيئات لاشتراكه على ما هو أصل الأعمال و أساس الحسنات
من الإيمان و الصلاة و الصدقة فانها أمهات الأعمال النفسانية و العبادات البدنية
و المالية المستتعبة لسائر الطاعات و التجنب من المعاصي غالباً ، ألا ترى إلى قوله
تعالى « ان الصلوة تنهى عن الفحشاء و المنكر » و قوله عليه الصلاة و السلام :
الصلاة عماد الدين و الزكاة قنطرة الإسلام .

و المآلية من الأفعال^١ و التروك^٢، فالإيمان أساس الأمر و الصلاة مشار بها
إلى التحلى^٣ بكل خير و التخلي^٤ عن كل شر. ان الصلوة تنهى عن
الفحشاء و المنكر^٥، و كلاهما من أعمال البدن، و النفقة عمل مالى، فحصل
بذلك^٦ حصر الفعل و الترك الضابطين لجميع الأعمال كيف ما تشعبت،
و صرح بالفعل و أوى إلى الترك إيماء لا يفهمه^٧ إلا البصراء تسهيلا^٨
على السالكين، لأن الفعل من حيث هو و لو^٩ كان صعبا أيسر على
النفس من الكف عما تشهى. و فى وصفهم أيضا بالإيمان بما أنزل إليه
و إلى من قبله من التقرير و التبكيك لمن سواهم ما ستراه فى
الآيات الآتية.

ولما أخبر عن أفعالهم الظاهرة و الباطنة أخبر بشمرتها^{١٠} فقال: ١٠
«اولئك» أى الموصوفون بتلك الصفات الظاهرات، و لما تضمن ما مضى
أن إيمانهم كان عن أعظم استدلال فأثمر لهم التمسك بأوثق العرى من
الأعمال استحقوا^{١١} الوصف بالاستعلاء الذى معناه التمكن فقال: «على

(١) وفى م: الأعمال.

(٢) فى م: التخلي.

(٣) فى ظ: التحلى - كذا.

(٤) سورة ٢٩ آية ٤٥.

(٥) فى مد: بذكر.

(٦) فى مد: لا يشهد.

(٧) فى مد: ان.

(٨) فى مد: عن ثمرتها.

(٩) وفى تفسير المظهرى: فيه ايدان بأن تلك الصفات موجبة لهذا الحكم وفى =

هدى ، أى عظيم ، و زاد فى تعظيمه بقوله : « من ربهم ، أى المحسن إليهم بتمكنهم منه و لزومهم له تمكن من علا ' على الشيء ، و لما لم يلزم الهدى الفلاح عطف عليه ' قوله مشيرا بالعاطف إلى مزيد تمكنهم فى كل من الوصفين « و اولئك ، ^٢ أى العالو الرتبة ' « هم ، ' أى خاصة ' « المفلحون ، أى الكاملون فى هذا الوصف الذين افتتحت لهم وجوه الظفر ، و التركيب دال على معنى الشق و الفتح و كذا أخواته من الفاء و العين نحو فلج بالجيم و فلق و فلذ و فلى .

= كلمة « على » إيدان على تمكنهم واستقرارهم على الهداية ونكر « هدى » للتعظيم و أكد التعظيم بأن الله معطيه و موثقه ، و « اولئك هم المفلحون » أى الفائزون بالمطلوب . هذا اللفظ و ما يشاركه فى الفاء و العين من فلق و فلذ و فلى يدل على الشق و القطع كأن المفلح انشق من غيره و صار بينهما بون بعيد او صاروا مقطوعا لهم بالخير فى الدنيا و الآخرة . و فى أنوار التنزيل : و معنى الاستعلاء فى « على هدى » تمثيل تمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه بحال من اعتلى الشيء و ركه . . . و ذلك انما يحصل باستفراغ الفكر وادامة النظر فيما نصب من الحجج و المواظبة على محاسبة النفس فى العمل .

(١) فى الأصل : على ، و لعله : اعتلى .

(٢) فى مد على .

(٣-٣) ليس فى مد .

(٤-٤) ليس فى م .

قال الحرالي: وخرج الخطاب في هذه الآية مخرج المخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم وخرج إحصار المؤمنين بموضع الإشارة وهي مكانة حضرة دين مكانة حضرة المخاطب - انتهى . وكونها للبعد إعلام بعلو مقامهم . والفلاح الفوز والظفر بكل مراد ونوال البقاء الدائم في الخير .

و لما أردف البيان لأوصاف المؤمنين التعريف بأحوال الكافرين وكانوا قد انقسموا على مصارحين ومناققين^٢ وكان المناقون قسمين جهالا من مشركي العرب و علماء من كفار بني إسرائيل كان الأنسب ليفرغ من قسم برأسه على عجل البداءة أولا بالمصارحين فذكر ما أراد من أمرهم في آيتين ، لأن أمرهم أهون و شأنهم أيسر لقصد تم بما يوهنهم^{١٠} بالكلام أو بالسيف على أن ذكرهم على وجه يعم جميع الأقسام فقال

(١) زيد في الأصل ومد «و» ولم تكن الزيادة في م وظ فحذفناها .

(٢) من ظ ، وفي الأصل وم ومد : الى .

(٣) قال البيضاوي : لا ذكر خاصة عباده و خالصة اوليائه بصفاتهم التي أهلتهم الهدى والفلاح عقبهم اضدادهم العتاة المردة الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا ينفي عنهم الآيات والنذر .

(٤) وفي السراج المنير: ينقسم إلى أربعة أقسام: كفر إنكار وكفر جحود وكفر عناد وكفر نفاق ، فكفر الإنكار هو ان لا يعرف الله اصلا ولا يعترف به ، وكفر الجحود هو ان يعرف الله بقلبه ولا يقر بلسانه ككفر ابليس واليهود ، قال =

مخاطبا ' لأعظم المنعم' عليهم على وجه التسلية والإعجاز في معرض الجواب
 لسؤال من كأنه قال ٣: هذا حال الكتاب للؤمنين فما حاله للكافرين؟
 « ان الذين كفروا، أى حكم، بكفرهم دائما » حكما نفذ و مضى فستروا°
 ما أقيم من الأدلة على الوحداية عن العقول التى هيئت لإدراكه والقطر
 الأولى التى خلصت عن مانع يعوقها عن الانقياد له و داموا على ذلك
 بما دل عليه السباق بالتعبير عن أضدادهم بما يدل على تجديد الإيمان
 = الله تعالى « فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به » وكفر العناد هو ان يعرف الله بقلبه
 ويعترف بلسانه ولا يدين به ككفر ابى طالب حيث يقول :

واقعد علمت بأن دين عهد من خير أديان للبرية دينا

اولا الملامة أو حذار مسبة لو جدتنى سمحا بذاك ميينا

و أما كفر النفاق فهو أن يقر باللسان ولا يعتقد بالقلب؛ وجميع هذه الأقسام من
 لقي الله بواحد منها لا يغفر له .

(١) من م و مد و ظ ، وفى الأصل : مخاطباه - كذا .

(٢) من م و مد و ظ ، وفى الأصل : النقم - وهو محرف .

(٣) وفى تفسير البيضاوى : ولم يعطف نصتهم على قصة المؤمنين كما عطف فى

قوله تعالى « ان الابرار لفي نعيم و ان الفجار لفي جحيم » لتباينها فى الغرض فان

الأولى سبقت لذكر الكتاب و يبان شأنه والأخرى مسوقة لشرح تمردهم

وانهما كهم فى الضلال .

(٤) ليس فى ظ .

(٥) من م و ظ ، وفى الأصل و مد : فيستروا .

على الدوام واللاحق بالحقم^١ والعذاب، ولعله عبر بالماضى والموضع
لوصف تنفيرا من مجرد إيقاع الكفر ولو للنعمة ويشمل^٢ المناقنين
وغيرهم .

ولما دل هذا الحال على أنهم عملوا ضد ما عمله المؤمنون من
الانقياد كان المعنى^٣ «سواء عليهم^٤ انذرتهم، أى إنذارك^٥ فى هذا الوقت ه
بهذا الكتاب^٥» أم لم تنذرهم، أى و عدم إنذارك^٦ فيه و^٧ بعده وقد
انسلخ عن أم والهمزة معنى الاستفهام ، قال سيويه : جرى / هذا على ٢٤ /
(١) من م ومد و ظ ، وفى الأصل : بالحقم - كذا .

(٢) فى مد : يشمل .

(٣) ليس فى ظ .

(٤) فى م ومد : انذارا .

(٥) وفى السراج المنير : « انذرتهم أم لم تنذرهم » أى خوفتهم وحذرتهم أم لا ،
والإنذار إعلام مع تخويف وتحذير ، فكل منذر معلم وليس كل معلم منذرا ،
وإنما اقتصر عليه دون البشارة لأنه أوقع فى القلب وأشد تأثيرا فى النفس من
حيث أن دفع الضرر أهم من جلب النفع ، فإذا لم ينفع فيهم الإنذار كانت البشارة
بعدم النفع أولى لا يؤمنون بما جئت به ، وهذه الآية فى أقوام حققت عليهم كلمة
الشقاوة فى سابق علم الله تعالى كآبى جهل و أبى لهب وغيرهما فلا تطمع فى إيمانهم
- انتهى .

(٦) فى م : انذارهم .

(٧) ليس فى مد .

حرف 'الاستفهام' كما جرى على حرف 'النداء' في 'قولك': اللهم اغفر لنا
أيتها العصابة - انتهى . و لعله عبر بصورة الاستفهام وقد سلخت عن
معناه إيهاماً لأنهم توغلوا في الكفر توغل من وصل في الحق إلى أنه
لو شاهد^٢ الملك يستفهمك عنه ما آمن .

٥ ولما كان كأنه قيل في أى شيء استوت حالتهم؛ قيل في أنهم
'لا يؤمنون'، وهى دليل على خصوص كونه هدى للمتقين* و على
وقوع التكليف بالممتنع لغيره فانه سبحانه كلفهم الإيمان وأراد منهم
الكفران، فصار ممتنعاً لإرادته عدم وقوعه، و التكليف به جار على
سنن الحكمة فان إرادة عدم إيمانهم لم تخرج إيمانهم عن حيز الممكن فيما
١٠ يظهر، لعدم العلم بما أراد الله من كل شخص بعينه، فهو على سنن
الابتلاء ليظهر في عالم الشهادة المطيع من غيره لإقامة الحجة؛ و يأتى
في الصّفت عند 'أفعل ما تؤمر'^٦، تنمة لهذا^٧.

(١-١) ليست في ظ .

(٢) في م: و .

(٣) في مد: شا هذا - كذا .

(٤) في م: حللتهم - كذا .

(٥) من مد، و في الأصل و م و ظ: بالمتقين .

(٦) سورة ٢٧ آية ١٠٢ .

(٧) و في أنوار التنزيل وأسرار التأويل: وإنما عدل ههنا عن المصدر إلى الفعل
لما فيه من إيهام التجدد، و حسن دخول الهزمة وأم عليه لتقرير معنى الاستواء
و تأكيد، فانهما جردتا عن معنى الاستفهام لمجرد الاستواء كما جرد حرف =

قال الحرالي: فصل بمجموع قوله « - واء عليهم » إلى آخره . بقوله « لا يؤمنون » خبر تام عن سابقة أمرهم و لاحقة كونهم ، قم بالكلامين الخبر عنهم خبرا واحدا ملتئما كتبنا سابقا وكونا لاحقا - انتهى . وكل موضع ذكر فيه الكفر فانما عبر به إشارة إلى أن الأدلة الأصلية في الوضوح بحيث لا تخفى ' على أحد ولا يخالفها إلا من ستر مرآة عقله . إما عنادا وإما باهمال النظر السديد و الركون إلى نوع تقليد .

ولما كان من أعجب العجب كون شيء واحد يكون هدى لناس دون ناس علل ذلك بقوله « ختم الله » أى بجلاله « على قلوبهم » أى ختما مستعليا عليها فهى لاتعى حق الوعى ' ، لأن الختم على الشيء يمنع

= النداء عن الطلب لمجرد التخصيص في قولهم : اللهم اغفر لنا أيتها العصابة ، والآية لما احتج به من جواز التكليف ما لا يطاق ، فانه سبحانه أخبر عنهم بأنهم لا يؤمنون وأمرهم بالإيمان فلو آمنوا انقلب خبره كذبا و شمل إيمانهم الإيمان بأنهم لا يؤمنون فيجتمع الضدان ، و الحق أن التكليف بالمتع لذاته وإن جاز عقلا من حيث أن الأحكام لا تستدعى غرضا سيما الامتثال لكنه واقع للاستقراء والإخبار بوقوع الشيء أو عدمه لا ينفي القدرة عليه كإخباره تعالى عما يفعله هو أو العبد باختياره - انتهى .

(١) في ظ : لا يخفى .

(٢) وفي تفسير البيضاوى : في الآية إخبار بالغيب على ما هو به إن أريد بالموصول أشخاص بأعيانهم فهى من المعجزات ، و تعليل للحكم السابق و بيان ما يقتضيه . وفي تفسير المهانمى : والكفر إنكار شيء مما علم بالضرورة كونه من دين محمد صلى الله =

الدخول إليه والخروج منه ، و أكد المعنى بإعادة الجار فقال « و على سمعهم ، أفهم لا يسمعون حق السمع » و أفردته لأن التفاوت فيه نادر . قال الحرالي : و شرّكه في الختم مع القلب لأن أحدا لا يسمع إلا ما عقل - انتهى . « و على ابصارهم غشاوة ، فهم لا ينظرون بالتأمل .

و لما سوى هنا بين الإنذار و عدمه كانت البداءة بالقلوب أنسب تسوية لهم بالبهائم ، و لما كان الغي قد يسمع أو يبصر فيتهدى و كان إلى السمع أضر^٣ لعمومه و خصوص البصر بأحوال الضياء نقي السمع ثم البصر تسفيلاً لهم عن حال البهائم ، بخلاف ما في الجائية فإنه لما أخبر فيها بالإضلال و كان الضال أحوج شيء إلى سماع الهادي نفاه ، و لما عليه وسلم بأن لا ينقاد له عرف حقيقته أو اعترف بهام لا ، ثم أشار إلى أن الدلائل و إن كانت قطعية فأنما تفيد من فتح الله عليه باب النظر و هؤلاء « ختم الله » - الآية .

(١) و في تفسير البيضاوي : الختم الكتم سمي به الاستيناق من الشيء بضرب الخاتم عليه لأنه كتم له و البلوغ آخره نظراً إلى أنه آخر فعل يفعل في إحرازه و لا ختم و لا نقشية على الحقيقة وإنما المراد بهما أن يحدث في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي واستقباح الإيمان والطاعات بسبب غيهم و انهماكهم في التقليد و إعراضهم عن النظر الصحيح و الباقي يطلب من أنوار التنزيل ج ١ ص ١٨ .

(٢-٢) في ظ : فلا .

(٣) في م : آخر - كذا .

كان الأصم إذا كان ذا فهم أو بصر أمكنت هدايته وكان الفهم أشرف
نقاهما على ذلك الترتيب .

ولما وصفهم بذلك أخبر بما لهم^١ فقال: « ولهم عذاب عظيم » ،
قال الحرالي: وفي قوله « ولهم » إعلام^٢ بقوة تداعي^٣ حالهم لذلك
العذاب واستحقاقهم له وتنشؤ ذواتهم إليه حتى يشهد^٤ عيان المعرفة^٥
به - « أى العذاب » - وبهم أنه لهم وكان عذابهم عظيماً أخذاً في عموم
ذواتهم لكونهم لم تلبس^٦ أبدانهم ولا نفوسهم ولا أرواحهم بما يصد
عنهم شيئاً من عذابها كما يكون للعاقبين من مذنب مؤمن^٧ الأمام حيث
يتنكب العذاب عن وجوههم ومواضع وضوئهم ونحو ذلك - انتهى .

(١) في مد: بما لهم .

(٢) وفي تفسير النسخي المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل: وقال ابن عباس
طبع الله على قلوبهم فلا يعقلون الخ يريد أن الله طبع عليها فجعلها بحيث لا يخرج
منها ما فيها من الكفر ولا يدخلها ما ليس فيه من الإيمان ، وحاصل الختم والطبع
خلق الظلمة والضيق في صدر العبد عندئذ فلا يؤمن مسامتة تلك الظلمة في
قلبه ، وعند المعتزلة إعلام محض على القلوب بما يظهر للأنسكة أنهم كفار
فيلعنونهم ولا يدعون لهم بخير .

(٣) من م ومد وظ ، وفي الأصل: تراعى .

(٤) في م: تشهد .

(٥-هـ) كذا في الأصل ، وليس في م ومد وظ .

(٦) زيد بعده في الأصل: إيمانهم ، وضرب عليه .

(٧) ليس في مد .

و سيأتى عند قوله تعالى «و من الناس من يتخذ من دون الله اندادا» ،
ما يلتفت إلى هنا ٢ .

قال الحرالى : «الكفر» تغطية ما حقه الإظهار ، و «الإنذار» ٣
الإعلام بما يحذر ، و «الحتم» إخفاء خبر الشيء بجميع أطرافه عليه على
وجه يتحفظ به ، و «القلب» مبدأ ؛ كيان الشيء من غيب قوامه ، فيكون
تغير كونه بحسب تقلب قلبه فى الانتهاء و يكون تطوره و تكامله بحسب
مدده فى الابتداء و النماء ، و القلب من الإنسان بمنزلة السكان من السفينة
بحسب تقلبه يتصرف سائرهم ، و بوضعه للتقلب و التقلب سمي قلبا ،
و لللطيف معناه فى ذلك كان أكثر ٤ قسمه صلى الله عليه وسلم بمقلب
١٠ القلوب ، و «الغشاوة» غطاء مجلل لا يبدو معه من المغطى شيء ،
و «العذاب» ٥ إيلام لا إجهاز فيه ، و «العظيم» الآخذ فى الجهات كلها -

(١) سورة ٢ آية ١٦٥ .

(٢) فى م : هذا .

(٣) فى ظ : الانداد .

(٤) و فى أنوار التنزيل : و بالقلب ما هو محل العلم وقد يطلق ويراد به العقل
و المعرفة كما قال تعالى «ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب» .

(٥) و فى الصحيح للبخارى ج ٢ ص ٩٧٩ : عن سالم عن عبد الله قال : كثيرا
مما كان النبي صلى الله عليه وسلم يحلف : لا و مقلب القلوب . و راجع قول
ابن بطال على حاشيته .

(٦) فى ظ : لا يبدوا .

(٧) و فى السراج المنير : و العذاب كل ما يبي الإنسان و يشق عليه ، و قال
الخليل : العذاب ما يمنع الإنسان عن مراده ، و منه الماء العذب لأنه يمنع العطش ؛ =

انتهى . وفي تعقيب ذكر المؤمنين بذكر المختوم على مداركهم المختوم
بممالكهم تعظيم للنعمة على من استجاب له . إذ قال «اهدنا، فهداه،
وإعلام بأن الهدى ليس إلا بيده ليلتحوا في الطلب و يروا من ادعاء
حول أو قوة .

ولما افتتح سبحانه بالذين واطأت قلوبهم ألسنتهم في الإيمان وثني
بالمجاهرين من الكافرين ' الذين / طابق إعلانهم إسرارهم في الكفران ٥ / ٢٥
اتبعه ذكر المساترين الذين خالفت ألسنتهم قلوبهم في الإذعان
وهم المنافقون، و أمرهم أشد لإشكال أحوالهم والتباس أقوالهم وأفعالهم،
فأضر الأعداء من يريك الصداقة فيأخذك من المأمن ؛ و ما أحسن ما ينسب
إلى الإمام أبي سليمان الخطابي في المعنى :

تحرّز من الجهال جهدك أنهم - و إن أظهروا فيك المودة أعداء ' ١٠
و إن كان فيهم من يترك فعله فكل لذيق الطعم أو جلله داء
لا جرم ثنى سبحانه باظهار أسرارهم وهتك أستارهم في سياق شامل لقسميهم،

= وإنما وصف العذاب بالعظيم دون الكبير لأن العظيم فوته لأن العظيم تقيض
الحقير و الكبير تقيض الصغير و إذا كانت الحقير مقابلا للعظيم و الصغير
للكبير كان العظيم فوق الكبير لأن العظيم لا يكون حقيرا و الكبير قد يكون
حقيرا كما أن الصغير قد يكون عظيما . وفي تفسير النسفي : العذاب كالنكال بناء
ومعنى ، لذلك تقول : أعذب عن الشيء - إذا أمسك عنه ، كما تقول : نكل عنه .
(١) زيد في ظ : أى .

(٢) من ظ و مد ، و في م : أعداءه ، و في الأصل : أعدائه .

ففتح أمورهم و وهى مقاصدهم و ضرب لهم الأمثال و بسط لهم بعض
البسط فى المقال فقال تعالى « و من الناس ، أى لما أرسلنا رسولنا
انقسم الناس قسمين : مؤمن و كافر ، و انقسم الكافر قسمين : فمنهم من
جاهر و قال : لا تؤمن أبدا ، و منهم من يقول ، و لعله أظهر و لم يضم
٥ لا نفرادهم عن المجاهرين ببعض الأحكام ، أو لأنه سبحانه لما ذكر طرفى
الإيمان و الكفر و أحوال المؤمنين و أحوال الذين كفروا ذكر المنافقين
المترددين بين الاتصاف بالطرفين بلفظ الناس لظهور معنى النوس فيهم
لاضطرابهم بين الحالين ، لأن النوس هو حركة الشيء اللطيف المعلق
فى الهواء كالخيط المعلق الذى ليس فى طرفه الأسفل ما يثقله فلا يزال

(١) و فى السراج المنير : نزل فى المنافقين حكاية لحالهم قواه تعالى « و من الناس »
أجمع المفسرون على أن ذلك وصف المنافقين ، قالوا : صنف الله الأصناف الثلاثة
من المؤمنين و الكافرين و المنافقين فبدأ بذكر المؤمنين الذين أخلصوا دينهم لله
و واطأت فيه قلوبهم ألتسنتهم ، و ثنى بأضدادهم الذين محضوا الكفر ظاهرا
و باطنا ، و ثلث بالصنف الثالث المذبذب بين القسمين و هم الذين آمنوا بأفواههم
و لم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم ، و هذا الصنف أخبث الكفرة و أبغضهم إلى الله
تعالى لأنهم مع مشاركتهم للكفار الأصليين فى أنهم جاهلون بالقلب كاذبون باللسان
من حيث أنهم ينسبون إلى الله ما هو برىء منه كالولد و الزوجة و الشريك
زادوا عليهم بأمور مذكرة منها أنهم قصدوا التلذذ و رضوا لأنفسهم بسمعة
الكذب و لبسوا الكفر على المسلمين فخطوباه خداعا و استهزاء و لذلك
طول الله فى بيان خبيثهم و جهلهم و استهزائهم - و ما بقى يطالب من ج ١
ص ٢٠ .

(٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : ما ينقله .

مضطرباً^١ بين جهتين ، و لم يظهر هذا المعنى في الفريقين لتحيزهم إلى جهة واحدة - قاله الحرالي ، و عرف للجنس^٢ أو للعهد في الذين كفروا لأنهم نوع منهم ، و سر الإظهار موضع الإضمار على هذا ما تقدم ، « امنا بالله . أى وحده بما ٣ له من الجلال والجمال مستحضرين لذلك ، و لما كانوا متهمين أكدوا باعادة الجار فقالوا « و باليوم الآخر » الذى جحدته المجاهرون ، و ما هم « بمؤمنين ، أى بعريقين فى الإيمان كما ادعوه بذكر الاسم الأعظم و إعادة الجار ، و لعله نفى العراقة فقط لأن منهم من كان مُزَلَّزَلاً حين هذا القول غير جازم بالكفر و آمن بعد ذلك ، و حذف متعلق الإيمان تعميماً فى السلب عنهم لما ذكروا و غيره ، و جمع هنا و أفرد فى « يقول ، تنبيهاً على عموم الكفر لهم كالأولين و قلة ١٠

(١) فى ظ : مطرباً - كذا .

(٢) قال البيضاوى : و اللام فيه للجنس و من موصوفة إذ لا عهد فكأنه قال : و من الناس ناس يقولون ، أو للعهد و المعهود هم الذين كفروا و من موصولة مراد بها أبى بن كعب و أصحابه و نظرائه فعلى هذا يكون الآية تقسيماً للقسم الثانى ، و اختصاص الآية بالله و اليوم الآخر بالذكر تخصيص لما هو المقصود الأعظم من الإيمان و ادعاء بأنهم احتازوا الإيمان من جانبيه ، « و ما هم بمؤمنين » انكار ما ادعوه و نفى ما انتحلوا إثباته و كان أصله و ما آمنوا ليطابق قولهم فى التصريح بشأن الفعل دون الفاعل لكنه عكس تأكيداً و مبالغة فى التكذيب لأن إخراج ذواتهم من عداد المؤمنين أبلغ من نفى الإيمان عنهم فى ماضى الزمان ، و لذلك أكد النفى بالباء و أطلق الإيمان على معنى أنهم ليسوا من الإيمان فى شىء .

(٣) فى م : بما .

من يسمح' منهم بهذا القول إشارة إلى غلظتهم و شدة عثاوتهم' في الكفر وقوتهم .

و في ذكر قصتهم و تقييح أحوالهم تنبيه على وجوب الإخلاص وحث على الاجتهاد في الطهارة من الأدناس في سؤال الهداية إلى الصراط المستقيم .

و تصنيف الناس آخر الفاتحة ثلاثة أصناف : مهتدين و معاندين و ضالين ، مثل تصنيفهم أول البقرة ثلاثة : متقين و كافرين مصارحين و هم المعاندون و ضالين و هم المنافقون ، و إجمالهم في الفاتحة و تفصيلهم هنا من بديع الأساليب و هو دأب القرآن العظيم الإجمال ثم التفصيل .

١٠ و قد سمي ابن إسحاق كثيرا من المنافقين في السيرة الشريفة في أوائل أخبار ما بعد الهجرة ، قال ابن هشام في تلخيص ذلك : وكان ممن انضاف إلى يهود ممن سمي لنا من المنافقين من الأوس و الخزرج ، من الأوس زوى بن الحارث و بجاد بن عثمان بن عامر و نبتل بن الحارث و هو الذي قال له رسول الله صلى الله عليه و سلم : من أحب أن ينظر إلى الشيطان فلينظر إلى نبتل ! و كان يأتي رسول الله صلى الله

(١) من م و ظ و مد ، و في الأصل : يسمح - كذا .
(٢) من ظ لكن الثاء غير منقوطة فيه ، و في الأصل : عثاوتهم - كذا ، و في م : غشاوتهم ، و في مد : خسارتهم .

(٣) ليست العبارة من هنا إلى « من المنافقين » في م .
(٤) و في تفسير النسفي : الرجال المنافقون كانوا ثلاثمائة و النساء المنافات مائة و سبعين .

عليه وسلم يتحدث إليه ثم ينقل حديثه إلى المناققين، وهو الذى قال :
 إنما محمد أذن، وعباد بن حنيف أخو سهل وعمرو بن خدام^١ وعبد الله
 ابن نبتل وبَحْزَج وهو ممن كان بنى مسجد الضرار وكذا جارية^٢ بن عامر
 ابن العطف وابنه زيد وخدام^٣ بن خالد وهو الذى أخرج مسجد
 الضرار من داره و مِرْبَع بن قيطى وهو الذى قال لرسول الله صلى الله عليه
 وسلم وهو عامد إلى أحد: لا أحل لك يا محمد إن كنت نبياً أن
 تمر فى حائطى^٤ ! فابتدره المسلمون ليقتلوه فهام النبي صلى الله عليه وسلم
 وقال: هذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر، وأخوه أوس بن
 قيطى وهو الذى قال يوم الخندق: "إن يوتنا عورة^٥" وحاطب بن
 أمية بن رافع وكان شيخاً جسيماً قد عسى فى الجاهلية وكان ابنه يزيد^٦
 من خيار المسلمين، قتل رضى الله عنه يوم أحد فقال أبوه لمن بشره
 بالجنة: غررتم والله هذا المسكين من نفسه^٧ / وبشير بن أبيرق^٨ أبو طعيمة -
 ٢٦/ وفى نسخة: طعمة^٩، وهو سارق الدرعين الذى أنزل الله فيه "ولا

(١) هكذا فى الأصل وظ، وفى م: خدام، ولا يتضح فى مد.

(٢) فى الأصول: حارثة، والتصحيح من سيرة ابن هشام ١ / ١٨٦.

(٣) زيد فى السيرة واخذ فى يده حفنة من تراب ثم قال: والله لو أعلم أنى
 لا أصيب بهذا التراب غيرك لرميتك به.

(٤) سورة ٣٣ آية ١٣.

(٥) فى الأصول: زيد، والتصحيح من سيرة ابن هشام.

(٦) فى ظ: أبيرقى.

(٧) وهو الثابت فى سيرة ابن هشام.

تجادل عن الذين يختانون انفسهم^١ " و قزمان^٢ حليف لهم أجاد يوم
أحد القتال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول^٣ : إنه من أهل
النار، فخرج فبشر بالجنة فقال: والله ما قاتلت إلا حمية لقومي^٤ ! فلما اشتدت
به الجراحة قطع رواهش^٥ يده فمات .

٥ ومن الخزرج رافع بن وديعة وزيد بن عمرو وعمرو بن قيس وقيس
ابن عمرو بن سهل^٦ والجد بن قيس^٧ - وهو الذي قال " ائذن لي
ولا تفتني^٨ " ^٩ وعبد الله بن أبي رأس المنافقين وإليه كانوا يجتمعون

(١) سورة ٤ آية ١٠٧ .

(٢) وفي حاشية الصحيح للبخاري ج ١ ص ٤٠٦ : وفي اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم رجل اسمه قزمان هذا في عداد المنافقين وكان قد غاب يوم
أحد فعيه النساء فخرج وقاتل وبائع ، وفي الصحيح بعد سرد القصة : ثم
جرح جرحاً شديداً فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه بين
نديه ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه - الحديث .

(٣) ليس في م .

(٤) في سيرة ابن هشام : عن قومي .

(٥) الرواهش عروق ظاهر الكف - قطر المحيط ص ٨٠٧ - قطع اولاً ثم إذا
اشتد الوجع قتل نفسه بما ذكر .

(٦-٦) ليست في م .

(٧) سورة ٩ آية ٤٩ .

(٨) في تفسير النسفي : قال الجد بن قيس المنافق : قد علمت الأنصار اني مستهتر
بالنساء فلا تفتني ببناات الأصفر - يعنى نساء الروم .

وهو القاتل: "ليخرجن الاعز منها الاذل"، وفيه وفي ودیعة العوفی^١
ومالك بن أبي قوقل وسويد وداعس وهم من رهطه نزل "الم ترأى
الذين نافقوا يقولون لآخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب" ٣- الآية،
حكاية لما كانوا يدسونه إلى بنی النضير إذ حاصرهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فصدق الله وكذبوا .

وكان ممن تعوذ بالإسلام وأظهره وهو منافق من أحبار يهود
من بنی قینقاع سعد بن حنیف وزید بن اللصیت وهو الذى قال فى
غزوة تبوك: يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء وهو لا يدري أين ناقله!
فأعلمه الله بقوله وبمكان الناقة، ونعيمان بن أوفى بن عمرو وعثمان
ابن أوفى ورافع بن حُرَيْمَلَة وهو الذى قال له رسول الله صلى الله عليه ١٠
وسلم حين مات: قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين، ورافعة بن
زید بن التابوت وهو الذى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ هبت
تلك الرياح وهو قافل من غزوة بنی المصطلق: لا تخافوا، إنما هبت لموت
عظيم من عظماء المنافقين، وسلسلة بن برهام وكنانة بن صوريا- فكان
هؤلاء من المنافقين ومن نحاحوهم يحضرون المسجد فيسمعون أحاديث ١٥
المسلمين ويستخرون منهم ويستهنئون بدينهم- انتهى. وفيه اختصار فأنزل الله
تعالى فيهم هذه الآيات .

(١) سورة ٦٣ آية ٨ .

(٢) فى مد: العوفى - كذا .

(٣) سورة ٥٩ آية ١١ .

(٤) ليس فى ظ .

و ابتدئت قصتهم بالتنبيه على قلة عقولهم وخفة حلومهم من حيث أن محط حالهم أنهم يخادعون من لا يجوز عليه الخداع وأن الذي حالهم على ذلك أنهم ليس لهم نوع شعور ولا شيء من إدراك بقوله تعالى - جوابا لسؤال من كأنه قال: فما قصدهم باظهار 'الإيمان' و 'الإخار' ه عن أنفسهم بغير ما هي متصفة به مع معرفتهم بقبح الكذب وشانته و فضاعته و بشاعته؟ "يخدعون الله" أى يبالغون فى معاملته هذه المعاملة بابطان غير ما يظهرون مع ما له من الإحاطة بكل شيء. 'و الخداع' أصله الإخفاء 'و المفاعلة فى أصلها للمبالغة لأن الفعل متى غولب فيه فاعله جاء أبلغ و أحكم منه إذا زاوله وحده "و الذين امنوا" أى يعاملونهم ١٠ تلك المعاملة ' وأمره ' تعالى باجراء أحكام الإسلام عليهم فى الدنيا صورته صورة الخدع ' وكذا امثال المؤمنين أمره تعالى فيهم . قال

(١) فى ظ : بالاظهار .

(٢) فى م : فى .

(٣) قال البيضاوى فى تفسيره : الخدع أن توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتراه عما هو بصدده ، من قولهم : خدع الضب - إذا توارى فى جحره ، وضب خادع و خدع إذا أوهم الحارث إقباله عليه ثم خرج من باب آخر ، و أصله الإخفاء . . . و المخادعة تكون بين اثنين ، و خداعهم مع الله ليس على ظاهره لأنه تعالى لا يخفى عليه خافية .

(٤) فى ظ فقط : الاختفاء .

(٥) زيد فى ظ : سبحانه .

(٦) فى ظ : الخداع .

الحرالى : و جاء بصيغة المفاعلة لمكان إحاطة علم الله بخداعهم ولم يقرأ غيره ولا ينبغي، و الخداع إظهار خير يتوسل به إلى إبطان شر يؤول إليه أمر ذلك الخير المظهر^١ - انتهى .

”و ما يخدعون“^٢ أى بما يغرون به المؤمنين ”الا انفسهم“ يعنى أن عقولهم لخبائثها^٣ إنما تسمى نفوسا، و النفس^٤ قال الحرالى ما به ٥ ينفس المرء^٦ على غيره^٧ استبدادا منه و اكتفاء بموجود نفاسته على من سواه - انتهى . و قراءة الحذف هذه لاتنافية قراءة يخدعون لأن المطلق لا يخالف المقيد بالمباغة، و عبر هنا بصيغة المفاعلة لشعورهم كما قال الحرالى بفساد

(١) فى أنوار التنزيل : و يحتمل ان يراد بيخدعون يخدعون لأنه بيان ليقول أو استئناف بذكر ما هو الغرض منه الا انه اخرج فى زنة فاعلت للمبالغة فان الزنة لما كانت للغالبة و الفعل متى غولب فيه كان أبلغ منه إذا جاء بلا مقابلة معارض و مبار استصحب ذلك و يعضده قراءة من قرأ يخدعون - الخ .

(٢) فى م و مد و ظ : ما يخدعون .

(٣) فى م و مد : بخبايتها .

(٤) ليس فى مد .

(٥) فى أنوار التنزيل : و النفس ذات الشئ و حقيقته، ثم قيل للروح لأن نفس الحى به، و للقلب لأنه محل الروح او متعلقه، و للدم لأن قوامها به، و لله لفرط حاجتها إليه، و للرأى فى قولهم فلان يؤامر نفسه لأنه ينبعث عنها؛ و المراد بالأنفس ههنا ذواتهم، و يحتمل حملها على أرواحهم و آرائهم - انتهى .

(٦) فى ظ : المرء - كذا .

(٧) من م و مد و ظ . و فى الأصل : غره - كذا .

(٨) فى ظ : هاهنا .

١ 'أحوالهم في بعض الأوقات و من بعض الأشخاص : بصيغة المجرّد لهمهم
عن فساد 'أحوالهم في أكثر أوقاتهم وعمه عامتهم و لا يكون من الله
سبحانه إلا بلفظ الخدع لأنهم لا يعلمون ما يخفى عنهم من أمره ولذلك
جاء في آية النساء "يخدعون الله و هو خادعهم" - انتهى .

٥ "و ما يشعرون" أى نوع شعور لإفراط جهلهم بأنهم لا يضرون
غير أنفسهم لأن الله يعلم سرهم كما يعلم جهلهم ، و حذف متعلق
الشعور للتعميم^٦ و الشعور كما قال الخرايى أول الإحساس بالعلم كأنه
مبدأ إنباته قبل / أن تكمل صورته تميز - وانتهى .

/ ٢٧

ثم بين سبحانه أن سبب الغفلة عن هذا الظاهر كون آلة إدراكهم
١٠ مريضة ، شغلها المرض عن إدراك ما ينفعها فهي لا تنجح إلا إلى ما يؤذيها ،
كأريض لا تميل نفسه إلى غير مضارها فقال جواباً لمن كأنه قال : ما سبب
فعلهم هذا من الخداع^٧ و عدم الشعور^٨ ؟ د في قلوبهم مرض ،^٩ أى من

(١-١) ليست في م .

(٢) زيد في م و مدوظ : الله .

(٣) سورة ٤ آية ١٤٢ .

(٤) قال البيضاوى : « ما يشعرون » لا يحسون بذلك لتمادى غفلتهم جعل لحوق

و بال الخداع و رجوع ضرره إليهم في الظهور كالحسوس الذى لا يخفى

الاعلى ماؤف الحواس و الشعور الإحساس ، و مشاعر الإنسان حواسه .

(٥) في مد : حذفه .

(٦) وفي ظ : التعميم - كذا .

(٧-٧) ليست في مد .

(٨) المرض حقيقة فيما يعرض البدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص به و يوجب =

أصل الخلقة يوهن قوى الإيمان فيها و يوجب ضعف أفعالهم الإسلامية و خللها ، لأن المرض كما قال الحرالي ضعف في القوى يترتب عليه خلل في الأفعال « فزادهم الله ، أى ' بما له من صفات الجلال و الإكرام لمخادعتهم ' بما يرون من عدم تأثيرها ' مرضاً ، أى سوء اعتقاد بما يزيد من خداعهم و ألما في قلوبهم بما يرون من خيبة مطلوبهم ، فانسد عليهم باب الفهم و السداد جملة ، و الزيادة قال الحرالي استحداث أمر لم يكن في موجود الشيء - انتهى . « و لهم ، أى مع ضرر الغاوة في الدنيا الملحقة بالبهائم « عذاب اليم ، في الآخرة أى شديد الألم و هو الوجد اللازم - قاله الحرالي . « بما كانوا ، قال الحرالي : من كان الشيء و كان الشيء كذا إذا ظهر وجوده و تمت صورته أو ظهر ذلك الكذا من ذات نفسه - ١٠ انتهى . « يكذبون ، أى يوقعون ^٢ الكذب و هو الإخبار عن أنفسهم بالآيمان مع تلبسهم بالكفران ، و المعنى ' على قراءة التشديد يبالغون = الخلل في أفعاله ، و مجاز في الأعراض النفسانية التي تخل بكاملها كالجهل و سوء العقيدة و الحسد و الضغينة و حب المعاصي لأنها مانعة عن نيل الفضائل ، أو مؤدية إلى زوال الحياة الحقيقية الأبدية ؛ و الآية تحتلها .

(١) ليس في مد .

(٢-٢) ليست في م .

(٣) و في أنوار التنزيل : و المعنى بسبب كذبهم أو يبدله جزاء له و هو قولهم « أمنا » .

(٤) و في أنوار التنزيل : « يكذبون » من كذبه لأنهم كانوا يكذبون الرسول بقاوبهم ، أو من كذب الوحشي إذا جرى شوطاً و وقف لينظر ما وراءه فان =

في الكذب، أو ينسبون الصادق إلى الكذب، وذلك أشنع الكذب .
 ولما أخبر تعالى عن بواطنهم اتبعه من الظاهر ما يدل عليه فبين
 أنهم إذا نهوا عن الفساد العام ادّعوا الإصلاح العام بقوله « وإذا قيل لهم ،
 و بناؤهم للجهول إشارة إلى عصيانهم لكل قائل كائنا من كان » لا تفسدوا
 ه في الارض ، أى بما نرى لكم من الأعمال الخبيثة . و الفساد انتقاض صورة
 الشيء - قاله الحرالي ، « قالوا ، قاصرين فعلهم على الإصلاح نافين عنه كل
 فساد مباهتين غير مكترئين » إنما نحن مصلحون ، ٣ و الإصلاح تلافى
 خلل الشيء - قاله الحرالي .

و لما كان حالهم مبنيًا على الخداع باظهار الخير وإبطان الشر وكانوا
 ١٠ يرون إفسادهم لما لهم من عكس الإدراك إصلاحا فكانوا يناظرون عليه
 = المنافق متحير متردد .

(١) وفي م وظ : يرى .

(٢) قال البيضاوى : و الفساد خروج الشيء عن الاعتدال ، و الإصلاح ضده .
 (٣) قال البيضاوى : جواب لإذا ورد للناسح على - ييل البالغة ، و المعنى انه
 لا يصح مخاطبتنا بذلك فإن شأننا ليس إلا الإصلاح وإن حالنا متمحضة من
 شوائب الفساد . وفي تفسير النسفى : نحن مصلحون بين المؤمنين و الكافرين
 بالمداواة ، يعنى أن صفة المصلحين خلصت لنا و تمحضت من غير شائبة قاذح فيها
 من وجه من وجوه الفساد .

(٤) قال البيضاوى : و إنما قالوا ذلك لأنهم تصوروا الفساد بصورة الإصلاح لما
 في قلوبهم من المرض كما قال تعالى « أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا » - انتهى .
 بأنواع

بأنواع الشبه كان قولهم ربما غرّ من سمعه من المؤمنين لأن المؤمن غرّ كريم والكافر خبّ لثم فقال تعالى محذرا من حالهم مثبتا لهم ما نقوه عن أنفسهم من الفساد وقاصرا له عليهم «الانهم هم» أى خاصة «المفسدون» أى الكاملون الإفساد البالغون من العراقة فيه ما يجعل إفساد غيرهم بالنسبة إلى إفسادهم عدما لما فى ذلك من خراب ذات البين ٥ وأخذ المؤمن من المأمن . وقال الحرالى : ولما كان حال الطمأنينة بالإيمان إصلاحا وجب أن يكون اضطرابهم فيه إفسادا لا سيما مع ظنهم أن كونهم مع هؤلاء تارة ومع هؤلاء تارة من الحكمة والإصلاح وهو عين الإفساد لأنه بالحقيقة مخالفة هؤلاء وهؤلاء فقد أفسدوا طرفي الإيمان والكفر، ولذلك قيل : ما يصلح المناق، لأنه لا حبيب مضاف ١٠ ولا عدو مبائن، فلا يعتقد منه على شىء - انتهى .

ولما كان هذا الوصف موجبا لعظيم الرهبة اتبعه ما يخففه ٢ بقوله «والكن» لا يشعرون، أى هم؛ فى غاية الجلالة حتى لا شعور لهم

(١) فى مد: الكاملون .

(٢) زيد فى ظ : مبين .

(٣) وفى ظ : يحققه .

(٤) وفى تفسير النسفى : لا يشعرون أنهم مفسدون فحذف المفعول للعلم به، «ال» مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي لإعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها، والاستفهام إذا دخل على النفي أفاد تحققا كقوله تعالى «ليس ذلك بقادر» ولكونها فى هذا المنصب من التحقيق لا تقع الجملة بعدها إلا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم وقد رد الله ما ادعوه من الانتظام فى جملة المصلحين أبلغ رد وأدله على سخط =

يحسنون به التصرف فيما يحاولونه من الفساد الآن بما دلت عليه ما في الآية السابقة الدالة على أن المضارع للحال ولا فيما يستقبل من الزمان لأن لا لا تقارنه إلا وهو بمعنى الاستقبال ، فلاجل ذلك لا يؤثر إفسادهم إلا في أذى أنفسهم ، فلا تخافوهم فاني كافيكوم .

و لما بين حالهم إذا أمروا بالصلاح العام بين أنهم إذا دعوا إلى الصلاح الخاص الذي هو أس كل صلاح سموه سفها فقال « و اذا قيل ، أى من أى قائل كان لهم امنوا ، أى ظاهرا و باطنا كما امن الناس ، أى الذين هم الناس ليظهر عليكم ثمرة ذلك من لزوم الصلاح و اجتناب الفساد و الإيمان المضاف إلى الناس أدنى مراتب الإيمان » - قاله الحرالي ،

= عظيم ، و البالغة فيه من جهة الاستئناف وما في « الا » و « ان » من التأكيد و تعريف الخبر و توسيط الفصل و قوله « لا يشعرون » - انتهى .

(١) قال ابوحيان الأندلسي في تفسيره الكبير المسمى بالبحر المحيط : الناس اسم جمع لا واحد له من لفظه ومرادفه اناسي جمع انسان او إنسي ، قد قالت العرب : ناس من الجن ، حكاه ابن خالويه و هو مجاز إذ أصله في بني آدم ، و مادته عند سيبويه و الفراء همزة و نون و سين و حذف هيمته شدوذا و أصله أناس و نطق بهذا الأصل قال تعالى « يوم ندعو كل أناس بأمامهم » فمادته و مادة الإنس واحدة ، و ذهب الكسائي إلى أن مادته نون و واو و سين و وزنه فعل مشتق من النوس و هو الحركة .

(٢) و في تفسير النسفي : نصحوهم من وجهين : أحدهما تقييح ما كانوا عليه بعده عن الصواب و جره إلى الفساد ، و ثانيهما تبصيرهم الطريق الأسد من اتباع ذوى الأحلام ، فكان من جوابهم أن سفهوههم لتماذى جهلهم ، و فيه =

و هو ' مفهم لما صرح به ' قوله : و ما هم بمؤمنين ' قالوا اتؤمن ، أى ذلك الإيمان ' كما آمن السفهاء ، أى الذين ^٢ استدرجهم إلى ما دخلوا فيه بعد ترك ما كان عليه آباؤهم خفة نشأت عن ضعف العقل ، ثم رد سبحانه قولهم بمصر السفه فيهم فقال ' الا انهم هم السفهاء . لا غيرهم ' لمجودهم / على رأيهم مع أن بطلانه أظهر من الشمس ليس فيه لبس ٥ / ٢٨
 ' ولكن لا يعلمون ' ، أى ليس لهم علم أصلاً لا بذلك ولا بغيره ، ولا يتصور لهم علم لأن جهلهم مركب وهو أسوأ الجهل و العلم ، قال الحرالي : ما أخذ بعلامة و أمانة نصبت آية عليه - انتهى . و لما كان الفساد يكفي في معرفته و السد عنه أدنى تأمل و السفه لا يكفي في إدراكه و النهى عنه إلا رزاقه * العلم ختمت كل آية بما يناسب ذلك ١٠
 من الشعور و العلم ^٣ و لما كان العام جزء الخاص قدم عليه .

= تسلية للعالم مما يلحق من الجملته - انتهى .

(١) في ظ : هم .

(٢) زيد في مد : في .

(٣) من م و مد و ظ ، و في الأصل : الذى - كذا .

(٤) قال النسفى : و انما سفهومهم و هم العقلاء المراجيح لأنهم لجهلهم اعتقدوا أن ما هم فيه هو الحق و أن ما عداه باطل ، و من ركب متن الباطل كان سفيهاً و السفه مخافة العقل و خفة الحلم - اه .

(٥) في م : رزية - كذا .

(٦) و في تفسير النسفى : لا يعلمون أنهم هم السفهاء و إنما ذكر هنا ' لا يعلمون ' =

و لما بين نفاقهم و علته و سيرتهم عند دعاء الداعى إلى الحق بهذه الآيات بين سيرتهم فى أقوالهم فى خداعهم دليلا على إفسادهم بقوله « و اذا لقوا ، و اللقاء ' اجتماع باقبال » الذين آمنوا ، أى حقا ظاهرا و باطنا ، و لكن إيمانهم كما قال الحرالى^٢ فعل من أفعالهم لم ينته إلى أن يصير صفة لهم ، و أما المؤمنون الذين صار إيمانهم صفة لهم فلا يكادون^٣ يلقونهم بمقتضاه ، لأنهم لا يجدون معهم مدخلا فى قول و لا مؤانسة ، لأن اللقاء لا بد فيه من إقبال ما من^٤ المتقين^٥ - انتهى . « قالوا ، خداعا » أمنا^٦ معبرين بالجملة الفعلية الماضية التى يكفى^٧ فى إفادتها^٨ لما سيق له أدنى الحدوث^٩ .

= وفيما تقدم « لا يشعرون » لأنه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم معه أحسن طباقا له ، ولأن الإيمان يحتاج فيه إلى نظر و استدلال حتى يكتب الناطور المعرفة ، أما الفساد فى الأرض فأمر مبنى على العادات فهو كالمحسوس - انتهى . (١) وفى المراج النذير لمحمد الشريبنى الخطيب : اللقاء المصادفة وهى الاجتماع من غير مواعدة ، يقال لقيته ولاقيته إذا صادفته واستقبلته - الخ .

(٢) زيد فى ظ : الى .

(٣) فى ظ : فلا يكادوا .

(٤) كذا ، والظاهر : بين .

(٥) فى الأصل : المتقين - كذا .

(٦) من مد ، وفى ظ : يلقى - كذا ، وفى م : تكفى ، وفى الأصل : تكفى .

(٧) فى ظ : أفادتهم .

(٨) قال البيضاوى : خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية والشياطين بالجملة الاسمية =

و اذا

« و اذا خلوا ، متتهين » إلى شيطينهم ، أى الذين هم رؤوسهم من غير أن يكون معهم مؤمن ، والشيطان هو الشديد البعد عن محل الخير - قاله الحرالى ، « قالوا انا معكم » معبرين بالاسمية الدالة على الثبات مؤكدين لها دلالة على نشاطهم لهذا الإخبار لمزيد جهم لما أفاده ودفعاً لما قد يتوهم من تبدلهم من رأى نفاقهم للمؤمنين ، ثم استأنفوا فى موضع الجواب هـ لمن قال : ما بالكم تلبنون للمؤمنين قولهم ؟ « انما نحن مستهزون » أى طالبون للهزاء ٣ ثابتون عليه فيما يظهر من الإيمان والهزاء إظهار الجد وإخفاء المزول فيه - قاله الحرالى .

فأجيب من كأنه قال : بما ذا جوزوا ؟ بقوله « الله يستهزئ بهم » أى يحازيهم على فعلهم بالاستدراج بأن يظهر لهم من أمره ١٠

= المؤكدة بأن لأنهم قصدوا دعوى إحداث الإيمان والثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ، ولأنه لم يكن لهم باعث من عقيدة وصدق رغبة فيما خاطبوا به المؤمنين ولا توقع رواج ادعاء الكمال فى الإيمان على المؤمنين من المهاجرين والأنصار بخلاف ما قالوه مع الكفار - انتهى .

(١-١) ليست العبارة فى ظ .

(٢) ليس فى مد .

(٣) فى مد : للهزوء ، وفى ظ : للهزاء .

(٤) زيد فى م ومد : أى الملك الأعلى . والعبارة الآتية من هنا إلى « وجهه » ساقطة من م .

(هـ) قال أبو البركات محمود النسفى فى تفسيره المسمى بمدارك التنزيل : واستئناف قوله « الله يستهزئ بهم » من غير عطف فى غاية الجزالة والفخامة ، وفيه ان =

المردى لهم ما لا يدركون وجهه فهو يحرق عليهم في الدنيا أحكام أهل الإيمان
ويذيقهم في الدارين أعلى هوان مجددا لهم ذلك بحسب استهزائهم ،
وذلك أنكأ من شيء دائم توطن النفس عليه ، فلذلك عبر بالفعلية
دون الاسمية ، مع أنها تفيد صحة التوبة لمن تاب دون الاسمية .

٥ . « ويمدهم » من المد بما يلبس عليهم . وقال الحرالي : من المدد وهو
مزيد متصل في الشيء من جنسه ، « في طغيانهم » أي تجاوزهم الحد في
الفساد . وقال الحرالي : إفراط اعتدائهم حدود الأشياء ومقاديرها -
انتهى . وهذا المد بالإملاء لهم حال كونهم « يعمهون » أي يخطون خط
الذي لا بصيرة له أصلا . قال الحرالي : من العمه وهو انبهام الأمور

= الله تعالى هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الأبلغ الذي ليس استهزاؤهم إليه
باستهزاء لا ينزل بهم من النكال والذل والهوان ، ولما كانت نكايات الله
وبلاياه تنزل عليهم ساعة فساعة قيل « الله يستهزئ بهم » ولم يقل : الله
مستهزئ بهم .

(١) هكذا في الأصل ومد ، وفي م و ظ : المردى .

(٢) قال البيضاوي : من مد الحيش وأمدّه إذا زاده وقواه ، ومنه مددت
السراج والأرض إذا استصلحتهما بالزيت والساء ، لا من المد في العمر فانه
يعدى باللام .

(٣) والطغيان بالضم والكسر كلقيان ولقيان تجاوز الحد في العتو والغلو في
الكفر ، وأصله تجاوز الشيء عن مكانه . . . والعمه في البصيرة كالعمى في البصر
وهو التحير في الأمر ، يقال رجل عامه وعمه وأرض عمهاء لا منار بها ، قال :
أعمى الهدى بالجاهلين العمه - انتهى .

التي فيها دلالات ينتفع بها عند فقد الحس فلا يبقى له سبب يرجعه عن طغيانه ، فلا يتعدون حدا إلا عموها فلم يرجعوا عنه فهم أبدا متزايدو الطغيان - انتهى .

فلما تقرر ذلك كله كانت فذلكته من غير توقف « اولئك » أى الشديدي^١ البعد من الصواب « الذين اشتروا » أى لجوا في هوام^٥ وكفوا أنفسهم ضد^٢ ما فطرها الله عليه مع ما نصب من الأدلة حتى أخذوا « الضلالة » أى التي هي أقبح الأشياء « بالهدى »^٣ الذى هو خير الأشياء و مدار كل ذى شعور عليه ، فكأنه لوضح ما قام عليه من الأدلة مع ما ركز منه^٤ فى الفطر كان فى أيديهم فباعوه بها ، و سيأتى فى سورة يوسف عليه السلام بيان^٦ أن مادة شرى بتركيبتها الاثنى عشر تدور^{١٠} على اللجاجة « فاء » أى قسب عن فعلهم هذا أنه ما « ربحت تجارتهم »^٥ مع ادعائهم أنهم^١ أبصر الناس بها « وما كانوا » فى نفس جبلاتهم « مهتدين »^٦ لأنهم مع أنهم لم يربحوا أضاعوا رأس المال ، لأنه لم يبق

(١) فى م : الشديد .

(٢) فى م : عند .

(٣) وفى أنوار التنزيل : المعنى أنهم أخلوا بالهدى الذى جعل الله لهم بالفطرة التى فطر الناس عليها محصلين الضلالة التى ذهبوا إليها ، أو اختاروا الضلالة واستحبوها على الهدى - انتهى .

(٤) ليس فى م .

(٥) قال النسفى : معناه فما ربحوا فى تجارتهم إذا التجارة لا تبيع .

(٦) فى ظ : انه .

(٧) « وما كانوا مهتدين » لطرق التجارة ، والمعنى أن مطلوب التجار سلامة =

في أيديهم غير الضلال الذي صاحبه في ^١ دون رتبة البهائم مع زعمهم
أنه لا مثل لهم في الهداية .

فلما علم ذلك كله وكانت الأمثال ألصق بالبال وأكشف للأحوال
مثل حالهم في هدام الذي باعوه بالضلالة بالأمور المحسوسة ، لأن
٥ / ٢٩ / للتمثيل بها شأنا عظيما في إيصال المعاني حتى إلى الأذهان الجامدة
و تقريرها فيها بقوله تعالى « مثلهم » ^٢ أي في حالهم هذه التي طلبوا أن
يعيشوا بها « كمثل الذي استوقد نارا » ^٣ أي طلب أن توقد له وهي
هداه ليسير في نورها ، وأصلها من نار إذا نقر لتحركها واضطرابها ،
فوقدت و أنارت .

١٠ « فلما اضاءت ، أي النار ، وأفرد الضمير باعتبار لفظ « الذي » فقال

= رأس المال والربح وهؤلاء قد اضاعوها فرأس مالها الهدى ولم يبق لهم إلا
الضلالة ، وإذا لم يبق لهم إلا الضلالة لم يوصفوا باصابة الربح وإن ظفروا
بالأغراض الدنيوية ، لأن الضال خاسر .

(١) في ظ : من .

(٢) لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتنميا للبيان ،
و لضرب الأمثال في إبراز خفيات المعاني ورفع الأستار عن الحقائق تأثير
ظاهر .

(٣) و النار جوهر لطيف مضيء حار محرق ، واشتقاقها من نار ينور إذا نقر ،
لأن فيها حركة واضطرابا ، ووقود النار سطوعها .

(٤) قال النسفي : الإضاءة فرط الإنارة ومصداته قوله تعالى « هو الذي جعل
الشمس ضياء والقمر نورا » وعى في الآية متعددة ، ويحتمل أن تكون غير =

« ما حوله ، و أراد أن ينتفع بها في إِبصار ما يريد ، و هو كناية عما حصل لهم من الأمانة بما قالوه من كلمة الإسلام من غير اعتقاد ذهب الله ، الذي له كمال العلم و القدرة ، و جمع الضمير نظرا إلى المعنى ثلاثيهم أن بعضهم انتفع دون بعض بعد أن أفردته تقليلا للنور ، وإن كان قويا في أوله لانطفائه في آخره فقال « بنورهم » أي الذي نشأه من تلك النار باطفائه لها و لا نور لهم سواه ؛ ولم يقل : بضوئهم ، ثلاثيهم أن المذهب به الزيادة فقط ، لأن الضوء أعظم من مطلق النور « هو الذي جعل الشمس ضياء و القمر نورا » ، فذهب نورهم و بقيت نارهم ليجتمع عليهم حرّها مع حر الفقد لما ينفعهم من النور ، و عبر^١ بالإضاءة أولا إشارة إلى قوة أولهم و انمحاق آخرهم ، لأن محط حالهم الباطل ١٠ و الباطل له صولة ثم تضمحل عند من ثبت لها ليتبين^٢ الصادق من الكاذب ، و عبر بالذهاب به^٣ دون إذهابه ليدل نضا على أنه سبحانه ليس معهم و حقق ذلك^٤ بالتعير عن صير برك^٥ فقال « وتركهم في ظلمت»

= متعديّة مسندة إلى ما حوله ، و التأنيث للحمل على المعنى .

(١) و معنى ذهب به استصحبه و مضى به ، و المعنى أخذ الله بنورهم و أمسكه « و ما يمسك فلا مرسل له » فكان أبلغ من الإذهاب ، و النور ضوء النار و ضوء كل منير ، و المراد إزالة النور عنهم رأسا ، ألا ترى كيف ذكر عقيبه « وتركهم في ظلمت لا يبصرون » .

(٢) سورة ١٠ آية .

(٣) في مد : غير - كذا .

(٤) في ظ : لِيَتَمِيز .

(٥) ليس في م .

أى بالضلالة^١ من قلوبهم و أبصارهم و ليلهم أى ظلمات لا ينفذ^٢ فيها
بصر، فلذا كانت نتيجة^٣ لا يبصرون^٤ أى لا إصار لهم أصلاً^٥ يبصر
ولا بصيرة^٦.

و لما فرغ من المثل كشف المراد بظلماتهم بأنها ما فى آذانهم
هـ من الثقل المانع من الاتقاع بالسمع، و ما فى ألسنتهم من الخرس عن
كلام الخير الناشئ عن عدم الإدراك الناشئ عن عمى البصائر و فساد
الضائر و السرائر، و ما على أبصارهم من الغشاوة المانعة من الاعتبار
و على بصائرهم من الأغطية المنافية للادكار^٧ فقال^٨ «صم» أى عن السماع
النافع بكم، عن النطق المفيد لأن قلوبهم محتوم عليها فلا ينبعث منها

(١) زيد فى ظ: أى .

(٢) فى الأصل: لا ينفذ - كذا بالدال المهملة .

(٣) قال الشرينى الخطيب: لا يبصرون ما حولهم متحيرين عن الطريق خائفين،
فذكر الظلمة التى هى عدم النور وانطماص بالكلية، كيف جمع الظلمة وكيف
نكرها وكيف اتبعها بما يدل على أنها ظلمة خالصة وهو قوله «لا يبصرون»
وظلماتهم ظلمة الكفر و ظلمة النفاق و ظلمة يوم القيامة «يوم ترى المؤمنين
و المؤمنينت يسعى نورهم بين ايديهم و بيمينهم» .

(٤ - ٤) فى م: ولا بصيرة لهم أصلاً ولا بصيرة .

(٥) فى م: علم - كذا .

(٦) فى م: لا ذكار، و الادكار و الاذكار كلاهما بمعنى .

(٧) قال البيضاوى: لما سدوا مسامعهم عن الإصاغة إلى الحق وأبوا أن ينطقوا به
ألسنتهم و يتبصروا الآيات بأبصارهم جعلوا كأنما إيفت مشاعرهم و انتفت =

خير تقذه^١ إلى الآلئة د عى ، فى البصر و البصرة عن الإبصار المرشد
 لما تقدم من الحتم على مشاعرهم ، و لما كان فى مقام إجابة الداعى إلى
 الإيمان قدم السمع لأنه العمدة فى ذلك ، و ثنى بالقول لأنه يمكن الأصم
 الإفصاح عن المراد ، و ختم بالبصر لإمكان الاهتداء به بالإشارة ؛ وكذا
 ما بأتى فى هذه السورة سواء بخلاف ما فى الإسراء ، و فهم ، أى قدسب ه
 عن ذلك أنهم د لا ، و لما كان المراد التعميم فى كل رجوع لم يذكر
 المرجوع عنه فقال د يرجعون^٢ ، أى عن طغيانهم و ضلالهم إلى الهدى الذى
 باعوه و لا إلى حالهم الذى كانوا عليه و لا ينتقلون^٣ عن حالهم هذا^٤
 أصلا ، لأنهم كمن هذا حاله ، و من هذا حاله لا يقدر على مفارقة
 موضعه بتقدم و لا تأخر .

١٠

= قواهم كقوله :

صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به و إن ذكرت بسوء عنهم أذنوا
 وقوله :

أصم عن الشيء الذى لا أريده و أسمع خلق الله حين أريد
 (١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : تقذه - كذا بالبدال المهمة .

(٢) لا يعودون إلى الهدى الذى باعوه و ضيعوه أو عن الضلالة التى اشتروها ،
 أو فهم يتحيزون لا يدرون أيتقدمون أو يتأخرون و إلى حيث ابتدأوا منه
 كيف يرجعون و الغاء للدلالة على أن اتصافهم بالأحكام السابقة سبب لتحيرهم
 و احتباسهم - انتهى .

(٣) من م و مد و ظ ، و وقع فى الأصل : ينتقلون - كذا .

(٤) ليس فى ظ .

« او ، مثلهم في سماع القرآن الذي فيه المتشابه والوعيد والوعد
 « كصيب ، أى أصحاب صيب أى مطر عظيم ، وقال الحرالي : سحب
 بمطر دائرٍ ثم اتبعه تحقيقا لأن المراد الحقيقة قوله « من السماء » وهو
 كما قال الحرالي ما علا فوق الرأس ، يعنى هذا أصله ' والمراد هنا معروف ،
 هـ ومثل القرآن ' بهذا لمواترة ' نزوله وعلوه وإحيائه القلوب كما أن
 الصيب يحيى الأرض ، ثم أخبر عن حاله بقوله « فيه ظلمت » أى لكثافة
 السحاب واسوداده « ورعد » أى صوت مرعب يرعد عند سماعه ٣
 « و برق » أى نور مبتهت للمعاناة وسرعته - قاله الحرالي ، والظلمت مثل
 ما لم يفهموه ، والرعد ما ينادى عليهم بالفضيحة والتهديد والبرق ما
 ١٠ يلوح لهم معناه ويدخلهم رأى فى استحسانه .

(١) قال الشرييني الخطيب : والسماء كل ما علاك وأظلك ، وهى من أسماء
 الأجناس فيكون واحدا وجمعا . وقال البيضاوى : والصيب فيعمل من الصوب
 وهو النزول ويقال لأطر والسحاب ، قال الشماخ : واسمح وان صادق الوعد صيب ،
 وفى الآية يحتملها . وتنكيره لأنه أريد به نوع من المطر الشديد ، وتعريف
 السماء للدلالة على أن الغمام مطبق آخذ بأفاق السماء كلها فان كل أفق منها سماء
 كما أن كل طبقة منها سماء ، قال : ومن بعد أرض بيننا وسماء .

(٢-٢) فى ظ : بهذه المواترة - كذا .

(٣) والرعد صوت يسمع من السحاب ، والمشهور أن سببه اضطراب أجرام
 السحاب واصطكاكها إذا حدثها الريح من الارتعاد ، والبرق ما يلعب من السحاب
 من برق الشئ بريقا وكلاهما مصدر فى الأصل ولذلك لم يجمعما - انتهى .

ولما تم مثل القرآن استأنف^١ الخبر عن حال الممثل لهم^٢ والممثل بهم^٣ حقيقة^٤ أو مجازا^٥ فقال « يجعلون أصابعهم^٦ ، أى بعضها ولو قدروا لحشوا الكل لشدة خوفهم^٧ » فى « اذانهم من الصواعق ، أى من أجل قوتها ، لأن هولها يكاد / أن يصم ، وقال الحرالي : جمع^٨ صاعقة^٩ وهو الصوت الذى يميت^{١٠} سامعه أو يكاد ، ثم علل هذا بقوله « حذر الموت^{١١} و الله ، أى والحال أن المحيط بكل شىء قدرة و علما « محيط بالكافرين^{١٢} » فلا يغنيهم من قدره حذر^{١٣} ، وأظهر موضع الإضممار للإعراضهم عن القرآن و سترهم لأنواره .

ثم استأنف^{١٤} الحديث عن بقية حالهم فقال « يكاد البرق ، أى من

(١) قال البيضاوى : والجملة استئناف فكأنه لما ذكر ما يؤذن بالشدة والهول قيل : فكيف حالهم مع مثل ذلك ؟ فأجيب بها ، وإنما أطلق الأصابع دون الأنامل للبالغة .

(٢-٣) ليس فى مد .

(٣-٣) ليست العبارة فى ظ ، و لفظ « لحشوا » ليس فى مد أيضا .

(٤) فى ظ : لجمع .

(٥) و الصاعقة قصفة رعد هائل معها نار لا تمر على شىء إلا أتت عليه الصعق وهو شدة الصوت ، و قد يطلق على كل هائل مسموع أو مشاهد ، و يقال صعقته الصاعقة إذا أهلكته بالإحراق أو شدة الصوت - انتهى .

(٦) فى مد : تميت ، و فى م : ييمت .

(٧) زيد فى م : اى .

(٨) « و الله محيط بالكافرين » لا يفوتونه كما لا يفوت الحاط به المحيط لا يخلفهم الخداع و الحيل .

(٩) استئناف ثان كأنه جواب لمن يقول : ما حالهم مع تلك الصواعق ؟ والخطف =

قوة لمعه و شعاعه و شدة حركته و إسرعه و يخطف ابصارهم ، فهم يغضونها
عند لمعه و يخفضه في ترائبه و رفعه ، و لما كان من المعلوم أن البرق ينقضى لماعه
بسرعة كان كأنه قيل : ما إذا يصنعون عند ذلك ؟ فقال ^٢ « كلما » ^٣ و عبر بها
دون إذا دلالة على شدة حرصهم على إيجاد المشى^٤ عند الإضاءة و أضاء لهم
مشوا فيه ، مبادرين إلى ذلك حراسا عليه لا يفترون عنه في وقت من أوقات^٥
الإضاءة مع أنهم يغضون أبصارهم و لا يمدونها غاية المدخوفا عليهم و وقوفا
مع الأسباب و وثوقا بها و اعتمادا عليها و غفلة عن رب الأرباب ، و هو
مثل لما وجدوا من القرآن موافقا لآرائهم ، و عطف باذا لتحقيق خوفه
بعد خوفه قوله « و اذا اظلم عليهم قاموا » أى أول حين الإظلام
١٠ لا يقدرون على التقدم خطوة واحدة إشارة إلى أنه ليست لهم^٦ بصائر
يسرون بها فيما كشف البرق لأبصارهم من الأرض قبل الإظلام

= الأخذ بسرعة و قرئ يخطف بكسر الطاء و يخطف على انه يخطف و يخطف
بكسر الخاء .

(١) في م : فإ .

(٢) قال البيضاوى : استيناف ثالث ، كأنه قيل : ما يفعلون في تارقي خفوق
البرق و خفيته ؟ فأجيب بذلك . و أضاء إما متعد و المفعول محذوف بمعنى كلما
نور لهم ممشى أخذه ، أو لازم بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره .

(٣) العبارة من هنا إلى « الإضاءة » ليست في ظ .

(٤) و إنما قل مع الإضاءة « كلما » ومع الإظلام « اذا » لأنهم حراس على المشى
و كلما صادفوا منه فرصة انتهزوها و لا كذلك التوقف .

(٥) في م : الشى .

(٦) من مد و م و ظ ، و في الأصل : الاوقات .

(٧) زيد في ظ : فيها .

بل ' حال انقطاع اللعان يقفون لعمى بصارهم ورحشتهم وجنهم وغربتهم
وشدة جزعهم وحيرتهم، وهكذا حال هؤلاء لا يقيسون ما أشكل
عليهم من القرآن على ما فهموه .

« ولو شاء الله ، الذى له العظمة الباهرة مع شدة حرصهم وتاهى
جزعهم ، ودل على مفعول شاء بقوله « لذهب بسمعهم » أى بقاصف الرعد ه
ولم يغنهم سد آذانهم « وابصارهم ، بحافظ البرق ولم يمنعه غضهم لها ،
ثم علل ذلك بقوله « ان الله ، أى الذى له جميع صفات الكمال » على كل
شئ ، أى مشئ أى يصح أن تقع عليه المشيئة هذا المراد وإن كان الشئ
كما قال سيوييه يقع على كل ما أخبر عنه ، وهو أعم العام كما أن الله
أخص الخاص ، يجرى على الجسم والعرض والقديم والمعدوم والحال ، ١٠

(١) قال البيضاوى بعد بيان التمثيل مع قسميه المفرد والمؤلف : قيل شبه الإيمان
والقرآن وما أوتي الإنسان من العادن التى هى سبب الحياة الأبدية بالصيب
الذى به حياة الأرض ، وما ارتبكت بها من شبه المبطلة واعترضت دونها من
الاعتراضات المشككة بالظلمات ، وما فيها من الوعد والوعيد بالرعد ، وما فيها
من الآيات الباهرة بالبرق ، وتسامهم عما يسمعون من الوعيد بحال من يهوله
الرعد فيخاف صواعقه فيسد أذنه عنها مع أنه لا خلاص لهم منها ، وهو معنى
قوله تعالى « والله محيط » واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه أو رقد
يطمح إليه أبصارهم بمشيهم فى مطرح ضوء البرق كلما أضاء لهم وتخيرهم
وتوقفهم فى الأمر حين تعرض لهم شبهة أو تعنى لهم مصيبة بتوقفهم إذا أظلم عليهم ،
ونبه بقوله تعالى « ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم » على أنه تعالى جعل
لهم السمع والأبصار ليتوسلوا بها على الهدى والفلاح ثم إنهم إلى الخطوط العاجلة
وسدوها عن الفوائد الآجلة ولو شاء الله لجعلهم بالحالة التى يجعلونها فانه على
ما يشاء قدير - انتهى .

و قول الأشاعرة: إن المعدوم ليس بشيء، بمعنى أنه ليس بشأنته في
الآعيان متميز فيها، «قدير» إعلاماً بأن قدرته لا تنقيد بالأسباب،
قال الحرالي: القدرة إظهار الشيء من غير سبب ظاهر - انتهى .

وله سبحانه قدم المثل الأول لأنه كالجزء من الثاني، أو لأنه مش
المناقين، جعلت مدة ٣ صيام بنومهم وازدياد عقولهم استيقاداً مع جعل الله
إياهم على الفطرة القويمة وزمان بلوغهم بتمام العقل الغريزي إضاءة؛
والثاني مثل المناقنين وهو أبلغ. لأن الضلال فيه أشنع وأقطع .
فالصيب القرآن الذي انقادوا له ظاهراً، والظلمات متشابهة، والصواعق

(١) وفي تفسير المظهرى: والشيء مصدر شاء يطلق بمعنى الفاعل أى الشئ
فيتناول البارئ تعالى، قال الله تعالى «قل أى شئ أكبر شهادة قل الله»، وبمعنى
المفعول أى المشىء وجوده وهو الممكن، ومنه قوله تعالى «خالق كل شئ» فهو
على عمومته.... وقال الشرييني الخطيب: والشيء يختص بالوجود فلا يطلق على
المعدوم؛ والقدرة هو التمكن من إيجاد الشيء، والقادر هو الذى إن شاء فعل
وإن شاء لم يفعل، والقدير الفعال لما يشاء، ولذلك قلنا يوصف به غير البارئ
تعالى: واشتقاق القدير من القدرة، لأن القادر يوقع الفعل على مقدار قوته
أو على مقدار ما تقتضيه مشيئته، وفي ذلك دليل على أن الحادث حال حدوثه
والممكن حال بقائه مقدوران، وأن مقدور العبد مقدور الله تعالى - انتهى .

(٢ - ٢) ليس في مد .

(٣) زيد في م: أصابتهم .

(٤) من ظ، وفي الأصل: استيقاداً - كذا بالذال المعجمة، وفي م ومد: استقاداً .

(٥) س م ومد وظ، وفي الأصل: متشابهة - كذا .

وعيده ، و البرق وعده ، كلما أنذروا بوعيد انقطعت قلوبهم خوفاً يحسبون
كل صيحة عليهم^١ ، و كلما بشروا انقادوا رجاء ، وإذا عرض التشابه
وقفوا تحيراً وجفاء . و كل ذلك وقوفاً مع الدنيا وانقطاعاً إليها ، لا نفوذ^٢
لهم إلى ما وراءها أصلاً ، بل هم كالأنعام ، لا نظر لهم إلى ما سوى الجزئيات
و الأمور المشاهدات ، « فان كان^٣ لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم^٤ » . هـ
« يلقى كنت معهم فافوز فوزاً عظيماً^٥ » ، و الكلام^٦ الجامع النافع في
ذلك أن يقال إنه سبحانه شبه في الأول مثلهم بمثل المستوقد لا بالمستوقد^٧ ،
و^٨ في الثاني شبه مثلهم في خوفهم اللازم و رجائهم المنقطع^٩ بأصحاب

(١) سورة ٦٣ آية ٤ .

(٢) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : لا نفوذ - كذا بالبدال المهملة .

(٣) ليس في م ومد .

(٤) ليس في ظ .

(٥) سورة ٤ آية ١٤١ .

(٦) سورة ٤ آية ٧٣ .

(٧) قال أبو حيان في التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط ج ١ ص ٧٦ ما نصه :
العنى تشبيه المثل بالمثل لا بمثل المثل ، و المثل هنا بمعنى القصة و الشأن ، ف شبه
شأنهم و وصفهم بوصف المستوقد تارة ، فعلى هذا لا تكون الكاف زائدة ؛ و في
جهة المائة بينهم و بين الذى استوقد تارة وجوه ذكروها - و يطلب ما ذكر
من التفصيل فيه .

(٨) من مد ، و في الأصل و م : المتقطع ، و في ظ : المقطع - كذا .

الصيب لا بمثلهم ؛ فتقدير الأول مثلهم في أنهم سمعوا أولاً الدعاء ورأوا الآيات فأجابوا الداعي إما بالفعل كاللناقين وإما بالقوة في أيام الصبا لما عندهم من سلامة الفطر وصحة النظر، ثم تلذذوا فرجعوا بقلوبهم من نور ما قالوه بألستهم من كلمة التقوى نطقاً أو تقديرًا إلى ظلمات الكفر، فلم ينفعهم سمع ولا بصر ولا عقل^٣، فصاروا مثل البهائم التي لا تطيع الراعي إلا بالزجر البليغ، مثلهم في هذا يشبه مثل المستوقد في أنه لما أضاءت ناره رأى ما حوله، فلما ذهبت لم يقدر على تقدم ولا تأخر، لأنه لا ينفع في ذلك سمع ولا كلام فاذن استوى وجودهما وعدمهما،

(١) في م: مثلهم .

(٢) من م، وفي الأصل ومد وظ: الصبي .

(٣) قال أبو حيان في البحر المحيط: وقيل وصفهم الله بذلك لأنهم كانوا يتعاطون التصامم والتباكم والتعamy من غير أن يكونوا متصفين بشيء من ذلك فنبه على سوء اعتمادهم وفساد اعتقادهم، والعرب إذا سمعت ما لا تحب أو رأت ما لا يعجب طرحوا ذلك كأنهم ما سمعوه ولا رأوه، قال تعالى « كان لم يسمعها كان في أذنيه وقرا وقالوا قلوبنا في أكنة » الآية، قيل ويجوز أن يكون أريد بذلك المباغة في ذمهم وأنهم من الجهل والبلادة أسوأ حالا من البهائم وأشبه حالا من الجمادات التي لا تسمع ولا تتكلم ولا تبصر، فمن عدم هذه المدارك الثلاثة كان من الذم في الرتبة القصوى، ولذلك لما أراد إبراهيم على نبينا وعليه السلام المباغة في ذم آلهة أبيه قال « يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا » - انتهى .

(٤) في م: ماذا .

٣١ /

فصار عادما للثلاثة ، فكان من هذه الجهة مساويا / للأصم الأبكم الأعشى ،
فهو مثله لكونه لا يقدر على مراده إلا أن قاده قائد حسي ، فهو حينئذ^١
مثل البهائم التي لا تقاد^٢ للراد إلا بقائد ، فاستوى المثلان و سيتضح
ذلك عند قوله تعالى : كمثل الذي ينعق^٣ ، و لذلك كانت النتيجة في كل
منها صم^٤ - إلى آخره و داو ، بمعنى الواو ، و لعله عبر بها دونها لأنه^٥ . إن ه
كان كل من^٦ المثلين صالحا لكل من القسمين فان احتمال التفصيل غير
بعيد ، لأن^٧ الأول أظهر في الأول^٨ و الثاني في الثاني^٩ .

(١) في ظ : الحيثية .

(٢) في ظ : ح .

(٣) في ظ : لا يقاد .

(٤) في م : ينفق - كذا . سورة ٢ آية ١٧١ .

(٥) في ظ : ضم - كذا .

(٦) في مد : لانها .

(٧) زيد في م : في .

(٨) في ظ : فان .

(٩) في م : الثاني - كذا .

(١٠) قال أبو حيان في البحر المحيط : وإنما المعنى الظاهر فيها كونها للتفصيل ، وهذا
التمثيل الثاني أتى كاشفا لحلمهم بعد كشف الأول ، وإنما قصد بذلك التفصيل
والإسهاب بحال المناق ، وشبهه في التمثيل الأول بمستوقد النار وإظهار الإيمان
بالإضاءة و انقطاع جدواه بذهاب النور ؛ وشبه في الثاني دين الإسلام بالصيب ،
وما فيه من الوعد و الوعيد بالرعد و البرق ، و ما يصيبهم من الأنواع و الفتن
من جهة المسلمين بالصواعق ؛ و كلا التمثيلين من التمثيلات المتفرقة كما =

و جعل الحرالى المثلين للناقضين فقال : ضرب لهم مثلين لما كان لهم حالان
 وللقرآن عليهم تنزلا ن ، منه ما يرغبون فيه لما فيه من مصلحة دنياهم ، ف ضرب
 لهم المثل الأول ، وقدمه لأنه سبب دخولهم مع الذين آمنوا 'لما رأوا من' معالجة
 عقاب الذين كفروا فى الدنيا ؛ ومنه ما يرهبونه ولا يستطيعون سماعه لما يتضمنه
 ه من أمور شاقة عليهم لا يحملها إلا مؤمن حقا ولا يتحملها إلا من آمن ، ولما
 يلزم منه من ' فضيحة خداعهم ف ضرب له المثل الثانى ؛ فلن يخرج
 حالهم عند نزول نجوم القرآن عن مقتضى هذين المثلين - انتهى . و ضرب
 الأمثال المنهى إلى الحمد^٢ المنتهى إلى الإحاطة بكل حد لا سيما فى أصول
 الدين الكاشف لحقيقة التوحيد الموصل إلى اليقين فى الإيمان بالغيب
 ١٠ المحقق لما لله تعالى^٣ من صفات الكمال الدافع للشكوك الحافظ فى
 طريق السلوك مما^٤ اختص به القرآن من حيث كان منها إلى الحمد
 و مفصحا به^٥ فكان حرف^٦ الحمد ، وذلك أنه حرف تام^٧ محيط شامل

= شرحناه . والأحسن أن يكون من التمثيلات المركبة دون المفردة فلا نتكلف
 مقابلة شىء بشىء .

(١-١) فى م : لال اورا من - كذا .

(٢) ليس فى م .

(٣) فى م فقط : الحمد - كذا .

(٤) ليس فى ظ .

(٥) فى م : بما .

(٦) فى ظ : مفصحا .

(٧) من م ومد و ظ ، وفى الأصل : حروف - كذا .

(٨) فى ظ : تمام تمام .

جميع الأمور كافل بكل الشرائع في سائر الأزمان ؛ فكان أحق الرسل به من كانت رسالته عامة لجميع الخلق و كتابه شاملا لجميع الأمر وهو أحمد و محمد صلى الله عليه وسلم .

قال الإمام أبو الحسن الخراساني في كتابه « عروة المفتاح » : هذا الحرف لإحاطته أنزل و ترا و سائر الحروف أشفاق لاختصاصها ، و وجهه ٥
إزالة تفهيم ما غمض من المغيبات بضرب مثل من المشهودات ، و لما كان للأمر تنزلات و للخلق تطورات كان الأظهر منها مثالا لما هو دونه في الظهور ، و كلما ظهر ماثول صار مثالا^١ لما هو أخفى منه ، فكان لذلك أمثالا عددا منها مثل ليس بممثول لظهوره و ماثولات تصير أمثالا لما هو أخفى منها إلى أن تنتهي الأمثال إلى غاية محسوس أو معلوم ، فتكون ١٠
تلك الغاية مثالا أعلى كالسماوات و الأرض فيما يحس و العرش و الكرسي^٢
فيما يعلم و وله المثل الأعلى في السموات و الأرض^٣ ، « الذين يحملون

(١) بهامش ظ : بفتح الميم و ضمها . و بهامش الأصل : وفي القاموس : الغامض المطمئن من الأرض ، جمع غوامض ، كالغمض جمع غموض و أنعماض ، و قد غمض المكان غموضا ككرم غموضة ؛ و الحامل الذليل و الحسب الغير المعروف و الناص من الخلاخل في الساق و غمض عنه يغمض تساهل كأنعمض و دار غامضة غير شارعة و ما اكتحلت غماضا و يكسر و غمضا بالضم و تغماضا بالفتح ما نمت - إلى أن قال : و غمض على هذا الأمر مضى و هو يعلم ما فيه ، و الكلام أبهمه - اه .

(٢) في م : ممثلا .

(٣) ليس في م .

(٤) سورة ٢٠ آية ٢٧ .

العرش و من حوله يسبحون بحمد ربهم ، وذلك المثل الأعلى لإحاطته
 اسمه الحمد و له الحمد في السموات و الارض ، و أحمده أنهاء و أدناه
 إلى الله تعالى بحيث لا يكون بينه و بين الله تعالى واسطة ، فلذلك ما استحق
 أكمل الخلق و أجمعه و أكمل الأمر و أجمعه الاختصاص بالحمد ، فكان
 ٥ أكمل الأمور سورة الحمد و كان اكمل الخلق صورة محمد صلى الله
 عليه و سلم ، كان خُلقه القرآن و لقد اتيتك سبعا من المثاني و القرآن
 العظيم ، و دون المثل الأعلى الجامع الأمثال العلية المفصلة منه و ضرب
 لكم مثلا من انفسكم ، و لإحاطة أمر الله و كماله في كل شيء يصح أن
 يضربه مثلا و ان الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها ،
 ١٠ و مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا ،
 و للثل حكيم من ماثوله ، إن كان حسنا حُسن مثله ، و إن كان سيئا ساء
 مثله ؛ و لما كان أعلى الأمثال الحمد كان أول الفاتحة الحمد ، و لما كان
 أخفى أمر الخلق النفاق كان أول مثل في الترتيب مثل النفاق ، و هو أدنى
 مثل لما خفي من أمر الخلق ، كما أن الحمد أعلى مثل لما غاب من أمر الحق ؛

(١) سورة ٤٠ آية ٧ .

(٢) سورة ٣٠ آية ١٨ .

(٣) سورة ١٥ آية ٨٧ .

(٤) سورة ٣٠ آية ٢٨ .

(٥) سورة ٢ آية ٢٦ .

(٦) سورة ٢٩ آية ٤١ .

و بين الحدين أمثال حسنة وسيئة ، مثل الجنة التي وعد المتقون ^١ ،
 الآيتين ، مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها ^٢ ، فثله كمثل الكلب ^٣ ،
 الآيتين ، و بقدر علو المثل أو دنوه أو توسطه يتزايد للؤمن الإيمان و للعالم
 العلم و للفاهم الفهم ، و بضد ذلك لمن اتصف بأضداد تلك الأوصاف ،
 فاما الذين امنوا فيعملون انه الحق من ربهم و اما الذين كفروا فيقولون ^٥
 ما ذا اراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا و يهدى به كثيرا ، و معرفة أمثال
 القرآن المعرفة إحاطة بثولاتها و علم آياته / المعلمة اختصاص معلوماتها هو حظ
 العقل و اللب و حرفه من القرآن ، و لكل حرف اختصاص بحظ من
 تدرك الإنسان و أعمال القلوب و الأنفس و الأبدان ، فمن يسر له
 القراءة و العمل بحرف منه اكتفى ، و من جمع له قراءة جميع أحرفه علما ^{١٠}
 و عملا فقد آتم و وقي ، و بذلك يكون القارئ من القراء الذين قال
 فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنهم أعز من الكبريت الأحمر ،
 و يختص برحمته من يشاء و الله ذو الفضل العظيم ^{١١} .

ثم قال فيما به يحصل ^٢ قراءة هذا الحرف : اعلم أن قراءة الأحرف

(١) سورة ١٣ آية ٣٥ .

(٢) سورة ٢٢ آية ٥ .

(٣) سورة ٧ آية ١٧٦ .

(٤) بهامش ظ : اى ادرك .

(٥) زيد في م : الله .

(٦) سورة ٣ آية ٧٤ .

(٧) في م و مد : تحصل .

السته تماما وفاء بتفصيل العبادة، لأنها أشفاع ثلاثة للتخلص والتخلي
و ثلاثة للعمل والتخلي، لأن ترك الحرام طهارة البدن وترك النهى طهارة
النفس وترك التعرض للتشابه طهارة القلب، ولأن تناول الحلال زكاه
البدن وطاعة الأمر زكاه النفس وتحقق العبودية بمقتضى حرف المحكم
نور القلب؛ وأما قراءة حرف الأمثال فهو وفاء العبادة بالقلب جمعا ودواما
وله الدين واصبا، وه الذين هم على صلاتهم دائمون، فالذى يحصل
قراءة هذا الحرف إنما هو خاص بالقلب، لأن أعمال الجوارح وأحوال
النفس قد استوفتها الأحرف الستة التفصيلية، والذى يخص القلب بقراءة
هذا الحرف هو المعرفة التامة المحيطة بأن كل الخلق دقيقة و جليلة خلق الله
١٠ وحده لا شريك له فى شىء منه، وأنه جميعه مثل لكلية أمر الله القائم
بكلية ذلك الخلق، وان كلية ذلك الأمر الذى هو ممثل لمثل الخلق
هو مثل الله تعالى وله المثل الأعلى، وأن تفاصيل ذلك الخلق المحيطات
أمثل لقيامها من تفاصيل ذلك الأمر المحيطات بها، وأن تفاصيل الأمر
المحيطات أمثال لأسماء الله تعالى الحسى بما هى محيطة؛ وجمع هذا الحرف
١٥ لم يصح إنزاله إلا على الخلق الجامع الأدمى الذى هو صفوة الله وفطرته،
وعلى سيد الآدميين محمد خاتم النبيين وهو خاصته وخاصة آله، وعنه

(١) سورة ١٦ آية ٥٢ .

(٢) سورة ٧٠ آية ٢٣ .

(٣) فى ظ : تفصيل .

(٤) ليس فى ظ .

كمل الدين بالإحسان ، و صفا العلم بالإيقان ، و شوهده في الوقت الحاضر ،
ما بين حدى الأزل الماضى و الأبد الغابر ، و عن تمام اليقين و الإحسان ه
تحقق الفناء لكل فان ، و بقى وجه رب محمد ذى الجلال و الإكرام ، و كان
هذا الحرف بما اسمه الحمد هو ' لكل شئ بدء ' و ختام - انتهى ٣ .

و لما ثبت بهذا البيان عما للكافرين بقسميهم من الشقاوة مع تمام
القدرة شمول ٤ العلم المستلزمان للوحدانية أتج قطعاً أفراده بالعبادة الموجهة
(١) ليس في ظ .

(٢) من ظ ، و في الأصل ومد : بدء ، و في م : بدؤ .

(٣) و في البحر المحيط لأبى حيان : و قد تقدم لنا بعض كلام على تناسق الآى
التى تقدم الكلام عليها و نحن نلخص ذلك هنا فنقول : افتتح تعالى هذه السورة
بوصف كلامه المبين ، ثم بين أنه هدى لمؤمنى هذه الأمة و مدحهم ، ثم مدح
من ساجلهم في الإيمان تلاهم من مؤمنى أهل الكتاب و ذكر ما هم عليه من
الهدى في الحال و من الظفر في المال ثم تلاهم بذكر أضدادهم المحتوم على
قلوبهم و أسماعهم المغطى أبصارهم اليؤس من إيمانهم و ذكر ما أعد لهم من
العذاب العظيم ثم اتسع هؤلاء بأحوال المنافقين المخادعين المستهزين و آخر ذكرهم
و إن كانوا أسوأ أحوالاً من المشركين لأنهم اتصفوا في الظاهر بصفات
المؤمنين و في الباطن بصفات الكافرين ؛ فقدم الله ذكر المؤمنين ، و ثنى بذكر
أهل الشقاء الكافرين ، و ثلث بذكر المنافقين الملحدين ، و أمعن في ذكر مخازيمهم
فأنزل فيهم ثلاث عشرة آية ، كل ذلك تقبيح لأحوالهم و تنبيه على مخازى
أعمالهم ، ثم لم يكتف بذكر ذلك حتى أبرز أحوالهم في صورة الأمثال ، فكان
ذلك أدعى للتفكير عما اجتروحه من قبيح الأفعال ؛ فانظر إلى حسن هذا السياق
الذى توقل في ذروة الإحسان و تمكن في براعة أقسام البديع و بلاغة معانى
البيان - انتهى . (٤) في ظ : لشمول .

للسعادة المضمنة لاياك نعبد، فوصل بذلك قوله مقبلا عليهم بعد الإعراض عنهم عند التقسيم إيدانا بأنهم صاروا بما تقدم من ضرب الأمثال وغيرها من^١ حيز المتأهل للخطاب من غير واسطة تنشيطا لهم في عبادته وترغيا وتحريكا إلى رفع أنفسهم باقبال الملك الأعظم عن الخضوع لمن هو^٢ دونه بل دونهم وبشارة لمن أقبل عليه بعد أن كان معرضا عنه بدوام الترقية، فيزال ما أشار إليه حرف النداء^٣ والتعبير عن المنادى^٤ من بقية البعد بالسهو والغفلة والإعراض بالتقصير في العبادة والاضطراب والذبذبة «ياياها الناس».

قال الحرالي في تفسيره: «يا» تنبيه من يكون بمسمع^٥ من المنبه ١٠. ليقبل على الخطاب، وهو تنبيه في ذات نفس المخاطب ويفهم توسط البعد بين آيا الممدودة وأي^٦ المقصورة، «أي»^٧ اسم مبهم، مدلوله

(١) ليس في ظ.

(٢) كذا، والظاهر: في.

(٣) ليس في مد.

(٤-٤) ليست في م.

(٥) وفي م: يسمع.

(٦) قال أبو حيان: «يا» حرف نداء، وزعم بعضهم أنها اسم فعل معناه أنادى، وعلى كثرة وقوع النداء في القرآن لم يقع نداء إلا بها، وهي أعم حروف النداء إذ ينادى بها القريب والبعيد والمستغاث والمندوب، وأماها بعضهم، وقد تنجرد للتنبيه قبلها المبتدأ والأمر والتمنى والتعليل، والأصح أن لا ينوى بعدها منادى، أي استفهام و شرط و صفة و صلة لنداء ما فيه الألف واللام.... =

اختصاص ما وقع عليه من مقتضى اسم شامل، «ها» كلمة مدلولها تنبيه على أمر يستفيدة المنبه - انتهى . 'وأكد سبحانه الكلام بالإيهام والتنبية و التوضيح بتعيين' المقصود بالنداء تنبيهها على أن ما يأتي بعده أمور مهمة يحق لها تسمير الذبول والقيام على ساق الجد .

وقال الحرالي: اعلم أنه كما اشتمل على القرآن كله فاتحة الكتاب ه فكذلك أيضا جعل لكل سورة ترجمة جامعة تحتوى على جميع مثنى آيها، وخاتمة تلتئم وتنظم ترجمتها، ولذلك تترجم السورة عدة سور، وسبقع التنبيه على ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى . واعلم مع ذلك أن كل ٢ نبي منبأ^٥ - يقرأ بالهمز - من النبأ وهو الخبر، فانه شرع في دعوته وهو غير عالم بطيئة أمره وخبر / قومه، وأن الله عز وجل جعل نبيه محمدا ١٠ ٣٣/

= «ها» حرف تنبيه، أكثر استعمالها مع ضمير رفع منفصل ووجه مناسبة هذه الآية لما قبلها هو أنه تعالى لما ذكر المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين وصفاتهم وأحوالهم وما يؤل إليه حال كل منهم انتقل من الإخبار عنهم إلى خطاب النداء، وهو التفات تنبيه بقوله «إياك نعبد» بعد قوله «الحمد لله» وهذا من أساليب الفصاحة فانهم يخلصون ثم يعمون . (٩) زيد في م: المقصورة .

(١) ليست العبارة من هنا إلى «الجد» في ظ .

(٢) في مد: بتعبير، وفي م: التعبير .

(٣) وفي ظ: لكل .

(٤) زيد في مد: و .

(٥) من م ومد، وفي الأصل وظ: منبأ .

صلى الله عليه وسلم نيا منبياً^١ من النبوة - يقرأ بغير همز . ومعناه رفعة
 القدر والعلو ، فما أعلاه الله به أن قدم له بين يدي دعوته علم طيبة^٢ أمره
 ومكنون عليه تعالى في سر التقدير الذى لم يزل خباً في كل كتاب ،
 فأعلمه بأنه^٣ تعالى جبل المدعوين الذين هم بصفة النوس مترددين بين
 الاستغراق في أحوال أنفسهم وبين مرجع إلى ذكر ربهم على ثلاثة
 هـ أضرب : منهم من فُطِر على الإيمان ولم يطبع عليه أى على قلبه فهو
 مجيب ولا بد ، ومنهم من طبع على الكفر فهو آب ولا بد ، ومنهم
 من ردد بين طرفي الإيمان ظاهراً والكفر باطناً ، وإن كلا ميسر لما خلق
 له ؛ فكان بذلك انشراح صدره في حال دعوته و زال به ضيق صدره
 ١٠ الذى شارك به^٤ الأنبياء - بالهمز ، ثم علا بعد ذلك إلى مستحق رتبته
 العلية ، فكان أول ما افتتح له كتابه أن عرفه معنى ما تضمنته «السم»
 ثم فصل من ذلك ثلاثة أحوال المدعوين بهذا الكتاب ، وحيث^٥ شرع
 في تلقيه الدعوة العامة^٦ للناس ، فافتتح بعد ذلك^٧ الدعوة والنداء والدعوة^٨

(١) في الأصول : منبى - كذا .

(٢) في ظ : بطيه .

(٣) ليس في مد .

(٤) في ظ : جيل - كذا .

(٥) في م : فيه .

(٦) في ظ : ح .

(٧) قال المأثمى : ثم اشار بأن هذا التمثيل لا يفيد علماً فلا يعارض الدليل القاطع
 على وجوب عبادة الله بالإسلام له والالتقياد لأحكامه فقال « يأيها الناس » =

إلى العبادة يعنى بهذه الآية ، و تولى الله سبحانه دعوة الخلق فى هذه ' الدعوة العامة التى هى جامعة لكل دعوة فى القرآن .

ولما ضمن صدرها من الوعيد^٢ فى حق رسوله^٣ فلم يحجر خطاب ذلك على لسانه ، ولما فيها من السطوة و خطاب الملك و الجزاء و محمد صلى الله عليه و سلم رسول رحمة للعالمين فلم ينبغ^٤ إجراؤها على لسانه لذلك ، هـ وغيره من الرسل فجامعة دعوة من خص الله سبحانه خبر دعوته فهى مجرة على ألسنتهم و لذلك كثرت مقاواة قومهم و مدعويهم^٥ لهم ، ولما أجرى الحق تعالى هذه الدعوة من قبله كان فيها بشرى بالغلبة وإظهار

= أى يامن نسى الأصل الذى يتمسك به فى مثل هذه المواضع فتمسك بهذا التمثيل الضعيف « اعبدوا ربكم » فان مقتضى حقيقة الرب أن يكون معبودا و حقيقة العبد أن يكون عابدا سيما إذا أنعم عليه بأجل النعم وهو الإيجاد و ما يتوقف عليه إذ هو « الذى خلقكم و الذين من قبلكم » من مقدمات وجودكم ، فهذا الخلق يقتضى اجل وجوه الشكر و هو العبادة « لعلكم تتقون » بخطه بترككم مقتضى ربوبيته و عبوديتكم وإهالككم شكر أجل نعمه ، ثم التمثيل مقلوب عليكم على أبلغ الوجوه وهو أن ما جعلتموه مشبها به لله رب عن الإسلام أولى بأن يكون من أسبابه باعتبار ذاته و مبداه و منتهاه و ما يحصل منه إذ هو « الذى جعل لكم الأرض فراشا » . (٨ - ٨) ليس فى مد .

(١ - ١) ليست فى مد .

(٢) زيد بعده فى هامش الأصل : أى بسبب حق رسوله .

(٣) زيد فى مد : صلى الله عليه و سلم .

(٤) فى م : فلم يتبع .

(٥) فى م : مدعوهم .

دينه، لأن الله سبحانه 'و تعالى' لا يقاويه خلقه^٢، ولما انتهى إلى البشرى
التي هي رحمة أجرى الكلام على مخاطبته عليه السلام بقوله: « وبشر، » ومع
إجراء دعوة المرسلين على ألسنتهم علقت باسم الله بلفظ « ان اعبدوا الله »^٣
ونحوه فعز على أكثر النفوس الإجابة لفوات اسم الله عن إدراك العقول،
ومع تولى الله سبحانه لهذه الدعوة بسلطانه العلي أجزاها باسم الربوبية^٤
وهو اسم أقرب مثالا^٥ على النفوس،^٦ لأنها تشاهد^٧ آياته بمعنى
التربية والربابة^٨، ومع ذلك أيضا فذكر اسم الله في دعوة المرسلين
غير متبع ولا موصوف بآيات الإلهية، ولو ذكر لما قرب مثال عليها فهي^٩

(١ - ١) ليس في م وظ .

(٢) في ظ : الخلق .

(٣) زيد في م : ربي وربكم - سورة . آية ١١٧ .

(٤) من م ، وفي الأصل ومد : لقوت ، وفي ظ : لقوة .

(٥) قال أبوحيان في البحر المحيط: ولما واجه تعالى الناس بالنداء أمرهم بالعبادة
والأمر بالعبادة شمل المؤمنين والكافرين ، لا يقال المؤمنون العابدون
فكيف يصح الأمر بما هم ماتيسون به لأنه في حقهم أمر بالازدياد من العبادة
فصح مواجهة الكل بالعبادة و انظر لحسن مجيء الرب هنا فانه السيد والمصلح
وجدير بمن كان مالكا أو مصلحا أحوال العبد أن يخص بالعبادة ولا يشرك
مع غيره فيها - انتهى .

(٦) من م ومد ، وفي الأصل : مثالا .

(٧ - ٧) في ظ : لا تشاهد .

(٨) بهامش الأصل وظ : اى كونه ربا .

(٩) ليس في مد .

كالشمس والقمر ونحو ذلك، وذكر تعالى الربوبية^١ في هذه الدعوة متبعة
بآياتها الظاهرة التي لا تقوت العقل والحس ولا يمكن إنكارها، ووجه
بعد النفوس عن الانقياد عند الدعوة باسم الله أن آيات الربوبية التي يسهل
عليها^٢ الانقياد من جهتها التي ييسر منها تنقاد للوك^٣ وأولى الإحسان،
لأنها جبلت على حب من أحسن إليها تبقى عند الدعوة باسم الله بمعزل^٥
عن الشعور بإضافتها لاسم الله ويحار العقل في المتوجه له بالعبادة، وتضيف
النفوس الغافلة آيات الربوبية إلى ما تشاهده من أقرب الأسباب في
العوائد، كالفصول التي نيطت الموالد^٤ والاقوات بها في مقتضى حكمة الله
سبحانه أو^٥ إلى أسباب هذه الأسباب كالنجوم ونحو ذلك، فلا يلتم
للدعو حال قوامه بعبادته فيكثر التوقف والإباء، واقتضى اليسر الذي ١٠

(١) قال المهاشمي: الرب المالك فلا يتعين عليه تصرف دون ضده فهو متفضل
بالإنعام فله الحمد من جهة استيلائه وتفضله، أو السيد الذي علت رتبته فله أعلى
الحامد لعلوه وإعلانه للعبيد بإنعامه عليهم، أو الخالق فله أتم الحامد على كمال أفعاله
وصفاته التي تتوقف عليها وإنعامه قبل الاستحقاق، أو الرب وهو المصلح
أو المدبر بتبليغ الشيء أعلى مراتبه بحمل النطفة علقه ثم مضغة ثم أعضاء مختلفة ثم
إنفاضة الروح عليها وإعطاء كل عضو قوة تليق به ثم تكميله بالشرعية والطريقة
والحقيقة؛ فله أجمع الحامد - انتهى .

(٢) زيد في ظ : من .

(٣) ليس في م .

(٤) بهامش الأصل : أي النبات والمعادن .

(٥) في م : و .

أراد الله بهذه الآية ذكر الربوبية منوطاً بآياتها - انتهى .
 ولما كانت العبادة المختلّة بشرك أو غيره ساقطة والازدياد من
 الصحيحة والاستمرار عليها عبادة 'جديدة' يحسن الأمر بها خاطب
 الفريقين فقال «اعبدوا ربكم» ، أى الذى لا رب لكم غيره عبادة 'هى'
 ١٠ بحيث يقبلها الغنى . ثم وصفه بما أشارت إليه صفة الرب من الإحسان
 تنديها على وجوده ووجوب العبادة له 'بوجوب شكر المنعم فقال' الذى
 خلقكم ، قال الحرالى : «الذى» ، اسم مبهم مدلوله ذات موصوف بوصف

(١) - قطت العبارة من ظ من هنا إلى «العبادة له» .
 (٢) فى تفسير النسفى : «اعبدوا ربكم» وحدوه ، قال ابن عباس رضى الله عنهما :
 كل عبادة فى القرآن فهى توحيد . وفى البحر المحيط لأبى حيان : الرب السيد
 والمالك والثابت والمعبود والمصلح ، وزاد بعضهم بمعنى صاحب وبعضهم
 بمعنى الخالق - انتهى .

(٣) زيدت قبله فى م : جديدة يحسن الأمر بها .
 (٤) ليس فى ظ .

(هـ) قال أبو حيان : والخطاب إن كان عاماً كان قوله «الذى خلقكم» صفة مدح ،
 وإن كان لمشركي العرب كانت للتوضيح ، إذ لفظ الرب بالنسبة إليهم مشترك
 بين الله وبين آلهتهم ؛ ونبه بوصف الخلق على استحقاقه العبادة دون غيره
 «انهم يخلقون كن لا يخلق» أو على امتنانه عليهم بالخلق على الصورة الكاملة والتميز
 عن غيرهم بالعقل والإحسان إليهم بالنعم الظاهرة والباطنة - ومن أراد الاطلاع
 على ما حرر بعده فلينظر ما فيه .

(٦) ليس فى م .

يعقب به وهى الصلة ' اللازمة له ، و الخلق ' تقدير أمشاج ' ما يراد إظهاره بعد الامتزاج و التركيب صورة « والذين من قبلكم ، القبل ما إذا عاد المتوجه إلى مبدأ وجهته أقبل عليه - انتهى .

ثم بين نتيجتها بقوله « لعلكم تتقون ، أى لتكون حالكم بعبادته لأنها كلها محاسن ولا حسن فى غيرها حال من ترجى له / التقوى ، ٥ / ٣٤ وهى اجتناب القبيح من خوف الله ، و سيأتى فى قوله « لعلكم تشكرون ، ما ينفع هنا . وقال الحراى : لعل كلمة ترج لما تقدم سببه ، وبدأ من آيات الربوبية بذكر الخلق لأنه فى ذواتهم ، و وصل ذلك بخلق من قبلهم حتى لا يستندوا بخلقهم إلى من قبلهم و ترجى لهم التقوى لعبادتهم^١ ربه من حيث نظرهم إلى خلقهم و تقدير أمشاجهم ، لأنهم إذا أسندوا ١٠ خلقهم لربهم كان أحق أن يسندوا إليه ثمرة ذلك من صفاتهم

(١) فى م : صفة .

(٢) الخلق هو الإيجاد على تقدير و ترتيب ، و الخلق و الخليفة تنطلق على المخلوق ، و معنى الخلق الإيجاد و الإحداث و الإبداع و الاختراع و الإنشاء متقارب ، و إذا كان بمعنى الاختراع و للإنشاء فلا يتصف به إلا الله تعالى ؛ و قد أجمع المسلمون على أن لا خالق إلا الله ، و إذا كان بمعنى التقدير فمقتضى اللغة أنه قد يوصف به غير الله تعالى و قال تعالى « تبارك الله احسن الخالقين » و « اذ تخلق من الطين » - انتهى .

(٣) بهامش الأصل : أى اخلاط .

(٤) فى م : بخلق الله .

(٥) فى م : لعبادة .

و أفعالهم فيتوقفون عن ' الاستغناء بأنفسهم فينشأ لهم بذلك تقوى - انتهى .
وما أحسن الأمر بالعبادة حال الاستدلال على استحقاقها بخلق
الأولين و الآخرين ^٢ وما بعده عقب إثبات قدرة الداعي المشيرة ^٣ إلى
الترهيب من سطواته ! ولقد بدع هذا الاستدلال على التفرد بالاستحقاق
عقب أحوال من قرر أنهم في غاية الجود بأمور مشاهدة يصل إليها كل
عاقل بأول وهلة من دحو الأرض وما بعده مما به قوام بقائهم من السكن
و الرزق في سياق مثبه على النعمة ^٤ محذر من سلبها ^٥ دال على الإله بعد

(١) وفي م : على - كذا .

(٢) قال أبو حيان الأندلسي : وعطف قوله « والذين من قبلكم » على الضمير
النصوب في خلقكم والمعطوف متقدم في الزمان على المعطوف عليه وبدأ به وإن
كان متأخرا في الزمان ، لأن علم الإنسان بأحوال نفسه أظهر من علمه بأحوال
غيره ، إذ أقرب الأشياء إليه نفسه ، ولأنهم المواجهون بالأمر بالعبادة فتنبههم أولا
على أحوال أنفسهم أكد وأهم ، وبدأ أولا بصفة الخلق إذ كانت العرب مقرة
بأن الله خالقها وهم المخاطبون والناس تبع لهم إذ نزل القرآن بلسانهم - انتهى
كلامه ثم قال : وإنما ذكر « والذين من قبلكم » وإن كان خلقهم لا يقتضى
العبادة علينا لأنهم كالأصول لهم تخلق أصولهم يجرى مجرى إنعام على فروعهم
فذكرهم عظيم إنعامه تعالى عليهم وعلى أصولهم بالإيجاد .

(٣) من م ومدا ، ووقع في الأصل : المنيرة ، وفي ظ : المبشرة - كذا .

(٤) سقطت العبارة من هنا إلى « الانقياد » من ظ .

(٥) وقع في م : النعمة - مصحفا .

(٦) في ظ : الالة - كذا .

الدلالة بالأنفس من حيث أن كل أحد يعرف ضرورة^١ أنه وُجد بعد أن لم يكن، فلا بد له من موجد غير الناس، لما يشاهد من أن حال الكل كحاله بالدلالة بالآفاق من حيث أنها متغيرة، فهي مفتقرة إلى مغير هو الذى أحدثها ليس بمتغير، لأنه ليس بجسم ولا جسمانى فى سياق مذكر بالنعمة الجسام الموجبة لمحبة النعم وترك المنازعة وحصول الانقياد^٥ فقال «الذى جعل»، قال الحزالى: من الجعل وهو إظهار أمر عن سبب وتصيير «لكم الارض»، أى المحل الجامع لنبات كل نابت ظاهر أو باطن، فالظاهر كالموالد و كل^٢ ما الماء أصله، والباطن كالاعمال والأخلاق و كل ما أصله ما الماء آيته كالهدى والعلم ونحو ذلك؛ ولتحقق دلالة اسمها على هذا المعنى جاء وصفها بذلك من لفظ اسمها قليل: أرض^{١٠} أريضة، للكريمة المنتبة، وأصل معناها ما سفلى فى مقابلة معنى السماء الذى

(١) من م وظ، ولا يتضح فى مد، وفى الأصل: يصرف، وهو كما ترى.

(٢) قال الشربى الخطيب: والآية تدل على أن الطريق إلى معرفة الله تعالى والعلم بوحدايته والعلم باستحقاقه للعبادة والنظر فى صنعه والاستدلال بأفعاله وأن العبد لا يستحق عبادته عليه تعالى ثوابا فإنها لما وجبت عليه شكرا لما عده عليه من النعمة السابقة فهو كاجير أخذ الأجر قبل العمل - انتهى.

(٣) وفى تفسير النسفى: نعم خروج الثمرات بقدرته ومشيته وإيجاده ولكن جعل الماء سببا فى خروجها كماء الفحل فى خلق الولد وهو قادر على إنشاء الكل بلا سبب كما أنشأ نفوس الأسباب والمواد ولكن له فى إنشاء الأشياء مدرجا لها من حال إلى حال وناثلا من مرتبة إلى مرتبة حكما وعبرا للنظار بعبود الاستبصار - انتهى.

هو ما علا على سفلى الأرض كأنها ' لوح قلبه الذى يظهر فيها كتابه
- انتهى ' .

« فراشا » وهى بساط سقفة السماء وهى مستقر الحيوان من
الآحياء والاموات ، وأصله كما قال الحرالى بساط يضطجع عليه للراحة
٥ ونحو ذلك ٢ ، « و السماء بناء » أى خيمة تحيط بصلاح موضع السكن
وهو لعمرى بناء جليل القدر ، بحكم الأمر ، بهى المنظر ، عظيم المخبر .
و رتبت هذه النعم الدالة على الخالق الداعية إلى شكره أحكم ترتيب ،
قدم الإنسان لأنه أعرف بنفسه والنعمة عليه أدمى إلى الشكر ، وثنى

(١) فى ظ : كانه .

(٢) ليس فى ظ .

(٣) قال المهاشمى : أى وطأ قدركم عليها بأن جعل بعض أجزائها بارزة عن الماء مع
اتضاء طبعه الإطاحة بها وجعلها بين الصلابة واللطافة لتتعدوا وتناموا عليها
كالفراش ، « و السماء بناء » أى سقفا مرفوعا تستظلون به عن أشعة أنوار
الملائكة العلوية .

(٤) سقطت العبارة من هنا إلى « فقال » من ظ .

(٥) قال أبوحيان الأندلسى : ذكر خمسة أنواع من الدلائل : اثنين من
الأنفس خلقهم وخلق من قبلهم ، وثلاثة من غير الأنفس كون الأرض فراشا
وكون السماء بناء والحاصل من مجموعهما ، تقدم خلق الإنسان لأنه أقرب إلى
معرفة وثنى بخلق الآباء وثالث بالأرض لأنها أقرب إليه من السماء ، وقدم السماء
على رول المطر وإخراج الثمرات لأن هذا كالأمر المتولد بين السماء والأرض
و الأثر متأخر عن المؤثر .

(٦) فى م : تلى .

بمن قبله لأنه أعرف بنوعه، وثلك بالأرض لأنها مسكنه الذي لا بد له منه، وربع بالسما لأنّها سقفه، وخمس بالماء لأنه كالآثر والمنفعة الخارجة منها وما يخرج بسببه من الرزق كالنسل المتولد بينهما فقال «وانزل، قال الحرالي: من الإنزال وهو الإهواء بالامر من علو إلى سفلى - انتهى .
« من السماء » أى باثارتها^١ الرياح المثيرة للسحاب الحامل للماء « ماء » أى جسمًا لطيفًا يبرد غلة^٢ العطش، به حياة كل نام . قال الحرالي: وهو أول ظاهر للعين من أشباح الخلق^٣ « فأخرج » من الإخراج^٤ وهو إظهار من حجاب، وفي سوقه بالفاء تحقيق للتسبب في الماء - انتهى^٥ .

وأتى بجمع القلة في الثمر ونكر الرزق مع المشاهدة لأنها بالغان في الكثرة إلى حد لا يحصى تحقيرًا لهما في جنب قدرته إجلالا له فقال ١٠

(١) قال البيضاوى: من أسباب سماوية تثير الأجزاء الرطبة من أعماق الأرض إلى جواهرها فيعندد سحابا ماطرا، ومن الثانية للتبويض بدليل قوله تعالى « فأخرجنا به ثمرات » واكتناف المنكرين له أغنى ماء ورزقا كأنه قال وأنزلنا من السماء بعض الماء فأخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم، وهكذا الواقع لم ينزل من السماء الماء كله ولا أخرج بالمطر كل الثمار ولا جعل كل الموزوق ثمارا - انتهى .

(٢) في م: دغلة - كذا .

(٣) ليس في م .

(٤) في مد: الاظهار .

(٥) ليس في ظ .

« به من الثمرات رزقا ، وإخراج الأشياء في حجاب الاسباب أرفق
 بالتكليف بالإيمان بالغيب ، لأنه كما قيل : لو لا الاسباب لما ارتاب المرتاب ،
 و الثمر كما قال الحرالي مطعومات النجم و الشجر و هى عليها ، و عُبر بمن
 لأن ليس كل الثمرات رزقا لما يكون عليه و فيه من العصف و القشر
 ه و النوى ، و ليس أيضا من كل الثمرات ' رزق فنه ما هو للدأوة ' و منه
 سموم و غير ذلك . و فى قوله « لكم » إشعار بأن فى الرزق تكملة لذواتهم
 و مصيرا إلى أن يعود بالجزاء^٢ منهم .

و قد وصف الرب فى هذه الآية بموصولين ذكر صلة^٥ الثانى بلفظ

(١) فى م و مد و ظ : الثمر .

(٢) وقع فى ظ : للدأوة - كذا .

(٣) من ظ ، و فى الأصل و م و مد : الجزء .

(٤) قال : أبو حيان الأندلسى : ثم إنه تعالى لما عرفهم أنه خالقهم أخبرهم أنه جعل
 لهم مكانا يستقرون عليه إذ كانت حكمته اقتضت ذلك فيستقرون فيه جلوسا و نوما
 و تصرفا فى معائشهم و جعل منه سهلا للقرار و الزرع و وعرا للاعتصام و جبالا
 لسكون الأرض عن الاضطراب ، ثم لما من عليهم بالمستقر أخبرهم بجعل ما يقينهم
 و يظلمهم و جعله كالخيمة المضروبة عليهم و أشهدهم فيها من غرائب الحكمة بأن
 أمسكها فوقهم بلا عمد و لا طنب لتهتدى عقولهم أنها ليست بما يدخل تحت مقدور
 البشر ، ثم نبههم على النعمة العظمى و هى إزوال المطر الذى هو مادة الحياة
 و سبب اهتزاز الأرض بالنبات و أجناس الثمرات .

(٥) فى ظ : صفة .

المجل، لأن حال القوام مرتب على حال الخلق ومصير منه، فلا يشك
 ذو عقل في استحقاق الانقياد لمن تولى خلقه وأقام تركيبه؛ ولا يشك
 ذو حس / إذا تيقظ من نوم أو غفلة فوجد بساطا قد فرش له وخيمة / ٣٥
 قد ضربت عليه وعولج له طعام وشراب قدم له أن نفسه تنبعث بذاتها
 لتعظيم من فعل ذلك بها ولتقلد نعمته وإكباره؛ فلتنزىل هذه الدعوة هـ
 إلى هذا البيان الذى يضطر النفس إلى الإذعان ويدخل العلم بمقتضاها
 فى رتبة الضرورة والوجدان كانت هذه الدعوة دعوة عرية جارية على
 مقتضى أحوال العرب، لأن العرب لا تعدو بأنفسها العلم الضرورى وليس
 من شأنها تكلف الأفكار والتسبب إلى توائى العلوم النظرية المأخوذة
 من مقتضى الامارات والأدلة^٢، فعوملت بما جبلت عليه فتزول لها لتكون ١٠

(١) فى ظ: غريبة .

(٢) وفى ظ: تولد، وبهامشه: توائى، وفى م ومد: توائى - كذا .

(٣) قال أبو حيان الأندلسى: وقد تضمنت هاتان الآيتان من بدائع الصنعة
 ودقائق الحكمة وظهور البراهين ما اقتضى تعالى أنه المنفرد بالإيجاد المتكفل
 للعباد دون غيره من الأنداد التى لا تخلق ولا ترزق ولا لها نفع ولا ضرر إلا الله
 الخلق والأمر. قال البيضاوى: وأعلم أن مضمون الآيتين هو الأمر بعبادة
 الله تعالى، والنهى عن الإشراك به، والإشارة إلى ما هو العلة والمقتضى؛ وبأنه
 أنه رتب الأمر بالعبادة على صفة الربوبية إشعاراً بأنها العلة لوجوبها، ثم بين
 ربوبيته بأنه خالقهم وخالق أصولهم وما يحتاجون إليه فى معاشهم من المقتلة
 والمظلة والمطاعم والملابس، فإن الثمرة أعم من المطعوم والملبوس، والرزق
 أعم من المأكول والمشروب .

نقلتها من فطرة إلى فطرة ومن علم وجداني إلى علم وجداني علىّ لحفظ
عليها رتبة الإعراب والبيان بأن لا يتسبب لها إلى دخول ريب في علومها،
لأن كل علم مكتسب يتكلف التسبب له بآيات وعلامات ودلائل
تبعد من الحس وأوائل هجوم العقل تتعارض عليه الأدلة ويعتاده
هـ الريب، فحفظت هذه الدعوة العرية عن التكلف وأجريت على ما أحكمه
صدر السورة في قوله تعالى « لا ريب فيه » .

واعلم أن حال المخلوق في رزقه محاذي به حاله في كونه، فيعلم
بالاعتبار والتناسب الذي شأنه أن تتعلم من جهته المجهولات أن الماء
بزر ٣ كون الإنسان كما أن الماء أصل رزقه، ولذلك قال عليه السلام
١٠ لمن سأله ممن هو فلم يرد أن يعين له نفسه : نحن من ماء . ويعلم كذلك

(١) في م : محرم .

(٢) في م : مجازي .

(٣) في ظ : بزُرْ - كذا .

(٤) قال البيضاوي : ثم لما كانت هذه أمور لا يقدر عليها أحد غيره شاهدة على
وحدانيته رتب عليها النهي عن الإشراك به ولعله سبحانه وتعالى أراد من
الآية الأخيرة مع ما دل عليه الظاهر وسبق فيه الكلام الإشارة إلى تفصيل خلق
الإنسان وما أفاض عليه من المعاني والصفات على طريقة التمثيل، فمثل البدن
بالأرض والنفس بالسما والعقل بالماء وما أفاض عليه من الفضائل العملية
والنظرية المحصاة بوساطة استعمال العقل وللحواس وازدواج القوى النفسانية
والبدنية بالثمرات المتولدة من ازدواج القوى الساوية الفاعلية والأرضية
المنفعلة بقدرة الفاعل المختار، فان لكل آية ظهرا وبطنا ولكل حد مطالعا -
انتهى الكلام .

أيضا أن للأرض والسماء مدخلا في أمشاج الإنسان رتب عليه مدخلها في كون رزقه ، وفي ذكر الأرض معرفة أخذ للأرض إلى نهايتها وكماها ، ولذلك قال عليه السلام : من اغتصب شبرا من أرض طوقه من سبع أرضين ، وكذلك ذكر السماء أخذ لها إلى نهايتها وكماها ؛ وقدم الأرض لأن نظر النفوس إلى ما تحتها أسبق لها من نظرها إلى ما علا ه عليها . ثم قال : ولوضوح آية الربوبية تقلدها الأكثر وإنما توقفوا في الرسالة ولذلك وصل ذكر الرسالة بالتهديد - انتهى .

ولما 'أمر بعبادته و' ذكرهم سبحانه بما يعلمون ' أنه فاعله وحده حسن النهي عن أن يشرك به مالا أثر له في شيء من ' ذلك بقاء التسبب ' عن الأمرين كليهما فقال معبرا بالجلالة على ما هو الالقي بالتوبيخ على ١٠ تأله الغير ' فلا تجعلوا لله ' أي مع إحاطته بصفات ' الكمال . ' يجوز أن ' ١

(١ - ١) ليس في ظ . (٢) في ظ : تعلمون .

(٣) ليس في ظ . (٤) في مد و ظ : السبب .

(٥ - ٥) في ظ : فقال .

(٦) قال على المهامى : « فلا تجعلوا لله اندادا » أي أمثالا في استحقاق العبادة فضلا عن الاشتراك في الإلهية أو الصفات الكمالية . وقال عبد الله البيضاوي : والفاء للسببية أدخلت عليه لتضمن المبتداء معنى الشرط ، والمعنى من حاكم بهذه النعم الجسام والآيات العظام ينبغي أن لا يشرك به - وقال : « فلا تجعلوا » متعلق بعبدوا على أنه نهى معطوف عليه أو نفى منصوب بإضمار أن جواب له .

(٧) في مد : بجميع صفات .

(٨ - ٨) ليست في م و ظ .

'يكون مسيبا عن التقوى المترجاة فتكون لانا فية و الفعل منصوب'
 'اند ادا' أي على حسب زعمكم أنها تفعل ما تريدون'. قال الحرالي :
 جمع ند ٣ وهو المقاوم في صفة القيام و الدوام ، و عبر بالجعل لأن بالجعل
 والمصير من حال إلى حال أدنى منها ترين الغفلة على القلوب ، حتى
 ٥ لا تشهد في النعم و النقم إلا الخلق من ملك أو ذى إمرة أو من أي
 ذى يدعليا كان ، و لما شهدوا ذلك منهم تعلق بهم رجاؤهم و خوفهم
 و عاقبهم ربهم على ذلك بأيديهم فاشتد داعى رجائهم لهم و سائق خوفهم
 منهم فقتلوا لهم و خضعوا ، فصاروا بذلك عبدة الطاغوت و جعلوهم
 لله أندادا - انتهى . و ما أحسن قوله في تأنيبهم و تنبيههم على ما أزرأ
 ١٠ بأنفسهم و اتم تعلمون ، أي 'و الحال' أنكم 'ذوو علم' على ما تزعمون'

(١-١) ليست في م و ظ .

(٢-٢) ليس في ظ .

(٣) و الند المثل المادى قال جرير شعرا :

أنيما تجعلون إلى ندا و ما تيم لذي حسب نديد

من نندودا إذا نفر و ناددت الرجل خالفته ، خص بالمخالف المائل في الذات
 كما خص المساوى للمائل في القدر و تسمية ما يعبده المشركون من دون الله أندادا
 و ما زعموا أنها تساويه في ذاته و صفاته إلا أنها تخالفه في أفعاله لأنهم لما تركوا
 عبادته إلى عبادتها و سموها آلهة شابهت حالهم حال من يعتقد أنها ذوات واجبة
 بالغات قادرة على أن تدفع عنهم بأس الله و تمنحهم ما لم يرد الله بهم من خير فتحكم
 بهم و شنع عليهم بأن جعلوا لله أندادا لمن يمتنع أن يكون له ند .

(٤) في الأصل : عبد - كذا .

(٥) و في تفسير البيضاوى : أي و حالكم أنكم من أهل العلم والنظر وإصابة الرأي ، =

فانه يلوح إلى أن من أشرك به مع قيام هذه الأدلة لم يكن ممن يصح منه العلم فكان في عداد البهائم . ' وفيه كما ' قال الحرالي إعلام بظهور آيات ما يمنع جعل الند لما يشاهد أن جميع الخلق أدانهم وأعلام مقامون من السماء ' وفي الأرض ومن الماء ، فمن جعل الله ندا بما حوته السماء ' والأرض واستمد من الماء فقد خالف العلم الضروري الذي ه به ' تقلد التذلل للربوبية في نفسه فان يحكم بذلك على غيره بما حاله كحاله أحق في العلم - انتهى . وفي تعقيها لما قبلها غاية التنكيت ٣ على = فلونألمتم أدنى تأمل اضطر عقلكم إلى إثبات موجد الممكنات ، متفرد بوجوب الذات ، متعال عن مشابهة المخلوقات .

وقال على الهائمي ، « وانتم تعلمون » أنه لم يخلقكم ولا من قبلكم ولا السماء ولا الأرض ولا أنزل الماء ولا أخرج الثمرات ، وهذا هو الإسلام الذي يقتضيه المطر مع لواحقه ولم يمنع طاعة الغير إذ هي امتثال أمر من له الأمر كالرسول والحاكم ، بخلاف العبادة فانها غاية التذلل فلا يستحقها إلا من له غاية العظمة .

وفي البحر المحيط لأبي حيان : « فلا تجعلوا لله أندادا » ظاهره أنه نهى عن اتخاذ الأنداد ، وسموا أندادا على جهة المجاز من حيث أشركوهم معه تعالى التسمية بالإلهية والعبادة صورة لا حقيقة لأنهم لم يكونوا يعبدونهم لذواتهم بل للتقرب إلى الله . « وانتم تعلمون » جملة حالية وفيها من التحريك إلى ترك الأنداد وإفراد الله بالوحدانية ما لا يخفى . (٦) في مد : ذو ، وفي م : ذوا .

(١ - ١) ليست في ظ .

(٢) ليس في م .

(٣) من ظ ، وفي الأصل ومد : التنكيت ، وفي م : التنكيب .

من ترك هذا القادر على كل شيء و عبد ما لا يقدر على شيء .
 وهذه الآية من المحكم الذي اتفقت عليه الشرائع و اجتمعت عليه
 الكتب ، و هو عمود الخشوع ، / و عليه مدار الذل و الخضوع . قال
 الإمام أبو الحسن الحرالي في العروة : وجه إنزال هذا الحرف تحقيق
 ه اتصاف العبد بما هو اللائق به في صدق وجهته إلى الحق بانقطاعه عن
 نفسه و براءته منها و التجائه إلى ربه استسلاما ، و جهده في خدمته إكبارا
 و استناده ' إليه اتكالا ، و سكونه له طمأنينة ' بيايتها النفس المطمئنة .
 ارجعى الى ربك راضية مرضية ه ٣ ، و تؤكد تحلى العبد بمستحق أوصافه
 لقراءة ' هذا الحرف و العمل به بحسب براءته من التعرض انظيره المتشابه ،
 ١٠ لأن اتباع المتشابه زيغ لقصور العقل و الفهم عن نيله ، و وجوب
 الاقتصار على الإيمان به من غير موازنة بين ما خاطب الله به عباده للتعرف
 و بين ما جعله للعبد للاعتبار ، سبحانه من لم يجعل سبيلا إلى معرفته
 إلا بالعجز عن معرفته .

و جامع منزل المحكم ما افتتح به التنزيل في قوله تعالى ' اقرا باسم
 ١٥ ربك ' ، الآيات ، و ما قدم في الترتيب في قوله تعالى ' بيايتها الناس

(١) في ظ ، لهذا .

(٢) وفي م : استناده .

(٣) سورة ٨٩ آية ٢٧ و ٢٨ .

(٤) في مد و ظ : بقراءة .

(٥) سورة ٩٦ آية ١ .

اعبدوا ربكم - إلى ما ينظم بذلك من ذكر عبادة القلب التي هي المعرفة
 وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون^١، فليكن أول ما تدعوهم إليه
 عبادة الله فاذا عرفوا الله، ومن^٢ ذكر عبادة النفس التي هي الإجمال في
 الصبر وحسن الجزاء وما صبر نفسك مع الذين يدعون ربهم^٣، وما يدرون^٤
 بالحسنة السيئة^٥، الذين هم في صلاتهم خاشعون^٦، لو خشع قلب هذا
 لخشعت جوارحه إلى سائر أحوال العبد التي يتحقق بها في حال الوجهة
 إلى الرب، وما تقدم من حرق الحلال والحرام لإصلاح الدنيا، وحرق
 الأمر والنهي لإصلاح العقبي معاملة كتابه، والعمل بهذا الحرف اغتباط
 بالرق وعباد^٧ من العتق^٨، فلذلك هو أول الاختصاص ومبدأ الاصطفاء
 وإفراد موالاة الله وحده من غير شرك^٩ في نفس ولا غير، ولذلك ١٠
 بدئ بتزييه النبي العبد صلى الله عليه وسلم، وهو ثمرة ما قبله وأساس

(١) سورة ٥١ آية ٥٦ .

(٢) زيد في م : هو .

(٣) سورة ١٨ آية ٢٨ .

(٤) وقع في م : يذرون - كذا مصحفا .

(٥) سورة ١٣ آية ٢٢ .

(٦) سورة ٢٣ آية ٢ .

(٧) من م ومد، وفي الأصل : عباد - كذا بالدال المهملة، وفي ظ : عباده .

(٨) في ظ : للعتق - مكان : من العتق .

(٩) ليس في م .

ما بعده، وهو للعبد أحوال محققة لا يشركه فيها ذورثاء ولا نفاق، ويشركه في الأربعة المتقدمة - يعنى النهى و الأمر والحلال والحرام، لأنها أعمال ظاهرة فيتحلى بها المنافق، وليس يمكنه مع ثقافته التحلى بالمعرفة، ولا بالخشوع ولا بالخضوع، ولا بالشوق للقاء ولا بالحزن في الإبطاء، ولا بالرضا بالقضاء، ولا بالحب الجاذب للبقاء في طريق الفناء، ولا بشيء مما شمله آيات المحكم المنزلة في القرآن وأحاديثه الواردة للبيان، وإنما يتصف بهذا الحرف عباد الرحمن و عباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا و اذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلما^١، الذين ليس للشيطان عليهم سلطان^٢ ان عبادى ليس لك عليهم سلطان^٣ .

١٠ ولما كان حرف المحكم مستحق العبد في حق الرب في فطرته التى فطر عليها كان ثابتا في كل ملة وفي كل شرعة فكانت آياته لذلك من أم الكتاب المشتمل على الأحرف الأربعة ، لتبدلها و تناسبها و تناسبها في الشرع و الملل و اختلافها على مذاهب الأئمة في الملة الجامعة، مع اتفاق الملل في الحرف المحكم فهو أمها و قيامها الثابت حال ١٥ تبدلها و هو حرف الهدى الذى يهدى به الله من يشاء، و قرأته العملة به هم المهتدون أهل السنة و الجماعة ، كما أن المتبعين لحرف المتشابه هم المتفرقون في الملل و هم أهل البدع و الأهواء المشتغلون بما لا يعينهم ،

(١) من م و مد و ظ، وفي الأصل: الجاذب - بالدال المهملة كذا .

(٢) سورة ٢٥ آية ٦٣ .

(٣) سورة ١٥ آية ٤٢ و سورة ١٧ آية ٦٥ .

وبهذا الحرف المتشابه يضل الله من يشاء؛ فحرف المحكم للاجتماع
والهدى، وحرف المتشابه للاقتراق والضلال - والله يقول الحق وهو
يهدى السبيل .

ثم قال : اعلم أن قراءة الأحرف الماضية الأربعة هو حظ العامة
من الأمة العاملين لربهم على الجزاء المقارضين له على المضاعفة ، وقراءة ه
هذا الحرف ' تماما هو حظ ' المتحققين بالعبودية المتعبدین بالأحوال
الصادقة المشفقين من وهم المعاملة ، لشعورهم أن العبد لسيدته مصرف فيما
شاء وكيف شاء ، ليس له في نفسه حق ولا حكم ، ولا حجة له على سيده
فيما أقامه فيه^٢ من صورة سعادة أو شقاوة^٣ في أي صورة ما شاء ركبك^٤ ،
« على أن نبدل أمثالكم / وننشئكم في ما لا تعلمون »^٥ .

١٠ / ٣٧

والذي تحصل^٦ به قراءة هذا الحرف إما من جهة القلب فالمعرفة بعبودية
الخلق للحق رقّ خلق و رزق و تصريف فيما شاء مما بينه وبين ربه و مما بينه
وبين نفسه و مما بينه وبين أمثاله من سائر العباد ، لا يملك لنفسه ضراً ولا
نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، ولا يأخذ إلا ما أعطاه سيده ، ولا يتقى

(١) زيد في الأصل فوقع بين السطرين : أي المحكم .

(٢) في ظ : حرف .

(٣) ليس في م .

(٤) سورة ٨٢ آية ٨ .

(٥) سورة ٥٦ آية ٦٣ .

(٦) في م : يحصل .

إلما وقاه سيده، ولا يكشف 'السوء عنه' الا هو، فيسلم له مقاليد أمره
 في ظاهره وباطنه، وذلك هو الدين عند الله الذي لا يقبل سواه، ان الدين
 عند الله الاسلام^١، و من يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه^٢، وهو
 دين النبي العبد، وما يتحقق للعبد من ذلك عن اعتبار العقل و خلوص
 القلب هي الملة الخفيفة ملة النبي الخليل - هذا من جهة القلب؛ وإما من
 جهة حال النفس فجميع أحوال العبد القن المعرق في الملك: إنما أنا عبد
 آكل مثل ما يأكل العبد؛ و جماع ذلك وأصله الذل انكساراً و الذل
 عطفاً و البراءة من الترفع و الفخر على سائر الخلق و التحقق بالضعفة
 دونهم على وصف النفس، بذلك ينتهي حسن التخلق^٣ مع الخلق و صدق
 ١٠. التبعد للحق؛ وإما من جهة العمل فتصرف الجوارح و إسلامها^٤ لله قولاً
 و فعلاً و بذلاً، و مساملة^٥ الخلق لساناً و يداً، و هو تمام الإسلام^٦ و ثبته،
 لا يكتب^٧ أحدكم في المسلمين حتى سلم^٨ الناس من لسانه و يده، و يخص

(١-١) وفي ظ : عنه سوء .

(٢) سورة ٣ آية ١٩ .

(٣) سورة ٣ آية ٨٥ .

(٤) من مد و ظ ، وفي الأصل و م : او .

(٥) في ظ : الخلق .

(٦) في م : استلامها .

(٧) في ظ : مساملة .

(٨) زيد في ظ : لا .

(٩) من م و مد و ظ ، وفي الأصل : لا تكتب .

(١٠) في م : يسلم .

الهيئة من ذلك ما هو أولى بهيئات العبيد كالذى بنيت عليه هيئة الصلاة من الإطراق فى القيام ووضع اليمنى على اليسرى بحذاء الصدر هيئة العبد المتأدب المنتظر لما لا يدرى خبره من أمر سيده و كهيئة الجلوس فيها الذى هو جلوس العبيد، كذلك كان صلى الله عليه وسلم يجلس لطعامه ليستوى حال تعبده فى أمر دنياه وأخراه ويقول: إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد، ويؤثر جميع ما هو هيئة العبيد فى تعبده ومطعمه ومشربه وملبسه ومركبه وظغنه وإقامته « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله »، فهذه الأمور من تحقق العبودية للقلب وذل النفس وانكسار الجوارح تحصل قراءة حرف المحكم والله الولى الحميد - انتهى .

ولما ثبتت هذه الأدلة فوجب امثال ما دعت إليه ولم يبق لمتمنت ١٠ شبهة إلا أن يقول: لا أفعل حتى أعلم أن هذا الكتاب الذى تقدم أنه الهدى كلام الله، قال مينا إنه^١ من عنده نظما كما كان من عنده معنى محققا ما ختم به التى قبلها من أن من توقف عما دعا إليه من التوحيد وغيره لا علم له بوجه، وأتى بأداة الشك سبحانه مع علمه بحالهم تنبيها على أنه من العبيد جدا أن يحزم بشكهم بعد هذا البيان « وان » أى ١٥ فان كنتم من ذوى البصائر الصافية والضهار النيرة علمتم بحقية هذه المعانى وجلالة هذه الأساليب وجزالة تلك التراكيب أن هذا

(١) سورة ٢ آية ٢١ .

(٢) من مد، وفى الأصل وم وظ : لانه .

كلامى ، فادرتم إلى امثال ما أمر و الانتهاء عما عنه زجر . و ان كنتم
فى ريب ، أى ' شك محيط بكم ' من الكتاب ٣ الذى قلت - و من أصدق
منى قىلا - إنه لا ريب فيه . .

(١) قال البيضاوى فى تفسيره : لما قرر وحدانيته و بين الطريق الموصل إلى العلم
بها ذكر عقبيه ما هو الحجة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن المعجز
بفصاحته التى بذت فصاحة كل منطق و إلغامه من طولب بمعارضته من مصافع
الخطباء من العرب العرباء مع كثرتهم و إفراطهم فى المضادة و المضارة
و تهالكهم على المعازة و المعارضة ، و عرف ما يتعارف به إعجازه و يتيقن أنه من
عند الله كما يدعيه . و قال أبو حيان فى تفسيره المسمى بالبحر المحيط : و مناسبة
هذه الآية لما قبلها أنه لما احتج تعالى عليهم بما يثبت الوجدانية و يبطل الإشراك
و عرفهم أن من جعل لله شريكا فهو بمعزل من العلم و التمييز أخذ يحتج على
من شك فى النبوة بما يزيل شبهته و هو كون القرآن معجزة و بين لهم كيف
يعلمون أنه من عند الله أم من عنده بأن يأتوهم و من يستعينون به لسورة
هذا و هم الفصحاء البلقاء المجيدون حوك الكلام من النثار و النظام و المتقلبون
فى أفانين البيان و المشهود لهم فى ذلك بالإحسان - انتهى كلامه .

(٢ - ٢) ليست فى ظ .

(٣) قال المهاشمى : يشير إلى أنه لا ينبغي أن يرتاب فيه لكونه محض الحكمة البالغة ،
فان فرض فلا ينبغي أن يدوم لوجود ما يزيله لحقه المضى ، فان دام فلا ينبغي أن
يحيط بالجوانب إحاطة الظرف بالمظروف لظهور محاسنه ، فان كان قنائه أن
يكون نوعا أو فردا منه ، فان كنتم فيه مع أنا جعلناه معجزا حال تفرقه فى
الإنزال لخال الاجتماع أشد إعجازا و دل إعجازه على أنه مقام عظمتنا و لا يبعد لكون
المنزل عليه عبدا منزلا إليه لغاية كماله « و ان كنتم فى ريب منه فاتوا بسورة » .

و أشار هنا أيضا إلى عظمته وعظمة المنزل عليه بالنون 'التفتاتا من الغيبة إلى التكلم' فقال « بما نزلنا »^١ قال الحرالي : من التنزيل وهو التقريب للفهم بتفصيل و ترجمة ونحو ذلك - انتهى . « على عبدنا »^٢ أى الخالص ' لنا الذى لم يتعبد لغيرنا قط » ، فلذلك استحق الاختصاص دون عظماء القريتين وغيرهم ، فارتبتم فى أنه كلامنا نزل بأمرنا وزعتم أن عبدنا ه محمدا أتى به من عنده لتوهمكم أن^٣ فيما سمعتم^٤ من الكلام شيئا^٥ مثله

(١-١) ليست فى ظ .

(٢) قال أبو البركات النسفى : وقيل « نزلنا » دون أنزلنا لأن المراد به النزول على سبيل التدرج والتنجيم وهو من مجازه لمكان التحدى ، وذلك أنهم كانوا يقولون : لو كان هذا من عند الله لم ينزل هكذا نجوما سورة بعد سورة وآيات غب آيات على حسب النوازل وعلى سنن ما نرى عليه أهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفردا حيننا حيننا شيئا فشيئا ، لا يأتى الناظم ديوان شعره دفعة ولا يرمى الناثر بخطبته ضربة ، فلو أنزل الله لأنزل به جملة ؛ قال الله تعالى « وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة » ف قيل إن ارتبتم فى هذا الذى هكذا على تدرج « فاتوا بسورة » .

(٣) والعبد اسم للملوك من جنس العقلاء ، والملوك موجود قهرا بالاستيلاء .
(٤) وفى البيضاوى : وأضاف العبد إلى نفسه تنويها بذكره وتنبيها على أنه مختص به منقاد لحكمه ، وقرئ « عبادنا » يريد محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته - انتهى كلامه .

(٥) ليس فى مد .

(٦) فى م : أى .

(٧-٧) فى ظ : شيئا من الكلام .

١ 'لأجل الإتيان به منجما أو غير ذلك من أحواله' .
 ٢ 'فانوا ، أى على سبيل التنجيم' أو غيره^٢ ، قال الحرالى : الآتى
 بالامر^٣ يكون عن^٤ مكنة وقوة « بسورة »^٥ أى نجم واحد . قال
 الحرالى : السورة^٦ تمام جملة من المسموع يحيط بمعنى تام بمنزلة إحاطة
 ٥ السور بالمدينة - انتهى .^٧ و تفصيل القرآن إلى سور وآيات ، لأن الشئ
 إذا كان جنسا^٨ /^٩ وجعلت له أنواع^{١٠} واشتملت أنواعه على أصناف كان
 أحسن وأخف لشانه وأنبأ^{١١} ولا سيما إذا^{١٢} تلاحت الأشكال^{١٣} بغرابة

/٣٨

(١ - ١) ليست فى ظ .

(٢) فى م : التنجز .

(٣) من « اى على » إلى هنا سقط من ظ .

(٤) فى ظ : بالامور .

(٥) فى م : على .

(٦) قال البيضاوى : السورة الطائفة من القرآن المترجمة التى أقلها ثلاث آيات ،
 من سور المدينة لأنها محيطة بطائفة من القرآن أو محتوية على أنواع من العلم
 احتواء سور المدينة على ما فيها .

(٧) سقطت العبارة من هنا إلى « وغير ذلك » من ظ .

(٨) قال البيضاوى : والحكمة فى تقطيع القرآن سورا وافرادا لأنواع وتلاحق
 الأشكال وتجاوب النظم وتنشيط القارئ وتسهيل الحفظ والترغيب فيه ، فانه
 إذا ختم سورة نفّس ذلك منه فعظم ذلك عنده وابتهج به ؛ إلى غيرها
 من الفوائد - انتهى .

(٩) فى م : أنبل .

(١٠ - ١١) فى م : تلا حقيقة الاشكال .

الانتظام ، وتجاوبت النظائر بحسن الالتيام ، وتعانقت الأمثال بالتشابه في تمام الأحكام وجمال الأحكام ، وذلك أيضا أنشط للقارئ وأعظم عنده لما يأخذه منه مسمى بآيات معدودة أو سورة معلومة وغير ذلك . من مثله ، أى من الكلام الذى يمكنكم أن تدعوا أنه مثل ما نزلنا ' كما قال . قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن ه لا ياتون بمثله ' ، فان عبدنا منكم ٣ ونشأين ٢ أظهركم ، فهو لا يقدر على أن يأتى بما لا تقدرون على مثله إلا بتأييد منا .

ولما كانوا يستقبحون الكذب قال « وادعوا شهداءكم » ، أى من تقدرون على دعائه من الموجودين بحضرتكم في بلدكم أروما قاربها ،

(١) قال أبو حيان : وفي التثنية على كون الضمير على المنزل أفعال : الأول من مثله في حسن النظم و بديع الرصف وعجيب السر و غرابة الأسلوب وإيجازه وإتقان معانيه ، الثانى من مثله في غيوبة من إخباره بما كان وبما يكون - ومن أراد الاطلاع على جميع الأفعال فليطلب من البحر المحيط ج ١ ص ١٠٥ .

(٢) سورة ١٧ آية ٨٨ .

(٣-٢) في م : لنشأين - كذا .

(٤) قال المصنف : أى من يشهد لكم ، فالعاقل لا يرضى لنفسه أن يشهد بما يظهر اختلاله . وقال النسفى : جمع شهيد بمعنى الحاضر والقائم بالشهادة . وقال البيضاوى : والرد إلى المنزل أوجه لأنه المطابق لقوله « فاتوا بسورة من مثله » ولسائر آيات التحدى ، ولأن الكلام فيه لافى المنزل عليه ، فحقه أن لا ينفك عنه ليتسقى الترتيب والنظم ، ولأن رده إلى عبدنا يؤهم إمكان صدوره ممن لم يكن على صفته ولا يلائمه قوله تعالى « وادعوا شهداءكم » فانه أمر بان يستعينوا بكل من ينصرهم ويعينهم - انتهى .

(٥) في ظ : يقدرون .

و الشهيد كما قال الحرالى من يكثر الحضور لديه و استبصاره فيما حضره - انتهى .

« من دون الله ، أى لينظروا ' بين الكلايين فيشهدوا ' بما تؤديهم ٣ إليه معرفتهم من ' المماثلة أو المباينة فيزول الريب و يظهر إلى الشهادة الغيب أو ليعينوكم على الإتيان بمثل القطعة المحيطة التى تريدون معارضتها .
٥ قال الحرالى : و الدون * منزلة القريب فالقريب من جهة سفلى ، و قد عقلت العرب أن اسم الله لا يطلق على ما ناله إدراك العقل فكيف بالحس ! فقد تحققوا أن كل ما أدركته حواسهم و نالته عقولهم فانه من دون الله - انتهى .

(١) فى ظ : فينظروا .

(٢) فى م : فشهدوا .

(٣) فى م : يوديه .

(٤) ليس فى م .

(هـ) قال البيضاوى ، و معنى دون أدنى مكان من الشئ ، و منه تدوين الكتب لأنه إدناء البعض من البعض ، و دونك هذا أى خذ من أدنى مكان منك ، ثم استعير للرتب فقل ، زيد دون عمرو ، أى فى الشرف ، و منه الشئ . الدون ثم اتسع فيه فاستعمل فى كل تجاوز حد إلى حد و تخطى أمر إلى آخر ، قال الله تعالى « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين » أى لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين إلى ولاية الكافرين ، و من متعلقه بادعوا و المعنى ادعوا المعارضة من حضركم أو رجوتهم معونته من إنسكم و جنكم و آلهتكم غير الله فانه لا يقدر على أن يأتى بمثله إلا الله ، أو ادعوا من دون الله شهداء يشهدون لكم بأن ما أتيتكم به مثله و لا تستشهدوا بالله فانه من ديدن المبهوت العاجز عن إقامة الحجة .

ففي التعبير به^١ تويخ لهم بأنهم لم يرضوا بشهادته سبحانه .
 و حكمة الإتيان بمن التبعية في هذه السورة دون بقية القرآن أنه
 سبحانه لما فرض لهم فيها الريب الذي يلزم منه زعمهم أن يكونوا اطلعوا له
 على مثل أو سمعوا أن أحدا عثر له على شيء اقتضى الحال الإتيان بها
 ليفيد أن المطلوب منهم في التحدى قطعة من ذلك المثل الذي ادعوه^٥
 حكمة^٦ المعاني متلائمة المباني منتظم أولها بآخرها كسور^٣ المدينة في
 صحة الانتظام و حسن الالتيام و الإحاطة بالمباني^٦ التي هي كالمعاني
 والتقاء^٥ الطرفين حتى صار بحيث لا يدري أوله من آخره سواء
 كانت القطعة المأني بها تبارى آية أو ما فوقها لأن آيات القرآن
 كسورة^٦ يعرف من ابتدائها ختامها و يهdy إلى افتتاحها تمامها، فالتحدى^{١٠}
 هنا منصرف^٧ إلى الآية بالنظر الأول و إلى ما فوقها بالنظر الثاني .
 و المراد بالسورة هنا مفهومها^٨ اللغوي، لأنها من المثل^٩ المفروض

(١) في ظ : بها .

(٢) وفي ظ : حكية .

(٣) في ظ : كسورة .

(٤) في ظ : الميادى .

(٥) زيد في ظ : من .

(٦) من مد و ظ ، وفي الأصل و م : كسوره .

(٧) في ظ : صرف .

(٨) في ظ : مفهومها - كذا .

(٩) قال المهاشمي : « من مثله » أى مما يماثله بعض الماثلة .

وهو لا وجود له في الخارج حتى يكون لقطعه اصطلاح في الاسماء معروف ،
ولأن معرفة المعنى الاصطلاحي كانت^١ مخصوصا بالمصدقين ولو أريد
التحدى بسورة من القرآن لقليل : فاثبتوا بمثل سورة منه ، ولما كان هذا
هو المراد قصرهم في الدعاء على من بحضرتهم^٢ من الشهداء و سيأتي إن شاء الله
٥ تعالى في سورة يونس عليه السلام و بقية السور المذكورة^٣ فيها هذا المعنى
ما يتم به هذا الكلام . و في قوله « ان كنتم صدقين » إيماء^٤ إلى كذبهم
في دعوى الشك فيه ، قال الحرالي : الصادق الذي يكون قول لسانه
و عمل^٥ جوارحه مطابقا لما احتوى عليه قلبه بما له حقيقة ثابتة بحسبه ،
و قال : اتسقت آية تنزيل الوحي بآية إنزال الرزق لما^٦ كان نزول ما نزل
١٠ على الرسول^٧ المخصص بذلك ينبغي اعتباره بمقابلة نزول الرزق ، لأنها
رزقان : أحدهما ظاهر يعم الكافر في نزوله ، و الآخر وهو الوحي رزق

(١) في النسخ كلها : كان - كذا .

(٢) من م و مد و ظ ، و في الأصل : محصرتهم .

(٣) من ظ ، و في الأصل و م و مد : المذكور .

(٤) قال المنهائي : « ان كنتم صدقين » في أن للريب دخلا فيه . وقال البيضاوي :

انه من كلام البشر ، والصدق الإخبار المطابق ، وقيل مع اعتقاد الخبر أنه كذلك

عن دلالة أو أمارة ، لأنه تعالى كذب المنافقين في قولهم « انك لرسول الله »

لما لم يعتقدوا مطابقتها . و في السراج المنير للشربيني الخطيب : « ان كنتم صدقين »

في أن محمدا صلى الله عليه وسلم يقول من تلقاء نفسه وأن آهتكم تشهد لكم بذلك .

(٥) في ظ : على .

(٦) في مد : كما .

(٧) ريد في مد : صلى الله عليه وسلم .

باطن يخص الخاصة بنزوله و يتعين له^١ أيهم آتتهم فطرة و أكملهم ذاتا؛
و لم يصلح أن يعم بنزول هذا الرزق الباطن كعموم الظاهر، فبطل
حكمة الاختصاص في الرزقين، فان نازعهم ريب في الاختصاص
يفرضون أنه عام فيحاولون معارضته، و كما أنهم يشهدون بتمكنهم من
الحس^٢ عند محاولته عمومهم فكذلك يجب أن يشهدوا بعمجزهم عن سورة ٥
من مثله تحقق اختصاص من نزل عليه به و أجرى ذكره باسم العبودية
إعلاما بوفائه بأنحاء التدلل^٣ و إظهارا لمزية انفرادة بذلك دونهم ليظهر به
سبب الاختصاص .

و انتظم النون في « نزلنا » من ينزل بالوحي من روح القدس

و الروح الأمين و نحو ذلك، لأنها تقتضى الاستتباع، و اقتضت النون ١٠

في لفظ « عبدنا » ما^٤ يظهره النبي صلى الله عليه و سلم لهم من / الانقياد ٣٩ /

و الاتباع و ما اقتضاه خلقه العظيم من خفض الجناح، حتى أنه يوافق

من وقع على وجهه من الصواب من أمته صلى الله عليه و سلم، و حتى

أنه يتصف بأوصاف العبد في أكله كما قال: آكل كما يأكل العبد انتهى .

و التحدى بسورة يشمل^٥ أقصر سورة كالكوثر و مثلها في التحدى ١٥

(١) في مد: لهم .

(٢) هكذا في الأصل و مد، و في م و ظ: الحسن .

(٣) من م و مد، و في الأصل و ظ: التدلل .

(٤) كرهه في ظ .

(٥) من م و مد و ظ، و في الأصل: تشمل .

آية مستقلة توازيها وآيات، كما قاله الإمام جلال الدين محمد بن أحمد المحلى فى شرح جمع الجوامع، و سبقه الإمام^٢ شمس الدين محمد بن عبد الدائم البرماوى فنظمه فى القنية^٤ فى الأصول و نقله فى شرحها عن ظاهر كلام إمام الحرمين فى الشامل و عن كلام الفقهاء فى الصداق فيما لو أصدقها تعليم سورة فلقتها بعض آية، و سبقها العلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازانى فقال فى تلويحه على توضيح صدر الشريعة: المعجز هو السورة أو مقدارها^٥، هكذا ذكر الذين تكلموا فى الإعجاز من الأصوليين وغيرهم أن التحدى وقع بسورة من القرآن، و الصواب أنه إنما وقع بقطعة آية فما فوقها، لأن المراد بالسورة مفهومها اللغوى لا الاصطلاحى^٦ ١٠ كما تقدم بيانه .

و الحاصل أنه لما كان فى آيات المنافقين ذكر الأمثال و كانوا قد استغربوا بعض أمثال القرآن و جعلوها موضعا للشك من حيث كانت موضعا لليقين فقالوا: لو كان هذا من عند الله لما ذكر فيه أمثال هذه الأمثال، لأنه أعظم من أن يذكر ما^٧ دعاهم إلى المعارضة فى^٨ هذه السورة

(١) فى مد: قال .

(٢) زيد فى م: بن .

(٣) ليس فى ظ .

(٤) فى ط و مد: الفتية، و فى م: الغيبة .

(٥) فى م: مقداراً .

(٦) فى م: الاصطلاحى - كذا .

(٧) من م، و فى الأصل و مد وظ: يذكرها .

(٨) فى ظ: من .

المدنية بكل طريق^١ يمكنهم^٢ ، وأخبرهم بأنهم عاجزون عنها وأن عجزهم دائم^٣ تحقيقاً لأنهم في ذلك الحال معاندون لا شاكون .

ولما^٤ كان سبحانه عالماً بأن الانفس الآتية والآنوف الشائخة الحية التي^٥ قد لزمت شيئاً فمرت^٦ عليه حتى صار لها خلقاً يصعب عليها انفكاكها عنه ويعسر خلاصها منه عبر عن هذا^٧ الإخبار بالعجز^٨ مهدداً في سياق^٩ ملجئ إلى الإنصاف^{١٠} بالاعتراف أو تقطر القلوب بالعجز عن المطلوب بقوله تعالى : فان لم تفعلوا ، فأثى بأداة الشك تنفيساً لهم وتهكماً في نفس الأمر بهم واستجهاً لهم^{١١} ، ثم لم يتم^{١٢} ذلك التنفيس حتى ضربهم ضربة (١) في ظ : طرف .

(٢) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : دائماً .

(٣) قال أبو البركات النسفي في تفسيره ما نصه : لما أرشدهم إلى الجهة التي منها يتعرفون صدق النبي عليه السلام قال لهم : فإذا لم تعارضوه وبأن عجزكم ووجوب تصديقه قَامُوا وخافوا العذاب المعدلن كذب وعاند ، وفيه دليلان على إثبات النبوة : صحة كون التحدى به معجزاً ، والإخبار بأنهم لن يفعلوا ، وهو غيب لا يعلمه إلا الله ، ولما كان العجز عن المعارضة قبل التأمل كالمشكوك فيه لديهم لاتكالمهم على فصاحتهم واعتمادهم على بلاغتهم سيق الكلام معهم على حسب حساباتهم بغىء بأن الذي للشك دون إذا الذي للوجوب .

(٤) من م ومد و ظ ، وفي الأصل : الذي .

(٥) من م ومد و ظ ، وفي الأصل : فريت .

(٦ - ٧) وفي م : العجز بالاخبار - بالتقديم والتأخير .

(٧) من م ومد و ظ ، وفي الأصل : الاتصاف .

(٨) كذا بفتح الادغام ، وفي ظ : لم يتم .

فضمت ظهورهم وقطعت قلوبهم فقال لتكون الآية كافلة لصحة نسبة
النظم^٢ والمعنى آيد^٣ وآكد لادعائهم المقدرة^٤ بقوله تعالى^٥ ولن
تفعلوا^٦ فالزمهم الخزي بما حكم عليهم به من العجز، فلم يكن لهم فعل
إلا المبادرة إلى تصديقه بالكف، فكانوا كمن ألقم الحجر فلم يسه
إلا السكوت، واستمر ذلك التصديق لهم ولأمثالهم على وجه الدهر في
كل^٧ عصر ينادى مناديه^٨ فتخضع له الرقاب ويصدح مؤذنه فتكسر

(١) في مد: بصحة .

(٢) في الأصل: العظم .

(٣) في الأصل ومد: اليه، وفي م: اليد - كذا .

(٤) من هنا إلى « تعالى » ليست في ظ .

(٥) وفي م ومد: القدرة .

(٦ - ٧) ليس في م .

(٧) قال أبو حيان: وهذه الأقوال أعنى التوكيد والتأييد ونفى ما قرب أقاويل
التأخرين وإنما المرجوع في معاني هذه الحروف وتصرفاتها لأئمة العرب المقانع
الذين يرجع إلى أقاويلهم، قال سيبويه ولن نفى لقوله سيفعل، وقال: وتكون
لا نفيا لقوله تفعل ولم تفعل - انتهى كلامه، وقال البيضاوي: لما بين لهم ما
يتعرفون به أمر الرسول عليه الصلاة والسلام وما جاء به وميز لهم الحق عن
الباطل رتب عليه ما هو كالفداحة له: وهو انكم إذا اجتهدتم في معارضته وعجزتم
جميعا عن الإتيان بما يساويه أويديا ظهر أنه معجزو التصديق به واجب فآمنوا
به واتقوا عذاب المعدلن كذب - الخ .

(٨) من م ومد وظ، وفي الأصل: سل .

(٩) في ظ: منادية .

الرؤس، 'و التعبير' بالفعل الأعم من الإتيان أبلغ لأن نفيه^٣ نفي الأخص وزيادة . والفعل قال الحارلى ما ظهر عن داعية من الموقع كان عن علم أو غير علم لتدين كان أو لغيره^٤ كما تقدم مرارا^٥ - انتهى .

/ فقد ثبت أن هذا الكتاب الذى بين أنه الهادى إلى الصراط المستقيم
٤٠/ أعظم دليل على إفراده بالعبادة واختصاصه بالمراقبة التى أرشدنا إليها
بقوله « إياك نعبد^٦ وإياك نستعين^٧ » الآية بما ثبت فيه من أدلة التفرد
بالإلهية بما ثبت من عجزهم عن معارضته^٨ وعجز جميع العرب الذين كانوا
أفصح الخلق وكذا جميع من ولد فى بلادهم وانطبع بلسانهم من اليهود
و النصارى الذين لهم من الفصاحة^٩ والعلم ما هو مشهور فقد كان لليهود
من بنى إسرائيل الذين كانوا فى المدينة الشريفة وخيبر واليمن وغيرها، ١٠

(١) ليست العبارة من هنا الى « وزيادة » فى ظ .

(٢) قال البيضاوى: فعبّر عن الإتيان المكيف بالفعل الذى يعم الإتيان به وغيره
ليجاز أو نزل لازم الجزء منزله على سبيل الكناية تقريراً للكنى عنه و تهويلاً
لشان العناد وتصريحاً بالوعيد مع الإيجاز .

(٣) من م ومد، وفى الأصل: نفسه .

(٤) فى ظ: غيره .

(٥) سقطت العبارة من « كما » الى هنا من م ومد، ولفظ « مراد » فقط ليس فى ظ .

(٦ - ٧) ليست فى م ومد .

(٧) ليست العبارة من هنا الى « سائر البلدان » فى م و ظ .

(٨) من مد، وفى الأصل: النتيجة - كذا .

ومن دخل في دينهم من العرب من الفصاحة و البلاغة و العلم ما لا يحتاج
من طالع السيرة فيه إلى توقف^١، و كان^٢ النصارى من بني إسرائيل و من
دان دينهم من العرب و هم^٣ كثير كثرة قوم^٤ المنذر بن ماء السماء،
و ما قارب الشيء من عبد القيس و تنوخ و عامله و غسان كلهم فصحاء
بلغاء، و زاد كثير منهم على ذلك العلم و كان منهم الشعراء المبرزون؛
و مع ذلك فلم يقدر أحد منهم على طعن في هذا القرآن و لا عارضه
منهم إنسان إلا ما قاله مسيلة و الأسود العنسى^٥ فيما^٦ اقتضوا به و أكذبهم
الله تعالى^٧ فيه^٨ و سارت بفضائحهم الركبان فكانوا بها مثلاً في سائر البلدان .

(١) في مد : موقف .

(٢) في مد : كذا .

(٣ - ٤) في الأصل : كثير كسر قوم ، و في مد : كثير كقوم .

(٤) من مد ، و في الأصل : العنسى .

(٥) في مد : مما .

(٦) ليس في مد .

(٧) قال أبو حيان الأندلسي : و في قوله « ولن تفعلوا » إثارة لهممهم ليكون
عجزهم بعد ذلك أبلغ و أبدع ، و في ذلك دليلان على إثبات النبوة : أحدهما
صحة كون المتحدثي به معجزاً ، الثاني الإخبار بالغيب من أنهم لن يفعلوا ، و هذا
لا يعلمه إلا الله و يدل على ذلك أنهم لو عارضوه لتوفرت الدواعي على نقله خصوصاً
من الطاعنين عليه ، فإذا لم ينقل دل على أنه إخبار بالغيب و كان ذلك معجزة ؛
و أما ما أتى به مسيلة الكذاب في هذره و أبو الطيب المتنبي في عبره و نحوهما
فلم يقصدوا به المعارضة وإنما ادعوا أنه نزل عليهم وحي بذلك فأتوا من ذلك =

قال عمرو بن بحر الجاحظ « في كتاب الحجة في تثبيت خبر الواحد ،
 إن الله 'تبارك' وتعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم أكثر ما كانت
 العرب شاعرا وخطيبا وأحكم ما كانت لغة وأشد ما كانت عدة فدعا^١
 أنصاه وأدناها إلى توحيد الله و تصديق رسالته فدعاهم إلى حظهم^٢ بالحجة ،
 فلما قطع العذر وأزال الشبهة وصار الذي يمنعهم من الإقرار الهوى هـ
 والحية دون الجهل والحيرة حملهم على حظهم^٣ بالسيف ، فصب لهم
 الحرب و نصبوا له^٤ وقتل^٥ من عليتهم وأعلامهم وأعمامهم وبنى
 أعمامهم وقتلوا أعمامه وبنى أعمامه و عليه^٦ أصحابه وأعلام أهله ،
 وهو في ذلك يحتاج عليهم بالقرآن وغيره^٧ ويدعوهم صباحا^٨ ومساء

== باللفظ الغث والمعنى السخيف واللغة المهجنة والأسلوب الرذل والفقرة غير
 المتمكنة والمطلع المستعجب والمقطع المستوهن بحيث لو قرن ذلك بكلامهم في
 غير ما ادعوا أنه وحى كان بينهما من التفاوت في الفصاحة والتباين في البلاغة
 ما لا يخفى عن له يسير تميز في ذلك فكيف الجهادة النقاد والبلغاء الفصحاء
 فسلبهم الله فصاحتهم بادعائهم واقرائهم على الله الكذب - انتهى كلامه .

(١ - ١) ليس في ظ .

(٢) في ظ : وربما .

(٣) في الأصل : خطهم .

(٤) ليس في ظ .

(٥) في م و ظ : قيل - كذا ، ولا يتضح في مد .

(٦) في الأصل : عليه .

(٧) من م ومد و ظ ، وفي الأصل : غيرهم - كذا .

(٨) في م ومد و ظ : صباح .

إلى أن يعارضوه إن كان كاذبا بسورة^١ واحدة أو بآيات يسيرة ،
 فكلما ازداد تحديا^٢ لهم بها و تقريرا بعجزهم عنها تكشف من نقصهم
 ما كان مستورا و ظهر منه ما كان خفيا^٣ ،^٤ فحين لم يجدوا حيلة و لا حجة
 قالوا له : أنت تعرف من أخبار الأمم ما لا نعرف^٥ . فلذلك يمكنك
 ه ما لا يمكننا ؛ قال : فهاتوها مفتريات^٦ ، فلم يرم^٧ ذلك خطيب و لا طمع
 فيه شاعر و لا طبع فيه لتكلفه ، و لو تكلفه / لظهر ذلك ، و لو ظهر لوجد
 من يستجده^٨ و يحامى عليه^٩ و يكابر فيه و يزعم أنه قد عارض و قابل
 و ناقض ، فدل ذلك العاقل^{١٠} على عجز القوم مع كثرة كلامهم و اتساع
 لغتهم و سهولة ذلك عليهم و كثرة شعرائهم و كثرة من^{١١} هجاه منهم

/٤١

(١) العبارة من هنا إلى « بعزمهم » ليست في ظ .

(٢) من م و مد ، وفي الأصل : تحدنا .

(٣) من م و ظ ، و لا يتضح في مد ، وفي الأصل : خطيا .

(٤) العبارة من هنا إلى « ما » ليست في ظ .

(٥) في الأصل وم : لا تعرف ، و لا يتضح في مد ، وفي ظ : لا يعرف ، والظاهر

لا نعرف - بنون الجمع .

(٦) في م : مقترنات - كذا .

(٧) من م و مد و ظ ، وفي الأصل : فلم يدم .

(٨) في ظ : تستجده .

(٩) ليس في مد .

(١٠) كذا ، والظاهر : للعاقل .

(١١) من م و مد و ظ ، وفي الأصل : ما .

و عارض^١ شعراء أصحابه و خطباء أمته ، لأن سورة واحدة و آيات
يسيرة كانت أنقض^٢ لقوله ٣ و أفسد لآمره و أبلغ في تكذيبه و أسرع
في تفريق أتباعه من بذل النفوس و الخروج من الأوطان و إنفاق الحرائب ؛
و هذا من جليل التدبير الذى لا يخفى على من هو دون قريش و العرب
في العقل و الرأى بطبقات ، و لهم القصيدة^٤ العجيب و الرجز الفاخر^٥ .
و الخطب الطوال البليغة و القصار الموجزة ، و لهم الاشباع^٦ و المزدوج
و اللفظ المنثور ، ثم يتحدى به أقصاهم^٧ بعد أن ظهر^٨ عجز أدناهم ؛
فحال أكرمك^٩ الله أن يجتمع هؤلاء . كلهم على الغلط فى الأمر الظاهر

(١) قال أبو حيان: « فاتوا بسورة » طلب منهم الإتيان بمطلق سورة و هى القطعة
من القرآن التى أقلها ثلاث آيات فلم يقترح عليهم الإتيان بسورة طويلة فيتعننوا
فى ذلك بل سهل عليهم و أراح عليهم بطلب الإتيان بسورة ، و هذا هو غاية
التبكيك و التخجيل لهم ، فإذا كنتم لا تقدرون أنتم ولا معاضدكم بالإتيان
بسورة من مثله فكيف تزعمون أنه من جنس كلامكم و كيف يلحقكم فى ذلك
ارتياب أنه من عند الله - انتهى كلامه .

(٢) فى م : انقص - بالصاد المهملة .

(٣) فى م : لقومه .

(٤) فى م : القصيدة .

(٥) ليس فى ظ .

(٦) من م ، و لا يتضح فى مد ، و فى الأصل و ظ : الاشباع .

(٧) العبارة من هنا إلى « المكشوف » كررها ثانياً فى الأصل .

(٨) من ظ ، و فى الأصل و م : اظهر ، و لا يتضح فى مد .

(٩) جملة دعائية .

و الخطاء المكشوف البين مع التقريع بالنقص و التوقيف على العجز و هم^١
 أشد الخلق أفة و أكثرهم مفاخرة و الكلام سيد^٢ عليهم^٣ و قد احتاجوا
 إليه و الحاجة تبعث على الحيلة في الأمر الغامض فكيف بالظاهر !
 و كما أنه محال أن يطبقوا ثلاثاً و عشرين سنة على الغلط في الأمر الجليل^٤
 هـ . المنفعة فكذلك أيضاً محال أن يتركوه و هم يعرفونه و يحدون السيل إليه
 و هم يذلون^٥ أكثر منه - انتهى . ثبت بهذا عجزهم و خرس قطعاً إفصاحهم
 و رمزهم و طأطأ^٦ ذلاً^٧ كبرهم و عزمهم ، و كيف يمكن المخلوق مع تمكنه
 في سمات النقص و دركات الافتقار و الضعف معارضة من اختص بصفات

(١) قال البيضاوى : و في الآيتين ما يدل على النبوة من وجوه : الأول ما فيها
 من التحدى و التحريض على الجحد و بذل الوسع في المعارضة بالتقريع و التهديد
 و تعليق الوعيد على عدم الإتيان بما يعارض أقصر سورة من سور القرآن ثم انهم
 مع كثرتهم و اشتغالهم بالفصاحة و تهالكهم على المضادة لم يتصدوا للمعارضة
 و التجأوا إلى جلاء الوطن و بذل المهج ، و الثاني أنها تتضمن الإخبار عن الغيب
 على ما هو به فانهم لو عارضوه بشيء لامتنع خفاؤه عادة سيما و الطاعنون فيه
 أكثف من الذابين عنه في كل عصر ، و الثالث أنه عليه الصلاة والسلام لو شك
 في أمره لما دعاهم إلى المعارضة بهذه المبالغة مخافة أن يعارض فتدحض حجته -
 انتهى كلامه .

(٢) كذا في النسخ كلها ، ولكن الملائم هنا : سند .

(٣) في ظ و م و مد : عملهم .

(٤) كرده في الأصل ثانياً .

(٥) في ظ : يدلون - كذا بالمدال المهمة .

(٦) في م : دلا .

الكمال وتعالى عن الانداد^١ و الاشباه^٢ و الأشكال .

و قد اختلف الناس في سبب الإعجاز و أحسن ما وقفت عليه من ذلك

ما نقله الإمام بدر الدين الزركشى الشافعى في كتابه البرهان عن الإمام

أبى سليمان الخطابى - و قال : و إليه ذهب الأكثرون من علماء النظر -

أن وجه الإعجاز فيه ٣ من جهة ٣ البلاغة لكن صعب عليهم تفصيلها^٥ .

و وضعوا فيه إلى حكم الذوق^٥ ، قال^٦ : و التحقيق^٧ أن أجناس الكلام

/ مختلفة و مراتبها في درجات البيان متفاوتة ، فنما البليغ الرصين ٤٢ /

الجزل ، و منها الفصيح القريب السهل ، و منها الجائز الطلق الرسل ؛

(١) في الأصل : الاندلس - كذا .

(٢) ليس في م و مد و ظ .

(٣-٣) في الأصل مكرر .

(٤) ليس في م .

(٥) في م : الزوق - كذا بالزاي .

(٦) فوته في ظ : اى الخطابى .

(٧) و في مقدمة البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى : اختلفوا فيما به إعجاز القرآن ،

فن توغل في أساليب الفصاحة و أفانينها و توقل في معارف الآداب و قوانينها

أدرك بالوجدان أن القرآن أتى في غاية من الفصاحة لا يوصل إليها و نهاية من

البلاغة لا يمكن أن يحام عليها ، فعارضته عنده غير ممكن للبشر ، و لا داخله تحت

القدر ؛ و من لم يدرك هذا المدرك و لا سلك هذا المسلك رأى أنه من نمط كلام

العرب و أن مثله مقدور لمنشئ الخطب ، فاعجازه عنده إنما هو بصرف الله تعالى

إياهم عن معارضته و مناظلته و إن كانوا قادرين على مماثلته .

و هذه 'الاقسام' هي الكلام' الفاضل المحمود، فالقسم الاول أعلاه'
 و القسم ٢ الثاني أوسطه و القسم ٣ الثالث أدناه و أقربه؛ لحازت بلاغات
 القرآن من كل قسم من هذه الأقسام حصة و أخذت من كل نوع
 شعبة، فانظم لها بانتظام هذه الأوصاف نمط من الكلام يجمع صفى
 الفخامة و العذوبة، و هما على الانفراد فى نعتيهما كالمضادين لأن' العذوبة
 تاج السهولة و الجزالة و المتانة' يعالجان نوعا من الزعورة، فكان اجتماع
 الأمرين فى نظمه مع نبو كل واحد منهما عن' الآخر فضيلة خص بها
 القرآن لتكون^٦ آية بينة لئيه صلى الله عليه وسلم، وإنما تعذر على البشر
 جميعا ٣ الإتيان' بمثله لأمو، منها أن عليهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة
 العربية و أوضاعها التى هى ظروف المعانى، ولا تدرك أفهامهم جميع معانى
 الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ، ولا تكمل معرفتهم باستيفاء جميع
 وجوه النظم التى^٨ بها يكون اتلافها و ارتباط بعضها ببعض، فيتوصلوا

(١ - ١) فى م و مد و ظ : اقسام الكلام .

(٢) فى الأصل، و م و ظ : اعلاها، ولا يتضح فى مد .

(٣) ليس فى م و مد و ظ .

(٤) من م و مد و ظ، وفى الأصل : من .

(٥) من م و مد و ظ، وفى الأصل : المتانة - كذا .

(٦) فى م : على .

(٧) فى ظ و مد : ليكون .

(٨) من م و مد و ظ، وفى الأصل : الذى .

باختيار الأفضل من الأحسن من وجوها^١ إلى أن يأتوا بكلام مثله ،
وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة لفظ حامل ومعنى به قائم
ورباط^٢ لهما ناظم ؛ وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية
الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئا من الالفاظ أفصح ولا أجزل ولا
أعذب من ألفاظه ، ولا ترى نظما أحسن تأليفا^٣ وأشد تلاؤما وتشاكلا^٤ ه
من نظمه ؛ وأما معانيه فكل ذى لب يشهد له بالتقدم في أبوابه والترقى
إلى أعلى درجاته ، وقد توجد هذه الفضائل الثلاث على التفرق في أنواع
الكلام ، فاما أن يوجد مجموعها في نوع واحد منه فلم توجد إلا في كلام
العليم القدير ، فخرج من هذا أن^٥ القرآن إنما^٦ صار معجزا لأنه جاء بأفصح
الالفاظ في أحسن نظم التأليف ، مضمنا / أصح المعاني من توحيد الله ١٠ / ٤٣
تعالى وتنزيهه له في صفاته ، ودعاء إلى طاعته وبيان لطريق عبادته ، في
تحليل وتحريم وحظر وإباحة ، ومن وعظ وتقويم وأمر بمعروف
ونهي عن منكر ، وإرشاد إلى محاسن الأخلاق وزجر عن مساوئها ،
واضعا كل شيء منها موضعه الذى لا يرى شيء^٧ أولى منه ولا يتوهم

(١) في م : وجوها - كذا .

(٢) في ظ : ارتباط .

(٣) زيد في م : لا .

(٤) من م ومد و ظ ، وفي الأصل : يشكلا - كذا .

(٥) ليس في ظ .

(٦) من م ومد و ظ ، وفي الأصل : الا ، وهو محرف « انما » فصيح .

(٧) في ظ و م : شيئا .

في صورة العقل أمر أليق به منه ، مودعا أخبار القرون الماضية وما نزل
من مثلات الله بمن مضى وعاند منهم ، منبثا عن الكوائن المستقبلية في
الاعصار الآتية من الزمان ، جامعا في ذلك بين الحجة والمحتج له
والدليل والمدلول عليه ، ليكون ذلك أوكدا للزوم ما دعا إليه ، وأنبا
٥ عن وجوب ما أمر به ونهى عنه ، و معلوم أن الإتيان بمثل هذه الأمور
والجمع بين أشاتها حتى تنتظم وتسق أمر تعجز عنه قوى البشر ولا تبلغه
قدرتهم ؛ فانقطع الخلق دونه وعجزوا عن معارضته بمثله أو مناقضته في
شكله ، ثم صار المعاندون له يقولون مرة : إنه شعر - لما رأوه منظوما -
ومرة : إنه سحر - لما رأوه ' معجوزا عنه غير مقدور عليه ، وقد كانوا
١٠ يحدون له وقعا في القلوب وفزعا في النفوس يريهم^٣ ويحيرهم ، فلم يتمالكوا
أن يعترفوا به نوعا من الاعتراف ' ، ولذلك قالوا : إن له لحلاوة وإن عليه

(١) في ظ : رواه .

(٢) في ظ : موقعا .

(٣) في ظ : يريهم .

(٤) وفي البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي : فمن أدرك إعجازه فوفق أسلم بأول
سماع سمعه أبو ذر رضي الله عنه ، قرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من
أوائل فصات آيات فأسلم للوقت ، وخبره في إسلامه مشهور ، ومن أدرك
إعجازه وكفر عنادا عتبة بن ربيعة وكانت من عقلاء الكفار حتى كان يتوهم
أمية بن الصلت أنه هو يعنى عتبة يكون النبي المنبعث في قريش ، فلما بعث الله
بهذا صلى الله عليه وسلم حسده عتبة وأضرابه مع علمهم بصدقه وأن ما جاء به
معجز ، وكذلك الوليد بن المغيرة ، روى عنه أنه قال لبني مخزوم : والله لقد =

لطلاوة، وكانوا مرةً بجهلهم يقولون: إنه 'داسطير الاولين اكتبتها
فهى تملى عليه بكرة واصيلاً'. مع علمهم أن صاحبه أمى وليس بحضرة
من يملى أو يكتب فى نحو ذلك من الأمور التى أوجبها العناد والجهل
والعجز - انتهى .

و أول كلامه يميل إلى أن الإعجاز بمجرد النظم من غير نظر إلى ه
المعنى، و آخره يميل إلى أنه بالنظر إلى النظم والمعنى معا من الحيثية التى
ذكرها، وهو الذى ينبغي أن يعتقد لكن فى التحدى بسورة واحدة
و أما بالعرش ٢ فبالنظر إلى البلاغة فى النظم فقط - نقله البغوى فى تفسير
سورة هود عن المبرد وقد مر آنفا مثله فى كلام الجاحظ .

وقال الأستاذ أبو الحسن الحرالى فى مفتاح الباب المقفل الباب ١٠
الأول فى علو بيان القرآن على بيان الإنسان : اعلم أن بلاغة البيان تعلو
على قدر علو المبين ، فعلو بيان الله على بيان خلقه بقدر علو الله على خلقه ،
فبيان كل مبين على قدر إحاطة علمه ، فاذا أبان الإنسان عن الكائن
أبان بقدر ما يدرك منه وهو لا يحيط به علمه فلا يصل إلى غاية البلاغة
= سمعت من مجد آنفا كلاما ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن ! إن له
لخلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لثمر ، وإن أسفله لمغدق ، وإنه يعلو
ولا يعلو ، ومع هذا الاعتراف غلب عليه الحسد والأشرحتى قال ما حكى الله عنه
« إن هذا الاسحر يؤثر أن هذا الاقول البشر » .

(١) ليس فى ظ .

(٢) سورة ٢٥ آية ه .

(٣) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : العثر .

(٣) فى م : على ، وهو كما ترى .

فيه بيانه ، وإذا أنبأ عن الماضي فبقدر ما بقي من ناقص عليه به كائنا في ذكره لما لزم الإنسان من نسيانه ، وإذا أراد أن يفتي عن الآتى أعوزه البيان كله إلا ما يقدره أو يزوره ؛ فيبانه في الكائن ناقص وبيانه في الماضي أنقص وبيانه في الآتى ساقط . بل يريد الانسان ليفجر امامه ٣٥ ، وبيان الله سبحانه عن الكائن بالغ إلى غاية ما أحاط به عليه . قل إنما العلم عند الله ، وعن المنقطع كونه بحسب إحاطته بالكائن وسبحانه من النسيان . ولا يضل ربى ولا ينسى ٥٠ ، وعن الآتى بما هو الحق الواقع . فلتنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين ٥١ والوزن يومئذ الحق ٥٢ ، والمبين الحق الذى لا يوهن بيانه إيهام نسبة النقص إلى بيانه ٥٣ ، والإنسان يتهم نفسه فى البيان ويخاف ١٠ أن ينسب إلى العى فيقصد استقراء البيان ويضعف مفهوم بيانه ضعفا من مته ومفهوم بيان القرآن أضعاف أضعاف أنبائه و قل ما ينقص عن نظيره - انتهى .

وقال الإمام محمد بن عبد الرحمن المراكشى^٥ الألكه فى شرح نظمه

(١) فى ظ : يناء - كذا .

(٢) فى ظ : الآتى .

(٣) ٧٥ آية ٥ .

(٤) سورة ٦٧ آية ٢٦ .

(٥) سورة ٢٠ آية ٥٢ .

(٦) سورة ٧ آية ٧ و ٨ .

(٧) فى مد : بيان .

(٨) فى ظ : الزاركشى ، وزاد بعده « فى » .

لمصباح ابن مالك في المعاني والبيان ما يصلح أن يكون متنا^١ و جملة^٢ و ما تقدم شرحا له و تفصيلا قال : الجهة المعجزة في القرآن تعرف بالتفكر في علم البيان وهو كما اختاره جماعة في تعريفه ما يحتز به^٣ عن الخطأ في تأدية المعنى و عن تعقيد^٤، و تعرف به وجوه تحسين الكلام^٥ بعد رعاية^٦ تطبيقه^٧ لمقتضى الحال، لأن جهة إعجازه ليست مفردات ألفاظه و إلا لكانت قبل نزوله معجزة^٨، و لا مجرد تأليفها و إلا لكان كل تأليف معجزا، و لا إعرابها و إلا لكان كل كلام معرب معجزا، و لا مجرد أسلوبه و إلا لكان الابتداء بأسلوب الشعر معجزا - و الأسلوب الطريق - و لكان هديان^٩ مسيلة معجزا، و لأن الإعجاز يوجد دونه أى الأسلوب في نحو « فلما استئسوا منه خلصوا نجيا » ، « فاصدع بما تؤمر »^{١٠}، و لا بالصرف عن معارضته، لأن تعجبهم كان^{١١} من فصاحته، و لأن ١٠ مسيلة و ابن المقفع و المعرى و غيرهم قد تعاطوها فلم يأتوا إلا بما تمجده^{١٢} الأسماع

(١-١) ليس في ظ .

(٢) ليس في ظ .

(٣-٣) في مد : بقدر غاية .

(٤) في م : تطبيقه .

(٥) من م و مد ، و في الأصل و ظ : هديان - كذا .

(٦) سورة ١٢ آية ٨٠ .

(٧) سورة ١٥ آية ٩٤ .

(٨) من م و مد ، و لا يتضح في الأصل ، و في ظ : كانت - كذا .

(٩) في ظ : يمجده .

١ تنفراً منه الطباع ويضحك منه في أحوال^١ تركييه و٣ بهان بتلك^٢
 الاحوال، أعجز البلغاء وأخرس الفصحاء؛ فعلى إعجازه دليل إجمالي
 وهو أن العرب عجزت عنه وهو بلسانها فغيرها أخرى، ودليل
 تفصيلي^٤ مقدمته^٥ التفكير في خواص تركييه، ونتيجته العلم^٦ بأنه تنزيل
 ٥ من المحيط بكل^٧ شيء علماً^٨ - انتهى . وسيأتى إن شاء الله تعالى في أواخر
 العنكبوت^٩ ما ينفع ههنا وأشار سبحانه في تهديدهم^{١٠} بقوله « فاتقوا النار »
 ١١ كذا قال الخرائي، وهي^{١٢} جوهر لطيف يفرط لشدة لطافته في تفريط

(١) في ظ : ينفر .

(٢) في م : احوال - كذا .

(٣-٣) كذا في ظ ، وفي الأصل وم : بهاى ، وزيد بعده في م : بذلك .

(٤) في ظ : تفصيله .

(٥) في ظ : قدمته - كذا .

(٦) بهامش ظ : علماً - وكتب عليه « صح » .

(٧) في ظ : لكل ، ولا يتضح في الأصل .

(٨) ليس في ظ .

(٩) زيد في ظ : و .

(١٠) في ظ : تصديهم .

(١١) زيد في م ومد « ايجازاً وتهويلاً كما مر العناد لا غنائه به (ليس في مد)
 عن أن يقال فاتركوا عنادكم لئلا تعذبوا بالنار التي صفتها .

(١٢-١٢) في ظ : وهي كما قال الخرائي . وقال أبو حيان : « فاتقوا النار »
 جواب للشرط وكنى به عن ترك العناد لأن من عاند بعد وضوح الحق له
 لاستوجب العقاب بالنار، واتقاء النار من نتائج ترك العناد ومن لوازمه - انتهى

المتجمد بالحر المفرط وفي تجميد المتمتع بالبرد المفرط . وقال غيره:
 جسم لطيف مطيء حار من شأنه الإحراق ، التي وقودها ، أى الشيء الذى
 يتوقد^٢ ويتأجج^٣ به « الناس والحجارة » التى هى أعم من أصنامهم
 التى قنوا بها أنفسهم فى الدنيا إلى أنهم لم يقدرُوا على المعارضة واستمروا
 على التكذيب ، كانوا معاندين ومن عاند استحق النار ، و^٤ إلى أنهم إذا
 أحرقوا فيها أوقد عليهم بأصنامهم تعريضا^٥ بأنها وإن كانت فى الدنيا
 لا ضرر فيها ولا نفع باعتبار ذواتها فهى فى الآخرة ضرر لهم بلا نفع
 بشفاعتها ولا غيرها^٦ ؛ وتعريف النار و صلة الموصول لأن أخبار القرآن
 بعد^٧ ثبوت أنه من عند الله معلومة مقطوع بها فهو من باب تنزيل الجاهل
 منزلة العالم تنديها على أن ما جهله لم يحمله أحد .

١٠

(١) فى مد : تقريط .

(٢) فى ظ : التى .

(٣) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : توقد .

(٤) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : تتأجج .

(٥-٥) ليست فى مد و ظ ، وفى تفسير البيضاوى : والوقود بالفتح ما توقد به
 النار وبالضم المصدر ، « والحجارة » وهى جمع حجر والمراد بها الأصنام التى
 نحتوها وقنوا بها أنفسهم وعبدوها طمعا فى شفاعتهم والانتفاع بها واستدفاع
 المضار بمكانتهم ، ويدل عليه قوله تعالى « وما تعبدون من دون الله حصب جهنم »
 وعذبوا بما هو منشأ جرمهم كما عذب الكاذبون بما كنزوه .

(٦) من ظ ، وفى الأصل و م ومد : تعريفا .

(٧) العبارة من هنا إلى « احدا » ليست فى ظ . وفى مد : لا يحمله - مكان : لم يحمله .

(٨) فى م : تعد - كذا .

وقال الحرالي : الحجارة ما تحبّر أى اشتد تصامم أجزائه من الماء والتراب ، « و اتقوا ، أى توقفوا عن هذه التفرقة بين الله ورسوله حيث تدعون لربوبيته و ترتابون فى رسوله ، فالنار معدة للعذاب بأشد التفريق لألطف الأجزاء الذى هو معنى الحرق لمن فرق وقطع ما يجب وصله ،
 ٥ أى لما فاتكم التقوى بداعى العلم فلا تفتكم التقوى بسائق ٢ الموجه^٢ المخصوص المناسب عذابه لفعلكم ، فانها نار غذاؤها واشتعالها بالكون^٣ كله أنهاه^٤ تركيا وهم الناس الملائمون^٥ لمارجها^٦ بالنوس وأطرفه^٧ وأجمده وهى^٨ الحجارة فهى تسع ما بين ذلك من باب الأولى ، وفيه^٩

(١) من م ، وفى الأصل ومد : تضام - بالضاد المعجمة .

(٢) ليس فى ظ فقط .

(٣) فى م : لسائق .

(٤) بهامش ظ : أى الوجد السابق وهو النار .

(٥ - ٥) فى ظ : كلما نهاه .

(٦) فى ظ : لا رجح .

(٧) فى ظ : ادنى انكون كما .

(٨) كذا فى الأصل ، وفى م ومد و ظ : هو .

(٩) قال المهاشمى فى تفسيره « فاتقوا النار التى » هى أثر غضب الله ، « وقودها » أى ما تنقد بها ابتداء « الناس والحجارة » مع أنها سببا انطفاء نيران الدنيا ، فذلك من غاية شدة حرارتها ، ولا يترانى التعذيب بها عن موتكم لأنها « أعدت » أى هيئت « للكافرين » أى لتعذيبهم قبل خلقهم فضلا عن كفرهم ومعاصيهم ، لأنه غضب عليهم فى الأزل لخوفهم به - انتهى . وقال الشريينى الخطيب : وأيضا حجارة الكبريت أشد حرا وأكثر التهابا وتزيد على غيرها من الأحجار سرعة الإيقاد وتن الریح وكثرة الدخان وشدة الالتصاق بالأمدان - انتهى . =

إشعار بُمُنتها وقوتها وأنها بحكم هذا الوسع للاتصاق^١ بخلق^٢ يعق
ولست كنار الدنيا التي غذاؤها من ضعيف الموالد وهو النبات ولا
تفعل^٣ في الطرفين إلا بواسطة و كان غذاؤها وقودها النبات إذ كانت
منقذة^٤ منه كما قال «الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا»^٥،
وتقول^٦ العرب: في كل شجر نار واستمجد المرخ^٧ والعفار^٨، وذلك على حكم
ما تحقق أن الغذاء للشيء مما منه أصل كونه وقال «وقودها، لأن النار
أشد فعلها في وقودها لأن^٩ بتوسطه تفعل فيما سواه، فاذا كان وقودها
محرقها كانت فيه أشد «عملا لتقويها» به عليه، ويفهم اعتبارها بنار الدنيا

= وقال أبو البركات عبد الله النسي: ومعنى قوله تعالى «وقودها الناس
والحجارة» أنها نار ممتازة عن غيرها من النيران بأنها تنقد بالناس والحجارة
وهي حجارة الكبريت فهي أشد توقدا وأبطأ نحودا وأتق رائحة وألصق
بالبدن، أو الأصنام المعبودة فهي أشد تحسرا.

(١) في م: لاتصاق.

(٢) في ظ: تخلق.

(٣) في م: لا يفعل.

(٤) من ظ، وفي الأصل وم ومد: منقذة - كذا.

(٥) سورة ٣٦ آية ٨٠.

(٦) في م: يقول.

(٧) من م ومد وظ، وفي الأصل: المرح.

(٨) من م ومد، وفي الأصل وظ: العقار - بالقاف.

(٩) كذا في النسخ كلها، والظاهر: لأنها.

(١٠ - ١٠) في ظ قط: قومها.

انقداحها' من أعمال المجزيين بها و من كونهم ، فهم منها مخلوقون و بها معتدون إلا أنها منطقية الظاهر في الدنيا متأججة في يوم الجزاء و مثال كل مجزى منها بمقدار ما في كونه من جوهرها .

قلت : و يؤيده « ان المبشرين كانوا اخوان الشيطين » ، أى في أن

٥. الغالب عليهم العنصر النارى المفسد لما قاله ٣ «الم ترانا ارسلنا الشيطين على الكافرين توزم اذا' ، قال: و في ذكر الحجارة إفهام عموم البعث و الجزاء لما حوته السماء و الأرض و أن كل شئ ليس الثقلين فقط يعمه القسم بين الجنة و النار كما عمه القسم بين الخيث و الطيب ؛ و إنما اقتصر في مبدإ عقيدة الإيمان على الإيمان ببعث الثقلين و جزائهم تيسيرا* و استفتاحا ، ١٠. و ما سوى ذلك فمن زيادة الإيمان و تكامله كما قال « ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم » ، و من العلماء من وقف بايمانه على بعث الثقلين و جزائهما ، حتى أن منهم من ينكر جزاء ما سواهما و يتكلف تأويل مثل قوله عليه السلام: يقتص للشاة الجنا من الشاة القرناء - انتهى .

و لما تم ذلك و كان « الناس ، عاما للكافر و غيره كان كأنه قيل :

١٥ هذه النار لمن ؟ قليل^٢ ، اعدت ، أى هيئت و أكلت قبل زمن استعمالها

(١) كذا في الأصل و م و مد ، و في ظ : ان قداحها - كذا .

(٢) سورة ١٧ آية ٢٧ .

(٣) في م : ناله .

(٤) سورة ١٩ آية ٨٣ .

(٥) في م و ظ : تيسرا .

(٦) سورة ٤٨ آية ٤ .

(٧) من م ، و في الأصل و مد و ظ : لقليل .

‘و تقاد’ للجهول لأن المشتكى^٢ إذا جهل فاعله كان أنكأ^١ ، للكافرين ، فبين أنها موجودة مهياة لهم^٥ ولكل من اتصف بوصفهم وهو ستر ما ظهر من آيات الله . قال الحرالي : وهى عدة الملك الديان لهم بمنزلة سيف الملك من ملوك الدنيا - انتهى . ولما ذكر ما^٦ لهم ترهيبا اتبعه ما للمؤمنين ترغيبا فقال صارفا وجه الخطاب بالرحمة إلى نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم عاطفا ه على ما تقديره : فأنذرهم بذلك ، ولكنه طواه لأن السياق للاستعطاف^٧ « و بشر » ، و البشرى قال الحرالي إظهار غيب^٨ المسرة بالقول « الذين آمنوا ، أى صدقوا الرسل » وعملوا ، قال الحرالي : من العمل وهو فعل بُنى على علم^٩ أوزعمه « الصلحت » من الأقوال والأفعال ، قال الحرالي : جمع صالحة ،

(١) العبارة من هنا إلى « انكأ » ليست فى ظ .

(٢) فى م ومد : بيان .

(٣) فى م ومد : المنكر .

(٤) من م ومد ، وفى الأصل : انكأ .

(٥) وفى البيضاوى : هيات لهم وجعلت عدة (و العدة ما أعددت لحوادث

الدهر من المال و السلاح) وقوله « أعدت للكافرين » دل على أن النار مخاوة

معدة لهم الآن - انتهى .

(٦) لفظة « ما » زيدت من م ومد .

(٧) زيد فى م ومد : على لسان نبي الرحمة .

(٨) فى م : عيب - كذا بالعين المهملة .

(٩) فى م : عمل .

و هو العمل المتحفظ به من مداخل الخلل فيه ، وإذا كانت الشرى لهؤلاء .
 فالؤمنون أحق بما فوق البشرى ، وإعما يبشر من يكون على خطر ،
 والمؤمن مطمئن فكيف بما فوق ذلك من رتبة الإحسان إلى ما لا عين
 رأت ولا أذن سمعت ، وما لا يناله^١ علم نفس ولا خطر على قلب بشر .
 ولما ذكر المبشر اتبعه المبشر^٢ به فقال^٣ : « ان لهم جنّات ، أى متعددة ،
 قال الحرالى : لتعدد رتب أفعالهم التى يطابق الجزاء ترتبها وتعددتها
 [كما - °] قال عليه الصلاة والسلام^٤ التى سألت عن ابنها : إنها جنان وإن

(١) من م ومد ، وفى ظ : لهم ، والأصل مطموس .

(٢) فى م : يباله - كذا .

(٣) ليس فى ظ فقط .

(٤) قال النسفى : سنة الله فى كتابه أن يذكر الترغيب مع الترهيب تنشيطا
 لا اكتساب ما يزلف و تثبيطا عن اقتراف ما يتنف ، فلما ذكر الكفار وأعمالهم
 وأوعدهم بالعقاب فقام بذكر المؤمنين وأعمالهم وتبشيرهم بقوله : « وبشر »
 الآية ، والبشارة الإخبار بما يظهر سرور الخبر به ، والمأمور بقوله « وبشر »
 الرسول عليه السلام أو كل أحد ، وهذا أحسن لأنه يؤذن بأن الأمر لعظمه
 ونخامة شأنه محقوق بأن يبشر به كل من قدر على البشارة - انتهى . والصالحات
 نحو الحسنة فى حريها مجرى الاسم ، والصالحات كل ما استقام من الأعمال بدليل
 العقل والكتاب والسنة - تفسير النسفى ج ١ ص ٢٧ .

(٥) ريد من م ومد ، وليس فى ظ ، ولا يتضح فى الأصل .

(٦) وهى أم حارثة ، بن سراقه اتت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : يا نبى الله^١
 لا تحمدسى عن حارثة ؟ وكان قتل يوم بدر أصابه سهم عرب - فان كان =

ابنك أصاب الفردوس الأعلى . وفي التعبير بلهم إشعار بأن ذلك الذي لهم ينبغي لحاقه بذواتهم ليحصل به من كمال أمرهم وصلاح حالهم نحو ما يحصل بكمال خلقهم وتسويتهم . والجنان ٣ مبتهجات للنفوس تجمع ملاذ جميع حواسها، تُجن المتصرف فيها أي تخفيه وتجن وراء نعيمها مزيدا دائما - انتهى .

ثم وصفها بأنها « تجرى » قال الحرالي: من الجرى وهو إسراع

في الجنة صبرت وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء؛ قال: يا أم حارثة! إنها جنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى - أخرجه البخاري عن أنس بن مالك رضى الله عنه ج ١ ص ٣٩٤ .
(١) في ظ: بانه .

(٢) وفي م: لحاقهم، وفي ظ: لحاق .

(٣) في تفسير النسفي: الجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف، والتركيب دأثر على معنى الستر، وسميت دار الثواب «جنة» لما فيها من الجنان؛ ومعنى جمع الجنة وتنكيرها أن الجنة اسم لدار الثواب كلها وهي مشتملة على جنان كثيرة مرتبة مراتب بحسب أعمال العاملين، لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان .

(٤) في م: تخفيه - كذا .

(٥) «تجرى من تحتها الأنهار» المراد من تحت أشجارها كما ترى الأشجار النابتة على شواطئ الأنهار البخارية؛ وأنهار الجنة تجرى في غير أهدود، وأزده البساتين ما كانت أشجارها مظلة والأنهار في خلالها مطردة، والجرى الاطراد؛ والماء البخارى من النعمة العظمى واللذة الكبرى، ولذا قرن الله تعالى الجنات بذكر الأنهار البخارية وقدمه على -أثر نعوتها- انتهى .

حركة الشيء ودوامها ، « من تحتها ، أى من تحت غرفها ، والتحت ما دون المستوى ، « الأنهر ، جمع نهر ، وهو المجرى الواسع للماء - انتهى .
 'فاسناد الجرى إليها مجاز ، والتعريف لما عهده السامع من الجنس' ويحتمل أن يكون المعنى أن أرضها منبع الأنهار ، فَتَحَّتْ كل شجرة و غرة منبع نهر ، فهى لا تزال غضة يانعة متصلة الزهر والثمر لا كما يجلب إليه الماء وربما انقطع في وقت فاختل بعض أمره . قال الحرالي : وإذا تعرف حال العامل من وصف جزائه علم أن أعمالهم كانت مبنية على الإخلاص الذى هو حظ العاملين من التوليد الذى الماء آيته - انتهى .
 فلما كانت الجنان معروفة بالثمار ساق وصفها بذلك مساق ما لا شك' فيه بخلاف جرى الأنهار فقال : « كلما ، وهى كلمة تفهم تكرر الأمر فى عموم الأوقات « رزقوا منها من ثمرة ، أى ثمرة كانت رزقا » قالوا ، لكونه على صورة ما فى الدنيا « هذا ، أى الجنس لاستحكام الشبه » الذى رزقنا من قبل ، أى فى الدنيا ، ٣ ، ولما كان الرزق معلوما ولم يتعلق غرضه بمعرفة الآتى بالرزق بُنِيا للجهول فقال تعالى عاطفا

(١ - ١) ليست فى ظ .

(٢) فى م : وصف .

(٣) ليست العبارة من هنا إلى « كأنه واحد » فى ظ .

(٤) من م ، وفى الأصل ومد : الرازق - كذا .

(٥) ليس فى مد .

(٦) فى مد : لعرفه .

على ما تقديره لأننا خلقناه على شكل ما كان ليكونوا به أغبط ولمزيتة
أعرف وله أقبل وإليه أميل موحدا للضمير إشارة إلى أنه لاستحكام الشبه
كأنه واحد واتوا به ، أى 'جى' لهم 'بهذا الجنس المرزوق لهم في الدارين
في الجنة' من غير تطلب و تشوق و متشابهها ، في مطلق اللون و الجنس
ليظن أنه متشابه في الطعم ، فيصير فضله في ذلك بالذوق نعمة أخرى ٣ هـ
والتشابه المراد هنا اشتراك في ظاهر الصورة ، والإتيان بأداة التكرار يدل
على أن الشبه يزداد عظمة * في كل مرة فيزداد العجب و جعل الحرالى

(١) زيد في م و مد : و .

(٢-٢) كذا في الأصل و م و مد ، ولكن ضرب عليه في م ، وفي ظ : به ،
وزيد بعدها في م و مد : وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما وغيره ، وزيد
بعدها في مد : الجنس المرزوق لهم في الدارين في الجنة .

(٣) وفي تفسير النسفي : كلما رزقوا من الجنة أى من أى ثمرة كانت من تفاحها
أو رمانها أو غير ذلك رزقا قالوا ذلك . والمعنى هذا مثل الذى رزقنا من قبل
وشبهه بدليل قوله « واتوا به متشابهها » كقولك : أبو يوسف أبو حنيفة - تريد
أنه لاستحكام الشبه كأن ذاته ذاته ؛ وإنما كان ثمار الجنة مثل ثمار الدنيا ولم تكن
أجناسا آخر لأن الإنسان بالمألوف آنس وإلى المعهود أميل ، ولأنه إذا
شاهد ما ساف له به عهد ورأى فيه مزية ظاهرة وتفاوتا بينا كان استعجابه
أكثر واستغرابه أوفر ، والمعنى أن ما يرزقونه من ثمرات الجنة يأتهم متجانسا
في نفسه .

(٤) ليست العبارة من هنا إلى « العجب » في ظ .

(٥) زيد بعده في مد : مرة .

(٦) زيدت في م : الجنس المرزوق لهم في الدارين في الجنة ، وإيس هذا موضعها .

هذا خاصا بثمار الجنة فقال: من قبل إعلام بأن أشخاص ثمر الجنة وأحاديها لا تميز لأنهما على أعلى صورتها لا تفاوت بأعلى وأدنى ولا يترأخى زمان عودها ، فهي تتخلف لأن قطفها ولا تميز صور المقطوف من الخالف حتى يظن القاطف أن المتخلف عين الأول ؛ فحال ٥ ثمر الجنة كحال الماء الذى هو أصله ، وبسرعة الخلف من ثمر الجنة وأنه متصل جرية الوجود قال عليه السلام فى عنقود من ثمرها: لو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا . ويشعر ذلك عند اعتبار العمل به بأن نياتهم فى الأعمال صالحة ثابتة مرابطة حتى جرؤا بها هذا الاتصال وكال الصورة فى الرزق ، ومنه حديث مرفوع أخرجه الطبرانى عن سهل بن سعد: نية المؤمن خير من عمله . واتوا به متشابها ، أظهر عذرهم فى توهم

(١) من مد ، وفى الأصل وم وظ : يميز .

(٢) من م ومد وظ ، وفى الأصل : جزية .

(٣) هكذا فى الأصل ، وفى م ومد : جزوا ، وفى ظ : خيروا .

(٤) فى مد : الذوق .

(٥ - ٥) من هامش ظ ، وليست فى م ومد ، وثبتت فى الأصل بين السطرين

بعد « عمله » .

(٦) وقال المهاشمى فى تفسيره المسمى بتبصير الرحمن و تيسير النان : « الانهر »

جمع نهر ، وهو المجرى الواسع مما أجروا من أنهار الحكمة إلى ألسنتهم ثم إلى

العالم و « كلما رزقوا منها » من تلك الجنات « من ثمرة رزقا » حقيقيا حيا

أو عقليا أو خياليا « قالوا هذا » جزء « الذى رزقنا من قبل » من المقامات

والأحوال التى هى ثمرات الإيمان والأعمال « و » لما كانت لكل عمل ثمرات =

اتحاد الثمر وعرف بأمتهم من العنا ، لأنه لو تفاوت تبعه الكراهة للأدنى
وتكلف 'للاتقاء للأعلى' وذلك إنما هو لائق بكيد الدنيا لا بنعيم الجنة ،
وقد ذكر بعض العلماء أطراد هذا التشابه في ثمر الجنة وإن اختلفت
أصنافه ٣ ، ويضعفه ما يلزم منه كمال الدلالة في المعنى والصورة في نحو

= متشابهة يفضل بعضها بعضا « اتوا به متشابها » يشبه بعضه بعضا في الصورة مع
التفاوت في الادات - انتهى كلامه . وفي التفسير المظهرى : « هذا » إشارة إلى
نوع ما رزقوا المستمر بتعاقب أفراد « من قبل » أى من قبل هذا يعنى في الدنيا
جعلت متشابهة بثمار الدنيا كيلا يتنفر الطبع عن غير المألوف ويظهر المزية ، وقبل
الثمار في الجنة متشابهة في اللون مختلفة في الطعم والداعى لهم على تكرار هذا القول
كلما رزقوا تبجحهم بما وجدوا من التفاوت العظيم في اللذة والتشابه العظيم في
الصورة . « واتوا به » بالرزق « متشابها » يعنى ثمار الجنة كلها خيار لا رذالة فيها .
(١ - ١) في م : الانتقلا على ، وفي مد : الانتقاء الاعلى - كذا .

(٢) وفي التفسير المظهرى للقاضى محمد نساء الله العثمانى المظهرى : روى البغوى
بسند عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أهل الجنة
يأكلون ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يبرقون يلهمون
الحمد والتسبيح كما يلهمون النفس ، طعامهم جشاء ورشحهم المسك - رواه مسلم ؛
والآية محمل آخر أن يكون المعنى هذا ثواب الذى رزقنا من قبل في الدنيا من
المعارف والأعمال ، نظيره في الوعيد « ذوقوا ما كنتم تعملون » روى الترمذى
عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الجنة طيبة التربة ،
عذبة الماء ، وإنها قيعان ، وإن غراسها هذم - يعنى التسبيح والتحميد والتكبير .
قوله تعالى « واتوا به متشابها » أى مماثلا لمعارفهم وطاعاتهم في الشرف =

قوله تعالى «فيهما فاكهة ونخل ورمان» ، وما يجرى مجراه - انتهى .
ولما ذكر المسكن الذي هو محل اللذة واتبعه المطعم المقصود
بالذات و' كانت لذة الدار لا تكمل إلا بأنس الجار ' لا سيما المستمتع
به ' قال « ولهم فيها » أى مع ذلك « أزواج » ، ولما كن على خلق واحد
ه لا نقص فيه أشار إليه بتوحيد الصفة ، وأكد ذلك بالتعبير بالتفعيل
إلما بأنه عمل فيه عمل ما يبالغ فيه بحيث لا مطمع فى الزيادة فقال
« مطهرة » . قال الحرالى : و الزوج ما لا يكمل المقصود من الشيء
إلا معه على نحو من الاشتراك والتعاون ، والتطهير / تكرار إذهاب
مجتنب بعد مجتنب عن الشيء ؛ ولما ذكر تعالى الرزق المستثمر من أعمال
١٠ الذين آمنوا وصل به ذكر الأزواج المستثمرة من حال نفوسهم من

/٤٦

= والمزية متفاوتا على حسب تفاوت أعمالهم . (٣) فى ظ فقط : اضافته - كذا .

(١) سورة ٥٥ آية ٦٨ .

(٢-٢) ليست فى ظ .

(٣) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى ظ .

(٤) وفى التفسير المظهرى : الزوج يقال للذكر والأنثى ، وفى الأصل يقال لما له
قرين من جنسه كزوج الخلف .

(٥) وفى تفسير النسفى : « مطهرة » من مساوى الأخلاق ، لا طمحات
ولا مرحات ، أو مما يختص بالنساء من الحيض والاستحاضة ، وما لا يختص بهن
من البول والغائط وسائر الأقدار والأدناس . ولم تجمع الصفة كالوصوف
لأنها لفتان فصيحتان ، ولم يقل : طاهرة ، لأن مطهرة أبلغ ، لأنها تكون
للتكثير ؛ وفيها إشعار بأن مطهرا طهرهن ، وما ذلك إلا الله عز وجل .

(٦) فى م : المستمرة - كذا .

حسن أخلاقها وجمال صورتها الباطنة في الدنيا، وكانت المرأة زوج الرجل لما كان لا يستقل أمره في النسل والسكن إلا بها - انتهى .

ولما كان 'خوف الزوال أو الانتقال إلى أدنى منفضاً فلا' تروق

اللذة^٣ إلا مع الاستقرار، وكان هذا الوصف عاما في جميع الجنان العلى

وغيرها قال مقدما للجار إشارة إلى أنهم لا يكونون في جنة إلا وهذه هـ

صفتها وأن نعيمهم لا آخر له، وهم فيها،^٥ ولما أفاد تقديم الظرف تخصيص

الكون بها وعدم الكون في غيرها و كان ذلك معنى الخلود و كان قد

يطلق على الإقامة بلا نهاية وعلى طول الإقامة وإن كان له آخر صرح

به بيانا بأن المراد ما لا آخر له وإلا لم يفد شيئا جديدا فقال 'خلدون'،

(١-١) في ظ: ذلك الأمر لا. وفي م: 'جوف' مكان 'خوف'، و'و' مكان

'او' و'ولا' مكان 'فلا' .

(٢) في م: تذوق .

(٣) ليس في ظ .

(٤-٤) ليست في ظ .

(٥) العبارة من هنا إلى 'جديدا فقال' ليست في ظ و م، وقد ضرب عليها في

الأصل ولكن السياق يقتضيها فأثبتناها .

(٦) قال البيضاوي: واعلم أنه لما كان معظم الذات الحسية مقصورا على الساكن

والمطاعم والمناكح على ما دل عليه الاستقرار وكان ملاك ذلك كله الثبات

والدوام فإن كل نعم جليلة إذا قارنها خوف الزوال كانت منفضة غير صافية

من شوائب الألم بشر المؤمنين بها ومثل ما أعد لهم في الآخرة بأبهى ما يستلذ

به منها وأزال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود ليدل على كمالهم في التنعم

والسرور .

والخلود طول الإقامة بالقرار، و سياق الامتان أغنى عن تقيده
بالتأييد و الدوام .

و لما ثبت بعجزهم عن المعارضة أن هذا الكلام كلامه سبحانه ثبت
أن ما فيه من الأمثال أقواله فهددهم في هذه السورة المدنية على العناد
و تلاه بالآية التي أخبر فيها بأن ثمار الدنيا و أزواجها و إن شابهت ما في
الجنة بالاسم و بعض الشكل فقد باينته بالطعوم و الطهارة و ما لا يعلمه
حق عليه إلا الله تعالى فاضمحت نسبتها إليها، و كان في ختم الآية
بخلدون إشارة إلى أن الأمثال التي هي أحسن كلام الناس و إن شابهت
أمثاله سبحانه في الاسم و دوام الذكر فلا نسبة لها إليها لجهات لا تخفى^٢
١٠ على المنصف فلم يبق إلا طعنهم بأنها لكونها بالأشياء الحقيرة لا تليق
بكبريائه فين حسننها و وجوب الاعتداد بها و إنعام النظر فيها بالإشارة
بعدم الاستحياء من ضربها لكونها حقا إلى أن الأشياء كلها و إن عظمت
حقيرة بالنسبة إلى جلاله و عظمته و كماله، فلو ترك التمثيل بها لذلك
(١) و الخلد و الخلود في الأصل الثبات المديد دام أو لم يدم، و لذلك قيل للأناق
و الأحجار: خوالد، لكن المراد به الدوام ههنا عند الجمهور لما يشهد له من
الآيات و السنن - انتهى . و قال على المهاتمي في تفسيره: « و هم فيها خلدون »
تغلبة الروحية على أجسامهم و بقاء هيئات الإيمان و الأعمال على أرواحهم
و قلوبهم - انتهى كلامه .

(٢) في م: أغنى - كذا .

(٣) في ظ: لا يخفى ..

لانسد ذلك الباب الذى هو من أعجب العجائب^١ فقال تعالى على طريق ه
الاستنتاج^٢ من المقدمات المسلمات^٣ وأكد سبحانه دفعا لظن أنه يترك
لما لبسوا^٤ به الأمثال التى هى أكشف شئ. للأشكال و أجلى في^٥
جميع الأحوال^٦. وقال الحرالى: لما كانت الدعوة تحوج مع التوقف^٧ فيها

(١) وفي م: العجايب .

(٢) وفي م: الاستفتاح، وما في الأصل هو الظاهر .

(٣) العبارة من هنا إلى « الأحوال » ليست في ظ .

(٤) في م ومد: لسوا - كذا . (ه) في م: من .

(٦) قال البيضاوى و اجاد في قوله: لما كانت الآيات السابقة متضمنة لأنواع
من التمثيل عقب ذلك ببيان حسنه وما هو الحق له والشرط فيه وهو أن يكون
على وفق الممثل له من الجهة التى تعلق به التمثيل في العظم والصغر والحسة والشرف
دون الممثل فان التمثيل إنما يصار إليه لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب
عنه وإبرازه في صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه عليه ،
فان المعنى الصرف إنما يدركه العقل مع منازعة من الوهم ، لأن من طبعه ميل
الحس وحب المحاكاة ، ولذلك شاعت الأمثال في الكتب الإلهية وفشت
في عبارات البغاء وإشارات الحكماء ، فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم
وإن كان الممثل أعظم من كل عظيم لاما قالت الجهمية من الكفار لمّا مثل الله تعالى
حال المناققين بحال المستوقدين و أصحاب الصيب و عبادة الأصنام في الوهم
والضعف بيت العنكبوت ، و أيضا لما أرشدهم إلى ما يدل على أن المتحدى به
وحى منزل و رتب عليه وعيد بمن كفر به و وعد من آمن به بعد ظهور أمره
شرع في جواب ما طعنوا به فيه فقال « ان الله لا يستحي » أى لا يترك ضرب
المثل بالبعوضة ترك من يستحي أن يمثل بها لحفارتها - انتهى كلامه .

(٧) في ظ: التوقف .

و الآتي لها إلى تقريب للمهم بضرب الأمثال وكانت هذه الدعوة جامعة
الدعوات وصل بها هذه الآية الجامعة لإقامة الحجة في ضرب الأمثال
وأن ذلك من الحق سبحانه « والله لا يستحي من الحق » ، « وليختم »
ذكر ما تضمنه صدر السورة من الحروف التي أنزل عليها القرآن
ه بسابعها الذي هو حرف المثل ، وبين تعالى أن مقدار الحكمة الشاهد
للمثل في البعوضة وفيما هو أظهر للحس و أخذ في العلم ، وإنما يجب
الالتفات للقدر لا للمقدار و لوقع المثل على مثله قل أو جل دنا أو علا
فتزده تعالى عما يحده الخلق عندما ينشأ من بواطنهم وهمهم أن يظهروا
أمرًا فيتوهمون فيه نقصا فيرجعهم ذلك عن إظهاره قولاً أو فعلاً -
١٠ انتهى . فقال " تعالى « إن الله ، أى المحيط بكل شئ ، جلالاً وعظمة

(١) سورة ٣٣ آية ٥٢ .

(٢) زيد في الأصل : « وليتضمن » ، ولم تكن الزيادة في م و مد وظ لحذفناها .

(٣) من ظ ، و في الأصل : ليتختم ، و في م و مد : لينختم .

(٤) زيد في م : الذى .

(٥) في ظ : للثل .

(٦) في م و مد وظ : احد ، وزيد في مد : بما - كذا .

(٧) في م : لوائح .

(٨) و في ظ : للثل .

(٩) العبارة من هنا إلى « انتهى » ليست في ظ .

(١٠) في م : امر .

(١١) قال على المأتمنى في تفسيره : ولما كان ذكر الدال على مزيد عنايته بنوع =

و كلاً لا يستحي ، أى لا يفعل ما يفعله المستحي من ترك ما يستحي منه .
 و الحياء قال الحرالى انقباض النفس عن عادة انبساطها فى ظاهر
 البدن لمواجهة ما تراه نقصا حيث يتعذر عليها الفرار بالبدن ، ان ، كلمة
 مدلولها من أجريت عليه حقيقة باطن من ذاته و عليه يتصل بها ما يظهرها ،
 وسيبويه رحمه الله يراها اسما ، و عامة النحاة لانعجام معناها عليهم ه
 يرونها حرفا ، يضرب ، من ضرب المثل و هو ٣ وقع المثل على المثل ،

= الإنسان باصلاح معاشه و معاده بارسال الرسل ، و ذكر النحل و النمل لبيان
 عظيم عنايته بأحقر الأشياء حتى ألهم الأول طريق تحصيل العسل و اثنى شأن
 سليمان عليه السلام ، و ذكر الذباب و العنكبوت لتحقير الأصنام مرييا لهم حتى
 كأنهم قالوا لو دل إعجازه على أنه كلام الله دل ذكرها على أنه ليس بكلامه ،
 إذ لا يليق لعظمته رد الله عليهم بقوله « ان الله لا يستحي » - انتهى كلامه .

(١) قال أبو حيان الأندلسى : الحياء تغير و انكسار يعتري الإنسان من خوف
 ما يعاب به و يذم ، و محله الوجه ، و منبعه من القلب ، و اشتقاقه من الحياة
 و ضده القحة ، و الحياء و الاستحياء و الانخزال و الانقياع و الانقلاع متقاربة
 المعنى فتنوب كل واحدة منها مناب الأخرى . و قال النسفى : و لا يجوز على
 القديم التغير و خوف الذم و لكن الترك لما كان من لوازمه عبر عنه ، و يجوز
 أن تقع هذه العبارة فى كلام الكفرة فقالوا : أما يستحيى رب محمد أن يضرب
 مثلاً بالذباب و العنكبوت بغفاته على سبيل المقابلة و إطباق الجواب على
 السؤال ؛ و هو فن من كلامهم بديع - انتهى .

(٢) قال الفيضاوى : و « ان » بصالتها مخفوض المحل عند التحليل باصمار من منصوب
 بافضاء الفعل إليه بعد حذفها عند سيبويه .

(٣) و ضرب المثل اعتياله من ضرب الخاتم ، و أصله وقع شئ على آخر .

لأن أصل^١ الضرب وقع شيء على شيء، والمعنى أن يوجد الضرب متجددا^٢ مستمرا وهذا لا يساويه أن يقال من ضربه^٣ مثلا، فانه يصدق لمثل واحد سابق أو لاحق، وتحقيقه أن المصدر لا يقع^٤ إلا على كمال الحقيقة من غير نظر إلى زمان^٥ ولا غيره وأما بفعل^٦ فانه يفهم إيقاع الحقيقة من غير نظر أيضا إلى زمان، وبفهمها مع^٧ النظر إلى الزمان مع التجدد^٨ والاستمرار ومع كمال الحقيقة وقبل كمالها عند الشروع فيها وإلى هذا القيد الأخير ينظر قول الحرالي: إن الحياء من أن يضرب المثل استحياء من وقعة في الباطن، والحياء من ضربه المثل استحياء من إظهاره بالقول، فنفى الأصل الأبلغ^٩ الذي بنفيه^{١٠} يكون نفى الضرب أحق، فليراجع هذا المعنى مع تكرار كلمة ١٠. / ٤٧ «ان» فانها كثيرة الدور^{١١} / في القرآن جليلة قدر المعنى في مواقعها، وإنما يجري

(١) في مد : امثل .

(٢) و في م : متجدد .

(٣) في م : ضرب .

(٤) و في م : لا يؤثر .

(٥) و في م : الى برهان إلى برهان - كذا .

(٦) في ظ : يفعل .

(٧) و في م : منه .

(٨) في م : التجدر .

(٩) في م : كلا بلغ - كذا .

(١٠) في م : ينفيه .

(١١) و في م : القدر .

على ترك الالتفات إلى موقع معناها ما يقوله النحاة في معنى التقريب إن أن
والفعل في معنى المصدر، والواجب في الإعراب والبيان الإنصاح عن
ترتب معانيهما، وعند هذا يجب أن تكون^١ أن اسما والفعل صلتها نحو^٢
من وما^٣ مثلاما، مثل أمر ظاهر للحس ونحوه، يعتبر به أمر خفي
يطابقه فيفهم معناه باعتباره وما^٤ في نحو هذا الموقع لمعنى الاستغراق،^٥
فهى هنا لشمول الأدنى والأعلى من الأمثال - انتهى . ثم بين ذلك
بقوله «بعضه» .

وقال الحرالي : ولما كان ضرب المثل متعلقا بمثل ومثل كان الضرب
واقعا عليهما، فكان لذلك متعديا إلى مفعولين : مثلاما وبعضه، والبعض^٦
جنس معروف من أدنى الحيوان الطائر مقدارا وفيه استقلال وتام
خلقة^٧، يشعر به معنى البعض الذى منه لفظه، لأن البعض يوجد^٨ فيه

(١) في م : مى .

(٢) في مد : يكون .

(٣) في مد : مثل .

(٤) قال البيضاوى : « ما » إبهامية تزيد للنكرة إبهاما وشياعا وتسد عنها طرق

التقييد، واستفهامية هى البتداء، كأنه لما رد استبعادهم ضرب الله الأمثال قال

بعده : ما البعض فما فوقها حتى لا يضرب به المثل ؟

(٥) وفي م : البعضه .

(٦) وفي ظ : خلقته .

(٧) في مد و ظ : توجد .

جميع أجزاء الكل فهو بذلك كل ، « فافوقها ، أى من » معنى يكون أظهر منها ، والفاء تدل على ارتباط ما إما تعقيب و اتصال أو تسيب ، فيه هنا إعلام بأقرب ما يليه على الاتصال والتدريج إلى أنهى ما يكون - انتهى . و المعنى أن ذلك إن اعتبر بالنسبة إليه سبحانه كان هو ه و أنتم و غيركم بمنزلة واحدة في الحقارة ، و إن اعتبر بالنسبة إليكم كان الفريقان بمنزلة واحدة في أنه خلق حقير ضعيف صغير من تراب ، و أما شرف بعضه على بعض فأنما كان بتشريف الله له و لو شاء لعكس الحال .

ثم ذكر شأن ' قسمي المؤمنين و الكافرين بقسمي كل منهم في ١٠ قبول أمثاله فقال ٣ مؤكداً بالتقسيم لأن حال كل من القسمين حال المنكر لما وقع للآخر : « فاما » ، قال الحرالي : كأنها مركبة من « ان »

(١) في البيضاوى : ومعناه ما زاد عليها في الجثة كالذباب و العنكبوت ، كأنه قصد به رد ما استنكروه ، والمعنى أنه لا يستحيى ضرب المثل بالبعوض فضلاً عما هو أكبر منه أو في المعنى الذى جعلت فيه مثلاً و هو الصغر و الحقارة بكناحها فانه عليه السلام ضربه مثلاً للدنيا ؛ أو ما زاد عليها في القلة كتنجبة النمل لقوله عليه السلام : ما أصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطايا . حتى تنجبة النملة - انتهى .

(٢) ليس في ظ .

(٣) العبارة من هنا إلى « الآخر » ليست في ظ و مد .

(٤) في مد : الآخر - كذا .

(٥) في تفسير النسفى : و « اما » حرف فيه معنى الشرط و لذا يجاب ' بالفاء ، =

دالة على باطن ذات و د ما ، دالة على ظاهر مبهم ، يؤتى به للتقسيم -
 انتهى . و الذين آمنوا ، أى بما ذكرنا أول السورة ، و لما تضمن أما
 معنى الشرط كما فسرہ سيويہ بمهما يكن من شيء أجيب بالفاء في قوله
 و يفعلون ' انه ، أى ضرب المثل و الحق ، كائناتنا من ربهم ، أى المحسن
 إليهم بجميع أنواع الإحسان ، و أنه ما أراد بهم إلا تربيتهم بالإحسان ه
 بضربه على عوائد فضله ، و أما أمثال غيره فان لم يكن فيها نوع من
 الباطل فلا بد فيها من ضرب من التسميح تكون به غير جديرة باسم
 الحق و لا عريضة فيه .

قال الحرالي : لما كان الذين آمنوا بمن بادر فأجاب و كان ضرب
 المثل تأكيد دعوة و موعظة لمن حصل منه توقف حصل للذين آمنوا ١٠
 استبصار بنور الإيمان في ضرب المثل ، فصاروا عالمين بموقع الحق فيه ،
 و كما استبصر فيه الذين آمنوا استغلق معناه على الذين كفروا و جهلوه

= و فائدته في الكلام أن يعطيه فضل تأكيد ، و إذا قال سيويہ في تفسيره :
 مهما يكن من شيء فزيد ذاهب ، و هذا التفسير يفيد كونه تأكيداً و أنه في معنى
 الشرط ؛ و في إيراد الجملتين مصدرتين به إجماع عظيم لأمر المؤمنين و اعتداد
 ببلغ بعلمهم أنه الحق و نعى على الكافرين إغفالهم حظهم و رميهم بالكلمة الحقاية .
 (١) العبارة من هنا إلى « قوله » ليست في ظ و مد .

(٢) زيد في م و مد : علما نافعاً .

(٣) ليس في ظ .

(٤) زيد في م و مد : فيقولون إذعانا و تسليماً « امنا به كل من عند ربنا » .

(٥) في م : جهلوا ، و في مد : جهلوا عنه .

فاستفهموا عنه استفهام إنكار لموقعه - انتهى . فلذا^١ قال « واما الذين كفروا ، أى المجاهرون منهم و المساترون^٢ » فيقولون ،^٣ أى قولا مستمرا^٤ « ما ذا^٥ ، أى الذى^٥ » اراد الله ، الذى هو أجل جليل « بهذا ، الحقير^٦ أى بضربه له^٦ » مثلا ،^٦ أى على جهة التمثيل استهزاء و جهلا^٧ و عنادا^٨ و جفاء^٩ ؛ ثم وصل بذلك ذكر ثمرته عند الفريقين جوابا لسؤال من سأل

(١) فى م : فكذا . (٢) زيد فى م و مد : فيجهلون ذلك .

(٣ - ٤) ليست فى ظ ، و زيد بعدها فى مد : اعتراضا و استهزاء .

(٥) قال على المهاشمي « قاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق » أى الثابت الذى لا يمكن تبديله ، إذ لا يمكن بيان حصة الشئ بتمثيله بأعظم الأشياء « من ربهم » أى الذى رباهم بما بين لهم من مراتب الأشياء ليضعوا كل شئ موضعه ، « واما الذين كفروا فيقولون » مع علمهم بحقيقته « ما ذا اراد الله » مع غاية عظمت « بهذا » أى يجعل هذا الحقير مثلا مع أنه لا يناسب عظمته - انتهى كلامه .

(٥ - ٥) ليس فى ظ .

(٦ - ٦) ليست فى ظ .

(٧) قال أبو البركات النسي : و سياق الآية لبيان أن ما استنكره الجهمية من الكفار و استغروبه من أن تكون المحقرات من الأشياء مضروبا بها المثل ليس بموضع الاستنكار و الاستغراب ، لأن التمثيل إنما يصار إليه لما فيه من كشف المعنى و إدناء التوهم من المشاهد ، و لبيان أن المؤمنين الذين عادتهم الإنصاف و النظر فى الأمور بناظر العقل إذا سمعوا بهذا التمثيل علموا أنه لحق و أن الكفار الذين غلب الجهل على عقولهم كابروا و عاندوا و قضاوا عليه بالبطلان و قابلوه بالإنكار ، و أن ذلك سبب هدى للمؤمنين و ضلال للفاسقين .

(٨) زيد فى مد : فالآية من الاحتباك . ذكر أولا العلم دليلا على حذف ضده ثانيا ، و ثانيا الاعتراض دليلا على حذف ضده أولا .

منهم فقال « يضل به كثيرا ، أى منهم بأن لا يفهمهم المراد منه فيظنون بذلك الظنون . وقال الحرالي : و كان إضللا لهم ، لأن في ضرب المثل بما يسبق لهم استزراؤه بنحو الذباب والعنكبوت الذى استزروا ضرب المثل به تطريق لهم إلى الجهالة فكان ذلك إضللا ، وقدم الجواب بالإضلال لأنه مستحق المستفهم ، والإضلال التطريق للخروج ه عن الطريق الجادة المنجية ٢ - انتهى .

« ويهدى به كثيرا ، أى ببركة اعتقادهم الخير و تسليمهم له الأمر يهديهم ربهم بإيمانهم فيفهمهم المراد منه و يشرح صدورهم لما فيه من المعارف فيزيدهم به إيمانا وطمأنينة وإيقانا ، و المهديون كثير في الواقع قليل بالنسبة إلى الضالين . ولما كان المقام للترهيب كما مضى في قوله ١٠ « فاتقوا النار ، اكثني في المهتدين بما سبق من بشارتهم و قال في ذم القسم الآخر وتحذيره : « وما يضل به الا » ، قال الحرالي : كأنها مركبة

(١) في ظ : و كان .

(٢) في ظ : البخارة - كذا .

(٣) في م : المنجية .

(٤) العبارة من هنا إلى « الضالين » ليست في ظ .

(٥) وفي تفسير النفسى : وأهل الهدى كثير في أنفسهم وإنما يوصفون بالقلّة بالقياس إلى أهل الضلال ، ولأن القليل من المهتدين كثير في الحقيقة وإن قلوا في الصورة :

إن الكرام كثير في البلاد وإن قلوا كما غيرهم قل وإن كثروا

(٦) وفي م : سبق .

من « إن ، و لا ، مدلولها نفي حقيقة ذات عن حكم ما قبلها - انتهى .
 « الفسقين ، أى الخارجين » عن العدل و الخير . وقال الحرالى : الذين
 خرجوا عن إحاطة الاستبصار و جهات تلقى الفطرة و العهد الموثق
 و حسن الرعاية ، لأن الفسق خروج عن محيط كالكم للثمرة و الحجر
 ه - للفارة - انتهى .

ثم بينهم بقوله « الذين ينقضون » من النقض ٣ و هو حل أجزاء الشيء .
 بعضها عن بعض « عهد الله » أى الذى أخذهم عليه على ماله من العظمة
 بما ركز فيهم من العقول و نصب لهم من الدلائل و العهد التقدم فى
 الأمر - قاله الحرالى .

(١) وقال البيضاوى : أى خارجين عن حد الإيمان كقوله تعالى « ان المنفقين
 هم الفسقون » من قولهم : فسقت الرطبة عن ثمرها - إذا خرجت ، وأصل
 الفسق الخروج عن القصد .
 (٢) فى ظ : الجحرة .

(٣) النقض فسخ التركيب ، وأصله فى طاقات الحبل ، و استعماله فى إبطال
 العهد من حيث أن العهد يستعار له الحبل ، لما فيه من ربط أحد المتعاهدين بالآخر
 و العهد الموثق و وضعه لما من شأنه أن يراعى ويتعهد كالوصية واليمين ؛ وهذا
 العهد إما العهد المأخوذ بالعقل و هو الحجة القائمة على عباده الدالة على توحيد
 وجوب وجوده و صدق رسوله و عليه نزل قوله تعالى « و اشهدهم على
 انفسهم » أو المأخوذ بالرسول على الأمم بأنهم إذا بعث إليهم رسول مصدق
 بالمعجزات صدقوه و اتبعوه و لم يكتموا أمره و لم يخالفوا حكمه .
 (٤) ليس فى ظ ..

'ولما كان المراد عهدا خاصا وهو إرسال الرسل عليهم السلام أثبت الخبر' فقال 'من بعد ميثاقه' ٢، أى بدلالة الكتب على السنة الرسل مع تقريره من الفطر و تسهيله / للنظر، والوثاق شدة الربط / ٤٨ وقوة ما به يربط - قاله الحرالي . ويقطعون ما امر الله ، أى الملك الأعظم ، ولما كان اليان بعد الإجمال أروع للنفس قال . به ، ثم فسرهُ بقوله ه 'ان يوصل' * أى من الخيرات ، قال الحرالي : والقطع الإبادة فى الشيء الواحد والوصل مصيرا لتكلمة مع المكمل شيئا واحدا كالذى يشاهد فى إيصال الماء ونحوه وهو إعلام بأنهم يقطعون متصل الفطرة ونحوها فيسقطون عن مستواها وقد أمر الله أن يوصل' بمزيد علم يتصل بها حتى يصل نشؤها إلى آتم ما تنتهى إليه ، وكذلك حالهم فى كل أمر ١٠

(١) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى ظ .

(٢) فى م ومد : الجار .

(٣) قال البيضاوى : الميثاق اسم لما يقع به الوثاق وهى الاستحكام ، والمراد به ما وثق الله به عهده من الآيات والكتب وما وثقوه به من الالتزام والقبول .

(٤) فى م : فسر .

(٥) يحتمل كل طبيعة لا يرضاها الله تعالى كقطع الرحم والإعراض عن موالاة المؤمنين والفرقة بين الأنبياء عليهم السلام والكتب فى التصديق وترك الجماعات المفروضة وسائر ما فيه رفض خير وتعاطى شرفاته يقطع الوصلة بين الله وبين العبد المقصود بالذات من كل وصل وفصل - انتهى .

(٦) فى ظ : النفى - كذا .

(٧) من ظ ، وفى الأصل وم ومد : توصل .

يجب أن يوصل فيأتون فيما يطلب فيه الأمر الاكمل بضده الانقاص -
 انتهى . « ويفسدون » ؛^١ ولما قصر الفعل ليكون أعم قال « في الأرض »
 أى بالنكوب^٢ عن طريق الحق . قال الحرالي^٣ : ولما كانت الأرض
 موضوعة للنشئ منها وفيها موضع ظهور عامة الصور الراية^٤ اللازمة
 هـ الجسمية و محل تنشؤ صورة النفس بالاعمال^٥ والأخلاق وكان الإفساد
 نقض الصور كما قال تعالى « وإذا تولّى سعى في الأرض ليفسد فيها
 ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد »^٦ كان^٧ فعلهم فيها من نحو

(١) من م ومد و ظ ، وفي الأصل : تطلب .

(٢) العبارة من هنا إلى « قال » ليست في ظ .

(٣) بهامش الأصل : أى الاعراض .

(٤) قال على المهائمي في البحر المحيط « وقال الزمخشري : الإفساد في الأرض
 تهيج الحروب والفتن ، قال : لأن في ذلك فسادا في الأرض وانتفاء الاستقامة
 عن أحوال الناس والزروع والمنافع الدينية والدنيوية ، قال تعالى « ليفسد فيها
 ويهلك الحرث والنسل » « تجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء »
 والأرض متى كثرت معاصي أهلها وتواترت قلت خيراتها وزعت بركاتها
 ومنع عنها الغيث الذي هو سبب الحياة ، فكان فعلهم الموصوف أقوى الأسباب
 لفساد الأرض وخرابها . و قال : وليس ذكر الأرض لمجرد التوكيد بل في ذلك
 تنبيه على أن هذا المحل الذي فيه نشاطكم وتصرفكم ومنه مادة حياتكم وهو ستره
 أمواتكم .

(٥) قوة في ظ : أى النامية . (٦) في ظ : بأعمال .

(٧) سورة ٢ آية ٢٠٥ .

(٨) بهامش ظ : جواب لما كانه ولما عطف عليها امر لا بدوئه - كذا .

فعلهم في وضع الضد السبقي موضع ضده الاكل و التقصير بما شأنه
التكلم فكان إفسادا لذلك - انتهى .

ولما كان كأنه قيل : إن فعل هؤلاء لقيح جدا فما حالهم ؟ قال
« أولئك » أى الأباعد من الصواب « هم الخسرون » أى الذين
قصروا^١ الخسران عليهم ، والخسارة النقص فيما شأنه النماء - قاله الحرالي ، ه
ومن المعلوم أن هذا نتيجة ما مضى من أوصافهم . قال الحرالي : ولما كان
الخاسر من كان عنده رأس مال مهياً للنماء والزيادة فنقصه عن سوء
تدبير ، و كان أمرهم في الأحوال الثلاث المنسوقة^٢ حال من نقص ما شأنه

(١) قال النسفى : « الخسرون » أى المغبونون حيث استبدلوا النقص بالوفاء
والقطع بالوصل والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب . وقال البيضاوى :
الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم الحياة الأبدية
واستبدال الإنكار والظن في الآيات بالإيمان بها والنظر في حقائقها والاعتباس
من أنوارها واشترء النقص بالوفاء والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب .
قال أبوحيان : « أولئك » أى أولئك الجامعون لتلك الأوصاف الذميمة من النقص
والقطع والإفساد « هم الخسرون » وفسر « الخسرون » بالناقصين حظوظهم
وشرفهم وباهالكين . قال القفال : الخاسر اسم عام يقع على كل من عمل عملا
يجزى عليه .

(٢) من م و ظ ، وفي الأصل و مد : قصر .

(٣) في الأصل : المنشوة - بالشين المعجمة ، وفي م : منسوة ، وفي مد :
المنسوة ؛ ولا يتضح في ظ .

النماء كانوا بذلك خاسرين فلذلك انحتمت الآية بهذا، وأشير إليهم بأداة
البعد لوضعهم في أبعد المواضع عن محل الخير - انتهى .

ولما دعا سبحانه إلى التوحيد ودل عليه وأنذر من أعرض وبشر من
أقبل وذكر حال الفريقين في قبول الأدلة التي زبدتها الأمثال وإبائها
التفت إلى تبكيك المدر لعله يستبصر، واستمر سبحانه في دلائل التوحيد
حتى قامت قيام الأعلام ونفذت نفوذ السهام حتى تخللت صميم العظام لقد
ظهرت فلا تخفى على أحد إلا على أكفه لا يبصر^٢ القمر في أسلوب مشيراً
إلى البعث منه على التخلص من الحسارة، وما أبدع افتتاح ذلك عقب
«الحسين» بقوله على طريق التفات المغضب المستعطف المعجب^١ «كيف^٣

(١) في ظ: تربيتها .

(٢) في م: لا تبصر، وفي ظ: لا يعرف؛ وبهامش الأصل: عرّف - كذا .

(٣) قال المصنف: ثم أشار إلى أن الكفر بكتاب الله ليئانه حقارة ما دونه بطريق
التمثيل بأحقر الأشياء لئلا يعبدوا عظمة عنايته بأحقر ما للحث على عبادته كفر بالله
لا استدعائه عبادة الغير دون عبادته على أن فيه تكذيب الله و تكذيب ما بين من
كمال معرفته فأنكر الحالة التي يكون عليها الكفر ليكون إنكاراً له بطريق برهاني .
وفي البحر المحيط: قال الزمخشري و تحريره أنه إذا أنكر أن يكون لكفرهم
حال يوجد عليها و قد علم أن كل موجود لا ينفك من حال وصفة عند وجوده
و محال أن يوجد تغير صفة من الصفات كان إنكاراً لوجوده على الطريق البرهاني
انتهى كلامه . قال البيضاوي: استخبار فيه إنكار و تعجيب لكفرهم بإنكار
حال التي يقع الكفر عليها على الطريق البرهاني لأن صدوره لا ينفك عن حال
وصفة فإذا أنكر أن يكون لكفرهم حال يوجد عليها استلزم ذلك إنكار وجوده
فهو أبلغ و أقوى في إنكار الكفر من التكفرون و أوثق لا بعده.... و المعنى
أخبروني على أي حال تكفرون - انتهى .

وقال الحرالي : لما تقدمت الدعوة للناس فأجاب مبادر و توقف متوقف
 فضربت الامثال فاستدرك وآمن^١ وتمادى متماد على كفره صرف وجه
 الخطاب عن المواجهة من الحق تعالى وأجرى على لسان لؤم وإنكار،
 فجاء هذا الاستفهام لإيضاح انقطاع العذر في التماذى على الكفر، وجاء
 بلفظ كيف لقصور نظرم على الكيفيات المحسوسة^٢ فان كيف كلمة ه
 مدلولها استفهام عن عموم الاحوال التى شأنها أن تدرك بالحواس، فكأنه
 يقال لهم بمدرك^٣ : أى حاسة تماديتم على الكفر بالله ؟ على ما تقتضيه
 صيغة الفعل الدائم فى « تكفرون » انتهى . وقال « بالله » أى مع ظهور
 عظمته و علوه^٤ ، والإنكار الموجب لنفى المنكر^٥ ، كما فى قولك : أتظير
 بغير جناح ، يفيد أنه كان ينبغى أن يكون الكفر فى حيز الممتع لما ١٠
 على بطلانه وصحة التوحيد من الأدلة التى تقوت الحصر، وإنكار حاله
 إنكار لوجوده على طريق البرهان ، لأنه إذا امتنع أن يوجد فى حال
 (١) من مد ، وفى الأصل : ارمن - كذا ، وفى م و ظ : امن .
 (٢) فى م : المحسوسات .
 (٣) كتب فوجه فى الأصل : اى ادراك .
 (٤) العبارة من هنا إلى « مطلقا » ليست فى ظ .
 (٥) وفى تفسير النسفى : كيف « تكفرون » معنى الهمزة التى فى كيف مثله
 فى قولك : اتكفرون بالله ، ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو إلى الإيمان
 وهو الإنكار والتعجب ، ونظيره قولك : أتظير بغير جناح ؟ وكيف تظير بغير
 جناح ؟ والواو فى « و كنتم امواتا » نطقا فى أصلاب آباءكم للحال و « قد »
 مضمرة . وقال البيضاوى : « كنتم امواتا » أى أجساما لا حياة لها عناصر وأغذية
 وأخلاطا ونطقا ومضغا مخلقة وغير مخلقة - انتهى .

من الأحوال امتنع وجوده مطلقا .

قال الحرالي : و اعلى هذا الخطاب فأبعدوا عن تيسيره بذكر اسم « الله »
لما لم يكونوا من أهل قبول التنزل بدعوى اسم الربوبية حيث لم يكونوا
من أجاب مبادرا ولا تاليا حسبا تشعر به آية تحقيق ضرب الأمثال . ولما
جى هذا الخطاب بذكر اسم الله أعقب بذكر الأفعال الإلهية التي هي
غايات من الموت والإحياء المعروف للذين لا ينكر الكفار أمرهما -
انتهى . « و كنتم ، أى و الحال ' أنكم تعلمون ' أنكم كنتم « امواتا »
بل مواتا ترايا ٣ ثم نطقا . قال الحرالي : من الموت و هو حال خفاء
و غيب يضاف إلى ظاهر عالم يتأخر عنه أو يتقدمه تفقد فيه خواص
١٠ ذلك الظهور الظاهرة - انتهى . وإطلاق الموت على ما لم تحله حياة مجاز ،
و سرّ التعبير به التنبيه على أنه أكثر ما تكون ' الإعادة ٢ التي ينكرونها '
مثل الابتداء ، فلا وجه أصلا لإنكارها مع الاعتراف بالابتداء ، فكيف '
و الإعادة دونه « فاحياكم » فصرتم ذوى حس و بطش و عقل ٧ . قال

(١) ليس في م و ظ .

(٢-٢) ليست في ظ .

(٣) ليس في ظ .

(٤) في م و ظ : يكون .

(٥) من م و مد و ظ ، وفي الأصل : ينكروها .

(٦) ليس في م .

(٧) قال البيضاوى : بخلق الأرواح و نفخها فيكم ، وإنما عطف بالقاء لأنه متصل
بما عطف عليه غير مترسخ عنه بخلاف البواق . وقال الهائمي : « و » قد عظمت عنايته
بكم إذ « كنتم امواتا » أى أجساما لا حياة فيها عناصر أو أغذية أو نطقا أو مضغا =

- الحراى : وجاء بالقاء المشعرة / بالتحقيب لما لم يكن لهم معرفة بمهل الموت^١ الذى قبل حياة الولادة ، والحياة تكامل فى ذات ما أدناه حياة النبات بالنمو والاهتزاز مع انفراسه إلى حياة ما يدب بحركته وحسه إلى غاية حياة الإنسان فى تصرفه و تصرفه إلى ما وراء ذلك من التكامل - انتهى^٢ .
- « ثم يميتكم » بعد مد الأعمار والتقلب فى الأطوار فإذا أتم أجساد كالفتنار ه كأنه لم تحل بها حياة ساعة قط ، و بدلتهم بعد الانس بكم الوحشة ، وإثر حجة القرب منكم النفرة ؛ وتمثيل الموت بما نعهده أن طلب الملك كما أنه يحصل به من الروح ما يكاد يتلف وربما أتلّف كان طلب ملك الملوك موجبا للموت . قال الحراى^٣ : وهذه الاحوال الثلاثة أى الموت المعبر به عن
- العدم ثم الحياة ثم الموت معروفة لهم لا يمكنهم إنكارها ، وإذا صح منهم ١٠ الإقرار بحياة موت لزهم الإقرار بحياة موت آخر لوجوب الحكم بصحة وجود ما قد سبق مثله ، كما قال تعالى « أو ليس الذى خلق السموات والأرض = ثم أمواتا بالجهل » فأحياكم « بنفخ الأرواح فيكم وإزال الكتب عليكم » ثم يميتكم « بأذهاب صفات نفوسكم بمقتضى الكتاب وبالموت الطبيعى لا لإعدامكم بل لينقلكم إلى دار أكل من داركم - انتهى .
- (١) ليس فى ظ .
- (٢) ليس فى م .
- (٣) قال البيضاوى : فإن قيل إن علموا أنهم كانوا أمواتا فأحياهم ثم يميتهم لم يعلموا أنهم يميتهم ثم إليه يرجعون ، قلت : تمكنهم من العلم بهما لما نصب لهم من الدلائل منزل منزلة عليهم فى إزاحة العذر سيما وفى الآية تنبيه على ما يدل على صحتها وهو أنه تعالى لا قدر أن أحياهم أولا قدر أن يميتهم ثانيا ، فإن بدء الخلق ليس بأهون عليه من إعادته - انتهى .

بقدر على ان يخلق مثلهم'، وكُنْ ذلك من العلم أن الموت والحياة مزدوجان متضايقان، وإذا استوفى الموت الأول إحياءه فلا بد من استيفاء الموت الثانى إحياءه أيضا، لأنه لو لا استقبال الحياة لما كان موتا بل بطلا وفقدا واضمحلالا^٢، لأن حقيقة الموت حال غيب بين يديه ظهور، والحياة نهاية ثابتة، والموت مبدأ غيب زائل، فجنس الموت كله متقضى ونهاية، والحياة ثابتة دائمة؛ ولذلك ورد ما صح عنه عليه الصلاة والسلام فى أن الموت يُذبح، إعلام بانقضاء جنسه و ثبات الحياة، ولذلك قدم فى الذكر وأعقب بالحياة حيث استغرقتهما كلمة «ال» فى

(١) سورة ٢٦ آية ٨١ .

(٢) وقال الشريينى الخطيب فى السراج المنير: والحياة حقيقة فى القوة الحاسة وما يقتضيها وبها سُمى الحيوان حيوانا، مجاز فى القوة النامية لأنها من طلائعها ومقدماتها، وفيما يخص الإنسان من الفضائل كالعلم والعقل والإيمان من حيث أنها كمالها وغايتها، والموت بازائها يقال على ما يقابلها فى كل مرتبة؛ مثال ما يقابل الحقيقة قوله تعالى « قل الله يحىيكم ثم يميتكم » ومثال ما يقابل المجاز قوله تعالى « اعلموا ان الله يحى الأرض بعد موتها » وقوله تعالى « او من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس » .

(٣) قال البيضاوى: فان قيل: كيف يعد الإمامة من النعم المقتضية للشكر؟ قلت: لما كانت وصلة إلى الحياة الثانية التى هى الحياة الحقيقية كما قال تعالى « وان الدار الآخرة لهى الحيوان » كانت من النعم العظيمة مع أن العدود عليهم نعمة هو المعنى المنتزع من القصة بأسرها كما أن الواقع حالا هو العلم بها لا كل واحدة من الجمل، فان بعضها ماض وبعضها مستقبل وكلاهما لا يصح أن يقع حالا - انتهى .

(٤) من ظ، وفى الأصل وم ومد: استغرقتها - بالضمير المفرد المؤنث .

قوله «خلق الموت والحياة»، وثبت الخطاب على إقرار الحياة والكمال، كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم في قوله: نعم الجنة لا آخر له، فوجب بظاهر ما أحسه الكفار وباطن ما اقتضاه هذا النحو من العلم بدوره انتشار حياة ثانية^٣ بعد ميتة الدنيا - انتهى .

ولما كان على البعث والحشر من الأدلة ما جعلها كالمحسوسين^٥ عدهما في حيز المعلوم لهم كالإحياء الأول والموت فقال: «ثم يحبسكم»، فينشركم بعد طيكم ويعيشكم بعد حبسكم في البرزخ، فتكونون كما كنتم أول مرة ذوى قدرة على الانتشار^٦ بتلك القدرة التي ابتدأكم بها وأماتكم،

(١) سورة ٦٧ آية ٢ .

(٢) وفي م: اثبت .

(٣) في مد و ظ: ثابتة .

(٤ - ٤) ليست في ظ .

(٥) قال على المهامنى: «ثم يحبسكم» بصفاته بمقتضى الكتاب وبالنشر ولا يكون كالإحياء الأول بالحجاب «ثم إليه ترجعون» بالبقاء به بعد الفناء بمقتضى الكتاب وفي الموت الطبيعي للجزاء الفارق بين الولي والعدو، ولا يترك ذلك لأنه قد خلق لكم جميع النعم فلا بد أن يسألكم عنها هل صرفتموها فيما خلقها من أجله أم لا - انتهى . وقال البيضاوى: «ثم يحبسكم» بالنشور يوم نفخ الصور أو للسؤال في القبور «ثم إليه ترجعون» بعد الحشر فيجازيكم بأعمالكم، أو تنشرون إليه من قبوركم للحساب، فما أعجب كفركم بعد علمكم بحالكم هذه - انتهى . قال التفازانى: ولم لا يجوز أن يراد مطلق الإحياء بعد الإمامة على ما يعم الإحياء في القبور والنشور، ولا بعد فيه لشدة ارتباط الإحياءين واتصالهما في الانقطاع عن أمر الدنيا - السراج المنير ص ٣٩ .

‘ وهذا لا ينبغي أن يكون لهم في البرزخ إحساس بدور هذه الهيئة الكاملة ‘، ثم إليه ترجعون، فيحشركم بعد طول الوقوف للجزاء من الثواب والعقاب؛ وفي هذا كما قال الحرالي إعلام بأنهم إن لم يرجعوا إلى الله سبحانه بداعي العلم في الدنيا فبعد مهل من الإحياء الثاني يرجعون إليه قهراً حيث يشاهدون انقطاع أسبابهم ممن تعلقوا به ويتبرأ منهم ما عبدوه من دون الله، وإنما جاء هذا المهل بعد البعث لما يبقى لهم من الطمع في شركائهم حيث يدعونهم فلم يستجيبوا لهم، فينتد يضطرم انقطاع أسبابهم إلى الرجوع إلى الله فيرجعون قسراً وسوقاً فينتد يجزيهم بما كسبوا في دنياهم، كما قال تعالى في خطاب يعم كافة أهل الجزاء: ‘ واتقوا ١٠ يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ٣٠ ‘، وهذا آخر خطاب الإقبال عليهم من دعوة الله لهم ولسان النكير عليهم، ولذلك كانت آية ‘ واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ‘ آخر آية أنزلت في القرآن، لأنها نهاية ليس وراءه قول يعم أهل الجزاء؛ والرجع؛ عود

(١ - ١) ليست في ظ .

(٢) العبارة من هنا إلى ‘ كانت آية ‘ ليست في ظ .

(٣) سورة ٢ آية ٢٨١ .

(٤) وفي البحر المحيط : والرجوع إلى الله تعالى حاصل عقب الحياة التي للبعث، فدل ذلك على أن تلك الحياة المذكورة هي للساعة، وقيل إن الهاء في قوله ‘ إليه ‘ عائدة على الإحياء المدلول بقوله ‘ فاحياكم ‘ (وشرح) هذا أنكم ترجعون بعد الحياة الثانية إلى الحال التي كنتم عليها في ابتداء الحياة الأولى من كونكم لا تملكون أنفسكم شيئاً .

الشيء عند انتهاء غايته إلى مبدئها - انتهى .

ولما أجمل سبحانه في أول هذه الآية أول أمرهم وأوسطه وآخره^١ على الوجه الذى تقدم أنه منه على أن الكفر ينبغى أن يكون من قبيل المتمتع^٢ لا عليه من باهر^٣ الأدلة شرع^٤ يفصله على وجه داع لهم إلى جنابه^٥ بالامتنان بأنواع الإحسان^٦ بأمر أعلى في إفادة المقصود مما قبله . على عادة القرآن في الترقى من العالى إلى الأعلى فساق^٧ سبحانه ابتداء الخلق الذى هو من أعظم الأدلة على وحدانيته مساق الإنعام على عباده بما فيه من منافعهم ليكون داعيا إلى توحيده من وجهين : كونه دالا

(١) ليس في م و ظ ، و كتب في الأصل فوق « في » ، وزيد بعد « في » في متن مد .

(٢) العبارة من هنا إلى « الأدلة » ليست في ظ .

(٣) في م : التمتع .

(٤) وفي م : تأثير .

(٥) في ظ : بشرع .

(٦) في ظ : جنانه .

(٧) العبارة من هنا إلى « الأعلى » ليست في ظ .

(٨) قال أبو حيان في البحر المحیط : مناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة وهو أنه لما ذكر أن من كان منشئا لكم بعد العدم ومفنيا لكم بعد الوجود و موجدا لكم ثانية إما في الجنة وإما إلى نار كان جديرا أن يعبد ولا يمجّد ويشكر ولا يكفر ، ثم أخذ يذكرهم عظيم إحسانه و جزيل امتنانه من خلق جميع ما في الأرض لهم و عظيم قدرته و تصرفه في العالم العلوى و أن العالم العلوى و العالم السفلى بالنسبة إلى قدرته على السواء و أنه عظيم بكل شيء .

على عظمة مؤثرة وكمال قدرته ، وكونه إحسانا إلى عباده ولطفابهم ،
وقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها فقال ' هو ' ، قال الحرالي :
وهي كلمة مدلولها العلى^٢ غيب الإلهية القائم بكل شيء الذي لا يظهر
لشيء ، فذاته أبدا غيب ، وظاهره الأسماء المظهرة من علو إحاطة اسم
الله إلى تنزل اسم الملك ، فإ بينهما من الأسماء المظهرة ، ثم قال : لما
انتهى الخطاب بذكر إرجاعهم إلى الله وكان هذا خطابا خاصا مع المتأدي
على كفره اتبع عند إعراضه وإدباره بهذا الحتم^٣ تهديدارمى به بين
أكتافهم^٤ وتسييا نيط بهم ومُدّ لهم كالمرخي له في السبب^٥ الذي يراد

(١) ليس في ظ .

(٢) أسماء الله تعالى على ثلاثة أقسام : مظهرات ومضمرات ومستترات ،
فالْمُظْهِرات أسماء ذات وأسماء صفات وهذه كلها مشتقات وأسماء الذات
مشتقات هي كثيرة وغير مشتق واحد وهو الله ، فانه أعظم أسمائه المظهرات
الدالة على الذات ، والفظة هو من أعظم أسمائه المظهرات والمضمرات للدلالة
على ذاته ، وينبئ عن كنه حقيقته المخصوصة المبرأة عن جميع جهات الكثرة
من حيث هو هو ، فلفظة هو توصلك إلى الحق وتقطعك عما سواه - من يريد

زيادة التحقيق فليطلب فيه ج ١ ص ١٣٣ .

(٣) من ظ ومد ، وفي الأصل و م : للعلى .

(٤) هكذا في الأصل و ظ بالخاء المهملة ، وفي م : الحتم - كذا بالخاء المعجمة ؛

ولا يتضح في مد .

(٥) في م : اكنافهم .

(٦) زيد في م : الحبل .

أن يجذب / به، إما بأن يتداركه لطف فيرجع عليه طوعا، أو يراد به / ٥٠
قسرا عند انتهاء مدى إداره، وانتظم به ختم آية الدعوة بنحو من
ابتدائها، إلا أن هذه على نهاية الاقتطاع بين طرفيها وتلك على أظهر
الاتساق؛ فأبعدوا في هذه كل البعد باستناد الأمر إلى اسم هو الذي
هو غيب اسم الله وأسند إليه خلق ما خلق لهم في الأرض الذي هو ٥
أظهر شيء للحس - انتهى .

«الذي خلق لكم» 'دينا ودينا' لطفًا بكم «ما في الأرض» أي ٣ بعد
أن سواهن سبعا، قال الحزالي: وقوله «جميعا» إعلام بأن حاجة
الإنسان لا تقوم بشيء دون شيء وإنما تقوم بكليّة ما في الأرض حتى
لو بطل منها شيء تداعى سائرهما - انتهى . ١٠ الآية دليل على أن الأصل
في الأشياء الإباحة، فلا يمنع شيء إلا بدليل .

(١) وفي البحر المحيط: و«لكم» متعلق بخلق، واللام فيه قيل للسبب أي
لأجلكم ولانتفاعكم وقدّر بعضهم: لاعتباركم، وقيل للتملك والإباحة، فيكون
التمليك خاصا وهو تملك ما ينتفع الخلق به وتدعو الضرورة إليه، وقيل
للاختصاص وهو أعم من التملك؛ والأحسن حملها على السبب فيكون مفعولا من
أجله، لأنه بما في الأرض يحصل الانتفاع الديني والدنيوي، فالديني النظر فيه
وفيما فيه من عجائب الصنع ولطائف الخلق الدالة على قدرة الصانع وحكمته ومن
التذكير بالآخرة والجزاء، وأما الدنيوي فظاهر، وهو ما فيه من المأكل
والشرب والملبس والنكح والركب والمناظر البهية وغير ذلك .

(٢-٢) ليس في ظ .

(٣) ليس في ظ .

(٤-٤) ليست في م و ظ .

ولما كانت السماء^١ أشرف من جهة العلو الذى لا يرام ، والجوهر
البالغ فى^٢ الأحكام ، والزينة^٣ البديعة النظام ، المبينة على المصالح الجسام ،
وكثرة المنافع والأعلام ، عبر فى أمرها بتم فقال^٤ : « ثم استوى إلى السماء » ،
أى^٥ وشرف على ذلك جهة العلو بنفس الجهة والحسن والطهارة وكثرة
المنافع ، ثم علق إرادته ومشيته بتسويتها من غير أدنى عدول ونظر إلى
غيرها ، ونظم أمرها بالإيهام ثم التفسير ، والإفراد الصالح لجهة العلو

(١) ليس فى م .

(٢) ليس فى ظ .

(٣) وفى ظ : الرتبة .

(٤) قال أبو حيان فى النهر من البحر : ثم ذكر تعالى عظيم قدرته فى العالم العلوى
أنه والعالم السفلى بالنسبة إلى قدرته على السواء وأن علمه محيط بكل شئ .
و « ثم » تقتضى التراخى فى الزمان ولا زمان ولما كان بين خلق الأرض والسماء
أعمال من جعل الرواسى والسمك وتقدير الأقوات عطف بتم ، إذ بين خلق
الأرض وما فيها وبين الاستواء تراخ وإن لم يقع ذلك فى زمان . وقال فى
البحر المحيط : ومعنى التسوية تعديل خلقهن وتقويمه وإخلاؤه من العوج
والقصور ، أو إتمام خلقهن وتكميله من قولهم : درهم سواء ، أى وزن كامل
تام ، أو جعلهن سواء من قوله « اذ نسويكم برب العالدين » أو تسوية سطوحها
لاملاس . قال الزمخشري : والضمير فى « فسوئهن » ضمير مبهم و « سبع سموات »
تفسيره كقوله : ربه رجلا - انتهى كلامه .

(٥) العبارة من هنا إلى « ثم » ليست فى ظ ومد ، ولفظ « ثم » فقط ليس
فى م .

(٦) م م ومد و ظ ، وفى الأصل : لافراد .

تنبيها على الشرف ، وللجنس الصالح للكثرة ، ولذلك أعاد الضمير جمعا ، فكان خلق الأرض وتهيئتها لما يراد منها قبل خلق السماء ، ودحوها^١ بعد خلق السماء ؛ على أن ثم^٢ للتعظيم لا للترتيب فلا إشكال ، وتقديم الأرض هنا لأنها أدل لشدة الملازمة والمباشرة . و٣ قال الحرالي : أعلى الخطاب بذكر الاستواء إلى السماء الذي هو موضع التخوف لهم لنزول^٥ المخوفات منه عليهم ف قيل لهم : هذا المحل الذي تخافون^٥ منه هو استوى إليه ، ويجرى لفظ الاستواء في الرتبة والمكانة أحق بمعناه من موقعه في المكان والشهادة ؛ وبالجملة فالأحق بمجرى الكلام وقوعها^٦ نبأ^٦ عن^٦ الأول الحق ، ثم وقوعها^٧ نبأ^٧ عما في أمره وملكوته ، ثم وقوعها^٧ نبأ^٧ عما في ملكه و أشهاده ؛ فلذلك حقيقة اللفظ لا تصلح^٨ أن تختص بالمحسوسات البادية في الملك دون^{١٠} الحقائق التي من ورائها من عالم الملكوت ، وما به ظهر الملك والملكوت من نبأ^٩ الله عن نفسه^٩ من الاستواء^٩ ونحوه^٩ في نبأ^٩ الله عن نفسه أحق

(١) وقع في م : دخومها - كذا مصحفا .

(٢) قال النسفي : و « ثم » هنا لبيان فضل خلق السماوات على خلق الأرض ، ولا يناقض هذا قوله « والأرض بعد ذلك دحنها » لأن جرم الأرض تقدم خلقه خلق السماء ، وأما دحوها فتأخر .

(٣) ليس في ظ .

(٤) في ظ : نزول .

(٥) من ظ و مد ، وفي الأصل و م : يخافون .

(٦-٦) وفي م : نبأ^٦ على .

(٧) في م : بنا .

(٨) في مد : يصلح .

حقيقة ، ثم النبأ به عن الروح مثلاً و استوائها على الجسم ثم على الرأس
مثلاً و استوائه على الجنة فليس تستحق الظواهر حقائق الألفاظ على
بواطنها بل كانت البواطن أحق باستحقاق الألفاظ ؛ و بذلك يندفع
كثير من لبس الخطاب على المقتصرين بحقائق الألفاظ على محسوساتهم
هـ «فسوئهن» التسوية إعطاء أجزاء الشيء حظه لكامل صورة ذلك الشيء
«سبع سموات» أعطى لكل واحدة منهن حظها «وارحى في كل سما»
امرأها»^١ - انتهى . وخلق جميع ما فيها لكم ، فالآية من الاحتباك ؛

= (٩ - ٩) ليست في ظ .

(١٠) قال البيضاوى : قصد إليها بإرادته من قولهم : استوى إليهم كالسهم المرسل -
إذا قصده قصدا مستويا من غير أن يلوى على شيء ، و أصل الاستواء طلب
السواء ، و إطلاقة على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الأجزاء ، و لا يمكن
حمله عليه تعالى لأنه من خواص الأجسام ، و قيل : استوى استولى وملك ، قال
شعر :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهباق
و الأول أوفق للأصل و الصلة المعنى بها و التسوية المترتبة عليها بالفاء . و قال
ثناء الله العثماني : قال ابن عباس و أكثر المفسرين من السلف : أى ارتفع إلى
السماء ، فهو من التشابهات نحو «الرحمن على العرش استوى» . و ذكر أبو حيان
في البحر المحیط في الاستواء سبعة أقوال - و قال : و هذه التأويلات كلها
فرار عما تقر في العقول من الله تعالى يستحيل أن يتصف بالانتقال الممهود في غيره
تعالى و أن يحل فيه حادث أو يحل هو في حادث ؛ وسيأتى الكلام على الاستواء
بالنسبة إلى العرش إن شاء الله تعالى - انتهى كلامه .

(١) قال على المهاشمي : «فسوئهن سبع سموات» أى جعلهن سبع سموات معتدلة =

حذف ' أولا كون الاراضى سبعا لدلالة الثانى عليه ، وثانيا كون ما فى السماء لنا لدلالة الاول عليه ؛ وهو فى عزيز نقيس وقد جمعت فيه كتابا حسنا ذكرت فيه تعريفه ومأخذه من اللغة وما حضرنى من أمثله من الكتاب العزيز وكلام الفقهاء وسميته ' الإدراك لفن الاحباك ' .

ولما كان الخلق على هذه الكيفية دالا بالبديهة على أتم قدرة لصانه ه وكان العلم بأن مبنى ذلك على العلم محتاجا إلى تأمل اغتنى فى مقطع الآية بقوله ' وهو بكل شىء عليم ' . أى فهو على كل شىء قدير . ولما ذكر

= لا عوج فيها ولا فطور ليحصل من أوضاع كواكبها السيارة الأشياء المكنونة فى الأرض وخلق فيكم أسرارها أيضا ، وإنما خص السبع أغلبية تعلق الآثار السفلية بكواكبها ، وليس فى الآية نفى الزائد ' و ' ذلك لعله يربط كل شىء بسببه إذ ' هو بكل شىء عليم ' فيعلم ما فيها فيسهل عليه جميع أسرارها فى الإنسان و يعلم أجزاء الميت فيسهل عليه جميعها لإعادته و يعلم مقدار ما يقتضى كل عمل من الجزاء وما يقتضيه شاكر هذه النعم وكافرها فلا يعمل الحكمة من راعاها فى هذه الأشياء بترك الجزاء فهذا كالمجبىء إلى ترك الكفر به ولو فى ضمن الكفر ؛ ثم أشار إلى أنه إنما خلق له ما فى الأرض جميعا وسوى له السماوات السبع لأنه جامع لأسرار الله و أسرار العالم صالح لخلافته عليهم - انتهى كلامه .

(٢) سورة ٤١ آية ١٢ .

(١) من حذف الشىء هيا و صنعه ، وحذف شعره طرره و سواء ، وهو أن يأخذ من فواحيه حتى يستوى - قطر المحيط ص ٣٧٢ وفى ظ: حذف - كذا بالدال المهمة .

(٢) فى م : حضرى - كذا .

الحياة و الموت المشاهدين تنبيها على القدرة على ما اتبعها^١ به من البعث
ثم دل على ذلك أيضا بخلق هذا الكون كله على هذا النظام البديع وختم
ذلك بصفة العلم ذكر ابتداء خلق هذا النوع البشرى المودع من صفة
العلم ما ظهر به فضله بقوله تعالى عطفًا على قوله «اعبدوا ربكم» و بيانًا
٥ لقوله «رب العالمين» إذ من البدء تعلم^٢ العودة لمن تدبر، أو يكن
عطفًا على ما تقديره: اذكر هذا لهم، وذلك أنه سبحانه لما خاطبهم بهذا
الاستفهام الذى من معانيه الإنكار ذاكرًا الاسم الأعظم الذى هو أعلى
الاسماء وأبطنها غيا و الضمير الذى «هو» أبطن منه، و اتبعه بعض
ما هم له منكرون أو به جاهلون، و أشار بقوله «لكم» مثبتة فيما هو ظاهر
١٠ عندهم و محذوفة بما^٣ هو خفي عنهم، كما نبه عليه فى الاحتباك إلى أنه
لم يخلق^٤ هذا النوع البشرى للفناء بل للبقاء بما أبان عن أنه إنما خلق جميع

(١) وفى م: اتبعها .

(٢) فى ظ: يُعلم .

(٣) فى ظ: فيما .

(٤) قال البيضاوى: و اعلم أن صحة الحشر مبنية على ثلاث مقدمات و قد برهن
عليها فى هاتين الآيتين: أما الأولى فهى أن مواد الأبدان قابلة للجمع و الحياة،
و أشار إلى البرهان عليها بقوله «و كنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم» فان تعاقب
الافتراق و الاجتماع و الموت و الحياة عليها يدل على أنها قابلة لها بذاتها، و ما
بالذات يابى أن يزول و يتغير؛ و أما الثانية و الثالثة فانه عالم بها و بمواقعها قادر
على جمعها و إحياؤها، و أشار إلى وجه إثباتها بأنه تعالى قادر على إبدائهم و إبداء =

ما في هذه الأكوان لأجلهم ، فالبعض رزق لهم والبعض أسباب له ،
والبعض أبجدهم لأبيهم وهم في صلبه وكلهم بهم في حفظ أعمالهم
وقسم أرزاقهم ونفخ أرواحهم وغير ذلك من تربيتهم وإصلاحهم ؛
لم يكونوا أهلا لفهم هذا الخطاب حق فهمه تلقيا^١ عن الله علوه سبحانه
وعلو هذا الخطاب بالأسماء الباطنة^٢ وما نظم بها من المعاني اللائقة بها^٣
علوا وغيا فأعلم سبحانه بعطفه^٤ إذ ،* على غير ظاهر أنه معطوف على

= ما هو أعظم خلقا وأعجب صنعا فكان أقدر على إعادتهم وإحيائهم ، وأنه خالق
خلقاً مستويا محكما من غير تفاوت واختلال مراعى فيه مصالحهم وسد حاجاتهم ،
وذلك دليل على تناهي علمه وكمال حكمته جلّت قدرته ودقت حكمته - انتهى
كلامه .

(١) وفي م : وكله .

(٢) في م : تلقا .

(٣) في م : الباقية .

(٤) قال البيضاوي : تعداد لنعمة ثالثة تعم الناس كلهم ، فإن خلق آدم وإكرامه
وتفضيله على سكان ملكوته بأن أمرهم بالسجود له إنعام يعم ذريته . وقال
أبو حيان : وإضافته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تنبيه على شرفه واختصاصه
بخطابه وعز لاستماع ما يذكر بعد ذلك من غريب افتتاح هذا الجنس الإنساني
وابتداء أمره ومآله ، وهذا تنويع في الخطاب وخروج من الخطاب العام إلى
الخاص ، وفي ذلك أيضا إشارة لطيفة إلى أن المقبل عليه بالخطاب له الحظ الأعظم
والقسم الأوفر من الجملة المنجر بها ، إذ هو في الحقيقة أعظم خلقائه ؛ ألا ترى
إلى عموم رسالته ودعائه وجعل أفضل أنبيائه ، أم بهم ليلة إسرائه ، وجعل آدم =

نحو: اذكر لهم^١ أيها الرسول هذا، لأنه لا يفهمه حق فهمه عنا سواك،
 وهم إلى الفهم عنك أقرب / ه واذه أي واذكر ما اتفق اذ^٢، وحذف
 هذا المعطوف عليه لاحتمال الأمور بذكره الإنكار^٣ والسياق لإيراد
 الرفق والبشارة على لسانه صلى الله عليه وسلم استعطافا لهم إليه وتحيينا
 ه وفي حذفه أيضا والدلالة عليها بالعاطف حث على تدبر ما قبله
 تنبيها على جلالة مقداره ودقة أسرار^٤ه، ولما علمت الإشارة لكن لأهل
 البصارة اتبعها قصة آدم عليه السلام دليلا ظاهرا ومثالا بينا لخلاصة
 ما أريد بهذه الجمل^٥ مما^٦ نه عليه بالعاطف من أن النوع الآدمي هو
 المقصود بالذات من هذا الوجود، وأنه لا يجوز في الحكمة أن يترك بعد
 ١٠ موته من غير إحياء يرد به إلى دار لا يكون في شيء من أمور^٧ها من
 أحد نوع من الخلل وتكون الحكمة فيها ظاهرة جدا^٨ لا خفاء بها^٩
 أصلا، فيظهر الحمد آثم ظهور^{١٠}؛ ولذلك ذكر تفضيل^{١١} آدم عليه السلام^{١٢}
 = فن دونه يوم القيامة تحت لوانه، فهو المقدم في أرضه وسنائه وفي دارى تكليفه
 وجزائه - انتهى . (هـ) في م: او .

(١) ليس في ظ .

(٢) ليس في م .

(٣) بهامش الأصل: معمول الاحتمال .

(٤) وفي ظ: الجملة .

(٥) في ظ: ما .

(٦-٦) في م و ظ: لاخفايها - كذا .

(٧) في م: تفصيل .

بالعلم ، ثم باسجاد الملائكة له ، ثم باسكانه الجنة ، ثم بتلقى أسباب التوبة عند صدور الهفوة ؛ وقد روى البيهقي في أواخر الدلائل^١ والحارث ابن أبي أسامة والحاكم في المستدرک عن بشر بن شفاف عن عبد الله ابن سلام رضى الله عنه قال : إن أكرم خليفة^٢ الله^٣ على الله أبو القاسم صلى الله عليه وسلم ، قلت : رحمك الله ! فأين الملائكة ؟ فنظر إلى وضحك^٥ فقال : يا ابن أخى ! وهل تدري ما الملائكة ؟ إنما الملائكة خلق كخلق الأرض وخلق السماء وخلق السحاب وخلق الجبال وخلق الرياح وسائر الخلائق التى لا تعصى الله^٤ شيئا ، وإن أكرم الخلائق على الله أبو القاسم صلى الله عليه وسلم . وقال البيهقي : إنه ليس بموقوف^٦ بل حكمه^٧ الرفع . وقال الحرالى : لما جعل الله تعالى نور العقل هاديا لآيات ما ظهر^{١٠} فى الكون وكان من^٨ الخلق مهتدي به ومعرض عنه بعث الله النبيين مبشرين لمن اهتدى بنور العقل بمقتضى الآيات المحسوسة وتلك هى الخفيفة والملة الإبراهيمية ، ومنذرين لمن أعرض عن ذلك وشغله شهوات دنياه ،

(١) العبارة من هنا إلى « المستدرک » ليست فى ظ .

(٢) فى الأصل : خليفة .

(٣) ليس فى م .

(٤) وفى م : لربه ، والصواب : لربها .

(٥) فى م : لموقوف .

(٦) فى م ومد : الحكمة - كذا .

(٧) فى مد : فى .

فترتب لذلك خطاب الكتاب بين ما يخاطب به الأعلين المهتدين وبين ما يخاطب به الأدنى المعرضين، وكذلك ' تفاوت الخطاب بين ما يخاطب به الأئمة ' المهتدين والمؤمنون بهم، فكان أعلى الخطاب ما يقبل على إمام الأئمة وسيد السادات وأحظى خلق الله عند الله محمد صلى الله عليه وسلم، ه فكان أول الخطاب بالآم ذلك الكتب إقبالا عليه وإيتاء له من الذكر الأول كما قال عليه السلام: أوتيت البقرة وآل عمران من الذكر الأول، وهو أول مكتوب حين كان الله ولا شيء معه، وكتب في الذكر الأول ٣ كل شيء، فخاطبه الله عز وجل بما في الذكر الأول وأنزله قرآنا ليكون آخر المنزل الخاتم هو أول الذكر السابق ليكون الآخر الأول ١٠ في كتابه كما هو في ذاته، فمن حيث كان الخطاب الأول من أعلى خطاب الله لمحمد صلى الله عليه وسلم انتظم به ما هو أدنى خطاب من آيات الدعوة تنبيها لمن أعرض عن الاستضاءة بنور العقل لما بين الطرفين من

(١) في م: لذلك، ولا يتضح في مد.

(٢) في الأصول: أئمة - كذا.

(٣) هكذا ثبت في الأصل وظ ولكن ضرب عليه في الأصل، وليس في

م ومد.

(٤) في م: أول.

(٥) زيد في م: و.

(٦) في م: آخر.

(٧) زيد في م: في.

تناسب التقابل؛ ثم عاد وجه الخطاب إليه صلى الله عليه وسلم بما هو إعلام بغائب الماضي عن كائن الوقت من أمر ابتداء مفاوضة الحق ملائكته في خلق آدم ليكون ذلك ترغيباً للبشرين في علو الرتب إلى التكامل كما كانت آية^١ الدعوة تنبيهاً للعرضين ليعودوا إلى الإقبال، وخصوص الإنزال إنما هو في الإنشاء بغيب الـكون من ملكوته و غائب أيام الله الماضية^٥ ومنتظر أيام الله الآتية، فذلك الذى يخص المهتدين بنور العقل ليرتقوا^١ من حد الإيمان إلى رتبة اليقين، وإنما يرد التنبيه و التنزيل بما فى نور العقل هدايته من أجل المعرضين؛ فكان ما شمله التنزيل بذلك أربعة أمور: أحدها التنبيه على الآيات بمقتضى أسماء الله من اسمه الملك إلى اسمه الرحمن الرحيم إلى اسمه رب العلمين إلى اسمه العظيم الذى هو الله، والثانى التنبيه^{١٠} على غائب المنتظر الذى الخلق صائرون إليه ترغيباً و ترهيباً، والثالث الإعلام بماضى^٣ أمر الله جميعاً^٤ اللهم للجد و الانكماش فى عبادة الله، والرابع التبصير ببواطن كائن الوقت الذى فى ظاهره إعلامه؛ فكان أول التنزيل فى هذه السورة أمر أول يوم من ذكر الله وهو كتب مقتضى العلم و القدر فى قسمه تعالى عباده بين مؤمن و كافر و منافق، ثم أنزل الخطاب^{١٥} إلى آية الدعوة من وراء حجاب الستر بسابق التقدير فعم به الناس و نبههم

(١) ليس فى ظ .

(٢) زيد فى مد: الى .

(٣) فى ظ: بما مضى .

(٤) فى م: جميعاً .

(٥) فى م: اللهم - وهو كما ترى .

على آيات ربوبيته وحيا أوحاه الله منه إليه، ثم عطف على ذلك إعلاما
لابتداء المفاوضة في خلق آدم عطفًا على ذلك الذى يعطيه إفهام هذا
الإفصاح، فلذلك قال تعالى د واذ، فان الواو حرف يجمع ما بعده مع
شئ قبله إفصاحا فى اللفظ أو إفهاما فى المعنى، وإنما يقع ذلك لمن
٥ يعلو خطابه ولا يرتاب فى إبلاغه. واذ اسم مبهم لما مضى من الأمر
والوقت، د قال، ٣ من القول وهو إبداء صور الكلم نظما بمنزلة اتلاف
الصور المحسوسة جمعا، / فالقول مشهود القلب بواسطة الأذن، كما أن
المحسوس مشهود القلب بواسطة العين وغيره.

/٥٢

ثم قال: لما أنبأ الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بما فى الذكر
١٠ من التقدير الذى هو خبء الشرعة ونظم به ما أنزل من دعوة الخلق
إلى حكمه فانتظم ذلك رتبتي أمر نظم تعالى بذلك إزال ذكر خلق معطوفا
على ذكر خلق أعلى رتبة منه، نسبته منه كنسبة الدعوة من خبيثها، فذكر
خلق آدم ظاهر خبء ما عطف عليه وهو والله أعلم ذكر خلق محمد
صلى الله عليه وسلم الذى هو خبء خلق آدم، فكأنه تعالى أعلم نبيه
١٥ صلى الله عليه وسلم بأمر خلقه له بدء وحى سر ثم أعلن بما عطف عليه

(١) فى م: بجميع.

(٢) فى ظ: انتم - كذا.

(٣) قال البيضاوى: واذ ظرف وضع لزمان نسبة ماضية وقع فيه أخرى،
والقول هو التلطف بما يفيد ويقال بمعنى القول والمعنى المتصور فى النفس
المعبر عنه باللفظ، وللأرى والمذهب مجاز - انتهى.

(٤ - ٤) ليست العبارة فى ظ.

من ذكر خلق آدم وحي عان ليكون أمر خلق محمد ' صلى الله عليه وسلم ' عند الخاصة فهما كما كان أمر خلق آدم عند العامة إفصاحا ؛ وكان المفهوم : اذكر يا محمد إذ كان في خلقك كذا وإذ قال ' ربك ، أى المحسن إليك برحمة العباد بك الذى خباك ' فى إظهار خلق آدم ' للثقة ، ما أنزل ، وتأويل الملائكة ' عند أهل العربية أنه جمع ملائكة مقلوب من مالك ه من الألك وهى الرسالة ، فتكون الميم زائدة ويكون وزنه معافلة ، ويكون الملك من الملك وهو إحكام ما منه التصوير ، من ملك

(١-١) فى م : عليه السلام .

(٢) فى م : حباك - كذا بالحاء المهمة .

(٣) وفى البحر المحيط : الملك ميمه أصلية و هو فعل من الملك و هو القوة و لاحذف فيه و جمع على فعائلة شذوذا - قاله أبو عبيدة ، وكأنهم توهموا أنه ملاك على وزن فعال و قد جمعوا فعالا للذكر و المؤنث على فعائل قليلا ، و قيل وزنه فى الأصل فعال نحو شمال ثم نقلوا الحركة وحذفوا و قد جاء فيه ملاك فيحتمل أن يكون فعالا ، وعلى هذا تكون الهمزة زائدة فى الكلمة وعينها ، فمنهم من قال : الفاء لام و العين همزة من لأك إذا أرسل وهى لغة محكية ، فلك أصله ملاك نفق بنقل الحركة والحذف إلى فعل ، قال الشاعر :

فلست لإنسى ولكن للملاك تنزل من جو السماء يصوب

بجاء به على الأصل ، وهذا قول أبى عبيد و اختاره أبو الفتح ، وملائكة على هذا القول معافلة ، ومنهم من قال : الفاء همزة و العين لام من الألوكة وهى الرسالة ، فيكون على هذا أصله مالكا و يكون ملاك مقلوبا جعلت فاؤه مكان عينه و عينه مكان فائه ، فعلى هذا القول يكون فى وزنه معفلا .

العجين ، وجمعه أملاك ، تكون 'فيه الميم' أصلية ، فليكن اسم ملائكة
جامعا للعنيين منحوتا من الأصلين ، فكثيرا ما يوجد ذلك في أسماء
الذوات الجامعة كلفظ إنسان بما ظهر فيه من أنه من الأنس والنسيان
معا ، وهو وضع للكلم على مقصد أفصح وأعلى مما يخص به اللفظ معنى
٥ واحدا ، فللكلام رتبتان : رتبة عامة ورتبة خاصة أفصح وأعلى كليما وكلاما .
قال^٢ : وفيه أى هذا الخطاب مع ذلك استخلاص لبواطن أهل
الفتانة من أن تعلق بواطنهم بأحد من دونه حين أبدى لهم انفراده
بأظهارهم خلقا دون ملائكته الأكرمين ، حتى لا تعلق قلوبهم بغيره من
أهل^٣ الاصطفاء فكيف بمن يكون فى محل البعد والإقصاء ! توطئة^٤ لقبيح^٥
١٠ ما يقع من بعضهم من اتباع خطوات الشيطان ؛ وذلك لأن فى كل آية
معنى تنتظم^٦ به بما قبلها ومعنى تنهى^٧ به للانتظام^٨ بما بعدها ؛ وبذلك

(١-١) فى ظ : الميم فيه .

(٢) زيد فى مد : وله جمع آخر بحذف الهاء ، هذا أخف منه على اللسان أشهر
به فكذلك عبر به فى جميع القرآن ولاحتمال هائه المباشرة .

(٣) زيد فى مد : الحرا الى .

(٤) ليس فى م .

(٥) فى ظ : لتوطئة ، وفى م : طوطية - كذا .

(٦) من م و مد و ظ ، وفى الأصل : لقبح .

(٧) فى م : ينتظم .

(٨) فى ظ : يتهماء - كذا .

(٩) فى ظ : الانتظام .

كان ' انتظام الآى داخلا فى معنى الإعجاز الذى لا يأتى الخلق بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .

« انى ، ان حرف يفهم توكيدا من ذات نفس المؤكد و علمه ، و الياء اسم على^١ يخص المضيف إلى نفسه الذى يضيف الأشياء إليه ، « جاعل فى الأرض ،^٢ و لما كانت خلافة آدم عليه السلام كاملة فى جميع الأرض ه بنفسه و بذريته و حدد لذلك مع أنه يصح أن يراد به الجنس فقال : « خليفة » ، الخليفة^٣ ذات قائم بما يقوم به المستخلف على حسب رتبة ذلك ' الخليفة منه ، فهو خليفة الله فى كونه مُلكه و ملكوته ، و هم أيضا بعضهم خلفاء بعض ؛ فهو خليفة بالمعنيين - انتهى .

و جعل سبحانه هذا التذكير فى سياق داع إلى عبادته و قائد إلى ١٠ محبته حيث متّ إلى هذا النوع الآدى بنعمه عليهم و إحسانه إليهم قبل

(١) فى م : لان .

(٢) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى ظ .

(٣) قال البيضاوى : و الخليفة من يخاف غيره و يناب منابه ، و الهاء فيه للبالغة ، و المراد به آدم عليه السلام ، لأنه كان خليفة الله فى أرضه ، و كذلك كل نبي استخلفه فى عمارة الأرض و سياسة الناس و تكميل نفوسهم و تنفيذ أمره فيهم ، لا حاجة به إلى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه و تلقى أمره بغير وسط ، و لذلك لم يستثنى ملكا ، كما قال تعالى « و لو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا » .

(٤) ليس فى م .

إيجادهم^١ ، فذكر لهم ما حاجّ به ملائكته عنهم ، وما شرف به أباهم آدم من العلم و أمر الملائكة المقربين بالسجود له ، ثم ما وقع لإبليس معه وهما عبدان من عبيده فتاب عليه ولم يتب على إبليس مع سقه له بالعبادة بل أوجب طرده وأبدّ بعده فقال تعالى حكاية عن الملائكة جواباً لسؤال من كأنه قال ما قالوا حين أخبرهم سبحانه بذلك : « قالوا ،^٢ طالبين الإيقان على الحكمة في إيجاد من يقع منه شر^٣ » اتجعل فيها ، أى في الأرض من يفسد فيها ، أى^٤ بأنواع المعاصي^٥ بالقوة الشهوانية^٦ ، « ويسفك »

(١) قال البيضاوى : وفائدة قوله هذا للملائكة تعليم المشاورة ، وتعظيم شأن المجعول بأن بشر بوجوده سكان ملكوته ولقبه بالخليفة قبل خلقه ، وإظهار فضله الراجح على ما فيه من المفسد بسؤالهم وجوابه ، وبيان أن الحكمة تقتضى إيجاد ما يغلب خيره فان ترك الخير الكثير لأجل الشر القليل شر كثير - وغير ذلك . وقال المهاشمي : « اذ قال ربك » أى وقت قول ربك لإظهار فضل آدم قبل خلقه لئلا يرى بعين الحقارة أصلاً « انى جاعل فى الارض » أى التى هى محل الكون والفساد فهو محل التصرف من عناصرها ومن الروح الساوى « من يفسد فيها » لكونه من العناصر المختلفة الداعية إلى اللذات السفلية « ويسفك الدماء » اذ فيه قوة غضبية من النار .

(٢) العبارة من هنا إلى « شر » ليست فى ظ .

(٣) فى مد : شرا .

(٤) ليس فى م .

(٥) ليس فى مد .

(٦) - - - يست فى ظ .

من السفك، قال الحرالي: وهو 'سكب بسطوة' الدماء، أى بغير حقها 'بالقوة الغضبية'، لعدم عصمتهم، وخلقهم جوفاً لا يتماثلون، وأصحاب شهوات عليها يتهالون؛ وكأنهم لما رأوا صورة آدم تفرسوا فيها ذلك لو سألوا عن منافع أعضائه 'وما أودع فيها من القوى والمعاني' أخبرهم تعالى بما تفرسوا منه ذلك والدم. قال الحرالي: رزق البدن هـ الأقرب إليه المخطوط ٣ فيه 'و نحن، أى والحال إنا نحن'، وهذا الضمير

(١-١) ليست في ظ .

(٢-٢) العبارة ليست في ظ .

(٣) في ظ: المخطوط .

(٤) قال البيضاوى: والمعنى أن استخلف عصاة ونحن معصومون أحقاء بذلك، والمقصود منه الاستفسار عما رجحهم مع ما هو متوقع منهم على الملائكة المعصومين في الاستخلاف لا العجب والتفاخر، وكأنهم علموا أن المبعول خليفة ذو ثلاث قوى عليها مدار أمره: شهوية وغضبية تؤديان به إلى الفساد وسفك الدماء وعقلية تدعوه إلى المعرفة والطاعة، ونظروا إليها مفردة وقالوا: ما الحكمة في استخلافه وهو باعتبار تينك القوتين لا يقتضى الحكمة إيجاد فضلا عن استخلافه؟ وأما باعتبار القوة العقلية فنحن نقيم ما يتوقع منها سليما عن معارضة تلك المفاسد؛ وغفلوا عن فضيلة كل واحدة من القوتين إذا صارت مهذبة مطوعة للعقل متمرنة على الخير كالعفة والشجاعة ومجاهدة الهوى والإنصاف، ولم يعلموا أن التركيب يفيد ما يقصر عنه الآحاد كالإحاطة بالجزئيات واستنباط الصناعات واستخراج المنافع الكائنات من القوة إلى الفعل الذى هو المقصود من الاستخلاف .

كما قال الحرالي اسم القائل ' المستتبع لمن هو في طوع أمره لا يخالفه
 ' نسيح ، أى توقع التسييح أى التنزيه ' لك و الإبعاد عما لا يليق بك
 ملتبسين في التسييح ' بحمدك ' ، و الحاصل إنا نبرئك عن صفات النقص
 حال إثباتنا لك صفات الكمال ، ٣ و حذف المفعول للتعميم ٣ ؛ و قال الحرالي :
 ٥ التسييح تنزيه الحق تعالى عن ' بادية نقص في خلق أو رتبة ، و حمد الله
 استواء أمره علوا و سفلا و محو الذم عنه و النقص منه ، و ذلك تسييح
 أيضا في علو أمر الله ، فاسبح بالحمد إلا أهل الحمد من آدم و محمد صلى الله
 عليهما و سلم ، فغاية المسبح الحمد ، و الحمد تسييح لمن غايته وراء ذلك
 الاستواء - انتهى .

١٠ . ' و تقدس ، أى يظهر ' كل شيء نقدر عليه من نفوسنا و غيرها ،

(١) في ظ : القابل - كذا .

(٢) في م : التبريه .

(٣-٢) العبارة ليست في ظ .

(٤) في ظ : عند .

(٥) قال المصنف : « ونحن » و إن لم يكن لنا جمعية « نسيح » ذاتك ملتبسا
 « بحمدك » على كمالاتها « و تقدس » أى نزه صفاتك فنقول : إنها مستحقة
 « لك » دون غيرك ، « قال انى اعلم » من قصور تسييحكم و تقديسكم و عدم
 صلاحيتكم لخلافتي على الكل و اقتضاء ظهور اسمائى اللطيفة و القهرية . و قال
 المصنف : « و تقدس لك » و يظهر أنفسنا لك ، و قيل : التسييح و التقديس تبعيد الله
 من السوء ، من سبج في الأرض و قدس فيها إذا ذهب فيها و أبعد ، « قال
 انى اعلم ما لا تعلمون » أى اعلم من الحكم في ذلك ما هو خفى عليكم .

٥٣ /

د لك ، أى لا لغيرك لعصمتك ، أو المعنى نوقع التقديس / أى التطهير
لك بمعنى أنك فى الغاية من الطهارة والعلو فى كل صفة . قال الحرالى :
القدس طهارة دائمة لا يلحقها نجس ظاهر ولا رجس باطن ، واللام
تعلل للشئ لأجله كان ما أضيف به - انتهى .

و لما تضمن تفرسهم هذا نسبتهم أنفسهم إلى العلم المشرع للاحسن ، ه
و نسبة ٣ الخليفة إلى الجهل المنتج للأساء أعلمنا سبحانه لشكره أنه حاج
ملائكته عنا ، فبين لهم أن الأمر على خلاف ما ظنوا بقوله استثناء :
« قال انى اعلم ، أى من ذلك وغيره » ما لا تعلمون . و قال الحرالى :
و أعلم تعالى بما أجرى عليه خلقه من القضاء بما ظهر و الحكم على الآتى
بما مضى حيث أنبأ عن ملائكته بأنهم قضوا على الخليفة فى الأرض ١٠
بحال من تقدمهم فى الأرض من الجبل الأولين من الجن الذين أتى منهم
عزازيل وغيرهم ليتحقق أن أمر الله جديد و أنه كل يوم هو فى شأن
لا يقضى على آتى وقت بحكم ما فيه ولا بما مضى قبله - انتهى . و الأظهر

(١) فى م : غيرك .

(٢) فى ظ : من .

(٣) كذا ، و الظاهر : نسبت ، معطوفة على « نسبتهم أنفسهم » .

(٤) فى ظ : ان .

(٥) فى التفسير المظهرى : إن الملائكة كانوا يعلمون بأخبار من الله تعالى أن
من البشر صالحين وعصاة وكفاراً فلا جرم زعموا أن الملائكة أفضل منهم
لكونهم كلهم معصومين « لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون »
فاستخلافهم أولى واستخلاف البشر موجب للفساد كما وقع من شرارهم ، =

ما ذكرته أنهم إنما قالوا ذلك تفرسا بحكم ما ظهر لهم من صورته ونحو ذلك من أعلامهم بأنه يجمع فيه بين الشهوة والعقل، و من المعلوم أن الشهوة حاملة على الفساد؛ و علم سبحانه ما خفى عنه من أنه يوفق من أراد منهم للعمل بمقتضى العقل مع قيام منازع الشهوة والهوى، فيأتى غاية الكمال التى هى ' فوق درجة العامل' بمقتضى العقل من غير منازع له فيظهر تمام القدرة والله أعلم .

ولما أعلم سبحانه الملائكة أن الأمر على خلاف ما ظنوا شرع

= ولم يعلموا أن الله تعالى يستودع في قلوب بعضهم محبة ذاتية منه تعالى موجبة للعية الذاتية والمحبوبة الصرفة كما نطق به رأس المحبوبين : المرء مع من أحب - رواه الشيخان، ويكون لهم قرب و منزلة من الله لا يتصور لغيرهم بحيث يكون التقرب إلى عباد الله الصالحين موجبا للتقرب إليه تعالى . اعلم أنه قد تقرر عند الأكابر من الصوفية أن ضوء الشمس كما يتحملها الأرض لكثافتها دون غيرها من عناصر الخلق كذلك التجلى الذاتى لا يتحملها إلا عنصر التراب و أما غيرها من العناصر فتنوع من الكثافة التى فيها يتحمل التجليات الصفاتية دون الذاتية، و أما لطائف عالم الأمر فلا نصيب لها إلا من التجليات الظلية، و الإنسان لما كان مركبا من اللطائف العشرة التى هى أجزاء العالم الكبير ولم يجتمع فى شىء من أفرادها إلا بعضها كان هو أهلا للخلافة وحاملا للأمانة التى عرضها الله تعالى على السماوات والأرض والجبال « فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا » لعظم المحمول .

(١) وفى م : هو .

(٢) وفى م : العاقل .

في إقامة الدليل عليه فقال عاطفاً على قوله « قال » : « و علم » أي لإقامة الدليل على ذلك ، و التعليم تكرار العلم ليثبت لما في جبهة المعلم من النسيان ، « آدم » من الآدم من الأديم و هو جلدة الأرض التي منها جسمه ، و حظ ما فيه من أديم الأرض هو اسمه الذي أنبأ عنه لفظ آدم ، « الاسماء »

(١) قال على المهامى : « علم آدم » بخلق علم ضرورى فيه « الاسماء كلها » أى الألفاظ الدالة على الحقائق إذ هى أقل ما يفيد التمييز بينها « ثم عرضهم » أى السميات « على اللشكة فقال انبثوني باسماء هؤلاء » أى بأقل مميز لها حتى يصح دعواكم استحقاقكم الخلافة عليها اللازمة لكلامكم و دعواكم « ان كنتم صدقين » فى دعواكم أنكم تسبحون الله على الإطلاق أى بجميع أسمائه و تقدسونه بها - انتهى كلامه . قال أبو البركات النسفى « و علم آدم » هو اسم أعجمى و اشتقاقهم آدم من أديم الأرض أو من الأدمة كاشتقاقهم يعقوب من العقب و إدريس من الدرس و إبليس من الإبلas ، « الاسماء كلها » أى أسماء السميات ، لحذف المضاف إليه لكونه معلوماً مدلولاً عليه بذكر الأسماء ، إذ الاسم يدل على المسمى و عوض منه اللام ، و معنى تعليمه أسماء السميات أنه تعالى أراه الأجناس التى خلقها و علمه أن اسمه هذا فرس و هذا بعير و هذا اسمه كذا و هذا اسمه كذا ؛ و عن ابن عباس رضى الله عنهما : علمه اسم كل شيء حتى القصة و الغرفة ، « ثم عرضهم على اللشكة » أى عرض السميات لأن فى السميات العقلاء فغلبهم ، و إنما استنبأهم و قد علم عجزهم عن الإنباء على سبيل التبكيت « فقال انبثوني باسماء هؤلاء ان كنتم صدقين » فى زعمكم أنى استخلف فى الأرض مفسدين سفاكين للدماء ؛ و فيه رد عليهم و بيان أن فيمن يستخلفه من الفوائد العلمية التى هى أصول الفوائد كلها ما يستأهلون لأجله أن يستخلفوا - انتهى كلامه .

أى التى للأشياء كلها ، : هو جمع اسم و هو ما يجمع اشتقاقين من السمة و السمو ؛ فهو بالنظر إلى اللفظ وسم و بالنظر إلى الحظ من ذات الشيء سمو ، و ذلك السمو هو مدلول الاسم الذى هو الوسم الذى ترادفه التسمية - قاله الحرالى ، و قال فى كتاب له فى أصول الفقه : الاسم يقال على لفظ التسمية و يقال على حظ و نصيب من ذوات الأشياء ، و تلك هى المعروضة ٥ على الملائكة ، و اسم التسمية يحاذى به المسمى معلومه من الشيء المسمى الذى هو الاسم المعروض ، و هو عند آدم علم و عند الملائكة و من لا يعلم حقيقة الاسم المعروض توقيف و نبأ^١ - انتهى .

(١) فى م : نبأ - كذا . قال البيضاوى : معنى تعليمه تعالى آدم الأسماء أنه تعالى خلقه من أجزاء مختلفة (كالقلب والكبد و الدماغ) و قوى متباينة مستعدة لإدراك أنواع المدركات من المعقولات و المحسوسات و المتخيلات و الموهومات و ألهمه معرفة ذوات الأشياء و خواصها و أسمائها و أصول العلم و قوانين الصناعات و كيفية آلياتها - انتهى كلامه . و فى الحاشية « و المعنى أنه تعالى اندفع بذلك ما يتوهم أنه لا يظهر فضيلة آدم بذلك لأنه علم بالتعليم و لو علم الملائكة لعلموا ذلك - الخ . و قال القاضى ثناء الله العثمانى : قال أهل التفسير : المراد أسماء الخلائق ، قال البغوى قال ابن عباس و مجاهد و قتادة : علمه اسم كل شيء ، و قيل : اسم ما كان و ما يكون إلى يوم القيامة . . . قال أهل التأويل : علم آدم جميع اللغات ثم تكلم كل واحد من أولاده بلغة . قلت : هذه الأقوال ليست بمرضية عندى ، فإن مدار الفضل على كثرة الثواب و مراتب القرب من الله تعالى دون هذه الأمور ، و لو كان هذه الأمور مدارا لفضله لزم فضله على خاتم النبيين صلى الله عليه و سلم ، فإنه قال : أنتم أعلم بأمور دنياكم ، و لم يكن عليه السلام عالما بجميع اللغات ، و عندى أن الله تعالى علم آدم الأسماء الإلهية كلها علما إجماليا ، فإنه =

- 'ولما كان العرض على الملائكة بالغاً في المراد أشار إلى تعظيمه بحرف التراخي فقال' : ثم عرضهم ، أى الأشياء . قال الحرالي : أظهرهم عن جانب وهو العرض والناحية ، على الملائكة ، القائلين لذلك . وقال الحرالي : لما ذكر تعالى مراجعة الملائكة في خلق هذا الخليفة ذكر إبداءه لهم وجه حكمة عليه بما أعلی هذا الخليفة من تعليمه إياه حقائق جميع الذوات المشهودة لهم على إحاطتهم بملكوت الله وملكه شهوداً فأراهم إحاطة علم آدم بما شهدوا صوره^٢ ولم يشهدوا حقيقة مدلول تسميتها ، وعله حكمة ما بين تلك الأسماء التي هي حظ من الذوات وبين تسمياتها من النطق ليجتمع في عله خلق كل شيء صورة وأمره كلمة فيكمل عله في قبله على سبيل سمعه وبصره ، واستخلفه في علم ما له من الخلق ١٠ والأمر ، وذلك في بدء كونه فكيف يحكم حكمة الله فيما يتناهى إليه كمال خلقه إلى خاتمة أمره فيما انتهى إليه أمر محمد صلى الله عليه وسلم بما هو مبهم في قوله تعالى : . وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً^٣ ! فأبدى الله عز وجل لهم بذلك وجه خلافة عليه وعملية في
-
- = لما حصل له معية بالذات تعالت وتقدس حصل له بكل اسم من أسمائه وصفة من صفاته مناسبة تامة ومعية بحيث أنه كلما توجه إلى اسم من أسمائه وصفة من صفاته يتجلى له ذلك الاسم والصفة - والباقي يطلب من تفسيره ج ١ ص ٥١ .
- (١ - ١) ليست في ظ .
- (٢) في الأصل : إبدائه ، وفي م ومد وظ : إبداء - كذا .
- (٣) في ظ : صورة . (٤) ليس في ظ .
- (٥) سورة ٤ آية ١١٣ .

التسمية إعلاء له عندهم ، وقد جعلهم الله عز وجل مدعنين مطيعين فانتقادوا الوقت بفضل آدم على جميع الخلق وبدأ لهم علم أن الله يعلى من يشاء بما يشاء من خلافة أمره وخلقهم ، و تلك الأسماء التي هي حظوظ من صور الموجودات هي المعروضة التي شملها اسم الضمير في قوله تعالى « ثم عرضهم » ، وأشار إليه « هؤلاء » ، عند كمال عرضهم ، وأجرى على الجميع ضمير « هم » ، لاشتغال تلك الكائنات على العاقلين وغيرهم ؛ وبالتحقيق فكل خلق ناطق حين يستنطقه الحق ، كما قال تعالى ٣ « اليوم نختم على أفواههم و تكلمنا أيديهم و تشهد أرجلهم » ، وإنما العجمة^٥ والجمادية بالإضافة إلى ما بين بعض الخلق وبعضهم - انتهى .

^١ وقال أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي في كتاب الزينة : و يقال إن الاسم^٢ مأخوذ من السمو وهو العلو والرفعة ، وإنما جعل الاسم (١) هكذا في م و ظ ، وفي الأصل : بد ، ولا يتضح في مد .

(٢) زيد في ظ : تعالى .

(٣) ليس في م و ظ .

(٤) سورة ٣٦ آية ٦٥ .

(٥) في م ومد : العجمية .

(٦) العبارة من هنا إلى « انتهى » ليست في ظ .

(٧) قال البيضاوي : و الاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء أو دليلا برنعه إلى الذهن من الألفاظ والصفات والأفعال . واستعماله عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى سواء كان مركبا أو مفردا أو خيرا أو رابطا بينهما ؛ والمراد في الآية هو الأول أو الثاني وهو يستلزم الأول . لأن العلم بالألفاظ من حيث الدلالة متوقف على العلم بالمعاني .

تنويعها بالدلالة على معنى الاسم لأن المعنى تحت الاسم - هذا قول النحويين ؛ و السمة تدل على صاحبها ، لأنها حرفان سين و ميم ، فالسين من السناء و الميم من المجد و هو لب الشيء ، فكأنه سمي اسما لأنه يضىء لك عن لب الشيء و يترجم عن مكنونه ، وليس شىء إلا و قد وسمه الله بسمه تدل على ما فيه من الجوهر ؛ فاحتوت الأسماء على جميع العلم بالاشياء ، هـ فعلها الله آدم و أبرز فضيلته على الملائكة عليهم السلام - انتهى .

« فقال ، 'معجزا لهم' ، انبثوني ، 'أى أخبرونى إخبارا عظيما قاطعا' ، بأسماء هؤلاء ، 'أى الموجودات بتفرسكم فيها ، ان كنتم 'صدقين هـ ، أى فيما تفرستموه / فى الخليفة و فى أنساله . قال الحرالى : هذه الأسماء المواطنة للتسمية من السمة و الأسماء الأولى هى الحظوظ من الذوات التى المتسم بها هو المسمى ، و مع ذلك فبين التسمية و الاسم مناسبة مجعول الحكمة بينهما بمقتضى أمر العليم الحكيم - انتهى . قالوا ، متبرئين من العلم (١ - ١) ليست فى ظ .

(٢) قال البيضاوى : « انبثوني » تبكيت لهم و تنبيه على عجزهم عن أمر الخلافة فان التصرف و التدبير و إقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة و الوقوف على مراتب الاستعدادات و قدر الحقوق محال ، و ليس بتكليف ليكون من باب التكليف بالمحال ؛ و الإنباء إخبار فيه إعلام . و لذلك يجرى مجرى كل واحد منهما .

(٣) فى زعمكم أنكم أحقاء بالخلافة لعصمتكم و أن خلقهم و استخلاصهم و هذه صفتهم لا يليق بالحكيم ، وهو وإن لم يصرحوا به لكنه لازم مقاتلتهم .

« سُبْحَنكَ » ، أى نزهك تنزيهاً 'يجل عن الوصف' عن أن تنسب
إليك نقصاً في علم أو صنع ، و تتبرأ إليك عما يلزم قولنا من ادعاء العلم
لسواك .

قال الحرالي : وفي هذا المعنى إظهار لفضلهم وانقيادهم وإذعانهم
ه توطئة لما يتصل به من إباء إبليس - انتهى . والحاصل أنه تصريح بتنزيه الله
تعالى عن النقص و تلويح بنسبته إليهم اعتذاراً منهم عما وقعوا فيه ، ولذا
قالوا : « لا علم لنا ، أى أصلاً » ، إلا ما علمتنا ، فهو دليل على أنه لا سبيل

(١) اعتراف بالعجز والقصور وإشعار بأن سؤالهم كان استفساراً ولم يكن
اعتراضاً وأنه قد بان لهم ما خفى عليهم من فضل الإنسان والحكمة في خلقه ،
وإظهار لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما اعتقل عليهم ، ومراعاة للأدب
بتفويض العلم كله إليه . وقال على المهاشمي : « سُبْحَنكَ » أى نزهك تنزيهاً عن
أن يقصر علمك أو تشارك فيه أو تعبت في فعلك ، وإنما سألناك استفساراً
واسترشاداً ، لأنه « لا علم لنا إلا ما علمتنا » وإنما لم تعلمناها ابتداءً إذ « انك انت
العليم » بأن حقائقنا لا تقتضى العلم بها بلا واسطة ، وقد جعلت الوسائط مع
قدرتك على الأفعال ابتداءً لأنك أنت « الحكيم » - انتهى كلامه .

(٢ - ٢) ليست في ظ .

(٣) في ظ : ينسب .

(٤) ليس في ظ .

(هـ) في البحر المحيط : ولما سأل تعالى الملائكة ولم يكن عندهم علم بالجواب
وكانوا قد سبق منهم قولهم « اتجعل فيها من يفسد فيها » الآية ، أرادوا أن =

إلى علم شيء من الأشياء إلا بتعليم الله . قال الحرالي : ردا لبدء الامر لمن له البدء ، ولذلك ورد في أنارة ٣ من علم : من لم يحتم عليه بالجهل لم يعلم ، وذلك الجهل هو البراءة من العلم إلا ما علم الله - انتهى .
ثم خصوه بما نقوه عن أنفسهم فقالوا : « انك انت » ، أى وحدك
« العليم » ، أى العالم بكل المعلومات ، « الحكيم » ، أى فلا يتطرق إلى صنعك ه

= يجيبوا بعدم العلم إلا ما علمهم ، فقدموا بين يدي الجواب تنزيه الله اعتذارا وأدبا منهم في الجواب وإشعارا بأن ما صدر منهم قبل يحوه هذا التنزيه لله تعالى فقالوا
« سبحنك » ثم أجابوا بنفي العلم بلفظ لا انتى بنيت معها النكرة فاستغرق كل فرد من أنواع العلوم ، ثم استثنوا من ذلك ما علمهم هو تعالى فقالوا « إلا ما علمتنا » وهذا غاية في ترك الدعوى والاستلام التام للعلم الأول الله تعالى ؛ قال أبو عثمان المغربي : ما جلاء الخلق إلا لدعاوى ، ألا ترى أن الملائكة قالوا : « ونحن نسبح بحمدك » ، كيف ردوا إلى الجهل حتى قالوا : « لا علم لنا » ، وروى مع هذا الكلام عن جعفر الصادق - انتهى كلامه .

(٦) العبارة من هنا إلى « بتعليم الله » ليست في ظ .

(١) ليس في ظ .

(٢) في ظ : البدء - كذا .

(٣) في م و ظ : أناره .

(٤) في مد : لم تحتم ، وفي ظ : لم تحتم - كذا .

(٥ - ٥) ليست في ظ .

(٦) في م : فلا تتطرق .

فساد بوجه 'فلا اعتراض أصلاً' . قال الحرالي : توكيد وتخليص وإخلاص للعلم والحكمة لله وحده ، وذلك من أرفع الإسلام ، لأنه إسلام القلوب ما حلاها الحق سبحانه^١ به ! فان العلم والحكمة نور القلوب الذي تنجي به كما أن الماء رزق الابدان الذي تنجي به ؛ والحكمة جعل تسبب بين أمرين يبدو بينهما تقاض من السابق واستناد من اللاحق - انتهى .^٢ وأصلها في اللغة المنع من الفساد ولا يكون ذلك إلا عن تمام العلم^٣ .

فلما قالوا ذلك وأراد إشهدهم فضل آدم عليه السلام استأنف في جواب

(١-١) ليست في ظ .

(٢) ليس في م ومد .

(٣) العبارة من هنا إلى « تمام العلم » ليست في ظ .

(٤) قال أبو حيان الأندلسي : فانظر إلى حسن هذا الجواب كيف قدموا بين يديه تنزيها لله ، ثم اعترفوا بالجهل ، ثم نسبوا إلى الله العلم والحكمة ؛ وناسب تقديم الوصف بالعلم على الوصف بالحكمة لأنه المتصل به في قوله « وعلم » « انبثوني » « لا علم لنا » فالذي ظهرت به المزية لآدم والفضيلة هو العلم ، فناسب ذكره متصلا به ، لأن الحكمة إنما هي آثار العلم وناشئة عنه ، ولذلك أكثر ما جاء في القرآن تقديم الوصف بالعلم على الوصف بالحكمة ، ولأن يكون آخر مقامهم مخالفا لأوله حتى يبين رجوعهم عن قولهم « اتجعل فيها » وعلى القول بأن الحكيم هو ذو الحكمة يكون الحكيم صفة ذات ، وعلى القول بأنه المحكم لصنعه يكون صفة فعل - انتهى .

من كأنه قال : ما قال لهم عند ذلك ؟ قوله : « قال » . ' مظهرا ' لفضيلة العلم الموجبة لشرف العالم ' يا' آدم ' انبئهم ، أى ليزدادوا بصيرة فى أن العالم من علمته والسعيد من أسعدته فى أى صورة ركبته ' باسمائهم ' فأنبأهم بها . قال الحرالى : ولم يقل : عليهم ، فكان آدم عليهما بالاسماء وكانوا هم مخبرين بها لا معليها ، لأنه لا يتعلمها من آدم إلا من خلقه محيط ه كخلق آدم ، ليكون من كل شيء ' و منه كل شيء ' ، فإذا عرض عليه شيء مما منه آنس * علمه عنده ؛ فلذلك اختصوا بالإنباء دون التعليم ، فلكل شيء عند آدم عليه السلام بما * علمه الله وأظهر له علاماته^٧ فى استبصاره

(١) العبارة من هنا إلى « العالم » ليست فى ظ .

(٢) فى مد : نظير .

(٣) نادى آدم باسمه العلم وهى عادة الله مع أنبيائه ، قال تعالى « ينوح اهبط بسلام منا » ينوح انه ليس من اهلك « ، « يابرهم قد صدقت الرؤيا » ، « يموسى انى انا الله » ، « يعيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك » ؛ و نادى محمدا نبينا صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الأنبياء بالوصف الشريف من الإرسال والإنباء فقال « ياها الرسول » ، « ياها النبى » ؛ فانظر تفاوت ما بين هذا النداء وذاك النداء .

(٤ - ٤) ليست فى مد .

(٥) فى ظ : أحس .

(٦) فى م : بما .

(٧) فى البحر المحيط « قال القشيري : من آثار العناية بآدم عليه السلام لما قال =

الشيء اسمان جامعان : اسم يبصره من موجود الشيء واسم يذكره لإبداء معنى ذلك الشيء إلى غاية حقيقته ، ولكل اسم جامع عنده وجوه متعددة يحاذي كل وجه منها بتسمية تخصه ، وبحسب تلك الوجوه تكثر عنده الالسة وتكثر الالسن الأعجمية ، فأفصحها وأعربها الاسم الجامع وذلك الاسم هو العربي الذي به أزل خاتم الكتب على خاتم المرسلين وأبقى دائماً في مخاطبة أهل الجنة لمطابقة الخاتمة إحاطة البادئة وحَمِّه والكُتُب المبينه انا جعلته قرآنا عربيا لعلمكم تعقلون ه وانه في ام الكتب لدينا لعلى حكيم ه ، وطابق الختم البدء إحاطة لإحاطة - انتهى . وهذا كما كان ولده محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم يكلم ١٠ كل إنسان بلغته من قبائل العرب ومن العجم بل ٢ ومن البهائم العجم ٣ فكان علمه لبعض اللغات من غير مخالطة لأهلها ولا إلمام بلسانهم

= لللائكة « انبئوني » داخلهم من هبة الخطاب ما أخذهم عنهم لاسيما حين طالبهم بانبائهم إياه ما لم تحط بهم علومهم ، ولما كان حديث آدم رده في الإنباء عليهم فقال « انبئهم باسمائهم » ومخاطبة آدم لللائكة لم توجب الاستغراق في الهبة فلما أخبرهم آدم عليه السلام بأسماء ما تقاصرت عنه علومهم ظهرت فضيلته عليهم ، فقال : « ألم اقل لكم اني اعلم غيب السموت » يعنى ما تقاصرت عنه علوم الخلق « واعلم ما تبدون » من الطاعات « وما كنتم تكتمون » من اعتقاد الخيرية على آدم - انتهى كلام القشيري .

(١) سورة ٤٣ آية ١ - ٤ .

(٢) في ظ : البدل .

(٣ - ٢) ليست في ظ .

دليلا على علم سائر اللغات ، لأنه لا معلم له إلا العالم بكل شيء . . فلما
انبأهم ، أى أخبرهم إخبارا عظيما يأخذ بالآليات ، و « لما » كلمة تفهم
وجوب أمر لا مر في حين فتجمع ' معنى الشرط و الظرف - قاله الحرالى .
« باسمائهم » على ما هى عليه .

قال الحرالى فى التفسير و كتاب له فى أصول الفقه : هذه التسميات ه
ليس الاسماء التى هى موجودة من الذوات ، لأن تلك لا ينالها إلا العلم

(١) قال على المهاشمى : « يَأْذَمُ انْبِئْهُمْ » وان كنت دونهم فى التجرد الذى به الاطلاع
« باسمائهم » مع فواتها للحصر من غير غلط فيها « قال الم اقل لكم انى اعلم ما
لا تعلمون » قاصدا به « انى اعلم غيب السموت » أى العالم العلوى مع كونكم منه
« و » غيب « الأرض » أى العالم السفلى مع ظهوره للحس ، ففى كل منهما من
الحفايا ما لا يبلغه علمكم بأدنى وجوه التمييز مع كمال تجردكم - انتهى . وقال
أبوحيان الأندلسى : وفى قوله « انبئوني » « فلما انبأهم » تنبيه على إعلام الله أنه
قد أعلم الله أنه قد أعلم آدم من أحوالهم ما لم يعلمهم من حاله ، لأنهم رأوه قبل
النفخ مصورا فلم يعلموا ما عو ؛ وعلى أنه رفع درجة آدم عندهم لكونه قد علم
لآدم ما لم يعلمهم ؛ وعلى إقامته مقام المفيد المعلم وإقامتهم مقام المستفيدين منه ،
لأنه أمره أن يعلمهم أسماء الذين عرضهم عليهم ؛ وعلى أدبهم على ترك الأدب
من حيث قالوا « اتجمل فيها » فان الطوعية المحضة أن يكونوا مع عدم العلم
بالحكمة فيما أمروا به وعدم الاطلاع على ذلك الأمر ومصلحته ومفسدته كهم مع
العلم و الاطلاع ، وكان الامثال والتسليم بغير تعجب ولا استفهام أليق بمقامهم
لطهارة ذواتهم و كمال صفاتهم - انتهى .

(٢) فى م : فتجمع .

و شهود البصيرة وقد جرى ذلك في وراثته في ولد آدم حتى كان رؤية
 و أبوه العجاج يرتجلان اللغة ارتجالاً و يتعلمها منهم من سواهم من العرب ،
 لأن التسمية التي ينالها الإنباء للاسم الذي يناله العلم كالمثل له المبدى
 لصورة^٥ معناه للأذن المناسبة و مواصلة^٣ بين خصوص التسمية واسمها
 ه من الذات^٥ ، فيعلم ما يحاذى^٥ الشيء المفرد من منتظم الحروف كما يعلم
 الواصف ما يحاذى الشيء و يحاكيه من منتظم الكلم ، فيحاذيه و يحاكيه
 الواصف بكلام ، و يحاذيه و يسميه المسمى له بكلمة واحدة ، و كما أنه
 ليس^٦ لكل أحد مئة أن يصف فكذلك ليس^٧ لكل أحد^٧ مئة أن يسمى ،
 و منه ما يجرى من السنة العامة من التبز و الألقاب و قد كان يجب
 ١٠ الاكتفاء بما في هذه الآية من العلم يده أمر المسميات عما وقع فيها
 من الاختلاف بين التوقيف و الاصطلاح ، فقد تبين أنها عن علم الله
 آدم لا عن توقيف كما هو عند الملائكة من آدم و لا عن اصطلاح
 كما قيل - انتهى .

(١) في ظ : نباله له - كذا .

(٢) في م : لصوره .

(٣) في م : مواصلته .

(٤) في م : الذوات .

(٥) في م : فيحاذى .

(٦) ليس في ظ .

(٧-٧) في م : لاحد .

« قال ، أى الله تعالى مثبتاً مدخول النفي كما هو شأن همزة التقرير^١
 « ألم اقل لكم ، يا ملائكتى !^٢ ولما كان هذا خبراً جسيماً نبه على بلوغه النهاية
 فى العظمة وأنه مما يستغربه^٣ / بعض^٤ الخلق بالتأكيد فقال : « انى اعلم ،
 ٥٥ / « علماً مستمراً لا انقضاء له^٥ » غيب السموات والارض ، فمن أردت تعليمه
 شيئاً من ذلك كان علماً به ، وأما غيرى فلا طريق له إلى معرفة المستقبل
 إلا الفراسة وقد تحظى^٦ . قال الحرالى : قررهم حتى^٧ لا يكون لهم^٨ ثانية
 وأعلم بذلك عباده من ولد آدم حتى يستنوا بحكم التسليم لله فى ما يديه
 من غير تعرض ولا اعتراض ، ففهم من آمن ومنهم من كفر - انتهى .

(١) قال البيضاوى : استحضار لقوله « انى اعلم ما لا تعلمون » لكنه جاء به على
 وجه أبسط ليكون كاللحجة عليه ، فانه تعالى لما علم ما خفى عليهم من أمور
 السماوات والارض وما ظهر لهم من أحوالهم الظاهرة والباطنة علم ما
 لا يعلمون ؛ وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الأولى وهو أن يتوقفوا مترصدين
 لأن يبين لهم . والهمزة لانكار دخلت حرف الجحد فأفادت الإثبات والتقرير
 - انتهى .

(٢) العبارة من « مثبتاً » إلى هنا ليست فى ظ .

(٣) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى ظ .

(٤) وفى م : يستغربه .

(٥) فى م : عين .

(٦ - ٦) ليست فى ظ .

(٧) وفى م و ظ : يخطئ .

(٨ - ٨) وفى م ومد : لا تكون لها .

« واعلم ما تبدون ، في كل حين » وما كنتم تكتمون ،^١ فيما مضى وفيما يأتي . قال الحرالي : وفي صيغة تكتمون^٢ من الدلالة^٣ على تتمادى ذلك في كيانهم ما في صيغة تبدون من تتمادى بادى ذلك منهم - انتهى .

و لما أخبرنا سبحانه بهذه النعمة على آيينا^٤ ضم إليها الإنعام باسجاد الملائكة له ونحن في ظهره فقال عاطفا على « اذ ، الأولى » وعدل^٥ عن الغيبة إلى التكلم ثم إلى كونه في مظهر العظمة إعلاما بأنه أمر فصل لافسحة في المراجعة فيه . وقال الحرالي : لما أنبأ تعالى بأمر مفاوضة الملائكة وما كان من ادعائهم وتسليمهم الأمر لله ولمن عليه الله وهو

(١) قال أبو حيان : هو عام فيما أبدوه وما كتموه من كل أمورهم ، وهذا هو الظاهر ، وعطف قوله « وما كنتم تكتمون » هو من باب الترقى في الإخبار لأن علم الله تعالى واحد لا تفاوت فيه بالنسبة إلى شيء من معلوماته جهرا كان أو سرا ، ووصل « ما » بكنتم يدل على أن انكنتم وقع فيما مضى ؛ وليس المعنى أنهم كتموا عن الله لأن الملائكة أعرف بالله وأعلم فلا يكتمون الله شيئا ، وإنما المعنى أنه جهس في أنفسهم شيء لم يظهره بعضهم لبعض ولا اطلعه عليه .

(٢-٢) ليست في ظ .

(٣) وقع في م : اتينا - كذا خطأ .

(٤) العبارة من هنا إلى « المراجعة فيه » ليست في ظ .

(٥) قال أبو حيان الأندلسي : وفي قوله « قلنا » التفات وهو من أنواع البديع ، إذ كان ما قبل هذه الآية قد أخبر عن الله بصورة الغائب ثم انتقل إلى ضمير التكلم ، وأتى بما التي تدل على التعظيم وعلو القدر وتزيله منزلة الجمع لتعدد صفاته الحميدة ومواهبه الجزيلة ، وحكمة هذا الالتفات وكونه بنون المعظم نفسه أنه صدر منه الأمر للملائكة بالسجود ووجب عليهم الامتثال فناسب =

آدم عليه السلام نظم بذلك نبأ انقيادهم لآدم فعلا كما انقادوا له علما
تماما لكمال حالهم في التسليم علما وعملا فقال تعالى - انتهى . « واذ قلنا ،
أى على عظمتنا » للملائكة ، أى الذين أكرمناهم بقرئنا « اسجدوا لآدم ، عبدنا
اعترافا بفضله لتفضيلنا له .

قال الحرالي : فجعله بابا إليه وكعبة يحلونه بجلاله تعالى ومحرابا ه
وقبله ، يكون سجودهم له سجودا لله تجاه آدم كسجود آدم ' تجاه الكعبة ' ،
وظهر بذلك سوء إباء إبليس عن السجود حين خالفهم في طينة الكيان ،
لأن الملائكة خلقت من نور والنور طوع لا يجوزه أين ولا يختصه ٢
جهة ، ولأن الجان خلقت من نار وهى مما يجوزه أين وتختصه ٣ جهة

= أن يكون الأمر في غاية من التعظيم ، لأنه متى كان كذلك كان ادعى لامثال
المأمور فعل ما أمر به من غير بطء ولا تأول اشغل خاطره لورود ما صدر
من العظم . (٦) في ظ : من .

(١) زيد في م و ظ : لله ، وفي ظ زيادة « تعالى » أيضا .

(٢) قال أبو حيان : من قال بالسجود الشرعى قال : كان السجود تكربة ونحية له -
وهو قول الجمهور على وابن مسعود وابن عباس - كسجود أبوي يوسف ،
لا بسجود عبادة ؛ أو لله تعالى ونصبه الله قبله : اسجودهم كالكعبة فيكون المعنى
إلى آدم - قاله الشعبي ؛ أو لله تعالى فسجد وسجدوا مؤتمين به ، وشره بأن جعله
إماما يقتدون به . والمعنى في لآدم أى مع آدم - انتهى . ثم ذكر : قال ابن عطية :
لما استعظموا تسييحهم وتقديسهم أمرهم بالسجود ' غيره ، ليرهم بذلك استغناء
عنهم وعن عبادتهم .

(٣) في م : تختصه ، ولا يتضح في مد .

(٤) في م و ظ : يختصه .

لا يرجع عنها إلا بقهر وقسر، فلم ينزل عن رتبة قيامه في جبلته لمخلوق
الطين حيث لم يشعر بأحاطة خلق آدم كما تلقته الملائكة - انتهى .
فبادروا الامتثال فسجدوا، أى كلهم له كما أمرهم الله تعالى « إلا ابليس » .
قال الحرالي: من الإبلّاس وهو انقطاع سبب الرجاء الذى يكون عنه
اليأس من حيث قطع ذلك السبب - انتهى . فكأنه قيل: ما فعل؟
فقيل^٢: « ابى »، من الإباء وهو امتناع عما حقه الإجابة فيه - قاله
الحرالي . « واستكبر » عن السجود له، من الاستكبار وهو استجلاب

(١) ليس فى ظ، وفى م: على .

(٢-٢) ليست فى ظ .

(٣) قال أبو حيان: استثناء متصل عند الجمهور، فعلى هذا يكون ملكاً ثم إبليس
وغضب عليه ولعن فصار شيطانا؟ وقيل: هو استثناء منقطع، وإنه أبو الجن
كما أن آدم أبو البشر، ولم يكن قط ملكاً - قاله ابن زيد والحسن .

(٤) وفى ظ: فقال .

(٥) فى ظ: ما .

(٦) قال البيضاوى: والسجود فى الأصل تذلل مع تطامن، وفى الشرع وضع
الجبّة على قصد العبادة، والمأمور به إما المعنى الشرعى فالمسجود له فى الحقيقة
هو الله تعالى وجعل آدم قبله محجودهم تفخيلاً لشأنه أو سبباً لوجوبه، وكأنه تعالى
لما خلقه بحيث يكون أنموذجاً للبدعات كلها بل الموجودات بأسرها ونسخة لما
فى العالم الروحاني والجسماني و ذريعة للملائكة إلى استيفاء ما قدر لهم من
الكمالات ووصلة إلى ظهور ما تباينوا فيه من المراتب والدرجات أمرهم
بالسجود تذللاً لما رأوا فيه من عظيم قدرته وباهر آياته وشكراً لما أنعم عليهم =

الكبر، و الكبر بطر الحق و غمض الناس و غمطهم، و موجب ذلك استحقار الغير من وجه و استكمال النفس من ذلك الوجه - قاله الحرالي .
 «وكان،» أى فى أصل جبلته بما أفهمه الاستكبار من نسبتنا إلى ترك الحكمة إما جهلا أو جورا فى أمرنا بسجوده لآدم و هو على زعمه خير منه، «من،» وهى كلمة تفهم اقتباس الشيء بما جعل منه - قاله الحرالي . «الكافرين»، أى الذين سبق علمنا بشقاوتهم لم يتجدد لنا بذلك علم ما لم نكن نعلمه .

= بواسطته؛ وإما المعنى اللغوى وهو التواضع لآدم تحية وتعظيما له كسجود إخوة يوسف له، أو التذلل والانقياد بالسعى فى تحصيل ما ينوط به معا شهم ويتم به كلهم «فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر» امتنع عما أمر به استكبارا من أن يتخذ وصلة فى عبادة ربه أو يعظمه و يتلقاه بالتحية أو يخدمه ويسعى فيما فيه خير و صلاحه . الإياه امتناع باختيار والتكبر أن يرى الرجل نفسه أكبر من غيره، و الاستكبار طلب ذلك بالتشبع .

(١) فى م و ظ : عظمهم - كذا .

(٢-٢) ليست فى ظ .

(٣) زيد فى ظ : من .

(٤) قال على المأتمنى : «كان من الكافرين» بالله ، لإنكار وجوب امتثال أمر قطعى من أوامره، وفيه إشارة إلى أنه إذا كان إنكار واجب كفرا بالله فكيف لا يكون إنكار واجبات القرآن كلها كفرا به ! ثم أشار إلى أن ترك امتثال الأمر من غير إنكار الوجوب كان سبب هبوط آدم إلى متاعب الدنيا الباقية فى نسله إلى يوم القيامة - انتهى . و قال البيضاوى : أى فى علم الله أو صار منهم باستقبحه أمر الله إياه بالسجود لآدم عليه السلام اعتقادا بأنه أفضل منه والأفضل =

و في الآيات الثلاث «يأياها الناس اعبدوا ربكم» و «كيف تكفرون بالله» و «اذ قال ربك للملائكة» أيضا إشارة إلى اختلاف الحال في الخطاب بوصف الربوبية مع الخُلص و مع من دونهم و في الخطاب بأوصاف الذات، و ذلك أنه تعالى لما بين أن الضالين في حسن أمثاله هم الخاسرون ه عجب من يكفر به إشارة إلى شدة ظهوره و انتشار نوره في أمثاله و جميع أقواله و أفعاله و أن شهوده في كل اعتبار أوضح من ضياء النهار، لأنه ما ثمَّ إلا ذاته و أفعاله و صفاته:

و في كل شيء له آية تدل على أنه واحد

متجليا عليهم باسم الإلهية في أفعاله التي هم لها ناظرون و بها عارفون، ١٠ فقال: «كيف تكفرون بالله و كنتم امواتا فاحياكم» إلى أن قال: «هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا، الآية» و أدرج في ذلك أمر البعث بقوله «ثم إليه ترجعون» تنبيها على مشاركته لبقية ما في الآية من الظهور، لما قدم من الاستدلال عليه باخراج الثمرات حين تعرف إليهم بوصف الربوبية = لا يحسن أن يؤمر بالتخضع للفضول و التوسل به كما أشعر به قوله «انا خير منه» جوابا لقوله «ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين» لا بترك الواجب وحده - انتهى .

(١) في ظ : تم .

(٢) في ظ : الينا .

(٣) في م : لنفيه - كذا .

(٤) قال أبو حيان الأندلسي : إنه لما امتن عليهم بخلق ما في الأرض لهم كان =

الناظر إلى العطف و الامتتان و التربية و الإحسان في مثل ما هنا من أفعاله الظاهرة و آثاره الباهرة فقال : « يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم ، إلى آخرها ؛ و ختم هذه الآية بوصف العلم الشامل لما قام عليه من الدليل ضمن هذا التعجب ' إشارة إلى الاستدلال على كمال الأمثال و تحديدا لمن يستمر على الكفران بعد هذا البيان بأنه بمرأى^٢ منه و مسمع^٣ .
 في كل حال ، فلما فرغ من خطابهم بالأمور الظاهرة على قدر فهمهم و مبلغ علومهم رقى الخطاب إلى رتبة نبيه عليه الصلاة و السلام لترقية البيان إلى غيب مقاولته للملائكة فقال : « و اذ قال ربك للملائكة انى جاعل ، الآية ؛ فلكل مقام مقال ' ، و لكل مخاطب^٥ حد في الفهم و حال .

= قبله إخراجهم من العدم إلى الوجود اتبع ذلك بعده خلقهم و امن عليهم بتشريف أبيهم و تكريمه و جعله خليفة و إسكانه دار كرامته و إسجاد الملائكة تعظيما لشأنه و تنبيها على مكانه و اختصاصه بالعلم الذى به كمال الذات و تمام الصفات ، و لا شك أن الإحسان إلى الأصل إحسان إلى الفرع و شرف الفرع بشرف الأصل ؛ و إسناد القول إلى الرب في غاية من المناسبة و البيان ، لأنه لما ذكر أنه خلق لهم ما في الأرض كان في ذلك صلاح لهم لأحوالهم و معاشهم فناسب ذكر الرب ، و إضافته إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم تنبيه على شرفه و اختصاصه بخطابه و هز لاستماع ما يذكر بعد ذلك من غريب افتتاح هذا الجنس الإنسانى و ابتداء أمره و مآله ؛ و هذا تنوع في الخطاب .

(١) في ظ : التعجب .

(٢) في ظ : بمرأى - كذا .

(٣) في م : مستمع .

(٤) ليس في م .

(٥) في مد : قدم .

قال الاستاذ أبو الحسن الحرالي في المفتاح الباب السابع في إضافة الربوبية ونعت الإلهية في القرآن : اعلم أن الربوبية إقامة المربوب بما خلق له وأريد له ، فرب كل شيء مقيم^١ بحسب^٢ ما أبداه وجوده ، فرب المؤمن ربه ورباه للإيمان ، / ورب الكافر ربه ورباه للكفران ، هـ ورب محمد ربه ورباه للحمد - أدبني ربي فأحسن تأديبي ، ورب العالمين ربي^٣ كل عالم لما خلق له ، اعطى كل شيء خلقه ثم هدى^٤ ، هـ ؛ فالربوبية بيان في كل رتبة بحسب ما أظهرته آية مربوبه - من عرف نفسه عرف ربه ، سبح اسم ربك الأعلى^٥ ، فاراد ربك ان يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك^٦ ، واعبدوا ربكم الذي خلقكم ، لهم اجرهم ١٠ عند ربهم^٧ .

وقال في الباب الذي بعده : فخطاب الإقبال على النبي صلى الله عليه وسلم أعظم إفهام في القرآن ، الم تر الى ربك كيف مد الظل^٨ .

(١) في م : يقيمه .

(٢) في ظ : حسب .

(٣) في ظ : رب .

(٤) سورة ٢٠ آية ٥٥ .

(٥) سورة ٨٧ آية ١ .

(٦) سورة ٨٢ آية ١٨ .

(٧) سورة ٢ آية ٢٦٢ .

(٨) وفي ظ زيادة « ولو شاء لجعله ساكنا » .

الآية^١ وهو الذى جعل لكم الليل لباساً^٢، الآية، تفاوت الخطابين بحسب تفاوت المخاطبين وكما يتضح لأهل التعرف رتب البيان بحسب إضافة اسم الرب فكذلك يتحقق لأهل الفهم وجوه إحاطات البيان بحسب النعوت والتبيان فى اسم^٣ الله غيا فى متجلى^٤ الآيات للؤمن، وعينا للكمال الموقن، وجمعا وإحاطة عن^٥ بادئ الدوام للتحقق الواحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد^٦ وكيف تكفرون واتم تتلى عليكم آيت الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم^٧، قل هو الله أحد^٨؛ والتفطن فى رتب البيان فى موارد هذا النحو من الخطاب فى القرآن من مفاتيح الفهم وبوادي مزيد العلم - انتهى .

١٠

وقد أوقع سبحانه ذكر ابتداء الخلق على ترتيب إيجاد له فقد روى مسلم فى صحيحه^٩ والنسائي فى التفسير من سننه عن أبى هريرة رضى الله عنه

(١) ليس فى م وظ .

(٢) سورة ٢٥ آية ٤٧ .

(٣) ليس فى ظ .

(٤) من ظ، وفى الأصل وم ومد : مستجلى .

(٥) فى م : على .

(٦) سورة ٣ آية ١٠١ .

(٧) سورة ١١٢ آية ١ .

(٨) زيد فى مد : فى صفة الجنة والنار والقيامة .

قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يدي فقال : خلق الله التربة يوم السبت ، وخلق فيها الجبال يوم الأحد ، وخلق الشجر يوم الاثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة ٥ في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل ٣ . وقال المزني في الأطراف قال البخاري في التاريخ : وقال بعضهم : أبوهريرة عن كعب وهو أصح - انتهى .

وما يقال من أنه كان قبل آدم عليه السلام في الأرض خلق

(١) سقط من مد ، وقد ثبت في بقية الأصول والصحيح لمسلم ٢/٣٧١ .

(٢) زيد في م : في ، ولم تكن الزيادة في بقية الأصول ولا في الصحيح لمسلم فحذفناها .

(٣) قال القاضي ثناء الله العثماني بعد نقل هذا الحديث : فإن قيل : هذا الحديث يدل على أن خلق آدم بعد خلق الأرض يوم سابعة فكيف يتصور مكث الجن زمانا طويلا في الأرض ثم طردهم إلى شعوب الجبال ومكونة إبليس وجنوده من الملائكة زمانا طويلا ثم قواه تعالى لهم « اني جاعل في الارض خليفة » ؟ قالت : لا دليل في الحديث على أن المراد بالجمعة التي خلق فيها آدم أول جمعة بعد خلق الأرض ، لعل ذلك الجمعة بعد مضي الدهور ، ولولا هذا التأويل لزم خلق السموات والأرض في سبعة أيام ، والثابت بالقرآن خلق السموات والأرض في ستة أيام - والله أعلم .

(٤) هكذا ثبت في الأصل وظ ، ووقع في م و مد : الزني - كذا مصحفا .

يعضون قاس عليهم الملائكة 'عليهم السلام' حال آدم عليه السلام ، كلام لا أصل له ، والذي يدل عليه حديث مسلم هذا كما ترى أنه أول ساكني الأرض ؛ والذي يلوح من اسمه في بدئه بالهمزة التي هي أول الحروف وختمه بالميم التي هي آخرها وختمها أنه أول ساكنيها بنفسه ، كما أنه خاتمهم بأولاده ، عليهم تقوم الساعة . ورأيت في ترجمة للتوراة * وهو أولها : خلق الله ذات السماء وذات الأرض وكانت الظلمة فقال الله :

(١ - ١) ليست في ظ .

(٢) قال البيضاوي : وإنما عرفوا ذلك بأخبار من الله ، أو تلقى من اللوح ، أو استنباط عما ركز في عقولهم أن العصمة من خواصهم ، أو قياس لأحد الثقلين على الآخر - انتهى . قال أبو حيان الأندلسي : يكون علمهم بذلك قد سبق إما بأخبار من الله ، أو بمشاهدة في اللوح ، أو يكون مخلوق غيرهم وهم معصومون ، أو قالوا ذلك بطريق القياس على من سكن الأرض فأفسد قبل سكني الملائكة ؛ وروى ما يدل على ذلك عن ابن عباس وهو ما ملخصه أن الله أسكن الملائكة السماء والجن الأرض فعبدوا دهرًا طويلًا ثم أفسدوا وحسدوا فاقتتلوا - الخ . وفي التفسير المظهرى : قال البغوى : خلق الله السماء والأرض والملائكة والجن ، وأسكن الملائكة السماء والجن الأرض ، فكشوا زمانًا طويلًا في الأرض ، ثم ظهر فيهم الحسد والبغى فأفسدوا واقتتلوا - الخ . وقال أبو البركات النسفى في تفسيره : وإنما عرفوا ذلك بأخبار من الله ، أو من جهة اللوح ، أو قاسوا أحد الثقلين على الآخر - انتهى .

(٣) ليس في م .

(٤) في ظ : بدايه ، وفي م : يديه - كذا .

(٥) وقال ابن تتيبة في المعارف ص ٤ : قرأت في أول سفر من أسفار التوراة أن أول ما خلق الله من خليقته السماء والأرض وكانت الأرض خربة خاوية =

ليكن النور، فكان النور، فأراد^١ أن يفرق بين النور واليُحْدِس فسمى
النور نهارا واليُحْدِس مساء؛ ثم قال: ليكن جَلَد وسط الماء ويميز بين الماء
الأعلى^٢ والماء الأسفل .

و في نسخة ٣: ليكن سقف بين المياه ليفصل بين الماء والماء، فكان
ه كذلك فخلق الله سقفا وفصل به بين الماء الذي^٣ تحت الجلد^٤ والماء الذي
فوق الجلد وسمى الله الجلد سماء^٥؛ وقال الله: لتجتمع^٦ المياه التي تحت

= وكانت الظلمة على الغمرة وكانت ريح الله تعالى ترف على وجه الماء فقال الله
عز وجل: ليكن النور، فكان نورا فرآه الله حسنا فبزمه الله من الظلمة وسماه
نهارا وسمى الظلمة ليلا فكان مساء .
(١) كرده في ظ .

(٢) وقع في ظ: الاصل - كذا مصحفا .

(٣) وقع في م: نسفحة - كذا مصحفا .

(٤) من م ومد و ظ، وفي الأصل: التي - كذا .

(٥) والجَلَد الجلد والأرض الصلبة المستوية المتن، والشدة والقوة، والجلد
أيضا السماء أو الرقيق أو كرة الهواء أو الماء المتجمد فوق السماوات - قطر المحيط
ج ١ ص ٢٩٣ .

(٦) قال ملا معين الهروي في تفسير أسرار الفاتحة تحت بيان « رب العلمين »
ص ٢٢٤: « وذكر الإمام النسفي رحمه الله في تفسيره المسمى ببحر العلوم في بيان
أن العالم عبارة عن السماوات والأرضين وما بينهما: وقال ابن عباس رضي الله
عنه: أول ما خلق الله تعالى هو جوهر طوله مسيرة عشرة آلاف سنة وعرضه
مسيرة عشرة آلاف سنة، نظر إليه بالهيبة فذاب - وجعل يقول: الأمان! وجعل
يرتعد - منه بخار وزبد فصار أثلاثا: ثلث ماء وثلث زبد وثلث بخار، فنودي:
يا بخار! كن سماء، ويا زبد! كن أرضا! « اتنيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين » =

السما إلى مكان واحد وتظهر اليابسة^١، فكان كذلك فسمى الله اليابسة
أرضا وسمى بجامع المياه بحورا؛ وقال: لتخرج^٢ الأرض نبت عشب
يزرع منه^٣ زرع لجنسه و شجر^٤ ذات ثمار ثمر لجنسها يغرس منه غرس
على الأرض، فأبنت الأرض نباتا عشبيا يزرع منه زرع لجوهره و شجر
ذات ثمار^٥ لجوهرها؛ فقال الله: ليكن نجمان في جلد السماء ليضيئا على الأرض^٥
وليميزا بين النهار و الليل و ليكونا للآيات و الأزمان و العدد و الأيام
و السنين، فخلق الله نورين عظيمين: المصباح الأكبر لسلطان النهار
و المصباح الأصغر لسلطان الليل^٦ و خلق النجوم، و كان المساء و الصباح
من اليوم الرابع؛ فقال الله: ليحت^٧ الماء حيثانا ذات أنف^٨ حية، و ليطر
الطير فوق الأرض في جو السماء، فكان كذلك؛ و خلق ثانين^٩ عظيمة^{١٠}
و كل نفس حية^{١١} تدب في الماء لأجناسها و كل طيور ذات أجنحة

= فالأرضون سبع: الأولى التي نحن عليها اسمها رمكاه - من شاء الاطلاع على
ما بقى فلينظر فيه . (٧) في م: ليجتمع .

(١) في ظ: المناسبة .

(٢) في م: ليخرج، و في ظ: تخرج .

(٣) في ظ: منها .

(٤) من ظ، و في الأصل وم ومد: شجرا .

(٥) في م: ثماره .

(٦) في ظ: الليل - كذا .

(٧) في ظ: سحت - كذا

(٨) في ظ: نفس .

(٩) التين الحوت و الحية العظمية .

(١٠) ليس في م .

لأصنافها وباركها وقال : انموا واكثروا واملأوا مياه البحور
وليكثر الطير على وجه الأرض ؛ وقال الله : لنخرج^١ الأرض أنفسا حية
لجنسها دواب وسباع الأرض لأجناسها ، فكان كذلك ؛ وخلق الله
سباع الأرض لأجناسها^٢ والدواب لأصنافها وجميع هوام الأرض
لجواهرها . ٥

فأراد الله أن يخلق خلقا يتسلط على حيتان البحر و طير السماء و على
الدواب وجميع السباع و على الحشرة التي تدب على الأرض فخلق آدم^٣
بصورته ذكرا و أنثى و بارك عليهما و قال لهما : انميا و اكثرا و تسلطا
على حيتان البحر و طير السماء و الدواب و جميع السباع ؛ و قال : ها أنا ذا^٤

(١) في م : ليخرج .

(٢) في ظ : حاطمها - كذا .

(٣) في تفسير أسرار الفاتحة للامعين الهروي : في تفسير بحر العلوم أيضا عن
وهب بن منبه رحمه الله تعالى قال : أخبرني أبو عثمان قال : قلنا لسلطان الفارسي
رضي الله عنه : يا با عبد الله حدثنا رحمك الله ! من خلق السماوات و ما فيهن من
العجائب ؟ فانك إن فارقتنا لم نجد من يحدثنا ؛ فقال سليمان : نعم ، خلق الله
السماوات السبع و سماهن بأسمائهن و أسكن كل سماء صفا من الملائكة تعبدونه
و أوحى في كل سماء أمرا فسمى السماء الدنيا رقيعا - إلى أن قال : ثم خلقت
آدم قبل أبليك آدم ، عمرته عشرة ألف سنة ، ثم مات بفعلت عشرة آلاف
آدم قبل أبليك آدم ، و عاش كل آدم عشرة آلاف سنة ، ثم خلقت أباك
آدم بعده بعشرة آلاف سنة - و سوى ذلك من العجائب .

(٤) في الأصل : هاندا ، و في م : هانذا ، و في ظ : هانذا - كذا .

قد أعطيتكما جميع العشب^١ الذى يزرع على وجه الأرض كلها وكل شجر ذات ثمار تفرس فيها ليكون لكما^٢ مأكلا ولجميع سباع البر وطيور السماء ولكل^٣ ما يدب على الأرض فيه نفس حية، فكان كذلك؛ وكملة السماء والأرض وجميع ما فيهما فى اليوم السادس، ولم يكن ظهر على الأرض شىء من عشب الأرض، لأن الله لم يكن أهبط المطر على وجه الأرض^٥ بعد، وذلك لأن آدم لم يكن خلق بعد ليعمل فى الأرض، وكان ينبوع يظهر فى قعر عدن فيسقى جميع وجه الأرض.

٥٧/ فجبل الله الرب آدم/ من تربة الأرض ونفخ فى وجهه نسمة الحياة فصار آدم ذا نفس حية وغرس الله الرب فردوسا بعدن من قبل وأسكنه آدم، وأنبت الله كل شجرة حسنة المنظر شهية المأكول وشجرة الحياة^{١٠} وسط الفردوس وشجرة علم الخير والشر، وكان نهر يخرج من عدن فيسقى الفردوس وكان يفصل من هناك وينفرق على أربعة أطراف: اسم أحدها^{١١} سيحون الذى يحيط بجميع أرض الهند وتلك البلاد الكثيرة، وذَهَبَ تلك الأرض جيد جدا، هنالك المها وحجر البلور، واسم النهر الثانى جيحون الذى يحيط بجميع أرض الحبشة،^{١٥}

(١) وقع فى م: الشعب - كذا مصحفا.

(٢) فى الأصول كلها: لكم.

(٣) فى ظ: كل.

(٤) ليس فى ظ.

(٥) فى م: أحدهما - كذا.

(٦-٦) فى ظ: بارض.

واسم النهر الثالث دجلة 'الذى يخرج' قبالة الموصل ، والنهر الرابع
الفرات ؛ فتقدم الرب إلى آدم وقال له : كل من جميع أشجار الفردوس ،
فأما شجرة علم الخير والشر فلا تأكل منها ، لأنك في اليوم الذى تأكل
منها تموت ٣ موتا .

٥ وقال الله : لا يحسن أن يكون آدم وحده فلنخلق له عوناً مثله ،
فجمع الرب من الأرض جميع سباع البر و طير السماء وأقبل بها إلى آدم
ليرى ما يسميها وكل نفس حية سماها آدم فذلك اسمها فسمى الجميع ،
فالتقى الله على آدم سبانا* فرقد ، فزرع ضلعا من أضلاعه وأخلف له
بدله لحما ، فخلق الله من الضلع الذى أخذ من آدم امرأة ، فأقبل بها إلى
١٠ آدم فقال : هذه الآن التى قرنت^١ إلى^١ وفى هذه عظم من عظامى ولحم

(١-١) فى م : التى تخرج .

(٢) فى م : يا كل .

(٣) فى م : يموت .

(٤) قال أبو حيان : وتوجه الأمر بالسكنى على زوج آدم دليل على أنها كانت
موجودة قبله ، وهو قول بعض المفسرين إنها خلقت من وقت علمه الله الأسماء
وإنباهم هو إياها ، ثم نومة خلقت من ضلعه الأقصر قبل دخول الجنة ، وأكثر
أئمة التفسير أنها خلقت بعد دخول آدم الجنة ، استوحش بعد لعن إبليس وإخراجه
من الجنة فنام فاستيقظ فوجدها عند رأسه قد خلقها الله من ضلعه الأيسر ، فسألها
من أنت ؟ قالت : امرأة ، قال : ولم خلقت ؟ قالت : تسكن إلى .

(٥) قال الله تعالى : وجعلنا نومكم سباتا .

(٦) وفى ظ : قربت .

من لحمي ! فلتدع^١ امرأة لأنها أخذت من الرجل ، ولذلك يدع الرجل أباه وأمه ويلحق بامراته و يكونان^٢ كلاهما جسدا واحدا ؛ وكانا كلاهما عريانين آدم وامراته ولا يستحيان .

وكانت الحية أعز دواب البر كلها فقالت الحية للمرأة : أحق أن الله قال لكما : لا تأكلا من جميع شجر الجنة ؟ فقالت المرأة : إنا لناكل من هـ كل ثمر الجنة^٣ ، فأما من ثمرة الشجرة التي في وسط الجنة فإن الله قال لنا : لا تأكلا منها ولا تقرباها^٤ لكيلا تموتا ؛ قالت الحية : لستما^٥ تموتان ، ولكن الله علم أنكما إن^٦ تأكلا منها تنفتح أعينكما وتكونا كاللآله^٧ تعلمان الخير والشر^٨ ، فرأت المرأة الشجرة طيبة المأكل شهية^٩ في العين

(١) في ظ : فلتدع - كذا .

(٢) في ظ : يكون .

(٣) قال أبو حيان : أباح لها الأكل حيث شاءا ، فلم يحظر عليهما مكانا من أماكن الجنة كما لم يحظر عليهما ما كولا إلا ما وقع النهي عنه .

(٤) في ظ : لا تقربانها - كذا . قال أبو حيان : نهاهما عن القربان وهو أبلغ أن يقع النهي عن الأكل ، لأنه إذا نهى عن القربان فكيف يكون الأكل منها ! والمعنى ولا تقرباها بالأكل .

(٥) في الأصل وم : ليس ، وفي ظ : ليست ، ولا يتضح في مد .

(٦) ليس في ظ .

(٧) زيد في ظ : له .

(٨) قال أبو حيان : وقال الكلبي : شجرة العلم عليها من كل لون ، ومن أكل منها علم الخير والشر .

(٩) في ظ : شهية - كذا .

فأخذت من ثمرتها فأكلت و أعطت بعلها فأكل ، فانفتحت أبصارهما
وعلما أنهما عريانان ، فوصلا من ورق التين وصنعا مآزر .
ثم ذكر أن الله تعالى سأله عن ذلك فقال آدم : المرأة التي
قرنتها معي هي^١ أطعمتني^٢ من الشجرة فأكلت^٣ ، فقال الله الرب للمرأة :
هـ ما^٤ هذا الذي فعلت ؟ فقالت المرأة : إن الحية أعطتني فأكلت^٥ ، فقال
للحية : ملعونة تكونين من جميع الدواب ومن كل ماشية البر ، وعلى
بطئك تمشين ، والتراب تأكلين كل أيام حياتك ، وأغرى العداوة بينك
وبين المرأة وبين ولدها ، ولدها يطأ رأسك وأنت تلدغيهم^٦ بأعقابهم !
وقال للمرأة : أكره^٧ أوجاعك واحبالك وبالوجع تلدين البنين ، وإلى

(١) ليس في ظ .

(٢) زيد في مد : التي .

(٣) في مد : طعمتني - كذا .

(٤) روى الإمام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم ، ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها . وفي فتح
البارى قوله : لم تخن أنثى زوجها ، فيه إشارة إلى ما وقع من حواء في تربيتها
لآدم الأكل من الشجرة حتى وقع في ذلك .

(٥) في ظ : يا - كذا .

(٦) في مد : فاعطتني - كذا .

(٧) في م : تلدغيهم .

(٨) من م ومد وظ ، وفي الأصل فقط : اكرهى - كذا .

بعلك تردين وهو مسلط عليك ! وقال لآدم : من أجل طاعتك امرأتك
وأكلك الشجرة التي نهيتك عنها ملعونة الأرض من أجلك بالشقاء تأكل
منها كل أيام حياتك أجاجا وشوكا تنبت لك ، وتأكل عشب الأرض ،
وبرشح جبينك تأكل طعامك حتى تعود في الأرض التي منها أخذت
من أجل أنك تراب وإلى التراب تعود .
٥

فدعا آدم اسم امرأته حواء ٢ من أجل أنها كانت أم كل حي ،
وصنع الله الرب لآدم وامرأته سرايل من الجلود وألبسها ، فأرسله
من جنة عدن ليحرث الأرض التي منها أخذ ، فأخرجه الله ربنا وأحاط
من مشرق عدن ملكا من الكرويين بيده حرثة يطوف بها ليحرس طريق
شجرة الحياة . ثم قال بعد ذلك : فكان جميع حياة آدم تسعمائة و ثلاثين
سنة ثم توفي عليه السلام - هذا نص التوراة . والكروب بوزن زبور

(١) في م : نبت .

(٢) في م فقط : يرشح .

(٣) في البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي : فقالت له الملائكة ينظرون مبلغ علمه :
ما اسمها ؟ قال : حواء ، قالوا : لم سميت حواء ؟ قال : لأنها خلقت من شيء حي .
وفي هذه القصة زيادات ذكرها المفسرون لانطول بذكرها لأنها ليست مما يتوقف
عليها مدلول الآية ولا تفسيرها .

(٤) وفي م ومد وظ : البسها .

(٥) زيد في ظ : الدم .

بلغه العبرانيين 'الشخص الصغير' ، فكان الكرويون ' الملائكة المنسوبين ' إلى مخالطة الناس بالوحى أخذوا من الكرويين ' ثنية كروب و هما شخصان في قبة الزمان كان 'يسمع كلام الله من بينهما ، كما يأتي قريباً .

فان أنكر منكر الاستشهاد بالتوراة أو ٣ بالإنجيل و عمنى عن أن

٥ . الأحسن في باب النظر أن يرد على الإنسان بما يعتقد تلوت عليه قول الله تعالى 'استشهدا على كذب اليهود : ' و قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صدقين ' ، و قوله تعالى : ' و انزلنا اليك الكتب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتب و مهيمنا عليه ' ، - في آيات من ' أمثال ذلك كثيرة ؛ و ذكرته باستشهاد النبي صلى الله عليه وسلم بالتوراة في قصة الزاني كما

١٠ سيأتى ان شاء الله تعالى في سورة المائدة مستوفى . و روى الشيخان عن أبي سعيد رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ' : تكون الأرض

(١-١) في ظ : الصغير .

(٢) وفي الأصول : الكرويين - كذا .

(٣) ليس في ظ .

(٤) من م ، وفي الأصل و مد و ظ : المنسوبون .

(٥) في م : الكرويين .

(٦) ليس في م و ظ .

(٧) - سورة ٣ آية ٩٣ .

(٨) سورة ٥ آية ٤٨ .

(٩) الظاهر ان « من » زائدة و تكون بدلا و او العطف .

(١٠) في الصحيح للامام البخارى ٩٦٥/٢ : عن أبي سعيد الخدرى قال النبي =

يوم القيامة خبزة نزلا لأهل الجنة ، فأتى رجل من اليهود فقال : بارك^١
الرحمن عليك يا أبا القاسم ! ألا أخبرك بنزل^٢ أهل الجنة يوم القيامة ؟
قال : بلى^٣ ، قال : تكون الأرض خبزة [واحدة] كما قال النبي صلى الله عليه
وسلم ، فظفر النبي صلى الله عليه وسلم إلينا ثم ضحك حتى بدت نواجذه .
وقريب^٤ من ذلك حديث الجساسة في أشباهه . هذا فيما يصدقه كتابنا . هـ

و أما ما لا يصدقه ولا يكذبه فقد روى البخارى عن عبد الله بن
عمر ورضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : حدثوا عن نبي
إسرائيل ولا حرج . و رواه مسلم و الترمذى و النسائى عن أبى سعيد
رضى الله عنه ، / وهو^٥ معنى ما فى الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

٥٨ /

= صلى الله عليه وسلم : تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفأها الجباربيده
كما يتكفأ أحدكم خبزته فى السفر نزلا لأهل الجنة ، فأتى رجل من اليهود فقال :
بارك الرحمن - الحديث ، وفيه : ثم قال : ألا أخبرك بأدامهم ؟ قال : إدامهم بالأم^٦
ونون ، قالوا : وما هذا ؟ قال : ثور و نون يأكل من زائدة كبدهما سبعون ألفا .
(١) من م و مد و ظ و رواية البخارى ، وفى الأصل : برك - كذا .

(٢) فى مد : الله .

(٣) فى ظ : بنز - كذا .

(٤) فى ظ : بل .

(٥-٥) ليست فى م .

(٦) فى م : قربت .

(٧) العبارة من هنا إلى « قال كان » ليست فى مد .

(٨) فى ظ : هم .

كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم و قولوا: 'أما بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم'، الآية، فإن دلالة هذا على سنية ذكر^١ مثل ذلك أقرب من الدلالة على غيرها،
 هـ و^٢لذا أخذ^٣ كثير من الصحابة رضى الله عنهم عن أهل الكتاب .

فإن فهم أحد من الشافعية منع أئمتهم من قراءة شيء من الكتب القديمة مستندا إلى قول الإمام أبي القاسم الرافعي في شرحه: و كتب التوراة والإنجيل بما لا يحل الانتفاع به، لأنهم بدلوا وغيروا، وكذا قال^٤ غيره من الأصحاب؛ قيل له: هذا مخصوص بما علم تبديله^٥، بدليل أن كل من قال ذلك علل [بالتبديل -^٦] فدار الحكم معه، ونص الشافعي ظاهر في ذلك، قال المزني^٧ في مختصره في باب جامع السير: 'وما كان من كتبهم أى الكفار^٨ فيه طب وما لا مكروه فيه يسع^٩ وما

(١) سورة ٢٩ آية ٤٦ .

(٢) ليس في مد .

(٣-٢) في ظ: كذا أخبر .

(٤) ليس في ظ .

(٥) في م: يبدله - كذا .

(٦) زيد من م ومد و ظ، وقد سقط من الأصل .

(٧) زيد في م و ظ: عنه .

(٨-٨) ليست في ظ .

(٩) زيد في مد: لا .

كان فيه شرك أبطل وانتفع بأوعيته . وقال في الآم في سير الواقدي
 في باب ترجمته كتب الأعاجم قال 'الشافعي: و' ما وجد من كتبهم فهو
 مغنم كله ، وينبغي للامام أن يدعو من يترجمه ، فان كان علما من طب
 أو غيره لا 'مكروه فيه باعه كما يبيع ما سواه من المغنم ، وإن كان
 كتاب شرك شقوا الكتاب فانتفعوا بأوعيته وأداته فباعها ، ولا وجه
 لتحريقه^٣ ولا دفعه قبل أن يعلم ما هو - انتهى . فقوله في الآم: كتاب شرك ،
 مفهم لأنه كله شرك ، ولهذا عبر المزي عن ذلك بقوله : وما كان فيه
 شرك ، أى من أبواب الكتاب وفصوله ، وأدل من ذلك قولهم في باب
 الأحداث : إن حكمها في مس المحدث حكم ما تُسَيِّخَتْ تَلَاوَتُهُ مِنَ الْقُرْآنِ
 فِي أَصْحَ الْوَجْهَيْنِ ، والتعبير بالأصح على ما اصطَلَحُوا عليه يدل على أن
 الوجه القائل بجرمة مس المحدث وحمله لها قوى ، وأدل من ذلك
 ما ذكره محرر المذهب الشيخ محي الدين النواوى رحمه الله في مسائل
 ألحقها في آخره باب الأحداث من شرح المذهب وأقره أن المتولى قال :
 فان ظن أن فيها شيئا غير مبدل كره مسه - انتهى . فكرهاته المس للاحترام ،
 والاحترام فرع جواز الإبقاء والانتفاع بالقراءة ، وأصرح من ذلك ١٥

(١ - ١) ليس في م .

(٢) في ظ : فلا .

(٣) من م و ظ ، وفي الأصل : للتحريقه - كذا .

(٤) في ظ : محرز .

(٥) ليس في م و مد .

كله قول الشافعى رحمه الله: إن ما لا مكروه فيه يباع، و كذا قول
 البغوى فى تهذيبه فى آخر باب الوضوء: وكذلك لو تكلم - أى الجنب -
 بكلمة توافق نظم القرآن أو قرأ آية نسخت قراءتها أو قرأ التوراة والإنجيل
 أو ذكر الله سبحانه أو صلى على النبي صلى الله عليه وسلم جاز، قالت
 عائشة رضى الله عنها: كان النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل
 أحيانه. فانه لا يتخيل أنه يجوز للجنب ما لا يجوز للحدث، بل كل ما
 جاز للجنب قراءته من غير أمر ملجئ جاز للحدث ولا عكس، وتعليه
 لذلك بحديث عائشة رضى الله عنها دال على أن ذلك ذكر لله تعالى،
 ولا يجوز الحمل على العموم لا سيما إذا لوحظ قول القاضى الحسين: إنه
 ١٠ يجوز الاستنجاء بهما، لأنه مبنى على الوجه القائل بأن الكل مبدل؛ وهو
 ضعيف أو محمول على المبدل منها، لأنه لا يخفى على أحد أن مسلما فضلا
 عن عالم لا يقول: إنه يستنجى بنحو قوله فى العشر الكلمات التى صدرت
 بها الألواح قال الله جميع هذه الآيات كلها: أنا الرب إلهك الذى
 أصعدتك من أرض مصر من العبودية والرق، لا تكونن لك آلهة
 ١٥ غيرى، لا تعملن شيئا من الأصنام والتماثيل التى مما فى السماء فوق وفى

(١) فى م: مكروه .

(٢) فى ظ: الله .

(٣) فى م: ان .

(٤) فى م: يكونن .

(٥) فى م: هما - كذا .

الأرض من تحت و بما في الماء أسفل الأرض ، لا تسجدن لها و لا تعبدنها ،
لأنى أنا الرب إلهك إله غيور ، لا تقسم^١ بالرب إلهك كذبا ، لأن الرب
لا يزكى من حلف باسمه كذبا ، أكرم أباك و أمك ليطول عمرك في
الأرض التى يعطيكها^٢ الرب إلهك ، لا تقتل ، لا تزنى ، لا تسرق ،
لا تشهد على صاحبك شهادة زور . و قد أشبع الكلام فى المسألة شيخنا ه
حافظ عصره أبو الفضل ابن حجر فى آخر شرحه للبخارى ، و آخر ما حظ
عليه التفرقة بين من رسخ قدمه فى العلوم الشرعية - فيجوز له النظر فى
ذلك فانه يستخرج منه ما ينتفع به المهتدون - و بين غيره فلا يجوز له
ذلك^٣ ، و أيدته بنظر الأئمة فيها قديما و حديثا و الرد على أهل الكتاين
بما يستخرجونه منها ؛ فلو لا جواز ذلك ما أقدموا عليه - و الله الموفق . ١٠
و قد حررت المسألة فى فن المرفوع من حاشيتى على شرح ألفية الشيخ
زين الدين العراقى فراجعه إن شئت - و الله الهادى ؛^٤ ثم صنف فى ذلك
تصنيفا حسنا سميت « الأقوال القويمة فى حكم النقل من الكتب القديمة » .
تنبيهه : اعلم أن التوراة ثلاث نسخ مختلفة اللفظ متقاربة المعنى
إلا يسيرا : إحداها تسمى توراة السبعين ، وهى التى اتفق عليها اثنان ١٥

(١) زيد فى ظ : و .

(٢) فى م : لا يقسم .

(٣) من ظ ، و فى الأصل : تعطيكها .

(٤) ليس فى م .

(٥) العبارة من هنا إلى « القديمة » ليست فى ظ .

وسبعون حبرا^١ من أخبارهم^٢؛ وذلك أن بعض اليونان من ملوك مصر
سأل بعض ملوك اليهود بيت المقدس أن يرسل إليه عددا من حفاظ
التوراة، فأرسل إليه اثنين^٣ وسبعين حبرا، فأخلى كل اثنين منهم في
بيت وكل بهم كتابا وتراجمة، فكتبوا التوراة بلسان اليونان، ثم قابل
٥ بين نسخهم الستة والثلاثين فكانت مختلفة اللفظ متحدة المعنى، فلم أنهم
صدقوا ونصحوا، وهذه النسخة ترجمت بعد بالسرياني^٤ ثم بالعربي وهي
في أيدي النصارى؛ والنسخة الثانية نسخة اليهود من الربانيين والقرائين،
والنسخة الثالثة نسخة السامرة؛ وقد نبه على مثل ذلك الإمام السمرقندي في
الصحائف واستشهد بكثير من نصوص التوراة على كثير من مسائل أصول
١٠ الدين، وكذا الشيخ سعد الدين التفتازاني في شرح المقاصد والقاضي
عياض في كتاب الشفاء وغيرهم.

ثم اعلم أن أكثر ما ذكرته في كتابي هذا من نسخة وقعت لي
لم أدر اسم مترجمها، على حواشي فصولها الأوقات التي تقرأ^٥ فيها، فالظاهر
أنها نسخة اليهود وهي قديمة جدا، فكان في الورقة الأولى منها محو في
١٥ أطراف الأسطر فكملمته من نسخة^٦ السبعين، ثم قابلت نسختي كلاهما مع

(١) في م: خبرا - كذا. (٢) في م: أخبارهم - كذا.

(٣) في ظ: اثنان.

(٤) زيد في ظ: شرح، والزيادة كانت في الأصل أيضا ولكن ضرب عليها.

(٥) في ظ من.

(٦) من ظ و م ومد، وفي الأصل: يقرأ.

(٧) في ظ: نسخت - كذا.

بعض اليهود الربانيين على ترجمة سعيد الفيومي وهي عندهم أحسن التراجم
 'وكان هو القارئ'، فوجدت نسختي أقرب إلى حقائق لفظ العبراني
 و مترجمها أقعد من سعيد في لغة العرب ، هذا و ظاهر القرآن في قوله
 تعالى ' فاذا سويته و نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ' ٢ ، أن الأمر
 بالسجود له كان قبل إتمام خلقه و أن السجود كان عقب النفخ ، و به ٥
 صرح البغوي في تفسيره ، و أجاب عن قوله تعالى في سورة الأعراف
 ' و لقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملك اسجدوا لأدم ' ٣ ، بأجوبة ، منها
 أن الخلق و التصوير لأدم وحده ، و ذكره بضمير الجمع لأنه أبو البشر
 فخلقهم و صورهم ؛ و منها أن ' ثم ' بمعنى الواو ليست
 للترتيب - انتهى . و التصوير شق^٦ السمع و البصر و الأصابع - قاله يمان ، ١٠
 و التسوية تعديل^٧ الخلق و إتمامه و تهيئته لنفخ الروح ، و يمكن أن يكون
 ' خلقناكم ' و ما بعده بمعنى قدرنا ذلك تقديرا قريبا من الإخراج من

(١ - ١) ليست في ظ .

(٢) سورة ١٥ آية ٢٩ .

(٣) سورة ٧ آية ١١ .

(٤) في ظ : صورته .

(٥) زيد في ظ : و .

(٦) في م : سبق - خطأ .

(٧) وقع في ظ : بعدان - كذا مصحفا .

العدم؛ و بذلك يتضح قوله في التوراة: فخلق آدم بصورته ذكرا و أنثى،
ثم قال بعد ذلك: لأن آدم لم يكن خلق بعد، ثم حكى خلقه و خلق
زوجه منه؛ فهذا خلق بمعنى الإيجاد، و ذلك بمعنى التقدير القريب منه
- و التهيئة لقبول الغايات - والله اعلم . و مشى اليضاوى على أن الأمر
بالسجود كان بعد الإنشاء بالأسماء و لم يذكر دليلا يصرف عن هذا الظاهر على
أن المشى عليه أولى^١ من جهة المعنى، لأن سجود الملائكة عليهم السلام
قبل^٢ يكون إيمانا بالغيب على قاعدة التكليف، و أما بعد إظهار فضيلة
العلم فقد كُشِفَ الغطاء و صار وجه الفضل من باب عين اليقين^٣؛
و أما الترتيب في الذكر هنا على هذا الوجه و هو جعل السجود بعد الإنشاء
١٠ فهو لنكتة بديعة و هى أنه تعالى لما كان في بيان النعم التي أوجبت شكره
باختصاصه بالعبادة لكونه منعمًا فين أولا نعمته على كل نفس في خاصتها
بخلقها و إفاضة الرزق عليها، ثم ذكر الكل بنعمة تشملهم و هى حاجته^٤
لأقرب خلقه إذ ذاك إليه عن أيينا آدم قبل إيجادها اقتضى الأسلوب
الحكيم أن يوضح لهم الحجة في فضيلة هذا الخليفة فذكر ما آتاه من
١٥ العلم، فلما فرغ من محاجتهم بما أوجب إذعانهم ذكر بنيه^٥ بنعمة السجود

(١) ليس في ظ .

(٢) في مد: قيل .

(٣) في ظ: الفعل .

(٤) من م و مد، و وقع في الأصل و ظ: محتاجة - كذا مصحفا .

(٥) هكذا في الأصل و م، و في مد و ظ: تنبيه .

له ، فما كان تقديم إظهار فضيلة العلم إلا محافظة على حسن السياق في ترتيب الدليل على أقوم منهاج وأوضح سبيل . ولما فرغ من نعمة التفضيل في الصفات الذاتية بين النعمة بشرف المسكن مع تسخير زوج من الجنس لكمال الانس وما يتبع ذلك فقال تعالى . وقال الحرالي : لما أظهر الله سبحانه فضيلة آدم فيما أشاد^١ به عند الملائكة من علمه وخلافته^٥ والإسجاد له وإياء إبليس عنه أظهر تعالى أثر ذلك ما يقابل من أحوال آدم حال ما ظهر للملائكة بما فيه من حظ مخالفة يشارك بها إفراط ما في الشيطان من الإباء لإحاطة^٣ خلق آدم بالكون كله علوا وسفلا ، ول يظهر فضل آدم في حال مخالفته على إبليس في حال إيائه بما يبدو على آدم من الرجوع بالتوبة كحال رجوع الملائكة بالتسليم ، فيظهر فيه الجمع^{١٠} بين الطرفين والفضل في الحالين : حال علمه وحال توبته في مخالفته ، فجعل تعالى إسكان الجنة توطئة لإظهار ذلك من أمره فقال تعالى : « وقلنا يا آدم اسكن »^٤ ، من السكن وهو الهدوء في الشيء الذي في طيه

(١) ليس في م ومد .

(٢) هكذا في الأصل وكتب فيه تحته : الاشارة رفع الصوت ؛ وفي م : اشار . وفي مد : استاز .

(٣) في ظ : بالاحاطة .

(٤) قال على المهامى : « و » ذلك أنا زدناه إكراما إذ « قلنا يا آدم اسكن انت وزوجك » تكيلا لإكرامك باكرام محبوبتك داركرامتنا « الجنة و » أكملنا استيلاءهما عليهما إذ قلنا « كلا منها » أى من نعيمها . قال أبو حيان الأندلسي : =

إفلاق ، أن في قوله : « أنت ، اسم باطن الذات علما هي المشتركة ' في
 أنا ، أنتِ وأنتِ وأن تفعل كذا ، والألف في أنا إشارة ذات
 المتكلم ، وفي مقابلتها التاء إشارة لذات المخاطب ذكر أو أنثى ، « و زوجك
 الجنة ، فأجنت لآدم ما فيها من خبء استخراج أمر معصيته ليكون ذلك
 توطئة لكمال باطنه باطلاعه على سر من أسرار ربه في علم التقدير إيمانا
 و'لكمال ظاهره يكون ذلك توطئة لفضيلة توبته إسلاما ليس لبنه التوبة

= و مناسبها لما قبلها أن الله لما شرف آدم برتبة العلم و باسجاد الملائكة له امتن
 عليه بأن أسكنه الجنة التي هي دار النعيم أباح له جميع ما فيه إلا الشجرة على ما
 سيأتى فيها إن شاء الله . و قال الشريفي الخطيب : أى اتخذ الجنة مسكنا لتستقر
 فيها ، و لفظ أنت تأكيد أكد به المستكن ليصح العطف عليه ، وإنما لم يخاطبهما
 أولا بأن يقول : اسكنا ، تنبيها على أنه المقصود بالحكم و هو الأمر بالسكنى التي
 هي الأصل بالنسبة إلى ما عطف عليها من الأكل وغيره و المعطوف عليه تبع له
 حتى في الوجود إذ لم يكن له من يؤنسه في الجنة فخلقت حواء - بالذ - من ضلعه
 الأنصر من جانبه الأيسر و هو قائم ، فلما استيقظ من نومه رآها جالسة عند
 رأسه كاحسن ما خلق الله فقال : من أنت ؟ قالت : زوجتك ، خلقني الله لك ،
 أسكن إليك و تسكن إلى ، و سميت حواء لأنها خلقت من حي ، خلقها الله من غير
 أن يحس آدم ولا وجد بمخلقها ألما . قال أبو البركات النسفي : الجنة هي جنة
 الخلد التي وعدت للمتقين للنقل المشهور ، واللام للتعريف .

(١) في ظ : المشتركة .

(٢) ليس في م .

أثر المعصية مخالفة لإصرار إبليس بعد إباته و شهادة عليه بجهله في ادعائه ،
 وجعل له ذلك فيما هو منزل عن رتبة علمه فلم تلحقه فيه فتة حفيظة
 على خلافته و أنزلت معصيته إلى محل مطعمه الذي هو خصوص حال
 المرء من جهة أجوفية خلقه ليبدو نقص الأجوف و يبدى ذلك إكبار
 الصمد الذي 'يُطْعَمُ وَلَا يَسْطَعَمُ' ، فكان ذلك من فعله تسليحا بحمد ربه ؛ ه
 لا يقضى الله للمؤمن ' قضاء إلا كان خيرا له انتهى .

وما كان السياق / هنا مجرد بيان النعم استعطافا إلى المؤلف كان
 عطف الأكل بالواو في قوله « وكلا منها » كافيا في ذلك ، وكان التصريح
 بالرغد الذي هو من أجل النعم عظيم الموقع فقال تعالى : « رغدا » ، أى

(١) زيد في م : و .

(٢) زيد في م : من .

(٣) في ظ : هنا .

(٤) قال البيضاوى : « رغدا » أى واسعا رافها ، صفة مصدر محذوف « حيث
 شئنا » أى مكان من الجنة شئنا ، وسع الأمر عليهما إزاحة للعاة و العذر للتناول
 من الشجرة المنهى عنها من بين أشجارها الفاتنة للحصر . وقال أبو حيان الأندلسي :
 قال الزجاج : الرغد الكثير الذى لا يعينك ، و قال مقاتل : الواسع ، و قال مجاهد :
 الذى لا يحاسب عليه ، و قيل : السالم من الإنكار الهنيء . « حيث شئنا » أباح لهما
 الأكل حيث شاءا فلم يحظر عليهما مكانا من أماكن الجنة كما لم يحظر عليهما ما كولا
 إلا ما وقع النهى عنه - انتهى .

واسمها رافها^١ طيبا هنيئا^٢ وحيث^٣ أى أى مكان^٤ وشتما بخلاف سياق
الأعراف فانه أريد منه مع التذكير بالنعم التعريف بزيادة التمكين
وأنها لم تمنع من الإخراج تحذيرا للتمكين^٥ في الأرض المتوسعين في
المعاش من إجلال السطوات وإنزال المثلاث^٦، كما سيأتى إن شاء الله
هـ . ثم المقصود من حكاية القصص في القرآن إنما هو المعاني
فلا يضر اختلاف اللفظ إذا أدى جميع المعنى أو بعضه ولم يكن هناك
مناقضة فإن القصة كانت حين وقوعها بأمر في المعاني الواردة ثم إن الله
تعالى يعبر لنا في كل سورة تذكرا^٧ القصة فيها بما يناسب ذلك المقام من
الالفاظ عما يليق من المعاني ويترك ما لا يقتضيه ذلك المقام ، وسأين
١٠ ما يطلعني الله عليه من ذلك في مواضعه إن شاء الله تعالى .

ولما أباح لها سبحانه ذلك كله اتبعه بالنهي عن شجرة واحدة .
قال الحرالي : وأطلق له الرغد إطلاقا وجعل النهى عطفيا ولم يجعله
امتناء ليكون آدم أعذر في النسيان لأن الاستثناء أهم في الخطاب من
التخصيص وقال : « ولا تقربا »^٨ ولم يقل : ولا تأكلا ، نهيا عن حماها

(١) في م : رافها - كذا .

(٢) العبارة من « أى » إلى هنا ليست في ظ .

(٣-٣) ليست في ظ .

(٤) في م : للتمكين .

(٥) من م ومد و ظ ، وفي الأصل : المثلاث - كذا بالناء المثناة .

(٦) في ظ : بذكر .

(٧) قال البيضاوي : فيه مبالغات تعليق النهى بالقرب الذي هو من مقدمات =

ليكون ذلك ' أشد في النهي - انتهى . « هذه » ، ولما كان اسم الإشارة لا دلالة له على حقيقة الذات افتقر إلى بيان ذات المشار إليه فقال : « الشجرة » ، أى فانكما إن قربتاهما ٣ تأكلا منها « فتكونا » ، أى بذلك « من الظلمين » ؛ أى الواضعين الشيء في غير موضعه كمن يمشى في

= التناول مبالغة في تحريمه وجوب الاجتناب عنه ، و تنبيهها على أن القرب من الشيء يورث داعية وميلا يأخذ بمجامع القلوب ويلهيه عما هو مقتضى العقل والشرع كما روى : حبك الشيء يعمى ويصم . فينبى أن لا يحوما حول ما حرم الله عليها مخافة أن يقعا فيه ، وجعله سببا لأن يكونا من الظالمين الذين ظلموا أنفسهم بارتكاب المعاصي أو بنقص حظهما بالإتيان بما يغفل بالكرامة والنعيم . قال على المهاشمي : « و » من إكرامنا أباهما أنا لم نكلفهما بشيء سوى أن قلنا « لا تقربا » فضلا عن تناول شيء منها فضلا عن الأكل إذ القرب من الشيء يأخذ بمجامع القلب ويلهيه عما هو مقتضى الشرع والعقل « هذه الشجرة » من بين الأشجار الفاتنة للحصر وكانت شجرة الحنطة أو الكرمة أو التينة « فتكونا من الظلمين » أنفسهم بتفويت الكرامات والتعرض للعقاب والعتاب ، فكانت هذه مدخلا للشيطان . قال النسفي : « الشجرة » أى الحنطة ، ولذا قيل : كيف لا يعصى الإنسان وقوته من شجرة العصيان ، أو الكرمة لأنها أصل كل فتنة ، أو التينة - انتهى .

(١) ليس في م .

(٢) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست في ظ .

(٣) في ظ : قربتاهما - كذا .

(٤) العبارة من هنا إلى « من الحكمة » ليست في ظ .

الظلام؛ وفي هذا النهى دليل على أن هذه ' السكنى لا تدوم، لأن المخلد لا يناسب أن يعرض للحظر بأن يحظر عليه شيء ولا أن يؤمر ولا ينهى، ولذلك دخل عليه الشيطان من جهة الخلد، ولا داعى لبيان نوع الشجرة^١ لأن السياق لبيان شؤم المخالفة وبركة التوبة لا لتعيين النهى عنه فليس يأنه حيثئذ من الحكمة .

ثم بين أنهما أمرعا الواقعة بقضية^٢ خلقهما على طبائع الشهوة لما نهاهما عنه فقال: « فازلهما »، قال الحرالى: من الزلل وهو تزلق الشيء الذى لا يستمسك على الشيء الذى لا مستمسك فيه كتزلل الزلال عن^٣ الورق

(١) فى م: هذا .

(٢) نقل أبو حيان فى الشجرة أقوالا متعددة و فيها قيل: شجرة لم يعلمها الله ما هى وهذا هو الأظهر، إذ لا يتعلق بعرفانها كبير أمر، وإنما المقصود إعلامنا أن فعل ما نهينا عنه سبب للعقوبة . . . قال القشيري: كل ما منع منه توفرت دواعى ابن آدم للاقتراب منه، هذا آدم عليه السلام أبيع له الجنة بجملها ونهى عن شجرة واحدة فليس فى العقول أنه مديده إلى شيء من جملة ما أبيع له، وكأنه عيل صبره حتى ذاق ما نهى عنه، هكذا صفة الخلق، فقال: نبه على عاقبة دخول آدم الجنة من ارتكابه ما يوجب خروجه منها قوله تعالى « انى جاعل فى الارض خليفة » فإذا أخبر تعالى بجعله خليفة فى الأرض فكيف يمكن بقاؤه فى الجنة، كان آدم لا أحد يوفيه فى الرتبة يتوالى عليه النداء: يا آدم! يا آدم! فأسمى وقد نزع لباسه و سلب استثنائه والقدرة، لا تكابر وحكم الله لا يعارض . وقال الشاعر:

لله درهم من فنية بكروا مثل الملوك وراحوا كالمساكين

(٣) فى ظ: يقتضيه .

(٤) فى م: على .

و هو ما يجتمع من الطل فيصير ما على الأوراق و الأزهار ، و أزالتها من الزوال و هو التنحية عن المكان أو المكاة و هو المصير بناحية منه ؛ « الشيطان ، هو مما أخذ من أصلين : من الشطن و هو البعد الذى منه سمي الحبل الطويل ، و من الشيط الذى هو الإسراع فى الاحتراق و السمن ، فهو من المعنيين مشتق كلفظ إنسان و ملائكة » عنها ، أى عن واقعة الشجرة و عن ٥ كلمة تقتضى المجاوزة عن سبب ثابت كقولهم : رميت عن القوس - انتهى .
 'و تحقيقه' فأصدر الشيطان زلتها أو زوالها ٣ عنها « فأخرجها » ، أى فتسبب عن إيقاعها فى الزلل الناشئ عن تلك الواقعة أنه أخرجها « بما كانا فيه » من النعمة العظيمة التى تجل عن الوصف . قال الحرالى :
 « فى » كلمة تقتضى وعاء مكان أو مكانة ، ثم قال : أنبأ الله عز وجل بما ١٠

(١) العبارة من هنا إلى « عنها » ليست فى ظ

(٢) قال البيضاوى : أصدر زلتها عن الشجرة وحملها على الزاة بسببها أو أزالتها عن الجنة بمعنى أذهبها ، ويعضده قراءة حمزة « فازالها وهما يتقاربان فى المعنى غير أن أزل يقتضى عثرة مع الزوال . و جعل سيويه نونه تارة أصلية على أنه من شطن إذا بعد فانه بعيد عن الصلاح ، و يشهد له قولهم : تشيطن ، و أخرى زائدة من شاط إذا بطل ، و من أسمائه الباطل .

(٣) فى م : زورالهما .

(٤) قال على المهانمى « فأخرجها عما كانا فيه » من الكرامات ، قيل أتى باب الجنة ففتحت الخزنة ، فحفظته الحية فسألها الدخول فيها ، فأدخلته فوق بين يدي آدم فقال : هل أدلك على شجرة الخلد ؟ فلم يقبل ، « فقاسمهما أنى لكان من النصحين » فاعترا فبادرت حواء ثم ناولت آدم فصدرت هذه المعصية من آدم قبل النبوة بنسيان جرم النهى بتغرير إبليس وإنسانه قوله « فتكونا من الظالمين » - انتهى .

في خبء أمره بما هو من وراء علم الملائكة بما أظهر من أمر^١ آدم عليه السلام و بما وراء علم آدم بما أبدى من حال الشيطان باستزلاله لآدم حسن ظن من آدم بعباد الله مطلقا حين قاسمهما على النصيحة ، وفيه انتظام بوجه ما بتوقف الملائكة في أمر خلق آدم لحذرت الملائكة إلى الغاية ،
 ٥ نجاء من وراء حذرهما حمد أظهره الله من آدم ، وجاء من وراء حسن ظن آدم ذنب أظهره الله من الشيطان على سيل سكن الجنة فرمى^٢ بهما عن سكنها بما أظهر له بما فيها من حب الشجرة التي اطلع عليها . ثم قال : وحكمة ذلك أي^٣ نسبة هذا الذنب إلى الشيطان بتسييه^٤ ، إن الله عز وجل* يعطى عباده الخير بواسطة وبلا واسطة ولا ينالهم شر إلا^٥ بواسطة نفس ، كما وقع من الإياء للشيطان ، فكانت خطيئته في ذات نفسه أو بواسطة شيطان كما كانت مخالفة آدم ، فكانت خطيئته ليست^٦ من ذات نفسه و عارضة عليه من قبل عدو تسبب له بأدنى ما منه من زوجه^٧ التي هي من أدنى خلقه فمحت التوبة الذنب العارض لآدم وأثبت الإصرار الإياء النفساني للشيطان ؛ وذكر الحق تعالى الإزلال

(١) في م : علم .

(٢) في مد : مى من - كذا .

(٣) زيد في ظ : و .

(٤) في ظ : بتشبيه .

(٥ - ٥) ليس في ظ .

(٦) في م : إلى .

(٧) ليس في م .

(٨) في م : روحه - كذا .

منه باسمه الشيطان لا باسمه إبليس لما في معنى الشيطنة من البعد والسرعة التي تقبل التلافي، ولما في معنى الإبلاس من قطع الرجاء، فكان في ذلك بشرى استدراك آدم بالتوبة - انتهى .

ولما بين أنه غرهما فضرهما بين إيهاب الغار والمغرور وبين أنه أنعم على المغرور دون الغار مع ما سبق له من لزوم العبادة وطول التردد في الخدمة، وفي ذلك تفخيم للنعمة استعطافا إلى الإخلاص في العبادة فقال عاطفا على ما يرشد إليه السياق من نحو أن يقال فتداركناهما بالرحمة وتلافينا خطأهما بالعفو لكونه عارضا منها بسبب خارج؛ وأبدنا تلافيا ٣ الغار بشقائه لعصيانه بالضلال والإضلال عن عمد فكان مغضوبا

(١) قال الخطيب الشربيني : قال ابن عباس رضي الله عنهما قال الله تعالى لآدم: أليس فيما أبحتك من الجنة مندوحة عن الشجرة؟ قال: بلى يا رب وعزتك ولكن ما ظننت أن أحدا يحالف بك كاذبا، قال: فبعزتي لأهبطنك في الأرض ثم لا تنال العيش إلا كذا؛ فأدبنا من الجنة وكانا يأكلان فيها رغدا، فلم صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وزرع ثم سقى حتى إذا بلغ حصد ثم درسه ثم ذراه ثم طحنه ثم عجنه ثم خبزه ثم أكله فلم يبلغه حتى بلغ منه ما شاء الله . قال إبراهيم ابن ادهم : أورتنا تلك الأكلة حزنا طويلا .

(٢) وفي التفسير المظهرى : قال سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الله تعالى: يا آدم! ما حملك على ما صنعت؟ قال: يا رب زينته لى حواء، قال: فأنى أعقبتها أن لا تحمل إلا كرها ولا تضع إلا كرها ودميتها في الشهر مرتين، فرتت حواء عند ذلك، فقيل: عليك الرنة وعلى بناتك .

(٣) في الأصل : تلاف .

عليه « وقلنا، أى له وللغفور: « اهبطوا »،^١ وفي ذلك لطف لذريته بالتفكير من الخطاء والتهريب الشديد من جريرته والترغيب العظيم على تقدير الوقوع فيه في التوبة والهبوط .

/٦١

قال الحرالي: سعى في درك والدرك ما / يكون نازلا عن مستوى ،
 ٥ فكأنه أمسك حقيقته - أى آدم - في حياضته تعالى وحفظه وتوفيقه
 اضراعه وبكائه وسر ما أودعه من أمر توبته ؛ وأهبط صورته ليظهر
 ٢ في ذلك^٢ فرق ما بين هبوط آدم وهبوط إبليس على ما أظهر من
 ذلك سرعة عود آدم توبة وموتا إلى محله من أنسه المعهود وقربه
 المألوف له^٣ - من ربه ، وإنظار إبليس في الأرض مصرا منقطعا عن^٤
 ١٠ مثل معاد آدم لما^٥ نال إبليس من اللعنة التي هي مقابل التوبة . « بعضكم

(١) قال على المهاشمي : « اهبطوا » من دار كرامتنا إلى دار الابتلاء وأقله العداوة
 والمضرة في الدنيا والدين إذ « بعضكم لبعض عدو » يعاديكم إبليس بالإضلال
 والحية بالدغ « و » لا رجوع لكم إلى الجنة عن قريب إذ « لكم في الأرض
 مستقر » أى مدة استقرار بوقع في الأمل « ومتاع » يوقع في الشهوات وينسى
 نعيم الجنة « إلى حين » أى القيامة على ظهرها أو في بطنها .

(٢) العبارة من هنا إلى « في التوبة » ليست في ظ .

(٣-٢) في ظ : بذلك .

(٤) ليس في ظ .

(٥) في م : على .

(٦) في مد : بما .

لبعض ، البعض ' ما اقتطع من جملة وفيه ما في تلك الجملة ؛ ' عدو ، من العداة ' أى المجاوزة عن حكم المسألة التى هى أدنى ما بين المستقلين^٢ من حق المعاونة - انتهى . فاللعنى فليحذر كل واحد منكم عدوه^٤ باتباع الأوامر والأوامر واجتناب النواهى .

قال الحرالى : وفيه إشعار بما تمادى من عدواء الشيطان على ذره^٥ من ولد آدم حتى صاروا من حزبه ، وفيه أيضا بشرى لصالحى ولد آدم بما يسبونه من ذره إبليس فيلحقون بهم بالإيمان والإسلام والتوبة فيهدون بهداه من حيث عم^٦ بالعداوة ، فاعتدى ذو الخير فصارت عدواه^٦ على أهل الشر خيرا ، واعتدى ذو الشيطنة فصارت عدواه على أهل الخير شرا .
 ' ولكم فى الارض مستقر ، تكونون فيه ، وهو من القرار^٧ وهو كون ١٠

(١) وفى البحر المحيط : بعض اصله مصدر بعض ببعض أى قطع ، ويطلق على الجزء ، ويقابله كل ، وهما معرفتان لصدور الحال منهما فى فصيح الكلام .
 (٢) فى البحر المحيط : العدو من العداوة وهى مجاوزة الحد ، يقال : عدا فلان طوره ، إذا جاوزه ، وقيل : العداوة التباعد بالقلوب ، من عدوى الجبل وهما طرفاه ، سميا بذلك لبعد ما بينهما ، وقيل : من عدا أى ظلم ، وكلها متقاربة فى المعنى ، والعدو يكون للواحد والاثنتين والجمع والمذكر والمؤنث .

(٣) فى ظ : المستقلين .

(٤) فى ظ : صاحبه .

(٥) فى ظ : ذراه .

(٦) فى م : عداوه .

(٧) قال أبوحيان الأندلسى : المستقر مستفعل من القرار وهو اللبث والإقامة ، =

الشيء فيما له فيه^١ تنام وظهور وعيش موافق؛ «ومتاع» يتمتعون^٢ به،
والممتع^٣ هو الانتفاع بالمنفعة به وقتا منقطعا يعرف نقصه بما هو أفضل
منه، يعنى ففيه إشعار بانقطاع الإمتاع بما فى هذه الدنيا ونقص ما به
الانتفاع عن محل ما كانا فيه، من حيث أن لفظ المتاع أطلق فى لسان
٥ العرب على الجيفة التى هى متاع المضطر وأرزاق سباع الحيوان
وكلابها^٤، فكذلك الدنيا هى جيفة متع بها أهل الاضطراب بالهبوط
من الجنة وجعلها حظا من لا خلاق له فى الآخرة؛ «الى حين» أى
لا يتقدم ولا يتأخر، وفى إيهام الحين إشعار باختلاف الآجال فى ذره
الفريقين، فمنهم الذى يناله الأجل صغيرا، ومنهم الذى يناله كبيرا -
١٠ انتهى.

= ويكون مصدرا وزمانا ومكانا .

(١) ليس فى ظ .

(٢) فى م : يتمتعون .

(٣) فى البحر المحيط : المتاع ما استمتع به من المنافع أو الزاد أو الزمان الطويل
أو التعمير « إلى حين » إلى الموت أو إلى قيام الساعة أو إلى أجل قد علمه الله -
قاله ابن عباس . ويمكن أن يفسر قوله « مستقر ومتاع الى حين » بقوله « قال
فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون » ، وفى قوله « الى حين » دليل على
عدم البقاء فى الأرض ودليل على المعاد ، وفى هذه الآية التحذير عن مخالفة أمر الله
بقصد أو تأويل وأن المخالفة تزيد عن مقام الولاية .

(٤) فى ظ : كلابها - كذا .

ولما تسبب عن جزاء آدم عليه السلام بالإمباط الذي هو كفارة له أنه ألهم الدعاء بما رحم به عبر عن ذلك بقوله : « فلتقى » أى فهبطوا فلتقى « آدم » بعد الهبوط ، و التلقى ما يتقبله القلب باطنا و حيا ، أو كالوحي أبطن من التلقن الذى يتلقنه لفظا و علما ظاهرا أو ٣ كالظاهر - قاله الحارلى : « من ربه » ، أى المحسن إليه فى كل حال ، « كلمت » أى ترضيه ه سبجانه بما أفهمه التعبير بالتلقى ، وهى جمع كلمة ؛ وهى دعاء دعا به ربه . أو ثناء أثنى به عليه ؛ و تطلق الكلمة أيضا على إمضاء أمر الله من غير

(١) قال على الهائى : ولما لم يكن مصيبة آدم كفرا وكان معتنى به ألهمه الله كلمات « فلتقى » أى تقبل « آدم من ربه كلمت » هى « ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا و ترحمنا لنكونن من الخاسرين » فاستغفر عنها و تاب عن أمثالها - انتهى . قال البيضاوى : استقبلها بالأخذ و القبول و العمل بها حين علمها . وعن ابن عباس قال : يا رب ! ألم تخلفنى بيدك ؟ قال : بلى ، قال : يا رب ! ألم تنفخ فى الروح من روحك ؟ قال : بلى ، قال : ألم تسبق رحمتك على غضبك ؟ قال : بلى ، قال : ألم تسكنى جنتك ؟ قال : بلى ، قال : رب ! إن تبت و أصلحت أراجعى أنت إلى الجنة ؟ قال : نعم . و أصل الكلمة الكلم و هو التأثير المدرك باحدى الحاستين السمع و البصر كالكلام و الجراحة - انتهى .

(٢) من م و مد و ظ ، وفى الأصل نقط : التلقين .

(٣) فى ظ : و .

(٤-٤) ليست فى ظ .

(٥) ليس فى مد .

(٦) ليس فى ظ .

تسبب حكمة و لا ترتيب حكم - قاله الحرالى ثم قال : فى عطف الفاء فى هذه الآية إشعار بما استند إليه التلقى من تنبيه ' قلب آدم وتوفيقه بما أثبت له إمساك حقيقته عند ربه ، ويعاضد معناه رفع الكلمات وتلقيها آدم ' فى إحدى القراءتين ، فكأنه تلقى الكلمات بما فى باطنه فتلقتها الكلمات^٢ بما أقبل بها عليه فكان مستحقا لها ، فكانت متلقية له بما جمعت القراءتان من المعنى ' فتاب ' من التوب وهو رجوع بظاهر باطنه الإنابة وهو رجوع بعلم باطنه الآوبة وهو رجوع بتقوى قلب - انتهى . عليه ، لذكره إياه بالكلمات مخلصا فى نيته ، ثم علل بقوله ' انه هو ' أى خاصة ' (١) فى ظ : تبينه .

(٢) فى التفسير المظهرى : قرأ ابن كثير ' آدم ' بالنصب و « كلمت » بالرفع ، يعنى جاءت الكلمات آدم من ربه وكانت سبب توبته . (٣) فى ظ : الملائكة .

(٤) قال البيضاوى : فتاب عليه رجع إليه بالرحمة وقبول التوبة ، وإنما رتبته بالفاء على اتقى الكلمات لتضمنه معنى التوبة وهو الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على أن لا يعود إليه ، واكتفى بذكر آدم لأن حواء كانت تبعاله فى الحكم ولذا طوى ذكر النساء فى أكثر القرآن والسنن ؛ « انه هو التواب الرحيم » الرجاء على عباده بالمغفرة أو الذى يكثر اعانتهم على التوبة ، وأصل التوبة الرجوع ، فإذا وصف بها العبد كان رجوعا عن المعصية ، وإذا وصف به البارئ تعالى أريد به الرجوع عن العقوبة إلى المغفرة ؛ الرحيم المبالغ فى الرحمة ، وفى الجمع بين الوصفين وعد للتائب بالإحسان مع العفو - انتهى . (٥-هـ) ليست فى ظ .

« التواب » ،^١ أى البليغ التوبة المكرر لها ، ولما كان قد جعل على نفسه المقدس أن يفضل على المحسن قال : « الرحيم » ، أى لمن أحسن الرجوع إليه و أهله لقربه .

قال الحرالى : وكان إقراره بلفظه أدبا وإذعانا لقيام حجة الله على عباده بما أنبأ عنه من قوله « ربنا ظلمنا أنفسنا »^٢ ، الآية ، وهذه توبة قلب هـ وعمل لا ينقض مخصوص حال القلب منها ناقض وهى التوبة النصوح التى تبرئ من الذنب بتحقيق توحيد القلب وتوجب تكفير الخطايا الظاهرة التى لا أصل لها فى القلب من حجاب دعوى فى الأفعال وشرك فى أمر الله ، فبمقتضى ما فى باطنه ظهر فيه اسمه الرحيم الذى هو من الرحمة وهو اختصاص فضله بالمؤمن ، وبمقتضى ما ظهر عليه من ١٠ الضراعة والإقرار^٣ ظهر فيه^٤ مقتضى اسمه التواب ؛ فجمعت توبته الأمرين - انتهى .

ولما أعلموا بالعداوة اللازمة كان كأنه قيل : فما وجه الخلاص منها ؟ فقيل : اتباع شرعنا المشروع للتوبة والرحمة فانا « قلنا »^٥ كما تقدم^٦ « اهبطوا »^٧ ولما كان الهبوط الماضى يحتمل أن يكون من مكان من ١٥

(١) العبارة من هنا إلى « قال » ليست فى ظ .

(٢) فى ظ : يحسن .

(٣) سورة ٧ آية ٢٣ .

(٤) فى ظ : فالإقرار .

(٥) العبارة من هنا إلى « نحو قوله » فى الصفحة الآتية رقم ٣٢٤ ساقطة من م .

(٦-٧) ليست فى ظ .

(٧) العبارة من هنا إلى « قال » ليست فى ظ .

الجنة إلى أدنى منه ولم يخرجوا منها فكرره هنا للتأكيد 'تصويرا لشوم المعصية و تبشيعا لها قال: « منها » 'أى الجنة' « جميعا » ٣ أى لا يتخلف منكم أحد سواء كان ذلك قران' واحد أو على التعاقب ، و عهدنا إليهم عند الهبوط إلى دار التكليف أنا نأتيهم بالهدى ليؤديهم* إلى الجنة مرة أخرى' واعدن من اتبع متوعدين من امتنع فقلنا: « فاما يأتينكم » ،

(١) قال البيضاوى : كرر للتأكيد أو لاختلاف المقصود ، فان الأول دل على أن هبوطهم إلى دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون ، و الثانى أشعر بأنهم أهبطوا للتكليف ، فن اهتدى الهدى نجا و من ضله هلك ، و التنبيه على أن مخافة الإهباط المقترن بأحد هذين الأمرين وحدها كافية للحازم أن تعودته عن مخالفة حكم الله تعالى فكيف بالمقترن بهما ! ولكنه نسي و لم نجد له عذما و أن كل واحد منهما كفى به نكالا لمن أراد أن يذكر ، و قيل الأول من الجنة إلى سماء الدنيا و الثانى منها إلى الأرض و هو كما ترى ؛ و « جميعا » حال فى اللفظ تأكيد فى المعنى كأنه قيل : أهبطوا منهم أجمعون ، و لذلك تستدعى اجتماعهم إلى الهبوط فى زمان واحد كقولك : جاؤا جميعا - انتهى كلامه . قال المهاشمى : « قلنا أهبطوا » أى استقروا بمكان الهبوط « منها » أى من أثر تلك المعصية « جميعا » أى مجتمعين مع ما بينكم من العداوة لأن المقصود بالذات من الإهباط إلى دار الابتلاء هو الابتلاء بالتكليف .

(٢-٢) ليست فى ظ .

(٣) العبارة من هنا إلى « التعاقب » ليست فى ظ .

(٤) فى مد : فى أن .

(٥) ليس فى ظ .

وقال الحرالي : 'مورد هذه الآية' بغير عطف إشعار بأن ظاهرها افتتاح لم ٣ يتقدمه إيجاء بياطن كما تقدم في السابقة ، و تكرر الإهباطان من حيث أن الأول / إهباط لمعنى القرار في الدنيا والاعتداء فيها وذرة الذرية وأعمال أمر العداوة التي استحكت بين الخلقين من آدم وإبليس ، وهذا الإهباط الثاني إهباط عن مكانة الرتبة الآمرية الدينية التي كانت ه خفية في أمر آدم ظاهرة في أمر إبليس ، وفي قوله : جميعا ، إشعار بكثرة ذرة الخلقين وكثرة الاحداث في أمر الديانة من النقلين - انتهى .

(١) زيد في مد : في .

(٢) قال القاضي ثناء الله العثماني : الفاء للعطف ، وإن حرف شرط ، وما زائدة أكدت به إن ، ولذا حسن تأكيد الفعل بالنون وإن لم يكن فيه معنى الطاب ، يعني إن يأتي لكم مني هدى يعني رسولا وكتابا ، الخطاب به إلى ذرية آدم . و قال البيضاوي : والمعنى إن يأتيكم مني هدى بانزال أو إرسال فمن تبعه منكم نجا وفاز ، وإنما جيء بحرف الشك لأنه محتمل في نفسه غير واجب عقلا ، وكرر لفظ الهدى ولم يضممه لأنه أراد بالثاني أعم من الأول وهو ما أتى به الرسل واقتضاء العقل ، أي فمن تبع ما أتاه مراعييا فيه ما يشهد به العقل فلا خوف عليهم فضلا من أن يحل بهم مكروه ولا هم يفوت عنهم محبوب فيحزنوا عليه ، والخوف على المتوقع ، والحزن على الواقع ، نفى عنهم العقاب وأثبت لهم الثواب على أكد وجه وأبلقه - انتهى كلامه .

(٣) في ظ : لا .

(٤) في ظ : القران - كذا .

(٥) في ظ : الاعتداء - كذا ، ولا يتضح في مد .

(٦) في ظ : ذراء .

وخص في إبراز الضمير بمحض الأفراد من غير إيراد بمظهر العظمة إبعادا عن الوهم فقال: « منى هدى » أى بالكتب و الرسل ، 'ولما كان الهدى الذى هو البيان لا يستلزم الاهتداء قال: 'د فن تبع ، أى أذن اتباع يعتد به ، و لذلك اكتفى في جزائه بنفى الخوف الذى قد يكون عن توبة من ضلال بخلاف ما في طه ٣ كما يأتي إن شاء الله تعالى .
والتبع السعى أثر علم الهدى - قاله الحرالى . « هداى » أى المنقول

(١) قال أبو حيان: « منى » متعلق بآتينكم ، وهذا شبيه بالالتفات لأنه انتقل من الضمير الموضوع للجمع ، أو المعظم نفسه إلى الضمير الخاص بالتكلم المفرد ، و حكمة هذا الانتقال هنا أن الهدى لا يكون إلا منه وحده تعالى ، فناسب الضمير الخاص كونه لا هادى الا هو تعالى ، فأعطى الخاص الذى لا يشاركه فيه غيره الضمير الخاص الذى لا يحتمل غيره تعالى ، وفي قوله « منى » إشارة إلى أن الخير كله منه ، و لذلك جاء « قد جاءكم برهان من ربكم » و « قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء » فأتى بكلمة من الدالة على الابتداء في الأشياء لينبه على أن ذلك صادر منه و مبتدأ من جهته تعالى ، و أتى بأداة الشرط في قوله « فاما آتينكم منى هدى » وهى تدخل على ما يتردد في وقوعه و الذى انبهم زمان وقوعه ، و إتيان الهدى واقع لا محالة لأنه انبهم وقت الإتيان ، أو لأنه أذن لك بأن توحيد الله تعالى ليس شرطاً فيه إتيان رسل منه ولا إزوال كتب بذلك بل لو لم يبعث رسلا ولا أنزل كتباً لكان الإيمان به واجبا و ذلك لما ركبت فيهم من العقل و نصب لهم من الأدلة و مكن لهم من الاستدلال كما قال :

و في كل شيء له آية تدل على أنه واحد

قال معناه الزمخشري غير إنشاد الشعر - انتهى كلامه .

(٢ - ٢) ليست في ظ .

(٣) كتب فوقه في الأصل : من قوله « اتبع هداى » .

أو المعقول ، فالثاني أعم من الأول . لأنه أعم من أن يكون منقولاً عن الرسل أو معقولاً بالقياس على المنقول عنهم ، أو بمحض العقل كما وقع لورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل وأضرابها المشار إليهم بالقليل في قوله تعالى : « ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلاً » ، قال العارف شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي في كتابه رشف النصاب : « الإيمانية : فالعقل حجة الله الباطنة ^٢ و القرآن حجة الله ^٣ الظاهرة . قال الحرالي : وجاء « هداى » شائعاً ليعم رفع الخوف والحزن من تمسك بحق ما من الحق الجامع ، وأدناه من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فيها بينه وبين الحق وفيما بينه وبين الخلق - انتهى .

^١ ولما كان الخوف أشد لأنه يزداد بمر الزمان ، والحزن يخف ، قدمه ^{١٠} فقال ^٤ : « فلا خوف عليهم ، أى من ^٥ شئ آت ، فان الخوف اضطراب النفس من توقع فعل ضار - قاله الحرالي . « ولا هم يحزنون » ، أى على شئ فات ، ^٦ لأنهم ينجون من النار ويدخلون الجنة ^٧ والحزن كما قال الحرالي : توجع القلب لأجل نازح قد كان في الوصلة به ^٨ روح ، والقرب

(١) سورة ٤ آية ٨٣ .

(٢) في ظ : الباطن .

(٣-٣) في مد و ظ : حجته .

(٤-٤) ليست في ظ .

(٥) ليس في مد .

(٦) في ظ : فان . (٧) ليس في ظ .

منه راحة، وجاء في الحزن بلفظ «هم»، لاستبطانه، وبالفعل لأنه باد
من باطن تفكيرهم في فاتهم، وجاء نفي الخوف منعزلاً عن فعلهم لأنه
من خوف^١ باد عليهم من غيرهم^٢ - انتهى ٣.

ولما بشر المؤمنين الذين^٣ اتبعوا الهدى^٤ اتبعه إنذار الكافرين^٥ الذين
نابذوه^٦ بقوله: «والذين كفروا»^٧، قال الحرالي^٨: هذا من أسوأ^٩ الكفر،

(١) في مد: مخوف .

(٢) قال المصنف: «و» «فاما ياتينكم مني هدى»، أي فان تحقق لكم إتيان هدى علمتم
بالدلائل العقلية والمعجزات القولية والفعلية أنه مني «فمن تبع هداي» أي
ذلك الهدى بعد ما علم كونه هدى في نفسه لا يصح نسبته إلى مصل «فلا خوف
عليهم» بكونه تليسا مني أو من فعل الشيطان أو من الاطلاع على بعض الأمور
السموية أو الأرضية إذ علم انتفاء جميع ذلك بالعادة «ولاهم يحزنون» لما يفوتهم
من الدنيا بعده - انتهى كلامه . وقال أبو حيان: وفي قوله «فمن تبع هداي»
تنزيل الهدى منزلة الإمام المتبع المقتدى به فتكون حركات التابع وسككاته
موافقة لمتبوعه وهو الهدى فحينئذ يذهب عنه الخوف والحزن، وفي إضافة
الهدى إليه من تعظيم الهدى ما لا يكون فيه لو كان معروفا بالألف واللام،
والإضافة تؤدي معنى الألف واللام من التعريف ويزيد على ذلك بمنزلة التعظيم
والتشريف .

(٣) ليس في ظ .

(٤-٥) ليست في ظ .

(٥) زيد في مد، فلم يتبعوا الهدى .

(٦) قال المصنف: «والذين كفروا» أي أنكروا ذلك الهدى بتلك الاحتمالات
البعيدة بل الباطلة بكونه هدى في نفسه «وكذبوا بأبنتنا» الواقع صدقهما في القلوب
بالضرورة فلا يرفعون إلى الجنة ولا يتركون في محل الهبوط المذكور بل =

لأنه كفر بالآيات التي جعلها الله عز وجل علماً على غيب عهده وهي^١
 ما تدركه جميع^٢ الحواس من السماء والارض وما بينهما، كما^٣ قال تعالى:
 «ومن آياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة^٤، لأن الحق
 تعالى أظهر الكون كتابة^٥ دالة على أمره وجعل في العقل نوراً يُقرأ به
 كتابه^٦، فمن لا نور له فهو من أصحاب النار، فهو إما تابع هدى بنور
 العقل وتديه الإيمان، وإما صاحب نار، فقال: «وكذبوا بآياتنا»، لأنه
 لما كان من الذين كفروا بكتاب الخلق من تقبل الإيمان بتزويل الأمر
 اختصت كلمة العذاب بالذين تأكد كفرهم بالآيات المرئية^٧ بتكذيبهم
 بالآيات المنزلة، فكفروا بما رأوا فكانوا عمياً، وكذبوا بما سمعوا فكانوا
 صُمًا - انتهى . والمعنى أنهم جمعوا بالكفر والتكذيب بين إنكار القلوب^٨.

= يهبطون عنها إلى أسفل السافلين إذ «اولئك اصحب النار» أى لا انتقال لهم
 عنها كأهل الإهباط الأول بل «هم فيها خلدون» إذ لا يتم الابتلاء إلا بابتعاد
 العذاب الخالد ولا يتم إلا بالإيفاء به . (٧) وهو الظاهر، وفي ظ: سوء .

(١) في ظ : علم .

(٢) زيد في ظ : جميع .

(٣) ليس في ظ .

(٤) سورة ٤٢ آية ٢٩ .

(٥) من مدووظ ، وفي الأصل : كناية .

(٦) في ظ : كتابته .

(٧) في ظ : المرأة - كذا .

(٨) في ظ : القلب .

والآلئنة « اولئك » أى البُعْدَاءُ البغضاء « اصْحَبُ النار » و بين اختصاصهم بالخلود بقوله : « هم فيها خلدون » ، فعليهم الخوف الدائم لما يأتى من أنكلها والحزن الدائم على فوات الجنة ، فالآية من الاحتباك ، انتفاء الخوف والحزن من الأول دال على وجودهما فى الثانى ، ووجود النار ه فى الثانى دال على انتفائهما ووجود الجنة فى الأول ٢ ، وقد علم من ذلك مع قوله « مستقر ومتاع الى حين » ، أنه لا بد من رجوعهم إلى تلك الدار وكيف تكون منازلهم فيها ! فكأنه جواب سائل قال : هل بعد هذا الهبوط من صعود ؟ قال الحرالى : وقوله : « هم » : فيه إشعار بأشراط العذاب بواطنهم و بلاغه إلى أنفسهم بعذاب الغم والحزن واليأس وغير

(١) العبارة من هنا إلى « فى الأول » ليست فى ظ .

(٢) قال أبو حيان : فى قوله « اولئك اصْحَبُ النار » دلالة على اختصاص من كفر وكذب بالنار ، فيفهم أن من اتبع الهدى هم أصحاب الجنة ، وكان التقسيم يقتضى أن من اتبع الهدى لا خوف ولا حزن يلحقه وهو صاحب الجنة ، ومن كذب يلحقه الخوف والحزن وهو صاحب النار ، فكأنه حذف من الجملة الأولى شيء أثبت نظيره فى الجملة الثانية ومن الثانية شيء أثبت نظيره فى الجملة الأولى نصار نظير قول الشاعر :

و انى لتعرونى لذاكر قرة كما انتفض العصفور بلله القطر

أقول هذا هو الاحتباك الذى قاله الحرالى ، فالآية من الاحتباك .

(٣) زيد فى مد : وفيها احتباك آخر ، لأن إثبات اتباع الهدى فى الأول دال على انتفائه فى الثانى ، وإثبات الكفر فى الثانى دال على حذف الإيمان من الأول .
(٤-٤) وفى ظ : فعلم .

ذلك من إحراق النار بواطنهم ، و فيه ' إشعار بكونهم فيها في الوقت الحاضر من حيث لا يشعرون ' - الذي يشرب في آنية الذهب إنما يجر جر في بطنه نار جهنم ، والنار أقرب إلى أحدهم من شرك نعله . فهم فيها خالدون وإن لم يحسوا في الدنيا بحقيقتها ، كما أن المهتدين في جنة في الدنيا ٣ وإن لم يشهدوا عيانها ، فكل خالد فيما هو فيه في الدنيا ٣ غيبا و في ٥ الآخرة عيانا و في القبر عرضا ٥ لترون الجحيم ٥ ثم لترونها عين اليقين ٥ ، النار يعرضون عليها غدوا و عشيا ٥ . و هنا انتهى خطاب الفرقان المخصوص بدعوة العرب الذين هم رأس ٦ أهل الدعوة المحمدية ، قال عليه الصلاة و السلام : الناس كلهم تبع لقريش ، مؤمنهم لمؤمنهم ، وكافرهم

(١) في ظ : فيها .

(٢) قال البيضاوي : وفيها دلالة على أن الجنة مخلوقة ، وأنها في جهة عالية ، و أن التوبة مقبولة ، و أن متبع الهدى مأمون العاقبة ، و أن عذاب النار دائم والكافر فيه مخلد ، و أن غيره لا يخلد فيه لفهوم قوله تعالى « هم فيها خالدون » . قال أبو حيان : في قوله « أولئك » إشارة إلى الذوات المتصفة بالكفر والتكذيب ، و كأن فيها تكريرا و توكيدا لذكر المبتدأ السابق ؛ و الصحبة معناها الاقتران بالتسبي ، و الغالب في العرف أن ينطلق على الملازمة وإن كان أصلها في اللغة أن تنطلق على مطلق الاقتران ، و المراد بها هنا الملازمة الدائمة ، و لذلك أكد بقوله « هم فيها خالدون » .

(٣-٢) ليست في ظ .

(٤) سورة ١٠٢ آية ٦ ، ٧ .

(٥) سورة ٤ آية ٤٦ .

(٦) في ظ : رسل .

لكافرهم - انتهى . يعنى فهم المرادون بهذا بالقصد الاول ، وهو شامل
 لغيرهم ، ومراد به ذلك الغير بالقصد الثانى ، وهنا آخر الآيات الخاصة
 بالنعم العامة لجميع بنى آدم دالة على التوحيد من حيث أنها حادثة فلها
 محدث ، وعلى النبوة من حيث أنه صلى الله عليه وسلم أخبر عنها موافقا
 لما فى التوراة والإنجيل من غير تعلم ، وعلى المعاد من حيث أن من
 قدر على خلقها ابتداء قدر على إعادتها - ذكره الأصفهاني عن الإمام .
 / وفى الآية إشارة إلى الكتاب الذى هو هدى للتقين المشتمل على الأحرف
 السبعة التى^١ من أقبل على حرف منها حق الإقبال كفاه ، ومن اشتغل
 عنها بالمتاع الأدنى خسر ديناه وأخراه .

/ ٦٣

١٠ قال الأستاذ أبو الحسن الحرالى فى التمهيد لشرط ٣ مثال القراءة
 لحروفه السبعة وعلما والعمل بها : اعلم أن الله سبحانه خلق آدم بيده
 ونفخ فيه من روحه ورزقه نورا من نوره ، فلأنه خلقه بيده كان فى
 أحسن تقويم خلقا ، ولأنه نفخ فيه من روحه كان أكمل حياة قبضا
 وبسطا ، ولأنه رزقه نورا من نوره كان أصنى عقلا وأخلص لبا
 ١٥ وأفصح نطقا وأعرب يانا جمعا وفصلا ، و^٢ اطلعه على ما كتب من
 حروف مخلوقاته إدراكا وحسا ، وعقله^٣ ما أقام من أمره فيها وعلما ،

(١) العبارة من هنا إلى « عن الإمام » ليست فى ظ .

(٢) زيد فى ظ : هـى .

(٣) فى ظ : شرط .

(٤) ليس فى ظ . (٥) فى ظ : عليه .

ونبهه على ما أودعه في ذاته عرفانا ووجدا؛ ثم جعل له فيما سخر له من خلقه متاعا وأنسا فأناسه^١ وردده من^٢ بين إقبال وإدبار وقبول وإعراض، فمن شغل بالاستمتاع الأدنى عن الاطلاع الأعلى كان سفيها، ومن شغله الاطلاع الأعلى عن الاستمتاع الأدنى كان حنيفا. الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى^٣، ومن يرغب عن ملة إبراهيم^٤ إلا من سفه نفسه^٥، «ان إبراهيم كان^٦ أمة قاتلة لله حنيفا». ولما كان متاع الخلق في الأرض إلى حين وشغل أكثرهم أكلهم وتمتعهم وألهامهم أملمهم عن حفظهم من الخنيفة بما أوتى العقل من التبليغ عن الله نظرا واعتبارا اصطفى الله سبحانه من الخنفاء منبهين على النظر الذي اشتغل عنه المعرضون وأنف منه واستكبر عنه المدبرون، وأكدوا تنبيههم بما أسمعهم من^٧ نبأ ما وراء يوم الدنيا من أمر الله في اليوم الآخر وما تهادى^٨ إليه أيام الله، وذكروهم بما مضى من أيام الله، وأنزل الله سبحانه معهم كتباً يتلونها عليهم ويبينونها لهم علما وعملا وحالا، فقبل ما جاؤا به وصدقه واستبشر به الخنفيون وأنذر به المدبرون والمعرضون، فمنهم من آمن ومنهم من كفر، آمن من تنبه للنظر والاعتبار وألقى السمع وهو شهيد، ١٥

(١) في ظ : ناسه .

(٢) ليس في ظ .

(٣) سورة ١٨ آية ١٠١ .

(٤) سورة ٢ آية ١٣٠ .

(٥) من ظ و مد والقرآن الكريم ، ووقع في الأصل : كانت - خطأ .

(٦) سورة ١٦ آية ١٢٠ .

(٧) في ظ : يتهادى .

وكفر من آثر متاعه بالعاجلة التي تراها الأعين على وعد الله ووعده
 في الآجلة التي إنما يعيها القلب و تسمعها الأذن ، وكما شغل المدعويين
 إلى الإسلام كفرهم و دنياهم كذلك شغل المولدين في الإسلام غفلتهم
 و دنياهم و لعبهم في صباهم و لهوهم في شبابهم و تكاثرهم في الأموال في
 ٥ اكتناهم و تكاثرهم في الأولاد في شيخهم ، فاشتراك المدعو إلى الإسلام
 و المولد فيه الغافل في عدم الإقبال و القبول في ترك الاهتمام في الآجلة
 و اختصارهما على الاهتمام بالعاجلة ، وكلاهما جعل القرآن وراء ظهره
 المدعو لفظا و علما و المولد الغافل علما^١ و عملا ، فلم يسمعه المدعو و لم يفهمه
 الغافل فجعله بالحقيقة وراء ظهره ، و من جعل القرآن خلفه ساقه
 ١٠ إلى النار ، و إنما جعله أمامه من قرأه^٢ علما و حالا و عملا ، و من جعل
 القرآن أمامه قاده إلى الجنة ؛ ولما قامت الحجة عليهم بقراءته إذا لم يجاوز
 حناجرهم كانوا أشد من الكفار عذابا في النار - أكثر منافق^٣ أمتي
 قراؤها ، و ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار^٤ ، فإذا لا بد في قراءة
 القرآن من تجديد إقبال و تهيؤ لقبول و تحقيق تقوى لأنه إنما هو هدى
 ١٥ للفتن ، و إجماع على الاهتمام ، وكما أن أمور الدنيا لا تحصل لأهلها

(١) في ظ : الموكدين .

(٢) في ظ : اكتناهم - كذا .

(٣) في ظ : عملا - كذا .

(٤) في ظ : قرا .

(٥) في ظ : منافقوا .

(٦) سورة ٤ آية ١٤٥ .

إلا على قدر عزائمهم واهتمامهم فأجرى أن لا يحصل أمر الأخرى إلا بأشد
عزيمة وأجمع اهتمام ، فلا يقرأ القرآن من لم يقبل عليه بكلية ظاهره
ويجمع اهتمامه له بكلية باطنه ، وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة
وتفصيلا لكل شيء ، فخذها بقوة ، ويحيني خذ الكتب بقوة ، فاستقم
كما أمرت و من تاب معك ، فشرط منال^١ قراءته اهتمام القلب بفهمه ه
و إقبال الحس على استماعه وتدبره ؛ ولكل حرف شرط يخصه - انتهى .
ولما أقام سبحانه دلائل التوحيد والنبوة والمعاد أولا وعقبها بذكر
الإنعامات العامة داعيا للناس عامة لاسيما بنى إسماعيل العرب الذين هم قوم
الداعى صلى الله عليه وسلم وكان أحق من دعى بعد الأقارب وأولاه بالتقدم
أهل العلم الذين كانوا على حق فزاعوا عنه ولا سيما إن كانت لهم قرابة ١٠
لأنهم جديرون بالمبادرة إلى الإجابة بأدنى بيان وأيسر تذكير ، فان رجعوا
اقتدى بهم الجاهل فسهل أمره وانحسم شره ، وإن لم يرجعوا طال جداهم
فبان للجاهل ضلالهم فكان جديرا بالرجوع والكف عن غيه والنزوع ،
وعرفت من تمادى الكلام معهم الأحكام وبان الحلال والحرام ؛
فلذلك لما فرغ من دعوة العرب الجامعة لغيرهم باختصار وختم بأن وعد في ١٥

(١) سورة ٧ آية ١٤٥ .

(٢) سورة ١٩ آية ١٣ ، وهذه الآية ليست في ظ .

(٣) سورة ١١ آية ١١٢ .

(٤) في مد : مثال .

(٥) العبارة من هنا إلى « وسلم و » ليست في ظ .

(٦) في ظ : ولذلك .

اتباع الهدى وتوعد شرع سبحانه يخص العلماء من المناققين بالذكر وهم من
كان أظهر الإسلام من أهل الكتاب على وجه استلزم عموم المصالحين
منهم بالكفر، إذ كانوا من أعظم من خص باتيان ما أشار إليه من الهدى
والبیان بما فيه الشفاء، و كان كتابهم المشتمل على الهدى من أعظم
الكتب وأشهرها و أجمعها فقَص عليهم ما مثله يلين الحديد ويخشع
الجلاميد فقال تعالى 'مذكرا لهم بنعمه الخاصة بهم' / : «يبنى إسرائيل،
ويجوز أن تقرر' المناسبات ٣ من أول السورة على وجه آخر فيقال: لما

/ ٦٤

(١ - ١) ليست في ظ .

(٢) من مد، وفي الأصل وظ : تقرر - كذا .

(٣) قال أبو حيان في البحر المحيط : هذا افتتاح الكلام مع اليهود والنصارى ،
و مناسبة الكلام هنا ظاهرة ، وذلك أن هذه السورة افتتحت بذكر الكتاب
وأن فيه هدى للؤمنين ، ثم أعقب ذلك بذكر الكفار المختوم عليهم بالشقاوة ،
ثم بذكر المناققين و ذكر جهل من أحوالهم ، ثم أمر الناس قاطبة بعبادة الله ، ثم
ذكر إعجاز القرآن - إلى غير ذلك مما ذكره ، ثم نبههم بذكر أصلهم آدم وما جرى
له من أكله من الشجرة بعد النهي عنه وأن الحامل له على ذلك إبليس ، وكانت
هاتان الطائفتان أعني اليهود والنصارى أهل كتاب مظهرين اتباع الرسل
والافتداء بما جاء من الله تعالى وقد اندرج ذكرهم عموما في قوله «يأياها الناس
اعبدوا» فجرد ذكرهم هنا خصوصا ، إذ قد سبق الكلام مع المشركين والمناققين
وبقى الكلام مع اليهود والنصارى فتكلم معهم هنا ، وذكروا ما يقتضى لهم
الإيمان بهذا الكتاب كما آمنوا بكتبهم السابقة - إلى آخر الكلام معهم على
ما سيأتي جملة مفصلة ؛ وناسب الكلام معهم قصة آدم عليه السلام لأنهم بعد =

كان الكفار قسمين: قسم متحضر كفره، و قسم شابه بنفاق و خداع،
و كان الماحض قسمين: قسم لا علم له من جهة كتاب سبق و هم مشركو
العرب، و قسم له 'كتاب يعلم الحق منه، ذكر تعالى قسم الماحض بما يعي
قسميه العالم و الجاهل فقال: «ان الذين كفروا سواء عليهم، إلى آخره،
ثم اتبعه قسم المنافق، لأنه أهم بسبب شدة الاختلاط بالمؤمنين و إظهارهم
أهم منهم ليكونوا من خداعهم على حذر، فقال: «و من الناس من
يقول 'منا'، إلى آخره؛ ولما فرغ من ذلك و بما استتبعه من الأمر
بالوحدانية و إقامة دلائلها و إفادة فضائلها، و من التعجيب بمن كفر
مع قيام الدلائل، و التخويف من تلك الغوائل، و الاستعطاف بذكر
النعم، شرع في ذكر قسم من الماحض هو كالمنافق في أنه يعرف الحق و يخفيه ١٠

= ما أوتوا من البيان الواضح و الدليل اللائح المذكور ذلك في التوراة
و الإنجيل من الإيحاء بالعهد و الإيمان بالقرآن ظهر منهم ضد ذلك بكفرهم
بالقرآن و من جاء به، و أقبل عليهم بالنداء ليحركهم لساع ما يرد عليهم من الأوامر
و النواهي و قد تقدمت الإشارة إلى ذلك - انتهى كلامه .

(١) من مد و ظ، و في الأصل: لهم .

(٢) وقع في ظ: 'امن - خطأ . (٣) و في ظ: ما .

(٤) قال البيضاوي: و اعلم أنه سبحانه لما ذكر دلائل التوحيد و النبوة و المعاد
و عقبها تعداد النعم الباقية تقريرا لها و تأكيداً فانها من حيث أنها حوادث محكمة
تدل على محدث حكيم له الخلق و الأمر وحده لا شريك له من حيث ان ...
هو مثبت في الكتب السابقة بمن لم يتعلمها و لم يمارس شيئاً منها إخبار بالغيب
معجز تدل على نبوة الخبر عنها، و من حيث اشتغالها على خلق الإنسان و أصوله
و ما هو أعظم من ذلك تدل على أنه قادر على الإعادة كما كان قادراً على =

فالمناقق الف الكفر ثم أفلح عنه وأظهر التلبس بالإسلام واستمر على الكفر باطنا ، وهذا القسم كان على الإيمان بهذا النبي قبل دعوته ، فلما دعاهم نحو الإيمان الذي كانوا متلبسين به وأظهروا الكفر واستمرت حالتهم على إظهار الكفر وإخفاء المعرفة التي هي مبدأ الإيمان ، فخالهم ٥ كما ترى أشبه شيء بحال المناققين ، ولهذا تراهم مقررين بهم في كثير من القرآن ، وأخرهم أطول قصتهم وما فيها من دلائل النبوة وأعلام الرسالة بما أبدى مما أخفوه من دقائق علومهم ، فان مجادلة العالم ترسل في ميادين العلم أفراس الأفكار فتُسرع في أقطار الأوطار حتى تصير كالأطيوار . تأتي ببذائع الأسرار ، ولقد نشر سبحانه في غصون مجادلتهم ١٠ و غصون محاورتهم ومقاولتهم من أجل الجامعة في شرائع الدين التي فيها بغية المهتدين ما أقام البرهان على أنه هدى للعالمين ؛ هذا إجمال الأمر ، وفي تفاصيله كما سترى ٣ من بدائع الوصف أمور تجل عن الوصف ، تذاق بحسن التعليم ويشقى ٥ عني جاهلها بلطيف التكليم - والله ولي التوفيق والهادي إلى أقوم طريق .

= الإبداء ، خاطب أهل العلم والكتاب منهم وأمرهم أن يذكروا نعم الله عليهم ويوفوا بعهوده في اتباع الحق واقتفاء الحجج ليكونوا أول من آمن بمحمد وما أنزل عليه فقال : « يئني اسراءيل »

(١) من مد ، وفي الأصل وظ : غصون .

(٢) في ظ : عصون . (٣) في ظ : ترى .

(٤) في مد : يحسن ، وفي ظ : يحسن - كذا .

(٥) من مد وظ ، وفي الأصل : تشقى .

وقال الحرالي : ثم أقبل الخطاب على بني إسرائيل متظما بإبتداء خطاب العرب من قوله : « يا أيها الناس » وكذلك انتظام القرآن إنما ينتظم رأس الخطاب فيه برأس خطاب آخر يناسبه في جملة معناه و^٢ ينتظم تفصيله بتفصيله ، فكان أول و أولى من خوطب بعد العرب الذين هم ختام بنو إسرائيل الذين هم ابتداء بما هم أول من أنزل عليهم الكتاب ه الأول من التوراة التي افتتح الله بها كتبه تلو صحفه و ألواحه . ثم قال : لما انتظم^٣ إقبال الخطاب على العرب التي لم يتقدم لها هدى بما تقدمه من الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم انتظم بخطاب العرب خطاب بني إسرائيل بما تقدم لها من هدى في وقتها « انا أنزلنا التوراة فيها هدى و نوره »

(١) قال أبو حيان : و مناسبة الكلام مع بني إسرائيل هنا ظاهرة ، وذلك أن هذه السورة انتبخت بذكر الكتاب وأن فيه هدى للؤمنين ، ثم أعقب ذلك بذكر الكفار المحتوم عليهم بالشقاوة ، ثم بذكر المنافقين و ذكر جهل من أحوالهم ، ثم أمر الناس قاطبة بعبادة الله تعالى ، ثم ذكر إعجاز القرآن إلى غير ذلك مما ذكر ، ثم نبههم بذكر أصلهم آدم و ما جرى له من أكله من الشجرة بعد النهي عنه وأن الحامل له على ذلك إبليس ، وكانت هاتان الطائفتان أعنى اليهود و النصرى أهل الكتاب مظهرين اتباع الرسل و الاقتداء بما جاء عن الله تعالى وقد اندرج ذكرهم عموما في قوله « يا أيها الناس اعبدوا » بفرد ذكرهم هنا خصوصا ، إذ قد سبق الكلام مع المشركين و المنافقين و بقى الكلام مع اليهود و النصرى فتكلم معهم هنا و ذكر ما يقتضى لهم الإيمان بهذا الكتاب كما آمنوا بكتبهم السابقة . (٢ - ٢) ليست في ظ .

(٣) من ظ و مد ، وفي الأصل : له تنظم .

(٤) في ظ : فيه - خطأ . (٥) سورة ه آية ٤٤ .

و بما عهد إليها من تضاعف الهدى بما تقدم لها في ارتقائه من كمال الهدى
بمحمد صلى الله عليه وسلم و بهذا القرآن ، فكان لذلك ' الأولى ' مبادرتهم
إليه حتى يهتدى^٢ بهم العرب ليكونوا أول مؤمن بما عندهم من علمه
السابق - انتهى .

٥ . و ابتداء^١ سبحانه بتذكيرهم بما خصهم به عن أنواع الآدمي من النعم
التي كانوا يقابلونها بالكفران و ما عاملهم به من إهمالهم على مرتكباتهم
و معاملتهم بالعفو و الإقالة مما يبين سعة رحمته و عظيم حلمه ، و ابتداء من
أوامرهم بالإيفاء بالعهود التي من أعظمها متابعة هذا النبي الكريم و الإيمان
بكتابه الذي نفي عنه الريب فقال^٥ : « يٰ بنى اسرائيل » أي الذي شرفته

(١) في ظ : كذلك .

(٢) في مد : اوفى .

(٣) في مد و ظ : يقتدى .

(٤) قال أبو حيان الأندلسي : و ناسب الكلام معهم قصة آدم على نبينا و عليه
السلام لأنهم بعد ما أوتوا من البيان الواضح و الدليل اللائح المذكور ذلك
في التوراة و الإنجيل من الإيفاء بالعهد و الإيمان بالقرآن ظهر منهم ضد ذلك
يكفرهم بالقرآن و من جاء به ، و أقبل عليهم بالنداء ليحركهم لسماع ما يرد
عليهم من الأوامر و النواهي نحو قوله « يٰ ايها الناس اعبدوا » « و يٰ آدم اسكن » .
(هـ) و لما ذكر الله تعالى دلائل التوحيد و النبوة و خاطب الناس عامة وعدّ
إنعاماته العامة خاطب بنى إسرائيل خاصة و ذكرهم النعماء التي اختصت بهم ،
لأن السورة مدنية و كان غالب الخطاب في المدينة مع اليهود ، لأنهم كانوا أهل
علم و الناس تبع لهم فلو اعترفوا بالنبوة اعترف غيرهم بتقليدهم و كان حجة =

و شرفت بنيه من أجله « اذكروا » من الذكر بالكسر والضم بمعنى واحد
 يكونان باللسان والجنان ، وقال الكسائي : هو بالكسر باللسان والضم
 بالقلب ، والذي بالقلب ضده النسيان ، والذي باللسان ضده الصمت -
 نقله الأصفهاني . وقال الحرالي : من الذكر وهو استحضار ما سبقه
 النسيان . « نعمتي » و^١ هي إنالة الشخص ما يوافق نفسه و بدنه وعند
 المتفطن ما يوافق باطنه و ظاهره بما بين قلبه وشعوبه^٢ من أهله وحشمه
 « التي » في منها إشارة لباطن نازل متخيل مبهم تفسره صلته بمنزلة [ذى -^٣]
 وال منها إشارة لذلك المعنى بالإشارة المتخيلة - انتهى . « انعمت » أى
 بها ودلت^٤ على شرفها باضافتها إلى « عليكم »^٥ و تلك النعمة الشريفة هي

= على غيرهم فقال « يبنى اسرائيل » - التفسير المظهرى ج ١ ص ٦٠ .

(٦) قال على المهاشمى : أى يا أولاد صفوة الله أو عبد الله يعقوب المطيعين على قصة
 آدم وعهده - « اذكروا نعمتى التى انعمت » على أسلافكم فكان فى معنى
 الإنعام « عليكم » من لدن آدم بقبول توبته إلى زمن موسى بخلق البحر لكم
 وإغراق أعدائكم وتظليل النعام وإزال المن والسلوى عليكم وإزال التوراة
 فانها كرامات مثل كرامة آدم بايجاد الملائكة له وإدخاله الجنة - انتهى .

(١) العبارة من هنا إلى « الاصفهاني و » ليست فى ظ .

(٢) ليس فى ظ .

(٣) فى مد : سوبه ، وفى ظ : - به .

(٤) زيد من مد و ظ .

(٥) فى ظ : ذلت - كذا .

(٦) قال أبوحيان : قال بعض العارفين : عبيد النعم كثيرون وعبيد المنعم قليلون ، =

الإتيان بالهدى من الكتب و الرسل الذى استغذتكم به من هوان الدنيا
و الآخرة « و اوفوا » من الوفاء و هو عمل لاحق بمقتضى تقدم علم سابق -
قاله الحرالى . « بعهدى » ' أى الذى أخذته عليكم فى لزوم ما أنزل إليكم
من متابعة نبيكم و من آمركم باتباعه من بعده ، و العهد التقدم فى الشيء خفية
اختصاصا لمن يتقدم له فيه - قاله الحرالى ، ' و قال الأصفهاني : حفظ الشيء .

= قاله تعالى ذكر بنى اسرائيل نعمه عليهم ، ولما آل الأمر إلى أمة محمد صلى الله عليه
و سلم ذكر المنعم فقال « اذكرونى اذكركم » فدل ذلك على فضل أمة محمد صلى الله
عليه و سلم على سائر الأمم . قال البيضاوى : تقييد النعمة بهم لأن الإنسان غيور
و حسود بالطبع فاذا نظر إلى ما أنعم الله على غيره حمله الغيرة و الحسد على الكفران
و السخط ، وإن نظر إلى ما أنعم به عليه حمله حب النعمة على الرضاء و الشكر .
(١) « اوفوا بعهدى » بالإيمان و الطاعة « اوف بعهدكم » بحسن الإثابة و العهد
يضاف إلى المعاهد و المعاهد و لعل الأول مضاف إلى الفاعل و الثانى إلى المفعول
فانه تعالى عهد إليهم بالإيمان و العمل الصالح بنصب الدلائل و إنزال الكتب
و وعد لهم بالثواب على حسناتهم . و قال المصنف : « و اوفوا بعهدى » بالإيمان بكل
هدى تحقق مجيئه منى سيما هدى محمد صلى الله عليه و سلم المأخوذ فيه ميثاق الأنبياء
عليهم السلام فانه ليس بأقل من عهد آدم فى الشجرة و ما أخذ عليه فى ذريته
بعد الهبوط « اوف بعهدكم » بآزالة الخوف و الحزن و تكفير السيئات و تضعيف
الحسنات و رفع الآصار و الأغلال - انتهى كلامه . و قال النسفى : و قال أهل
الإشارة : « اوفوا » فى دار محنتى على بساط خدمتى بحفظ حرمتى « اوف » فى دار
نعمتى على بساط كرامتى بسرور رؤيتى - انتهى .

(٢) العبارة من هنا إلى « و العهد به » ليست فى ظ .

ومراعاته حالا فخالا ، قال الخليل : أصله الاحتفاظ بالشئ ، وإجداد العهد به ،
 « اوف بعهدكم ، أى فى جعلكم من لا خوف عليهم و لا حزن بسعة العيش
 و النصر على الأعداء كما يأتى عن نص التوراة فى مظانه من هذا الكتاب
 « و اياى ، أى خاصة « فارهبون » ، أى و لا تزولوا أجمعكم فى مصير الكافرين
 بعد الضرب بأنواع الهوان فى الدنيا ، و الرهب ' حذر النفس بما شأنها منه ه
 الهرب لأذى تتوقعه ، و خوطبوا بالرهبة لاستبظانها فيما يختص لمخالفة ' العلم ،
 قال الحرالى : و أطال سبحانه فى حجاجهم جريا على قانون النظر فى جدال
 العالم الجاحد و خطاب المنكر المعاند ، و فى قوله تعالى « و آمنوا بما أنزلت » ٣

(١) قال المهاشمى : « و » لا تخافوا فوات جاهكم و رشاكم بل « اياى فارهبون »
 فى كل ما تأتون و تذررون ، و الرهبة خوف مع تحرز . و قال البيضاوى :
 و خصوصا فى نقض العهد ، و هو أكد فى إفادة التخصيص من « اياك نعبد »
 لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول ، و الفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام
 معنى الشرط كأنه قيل : ان كنتم راهبين شيئا فارهبون . والآية متضمنة
 للوعد و الوعيد دالة على وجوب الشكر و الوفاء بالعهد و أن المؤمن ينبغى أن
 لا يخاف أحدا إلا الله .

(٢) فى ظ : لمخاطبة .

(٣) افراد للايمان بالأمر به و الحث عليه لأنه المقصود و العمدة للوفاء بالعهود
 و تقييد المنزل بأنه مصدق لما معهم من الكتب الإلهية من حيث أنه نازل حسب
 ما نعت فيها أو مطابق لما فى القصص و المواعيد و الدعاء إلى التوحيد و الأمر
 بالعبادة و العدل بين الناس و النهى عن المعاصى و الفواحش و فيما يخالفها من
 جزئيات الأحكام بسبب تفاوت الأعصار فى المصالح من حيث أن كل واحدة منها
 حق بالإضافة إلى زمانها مراعى فيها صلاح من خوطب بها حتى لو نزل المتقدم =

أى أوجدت إزاله « مصدقا لما معكم » تقرير لذلك الكتاب لا ريب فيه ،
و أمروا كما قال الحرالى تجديد الإيمان بالقرآن لما فيه من إنباء بأمور من المغيبات
التي لم تكن في كتابهم كتفاصيل أمور الآخرة التي استوفاهم القرآن ، لأنه
خاتم ليس وراءه كتاب ينتظر فيه بيان ، وقد أتى لكل كتاب قبله
بقية أحيل فيها على ما بعده - ليتناهى البيان إلى غاية ما أنزل به القرآن
حين لم يعهد إليهم إلا في أصله على الجملة - انتهى . وفي قوله : « ولا تكونوا
أول كافر به » معنى دقيق في تبكيتهم وأمر جليل من تعنيفهم ، وذلك
أنه ليس المراد من « أول »^١ ظاهر معناه المتبادر^٢ إلى الذهن^٣ فإن العرب

= في أيام التأخر لنزل على وفقه ، ولذلك قال عليه السلام : لو كان موسى
حيما لا وسعه الا اتباعى ، تنبيه على أن اتباعها لا ينافى الإيمان به بل يوجبه ولذلك
عرض بقوله « ولا تكونوا أول كافر به » انتهى ما في البيضاوى .

(١) من مد و ظ ، وفي الأصل : بغيتهم .

(٢) انظر تأويل معنى أول في البحر المحيط لأبى حيان قد استوفى ما ذكر فيه
إلى أن قال : وقبل ذكر الأولية تعريض بأنه كان يجب أن يكونوا أول مؤمن
به لمعرفة به وبصفته ولأنهم كانوا هم البشرين بزمانه والمستفتحين على الذين
كفروا به ، فلما بعث كان أمرهم على العكس ، قال تعالى « فلما جاءهم ما عرفوا
كفروا به » ، وقال القشيري : لا تسنوا الكفر سنة فان وزر المبتدئين فيما
يسنون أعظم من وزر المقتدين فيما يتبعون . قال البيضاوى : فان قيل : كيف
نہوا عن التقدم في الكفر وقد سبقهم مشركو العرب ؟ قلت : المراد به التعريض
لا الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك : أما انا فليست بجاهل ؛ أو لا تكونوا =

كثيرا ما تطلق الأول ولا تريد حقيقته بل المبالغة في السبق ، كما قال
مقيس بن صباية ' وقد قتل شخصا من الصحابة رضوان الله عليهم كان قتل
أخاه خطأ ورجع إلى مكة مرتدا :

حللت به وترى و أدركت ثورتى

وكت إلى الأوثان أول راجع ٥

هذا في جانب الإثبات ، فاذا نفيت ناهيا فقلت : لا تكن أول
فاعل لكذا ، فعناه انك إن فعلت ذلك لم تكن صفتك إلا كذلك ،
فهو خارج مخرج المبالغة في الذم بما هو صفة المنهى فلا مفهوم له ،
وعبر به تنبيها على أنهم لما تركوا اتباع هذا الكتاب [كانوا - ٢] لما
عندهم من العلم بصحته في غاية اللجاجة فكان عملهم في كفرهم وإن تأخر ١٠

= أول كافر من أهل الكتاب أو من كفر بما معه ، فإن من كفر بالقرآن
فقد كفر بما يصدقه ، وأول أفعل لا فعل له ، وقيل : أصله اوال من وال فأبدلت
همزته واوا تحقيقا غير قياسي ، أو اءول من آل فقلت همزته وأدغمت - انتهى .
وقال القاضي ثناء الله قلت : أو المراد بالأولية الأولية بالذات يعنى كونهم سببا
لكفر غيرهم ، فإن إيمان العلماء والأجبار والرؤساء سبب لإيمان غيرهم وكفرهم
سبب لكفر غيرهم ، فلذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا ! إن شر
الشرار شرار العلماء وإن خير الخياري خيار العلماء - رواه الدارمي من حديث الأحوص
ابن حكيم عن أبيه ؛ والمعنى لا تكونوا سببا لكفر أتباعكم فيكون عليكم إثم الأريسين ،
و أول كافر خبر من ضمير الجمع بتأويل أول فريق . (٥-٥) ليس في مد .

(١) العبارة من هنا إلى « وترى » ليست في ظ .

(٢) ليس في ظ .

(٣) زيد من مد و ظ .

عمل من يسابق شخصا إلى شيء، أو يكون المعنى أنهم لم يمنهم من الإيمان به جهل بالنظر ولا عدم اطلاع على ما أتى به أنبيائهم من البشر بل مجرد الحسد للعرب أن يكون منهم نبي المستلزم لحسد هذا النبي بعينه، لأن الحكم على الأعم يستلزم الحكم على الأخص بما هو من أفراد الأعم، فصارت رتبة كفرهم قبل رتبة كفر العرب الجاهلين به أو الحاسدين له صلى الله عليه وسلم بخصوصه لا لعموم العرب، فكان أهل الكتاب أول كافر به لا يمكن أن يقع كفرهم إلا على هذا الوجه الذي هو أقبح الوجوه، فالعنى لا تكفروا به، فانه إن وقع منكم كفر به كان أول كفر، لأن رتبته أول رتب الكفر الواقع عن سواكم فكنتم أول كافر فوقتم في ١٠. أقبح وجوه الكفر،^٢ ولذا أفرد ولم يقل: كافرين^١ - والله أعلم ٣.

ولما نهام عن الكفر بالآيات نهام عن الحامل عليه لقوله: «ولا تشتروا»

(١) في ظ: و.

(٢-٢) ليست في ظ.

(٣) قال أبو حيان الأندلسي في النهر الماد من البحر: «ولا تكونوا أول كافر به» لا مفهوم لقوله: أول، فيكون قد أبيح لهم ثانيا أو آخر، فمفهوم الصفة غير مراد، وإنما ذكرت الأولية لأنها ألحش لما فيها من الابتداء بالكفر، ونظيره قول الشاعر:

من أناس ليس في أخلاقهم عاجل الفحش ولا سوء جزع
فعاجل لا مفهوم له، وأضيف إلى مفرد وإن كان قبله جمع لأن المفرد إذا كان صفة جاز أن يطابق وإن يفرد وقد جاء ذلك في قوله:

وإذا هم طعموا فالأم طاعم وإذا هم جاعوا فشر جياع
أفرد في طاعم وطابق في جياع، فقدره الفراء الأم من طعم، وقدره =

أى تكلفوا و' تلحوا فى أن تستبدلوا 'بايتى' ، أى التى تعلونها فى الأمر
باتباع هذا النبى الكريم 'ثمنا قليلا' ،^٢ وهو رياسة قومكم و ما تأخذونه
من الملوك وغيرهم على حل الشريعة ، و القلة ما قصر عن الكفايه - قاله
الحزالى . و اياى ، أى خاصة فائقون . ، أى اجعلوا لكم وقاية من إزال
غضبى ، فالتقوى نتيجة الرهبة كما أن هذه الأفعال نتيجة ما فى آية الرهبة ، ه
'ولا تلبسوا' ،^٣ و اللبس إبداء الشئ فى غير صورته ، ومنه اللباس

= غيره ألأم فريق طاعم ، وهنا يتقدر على قول الفراء : أول من كفر ، وعلى
غيره أول حزب كافر ، و به عائد على المنزل - انتهى كلامه .

(١ - ١) هكذا فى الأصل ومد غير أن فى مد 'او' مكان 'و' ، و فى ظ : الشراء
قاله الحزالى .

(٢) و لاستبدلوا بالإيمان بها و الاتباع لها حظوظ الدنيا فانها وإن جلست قليلة
مستزلة بالإضافة إلى ما يغوت عنكم من حظوظ الآخرة بترك الإيمان ، قيل :
كان لهم رياسة فى قومهم ورسوم وهدايا منهم ، تخافوا عليها لو اتبعوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاخثاروها عليه ، و قيل : كانوا يأخذون الرشى
فيحرفون الحق و يكتُمونه ؛ ' و اياى فائقون ' بالإيمان و اتباع الحق و الإعراض
عن الدنيا . و لما كانت الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادئ لما فى الآية الثانية
فصلت الرهبة التى هى مقدمة التقوى و لأن الخطاب بها لما عم العالم و المقلد أمرهم
بالرهبة التى هى مبدأ السلوك و الخطاب بالثانية لما خص أهل العلم أمرهم بالتقوى
الذى هو منتهاه . و اللبس الخلط و قد يلزمه جعل الشئ مشتبه بغيره ، و المعنى
لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذى تخترعونه و تكتبونه حتى لا يميز بينهما ، و فيه
إشعار بأن استباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق - أنوار التنزيل للبيضاوى

. ٥٢ / ١

(٣-٣) ليس فى ظ .

لإخفائه الأعضاء حتى لا تبين هيئتها - قاله الحرالي : « الحق ، أى بما تقرون به على ما هو عليه من التوراة و الإنجيل بما لا غرض لكم فى تبديله « بالباطل ، بما تحرفونه منهما ، و الحق قال الحرالي ما يقر و يثبت حتى ' يضمحل مقابله ، فكل زوجين فأثبتهما حق و أذهبهما باطل ، و ذلك الحق فالباطل هو ما ٥ أمد إدالته قصير بالإضافة إلى طول أمد زوجه القار - انتهى . ٣ و لما كان اللبس قد يفارق الكتمان بأن يسأل شخص عن شئ فيديه ملتبسا بغيره أو يكتمه و هو عالم به قال : « و تكتموا ' الحق ، أى ' عن لا يعلمه « و اتم تعلمون » ، أى مكلفون ، و جعله الحرالي على ظاهره فقال : لما طلبهم تعالى بالوفاء بالعهد نهاهم عن سوء العمل و ما لبسوا به الأمر عند ١٠ اتباعهم من ملتهم و عند من استرشد هم من العرب ، فلبسوا باتباعهم حق الإيمان بموسى عليه الصلاة و السلام و التوراة ياطل ما اختدوه من كتابهم من إثبات الإيمان لمحمد صلى الله عليه و سلم و بالقرآن ، فكتموا الحق

(١) فى مد و ظ : لا يتبين .

(٢) فى مد : حين .

(٣) العبارة من هنا إلى « قال » ليست فى ظ .

(٤) قال البيضاوى : جزم داخل تحت حكم النهى كأنهم أمروا بالإيمان و ترك

الضلال و نهوا عن الإضلال بالتلبيس على من سمع الحق و الإخفاء على من

لم يسمعه ، أو نصب باضمار أن على أن الواو للجمع أى لا تجمعوا لبس الحق بالباطل

و كتابه ، « و اتم تعلمون » عالمين بأنكم لا بسون كاتون ، فانه أقيح إذ الجاهل

قد يعذر ، و لذا قال عليه السلام : للجاهل ويل ، و للعالم سبعون ويلا .

(٥) زيد فى مد : الذى لا لبس فيه .

التام الجامع و لبسوا الحق الماضي المعهود بالباطل الأعرق الأفراط ، لأن
باطل الحق الكامل باطل مفراط معرق بحسب مقابله ، و عرفهم بأن ذلك
منهم كتمان^١ شهادة عليهم بعلومهم بذلك إفهاما ، ثم أعقبه بالشهادة عليهم
بالعلم تصريحاً - انتهى .

و في هذه الآية أعظم زاجر لأهل الكتاب عما أظهروا فيه من ه
العناد ، و من لطف الله تعالى زجر القاسي البعيد و نهى العاصي القلق إلى
ما دون ذلك من تنبيه الغافل و زيادة الكامل . قال الإمام أبو الحسن
الحرالي في كتاب العروة: وجه إنزال هذا الحرف - يعني حرف النهي -
كف الخلق عما يهلكهم في أخراهم و عما يخرجهم عن السلامة في موتهم
و بعثهم مما رضوا به و اطمأنوا إليه و آثروه من دنياهم ، فتوجهه للطنن ١٠
بدنيه المعرض عن داعيه إلى اجتناب ما هو عليه يسمى زجراً ، و متوجهه
للتلقت^٢ المستشعر ببعض الخلل فيما هو عليه يسمى نهياً ، و هما يجتمعان في
معنى واحد و مقصود واحد إلا أنه متفاوت ، و لذلك^٣ رددتهما النبي صلى الله
عليه و سلم على المعنى الجامع في هذا الحديث يعني المذكور^٤ أول البقرة ،
و أولاهما^٥ بالبدئية في الإنزال الزجر / لأن النبي صلى الله عليه و سلم^٦ إنما ١٥ / ٦٦

(١) في الأصل و مد و ظ : كتماً ، وليس في م .

(٢) في ظ و مد : للثقت .

(٣) في ظ : كذلك

(٤) في ظ : المذكورة .

(٥) في ظ : و أولى .

(٦ - ٦) ليست في ظ .

بعثه الله^١ حين انتهى الضلال المبين في الخلق و نظر الله سبحانه إلى جميع
 أهل الأرض فمقتهم عربهم و عجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب ، كما
 ورد في الحديث الصحيح إسنادا و متنا ، و لذلك كان أول منزل الرسالة
 سورة^٢ يا أيها المدثر قم فأنذر و ربك فكبر و ثيابك فطهر و الرجز
 ٥ فاهجر^٣ ، و هي أول قوارع الأمر كما أن فجاء الساعة أول قوارع
 الخلق ، و لذلك انتظم ذكرهما في قوله تعالى و فاذا نقر في الناقور فذلك
 يومئذ يوم عسير و على الكافرين غير يسير^٤ ، و للزجور حالان إما
 أن ينفر عند الزجرة توحشا كما قال تعالى و كأنهم حمر مستنفرة و فرت
 من قسورة^٥ ، و إما أن يدبر بعد فكره تكبرا كما قال تعالى و ثم نظر^٦
 ١٠ ثم عبس و بسر^٧ ثم ادبر و استكبر^٨ ، و ربما شارف أن يبصر فصرف ، قال
 عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لكنها^٩ عقول كادها باربها و ساصرف
 عن التي التي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق و ان يروا كل آية

(١) زيد في ظ : تعالى .

(٢) ليس في ظ .

(٣) سورة ٧٤ آية ١ - ٥ .

(٤) سورة ٧٤ آية ٨ - ١٠ .

(٥) سورة ٧٤ آية ٥٠ و ٥١ .

(٦) سورة ٧٤ آية ٢١ - ٢٣ .

(٧) في ظ : لكنه .

لا يؤمنوا بها'، صرفوا عن آيات الحق السماوية على ظهورها عقوبة على
 ذنب تكبرهم على الخلق مع الإحساس بظهور آية انضمام الأرحام في
 وضوحها وكل قارعة لنوعى الكافرين النافرين و المدبرين من هذا الحرف
 وتام هذا المعنى ينهى' المتأنس المحاصر عن الفواحش الظاهرة والباطنة
 الضارة في العقبي وإن تضرروا بتركها في الدنيا نحو قوله تعالى « ولا تقربوا » ه
 في ٣ أكل مال اليتيم' والزنا' وإتيان الحائض^٦ - إلى ما دون ذلك من النهي
 عما يعدونه في دنياهم كيسا، نحو قوله^٧ ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل^٨ ،
 « ولا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة^٩ » ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا^{١٠} ،
 « ولا يسخر قوم من قوم^{١١} » ، وما لحق بهذا النمط - إلى ما دون ذلك
 على اتصال التفاوت^{١٢} من النهي^{١٣} عن سوء التأويل لطية غرض النفس ١٠

(١) سورة ٧٤ آية ١٤٦ .

(٢) في مد : بنهى ، وفي ظ : يُلهى .

(٣) زيد في ظ : آية .

(٤) سورة ٦ آية ١٥٢ وسورة ١٧ آية ٣٤ .

(٥) سورة ١٧ آية ٣٢ .

(٦) سورة ٢ آية ٢٢٢ .

(٧) انتهت سقطت م إلى هنا كما نهينا عليها في صفحة ٢٩٥ .

(٨) سورة ٢ آية ١٨٨ .

(٩) سورة ٣ آية ١٣٠ .

(١٠) سورة ٤٩ آية ١٢ .

(١١) سورة ٤٩ آية ١١ .

(١٢-١٣) ليس في مد .

نحو قوله تعالى : « ولا تقولوا لمن أتى اليكم السلم لست مؤمنا بقتلون عرض
 الحياة الدنيا » - إلى ما دون ذلك من النهي عما يقدر في الفضل وإن كان
 من حكم العدل نحو قوله تعالى : « ولا ياتل أولو الفضل منكم والسعة أن
 يؤتوا » أولى القرني^١ والمسكين^٢ والمهجرين في سبيل الله^٣ ، إلى تمام^٤
 هـ ما لا تحصل السلامة إلا به من النهي عما زاد على الكفاف و البلغة في الدنيا
 الذي به يصح^٥ العمل بالحكمة نحو قوله تعالى : « ولا تمش في الأرض
 مرحا - إلى قوله : ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة » ، ونحو قوله
 تعالى : « ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا
 لنفتنهم فيه »^٦ ، لأن كل زائد على الكفاف فتنة ، وهذا هو أساس ما به
 ١٠ تفاوت درجات العلم في الدنيا و درجات الجنة في الآخرة ، ولا تصح
 الوجوه والحروف التي بعده أي وهي سائر الحروف علما وعملا وثباتا
 وقبولا عند التمييز إلا بحسب^٧ الإحكام في قراءة هذا الحرف وجمعه وبيان

(١) سورة ٤ آية ٩٤ :

(٢) من م ومد و ظ والقرآن الكريم ، ووقع في الأصل : ياتوا - خطأ .

(٣) سورة ٢٤ آية ٢٢ .

(٤-٥) في ظ : اتمام .

(٥) في م فقط : يصلح .

(٦) سورة ١٧ آية ٣٧ - ٣٩ .

(٧) سورة ٢٠ آية ١٣١ .

(٨) في ظ : بسبب .

لأنه ظهور^١ لما بعده من صلات حرف الأمر و ما قصر بعشرات فرق
الآمة إلا التقصير في حرف النهي ، لأن الملة الخفيفة مبنية على الاكتفاء
باليسير من المأمورات و المبالغة في الحمية من عموم ما لا يتناهى^٢ من المنهيات
لكثرة مداخل الآفات منها على الخلق فيما بعد الموت و يصعب هذا الحرف
على الخلق بما^٣ استقر في أوهامهم أن دنياهم لا تصلح إلا بالمثابرة على هـ
صنوف المنهيات لنظرهم لجدواها في الدنيا و عمام عن وبالها في الأخرى^٤
و ما حوفظ على الرياضات و التأديبات و التهذيات إلا بوفاء الحمية منها ،
و الحمية أصل الدواء ، فمن لم يحتم^٥ عن المنهيات لم ينفعه تداويه بالمأمورات ،
كالذى يتداوى^٦ و لا يحتجى بخسر الدواء و يتضاعف الداء^٧ هل انبئكم
بالاخرين اعمالا ه الذين ضل سعيهم في الحينوة الدنيا و هم يحسبون انهم ١٠
يحسبون صنعا ه^٨ و جاؤا بحسنات كالجبال و كانوا يصومون و يصلون
و يأخذون و هنا من الليل لكن ذلك تداو بغير حمية لما لم يحتموا من الدنيا

(١) من ظ ، و في الأصل : طهور - بالطاء المهمة .

(٢) في ظ : لا يتناهى .

(٣) من م و مد ، و في الأصل و ظ : ما .

(٤) في م : الاخرة .

(٥) في م : يختم .

(٦) زيد في م : قل .

(٧) سورة ١٨ آية ١٠٣ و ١٠٤ .

(٨) زيد حرف العطف من ظ .

التي نهوا عن زهرتها، فكانوا إذا لاحت لهم وثبوا عليها فيصيرون منها
 الشهوات ويعملون المعصيات فلم ينفعهم^١ المداواة، فمن احتذى فقد قرأ
 هذا الحرف وهو حسبه فاقروا ما تيسر منه، أحب العبادات إلى الله ترك
 الدنيا وحمة النفس من هوى^٢ جاهها وما لها - بل نينا عبدا أجوع يوما
 ٥ وأشبع يوما، ومن رغب عن سنتي فليس مني^٣، والقرآن حجة لمن عمل
 به فصار إمامه يقوده إلى الجنة. وحجة على من لم يعمل به يصير خلفه^٤
 فيسوقه إلى نار الجبة^٥ التي في جب^٦ وادي جهنم التي تستعيز جهنم منها
 والوادي والجب^٧ في كل يوم سبع مرات ولكن جعلته نورا
 نهدي به من نشاء من عبادنا^٨، ويضل به كثيرا ويهدي به كثيرا^٩،
 ١٠ ولا يزيد الظالمين الا خسارا^{١٠}، أعوذ بعفوك من عقوبتك، وبرضاك

(١) في ظ: فلم ينفعهم كذا.

(٢) ليس في ظ.

(٣) هذا من قول النبي صلى الله عليه وسلم.

(٤) في ظ: خلقه.

(٥) في مد: الحية.

(٦) في ظ: خبء.

(٧-٧) كذا في الأصل ومد، وفي م: والحب والوادي، وفي ظ: والوادي

والحبء، والظاهر: ووادي الحب.

(٨) سورة ٤٢ آية ٥٢.

(٩) سورة ٢ آية ٢٦.

(١٠) سورة ١٧ آية ٨٢.

من سخطك ، و بك منك ، لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك .

ثم قال فيما 'تحصل به' قراءة حرف النهى : اعلم أن الموفى بقراءة حرفي الحلال و الحرام المنزلين لإصلاح أمر الدنيا و تحسين حال الجسم و النفس تحصل له عادة بالخير تيسر عليه قراءة حرفي صلاح الآخرة ٥ من الأمر و النهى ، ولما اقتضت الحكمة و العلم إقامة / أمر الدنيا بقراءة حرفي صلاحها تماما اقتضى الإيمان بالغيب و تصديق الوعد و الوعيد تجارة اشتراء الغيب الموعود من عظيم خلاق الأخرى بما ملك العبد من منقود متاع الدنيا ، فكل الحلال ما عدا الكفاف بالسنة 'متجر ٣ للعبد ، إن أنفقه ربحه و أبقاه فقدم عليه ، و إن استمتع به أفناه فقدم عليه ' فاستمتعوا ١٠ بخلافهم فاستمتعتم بخلافكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلافهم ' ، و لو لا اتخرتى إلى أجل قريب فاصدق و اكن من الصالحين ٥ ، لن تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ' ، ذلك مال راجح ذلك مال راجح ، و كما أن حرف الحلال موسع ليحصل به الشكر فحرف النهى مضيق لمتسع حرف الحلال ليحصل به الصبر ليكون به العبد شاكرا صابرا ، فالذى يحصل به قراءة حرفي النهى ١٥

(١-١) في م و مد : به تحصل .

(٢) ليس في ظ .

(٣) في م : متجرد .

(٤) سورة ٩ آية ٦٩ .

(٥) سورة ٦٣ آية ١٠ .

(٦) سورة ٣ آية ٩٢ .

أما من جهة القلب و رؤيا الفؤاد فشاهدة^١ البصيرة لموعود الجزاء حتى كأنه
 ينظر إليه لترتاح^٢ النفس بخيره و ترتاع من شره، كما قال حارثة: كأنى أنظر إلى
 أهل الجنة في الجنة ينعمون و إلى أهل النار في النار يعذبون، فأثمر له ذلك
 ما أخبر به عن نفسه^٣ في قوله^٣: و عَزَفَتْ^٤ نفسى^٥ عن الدنيا فاستوى عندي^٦
 ٥ ذهبها و خزفها، و خصوصا من أيد بالمبشرات من الرؤيا الصالحة و الكشف
 الصادق ليدع الغاني للباقي على يقين و مشاهدة^٧؛ و أما^٨ من جهة حال
 النفس فالصبر بحبسها عما تشهيه طبعاً مما هو محل لها شرعاً، قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم لعمر رضى الله عنه لما رثى لحاله: أما ترضى أن تكون
 لهم الدنيا و لنا الآخرة؟ و استعينوا بالصبر^٩، و صبر النفس عن شهواتها
 ١٠ و إن كانت حلالاً هو حقيقة تركيتها، و قتلها باضنائها منها هو حياتها،

(١) في م: غشاً هذه .

(٢) في م: لترجاج - كذا .

(٣-٣) ليس في ظ .

(٤) عزفت نفس فلان عن الشيء تعزف و تعزف عزفاً و عزوفاً زهدت فيه
 و انصرفت عنه أو ملته نهى عزوف عنه - قطر المحيط ٣/ ١٣٥٤، و في م: غرقت،
 و هي محرفة .

(٥) زيد في الأصل فقط: خصوصاً، و لم تكن الزيادة في م و بمد و ظ
 فحذفناها .

(٦) ليس في ظ .

(٧) في م: أصله .

(٨) سورة ٢ آية ٤٥ .

وإطلاقها ترتع في شهواتها هو تدسيثها، « قد افلح من زكّنها » وقد خاب من دسّنها^١ ، و النفس مطية يقويها انضاؤها ، و يضعفها استمتاعها ، و حبسها عن ذلك شائع في جهات وجوه الحلال كلها إلا في شيئين : في النساء بكلمة الله ، لأنهن من ذات^٢ نفس الرجال ولسن غيرا لهم « هو الذي خلقكم من نفس واحدة و جعل^٣ منها زوجها ليسكن اليها »^٥ و « اتيتهم احدهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا^٤ » ، و الثاني في الطيب ، لأنه غذاء للروح^٥ و تقوية للحواس و نسمة من باطن الملكوت إلى ظاهر الملك ؛ و ما عداهما فالاستمتاع به و اتباع النفس هواها فيه علامة^٦ تكذيب^٧ وعد الرحمن و تصديق وعد الشيطان « و زين لهم الشيطان اعمالهم فصدمهم عن السبيل فهم لا يهتمدون^٨ » « يعدمهم و يُمنّيهم و ما يعدم الشيطان الا غرورها^٩ » ؛^{١٠} هذا من جهة النفس ؛ و أما من جهة العمل و تناول اليد فرفعها عما زاد

(١) سورة ٩١ آية ٩ و ١٠ .

(٢) في ظ : ذوات .

(٣) وقع في م فقط : خلق - كذا خطأ ؛ راجع القرآن الكريم سورة ٧ آية ١٨٩ .

(٤) سورة ٤ آية ٢٠ .

(٥) وقع في مد : للزواج - كذا مصحفا .

(٦) ليس في ظ .

(٧) في م : التكذيب .

(٨) سورة ٢٧ آية ٢٦ .

(٩) سورة ٤ آية ١٢٠ .

على الكفاف و تخليته لذرى الحاجة ليتخذوه معاشا، و أن يكون التمول
 من غير القوام تجارة نقل و ضرب فى الأرض و إرصاد لوقت حاجة
 لا حكرة و تضيقا، اتخاذ أكثر من لبستين^١ للهنة و الجمعة علامة لضعف
 الإيمان و خلاف السنة، انقطاع عن آثار النبوة و عدول عن سنة الخلفاء
 ٥ و ترك لشعار^٢ الصالحين، و كذلك تصفية لباب الطعام و قصد المستحسن
 فى الصورة دون المستحسن فى العلم و إثثار الطيب فى المطعم على الطيب
 فى الورع و تكثير الأدم و تلوين الأطعمة، و كذلك اتخاذ أكثر من
 مسكن واحد و أكثر من مزدراع^٣ كاف و رفع البناء و الاستشراف
 بالمباني، امتنع النبي صلى الله عليه وسلم من رد السلام على رجل اتخذ
 ١٠ قبة فى المدينة حتى هدمها و سواها مع بيوت أهل المدينة، وإنما الدنيا
 للؤمن سجن إن شعر به و ضيق فيه على نفسه^٤ طلبت السراح^٥ منه إلى
 الآخرة فנסعد، و إن لم يشعر بأنها سجن فوسع فيها على نفسه^٦ طلب البقاء^٧
 فيها و ليست بياقية^٨، و الخيل ثلاثة^٩: أجر للجاهد، و وزر على المباهى،

(١) فى مد: نسبتين - كذا .

(٢) فى م: لشعائر .

(٣) فى ظ: مزرع .

(٤) العبارة من هنا إلى " فيسعد " ليست فى م و مد .

(٥) فى ظ: الراح .

(٦ - ٧) فى م: طلبا للبقاء .

(٧) فى م: باقية .

(٨) هذا مأخوذ مما رواه الإمام البخارى فى صحيحه ١ / ٤٠٠ عن أبى هريرة =

و عفو للمستكنى بها فيما يعنيه من شأنه ، و الزيادة على الكفاف من النعم
السائمة انقطاع عن آثار النبوة و تضيق على ذوى الحاجة و تمول لما
وضع لإقامة المعاش و أن يتخذ منه الكفاف ، قال صلى الله عليه وسلم :
لنا غم مائة ^١ لا نريد أن تزيد ، فاذا ولد الراعى بهمة ^٢ ذبحنا مكانها شاة .
و الطعام لا يتمول و كذلك ما اتخذ للقوام لا يحتكره ^٣ إلا خاطئ - من ه
احتكر طعاما أربعين يوما فقد برئ من الله و برئ الله منه . فالأمتعة تجلب
و تحتزن ^٤ و يستنى فيها ^٥ الدينار و الدرهم ، و الطعام و القوام يجلب
و لا يخزن ^٦ فيستنى فيه ^٧ الدينار و الدرهم ، و من اختزنه يستنى فيه
الدينار و الدرهم فقد احتكره ؛ و ما منع فيه من مدّ العين فأحرى أن يمنع
فيه مد اليد لا تمدن عينك إلى ما متعنا به أزواجا ، الآيتين ^٨ ؛ فهذه ١٠

= أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الخيل لثلاثة (و في رواية : ثلاثة ، كما
هنا) لرجل أجر ، و لرجل ستر ، و على رجل وزر - الحديث .

(١) في م وظ : يعينه .

(٢ - ٢) في مد : لا تزيد ان تزيدوا .

(٣) في م : بهيمة .

(٤) في ظ : لتحكيه .

(٥) في مد : تحتزن - كذا .

(٦) زيد في م : في .

(٧) في ظ : لا تخزن .

(٨) في ظ : فيها .

(٩) زيد في م وظ : منهم . سورة ١٥ آية ٨٨ .

(١٠) ليس في ظ .

الأمور من إيمان القلب ورؤية القواد و صبر النفس و كف اليد عن
الانبساط في التمول فيما به القوام تحصل قراءة حرف النهى ، والله ولى
التأييد - انتهى .

و لما فرغ سبحانه من أمر أهل الكتاب بالإيمان بالله و النبی و الكتاب
الذى هو من الهدى الآتى إليهم المشار إلى ذلك كله بالإيفاء بالعهد عطف
بقوله : « و اقيموا الصلوة » أى ' حافظوا على العبادة ' المعهود بها فى كل
يوم ' بجميع شرائطها و أركانها ' « و اتوا الزكاة » أى ٣ المفروضة فى
كل حول لتجمعوا أوصاف المتقين المهديين بهذا / الكتاب « الذين

/٦٨

(١) قال على المهاشمي : « و » لا يكفيكم العمل بالنسوخ من التوراة وإن لم تغيروه
و لم تلبسوا فيه و لم تكتموا بل « اقيموا الصلوة و اتوا الزكاة » بمقتضى هذا
الكتاب « و » اعملوا بفضائله و إن لم تكن ناسخة لما فى كتابكم لذلك « اركعوا
مع الراكعين » أى صلوا بالجماعة إذ فضلت على صلاة الفرد فى هذه الملة بسبع
و عشرين درجة فأتوا بفضائل هذا الكتاب سيما التى بها تظاهر النفوس على
الخيرات . و قال البيضاوى : يعنى صلاة المسلمين و زكاتهم ، فان غيرهما كإلا
صلاة و لا زكاة ، أمرهم بفروع الإسلام بعد ما أمرهم بأصوله ؛ و الزكاة
من زكا الزرع إذا نما ، فان إخراجها يستجلب بركة من المال و يثمر للنفس
فضيلة الكرم ، أو من الزكاة بمعنى الطهارة ، فانها تطهر المال من الخبث و النفس
من البخل .

(٢ - ٣) ليست فى ظ .

(٣) ليس فى م .

(٤) فى م : المهديين .

يؤمنون بالغيب و يقيمون الصلوة و يمارز قنهم^١ بنفقون هـ ، المحسنين بذلك فيما بينهم و بين الحق و فيما بينهم و بين الخلق ، و هاتان العبادتان إما العبادات البدنية و المالية فخصا بالذكر ، لأن من شأنهما استجرار سائر العبادات و استتباعها ، و الزكاة قال الحرالي^٢ نماء في ظاهر حس و في باطن ذات نفس ، « و اركعوا » من الركوع و هو توسط بين قيام و سجود هـ يقع في ظاهر من القامة و في حال من القلب ، تخص به الأمة المتوسطة الجامعة للطرفين ، « مع » معناه الصحبة من الأعلى بالحياطة^٣ ، و من الأدنى^٤ بحسن التبع ، و من المماثل بحسن النصفة - انتهى . و قوله : « الركعين هـ » مع مصحوبه^٥ تأكيد لأمر الصلاة و أمر بالكون في هذا الدين مع الذين اتبعوا محمدا صلى الله عليه و سلم ، فان صلاة اليهود لا ركوع فيها ، ١٠ كما سيأتى بيانه في سورة آل عمران إن شاء الله تعالى .

و قال الحرالي : و المتسق بذلك أى بما مضى خطاب إفهام يفهمه^٦ عطف^٧ إقامة الصلاة التى هى تلو الإيمان ، فكان خطاب الإفهام :

(١) في ظ و م و مد : رزقوا .

(٢) العبارة من هنا إلى « استتباعها » ليست في ظ .

(٣) ليس في ظ .

(٤) في م : للحياطة .

(هـ) من م و ظ ، و لا يتضح في مد ، و في الأصل : الأعلى - كذا .

(٦-٦) في م : مع مصحوبة ، و في ظ : بجملته - كذا .

(٧) في م و مد : تفهمه .

(٨) و قال أبو حيان الأندلسى : و في هذه الجملة و إن كانت معطوفات بالواو =

فارجعوا واستدركوا و أعلنوا بما كنتم و بينوا ما لبستم و انصحوا من استنصحكم و أقيموا وجهتكم لله بالصلاة و تعطفوا على الاتباع بعد تعليمهم بالزكاة وكملوا صلاتكم بما به كمال الصلاة من الركوع العدل في الفعل بين حال قيام الصلاة و سجودها المظهر آية عظمة الله مع الراكعين
 هـ الذين هم العرب الذين وضعت أول صلاتهم على كمال - انتهى . ٣ و يجوز

= التي لا تقتضي في الوضع ترتيبا ترتيب عجيب من حيث الفصاحة و بناء الكلام بعضه على بعض ، و ذلك أنه تعالى أمرهم أولا بذكر النعمة التي أنعمها عليهم إذ ما في ذلك يدعو إلى محبة المنعم و وجوب إطاعته ، ثم أمرهم بإفاء العهد الذي التزموه للنعم ، ثم رغبهم بترتيب إيفائه هو تعالى بعهدهم في الإيفاء بالعهد ، ثم أمرهم بالخوف من نقماته إن لم يوفوا ، فاكثف الأمر بالإيفاء أمر بذكر النعمة و الإحسان و أمر بالخوف من العصيان ، ثم أعقب ذلك بالأمر بإيمان خاص و هو ما أنزل من القرآن و رغب في ذلك بأنه مصدق لما معهم فليس أمرا مخالفا لما في أيديهم لأن الانتقال إلى الموافق أقرب من الانتقال إلى المخالف ، ثم نهاهم عن استبدال الخسيس بالنفيس ، ثم أمرهم تعالى باتقائه ، ثم أعقب ذلك بالنهي عن لبس الحق بالباطل و كتمان الحق تركا للاضلال ، و لما كان الضلال ناشئا عن أمرين : إما تمويه الباطل حقا إن كانت الدلائل قد بلغت المستيع ، وإما عن كتمان الدلائل إن كانت لم تبلغه ، أشار إلى الأمرين بلا تلبسوا و تكتموا ، ثم قبح عليهم هذين الوصفين مع وجود العلم ، ثم أمرهم بعد تحصيل الإيمان و إظهار الحق بإقامة الصلاة و إيتاء الزكاة - من شاء الاطلاع على ما بعدها فلي نظر في البحر المحيط ١/ ١٨٠ .

(١) ليس في ظ .

(٢) في م : او .

(٣) العبارة من هنا إلى « بالجماعة » ليست في ظ .

أن يكون المراد بالركوع الصلاة، عبر عنها به لما ذكر من خصوص هذه الأمة^١ به، فكانه قيل: وصلوا مع المصلين جماعة، لمزيد التوصية بالجماعة.

ولما أمر علماءهم بما تركوا من معالي الأخلاق^٢ من الإيمان و الشرائع بعد أمرهم بذكر ما خصهم به من النعم، ونهاهم عما ارتكبوا من هـ
فسافها^٣ من كفر النعم^٤ ونقض العهود و ما تبع ذلك^٥ وكانوا يأمرون

(١) من م ومد، وفي الأصل: الآية.

(٢) العبارة من هنا إلى « النعم » ليست في ظ.

(٣) العبارة من هنا إلى « ذلك » ليست في ظ.

(٤) زيدت في م: ونهاهم عما ارتكبوا من - مكررة.

(هـ) قال المهائمي: ثم أشار إلى أنهم لا يأتون بأصل أعمال البر من كتابهم فضلا عن فضائل كتابكم فقال « اتامرون الناس بالبر » وهو التوسع في الخيرات أو مراعاة الأقارب أو حسن معاملة الناس « وتنسون أنفسكم » أي تتركونها ترك المنى فلا تاتون بشيء من الخيرات فضلا عن الفضائل. وفي التفسير المظهرى: قال البغوى: نزلت في علماء اليهود و ذلك أن الرجل منهم كان يقول لقريبه وحليفه من المسلمين إذا سأله عن أمر محمد صلى الله عليه وسلم: اثبت على دينه فإن أمره حق وقوله صدق. وكذا أخرج الواحدى عن ابن عباس، وقيل: هو خطاب لأخبارهم حيث أمروا أتباعهم بالتمسك بالتوراة وهم خالفوا التوراة وغيروا نعت محمد صلى الله عليه وسلم فيه. وقال البيضاوى: « اتامرون » تقرير مع توبيخ وتعجيب، والبر التوسع في الخير من البر وهو الفضاء يتناول كل خير، لذلك قيل: البر ثلاثة: بر في عبادة الله، وبر في مراعاة الأقارب، وبر في معاملات الأجانب.

غيرهم بما يزعمون أنه تركية و ينهونه^١ عما يدعون^٢ أنه تردية ، أنكر عليهم^٣
 ترغيبا فيما نذبتهم إليه و حثهم عليه و توبيخا على تركه بقوله : « اتامرون » ،
 من الأمر و هو الإلزام بالحكم^٤ - قاله الحرالي . « الناس بالبر » و هو
 التوسع في أفعال الخير « و تنسون »^٥ ، والنسيان السهو الحادث بعد حصول
 العلم ، « انفسكم » أى تتركون حملها على ذلك ترك الناسى ، ولعله عبر به
 زيادة في التنفير عن هذا الأمر الفظيع الذى دل العقل دلالة بينة على
 فحشه ، لأن المقصود من أمر الغير بالبر النصيحة أو الشفقة ، وليس من
 العقل أن يشفق الإنسان على غيره أو ينصح غيره و ينسى نفسه ، و الظاهر
 أن المراد^٦ به حكم التوراة ، كانوا يحملون عوامهم عليه و هم يعلمون
 ١٠ دون العوام أن من حكم التوراة^٧ اتباع محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد نسوا
 أنفسهم من الأمر بأساس البر الذى لا يصح^٨ منه شيء إلا به .
 و قال الحرالي : ولما كان فيهم من أشار على من استهداه بالهداية

(١) فى م : تهونه .

(٢) « عما يدعون » ليس فى م .

(٣) العبارة من هنا إلى « تركه » ليست فى ظ .

(٤) فى م : بالحكم .

(٥) العبارة من هنا إلى « العلم » ليست فى ظ .

(٦) العبارة من هنا إلى « و ينسى نفسه » ليست فى ظ .

(٧) من م و ظ ، و فى الأصل : للراد .

(٨) ليس فى ظ .

(٩) فى م : لا يصلح .

لاتباع محمد صلى الله عليه وسلم ولم يهدوا أنفسهم لما أُرشدوا إليه غيرهم
أعلن تعالى عليهم بذلك ' نظما لما 'تقدم من' نقض عهدهم ولبسهم
وكتبتهم بما 'ظهر من' نقض عقولهم في أن يظهر طريق الهدى لغيره
ولا يتبعه فأخرجهم بذلك عن حد العقل الذى هو أدنى أحوال المخاطبين ،
و^٢زاد في تبيكتهم بجملة حاله حاكية^٣ تلبسهم بالعلم والحكمة الناهية عما هم^٥
عليه فقال : « واتم تتلون الكتب »^٥ ، من التلاوة ، وهو تتبع قول قائل

(١) وقال أبو حيان : وقال السلمي : أنطاليون الناس بحقائق المعاني وأنتم قلوبكم
خالية عن ظواهر رسومها . وقال القشيري : أتحرضون الناس على البدار وترضون
بالتخلف ، وقال : أتعنون الخلق إلينا وتعدون عنا وألفاظا من هذا المعنى .
والأفقس هنا ذواتهم ، وقيل : جماعتهم وأهل ملتهم - انتهى .

(٢-٢) ليس في ظ .

(٣) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست في ظ .

(٤) ليس في م .

(٥) قال الماثلبي : « واتم تتلون الكتب » أى التوراة نفقكم أن تسبقوا الناس
بالعمل بما فيه ليقنتى الناس بكم ويعتمدوا على أقوالكم « ا » رضيتم بهلاك
أنفسكم مع صلاح غيركم . وقال البيضاوى : تبيكت كقوله تعالى « وأنتم تعلمون »
أى تتلون التوراة وفيها الوعيد على العناد وترك البر ومخالفة القول العمل « أفلا
تعقلون » قبح صنيعكم فيصدكم عنه ، أو أفلا عقل لكم يمنعكم عما تعلمون وخامة
عاقبه ؛ والآية ناعية على من يعظ غيره ولا يتعظ نفسه سوء صنيعه وخبث نفسه
وأن فعله نعل الجاهل بالشرع أو الأحمق الخالى عن العقل ، فإن الجامع بينهما
يأبى عنه شكيمته ، والمراد بها حث الواعظ على تركية النفس والإقبال عليها
بالتكامل ليقوم فيقيم ، لامنح الفاسق عن الوعظ فان الإخلال بأحد الأمرين
للامور بهما لا يوجب الإخلال بالآخر - انتهى .

أول من جهة أوليته - قاله الحرالي . وهذه الجملة الحالية أعظم منبه على أن من حكم التوراة اتباعه صلى الله عليه وسلم ، ومشير إلى أن المعصية من العالم أقبح . قال ' الحرالي : فيه إشعار بأن أمر النبي صلى الله عليه وسلم في منطق تلاوته ليس في خفي إفهامه ، فكان في ذلك خروج عن حكم نور العقل - انتهى .

ولما كان هذا في كتابهم وهم به يأمرن وعنه معرضون سبب سبحانه عنه الإنكار في قوله : « افلا ، ٢ أى أتتونه فلا ٣ » تعقلون » ، إشارة إلى أن ما هم عليه من هذا لا يفعله ذو مسكة ، والعقل إدراك حقائق ما نال الحس ظاهره - قاله الحرالي . « سعى عقلا لأنه يعقل عن ١٠ التورط في الهلكة .

ولما أنكر عليهم اتباع الهوى أرشدهم إلى دوائه بأعظم أخلاق النفس وأجل أعمال البدن فقال عاطفا على ما مضى من الأوامر . وقال الحرالي : فكأنهم إنما حملهم على مخالفة حكم العقل ما تعودت به أنفسهم من الرياسة والتقدم فلما ٦ في ذلك عليهم من المشقة أن يصيروا أتباعا

(١) في م : قاله .

(٢) ليس في ظ .

(٣-٢) ليست في ظ . وفي م : تتلون - مكان : تتلونه .

(٤) في ظ : ذوا .

(٥) العبارة من هنا إلى « الهلكة » ليست في ظ .

(٦) زيد في م : سبحانه .

(٧) كذا ، والظاهر : لا .

للغرب بعد ما كانوا يرون أن جميع الأرض تبع لهم نسق^١ بخطابهم في ذلك الأمر بالاستعانة بالصبر الذي يُكره أنفسهم على أن تصير تابعة بعد أن كانت متبوعة فقال تعالى - انتهى . « واستعينوا » أى على إظهار الحق والالتقياد له وهو معنى ما مضى من الأوامر والنواهي « بالصبر » أى على مخالفة الهوى ، والصبر حبس النفس عن حاجتها وعادتها وعلى إصلاحها وتزكيتها ، وهو ضياء للقلوب تبصر به ما يخفيه عنها الجزع من الخروج عن العادة فيما تنزع إليه الأنفس - قاله الحرالي . وهو عام ٣ في كل صبر الصوم وغيره ٢ ، « والصلوة » أى الموصلة إلى المقام الأعلى ،

(١) نسق الدر ينسقه نسقا : نظمته على السواء ، والكلام : رتيبه وعطف بعضه

على بعض على نظم واحد - قطر المحيط ٤ / ٢١٦٥ .

(٢) قال البيضاوى : متصل بما قبله كأنهم لما أمروا بما شق عليهم لما فيه من الكلفة وترك الرياسة والإعراض عن المال عولجوا بذلك ، والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار النجاح والفرج توكلوا على الله ، أو بالصوم الذى هو صبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس ، والتوسل بالصلاة والالتجاء إليها ، فإنها جامعة لأنواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه إلى الكعبة والعكوف للعبادة وإظهار الخشوع بالحوارج وإخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القرآن والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن الأطيبين حتى تجابوا إلى تحصيل المآرب وجبر المصائب ، روى أنه عليه الصلاة والسلام إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة ، ويجوز أن يراد بها الدعاء - انتهى .

(٣ - ٢) ليست في ظ .

(٤) قال أبو حيان : وقدم الصبر على الصلاة قيل لأن تأثير الصبر في إزالة =

وفيه التفات إلى « و اياك نستعين » وإشارة إلى أن من لم تنته صلاته عن ركوب الباطل و التهادى فيه وتأمره بلزوم الحق و الرجوع إليه فليس بمصل، / فكأن المراد بالصبر تخليص النفس من أشراك الهوى وقسرها على الإخلاص، فمن صلى على هذه الصفة كان لا محالة من الناجين؛
 هـ و ثنى بالصلاة لأنها استرزاق يغنيهم^٢ عن اشتراء ثمن كانوا يأخذونه من أتباعهم في اللبس و الكتمان « و امر اهلك بالصلوة و اصطر عليها لا نستلك رزقا نحن نرزقك^٣ » قاله الحرالي^٤ . و يصح أن يراد بها الدعاء، فمن صبر عن الدنيا و على المكاره^٥ و أنهى صبره إلى الصوم فأزال عنه كدورات

= ما لا ينبغي وتأثير الصلاة في حصول ما ينبغي، و النفي مقدم على الإثبات، و يظهر أنه قدم الاستعانة به على الاستعانة بالصلاة لأنه سبق ذكر تكاليف عظيمة شاق فراقها على من ألفها و اعتادها من ذكر ما نسوه و الإبقاء بما أخفقوه و الإيمان بكتاب متجدد و ترك أخذهم الرشا على آيات الله و تركهم إلياس الحق بالباطل و كم الحق الذي لهم بذلك الرياسة في الدنيا و الاستنجاع لعوامهم و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة، و هذه أمور عظيمة؛ فكانت البداءة بالصبر لذلك. و لما كان عمود الإسلام هو الصلاة و بها يتميز المسلم من المشرك أتبع الصبر بها اذ يحصل بها الاشتغال عن الدنيا.

(١) زيد في ظ « و » كذا خطأ.

(٢) في م: يعينهم. (٣) سورة ٢٠ آية ١٣٢.

(٤) العبارة من هنا إلى « نهاية البر » ليست في ظ. و في م مكررة فانها قدمت فيه (مع ما يبدعها إلى « فقال ») على العبارة السابقة التي أولها « و هو عام في كل صبر - الخ ».

(٥) مكذا في الأصل و مد، و في م: المكارم.

حب الدنيا وأضاف إلى ذلك الصلاة استتار قلبه بأنواع المعارف، فإذا
ضم إلى ذلك الدعاء والاتجاء إلى الله تعالى بلغ نهاية البر .
ولما أمر ونهى بما ختمه بالصلاة حث على التفاؤل لعظمته [سبحانه]
[بتخصيصها بالضمير - ٢] فقال : « وانها لكبيرة » أى ثقيلة جدا ، و « الكبير »
ما جل قدره أو مقداره في حس* ظاهر أو في معنى باطن - قاله الحرالي . ه
« الا على الخشعين » أى المحبتين الذين هم في غاية السهولة واللين والتواضع
لربهم بحيث لا يكون عندهم شيء من كبر* وينظرون عواقب الأمر وما

(١) زيد من م ومد .

(٢) العبارة زيدت من م ومد ولكن قدمت في م على « حث » ؛ و زيدت
في مد بعد « الصلاة » العبارة التالية « وكانت الصلاة صبرا لا حظ للنفس فيه
لأنها عبادة محضة » .

(٣) قال المهاشمي « و » لكن الاستعانة بها شاقة « انها لكبيرة » أى شاقة في نفسها
تقتضي الصبر على الطاعات « الا على الخشعين » الخائفين السالكين إلى الله فانها
لا تشق عليهم ، فلا تشق الاستعانة بها في حقهم على الصبر عن الشهوات ، لذلك
كانت في حقهم « تنهى عن الفحشاء والمنكر » كيف وهي في حقهم قرة أعينهم
لشاهدتهم الحق ! فان لم يشاهدوه فلا أقل من أن يكونوا هم « الذين يظنون »
أى يعتقدون اعتقادا راجحا « انهم ملقوا ربه » فيشاهدهم . وقال البيضاوي :
وتخصيصها برد الضمير إليها لعظم شأنها واستجباؤها ضروبا من الصبر أو جملة
ما أمروا بها ونهوا عنها . وذكر أبو حيان سبعة أقوال في الضمير العائد في
« وانها » مع الاستشهاد وأطال البحث فليراجع إليه ١٨٥/١ .

(٤) في م : الكثير .

(٥) في م : حسن - كذا .

(٦) العبارة من هنا إلى « غير رغبة » ليست في ظ .

أعد عليها من الآجر ، ولذا قال صلى الله عليه وسلم : وجعلت قرة عيني في الصلاة . وغيرهم يمنعهم ثقلها من فعلها ، وإن فعلها فعلى غير رغبة . قال الحرالي : وهو أى الخشوع هدوء الجوارح والخواطر فيما هو الأهم في الوقت ، وأنبأ تعالى بكبر قدر الصلاة عن أن يتناول عملها إلا خاشع ٥ خرج عن حظ نفسه وألزم نفسه ذل العبودية التى ختمت بها النبوة ، وفي إشارة كمال الصلاة إشعار بصلاة العصر ٣ التى هى صلاة النبي الخاتم الذى ٣ زمنه وقت العصر وحالة العبودية ، وذلك بما يكبر على من قرن بنبوته وبملته الملك إلا أن يخشع لما يكبر على النفس ، وخصت الصلاة بالكبر دون الصبر لأن الصبر صغار للنفس والصلاة وجهة للحق ١٠ والله هو العلى الكبير - انتهى . « الذين يظنون » من الظن وهو رجحان في اعتقاد مع بقاء منازع من ٦ مقابله - قاله الحرالي ١٠ . « انهم ملقوا بهم » ٩

(١) في م ومد : يمنعه .

(٢) في مد : الزل .

(٣-٣) في ظ : النبي الخاتم الذى .

(٤) في ظ : يمثله .

(٥) ليس في م .

(٦) زيد في ظ : الحق .

(٧) في مد : في .

(٨) قال أبوحيان : وإنما لم تشق على الخاشعين لأنها منظوية على أوصافهم متحلون بها لخشوعهم من القيام لله والركوع له والسجود له والرجاء لما عنده من الثواب ، فلما كان مآل أعمالهم إلى السعادة الأبدية سهل عليهم ما صعب على غيرهم من المناقير والمرائين بأعمالهم الدين لا يرحون لها نفعا . ومعنى « يظنون » =

أى المحسن إليهم ، و عبر بالظن ' عن العلم ' تهويلا للأمر و تنبيهها على أنه يكفى العاقل فى الحث على ملازمة الطاعة ظن لقاء الملك المطاع المرجو المخوف فكيف والأمر متيقن لا مرأى فيه ولا تطرق للريب إليه ! و يجوز أن يراد ظن الموت فى كل لحظة ، فانه إذا كان على ذكر من الإنسان أوجب له السعادة .

٥

ولما كانت هذه الجملة مشيرة مع الترهيب لذرى الهمم العلية و الأئمة و الحمية من الوقوع فيما يلم بعيب أو يوقع فى عتب ٣ إلى الاستحياء من المحسن الذى ما قطع إحسانه ساعة من الدهر زاد فى الترهيب بقوله : « و انهم إليه ، أى و حده » « راجعون » ، و الرجوع معاد الذهاب على

= يوقنون - قاله الجمهور ، لأن من وصف بالخشوع لا يشك أنه ملاق ربه ، و يؤيده ما فى مصحف عبد الله « يعلمون » . قال ابن عطية : قد يوقع الظن موقع اليقين فى الأمور المتحققة . لكنه لا يوقع فيما قد خرج إلى الخس .
(٩) إضافته إليه و إضافته إلى الرب و إضافة الرب إليهم فى غاية من الفصاحة ، و ذلك أن الرب على أى محامله حملته فيه دلالة على الإحسان لمن يربه و تعطف بين لا يدل عليه غير لفظ الرب .

(١-١) ليس فى ظ .

(٢) العبارة من هنا إلى « السعادة » ليست فى ظ .

(٣) فى ظ : عيب .

(٤) قال أبو حيان : اختلف فى الضمير فى « إليه » على من يعود ، فظاهر الكلام و التركيب الفصيح أنه يعود إلى الرب و أن المعنى و أنهم إلى ربهم راجعون ، =

مدارج مذهبه و ترقيه على معارج مهبطه - قاله الحرالي . و عبر بذلك و إن كانوا لم يزالوا في قبضته ، لأن اسمه الظاهر سبحانه يكون في تلك الدار 'الانقطاع الاسباب' في غاية الظهور لا يكون لأحد معه نوع ظهور أصلا ، لا ' كهذه ٣ الدار التي الغالب فيها معنى اسمه الباطن إلا عند أولى البصائر ؛ و في الآية تبكيت لأهل الكتاب بأنهم مع تحققهم للبعث يعملون عمل من لا يظنه فضلا عن أنه يعلمه . و قال الحرالي : ولما كان في الصلاة مناجاة لله ' على الغيب كانت إنما تيسر على من يظن القبول الذي يشعر به اللقاء لربه بعد موته و ذلك حال من رجحت الآخرة

= وهو أقرب ملفوظ به ، و قيل : يعود على اللقاء الذي يتضمنه ملقوا ربهم ، و قيل : يعود على الموت ، و قيل : على الإعادة و كلاهما يدل عليه « ملقوا » و قيل بالقول الأول و هو أن الضمير يعود على الرب فلا يتحقق الرجوع فيتحقق في تحققه إلى حذف مضاف التقدير إلى أمر ربهم راجعون ، و قيل : المعنى بالرجوع الموت ، و قيل : راجعون بالإعادة في الآخرة ، و هو قول أبي العالية ، و قيل : راجعون فيجزئهم بأعمالهم ، و قيل : راجعون إلى أن لا يملك أحدهم ضرا ولا نفعا لغيره كما كانوا في بدء الخلق . و قال على المهانمي : « وأنهم إليه راجعون » فيتوقعون في مقابلتها ما يستحق لأجله مشاقها و يستلذ حتى تنغص الشهوات عندهم ، فأى استعانة للعب عنها أعظم منها في حقهم - انتهى .

(١-١) في م : لا .

(٢) في م : لانقطاع الاسباب .

(٣) في مد : لهذه .

(٤) زيد في م و مد : تعالى .

على الدنيا في عمله ' و حاله ، فكان حاله وعمله حال الظان إبقاء على
أحوال من دون رتبة اليقين ، ومقصود اللقاء ليس البعث لأنهم هم ' من
المؤمنين بالبعث ولكنه من معنى القبول بعد البعث ، ٣ وفيه إشارة إلى
حال الموت ويوم البرزخ وهو الجزء الأول فعطف على المرجع الآخر
بعد البعث ٣ - انتهى .

ولما كان الغالب على أكثر الناس الجود كرر النداء لهم بمبالغة
في اللطف بهم إثر الترجية والتخويف فقال ' ينبغي اسرايل ، أى الذى
أكرمته وأكرمت ذريته من بعده بأنواع الكرامة ' اذكروا نعمتى
ونغم أمرها بقوله : ' التى انعمت عليكم ، أى بانزال الكتب وإرسال
الرسل وغير ذلك ' وانى فضلتكم ، والتفضيل * الزيادة من خطوة ١٠
جانب القرب والرفعة فيما يقبل الزيادة والنقصان منه - قاله الحرالى .
' على العلين ، وهم من كان قد برز إلى الوجود فى ذلك الزمان بالتخصيص

(١) فى م و ظ : عليه .

(٢) ليس فى ظ .

(٣-٣) ليست فى م .

(٤) قال أبو حيان : وأعيد نداؤهم ثانيا على طريق التوكيد ولينبهوا لسماع ما
يرد عليهم من تعداد النعم التى أنعم الله بها عليهم وتفصيلها نعمة نعمة ، فالنداء
الأول للتنبيه على طاعة المنعم ، والنداء الثانى للتنبيه على شكر المنعم .

(٥) فى م : التفضل .

(٦) كتب فوته فى الأصل : أى مكانه .

بذلك دونهم ، ولا يدخل في هذا من لم يكن برز إلى الوجود في ذلك الزمان كما يأتي تحقيقه عن الحرالي قريبا^١ ، وما يوجب القطع به قوله تعالى لنا : « كنتم خير امة اخرجت للناس »^٢ .

ولما ذكرهم بتخصيصهم بالكرامة^٣ ونهاهم عن المخالفة وكانت المخالفة مع عظيم النعمة أقبح وأشد وأفسح^٤ حذرهم يوما لا ينجي أحدا فيه إلا تقواه فقال . وقال الحرالي : لما دعاهم إلى الوفاء بالعهد تنبيهها لهم من له فضل باطن يرجع إلى فضائل النفس فأجاب من وفق وتمادى على حاله من^٥ خذل ثنى الخطاب لهم بالتنبيه على النعمة الظاهرة^٦ ليتنبه لذلك من يخاف تغيير النعمة الظاهرة^٧ حين لم يخف السقوط عن رتبة / الفضيلة في الخطاب فذكرهم بالنعمة والتفضيل الذي فضلهم به على العالمين^٨ وهم

١٧٠

(١) قال القشيري : أشهد بنى إسرائيل فضل أنفسهم فقال : « واني فضلتكم على العالمين » وأشهد المسلمين فضل نفسه فقال « قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا » فشتان بين من مشهوده فضل ربه ومن مشهوده فضل نفسه ، فالأول يقتضى الثناء والثاني يقتضى الإعجاب - انتهى . وقال اليبضاوى : كرده للتوكيد وتذكير التفضيل الذي هو من أجل النعم خصوصا وربطه بالوعيد الشديد تخويفا لمن غفل عنها وأخل بحقوقها .

(٢) سورة ٢ آية ١١٠ .

(٣-٢) ليست في ظ .

(٤) زيد في الأصل : وقف ، وقد ضرب عليه .

(٥) قال أبو حيان الأندلسي : قال الحسن ومجاهد وقادة وابن جريج وابن زيد وغيرهم : عالمي زمانهم . أو على كل العالمين بما جعل فيهم من الأنبياء وجعلهم =

من ظهرت أعلام وجودهم في زمانهم ، وكذلك كل تفضيل يقع في القرآن والسنة ، إنما العالم من شمله الوجود لا ما أحاط به العلم بعد ، لأن ذلك لم يرفع في الشهود علم وجوده ؛ وفيه إشعار بأنهم كما فضلوهم على عالمي زمانهم فليس ذلك بمقصود عليهم بل كذلك يفضل الله العرب في زمان نبوتها على بني إسرائيل وعلى جميع الموجودين في ه زمانهم ، وحيث انتهى الخطاب إلى تذكر ظاهر النعمة بعد التذكير يباطن الفضيلة لم يبق وراء ذلك إلا التهديد بوعيد الآخرة عطفا على تهديد تقتضيه ٣ الافهام بتغيير ما بقى عليهم من النعمة في الدنيا ؛ فكان

= ملوكا وآناهم ما لم يؤت أحدا من العالمين ، وذلك خاصة لهم دون غيرهم ، فيكون عاما والنعمة مخصوصة ، قالوا : ويدفع هذا القول « كنتم خير أمة » أو على الجمل الغير من الناس ، يقال : رأيت عالما من الناس ، يراد به الكثرة ؛ وعلى كل قول من هذه الأقوال الثلاثة لا يلزم منه التفضيل على هذه الأمة ، لأن من قال بالعموم خص النعمة ، فوجه عدم التفضيل مطلقا ظاهر - انتهى . وقال الشريفي الخطيب :

أى عالمي زمانهم بما منحهم الله من العلم والإيمان والعمل وجعلهم أنبياء وملوكا مقسطين ، وذلك التفضيل وإن كان في حق الآباء ولكن يحصل به الشرف في الأبناء ، واستدل بذلك على أن الأصل لا يجب على الله ، لأن تفضيلهم أو وجب عليه لم يجوز جعله منة عليهم ، لأن من أتى بما وجب عليه لا منة له به على أحد - انتهى . وفيه رد على المعتزلة فيما يزعمون أن الأصل واجب على الله تعالى شأنه .

(١) في م : التذكر .

(٢) العبارة من هنا إلى « من النعمة » ليست في م .

(٣) من ظ ، وفي مد : يقتضيه ، وفي الأصل : يقتضيه - كذا .

(٤) في ظ : بتغيير - بالعين المهملة .

مفهوم الخطاب : فاحذروا أن يصيكم مثل ما أصاب المؤاخذين في الدنيا - انتهى . « و اتقوا » . ' و لما كان المتقى إنما هو الجزاء الواقع في يوم القيامة حذفه ، أقام اليوم مقامه تفخيما له و تنبيها على أن عقابه لا يدفع كما يدفع ما في غيره بأنواع الخيل فقال : « يوما » ، هو من العظمة بحيث « لا تجزى » ، أى ' تقضى و تغنى ' فيه « نفس » ، ' أى نفس كانت ' « عن نفس » .

(١) قال المهاشمي : « و اتقوا » إذا تركتم البر بأنفسكم اكتفاء بامرهم غيركم « يوما لا تجزى نفس » أنت بالبر المأمور في حق الآمرة به « عن نفس » أى أمرتها بالبر إذا تركته . و قال أبو حيان : « و اتقوا يوما » أمر بالالتقاء وكأنهم لا أمروا بذكر النعم و تفضيلهم فاسب أن من أنعم عليه و فضل يكون محصلا للتقوى فأمروا بالإدانة على التقوى ، أو بتحصيل التقوى إن عرض لهم خلل ؛ وانتصاب يوما إما على الظرف ، و المتقى محذوف تقديره : اتقوا العذاب يوما ، وإما على المفعول به اتساعا ، أو على حذف مضاف أى عذاب يوم أو هول يوم . قال القشيري : العوام خوفهم بعذابه فقال « و اتقوا يوما » « و اتقوا النار » والخواص خوفهم بصفاته فقال « و قل اعملوا فسيرى الله عملكم و رسوله » « و ما تكون في شأن » الآية ، و خواص الخواص خوفهم بنفسه فقال « و يحذركم الله نفسه » .

(٢) ' العبارة من هنا إلى « فقال » ليست في ظ .

(٣) قال البيضاوى : لا تقضى عنها شيئا من الحقوق أو شيئا من الجزاء فيكون نصبه على المصدر ، و قرئ « لا تجزى » من اجزأ عنه إذا أغنى عنه ، و على هذا تعين أن يكون مصدرا . و إرادته منكرا مع تنكير النفسين للتعميم و الإنفاط الكلى ، و الجملة صفة ليوم ، و العائد منها محذوف تقديره : لا تجزى فيه .

(٤ - ٤) ليست في ظ .

كذلك ' وشيئا ، من الجزاء .

قال الحرالي : والنفس لكل امرئ لزمته نقاسة على غيره ، فهؤلاء الذين لا يقنى بعضهم عن بعض بخلاف ' من أثر غيره وذهبت نقاسة نفسه ، فانه يقنى عمن دونه بالشفاعة والإحسان في الدنيا والآخرة ؛ وفيه إعلام بأن ضعة النفس مبدأ التوفيق و نفاستها مبدأ الخذلان ه
' اذلة على المؤمنين ' ، فذل العبد - بالضم - لله ، وزله - بالكسر - لعباد الله بشرى فوزه ، واعراضه عن ذكر الله وصغر خده للناس ' نذارة ' هلاكة - انتهى .

١ ' و لما كان الإجزاء قد يكون بنفس كون المجزئ موجودا و هو بحيث يخشى أن يسعى في الفكك بنوع حيلة فتحرك القلوب لإجابته ١٠
وفك أسيره فيحمل ذلك من أسره على إطلاقه ، وقد يحتال بالفعل في التوصل إلى فكك في خفية بسرقة أو فتح سجنه أو نحو ذلك ، و كانت وجوه الإجزاء المشهورة ثلاثة ٢ عطفها على الإجزاء الأعم منها فقال :

(١) ليس في م و ظ .

(٢) في ظ : و .

(٣) سورة ه آية ه .

(٤) بهامش ظ : ومنه «ولا تصغر خدك للناس» ولكن وقع فيه : ولا تصاعر - كذا .

(هـ) من م و مد ، وفي الأصل : نذارة ، وفي ظ : نذار .

(٦) انعبارة من هنا إلى « فقال » ليست في ظ .

(٧) قال البيضاوي : وكأنه أريد بالآية نفى أن يدفع العذاب أحد عن أحد من

كل وجه محتمل ، فانه إما أن يكون قهرا أو غيره فالأول النصرة والثاني إما =

« ولا يقبل منها » أى النفس الأولى أو الثانية ، شفاعة ، أى لم يؤذن فيها وهى من الشفع وهو إرفاد الطالب بتثنية الرغبة له فيها رغب فيه ليصير كالإمام له فى ٣ وجهة حاجته ٣ - قاله الحرالى . « ولا يؤخذ منها عدل » تبذله غير الأعمال الصالحة ، وهو ما يعدل الشيء و يكون معه كالعدلين المتكافئ القدر على الحولة ، فكأن العدل - بالكسر - فى الشيء المحسوس ، و العدل - بالفتح - فى الشيء المعقول ، وكذلك عادة العرب تفرق بين ما فى الحس وما فى المعنى بعلامة إعراب فى ذات نفس الكلمة لا فى آخرها - قاله الحرالى .

١ « ولما كان عدم النصرة للجمع يستلزم عدمها للفرد بطريق الأولى = أن يكون مجانا أو غيره والأول أن يشفع له والثانى إما بأداء ما كان عليه وهو أن يجزى عنه أو بغيره وهو أن يعطى عنه عدلا ، والشفاعة من الشفع كانت المشفوع له فردا بفعله الشفيع شفعا بضم نفسه إليه ، والعدل القدية ، وقيل : البذل وأصله التسوية سمي به القدية لأنها - سويت بالمقدى - انتهى . قال أبو حيان : وقد اختلف المفسرون فى فهم هذا على ستة أقوال : الأول أنه لفظ عام لمعنى خاص والمراد الذين قالوا من بنى إسرائيل : نحن أبناء الله وأبناء أنبيائه وأنهم يشفعون لنا عند الله ، فرد عليهم ذلك وأويسوا منه لكفرهم ، وعلى هذا تكون النفس الأولى مؤمنة والثانية كافرة والكافر لا تنفعه شفاعة لقوله تعالى « ما تنفعهم شفاعة الشفيعين » والأقوال الخمسة تنظر فى البحر المحيط ١/ ١٩١ .

(١ - ١) ليست فى ظ ، وفى مد « و » مكان « او » .

(٢) ليس فى ظ .

(٣ - ٣) فى مد : جهة حالته .

(٤) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى ظ .

جمع فقال: « ولا هم ينصرون » أي يتجدد لهم نصر يوما ما بمن ينقذهم
 قهرا^١ كائنا من كان^٢ ، والنصر تأييد المقاوم في الأمر بما هو أقوى من
 مقاومه وهما طرفان^٣ ليصير كالمقدم له بحكم استقلاله فيما يتوقع عجز
 المنصور^٤ فيه - قاله الحرالي . فاتفق بذلك جميع وجوه الخلاص التي يطمع
 فيها الظالم في الدنيا .

٥

(١) قال الخطيب الشربيني : و تذكر الضمير في « ولا هم ينصرون » مع أن
 الضمير راجع للنفوس وكان المناسب من لتأويل النفوس بالأشخاص أو الرجال .
 وقال القاضي ثناء الله : والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة في
 سياق النفي الدالة على العموم والكثرة . أريد بالآية نفي أن يدفع العذاب عن أحد
 من الكفار أحد بوجه من الوجوه . قال أبو حيان : أتى بالضمير مجموعا على معنى
 نفس لأنها نكرة في سياق النفي فتعم كقوله تعالى « فما منكم من أحد عنه حاجزين »
 وأتى به مذكرا لأنه أريد بالنفوس الأشخاص كقولهم : ثلاثة أنفس ، وجعل
 حرف النفي منسحبا على جملة اسمية ليكون الضمير مذكورا مرتين فيؤكد ذكر
 النفي عنه النصر بذكره مرتين . وفي معنى النصر للفسرين هنا ثلاثة أقوال :
 أحدها أن معناها لا يمتنعون من عذاب الله ، الثاني لا يجدون ناصرا ينصرهم ولا
 شافعا يشفع لهم ، الثالث لا يعاونون على خلاصهم وفكاكهم من موبات
 أعمالهم ؛ و ثلاثة الأقول هذه متقاربة المعنى .

(٢ - ٢) ليست في ظ .

(٣) في ظ : طرفان .

(٤) في م : المقصور .

(٥) في ظ : إلى ما يتقى .

قال الحرالي : ولما كانت أسباب النجاة للراء بأحد ثلاث^١ : إما شفاعته من فوقه ' في العلم ' و ٣ الفضل ، وإما نصرة من فوقه في الأيد والقوة ، وإما فكاك من يده لنفسه إذ مَنْ هو مثله لا يغنى وأخرى من هو دونه ؛ استوفى الخطاب جميع الوجوه الثلاثة ليسد على ذى النفس المستمسك ه بنفاسه جميع الوجوه الثلاثة من الشفاعته و الفدية و النصرة - انتهى .

ولما تقدم أنه فضلهم وعاهدهم و^٢ أن وفاءه ° بعهدهم مشروط بوفائهم بعهد ناسب تقديم الشفاعته^٣ و يأتي إن شاء الله تعالى في الآية

(١) زيد في م : ثلاث - مكررا .

(٢-٣) في ظ : بالعلم .

(٣) في ظ : او .

(٤) ليس في م .

(٥) في م : وفا .

(٦) قال أبو حيان : و ترتيب هذه الجمل في غاية الفصاحة وهي على حسب الواقع في الدنيا ، لأن المأخوذ بحق إما أن يؤدي عنه الحق فيخلص أو لا يقضى عنه فيشفع فيه أو لا يشفع فيه فيفدى أو لا يفدى فيتعاون بالإخوان على تخليصه ، فهذه مراتب يتاوب بعضها بعضا ؛ فلهذا والله أعلم جاءت مرتبة في الذكر هكذا ، ولما كان الأمر مختلفا عند الناس في الشفاعته و الفدية فن يغلب عليه حب الرئاسة قدم الشفاعته على الفدية ، و من يغلب عليه حب المال قدم الفدية على الشفاعته جاءت هذه الجمل هنا مقدما فيها الشفاعته ، و جاءت الفدية مقدمة على الشفاعته في جملة أخرى ليدل ذلك على اختلاف الأمرين ، وبدئنا هنا بالشفاعة : لأن ذلك أليق بعلو النفس ، و جاء هنا بلفظ القبول وهناك بلفظ النفع إشارة إلى انتفاء أصل الشيء وانتفاء ما يترتب عليه . وبدئنا هنا بالقبول لأنه أصل الشيء المترتب =

الثانية ما يتم به البيان ، ولما وصف ذلك اليوم بأنه لا ينفع^١ فيه حيلة
لذى ملكة المتردى^٢ بالكبرياء المتجلل بالعظمة ذكرهم بما أنعم عليهم
من إنجائهم لهم بموسى و هارون عليهما السلام حيث شفعا عند الملك
الذى كان استعبدهم وسامهم سوء العذاب ، فلما لم يشفعهما فيهم قاهرهم
فاتصرا عليه بأيديهم واستنقذاهم^٣ منه بسطوة معبودهم . وقال هـ
الحرالى : ولما استوفى خطاب النداء لهم وجهى التذكير بأصل فضيلة
النفس الباطنة بالوفاء وغرض النفس الظاهر فى النعمة والرئاسة جاء
ما بعد ذلك من تفاصيل النعم عطفًا من غير تحديد نداء إلى منتهى خاتمة
الخطاب معهم حيث ثنى لهم^٤ الخطاب الأدنى بالتذكير بالنعمة ختمًا لمتسق
خطابه بما تضمنه تذكيرهم بتكرار قوله : وإذ وإذ ، واحدة بعد أخرى ١٠
إلى جملة منها ، ولما ذكرهم بالنعمة الظاهرة فانتبه من تداركته الهداية^٥
وتمادى من استحق العقوبة ذكر^٦ أهل الاستحقاق بما عوقبوا به بما يستلزمه
= عليه فأعطى المتقدم ذكر المتقدم وجودا ، وآخر هناك النفع إعطاء للتأخر
ذكر المتأخر وجودا - انتهى كلامه .

(١) فى مد : تنفع .

(٢) وفى م : المتردى .

(٣) من م وظ ، وفى الأصل و مد : فاستنقذاهم - كذا بالبدال المهمة .

(٤) زيد فى م و مد وظ : هذا .

(٥) وفى ظ : العناية .

(٦) فى م : ذكره .

معنى النجاة وبما فسرہ مما أخذوا به على ذنوب تشاكل ما هم عليه في معاندتهم القرآن، فحين لم ينفع فيهم التذكيران بالعهد والنعمة هددوا بتقريرهم على مواقع ما أصيبوا به^١ من البلاء من عدوهم لما اقترفوه / من ذنوبهم^٢ ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينت فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا^٣، فكان في تكذيبهم بالرسالة الاولى وشكهم ما أصابهم من العقوبة من آل فرعون، حتى أنقذهم الله بموسى عليه السلام فقال تعالى: «واذ، أى واذكروا^٤ إذ «نجيكم»، وهو من التنجية وهى تكرار النجاة، والنجاة معناه رفع على النجوة وهو المرتفع من الأرض الذى هو مخلص مما ١٠ ينال من فى الوهاد وخبت^٥ الأرض من هلاك بسيل ماء ونحوه» من

(١) ليس فى ظ .

(٢) سورة ٤٠ آية ٣٤ .

(٣) قال المأثمى: «و» اذكروا من جملة تلك النعم «اذنجيكم» أى وقت إنجائنا إياكم «من» أشد عذاب و«ال» أى أهل «فرعون» هو لقب من ملك العالقة ككسرى وقىصر والنجاشى لمن ملك الفرس . و قال البيضاوى: تفصيل لما أجمله فى قوله «اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم» وعطف على «نعمتى» عطف جبرئيل وميكائيل على الملائكة؛ وأصل آل أهل لأن تصغيره أهيل، وخص بالإضافة إلى أولى الخطر كالأنبياء والملوك؛ ولعنوهم اشتق منه: تفرعن الرجل، إذا عتا .

(٤) فى م: خبت .

ال، آل الرجل من ^٢ تبدو فيهم أحواله وأعماله وأفعاله حتى كأنهم هو في غيبه ^٣ من معنى الآل الذي هو السراب الذي يظهر فيه ما بعد ويتراعى ما لم يكن يرى لولاه، «فرعون» اسم ملك مصر في الجاهلية، علم جنس للوكها بمنزلة أسماء الأجناس في ^٤ الحيوان وغيره - انتهى .

[و المراد بالآل فرعون وأتباعه ^٥ فإن الآل يطلق على الشخص نفسه و على أهله وأتباعه وأوليائه - قاله في القاموس ؛ قال : ولا يستعمل إلا فيما فيه شرف غالباً - ^٦] ثم بين ما أنجاهم منه بقوله «يسومونكم سوء

(١) في مد : اى .

(٢-٢) من مد وظ وم ، غير أن فيها : تدوا - كذا ؛ وفي الأصل : تبدوونهم .

(٣) في مد : من .

(٤) قال أبو حيان : وآل فرعون هنا أهل مصر - قاله مقاتل ، أو أهل بيته خاصة - قاله أبو عبيد ، أو أتباعه على ذنبه - قاله الزجاج ، ومنه «واغرقنا آل فرعون» وهم أتباعه على ذنبه . قال السهيلي : فرعون اسم لكل من ملك القبط ومصر واسمه الوليد بن مصعب ، السوم بمعنى التكليف أو الإبلاء - وذكر فيه أقوال المفسرين ؛ وسوء العذاب الأعمال القذرة - قاله السدي ، أو الحرث والزراعة والبناء وغير ذلك - قاله بعضهم . «يذبحون» قراءة الجمهور بالتشديد وهو أولى لظهور تكرار الفعل باعتبار متعلقاته ، وفي سبب الذبح والاستحياء أقوال وحكايات مختلفة الله أعلم بصحتها ومعظمها يدل على خوف فرعون من ذهاب ملكه على يد مولود من بني إسرائيل .

(٥) في م : الأول - كذا .

(٦) العبارة المحجوزة زيدت من م ومد ، وليست في ظ ، وفي الأصل بالهامش

ولا تنضح .

العذاب ، سماه بذلك لأنه أشد البلاء على النفس لما فيه من استحقارها ،
من السوم وهو تعذيب بتهاون بالمعذب ، و السوم ما يشتد ، تنكر النفس له
وتكرهها ؛ ثم فسر هذا بقوله « يذبحون » من التذبيح وهو تكرار الذبح ،
والذبح قطع بالغ في العنق - قاله الحرالي .

٥ ' ولما كان كل من ذبح الابن و حياة المرأة بغير رجل أخش وكانت
البت اذا بقيت صارت امرأة عبر بالأبناء و النساء فقال « ابناءكم » أى
سوقا لكم مساق البهائم « ويستحيون »^٢ قال الحرالي : من الاستحياء
وهو استبقاء الحياة « نساءكم » من معنى الاتخاذ للتأهل للملابس فى معنى
ما جرى منه اشتقاق الإنس و الإنسان و النسوة باشتراكها^٣ فى أحد
١٠ الحروف الثلاثة من الهمزة أو الواو أو الياء مع اجتماعها^٤ فى النون والسين -
انتهى . ثم نبههم على ما فيه من العظم بقوله و « فى ذلكم »^٥ فأشار

(١) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى ظ .

(٢) معنى « يستحيون » يتركون بناتكم أحياء للخدمة أو يقتشون أرحام نساءكم ،
و قد قيل إن الاستحياء هنا من الحياء الذى هو ضد القحة و معناه أنهم يأتون
النساء من الأعمال بما يلحقهم منه الحياء - البحر المحيط ١ / ١٩٤ .

(٣) فى ظ : باشتراكها .

(٤) فى ظ : اجتماعها .

(٥) هو إشارة إلى ذبح الأبناء واستحياء النساء ، والمراد بالبلاء الشدة و المكروه ،
و قيل يعود إلى معنى الجملة من قوله « يسومونكم » مع ما بعده فيكون معنى
البلاء ما تقدم ، و قيل يعود على التنجية و هو المصدر المفهوم من قوله « نجينكم »
فيكون البلاء هنا النعمة و يكون « ذلكم » قد أشير به إلى أبعد مذكور ، =

بأداة البعد مقرونة بالميم «بلاء» أى اختبار «من ربكم» أى المحسن إليكم فى حال الشدة والرخاء «عظيم» قال الحرالى : البلاء الاختبار وهو إبداء خبرة الشئ بشدة وحنه، وفيه إشعار باستحقاقهم ذلك واستصلاحهم بشدته دون ما هو أسر منه، وذكره بالعظم لشياعه فى الأجسام والآنفس والأرواح، وذكر معنى النجاة ثم فصله تفصيلا .
 لكيفيته بعد ذلك تعدادا لنعمة النجاة التى هى تلورحة الإنعام التى هى ' تلورفة التقدم بالعهد؛ فاتتهى الخطاب نهايته فى المعنى يعنى فلما ' قرهم تعالى على ما اقترفوه قبل موسى عليه السلام حين أصابهم من آل فرعون ما أصابهم استجد لهم تذكيرا بنعمة نجاته من عقوبة متقدم أعمالهم - انتهى .

١٠

٢ ولما كان ما فعل بهم فى البحر إهلاكا للرجال وإبقاء للنساء
 = «من ربكم عظيم» دليل على أن الخير والشر من الله تعالى بمعنى أنه خالقهما،
 ووصفه بعظيم ظاهر، وكونه عظيما هو بالنسبة للخاطب والسامع لا بالنسبة إلى الله لأنه يستحيل عليه اتصافه بالاستعظام .
 (١) فى ظ : هو .

(٢) قال القشبرى من صبر فى الله على بلاء الله عوضه الله صحبة أوليائه . هؤلاء بنو إسرائيل صبروا على مقاساة الضر من فرعون وقومه فجعل منهم أنبياء وجعل منهم ملوكا وأتاهم ما لم يؤت احدا من العالمين - انتهى . ولم تزل النعم تمحو آثار النقم - من البحر المحيط ١/ ١٩٤ .

(٣) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى ظ .

طبق ما فعلوا بنى إسرائيل عقبه به فقال « واذ ، أى واذكروا إذ » فرقنا ،
 من الفرق وهو إفراج الواحد لحكمة إظهار التقابل - قاله الحرالى .
 'فصارت لكم مسالك على عدد أسباطكم' « بكم » أى بسبيكم عقب إخراجنا لكم
 من أسر القبط « البحر » . قال الحرالى : هو المتسع الرحب البراح ، مما
 هو ظاهر كالماء ، و مما هو باطن كالعلم الذى منه الخبر ، تشاركا بحروف
 الاشتقاق فى المعنى . « فأنجينكم » من الإنجاء وهو الإسراع فى الرفة
 عن الهلاك إلى نجوة الفوز - انتهى . ومن عجائب ذلك أنه كما كان
 الإنجاء منه كان به . قال الحرالى : وجعل البحر مفروقاً بهم كأنهم

(١) فلقدناه وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت فيه مسالك اسلوكم فيه أو بسبب
 إنجائكم أو ماتبساً بكم كقوله شعر :

تدوس بنا الجاحم والتربيا

و قرئ فرقنا على بناء التكثير لأن المسالك كانت اثني عشر بعدد الأسباط -
 تفسير البيضاوى ص ٤٤ . وقال المهاشمي « و » اذكروا المعرفة عظم نعمة التنجية حتى
 أفردت بالذكر بعد التعميم « و اذ فرقنا » أى فصلنا « بكم » أى بسبب وصولكم .
 (٢-٢) ليست فى ظ .

(٣) البراح المتسع من الأرض لا زرع بها ولا شجر ، أو الأرض التى لا بناء فيها
 ولا عمران - قطر المحيط ٨٨/١ . وقال أبو حيان : البحر مكان مطمئن من
 الأرض يجمع المياه ، وأصله قيل الشق ، وقيل السعة ، فمن الأول البحيرة
 وهى التى شقت أذنفا ، ومن الثانى البحيرة المدينة المتسعة ؛ البحر قيل بحر القلزم
 من بحار فارس وكان بين طرفيه أربعة فراسخ ، وقيل بحر من بحار مصر يقال
 له أساف ويعرف الآن ببحر القلزم ، قيل وهو الصحيح .

سبب فرقة ، فكان نجاتهم هي السبب و ضرب موسى ' عليه السلام ' بالعصاة ' هي الأمانة و العلامة التي انفلق البحر عندها بسبيهم ، و جعل النجاة من بلاء فرعون تنجية لما كان على تدريج ، و جعل النجاة من البحر إنجاء لما كان وحيًا في سرعة وقت - انتهى . و اغرقنا ال فرعون ، فيه و به ' و اتم تنظرون ' ، إسرعه إليهم في انطباقه عليهم ، و هذا مثل ٥ ما خاض العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه البحر الملح في ناحية البحرين أو انحسر له على اختلاف الروايتين ، و مثل ما قطع سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه الدجلة في وقائع الفرس عوما ٣ بالخيول بجميع عساكره و كانوا زيادة على ثلاثين ألفا لم يُقصد منهم أحد ، و كان الفرس إذا تعب و ثب فصار واقفا على ظهر الماء كأنه على صخر ، فاذا استراح عام ١٠ . قال الحرالي : ' و اغرقنا ، من الفرق و هو البلاغ في الشيء إلى غايته بحسه ، فان كان في الهلاك فهو غاية و ظهر معناه في الماء و البحر لبعده قعره ، و هو في الماء بمنزلة الخسف في الأرض ؛ و النظر التحديق للصورة من غير تحقق و لا بصر - انتهى . فذكرهم سبجانه بنعمة الإنجاء منه

(١-١) زيد من م .

(٢) العصاة : العصا ، عراقية - قطر المحيط ١٣٧٨ ؛ وفي ظ : العصا ، وفي م : العصي .

(٣) في م : غوصا .

(٤) في م : الفارس .

(٥) في ظ : و تب - كذا .

(٦) قال أبو حيان : و ناسب نجاتهم من فرعون بالقائهم في البحر و خروجهم =

بالرحيل عنه أولا ، ثم باغراقه الذى هو أكبر من ذلك ثانيا بما كان
 بعينه سبب سلامتهم واستمر يذكرهم بما تابع لهم من النعم حيث كانوا
 يستحقون النقم . قال الحرالى : وقررهم على نظرهم إليهم ، وفيه إشعار بفقد
 بصرهم لضعف بصائرهم من حيث لم يقل : وأتم تبصرون ، ولذلك عادوا
 بعدها إلى أمثال ما كانوا فيه من الشك والإباء على أنبيائهم بعد ذلك - انتهى .
 و لما كان ' فرق البحر للبقاء البدنى و كان إزال الكتاب للبقاء
 الدينى عقبه به و كان الطبع السليم و المزاج المستقيم يقتضى إحسان العمل

= منه سالمين نجاة نبيهم موسى على نبينا وعليه السلام من الذبح بالقائه وهو طفل
 في البحر و خروجه منه سالما ، و لكل أمة نصيب من نبيها ، و ناسب هلاك
 فرعون و قومه بالغرق هلاك بنى إسرائيل على أيديهم بالذبح ، لأن الذبح فيه
 تعجيل الموت بانهار الدم ، والغرق فيه إبطاء الموت و لادم خارج ، و كان ما به
 الحياة « وجعلنا من الماء كل شىء حى » سببا لإعدامهم من الوجود ، و لما كان الفرق
 من أعسر الموتات و أعظمها شدة جعله الله تعالى نكالا لمن ادعى الربوبية فقال
 « انا ربكم الاعلى » اذ على قدر الذنب يكون العقاب ، و يناسب دعوى الربوبية
 و الاعتلاء انحطاط المدعى و تعييبه في قعر الماء ؛ « و انتم تنظرون » جملة حاله ،
 و هو من النظر بمعنى الإبصار ، و المعنى و الله أعلم أن هذه الخوارق العظيمة
 من فرق البحر بكم و إنجائكم من الغرق و من أعدائكم و إهلاك أعدائكم بالغرق
 وقع و أنتم تعانون ذلك و تشاهدونه و لم يصل ذلك إليكم بنقل بل بالمشاهدة التى
 توجب العلم الضرورى بأن ذلك خارق من عند الله تعالى على يد النبى الذى جاءكم -
 و التفصيل في البحر المحيط ١٩٨/١ .

(١) العبارة من هنا إلى « عقبه به » ليست في ظ

٧٢ /

زمن^١ المواعدة واستعطاف المواعد والترفق له و التملق^٢ بما تحقق الرجاء
 في إنجاز/ وعده لا سيما بعد بليغ إحسانه بالإنجاء من العدو وإهلاكه نعى
 عليهم عملهم بخلاف ذلك بقوله^٣ « واذ^٤ » و^٥ قال الحرالي: لما ذكرهم
 تعالى بأمر الوفاء بالعهد الذى هو خاتمة أمرهم وبالتفضيل الذى كان بادية
 أمرهم نظم ذلك بالأمر المتوسط بين الطرفين الذى أعلاه مواعدة موسى^٥
 عليه السلام^٥ ربه الذى النعمة عليه نعمة عليهم فقال: « واذ^٦ وعدنا^٦ من

(١) في م : من .

(٢) في ظ : القلق .

(٣) قال البيضاوى: « واعلم أن هذه الواقعة من أعظم ما أنعم الله به على نبي إسرائيل
 ومن الآيات الملقحة إلى العلم بوجود الصانع الحكيم وتصديق موسى عليه السلام ،
 ثم إنهم اتخذوا العجل وقالوا « لن تؤمن لك حتى نرى الله جهرة » ونحو ذلك ،
 فهم بمعزل في الفطنة والذكاء وسلامة النفس وحسن الاتباع عن أمة محمد صلى الله
 عليه وسلم فانهم اتبعوا مع أن ما تواتر من معجزاته أمور نظرية دقيقة يدركها
 الأذكىاء وإخباره عليه السلام عنها من جملة معجزاته على ما مر تقريره .

(٤) ليس في م .

(٥ - ٥) زيد من م .

(٦) لما عادوا إلى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله تعالى موسى أن يعطيه التوراة
 وضرب له ميقانا ذا القعدة وعشر ذى الحجة وعبر عنها باليالى لأنها غرر الشهور -
 انتهى . وقال أبو حيان: قرأ الجمهور « وعدنا » وقرأ أبو عمر « وعدنا » بغير
 ألف هنا وفي الأعراف وطه ، ويحتمل وعدنا أن يكون بمعنى وعدنا ويكون
 صدر من واحد ، ويحتمل أن يكون من اثنين على أصل المفاعلة ، فيكون الله
 قد وعد موسى الوسى ويكون موسى وعد الله المجيء لليقات ، أو يكون الوعد =

الوعد وهو الترجية بالخير ، و وعدنا من المواعدة وهي التقدم في اللقاء
والاجتماع والمفاوضة ونحوه « موسى » كلمة معربة من لفظ العبراني بما
تفسيره فيما يقال ماء و شجر ، سمي ' به لما أودع فيه من التابوت المقدوف في
اليم « أربعين ليلة » هي كمال وقت الليل و الليل وقت انطماش المدركات
الظاهرة - انتهى . ' و خص الليل ٣ بالذكر إشارة إلى أن ألد المناجاة فيه
و إلى أنه لا نوم في تلك المدة بل المناجاة عامة لليلها و نهارها ، وانتصب
أربعين بوقوعه موقع المفعول الثاني لوعدنا أي انقضاء أربعين أي الكلام
أو إنزال التوراة عند انقضاء الأربعين ؛ وهي ذو القعدة و عشر من ذي الحجة
وقيل ذو الحجة و عشر من المحرم . قال الحرالي : وفيه إشعار بأن
١٠ المناجاة إنما يتبها لها لميقات حبس النفس عما به قوامها و كمال ذلك إنما

= من الله و قبوله كان من موسى و قبول الوعد يشبه الوعد .

(١) اسم أعجمي لا ينصرف للعجمة والعلمية ، يقال هو مركب من مو وهو
الماء وشا وهو الشجر ، فلما عرب أبدلوا شينه سينا ، وإذا كان أعجميا فلا يدخله
اشتقاق عربي ؛ هو موسى بن عمران بن بصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب
ابن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن - البحر المحيط .

(٢) العبارة من هنا إلى « ونهارها » ليست في ظ .

(٣) وكان تفسير الأربعين بليلة دون يوم لأن أول الشهر ليلة الهلال ولهذا
أرخ بالليالي ، و اعتماد العرب على الأهلة فصارت الأيام تبعا لليالي ، أو لأن الظلمة
أقدم من الضوء بدليل « وإية لهم الليل نسلخ منه النهار » البحر المحيط ٢٠٠/١ .

(٤) العبارة من هنا إلى « المحرم » ليست في ظ .

هو الصوم و كمال العدد الذى هو طور ' مصير من حال إلى حال هو
 الأربعون ، و ذكر الميقات بالليالى يشعر أن مناجاته صباح من ' ظلة الكون
 في حال خصوص الحلقة من حيث أن الظلة آية على فوت مرام نور الحق
 و النهار آية على ظهور نور الحق و أول بادٍ بدأ من الحق للخلق كلامه
 لمصطفى من خلقه بغير واسطة و هو بعد في دنياه و في أرضه التى كانت هـ
 سجنا ، فلما جاءها الحق لعبد من عبيده ٣ مناجيا له كما يأتيها يوم الجزاء
 بعد البعث صارت موطن رحمة و هدى و نور و هو يحى الله سبحانه من
 سيناء المذكور في الكتاب الأول - انتهى . و هذا دون قصة المعراج
 التى كانت لنبينا صلى الله عليه و سلم في اختراق السماوات العلى إلى سدة
 المنتهى إلى ما لا يعلمه إلا الله تعالى و سمع الكلام من غير واسطة و رجع ١٠
 إلى بيته في ليله و قد قطع من المسافات ما مسيره خمسون ألف سنة
 كما سأيننه إن شاء الله تعالى في سورة السجدة .

ولما كانت الأتقى الآية و المهم العلية تقتضى النفرة من الظالم
 و الاتقة من كل ما ينسب إليه و يذكر به و كانوا قد اتخذوا من آثار
 آل فرعون من حلهم ما دخلوا في رقة و عبوديته و كانت مشاهدتهم ١٥
 لما رأوا من الآيات مقتضية لغاية البعد من الكفر عبر عن مواقفهم له

(١) في ظ : ظهور .

(٢) في ظ : به .

(٣) في ظ : عباده .

(٤) في ظ : الظالم .

ثم فقال: ثم اتخذتم، قال الحزالي: من الاتخاذ وهو ائتمال بما منه
 المواخذة كأنه الوخذ، وهو تصيير في المعنى نحو الاخذ في الحس، وفيه
 تكلف؛ والعجل، وذكر في هذا التقرير أصل المواعدة وذكر الميقات
 وتجاوز الخطاب ما بعد ذلك 'من مهل' حسب ما تفهمه كلمة ثم، فاقضى
 ٥. إفهام ذلك ما نالوه من الخير ثم تعقبوا ذلك بالتزام عاداتهم في معاودة
 ما اعتادوه من أعمالهم إلى أدنى عمل من لا عقل له' ولا بقية نظر له
 من اتخاذ جسد عجل الها بعد معرفة آثار الإلهية على الغيب، فقيه تعجيب
 من أن موسى عليه السلام ٣ إنما واعده الله بالمناجاة بعد ميقات أربعين
 صوما ونسكا وتحنثا' وانقطاعا إلى ربه ثم يرونهم أنهم شهدوا الإله
 ١٠. مصورا محسوسا على أن موسى الذي ناجاه ربه منع الرؤية فكيف

(١ - ١) ليس في ظ .

(٢) ليس في م ومد وظ .

(٣ - ٣) زيد من م ومد .

(٤) في م: تحنثا .

(٥) في التفسير المظهرى : لما عادوا إلى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله موسى
 أن ينزل عليه التوراة فقال موسى : إني ذاهب إلى ربي ، و واعدتهم أربعين
 ليلة واستخلف هارون وجاء جبرئيل على فرس الحياة لا يصيب شيئا إلا أحياء
 ليذهب بموسى إلى ربه ، فلما رأى السامري موضع الفرس يخضر وكان رجلا
 صائغا من أهل باجرى وقيل من أهل كرمان وكان منافقا أظهر الإسلام وكان
 من قوم يعبدون البقر أخذ من تربة حافر فرس جبرئيل وكان بنو إسرائيل
 استعاروا حليا كثيرة من قوم فرعون حين أرادوا الخروج من مصر لعله =

بهم^١ و ذلك هو ظلمهم ، فوضعوا الإله محل الشيء المحسوس و هو تعالى
قد تعالى عن أن يراء صفيه الذى ناجاه فى دنياه و إنما ناجاه بعد ميقاته ،
و هم يهمون فى تأله مرئى من غير مواعدة و لا اختصاص ! و فى قوله تعالى
« من بعده » أى من بعد إتيانه لميعادنا^٢ إضممار لذكر^٣ موسى عليه السلام
تقريرا لما كان ينبغى أن يكونوا عليه من الارتقاب لما يأتهم به موسى^٤ .

= عرس لهم فأهلك الله فرعون و بقيت الحللى عندهم ، فلما فصل موسى قال السامرى :
إن الحللى التى استعرت من قوم فرعون غنيمة لا تحل لكم فاحفروا حفرة و ادفنوا
فيها حتى يرجع موسى فيرى فيها رأيه ، فأخذ السامرى و صاغها عجلا فى ثلاثة
أيام و أتى فيها القبضه التى أخذها من تراب حافر فرس جبرئيل ، فخرجت عجلا
مرصعا بالجواهر يخور خورة و يمشى ، فقال السامرى : هذا إلهكم و إله موسى
فنى ، و كان موسى وعد لهم ثلاثين ليلة ، ثم زيدت العشرة ، و فيها فتنهم
و أضلهم السامرى فعبدوا العجل - كذا روى الخطيب الشربيني و أشار
أبو حيان إلى هذه القصة .

(١) ليس فى م .

(٢) قال المهاشمى : أى من بعد خروج موسى الزاجر عن عبادة فرعون و الأوثان
« و انتم ظلمون » مثل ظلم آل فرعون بل أشد ، لأنه بعد الإيمان . و قال
أبو حيان : قيل بوضع العبادة فى غير موضعها ، و قيل بتعاطى أسباب هلاكها ،
و قيل برضاكم فعل السامرى فى اتخاذ العجل و لم تنكروا عليه . و قال : و من
أغرب ما ذهب إليه فى هذا العجل أنه سمي عجلا لأنهم عجلوا به قبل قدوم موسى
فاتخذوه إلهًا - قاله أبو العالية ، أو سمي هذا عجلا لقصر مدته - انتهى .

(٣) فى م : لذكرى .

(٤) زيد فى م : عليه السلام .

من فوائد المناجاة ، كما يكون من تعلق قلبه بمن هو قدوته ؛ والبعد
بعد عن حد يتخذ مبدأ ليكون سابقه قبل ولاحقه بعد ٣ - انتهى .
و إثبات الجار لأن اتخاذهم ذلك لم يستغرق زمان البعد ، و اتم ظلمون هـ ،
فاعلون فعل من هو في أظلم الظلام بعد أن جاءكم موسى بالنور المبين .
و لما كان ذلك مقتضيا لأعظم السخط المقتضى من القادر للعاجلة هـ
بالأخذ ذكرهم نعمة الإمهال بعده فقال مشيرا إلى عظم الذنب و النعمة
بأداة التراخي : « ثم عفونا » . و قال الحرالي : ثم تجاوز الخطاب ما
أصابهم من العقوبة على اتخاذهم إلى ذكر العفو^٧ تقريرا^٨ على تكرار

(١) في م : قدرته .

(٢) في ظ : تتخذ .

(٣) في م : بعده .

(٤-٤) ليست في ظ .

(٥) زيد في م : عليه السلام .

(٦) و قال أبو حيان : و قال قوم : لا يستعمل العفو بمعنى الصفح إلا في الذنب ،
فإن كان العفو هنا بمعنى الترك و التسهيل فيكون « عنكم » عام اللفظ خاص المعنى ،
لأن العفو إنما كان عمن بقى منهم ، و إن كان بمعنى المحو كان عاما لفظا و معنى ،
فانه تعالى تاب على من قتل و على من بقى ، قال تعالى : « فاقتلوا انفسكم ذلكم خير
لكم عند بارئكم فتاب عليكم » و روى أن الله أوحى إلى موسى بعد قتلهم أنفسهم
أنى قبلت توبتهم ، فمن قتل فهو شهيد ، و من لم يقتل فقد ثبت عليه و غفرت له .

(٧) العبارة من هنا إلى « باسم العفو » ليست في ظ .

(٨) في مد : تقريرا .

تلافيهم' حالا بعد حال وقتا بعد وقت ، كلما أحدثوا خطيئة تداركهم منه عفو، وخصه باسم العفو لما ذكر ذنوبهم، لأن المغفور له لا يذكر ذنبه ، فإن العفو رفع العقوبة دون رفع ذكرها ، والغفر إماتة ذكر الذنب مع رفع العقوبة - انتهى . « عنكم »^١ ولم نعالجكم بالأخذ، وفي قوله تعالى « من بعد ذلك » أى الذنب العظيم إشعار بما أصابهم من هـ العقوبة و خطاب لبقية المعفو عنهم، لينتهى الأمر فيهم إلى غاية يترجى معها لبقيتهم الشكر - قاله الحرالى ١٠ / ٣ وكان الإشعار من جهة إدخال 'من' على الظرفية^٢ ، فاقضى مهلة بين العفو و الذنب لم يشملها العفو بل كان فيها عقوبة، كما اقتضى قوله: من بعده، مهلة بين اتخاذهم العجل و أول ذهاب موسى عليه السلام للناجاة؛ و يجوز أن يكون أفرد حرف ١٠ الخطاب إشارة إلى أنه لا يعلم جميع ما فى دينهم من الشناعة إلا إمام أهل التوحيد النبى صلى الله عليه وسلم « لعلكم تشكرون »^٣ أى

(١) فى م ومد: تلافيهم .

(٢) زيد فى مد: أى .

(٣) العبارة من هنا إلى « النبى صلى الله عليه وسلم » ليست فى ظ .

(٤) فى م ومد: الظرف .

(٥) تثنون عليه تعالى بإسدائه نعمه إليكم و تظهرون النعمة بالثناء، وقالوا: الشكر باللسان وهو الحديث بنعمة المنعم و الثناء عليه بذلك، وبالقلب وهو اعتقاد حق المنعم على المنعم عليه ، وبالعمل « اعملوا آل داود شكرا »؛ ومعنى « لعلكم تشكرون » أى عفو الله عنكم، لأن العفو يقتضى الشكر - قاله الجمهور . وذكر أبو حيان أقوالا - إلى أن قال : قال القشيري: سرعة العفو عن عظيم =

ليكون ' حالكم حال من يتوقع منه الشكر .

قال الحرالي : وهو ظهور بركة الباطن على الظاهر ، يقال : دابة شكور ، إذا أنجح ماكلها بظهور سمها ؛ وفيه إشعار بأن منهم من يشكر وفيهم ' من يتماذى بما فى ترجى كلبة ' لعل ' من الإيهام المشعر بالقسمين • والمهيئ لإمكان ظهور الفريقين حتى يظهر ذلك لميقاته ، لأن كل ما كان فى حق الخلق ترددا فهو من الله سبحانه إيهام لمعلومه فيهم ؛ على ذلك تجرى كلبة لعل ' وعسى ' ونحوها - انتهى .

= الجرم دالة على حقارة العفو عنه ، يشهد لذلك « من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين » وهؤلاء بنو إسرائيل عبدوا العجل فقال تعالى « ثم عفونا عنكم من بعد ذلك » ، وقال لهذه الأمة : « ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » انتهى كلامه . و ناسب ترجى الشكر إثر ذلك العفو لأن العفو عن مثل هذه الزلة العظيمة التى هى اتخاذ العجل إلها هو من أعظم إسداء النعم ، فلذلك قال « لعلمكم تشكرون » البحر المحيط ١ / ٢٠٢ . وفى التفسير المظهرى : قال البغوى : حكى عن موسى قال : إلهى ! أنعمت علىّ النعم السوانغ وأمرتنى بالشكر وإنما شكرى إياك نعمة منك ، قال الله تعالى : يا موسى ! تعلمت العلم الذى لا يفوقه علم ، حسبي من عبدي أن يعلم أن ما به من نعمة فهو منى . وقال داود : سبحانه من جعل اعتراف العبد بالعجز عن شكره شكرا كما جعل اعترافه بالعجز عن معرفته معرفة - انتهى كلامه .

(١) فى م : لتكون .

(٢) فى م : منهم .

(٣-٣) ليس فى ظ .

ولما كان في ذلك دليل على سوء طباعهم وعكس مزاجهم وأنهم لا يحفظون عهدا ولا يستقيمون على نهج ذكرهم بنعمة الكتاب الذي من شأنه الضبط في جميع الأحوال بالرجوع إليه عند الضلال فقال . وقال الحرالي : لما ذكر تعالى أمر موسى عليه السلام وهو خاص أمرهم فصل لهم أمر ما جاء به موسى^١ وما كان منهم فيما جاء به - انتهى . فقال « واذ ه اتينا ، أى بما لنا من العظمة » موسى الكتب ، أى الكامل في نفسه الجامع لكم على طريق الحق .^٢ ولما كان الكتاب مع كونه جامعا لما أريد منه فارقا بين الملابس وصفه بقوله^٣ « والفرقان ، أى^٤ المبين للأشياء على ما هي عليه من غير أن يدع في شيء لبسا^٥ . قال الحرالي : فقررهم على أمرين من الكتاب الذي فيه أحكام الأعمال والفرقان الذي فيه أمر^{١٠} العلم وهما ملاك حال^٦ إقامة الدين بالعلم والعمل ؛ و «الفرقان» فُعلان

(١) في ظ : التى .

(٢) زيد في م ومد : عليه السلام .

(٣-٣) ليست في ظ .

(٤) ليس في ظ .

(٥) قال أبو حيان : «الكتب» هو التوراة بإجماع المفسرين ، و «الفرقان» هو التوراة ، ومعناه أنه آتاه جامعا بين كونه كتابا وفرقا بين الحق والباطل . وذكر في تفسير الفرقان اثنتي عشرة مقالة للمفسرين . وقال المهاشمي : «و» اذكروا « اذ اتينا الكتب » الجامع لقواعد الشرع ليقوم به الشاكرون « والفرقان » أى الفرق بين الحق والمبطل « لعلكم تهتدون » لا هو شكر الحق والمبطل - انتهى .

(٦) في ظ : حاله .

لفظ مبالغة يفهم استغراقا وامتلاء و عظما فيما استعمل فيه و 'هو في هذا اللفظ' من الفرق و هو إظهار ما ألبسته الحكمة الظاهرة 'للاعين بالتيان' لفرقان لبسه بما^٣ تسمعه الأذن، وجاء فيه بكلمة 'لعل' إشعارا^٤ بالإبهام في أمرهم و تفرقتهم بين مثبت لحكم الكتاب عامل به عالم بطية الفرقان ٥ خبير به و بين تارك لحكم الكتاب غافل عن علم الفرقان - انتهى . فقال تعالى 'اعلمكم تهتدون'، أى ليكون^٥ حالكم حال من ترجى^٦ هدايته فيغلب حله جهله و عقله شهوته ، و لهذا الختم تلاه بما هداهم به بما ألزمهم من

(١-١) في ظ : هو .

(٢-٢) في ظ : بالاعين للتيان .

(٣) في ظ : ما .

(٤) من م ومد، وفي الأصل وظ : اشعار .

(٥) في مد : لتكون .

(٦) ترجية لهدايتهم، تقرر في النجوانه إن كان متعلق لعل محبوبا كانت للترجى ، فان كان محذورا كانت للتوقع كقولك : لعل العدو يقدم، و الشكر و الهداية من المحبوبات ، فينبغى أن لا يعبر عن معنى لعل إلا بالترجى . قال القشيري : فرقان هذه الأمة الذى اختصوا به نور في قلوبهم يفرقون به بين الحق والباطل - استفت قلبك، اتقوا فراسة المؤمن، المؤمن ينظر بنور الله « ان تنقوا الله يجعل لكم فرقانا » و ذلك الفرقان ما قدموه من الإحسان - انتهى كلامه . و ناسب ترجى الهداية إثر ذكر إتيان موسى الكتاب والفرقان ، لأن الكتاب به تحصل الهداية « انا انزلنا التوراة فيها هدى و نور » « ذلك الكتاب لاريب فيه هدى » « واتيناه الانجيل فيه هدى و نور » من البحر المحيط لأبي حيان ٢٠٣/١ .

النقمة الزاجرة عن مثل ذلك من قتل الأنفس فقال^١: « واذ .
قال الحرالي : لما تكمل إقبال الخطاب عليهم مرات بما تقدم من
ندائهم و العطف على ما في صلته صرف الحق وجه الخطاب عنهم إلى ذكر
خطاب نبيه صلى الله عليه وسلم لهم ، فإن الله يخاطب العباد باسقاط
الواسطة بينه وبينهم ترفيعاً لأقذارهم لديه ، فيرفع من شاء فيجيبه بما شاء ، ه
و يوقف من شاء فيجعل بينه وبينه^٢ في الخطاب واسطة من نبيه ، فلما
قررهم بما مضى من التذكير^٣ على ما واجههم به الحق تعالى ذكر في هذه
الآية تقريرهم على ما خاطبهم به نبيهم^٤ حين أعرض الحق عن خطابهم

(١) ليس في ظ .

(٢) في م : بينهم .

(٣) قال أبو حيان الأندلسي : و جاء ترتيب هذه النعم متناسفا يأخذ بعضها بعنق
بعض ، وهو ترتيب زمانى و هو أحد الترتيبات الخمس التي مر ذكرها في هذا
الكتاب (البحر المحيط) ، لأن التفضيل أمر حكى فهو أول ، ثم وقعت النعم
بعده و هي أفعال يتلو بعضها بعضا ، فأولها الإنجاء من سوء العذاب ذبح الأبناء
و استحيااء النساء باخراج موسى إياهم من مصر بحيث لم يكن لفرعون و لا لقومه
عليهم تسليط بعد هذا الخروج و الإنجاء ، ثم فرق البحر بهم و إرائهم عيانا هذا
الخارق العظيم ، ثم وعد الله لموسى بمناجاته و ذهابه إلى ذلك ، ثم اتخذهم العجل
ثم العفوعتهم ، ثم إتياء موسى التوراة ؛ فانظر إلى حسن هذه الفصول التي انتظمت
انتظام الدر في أسلاكها و الزهر في أفلاكها ، كل فصل منها قد ختم بمناسبة
وارتقى في ذروة الفصاحة إلى أعلى مناصبه و اردا من الله على لسان محمد أمينه لسان
من لم يتل قبل كتابا و لا خطه يمينه - انتهى .

(٤) زيد في م : صلى الله عليه وسلم .

بما أصابوه من قبيح خطيئتهم - انتهى . فقال « واذ قال موسى لقومه »^١
العابد للعجل و الساكت عنه ، و القوم قال الحرالى اسم من لهم مته فى
القيام بما هم مذكورون به ، و لذلك يقابل بلفظ النساء^٢ لضعفهن فيما
يحاولنه ؛ و فيه تخويف لهذه الامة أن يصيبهم مثل ما أصابهم فى خطاب
٥ ربهم فيعرض عنهم - انتهى . « يقوم » و أكد لعراقتهم فى الجهل بعظيم
ما ارتكبوه و تهاونهم به لما أشربوا فى قلوبهم من الهوى فقال^٣ « انكم
ظلمتم انفسكم » ظلما يستحقون به العقوبة « باتخاذكم العجل » أى الها من
دون الله ، فجعلتم انفسكم متذلة لمن لا يملك لها شيئا و لمن هى أشرف
منه ، فأنزلتموها من رتبة عزها^٤ بخضوعها لمولاه الذى لا يذل من
١٠ والاه و لا يعز من عاداه إلى ذلها بخضوعها لمن هو دونكم أتم ، هذا
هو أسوأ الظلم ، فان المرء لا يصلح أن يتذلل و يتعبد لمثله فكيف

(١) قال المهازمى : « و » من تلك الهداية التوبة ، فهذه التوبة من شكر الحق ،
لأنه عرف قدر نعمتها حتى آثرها على الحياة الدنيا بقتل الأنفس حدا على اتخاذ
العجل ، فاذكروا « اذ قال موسى لقومه » من إفراط شفقتة عليهم : « يقوم »
إن من شفقتى عليكم أن أخلصكم من عقوبة ظلمكم « انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم
العجل » الذى هو أبعد من فرعون عن الإلهية .

(٢) بهامش الأصل : قوله و لذلك تقابل بلفظ النساء إشارة إلى قوله أن عرا
قوم الحصن أمر نساء .

(٣) ليس فى م و ظ .

(٤) زيد فى م : اليه .

لمن 'دونه من حيوان! فكيف بما يشبه بالحيوان من جماد الذهب الذي هو من المعادن وهو أخفض المواليد رتبة حين لم تبلغها حياتها أن تبدو فوق الأرض كالنبات من النجم والشجر و' لما فيه من الارتفاع بما يكون^٣ من الحب و الثمر الذي يُنتفع به غذاء و دواء و المعادن لا ينتفع بها إلا آلات و تقود^٤ منفعتها إخراجها لا إثباتها - "قاله الحرالي" . . . فتوبوا^٥ إلى بارتكم^٦ الذي فطركم من قبل أن تتخذوا العجل^٧ بريئين من العيب

(١) في م: بمن - كذا .

(٢) ليس في ظ .

(٣) زيد في ظ: فيه، وفي م: منه .

(٤) في م: تقود .

(٥ - هـ) ليست في ظ .

(٦) قال أبو حيان: ولما لم يكمل وصف هذه النعمة إلا بمقدمة ما تسببت عنه قدم ذكر ذلك، وهذا الخطاب هو محاورة موسى لقومه حين رجع من الميقات ووجدهم قد عبدوا العجل، واللام في قوله «لقومه» للتبليغ وإقبال موسى عليهم بالنداء، وندأؤه بلفظ «ينقوم» مشعر بالتحنن عليهم وأنه منهم وهم منه، ولذلك أضافهم إلى نفسه، فيكون ذلك سببا لقبول ما يلقي إليهم، بخلاف أن لو ناداه بالاسم أو بالوصف القبيح الصادر منهم، وفي ذلك أيضا هزلهم لقبولهم الأمر بالتوبة بعد تقييعهم بأنهم ظلموا أنفسهم وأي ظلم أعظم من اتخاذ إله غيره «ان الشرك لظلم عظيم» ونص على أنهم ظلموا أنفسهم بذلك لأنه أفحش الظلم، لأن نفس الإنسان أحب شيء إليه فاذا ظلمها كان أفحش من أن يظلم غيره . ولما كان السامري قد عمل لهم من حايهم عجلا قيل لهم: توبوا إلى بارتكم أي منشكم ووجدكم من العدم إذ موجد الأعيان هو الموجد حقيقة، وأما عمل =

مع إحكام الخلق' على الأشكال المختلفة . وقال الحرالي : البارئ اسم قائم بمعنى البرء و هو إصلاح' المواد للتصوير ، كالذى يقطع الجلد و الثوب ليجمعه خفا و قيصا ، و كالذى يطحن القمح و يعجن الطين ليجمعه خبرا و فخارا' و - نحو ذلك ، و معناه التدقيق للشئ بحسب التهيؤ لصورته - انتهى .

و لما كانت توبتهم بقتل أقاربهم و إن / كانوا آباء أو أبناء عبر عنهم بالنفس لذلك و إشارة إلى خبث ما ارتكبوا ° فقال « فاقتلوا انفسكم » أى التى أوجدها فتادتكم إلى غيره . قال الحرالي : و القتل' فصل الحيوان قبل انتهاء قوته بمنزلة فصل الزرع قبل استحصاده - انتهى . و لما كان

٧٤ / ٥

= العجل و اتخاذه فليس فيه إبراز الذوات من العدم ، إنما ذلك تأليف تركيبى لا خلق أعيان ، فنبهوا بلفظ البارئ على الصانع أى الذى أوجدكم هو المستحق للعبادة لا الذى صنعه مصنوع مثله فلذلك و الله أعلم كان ذكر البارئ هنا (٧) العبارة من هنا إلى « المختلفة و » ليست فى ظ .

(١) ليس فى م .

(٢) فى م : اصطلاح .

(٣) فى م : لعله ، و بهامشه بعلامة النسخة : ليجمعه .

(٤) فى ظ : فخارة ، و فى م : فخا - كذا .

(٥) فى م : ارتكبوه .

(٦) قال أبو حيان الأندلسي : القتل إزهاق الروح بفعل أحد من طعن أو ضرب أو ذبح أو خنق أو ما شابه ذلك ، و أما إذا كان من غير فعل فهو موت و هلاك . « خير » هى أفضل التفضيل حذفت همزتها شذوذا فى الكلام فنقص بناؤها فانصرفت . قال المصائمي : « فتوبوا الى بارئكم » الذى خلقكم برآء من الشرك والمعاصي و يرجي تبرئكم عن هذا الظلم الذى لا يسمعى هيئته عن قلوبكم لإفراط =

ما أمرهم به أمرا لا يكاد يسمح به عظم الرغبة فيه بقوله « ذلكم ، أى
الامر العظيم ' وهو القتل ' ، خير لكم ، والخير قال الحرالى ما يصلح
فى الاختيار من محسوس الأشياء وما هو الأصلح وما هو الأخير ، وربما
استعملت منه خيراً محدوقه فيقال : هو خير فى نفسه ، أى مما يختار ، ويقال :
هذا ' خير من هذا ، أى أخير منه أى أصلح فى الاختيار ، وكذلك لفظ هـ
شر فى مقابله وهما مشعران بمتوسط من الأشياء لا يختار لأجل زيادة
صلاح ولا يطرح لأجل أذى ولا مضرة . وعند . كلمة تفهم اختصاص
ما أضيفت إليه بوجه ما عام ٢ وأخص منه لدن ، فلدن خاصتها وعند
عامتها ، كالذى يملك الشيء فهو عنده وإن لم يكن فى حضرته - انتهى .

= حِكْمُ إِيَّاهُ « فَاغْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ » لَأَنَّهُ وَإِنْ كَانَ شَرًّا عِنْدَ أَنْفُسِكُمْ لَكِنْ « ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ »
إِذْ يَبْرِئُكُمْ عَنْ جُرَيْمَتِهِ الَّتِي تَخْلُدُكُمْ فِي النَّارِ فَفَعَلْتُمْ « فَتَابَ عَلَيْكُمْ » أَيْ قَبْلَ تَوْبَتِكُمْ
وَإِنْ كَانَتْ جُرَيْمَتُكُمْ أَعْظَمَ لِكُفْرِكُمْ بَعْدَ الْإِيمَانِ . قَالَ الْبَيْضاوِيُّ : « فَاغْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ »
تَمَامًا لِتَوْبَتِكُمْ بِالْبَخْعِ أَوْ قَطْعِ الشَّهَوَاتِ كَمَا قِيلَ : مَنْ لَمْ يَعْذِبْ نَفْسَهُ لَمْ يَنْعَمْهَا
وَمَنْ لَمْ يَقْتُلْهَا لَمْ يَحْيِهَا ، « ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ » مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ طَهَّرَهُ مِنَ الشَّرِّ وَوَصَلَهُ
إِلَى الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ وَالْبَهْجَةِ السَّرْمَدِيَّةِ « عِنْدَ بَارئِكُمْ » ذَكَرَ الْبَارئُ وَتَرْتِيبُ الْأَمْرِ
عَلَيْهِ إِشْعَارٌ بِأَنَّهُمْ بَلَّغُوا غَايَةَ الْجَهَالَةِ وَالْعِبَاوَةِ حَتَّى تَرَكَوْا عِبَادَةَ خَالِقِهِمُ الْحَكِيمِ
إِلَى عِبَادَةِ الْبَقَرَةِ الَّتِي هِيَ مِثْلُ فِي الْعِبَاوَةِ وَأَنْ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ حَقَّ مَنَعِهِ حَقِيقَ
بِأَن يَسْتَرِدَّ مِنْهُ ، وَلِذَلِكَ أَمَرُوا بِالْقَتْلِ وَفَكَ التَّرْكِيْبُ - انْتَهَى .

(١-١) ليست فى ظ .

(٢) زيد فى م : امر .

(٣) زيد فى م : او خاص .

« بارئكم ، أى القادر على إعدامكم كما قدر على إيجادكم ، وفى التعبير بالبارئ ترغيب لهم فى طاعته بالتذكير بالإحسان و ترهيب بإيقاع الهوان .
 ولما كان التقدير ففعلتم التوبة المأمور بها بأن قتل بعضهم بعضاً »
 بتوفيقه لكم سبحانه مع ما فيه من عظم المشقة عطف عليه قوله « فتاب عليكم ، أى مع عظم جرمكم ، ولو لا توبته عليكم ما تبتم ؛ ثم علل ذلك بقوله « انه ، أى لأنه » هو التواب الرحيم ، أى ما زال هذا صفة له لا لاستحقاق منكم عليه ٣ قال الحرالى : وفى إظهار هو مفصلة من ضمير

(١) فنلخص فى قوله « فاقتلوا » ثلاثة أقوال : الأول الأمر بقتل أنفسهم ، الثانى الاستسلام للقتل ، والثالث التذليل للأهواء ؛ و الأول هو الظاهر ، وهو الذى نقله أكثر الناس ، وظاهر الكلام أنهم هم المأمورون بقتل أنفسهم فقبل وقع القتل هكذا قتلوا أنفسهم بأيديهم ، وقيل قتل بعضهم بعضاً من غير تعيين قاتل ولا مقتول ، وقيل القاتلون هم الذين اعتزلوا مع هارون والمقتولون عباد العجل . وفى ذلك من الانتعاض والاعتبار ما يوجب مبادرة الازدجار عن مخالفة الملك القهار ؛ وانظر إلى لطف الله بهذه الملة المحمدية إذ جعل توبتها فى الإنقاذ عن الذنب والندم عليه والعزم على عدم المعاودة إليه . « عند بارئكم » والعندية هنا مجاز إذ هى ظرف مكان ، وكرر البارئ باللفظ الظاهر توكيداً وتنبيهاً على أن هذا الفعل هو راجع عند الذى أنشأكم فكما رأى أن إنشاءكم راجع رأى أن إعدامكم بهذا الطريق من القتل راجع فينبغى التسليم له فى كل حال وتلقى ما يرد من قبله بالقبول والامتثال - البحر المحيط ١ / ٢٠٩ .

(٢) من م ومد ، وفى الأصل وظ : عظيم .

(٣) قال المصنف : « انه هو التواب » أى البالغ فى قبول التوبة حتى أنه قبلها على عمل أهلكت بما دونه آل فرعون ، وإنما تاب عليكم لأنه « الرحيم » إذ رحم =

وصلها إثبات معنى الرحمة لله ثبنا لا يتبدل ولا يتغير إلا أنه من وراء
 غيب ما شاء الله من أدب و امتحان و عقاب ، فذلك ختمه باسمه الرحيم ،
 لأن الختم أبدى إظهار للمعنى الاخفى من مضمون ما فيه الختم - انتهى .
 ولما استنبوا عن عبادة العجل^١ التي تقيدوا فيها بالمحسوس الذي
 هو مثل في الغباوة طلبوا رؤية بارئهم^٢ بالحس على ماله من صفات الكمال ه
 التي تأتي الابتذال^٣ ناسين^٤ الجميع^٥ النعم و النقم مسرعين في الكفر الذي
 هو من شأن الحائر و الحال أن الفرقان الذي لا يدع شبهة ولا يبق
 حيرة قائم بين أيديهم ، لأنهم من الجود و الوقوف مع الوهم و الحس
 بمكان عظيم ، فذكرهم سبحانه ذلك^٦ مسلما للنبي صلى الله عليه وسلم
 في إياهم للايمان به بما فعلوا مع موسى عليه السلام و هو أحدهم ١٠

= على تعذيب ساعة بكرامة الأبد، وهذه من الهداية القارة بين الحق و المبتطل
 قد أخذ بها قدمائكم و أنتم لا تسمحون بمجرد القول ولا بالأعمال السمحة
 من هذه الشريعة مع وفور فضائلها .

(١) العبارة من هنا إلى « في الغباوة » ليست في ظ .

(٢) العبارة من هنا إلى « الابتذال » ليست في ظ .

(٣) في م : الاستبدال .

(٤) في م : ناشئين .

(٥) في م و مد و ظ : جميع .

(٦) العبارة من هنا إلى « أحدهم » ليست في ظ .

فقال « واذ قلتم ، أى ' بعد ما رأيتم من الآيات و شاهدتم من الأمور
البنات ' يُموسى ، فدعوتموه باسمه جفاء و غلظة كما يدعو بعضكم بعضا
و لم تخصوه بما يدل على تعظيمه لما رأيتم من إكرام الله له ' و إكرامكم
على يده ' لن ، و هى كلمة تفهم نفي معنى باطن كأنها ' لا أن ' ، يُسر
بالتخفيف لفظها - قاله الحرالى . « تؤمن لك ، أى لأجل قولك ' . قال

(١) هذه محاوره بنى إسرائيل لموسى و ذلك بعد محاورته لهم فى الآية قبل هذا ،
و الضمير فى « قلتم » قيل للسبعين المختارين - قاله ابن مسعود و قتادة ، و قيل
الضمير لساثر بنى إسرائيل إلا من عصمه الله - قاله ابن دريد ، و قيل الذين
انفردوا مع هارون و لم يعبدوا العجل ؛ و فى نداء بنى إسرائيل لنيهم باسمه
سوء أدب منهم معه ، إذ لم يقولوا : يا نبي الله ! أو يا رسول الله ! أو يا كلم الله !
أو غير ذلك من الألفاظ التى تشعر بصفات التعظيم ، و هى كانت عادتهم معه
« يُموسى لن نصبر على طعام واحد » « يُموسى اجعل لنا إلها » « يُموسى
ادع لنا ربك » و قد قال الله تعالى لهذه الأمة : « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم
كدعاء بعضكم بعضا » من البحر المحيط ٢١٠/١ .

(٢) ليس فى ظ .

(٣) فى ظ : الا انه ، وفى م : الا ان .

(٤) قال أبو حيان : « لن تؤمن لك » قيل معناه لن نصدقك فيما جئت به من
التوراة ، و لم يريدوا نفي الإيمان به بدليل قولهم « لك » و لم يقولوا : بك ، نحو
« و ما انت بمؤمن لنا » أى بمصدق ؛ و قيل معناه لن نقر لك فغير عن الإقرار
بالإيمان و عداه باللام و قد جاء « لتؤمنن به و لتنصرنه » قال القرطبي و اخذتم
على ذلك اصرى قالوا اقرنا ، فيكون المعنى لن نقر لك بأن التوراة من =

الحرالى: و جاء باللام لأنهم قد كانوا آمنوا به فتوقفوا عن الإيمان له الذى يتعلق بأمور من تفاصيل ما يأتهم به ، فمن آمن لاحد فقد آمن بأمور لاجله ، ومن آمن به فقد قيل أصل ' رسالته ' يؤمن بالله و يؤمن للؤمنين ' ، حتى ، كلمة تفهم غاية محوطة يدخل ما بعدها فى حكم ما قبلها مقابل معنى لىكى ٣ نرى ، من الرؤية و هى اطلاع على باطن الشئ الذى أظهر منه مبصره ٥ الذى أظهره منه منظره ٢ ، و منه يقال فى مطلع المنام: رؤيا ، لأن ذوات المرئى فى المنام هى أمثال باطنه فى صورة المنظور إليه فى اليقظة - انتهى .

الله ، أى مع ماله من العظمة و جهرة ، أى عيانا من غير خفاء ولا نوع لبس . قال الحرالى: من الجهر و هو الإعلان بالشئ إلى حد الشهرة

= عند الله ، وقيل يجوز أن تكون اللام للعلة أى لن يؤمن لأجل قواك بالتوراة ، وقيل يجوز أن يراد نفى الكمال أى لا يكمل إيماننا لك كما قيل فى قوله صلى الله عليه وسلم: لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه وأهله والناس أجمعين - انتهى .

(١) ليس فى م .

(٢) سورة ٩ آية ٦١ .

(٣) فى م ومد وظ : الى .

(٤ - ٤) ليست فى م .

(٥) «حتى» هنا حرف غاية أخبروا بنفى إيمانهم مستصحبا إلى هذه الغاية ، ومفهومها أنهم إذا رأوا الله جهرة آمنوا ، والرؤية هنا هى البصرية وهى التى لا حجاب دونها ولا ساتر ، وانتصاب جهرة على أنه مصدر مؤكد مزيل لاحتمال الرؤية أن تكون متناما أو علما بالقلب ، والمعنى حتى نرى الله عيانا - البحر المحيط ٢١٠/١ و فيه تفصيل . قال المهاشمى: « واذ قلتم ينموسى » حين اختار سبعين من خياركم =

و بلاغه لمن لا يقصده في مقابلة السر المختص بمن يقصد به، وهذا المطلوب
 بما لا يليق بالجمهور لتحقيق اختصاصه بمن يكشف له الحجاب من خاصة
 من يجوزته^١ القرب من خاصة من يقبل عليه النداء من خاصة من يقع
 عنه الإعراض، فكيف أن يطلب ذلك جهرا^٢ حتى يناله من هو في محل
 البعد والطرْد! وفيه شهادة بتبليدهم عن موقع الرؤية، فان موسى عليه السلام
 قال «رب ارنى^٣»، وقال تعالى «وجوه يومئذ ناضرة^٤ إلى ربها»
 ناضرة^٥، وقال عليه الصلاة والسلام: إنكم ترون ربكم. فالاسم المذكور
 لمعنى الرؤية إنما هو الرب لما في اسم الله تعالى من الغيب الذى لا يذكر لأجله
 إلا^٦ مع ما هو فوت لا مع ما هو في المعنى نيل، وذلك لسر^٧ من أسرار

= بأمر الله لتعتذروا إليه من عبادة العجل فأمرهم بالصوم والتطهر، فلما
 دنا من طور سيناء وقع عمود الغمام فدخله وأدخلهم خروا له سجدا فسمعوه يكلم
 موسى، فلما فرغ وانكشف الغمام قالوا «لن نؤمن لك» أى لقولك إنه
 مسموع من الله «حتى نرى الله جهرة» أى رؤية ظاهرة ظهور صوت الجهر،
 فغضب الله عليكم عن قولكم «لن نؤمن لك» لا عن طلب رؤيتكم إياه إذ لا يستحيل
 كرويته إيانا - انتهى.

(١) في م: مجوزه.

(٢) في م: جبرا - كذا.

(٣) زيد في م: انظر اليك. سورة ٧ آية ١٤٣.

(٤) سقط من م.

(٥) سورة ٧٥ آية ٢٢ و ٢٣.

(٦) ليس في م.

(٧) في م: السر.

العلم بمواقع معاني الأسماء الحسنى فيما يناسبها من ضروب الخطاب والأحوال والأعمال ، وهو من أشرف العلم الذى يفهم به خطاب القرآن حتى يضاف لكل اسم ما هو أعلق فى معناه وأولى به وإن كانت الأسماء كلها ترجع^١ معاني بعضها لبعض ؛ « فآخذتكم »^٢ من الآخذ وهو تناول الشيء بمحملته بنوع بطش وقوة - انتهى . أى لقولكم / هذا لما فيه من هـ / ٧٥/ الفضاعة وانتهاك الحرمة ، « الصمعة »^٣ قيل : هى صيحة ، وقيل^٤ : نار نزلت من السماء فأحرقتهم ، ويؤيده قوله « وأنتم تنظرون » ، أى تلك

(١) فى ظ : يرجع .

(٢) استولت عليكم وأحاطت بكم ، وأصل الآخذ القبض باليد ، والصاعقة هنا هل فى نار من السماء أحرقتهم ، أو الموت ، أو جند سماوى سمعوا حسهم فماتوا ، أو الفزع فدام حتى ماتوا أو غشى عليهم ، أو العذاب الذى يموتون منه ، أو صيحة سماوية - أقوال أصحها أنها سبب الموت وإن كانوا قد اختلفوا فى السبب - قاله المحققون لقوله تعالى « فلما آخذتهم الرجفة » ؛ وأجمع المفسرون أن المدة من الموت أو الصعق كانت يوماً وليلة ، وقيل أصاب موسى ما أصابهم ، وقيل صعق ولم يمت ، قالوا : وهو الصحيح ، لأنه جاء « فلما أفاق » فى حق موسى ، وجاء « ثم بثننكم » فى حقهم ؛ وأكثر استعمال البعث فى القرآن بعث الأموات . « وأنتم تنظرون » جملة حالية ، ومتعلق النظر أخذ الصاعقة إياكم ، أى وأنتم تنظرون إلى ما حل بكم منها ، أو بعضكم إلى بعض كيف يخرميتا ، أو إلى الإحياء ، أو تعلمون أنها تأخذكم فعبّر بالنظر من العلم وفيه أقوال آخر - من البحر المحيط ٢١٢/١ .

(٣) العبارة من هنا إلى « قوله » ليست فى ظ .

(٤) زيد فى م : هى .

الصاعقه فأماتكم^١، لأنكم كنتم في طلبكم رؤيته على ضرب من حال عبدة العجل، فاماتكم كما أماتهم بالقتل .
ولما كان إحيائهم من ذلك في هذه الدار في غاية البعد و خرق العادة عبر عنه بأداة التراخي و مظهر العظمة فقال « ثم بعثكم ، أى^٢ بما ه لنا من العظمة^٣ بالإحياء^٤ . قال الحرالي : من البعث وهو الاستئارة^٥ من

(١) العبارة من هنا إلى « بالقتل » ليست في ظ .

(٢ - ٢) ليست في ظ .

(٣) قال الهامى : « و اتم تنظرون » إليها ولم يمكنكم الفرار عنها فأحرقتم فدعا موسى وبكى و تضرع وقال : يا رب ! ما ذا أقول لبنى إسرائيل وقد أهلكت خيارهم . قال أبو حيان : وقد عدّ صاحب المنتخب هذا إنعاما سادسا وذكر في كونه إنعاما وجوها (فليطلب من يريد الاطلاع عليها في البحر المحيط ١/١١٢)
وقال قال بعضهم : لما أحلهم الله محل مناجاته وأسمعهم لذيد خطابه اشترأت نفوسهم للفخر و علو المنزلة فمالمهم الله بنقيض ما حصل في أنفسهم بالصعقة التي هي خضوع و تذلل تأديبا لهم و عبرة لغيرهم « ان في ذلك لعة لاولى الابصار » « ثم بعثكم » دل العطف ثم على أن بين أخذ الصاعقه و البعث زمانا تتصور فيه المهلة و التأخير هو زمان ما نشأ عن الصاعقة من الموت أو الغشى ، و البعث هنا الإحياء ، ذكر أنهم لما ماتوا لم يزل موسى يناشده في إحيائهم ويقول : يا رب ! إن بنى إسرائيل يقولون : قتلت خيارنا ! حتى أحياهم الله جميعا رجلا بعد رجل ينظر بعضهم إلى بعض كيف يحيون . وكان إحيائهم لأجل استيفاء أعمارهم ، و من قال : كان ذلك غشيا وهو دا كان الموت مجازا ، قال تعالى « و ياتيه الموت من كل مكان و ما هو بميت . والذي أتاه مقدمات الموت سميت موتا على سبيل المجاز ، قال الشاعر :

وقل لهم بادروا بالعذر و التمسوا قولا يبرئكم إلى أنا الموت

جعل نفسه الموت لما كان سببا للموت .

(٤) من م و مد و ظ ، وفي الأصل : الاستئارة - كذا .

غيب و خفاء، أشده البعث من القبور، و دونه البعث من النوم؛ قال:
و تجاوز الخطاب ما كان من سبب بعثهم، و كذلك كل موضع يقع
فيه 'ثم' فقيه خطاب متجاوز مديد' الأمد كثير رتب العدد مفهوم لمن
استوفى مقاصد ما وقعت كلمة 'ثم' بينه من الكلامين المتعاطفين؛ ففي 'معنى
التجاوز من الخطاب سؤال موسى عليه السلام ربه في بعثهم حتى لا يكون ه
ذلك فتنة على سائرهم - انتهى .

ولما كان ربما ظن أن البعث من غشي ونحوه حقق ٣ معناه ٤ مبينا
أنه لم يستغرق زمن البعد ٥ بقوله « من بعد موتكم، أى هذا بتلك
الصاعقه، و قال دالا على أن البعث إلى هذه الدار لا يقطع ما بنيت عليه
من التكليف ٦ لأنها دار الأكدار فلا بد من تصفيه الأسرار فيها بالأعمال ١٠

(١) من م و مد و ظ، و في الأصل: مديدا .

(٢) في م: نفى .

(٣) في ظ: بحقى - كذا .

(٤-٤) سقطت من ظ .

(هـ) وقال في المنتخب: إنما بعثهم بعد الموت في دار الدنيا ليكلفهم و ليتمكنوا
من الإيمان و من تلافى ما صدر عنهم من الجرائم، أما إنه كلفهم فلقوله « لعلمكم
تشكرون »، و لفظ الشكر يتناول جميع الطاعات لقوله « اعملوا ال داود شكرا »
انتهى كلامه . وقال الماوردي: اختلف في بقاء تكليف من أعيد بعد موته
و معاينة الأهوال التي تضطره و تلجئه إلى الاعتراف بعد الاعتراف فقال قوم:
سقط عنهم التكليف ليكون تكليفهم معتبرا بالاستدلال دون الاضطرار، و قال
قوم: يبقى تكليفهم لئلا يخلو بالغ عاقل من تعبد و لا يمنع حكم التكليف بدليل قوله
تعالى « و اذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة » و ذلك حين أبوا أن يقبلوا التوراة =

والأذكار: د لعلكم تشكرون ٥، أى لتصير^١ حالكم حال من يصح ترجى شكره لهذه النعمة العظيمة؛ وكل ما جاء من 'لعل' المعلن بها أفعال الرب تبارك و تعالى ينبغي أن تقول بنحو هذا، فان 'لعل' تقتضى الشك لأنها للطمع والإشفاق فيطمع في كون مدخولها ويشفق من أن لا يكون،
 ٥ و^١ تارة ٢ يكون الشك للمخاطب وتارة ٣ يكون للتكلم، ولو قيل^٢: لتشكروا، لم يكن هناك شك - قاله الرماني في سورة يوسف عليه السلام . وقال الحرالي: وفي 'لعل' إيهام معلومه فيهم بأن منهم من يشكر ومنهم من لا يشكر - انتهى . وسيأتى في سورة طه إن شاء الله تعالى عن نص سيويه في كتابه ما يؤيد ما ذكرته .

١٠ وفي هذه الآية وما تقدمها من آية د و اتقوا يوما لا تجزى نفس، تنبيه للعرب من غفلتهم في إنكار البعث وإرشاد إلى سؤال بمن^٦ يغرم من أهل الكتاب بأنهم أولى بالحق من المسلمين عن هذه القصة التي وقعت لأسلافهم من إحيائهم بعد موتهم، وكذا ما أتى في محاوراتهم من قصة = فلما نتق الجبل فوقهم آمنوا وقبلوها، فكان إيمانهم بها إيمان اضطرار ولم يسقط عنهم التكليف، ومثلهم قوم يونس في إيمانهم - انتهى كلامه .

(١) في م: ليكون .

(٢) ليس في م .

(٣-٣) ليست في م .

(٤) في م: قال .

(٥) في ط: يولد - كذا .

(٦) في م ومد: من .

البقرة ونحوها بما فيه ذكر الإحياء في هذه الدار أو في القيامة . قال الحرالي :
 وفيه أى هذا الخطاب آية على البعث الآخر الذى وعد به جنس بنى آدم
 كلهم فجأة صق وسرعة بعث ، فان ما صح لأحدهم ' ولطائفة ' منهم
 أمكن عمومهم فى كافهم - انتهى .

ولما ذكرت الصاعقة الناشئة غالبا من الغمام كان أنسب الأشياء هـ
 إيلائها ذكر تظليل الغمام وناسب التحذير من نقمة الإحراق بالصاعقة
 والتذكير بنعمة الإيجاد من الموت الاتباع بذكر التنعيم فى الإبقاء بالصيانة
 عن حر الظاهر بالشمس و الباطن بالجوع .

وقال الحرالي : وعطف تعالى على ذكر البعث ذكر حال من
 مثل أحوال أهل الجنة الذى ينالونه ' بعد البعث ، فكأن ٣ عامتهم الذين ١٠
 لم يموتوا إنما شربوا هؤلاء المبعوثين لكونهم كأنهم ماتوا بموتهم وبعثوا
 ببعثهم ، فذكر ظل الغمام وهو من أمر ما بعد البعث والارزاق بغير
 كلفة وهو من حال ما بعد البعث وأفهم ذلك أمورا أخرى فى أحوالهم
 كما يقال إن ملابسهم كانت تطول معهم كلما طالوا فكأنهم أخرجوا
 من أحوال أهل الدنيا بالجملة إلى شبه ' أحوال أهل الجنة فى محل تيههم ١٥
 ومستحق منال العقوبة لهم كل ذلك إنعاما عليهم ، ثم لم يزدوا مع

(١-١) فى م : او طائفة .

(٢) فى ظ : تناولوه .

(٣) فى ظ : كأنهم .

(٤) فى م : شبهة .

ذلك إلا بعدا عن التبصرة في كل ما أبدى لهم من العجائب - حدث^١ عن
بنى إسرائيل ولا حرج فقال : « وظللنا^٢ » من الظلة^٣ وهى وقاية^٤ مما
ينزل من سماء الموقى^٥ عليكم الغمام^٦ من الغم وهو ما يغمر النور أى يغطيه -

(١) وفى الصحيح للبخارى ابياء . ه . و حدثوا .

(٢-٣) ليست فى م .

(٣) قال أبو حيان : وقيل إنه الغمام الذى أتت فيه الملائكة يوم بدر ، وهو
الذى أتى فيه ملائكة الرحمن وهو المشار إليه بقوله « فى ظل من الغمام والملائكة »
وليس بغمام حقيقة وإنما سمي غماما لكونه يشبه الغمام . وقيل الذين ظل عليهم
الغمام بعض بنى إسرائيل وكان الله قد أجرى العادة فى بنى إسرائيل أن من عبد الله
ثلاثين سنة لا يحدث فيها ذنبا أظلمته غمامة ، وحكى أن شخصا عبد ثلاثين سنة
فلم تظله غمامة بخاء إلى أصحاب الغمام فذكر لهم ذلك فقالوا : لعلك أحدثت ذنبا !
فقال : لا أعلم شيئا إلا أنى رفعت طرفى إلى السماء وأعدته بغير فكر ، قالوا له :
ذلك ذنبك ، وكانت فيهم جماعة يسمون أصحاب الغمام ، فامتن الله عليهم بكونهم
فيهم من له هذه الكرامة الظاهرة الباهرة - انتهى .

(٤) فى التفسير المظهرى : الغمام من الغم ، أصله التغطية وهو يغطى وجه الشمس ،
لأنه يمكن لهم فى التيه كنّ يسترهم فشكوا إلى موسى عليه السلام ، فأرسل الله
غماما أبيض رقيقا أطيب من نعام المطر فظلهم من الشمس ، وجعل لهم عمدا
من نور تضيء لهم بالليل إذا لم يكن قر . « و أنزلنا عليكم المن » فى التيه ، قيل
هو الخبز الرقاق ، والأكثر على أنه الترنجيبين ، وقال مجاهد : هو شئ كالصمغ
كان يقع على الأشجار ، طعمه كالشهد ؛ فقالوا : يا موسى ! قتلنا هذا المن بحلواته
فادع لنا ربك بطعمنا اللحم ، فأنزل الله السلوى ، وهو طائر يشبه السانى . وقال
البيضاوى : وينزل بالليل عمود نار يسرون فى ضوءه ، وكانت ثيابهم لا تسخ
ولا تبل - انتهى .

انتهى . أى فعلنا ذلك لتربية ' أجسامكم وترويح أرواحكم ؛ ' وعن مجاهد
أن الغمام أبرد من السحاب وأرق وأصفى ' و أنزلنا عليكم المن ، قال
الحرالى : هو ما جاء بغير كلفة ؛ الكمأة من المن ٣ - انتهى . ' والسوى ،
أى لطعامكم على أن المن من الغمام ، و حشر السوى إليهم بالريح المثيرة
له ٤ فنظمها به على غاية التناسب . قال الحرالى : والسوى اسم صنف ه
من الطير يقال هو السمانى ٥ أو غيره - انتهى . ' وسيأتى إن شاء الله تعالى
فى الأعراف أنه غير السمانى وأنهم خصوا به إيذاً بقساسة قلوبهم .

وهذه الخارقة قد كان صحابة نبينا صلى الله عليه وسلم غنيين عنها
بما كان النبى صلى الله عليه وسلم كلما احتاجوا دعا بما عندهم من فضلات
الزاد فیدعو ، فيكثره الله حتى يكتفوا من عند آخرهم ، وأعطى أبا هريرة ١٠
رضى الله عنه تمرات ٦ وأمره أن يجعلها فى مزود و قال له : أنفق ولا
تثرها ، فأكل منه سنين وأنفق منه أكثر من خمسين وسقا . و بارك
/ لآخر فى قليل شعير وأمره أن لا يكيله ، فلم يزل ينفق منه على نفسه ٧٦/

(١) فى ظ : لتربية .

(٢) العبارة من هنا إلى ' واصفى ' ليست فى م و ظ .

(٣) راجع سنن ابن ماجة طب : ٨ .

(٤) ليس فى ظ .

(٥) فى م : السمانى - كذا .

(٦) العبارة من هنا إلى ' للبيهقى وغيره ' ليست فى م .

(٧) فى ظ : تمرات ، والصحيح الروى ما فى الأصل و مد .

وامراته وضيغه حتى كاله قفى، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لو لم تكله
 لا كلمتم منه ولقام لكم . وكان نحو ذلك لعائشة رضى الله عنها
 بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم . 'وكذا' لام مالك رضى الله عنها
 في عكة سمن لم تزل تقيم لها أدمها حتى عصرتها . ومثل ذلك كثير في
 دلائل النبوة للبيهقي وغيره . وقيل لكم 'كلوا' ، و دل على أنه أكثر
 من كفايتهم بقوله ٣ 'من طيبت' ، جمع طيبة . قال الحرالي : والطيب
 ما خالص من منازع يشارك فيه و طيبه ° مَنْ سَوِيَ الْأَكْلَ لَهُ أَى لَمْ يَنَازِعْهُ
 وَلَيْسَ فِيهِ حَقٌّ لِّغَيْرِهِ ، وَمِنْهُ الطَّيِّبُ فِي الْمَذَاقِ وَهُوَ الَّذِي لَا يَنَازِعُهُ
 تَكْرَهُهُ فِي طَعْمِهِ ؛ وَهَذَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ بِكَوْنِهِ لَمْ يَكُنْ عَنْ عَمَلٍ حَرِثَ

(١-١) ليس في ظ .

(٢) وقال أبو حيان : المن اسم جنس لا واحد له من لفظه ، وفي المن الذى أنزله
 الله على بنى إسرائيل أقوال : ما يسقط على الشجر أحلى من الشهد وأبيض من
 الثلج وهو قول ابن عباس والشعبي ، أو صمغة طيبة حلوة وهو قول مجاهد ،
 أو شراب كان ينزل عليهم يشربونه بعد مزجه بالماء وهو قول الربيع بن أنس
 وأبي العالية - إلى أن قال : أو جميع ما من الله به عليهم في التيه وجاءهم عفوا
 من غير تعب - قاله الزجاج و دليله قوله صلى الله عليه وسلم : الكأة من المن
 الذى من الله على بنى إسرائيل - وفي رواية : على موسى . وفي السلوى الذى
 أنزله الله على بنى إسرائيل أقوال - انظر ما في البحر المحيط ٢١٤/١

(٣) العبارة من « و دل » إلى هنا ليست في ظ .

(٤) والطيبات هنا قيل الحلال ، وقيل اللذيذ المشتهى ، ومن للتبويض لأن المن
 و السلوى بعض الطيبات - البحر المحيط .

(٥) في م فقط : طيبة .

(٦) من م ومد و ظ ، وفي الأصل : تكره - كذا .

ولا معاملة مع خلق - انتهى . « ما رزقناكم ، أى على عظمتنا التى لا تضاهى .

ولما لم يراعوا هذه النعم أعرض عنهم للايذان باستحقاق الغضب .
و قال الحرالى : ثم أعرض بالخطاب عنهم وأقبل به على محمد صلى الله عليه وسلم ومن معه - انتهى . فقال « وما ، أى فظلموا بأن كفروا هذه ٥ النعم كلها وما « ظلمونا ، بشىء من ذلك » ولكن كانوا ، ٢ أى جيلة وطبعا ٣ « انفسهم ، أى خاصة « يظلمون » ، لأن ضرر ذلك مقصور عليهم . قال الحرالى : وفيه إشعار بتحذير هؤلاء أن يروا نحو ما

(١) فى ظ : فكفروا .

(٢) نفى أنهم لم يقع منهم ظلم لله تعالى ، وفى هذا دليل على أنه ليس من شرط نفى الشىء عن الشىء إمكان وقوعه ، لأن ظلم الإنسان لله تعالى لا يمكن وقوعه البتة ، قيل المعنى وما ظلمونا بقولهم « ارنا الله جهرة » بل ظلموا أنفسهم بما قبلناهم من الصاعقة ، وقيل وما ظلمونا بأدبارهم المن والسلوى بل ظلموا أنفسهم بفساد طعامهم وتقليص أرزاقهم ، وقيل وما ظلمونا بابائهم على موسى أن يدخلوا قرية الجباوين ، وقيل وما ظلمونا باستحيابهم العذاب و قطعهم مادة الرزق عنهم بل ظلموا انفسهم بذلك ، وقيل وما ظلمونا بكفر النعم بل ظلموا انفسهم بمحاول النقم ، وقيل وما ظلموا بعبادة العجل بل ظلموا انفسهم بقتل بعضهم بعضا ؛ و اتفق ابن عطية والزحشرى على أنه يقدر محذوف قبل هذه الجملة فقدرة ابن عطية : فعصوا ولم يقابلوا النعم بالشكر . وقدرة الزحشرى : فظلموا بأن كفروا هذه النعم وما ظلمونا ، قال : فاختصر الكلام بحذفه لدلالة « وما ظلمونا » عليه - انتهى من البحر المحيط ١ / ٢١٥ .

(٣-٢) ليست فى ظ .

رأوا فينالهم نحو بما نالوه ، لأن قصص القرآن ليس مقصوده مقصورا
على ذكر الأولين فقط بل كل قصة منه إنما ذكرت لما يلحق هذه الأمة
في أمد يومها من شبه أحوال من ' قص عليهم قصصه - انتهى .
و لما كان كل من ظل ' الغمام ٣ و لزوم طعام واحد غير مألوف

(١) في م : ما .

(٢) ليس في ظ .

(٣) قال أبوحيان الأندلسي : و قد تضمنت هذه الآيات الكريمة من ذكر نبي
إسرائيل فصولا : منها أمر موسى على نبينا و عليه السلام إياهم بالتوبة إلى الله
من مقارفة هذا الذنب العظيم الذي هو عبادة العجل من دون الله و أن مثل
هذا الذنب العظيم تقبل التوبة منه ، و التلطف بهم في ندائهم بيا قوم ، و تنبيههم
على علة الظلم الذي كان وباله راجعا عليهم ، و الإعلام بأن توبتهم بقتل أنفسهم ،
ثم الإخبار بمحصول توبة الله عليهم و أن ذلك كان بسابق رحمته ، ثم التوبيخ
لهم بسؤالهم ما كان لا ينبغي لهم أن يسألوه وهو رؤية الله عيانا لأنه كان سؤال
تعنت ؛ ثم ذكر ما ترتب على هذا السؤال من أخذ الصاعقة إياهم ، ثم الإنعام عليهم
بالبعث و هو من الخوارق العظيمة أن يحيى الإنسان في الدنيا بعد أن مات ، ثم
إسعافهم بما سألوه إذ وقعوا في التيه و احتاجوا إلى ما يزيل ضررهم و حاجتهم
من لفتح الشمس و تغذية أجسادهم بما يصلح لها فظل عليهم الغمام و هذا من
أعظم الأشياء و أكبر المعجزات حيث يسخر العالم العلوى للعالم السفلى على حسب
اقتراحه فكان على ما قيل تظلمهم بالنهار و تذهب بالليل حتى ينور عليهم القمر ،
و أنزل عليهم المن و السلوى و هذا من أشرف المأكول إذ جمع بين الغذاء والدواء
بما في ذلك من الحلاوة التي في المن و الدسم الذي في السلوى و هما مقمعا الحرارة
ومثيرا القوة للبدن - و ما بقى من الفصول لهذه الآية الكريمة ففي البحر المحيط
١ / ٢١٦ راجع إليه .

لهم 'مع كونه نعمة دنيوية' وكان المألوف أحب إلى النفوس تلاه بالذكير
 بنعمة مألوفة من الاستغلال بالآبينة والاكل عما يشتهى 'مقرونة بنعمة
 دينية'. وقال الحرالي : لما ذكر تعالى عظيم فضله عليهم في حال استحقاق
 عقوبتهم في تظليل الغمام وإزال المن والسوى وهو مبتدأ ' أمر تيههم
 حين أبوا أن يقاتلوا الجبارين نظم به آخر أمر تيههم بعد وفاة موسى ه
 وهارون عليهما السلام حين دخولهم مع يوشع عليه السلام وما أمروا به
 من دخول البلد المقدس متذللين بالسجود الذى هو أخص رتب العبادة
 وكمال عمل العامل ودنو من الحق - انتهى . فقال تعالى « واذ قلنا ، أى
 لكم » ادخلوا هذه القرية ، إشارة إلى نعمة النصر . قال الحرالي : الدخول
 الولوج فى الشيء بالكلية حسا بالجسم ومعنى بالنظر والرأى ، والقرية ١٠ ٣
 من القرى وهو الجمع للمصالح التى بها ' يحصل قوام الدنيا لقرى أهل
 الدنيا التى تجمع مصالح أهل الآخرة ، لقرى أهل الآخرة ، قال عليه السلام :
 أمرت بقرية تأكل القرى - باستيطانها كأنها تستقرى القرى تجمعها

(١-١) ليست فى ظ .

(٢) فى ظ : مبدا - كذا .

(٣) الألف واللام فى القرية للحضور ، وانتصاب القرية على النعت أو على عطف
 البيان ، والقرية هنا بيت المقدس فى قول الجمهور - قاله ابن مسعود وابن عباس
 وقتادة وغيرهم ، وقيل أريحا وهو قول ابن عباس أيضا وهى بارض المقدس ،
 وقيل الأردن وقيل فلسطين ؛ وقد رجح القول الأول لقوله فى المائدة :
 « ادخلوا الارض المقدسة » .

(٤) فى م : بهما .

(٥) راجع الصحيح للبخارى ١ / ٢٥٢ .

إليها ، و قد تناوبت الياء و الهمزة و الواو مع القاف و الراء على عام
 هذا المعنى - انتهى . و ناسب سياق النعم الدلالة على تعقيب نعمة الدخول
 بالفاء في قوله « فكلوا منها حيث شئتم » ، و أتم النعمة بقوله « رغدا »
 'موسعا عليكم طيبا' . قال الحرالي^٢ : وفيه أى هذا الخطاب تشية ٣ في
 ذكر الأرض لما تقدم من نحوه لآدم في السماء ، فكان تبديلهم لذلك
 عن فسق لا عن نسيان كما كان أمر آدم عليه السلام ، فكانهم اقتطعوا
 عن سنته إلى حال الشيطان الذى كان من الجن ففسق عن أمر ربه ،
 فتحقق ظلمهم حين لم يشبهوا آباءهم و أشبهوا عدو أيهم و عدوهم - انتهى .
 و أمرهم بالشكر على نعم النصر و الإيواء و إدرار الرزق^٤ بأمر يسير

(١-١) ليست في ظ .

(٢) قال أبو حيان : تقدم الكلام على نظير هذه الجملة في قصة آدم في قوله « وكلا
 منها رغدا حيث شئتما » إلا أن هناك انعطاف بالواو و هنا بالفاء ، وهناك تقديم
 الرغد على الظرف و هنا تقديم الظرف على الرغد ، و المعنى فيهما واحد إلا أن
 الواو هناك جاءت بمعنى الفاء و يدل عليه ما جاء في الأعراف من قوله « فكلا »
 بالفاء و القضية واحدة ، و أما تقديم الرغد هناك فظاهر فانه من صفات الأكل
 أو الآكل فناسب أن يكون قريبا من العامل فيه ولا يؤخر عنه و يفصل بينهما
 بظرف و إن لم يكن فاصلا مؤثرا المنع لاجتماعهما في العمولية لعامل واحد ، و أما
 هنا فانه آخر لمناسبة الفاصلة بعده ، ألا ترى أن قوله « فكلوا منها حيث شئتم رغدا »
 وقوله « وادخلوا الباب سجدا » فهما سبجتان متناسبتان فلهذا والله أعلم كان هذان
 التركيبان على هذين الوصفين - انتهى كلامه .

(٣) في مد : تنبيه .

(٤) بخاءت هذه الجمل في غاية الفصاحة لفظا و البلاغة معنى إذ جمعت الألفاظ =

من القول و الفعل ، و قدم الدخول السار للنفوس و السجود الذى هو أقرب مقرب للحضرة الشريفة لأنه فى سياق عد النعم ' على القول المشعر بالذنب فقال : و ادخلوا الباب ، ' و هو كما قال الحرالى أول مستفتح الأشياء

= المختارة و المعاني الكثيرة متعلقا أوائل أوآخرها بأواخر أوأوائلها مع لطف الإخبار عن نفسه ، فحيث ذكر النعم صرح بأن ذلك من عنده فقال ثم « بعثنكم » وقال و « وظللنا » و « وازلنا » و حيث ذكر النعم لم ينسبها إليه تعالى فقال « فاخذتكم الصنعة » و سر ذلك أنه موضع تعداد النعم فناسب نسبة ذلك إليه يذكرهم آلاءه و لم ينسب النعم إليه و إن كانت منه حقيقة ، لأن فى نسبتها إليه تخويفا عظيما ربما عادل ذلك الفرح بالنعم ، و المقصود انبساط نفوسهم بذكر ما أنعم الله به عليهم و إن كان الكلام قد انطوى على ترغيب و ترهيب فالترغيب أغلب عليه .

(هـ) زيد فى ظ : و .

(١) ليس فى م .

(٢) و الباب أحد أبواب بيت المقدس و يدعى الآن باب حطة - قاله ابن عباس ، أو الثامن من أبواب بيت المقدس و يدعى باب التوبة - قاله مجاهد و السدى ، سجدا نصب على الحال من الضمير فى ادخلوا ، قال ابن عباس : معناه ركعا ، و عبر عن الركوع بالسجود كما يعبر عن السجود بالركوع ، و قيل معناه خضعا متواضعين ، و قيل معناه السجود المعروف من وضع الجبهة على الأرض والمعنى ادخلوا ساجدين شكرا لله تعالى إذ ردهم إليها ، و هذا هو ظاهر اللفظ ، و ليس بمتعذر ، لأنه لا يبعد أن أمروا بالدخول وهم ساجدون فيضعون جباههم على الأرض وهم داخلون و تصدق الحال المقارنة بوضع الجبهة على الأرض إذا دخلوا . وقال الزحشى : أمروا بالسجود عند الانتهاء إلى الباب شكرا لله و تواضعا . و فى كيفية دخولهم الباب أقوال ، قال ابن عباس و عكرمة : دخلوا من قبل أستاذهم - من البحر المحيط . و الذى ثبت فى البخارى و مسلم أنهم دخلوا الباب يزحفون على أستاذهم ، و هذا يؤيد تفسير السجود بالمعروف من وضع =

و الامور المستغلة حسا أو معنى حال كونكم سجدا و قولوا ، اجمعين
إلى ندم القلب و خضوع الجوارح الاستغفار باللسان ، ولما كان القول
تحكى به الجمل فتكون مفعولا بها و يعمل في المفرد إذا كان مصدرا
أو صفة لمصدر كقلت حقا أو معبرا به عن جملة كقلت شعرا و ما كان على
غير هذا كان إسنادا لفظيا لا فائدة [فيه - ١] غير مجرد الامثال رفع
قوله « حطة ٢ » ، أى عزيمة لذنوبنا . قال الكشف : و الأصل النصب أى حط
عنا ذنوبنا إلا أنه رفع ليعطى معنى الثبات ٣ . قال الحرالي : من الحط ٤ و هو

= الجبهة على الأرض تخالفوا عنادا و استكبارا مثل ما كان دأبهم والله اعلم .

(١) العبارة من هنا إلى « رفع قوله » ليست في ظ .

(٢) زيد من م و مد .

(٣) العبارة من هنا إلى « معنى الثبات » ليست في ظ .

(٤) في الكشف : و إنما رفعت لتعطى معنى الثبات كقوله : صبر جميل فكلانا
مبتلى ، و الأصل : صبرا - انتهى كلامه .

(هـ) قال أبو حيان : و اختلفت أقوال المفسرين في حطة ، فقال الحسن : معناها
حط عنا ذنوبنا ، و قال ابن عباس وابن جبر و وهب : أمروا أن يستغفروا ، و قال
عكرمة : معناها لا إله إلا الله ، و قال الضحاك : معناها و قولوا هذا الأمر الحق ،
و قيل معناه نحن لا نزال تحت حكك ممثلون لأمرك ، كما يقال : قد حططت في فئائك
رحلى ، و الأقرب أنهم أمروا بأن يقولوا قولاً دالا على التوبة و الندم و الخضوع
حتى لو قالوا : اللهم إنا نستغفرك و نتوب إليك لكان الخضوع حاصلًا ، لأن المقصود
من التوبة إما بالقلب فبالندم و إما باللسان فبذكر لفظ يدل على حصول الندم في
القلب و ذلك لا يتوقف على ذكر لفظة بعينها ؛ هذا موافق لما قال المصنف . قال أبو حيان :
و الحط الإزالة ، حططت عنه الخراج أزله عنه ، و النزول حططت - و حكى -
بقضاء زيد : نزلت به ، و النقل من علو إلى سفلى و منه انحطاط القدر - انتهى .

وضع الحمل الثقيل بُمَنَّة وجام قوة يكون في الجسم، والمعنى أمروا بقول ما يحيط عنهم ذنوبهم التي عوققتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم مع من معه من المهاجرين والأنصار بشعب من الشعاب مترددا بين الحرمين الشريفين - يعنى في عمرة الحديبية - فقال قولوا: لا إله إلا الله - وعند ذلك دخول الشعب الذى هو باب المدخل من نجد الأرض إلى سهلها - فقالوها^٢، ه فقال: والذى نفسى بيده! إنها للحطة التى عرضت على بنى إسرائيل أن يقولوها فبدلوها - انتهى . وعبر بنون العظمة في قوله « نغفر لكم، إشارة إلى أنه لا يتعاضده ذنب وإن عظم كاتخاذ العجل إذا أُجبت بالتوبة؛ وفي قراءة من قرأ بالتحانية والفوقانية مبنيًا للجهول^٣ إشارة إلى تحقير الذنوب إذا أراد غفرانها بحيث أنه^٤ بأدنى أمر وأدق إشارة بمحوها وهى أقل ١٠ من أن يياشرها بنفسه المقدسة؛ كل ذلك استعطاف / إلى التوبة . والغفر ٧٧/

(١) في م ومد: تكون .

(٢) ليس في م .

(٣) نافع بالياء مضمومة، ابن عامر بالتاء، أبو بكر من طريق الجعفي: يغفر، الباقر: تغفر؛ فمن قرأ بالياء مضمومة فلأن الخطايا مؤنث، ومن قرأ بالياء مفتوحة فالضمير عائذ على الله تعالى ويكون من باب الالتفات لأن صدر الآية « واذ قلنا » ثم قال: يغفر، فانتقل من ضمير متكلم معظم نفسه إلى ضمير الغائب المفرد . فالغفر والغفران الستر، والغفيرة المغفرة والغفارة السحاب وما يلبس به سية القوس وخرقة تلبس تحت النمار ومثله المغفر، والجماء الغفير أى جماعة يستتر بعضها بعضا من الكثرة وقول عمر لمن قال له: لم حصبت المسجد؟ هو أغفر للنخامة؛ كل هذا راجع لمعنى الستر والتغطية - البحر المحيط .

(٤) في م: انها .

قال الحرالي: ستر الذنب أن يظهر منه ' أثر ' على المذنب لا عقوبة ولا ذكر - ثم قال: ففي قراءة: 'تغفر ٣'، تول من الحق ومن هو من حزيه من الملائكة والرسل، وفي قراءة: 'تغفر'، إبلاغ أمر خطاياهم بما يفهمه التأنيث من نزول القدر، وفي قراءة الباء توسط بين طرفي ما يفهمه علو قراءة النون ونزول قراءة التاء، ففي ذلك بحملته إشعار بأن خطاياهم كانت في كل رتبة مما يرجع إلى عبادة ربهم وأحوال أنفسهم ومعاملتهم مع غيرهم من أنبيائهم وأمثالهم حتى جمعت خطاياهم جميع جهات الخطايا الثلاث، فكانهم ثلاثة أصناف: صنف بدلوا، وصنف اقتصدوا^٩، وصنف أحسنوا فيزيدهم الله ما لا يسعه القول ودهل جزاء الاحسان الا ١٠. الإحسان، انتهى. ولما كان انسياق هنا لتعداد النعم حسن أن يعبر عن ذنوبهم بجمع الكثرة فقال 'خطيئكم'، إشارة إلى أنهم أصرروا عليها

(١) ليس في ظ .

(٢) في م: امر .

(٣) في م: تغفر - كذا .

(٤) من م ومد و ظ، وفي الأصل: خطاءهم - خطأ .

(٥) وفي ظ اقتصروا .

(-) قال أبو حيان: تقدمت أوامر أربعة: ادخلوا، فكلوا، وادخلوا الباب، وقولوا حطة؛ والظاهر أنه لا يكون جواباً إلا الآخرين وعلمه المعنى لأن ترتب الغفران لا يكون على دخول القرية ولا على الأكل منها وإنما يترتب على دخول الباب لتقييده بالحال التي هي عبادة وهي السجود بقوله: وقولوا حطة، لأن فيه السؤال بحط الذنوب وذلك لقوة المناسبة والجاورة، ويدل على ترتب ذلك =

بحيث كادوا أن يجعلوا بازاء كل نعمة ذنباً، والخطايا جمع خطيئة من الخطأ وهو الزلل عن الحد عن غير تعمد بل مع عزم^٢ الإصابة أو ودد أن لا يخطئ - هكذا قال الحرالي، والظاهر أن المراد هنا ما كان عن عمد^٣ كائناً ما كان، لأن ذلك أولى بسياق الامتنان والعقوبة بالعصيان. قال في القاموس: والخطيئة الذنب أو ما^٤ تعمد منه والخطأ ما لم يتعمد، هـ جمعه خطايا، وقرئ شاذاً: خطيأتكم، بالجمع السالم الدال على القلة إشارة إلى أنها وإن تكررت فهي في جنب عفوه قليل؛ وهذا بخلاف الاعراف فان السياق هناك^٥ لبيان إسراعهم في الكفر كما سيأتى إن شاء الله تعالى، وناسب عدّ النعم العطف على ما تقدم منها بقوله «و سنزيد المحسنين» هـ أى بعد غفران ذنوبهم^٦. قال الحرالي: جمع محسن من الإحسان ١٠

= عليها ما في الأعراف من قوله تعالى «وقولوا حطة وادخلوا الباب سجداً نغفر» والقصة واحدة. الخطيئة فعيلة من الخطأ والخطأ العدول عن القصد، يقال خطيء الشيء أصابه بغير قصد، وأخطأ إذا تعمد؛ وأما خطايا جمع خطيئة مشددة عند الفراء كهدية وهدايا وجمع خطيئة المهموز عند سيبويه والخليل.

(١) في م: نادوا.

(٢) في ظ: عدم.

(٣) في م: تعمد.

(٤) ليس في ظ.

(٥) في م: هنا.

(٦) قال أبو حيان: الإحسان والإنعام والإفضال نظائر، أحسن الرجل أتى بالحسن، وأحسن الشيء أتى به حسناً، وأحسن إلى عمرو وأسدى إليه خيراً. والزيادة ارتفاع عن القدر العلوم وضده النقص «المحسنين» قيل: الذين لم يكونوا من =

وهو البلوغ إلى الغاية في حسن العمل ، فيكون مع الخلق رؤية المراء
نفسه في غيره فيوصل له من البر ما يجب أن يفعل معه ، ورؤية العبد
ربه في عبادته ، فالإحسان فيما بين العبد وربه أن يغيب عن نفسه ' ويرى
ربه ، والإحسان فيما بين العبد و غيره أن يغيب عن غيره ' ويرى نفسه ،
ه فمن رأى نفسه في حاجة الغير ولم ير نفسه في عبادة الرب فهو محسن ،
وذلك بلوغ في الطرفين إلى غاية الحسن في العمل بمنزلة الحسن في
الصورة - انتهى .

ولما كان هذا التصريح بالترغيب المتضمن للتلويح بالترهيب مقتضيا
للعقل المبادرة إلى الطاعة بين أنه تسبب عنه أن بعضهم عصوا وكفروا
١٠ هذه النعمة العظيمة ولم يقتصروا على ترك هذا الأمر بل بدلوه بدخولهم
كما في الحديث يزحفون ' على أستاذهم ٣ قائلين : حبة في شعرة ، أى جنس
الحب في جنس الشعرة أى في الغرائر مطلوبونا لا الحطة ' وهى غفران
= اهل تلك الخطيئة ، وقيل : المحسنين منهم ، فقليل : معناه من أحسن منهم بعد
ذلك زدناه ثوابا ودرجات ، وقيل : من كان محسنا منهم زدنا في إحسانه ومن
كان مسيئا مخطئا تغفر له خطيئته ، وقيل : المحسنون من دخل كما أمر وقال : لا إله
إلا الله . وقال أبو البركات النسفي : إن من كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة
سببا في زيادة ثوابه ، ومن كان مسيئا كانت له توبة ومغفرة .

(١-١) ليست في م .

(٢) في م : يرجفون .

(٣) في م : اشتباههم .

(٤) زيد في ظ : فان غيرا كما - كذا .

الذنوب . قال الحرالي : أمروا بالإخلاص لله نظرا إلى حياة قلوبهم
فطلبوا الخنطة نظرا إلى حياة جسومهم فقال تعالى « فبدل ، من التبديل »
وهو تعويض شيء مكان شيء - انتهى . « الذين ظلموا ، وأسقط : منهم ،
لما يأتي في الأعراف » ٢ ، قولا ، أي مكان القول الذي أمروا به .

ولما كان التبديل وإن كان يفهم التغيير^١ لكنه يصدق بأدنى تغيير^٥ .
ولو أنه في اللفظ وإن اتحد المعنى بين أنه مضاد له بحيث لا يمكن
اجتماعهما بقوله^٦ « غير الذي قيل لهم »^٧ فإن غيرا كما^٨ قال الحرالي

(١) التبديل تغيير الشيء بآخر ، تقول : هذا بدل هذا ، أي عوضه ، ويتعدى لاثنتين
الثاني أصله حرف جر ، بدلت دينارا بدرهم أي حصلت له دينارا عوضا من
درهم « الذين ظلموا » ظاهره انقسامهم إلى ظالمين وغير ظالمين وأن الظالمين هم
الذين بدلوا ، فإن كان كلهم بدلوا كان ذلك من وضع الظاهر موضع المضمّر
إشعارا بالعلة وكأنه قيل : فبدلوا ، لكنه أظهره تنبيها على علة التبديل وهو
الظلم أي لولا ظلمهم ما بدلوا ، والمبدل به محذوف ، تقديره : فبدل الذين ظلموا بقولهم
حطة - البحر المحيط ١ / ٢٢٤ .

(٢) في م : تعريض .

(٣) زيد في م ومد : ان شاء الله تعالى .

(٤) في م : التعبير .

(٥) في م : تغيير .

(٦) قال أبو البركات النسفي : فيه حذف و تقدير : فبدل الذين ظلموا بالذي قيل لهم
قولا غير الذي قيل لهم ، فبدل إلى مفعول واحد بنفسه وإلى آخر بالياء ، فالذي
مع الباء متروك والذي بغيرها موجود ، يعني وضعوا مكان حطة قولا غيرها
أي أمروا بقول معناه التوبة والاستغفار فحذفوا إلى قول ليس معناه معنى ما =

كلمة تفهم انتفاء وإثبات ضد ما انتفى ، وقال : ذكر ' تعالى عدولهم عن كل ذلك ' واشتغالهم ببطونهم وعاجل دنياهم فطلبوا طعام بطونهم التي قد ٣ فرغ منها التقدير وأظهر لهم الغناء عنها في حال التيه بانزال المن والسلوى إظهارا لبلادة طباعهم وغلبة حب العاجلة عليهم فبدلوا كلمة التوحيد ه وهي لا إله إلا الله وهي الحطة بطلب الحنطة ه ولو أنهم ' أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم ' لا كلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ه

= أمروا به ولم يمتثلوا أمر الله ، وقيل : قالوا مكان حطة : حنطة ، وقيل : قالوا بالنبطية : حطاسمقانا ، أى حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا عن طلب ما عند الله إلى طلب ما يشتهون من أعراض الدنيا - انتهى . وذكر أبو حيان الأندلسي أقوال المفسرين في القول الذي قالوه بدل أن يقولوا : حطة ، ثم قال : والذي ثبت في صحيح البخاري ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسر ذلك بأنهم قالوا : حبة في شعرة ، فوجب المصير إلى هذا القول واطراح تلك الأقوال ، وأوضح شيء من الأقوال السابقة لحل اختلاف الألفاظ على اختلاف القائلين فيكون بعضهم قال كذا وبعضهم قال كذا فلا يكون فيها تضاد ؛ وكل ذلك عدم مبالاة بأوامر الله فاستحقوا بذلك النكال - انتهى كلامه .

(٧-٧) ليس في ظ ، ووقع في م : لكيا - مصحفا .

(١) ليس في ظ .

(٢) في م : ذنب .

(٣) ليس في م .

(٤-٤) في الأصول : امنوا واتقوا - كذا ، راجع القرآن الكريم سورة ه

آية ٦٦ .

«ولو ان اهل القرى 'امنوا و اتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء و الأرض ،
من شغله ذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل ' ما أعطى السائلين - انتهى .
و بين ٣ أنه خص المبدلين بالعتاب ' نعمة منه مع أن له أن يعم فقال '
« فانزلنا ، أى بعظمتنا بسبب ذلك » على الذين ظلموا ، أى خاصة « رجرا ،
قال الحرالى : هو أشد العذاب ، و ما جره ٦ أيضا يسمى ٧ رجرا لما يجب ٥

(١) فى الأصول : الكتاب راجع القرآن الكريم سورة ٧ آية ٩٦ .

(٢) ليس فى م .

(٣) كتب فى الأصل فوته : سبحانه .

(٤) فى ظ و م و مد : بالعقاب .

(٥) قال أبو حيان : كرر الظاهر السابق زيادة فى تقبيح حالهم وإشعارا بعلية
نزول الرجز - و بعد ذكر ما قيل فى الرجز من الأقوال قال : و الذى يدل عليه
القرآن أنه أنزل عليهم عذاب و لم يبين نوعه إذ لا كبير فائدة فى تعليق النوع .
أما الرجز لغة العذاب و تكسر راءه و تضم ، قيل الرجز مشتق من الرجاسة
و هى صوف ترين به الهوادج كأنه وسمهم ، قال الشاعر :

و لو تقفاها ضرجت بدما نهنها كما ضرجت نضو القوام الرجا نر
« من السماء » إن فسر الرجز بالثلج كان كونه من السماء ظاهرا ، و إن فسر بغيره
فهو إشارة إلى الجهة التى يكون منها القضاء عليهم أو مبالغة فى علوه بالقهر
والاستيلاء - اهـ . و قال البيضاوى : عذابا مقدرا من السماء بسبب فسقهم ، و الرجز
فى الأصل ما يعاف عنه ، و كذلك الرجز ، و المراد به الطاعون ، روى أنه
مات فى ساعة أربعة و عشرون ألفا .

(٦) فى م : جزه .

(٧) فى م : نسمى .

أن يزجر عنه ، و الزجر كف البهائم عن عدواها - انتهى . ولما كان
 الإنزال مفهوماً للسماء حققه تعظيماً له بقوله « من السماء بما ، أى بسبب
 ما كانوا يفسقون » ، أى يحددون الخروج من الطاعة إلى المعصية في
 كل وقت ، ففى إيفهامه أنهم يعودون إلى الطاعة بعد الخروج منها وذلك
 ٥ مقتضى لأن يكون يظلمون أشد منه كما يأتى . قال الحرالى : فبحق يجب
 على من دخل من باب جبل أو قرية أن يقول فى وصيدها : لا إله إلا الله ،
 ليحط عنه ماضى ذنوبه ، فكأن ذكر الله فى باب المدينة والشعب ذكاة
 لذلك المدخل ، فمن لم يدخله مذكياً دخله فاسقا « ولا تاكلوا مما لم يذكر
 اسم الله عليه » ، انه لفسق ٣ ، فلذلك ما أنخم / ذكرهم فى الآية بالفسق ١ -
 ٧٨ / انتهى ١٠ .

(١) فى م : وعيدها ، وهو خطأ .

(٢) سورة : آية ١٢١ .

(٣) كذا فى الأصول ، و الظاهر أن كلمة « ما » زائدة .

(٤) زيد فى ظ : هذه .

(٥) قال أبو مسلم : هذا الفسق هو الظلم المذكور فى قوله « على الذين ظلموا » وقائدة
 التكرار التأكيد لأن الوصف دال على العمية ، فالظاهر أن التبديل سببه الظلم أن
 إنزال الرجز سببه الظلم أيضاً . وقال غير أبى مسلم : ليس مكرراً الوجهين : أحدهما
 أن الظلم قد يكون من الصغار « ربنا ظلمنا » ومن الكبار « ان الشرك لظلم
 عظيم » والفسق لا يكون إلا من الكبار ، فلما وصفهم بالظلم أولاً وصفهم بالفسق
 الذى هو لابد أن يكون من الكبار ، والثانى أنه يحتمل أنهم استحقوا اسم الظلم
 بسبب ذلك التبديل ونزول الرجز عليهم من السماء لا بسبب ذلك التبديل بل =

ولما بين سبحانه نعمته عليهم بالإمكان من القرية بالنصر على أهلها
والتمتع^١ بمنافعها و ختمه بتعذيبهم^٢ بما يميت أو يحرق و تبين من ذلك
كله أن قلوبهم أشد قسوة من الحجارة كما سيأتى التصريح به من قول
الله تعالى فى قصة البقرة وأنها لا منفعة فيها اتبعه التذكير^٣ بنعمته عليهم
فى البرية بما يبرد الأكباد و يحيى الأجساد فذكر انفجار الماء من الحجر ه
الذى عمهم نفعه وأنقذهم من الموت تبعه^٤ ودلهم على التوحيد والرسالة
أصله وفرعه بقدره الصانع و عليه جمعا لهم بذلك بين نعمتى الدين والدنيا^٥
فقال تعالى « واذ استسقى ، أى طلب السقيا . قال الحرالى : والسقيا
فعلى صيغة مبالغة فيما يحصل به الرى من السقى و السقى إحياء موات

= بالفسق الذى فعلوه قبل ذلك التبديل ؛ على هذا يزول التكرار - انتهى ما قاله
أبوحيان فى البحر المحيط ١ / ٢٢٤ . ثم ذكر احتجاج بعض الناس أن ما ورد به
التوقيف من الأقوال لا يجوز تغييره ولا تبديله بلفظ آخر وقال قوم : يجوز ذلك ،
فالتفصيل يطلب فيه .

(١) ليس فى ظ .

(٢) فى م : التمتع .

(٣) زيد فى ظ : بها .

(٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : التذكر .

(٥-هـ) ليست فى ظ .

(٦) قال أبوحيان الأندلسى : هذا هو الإنعام التاسع وهو جامع لنعم الدنيا والدين ،
أما فى الدنيا فلأنه أزال عنهم الحاجة الشديدة إلى الماء ولولا هو لهلكوا فى التيه
وهذا أبلغ من الماء العتاد فى الإنعام لأنهم فى مغارة منقطعة ، وأما فى الدين
فلأنه من أظهر الدلائل على وجود الصانع وقدرته و عليه وعلى صدق موسى =

شأنه أن يطلب الإحياء حالا أو مقالا ؛ قال صلى الله عليه وسلم : اللهم اسق عبادك ١ ثم قال : وأحى بلدك ١ الميت - انتهى . « موسى لقومه ، أى لما خافوا الموت من العطش » قللنا ، أى بما لنا من العظمة حين خفيت عنهم » اضرب ، قال الحرالى : من الضرب وهو وقع الشيء على الشيء . بقوة » بعصاك ، والعصا كأنها ما يكف به العاصي ، وهو من ذوات الواو ، والواو فيه إشعار بعلو كأنها آلة تعلو من قارف ٣ ما تشعر فيه الباء بنزول عمله بالمعصية ، كأن العصو أدب العصي ، يقال عصا يعصو أى ضرب بالعصا اشتقاق ثان ، وعصى يعصى إذا خالف الأمر - انتهى . « الحجر ، أى جنسه فضرِب حجرا ١ » فانفجرت ، * وما أنسب ذكر الانفجار هنا بعد ختم ما قبل بالفسق ٦ لاجتماعهما في الخروج عن محيط ،

= عليه السلام ، والاستسقاء طلب الماء عدمه وقلته . وذكر الله هذه النعمة من الاستسقاء غير مقيدة بمكان وقد اختلف في ذلك - ثم ذكر الاختلاف من أراد الاطلاع فليراجع إلى البحر المحيط ١ / ٢٢٦ .

(١) في م : بذلك .

(٢) العصا مؤنث والألف منقلبة عن واو ، قالوا : عصوان ، وعصوته أى ضربته بالعصا ويجمع على أفعل شذوذا قالوا : أعص ، أصله أعصو ، وعلى فعول قياسا قالوا : عصى ، أصله عصو ويتبع حركة العين حركة الصاد .

(٤) في م : قارن .

(٥) زيد في م ومد : وطوى هذا المقدر من الضرب لا بناء .

(٦) زيد في م ومد : عليه مع البلاغة وبراعة الحسن ولطافة الرونق بحذفه والدلالة على سرعة الامتثال وعلى أن المؤثر في الحقيقة إنما هو الأمر بالضرب لأن الضرب نفسه .

(٧) في ظ : الفسق .

هذا خروج يحى وذاك خروج يميت . قال الحرالى : الانفجار ' انبعاث وحي من شئ موعى أو كأنه موعى انشق و انفلق عنه وعاؤه ومنه الفجر و انشقاق الليل عنه - انتهى . ولأن هذا سياق الامتان عبر بالانفجار الذى يدور معناه على انشقاق فيه سيلان و انبعاث مع انتشار واتساع وكثرة ، ولما لم يكن سياق الأعراف للامتان عبر بالانفجاس الذى يدور معناه على ه مجرد الظهور و النبوع ' منه ' أى الحجر الذى ضربه ' اثنتا عشرة عينا ، لكل سبط عين ، والعين قال الحرالى هو باد نام ٣ قيم يبدو به غيره ،

(١) قال أبو حيان الأندلسى : الانفجار انصداع شئ من شئ ومنه انفجر و الفجور وهو الانبعاث فى المعصية كالماء وهو مطاوع فعل بفجره فانفجر . « فانفجرت » الفاء للعطف على جملة محذوفة التقدير : ف ضرب فانفجرت ، كقوله تعالى « ان اضرب بعصاك الحجر فانفلق » أى ف ضرب فانفلق ويدل على هذا المحذوف وجود الانفجار مرتباً على ضربه ، إذ لو كان ينفجرون الضرب لما كان للأمر فائدة ولكان تركه عصياناً وهو لا يجوز على الأنبياء عليهم السلام . « منه » متعلق بقوله « فانفجرت » و « من » هنا لا ابتداء الغاية ، والضمير عائد على الحجر المضروب ، فانفجار الماء كان من الحجر لا من المكان كما قال تعالى « وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار » وجاء هنا « انفجرت » وفى الأعراف « انبجست » فقبل هما سواء ، انفجر و انبجس و انشق مترادفات ، وقيل بينهما فرق وهو أن الانفجاس هو أول خروج الماء و الانفجار اتساعه وكثرته ، وقيل الانفجاس خروجه من الصلب و الانفجار خروجه من اللين ، وقيل الانفجاس هو الرش و الانفجار هو السيلان ، و ظاهر القرآن استعمالهما بمعنى واحد لأن الآيتين قصة واحدة - انتهى كلامه ، أما ما ذكره المصنف له معنى باعتبار المحل و السياق فتدبر .

(٢) فى ظ : النوع - انتهى .

(٣) فى م : تام ، وفى مد : تام - كذا .

فما أجزأ من الماء في رى أو زرع فهو عين، وما مطر من السماء فأغنى
 فهو عين، يقال إن العين مطر أيام لا يقلع وإنما هو مطر يغنى وينجع،
 وما تبدو به الموزونات عين، وما تبدو به المراثيات من الشمس عين، وما
 تنال به الأعيان من الحواس عين، والركية وهي بئر السقيا عين، وهي
 التي يصحفها بعضهم فيقول: الركبة - بالياء - يغنى الموحدة - وإنما هي
 الركبة - بالياء المشددة - كذا قال، وقد ذكر أهل اللغة عين الركبة؛
 وعد في القاموس المعاني التي لهذا اللفظ نحو أربعين^٣، منها نقرة الركبة

(١) في م: فقال .

(٢) ليس في م ومد .

(٣) قال أبو حيان: العين لفظ مشترك بين منع الماء والعضو الباصر والسحابة
 تقبل من ناحية القبلة والطريق يمحط خمسا أو ستا لا يقلع ومن له شرف في الناس
 والثقب في الزادة والذهب وغير ذلك، وجمع على أعين شاذا وعيون قياسا،
 وقالوا في الأشراف: أعيان، وجاء ذلك قليلا في العضو الباصر قال الشاعر:

أسمل أعيانا لها وما قيا

« عينا » منصوب على التمييز وكان هذا العدد دون غيره لكونهم كانوا اثني
 عشر سبطا وكان بينهم تضاعف وتنافس فاجرى الله لكل سبط منهم عينا يرد
 لا يشركه فيه أحد من السبط الآخر، وذكر هذا العدد دون غيره يسمى التخصيص
 عند أهل علم البيان وهو أن يذكر نوع من أنواع كثيرة لمعنى فيه لم يشركه
 فيه غيره ومنه قوله تعالى « وانه هو رب الشعري » قال بعض أهل اللطائف:
 خالق الله الحجارة وأودعها صلابة يفرق بها أجزاء كثيرة مما صلب من الجوامد
 وخلق الأشجار رطبة العصون ليست لها قوة الأحجار فتؤثر فيها تفرقا بأجزائها
 ولا تفجير العيون ماءها بل الأحجار تؤثر فيها، فلما أبدت بقوة النبوة انفلقت =

أى بالوحدة ، و منها مفجر ماء الركية بالتحانية مشددة .
 ولما توقع السامع إخبار المتكلم هل كانت الأعين موزعة بينهم
 معروفة أو ملبسة قال « قد علم كل اناس ، أى منهم . قال الحرالى :
 و هو اسم جمع من الانس - بالضم ، كالناس اسم جمع من النوس ، قال :
 فلم يسمهم باسم من أسماء الدين لأن الاسماء تجري على حسب الغالب على
 المسمين بها من أحوال تدين أو حال طبع أو تطبع « مشربهم » مكفاهم
 من الشرب المردد مع الأيام و مع الحاجات فى كل وقت بما يفهمه
 المفعول اسم مصدر ثان مشتق من مطلق الشرب أو اسم محل يلزمه
 = بها البحار و تفرقت بها أجزاء الأحجار و سالت بها الأنهار إن فى ذلك لعبرة
 لأولى الأبصار - انتهى كلامه . قال على الهائى : ثم أشار إلى أن النعم الإلهية
 لو لم تكن فى حقهم سبب الكفر فلا أقل من أن تكون سبب التفرقة فقال « و اذ
 استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر » و كانا من الجنة حملها آدم
 فتوارثها الأنبياء عليهم السلام حتى وصلا إلى شعيب فأعطاها موسى عليه السلام ،
 و كان مكعبا ينبع من كل وجه ثلاث أعين يسيل كل عين فى جدول ، و لا يبعد
 من قدرة الله أن يجعل الحجر جاذبا للهواء مقبلا لها بقوة تبريده بالماء « فانفجرت
 منه اثنتا عشرة عينا » عدد قبائلهم « قد علم كل » قبيلة « اناس مشربهم » المعين
 إذ لا يجتمعوا على مشرب واحد فلم يجتمعوا فى حياة موسى الجامع لهم على مشرب
 واحد فكيف يجتمعون بعده على شريعة واحدة - انتهى كلامه .

(٤) فى م : بعدد .

(١) زيد فى م : او .

(٢) فى ظ : و .

التكرار عليه و التردد ، فجعل سبحانه سقيام آية من آياته في عصاه ،
 كما كانت آيته في عصاه على عدوه الكافر ، فكان فيها نقمة و رحمة ؛ و ظهر
 بذلك كمال تمليك تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم حين كان ينبع من
 بين أصابعه الماء غنيا في نبوعه عن آلة ضرب أو حجر ، و تملك الماء
 ٥ من أعظم التمكين ، لأنه تمكين فيما هو بزر كل شيء و منه كل حي
 و فيه كل مجعول و مصور - انتهى . يعنى أن هذه الخارقة دون ما ينبع
 للنبي صلى الله عليه وسلم من الماء من بين أصابعه ، و دون ما ينبع بوضع
 أصحابه سهما من سهامه في بئر الحديبية و قد كانت لا ماء فيها ، و نحو
 ذلك كثير .

١٠ و لما ' كان السياق للامتنان ' ٣ و كان ٢ الإيجاد لا تستلزم التحليل
 للتناول قال زيادة على ما في الاعراف عمتا عليهم بنعمة الإحلال بعد
 الإيجاد على تقدير القول لأنه معلوم تقديره * : كلوا و اشربوا من رزق الله ،

(١) في م : برز .

(٢ - ٢) ليست في ظ .

(٣ - ٣) ليس في م .

(٤) في م : تمنا .

(٥) قال أبو حيان : هو على إضمار قول أى و قلنا لهم ، و هذا الأمر أمر إباحة .
 قال السلمي : مشرب كل أحد حيث أنزله رائده ، فمن رائده نفسه مشربه الدنيا ،
 أو قلبه مشربه الآخرة ، أو سرّه مشربه الجنة ، أو روحه مشربه السلسيل ،
 أو ربه مشربه الحضرة على المشاهدة حيث يقول : « و سقاهم ربهم شرابا
 طهورا » طهرهم به عن كل ما سواه ؛ و بدى بالأكل لأنه المقصود أولا ، =

أى الذى رزقكموه ' من له السكال كله ' من غير كد ولا نصب ' .
قال الحرالى : لما لم يكن فى مأكلهم ومشربهم جرى العادة حكمته فى
الأرض فكان من غيب فأضيف ذكره لاسم الله الذى هو غيب . ولا

= وثنى بالشرب لأن الاحتياج إليه حاصل عن الأكل ولأن ذكر المن والسلوى
متقدم على انفجار الماء ، « من رزق الله » ، ولما كان مأكلهم ومشربهم حاصلين
لهم من غير تعب منهم ولا تكلف أضيفا إلى الله تعالى وهذا التفات إذ تقدم
« قلنا اضرب » والرزق هنا هو الرزوق وهو الطعام من المن والسلوى
والمشروب من ماء العيون .

(١ - ١) ليست فى ظ .

(٢) قال أبو حيان الأندلسى : ولما كان مطعومهم ومشربهم بلا كلفة عليهم
ولا تعب فى تحصيله حسنت إضافته إلى الله وإن كانت جميع الأرزاق منسوبة إلى الله
تعالى سواء كانت مما تسبب العبد فى كسبها أم لا ، واختص بالإضافة للفظ الله
إذ هو العلم الذى لا يشركه فيه أحد الجامع لاسائر الأسماء « الله الذى خلقكم ثم
رزقكم » « قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله » « امن يبدؤا الخلق ثم
يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض - اله مع الله » وفى هذه الآية دلائل على
جواز أكل الطيبات من الطعام وشرب المستلذ من الشراب والجمع بين اللوتين
والمطعومين وكل ذلك بشرط الحل . وقال المہائمی : « واشربوا » من المشارب
حال كونها « من رزق الله » فلا تستعينوا به على معصية الله بل اجعلوه عوناً
على طاعته واستدلوا به على عنايته بكم « ولا تعثوا » أى لا تفسدوا فساداً سارياً
« فى الأرض » حال كونكم « مفسدين » بالفرقة فلا تريدوا عليها ، فعلم أن نعم الله
لم تزل فى حقهم سبباً لمزيد فسادهم ، لذلك زادوا فساداً يبعثه مجد صلى الله عليه
وسلم - انتهى .

تعثوا، من العثو وهو أشد الفساد و كذلك العثى إلا أنه يشعر هذا
التقابل بين الواو والياء، إن العثو إفساد أهل القوة بالسطوة والعثى إفساد
أهل المكر بالحيلة - انتهى . « في الأرض ، أى عامة ، لأن من أفسد
في شيء منها بالفعل فقد أفسد فيها كلها بالقوة ، و اتباع ما معناه الفساد
ه قوله « مفسدين » دليل على أن المعنى ولا تسرعوا إلى فعل ما يكون
فسادا قاصدين به الفساد ، فإن العثى والعيث الإسراع في الفساد ، لكن
قد يقصد بصورة الفساد الخير فيكون / صلاحا في المعنى ، كما فعل الخضر / ٧٩
عليه السلام في السفينة والغلام ، وليس المراد بالإسراع التقيد بل الإشارة
إلى أنه ملائمة للهوى لا يكون إلا كذلك ؛ وسيأتى له في سورة هود
١٠ عليه السلام إن شاء الله تعالى مزيد بيان ' . قال الحرالى : وفيه إشعار

(١) قد فسر أبوحيان العثو والعثى مثل ما في هذا الكتاب مع مزيد بيان - إلى
أن قال : لما أمروا بالأكل والشرب من رزق الله ولم يقيد ذلك عليهم بزمان
ولا مكان ولا مقدار من ما كول أو مشروب كان ذلك إنعاما وإحسانا جزيلا
واستدعى ذلك التيسر في المأكل والمشرب وأنه ينشأ عن ذلك القوة التضيية
و انقوة الاستعلائية نهاهم عما يمكن أن ينشأ عن ذلك وهو الفساد حتى لا يقابلوا
تلك النعم بما يكفرها وهو الفساد في الأرض . ويكون فسادهم فيها من جهة
أن كثرة العصيان والإصرار على المخالفات والبطر يؤذن بانقطاع الغيث
وقحط البلاد وزرع البركات وذلك انتقام يعم الأرض بالفساد . قال القشيري
في قوله تعالى « واذ استسقى » الآية : إن الذى قدر على إخراج الماء من الصخرة
الصماء كان قادرا على إدوائهم بغير ماء ولكن لإظهار أثر المعجزة فيه واتصال
عمل الاستعانة إليه وليكون لموسى عليه السلام في فضل الحجر مع نفسه شغل
ولتكليفه أن يضرب بالعصا نوع من المعالجة ثم أراد أن يكون كل سبط =

بوقوع ذلك منهم، لأن في كل نهى إشعاراً بمخالفته، إلا ما شاء الله، وفي كل أمر إشعاراً بموافقه إلا ما شاء الله، لأن ما جبل عليه المرء لا يؤمر به لاكتفاء إجباره فيه طبعاً عن أمره، وما منع منه لا ينهى عنه لاكتفاء إجباره عن أمره، وإنما مجرى الأمر والنهى توطئة لإظهار الكيان في التفرقة بين مطيع وعاص، فكان منهم لذلك من العنى ما ه أوجب ما أخبر به الحق عنهم من الهوان، وأشد الإفساد إفساد بنيان الحق الذى خلقه يده وهى مباني أجساد بنى آدم فكيف بالمؤمنين منهم

= جارياً على سنته غير مزاحم لصاحبه وحين كفاهم ما طلبوه أمرهم بالشكر وحفظ الأمر وترك احتقاب الوزر فقال « ولا تعثوا » والمناهل مختلفة وكل يرد مشربه، فشرب فرات ومشرب أجاج ومشرب صاف ومشرب رنق، وسياق كل قوم يقودهم فالنفوس ترد مناهل المنى، والقلوب ترد مشارب التقى، والأرواح ترد مناهل الكشف، والمشاهدات والأسرار ترد مناهل الحقائق بالاختطاف من حقيقة الوحدة والذات - انتهى كلامه ماخصاً. قال البيضاوى: « ولا تعثوا فى الارض مفسدين » لا تعتدوا حال إفسادكم، وإنما قيده لأنه وإن غلب فى الفساد فقد يكون منه ما لبس بفساد، كقابلية الظالم المعتدى بفعله، ومنه ما يتضمن صلاحاً راجعاً كقتل الخضر الغلام وخرقه السفينة؛ ويقرب منه العيث غير أنه يغلب فيما يدرك حساً. ومن أنكر أمثال هذه المعجزات فلغاية جهل بالله وقلة تدبره فى عجائب صنعه، فانه لما أمكن أن يكون من الأحجار ما يخلق الشعر وينفر الحل ويجذب الحديد لم يمتنع أن يخلق الله حجراً يسخره لجذب الماء من تحت الأرض أو لجذب الهواء من الجوانب وتصويره ماء بقوة التبريد ونحو ذلك - انتهى .

(١) زيد فى م : و .

فكيف بالأنبياء منهم - انتهى .

ولما امتنّ عليهم^١ بهذه النعمة العظمى من أكل المن
والسلوى و شرب هذا الماء الرباني بين أنهم كفروها بالتضجر منها و طلب
غيرها و بالتيه كان قريبا منها بل كما أن هذه في غاية العلو كان مطلوبهم
في غاية الدناءة^٢ و السفل فقل تعالى « و اذ قلتم ، أى بعد هذه النعم كلها
« يٰموسى ، منادين له باسمه من غير تعظيم « لن نصبر ، أى طويلا « على طعام ،
قال الحرالى : الطعام^٣ ما يقوت المتطعم و يصير جزاء منه ، فلينظر الانسان
إلى طعامه^٤ ، الآية - انتهى . « واحد ، أى لا يتبدل و إن كان متعددا^٥ »

(١) زيد في م : سبحانه .

(٢) في م : النداء - كذا .

(٣) قال أبو حيان : الطعام اسم لا يطعم كالعطاء اسم لا يعطى وهو جنس ، الواحد
الذى لا يتبعض و الذى لا يضم إليه ثان ، يقال وحيد وحدا و حدة إذا انفرد ،
الدعاء التصويت باسم المدعو على سبيل النداء ، الإنبات الهمة فيه للنقل و هو
الإخراج لما شأنه النمو ؛ لا سئموا من الإقامة في التيه و المواظبة على ما كول
واحد لبعدهم عن الأرض التى ألقوها و عن العوائد التى عهدوها أخبروا عما
وجدوه من عدم الصبر على ذلك و تشوئهم إلى ما كانوا يألّفون و سألوا
موسى ان يسأل الله لهم لما كان سؤال النبي أقرب للإجابة سألوه عن ذلك ،
و لأن النوع الواحد أربعين سنة يمل و يشتهى إذ ذاك غيره ، و ذكر تسعة
أقوال في معنى قوله « على طعام واحد » راجع إلى البحر المحيط ١ / ٢٣٢ .

(٤) سورة ٨٠ آية ٢٤ .

(٥-٥) ليست في ظ .

وإن كان شريفا لا تعب فيه ، فادع لنا ، قال الحرالي : من الدعاء ، هو نداء لاقتضاء غلبة لما تدعو الحاجة إليه ، من القائم على الداعي بتذلل واقتدار ، وهو في مقابلة الأمر من الأعلى ، لأنه اقتضاء لما لا تدعو إليه حاجة من الأمر لأن الأمر بالحقيقة إنما هو الغنى لا الفقر لما يقتضيه . انتهى . « ربك » مضيفين لهذا الاسم إليه دون أنفسكم مع كثرة . تجليه لكم بهذا الوصف الناظر إلى الإحسان ، يخرج لنا ، أى وإن كنت أنت غير ملتفت إلى ذلك ، مما تنبت ، من الإنبات وهو التغذية والتمية . قاله الحرالي . « الأرض » ثم بينوا ٣ ما أرادوا بقولهم « من بقلها » ، أى

(١) قدمه في م على « الحاجة » .

(٢) ليس في ظ .

(٣) في ظ : يلبوا - كذا .

(٤) البقل جنس يندرج فيه النبات الرطب مما يأكله الناس والبهائم ، يقال منه بقلت الأرض وأبقلت أى صارت ذات بقل ومنه الباقلاء - قاله ابن دريد ، والمراد بالبقل هنا أطايب البقول التى يأكلها الناس كالنعناع والكرفس والكراث وأشباهاها - قاله الزمخشري . القناء ، اسم جنس واحد قناء بضم القاف وكسرهما وهو هذا المعروف ، وقال الخليل : هو الخيار ، القوم قال الكسائى والفراء والنضر بن شميل وغيرهم هو الثوم ، أبدلت الثاء فاء كما قالوا فى مغفور : مغثور ، وفى جندف : جدث . وقال أبو مالك وجماعة : القوم الحنطة ، وقال ابن قتيبة والزجاج : هى الحبوب التى تؤكل وقيل الحبوب التى تحبز . وقال قطرب : القوم كل عقدة فى البصل وكل قطعة عظيمة فى اللحم وكل لقمة كبيرة ؛ وأحوال =

خضرها . قال الحرالي : البقل ما يكثر به الأدم ، والأدم الأشياء الدسمة
 فما يصلح معها من نجم الأرض فهو بقل - انتهى . « وقائها وفومها ،
 أى الخنطة . وقال الحرالي : يقال هو الحب الذى يخبز - انتهى . « وعدسها
 وبصلها ، فكأنه قيل إن هذا العجب منهم فـ ' قال ' ؟ فقيل قال « قال ٢ ،
 ٥ منكراً عليهم « استبدلون ، أى تأخذون « الذى هو ادنى ، ' أى منزلة '
 « بالذى هو خير ، أى بدله ، فالباء داخلة هنا على المتروك وهذه المادة
 أعنى الباء والبدال المهملة واللام بهذا الترتيب لها استعمالات كثيرة يختلف
 معناها معها فيشكل فهمها بسبب ذلك ، فانه قد يذكر معها المتقابلان
 فقط ، وقد يذكر معها غيرها ، وقد لا يكون كذلك ، وقد يكون
 ١٠ ذلك مع التبدل والاستبدال مصحوباً أحدهما بالباء ، وقد لا يكون
 كذلك ، وقد يذكران مع التبديل والإبدال ، وتارة تكون الباء
 داخلة على المتروك ، وتارة على المأخوذ ، وقد يعدى الفعل بنفسه إلى
 المفعولين ، وتارة يقتصر به على مفعول واحد ؛ ولبعض الإستعمالات
 = هذه الخمسة التى ذكروها مختلفة ، فذكروا أولاً ما هو جامع للحرارة والبرودة
 والرطوبة واليبوسة - من البحر المحيط ملخصاً ١ / ٢٣٣ .

(١) فى م : فيما .

(٢) فى ظ : قاله .

(٣) قال الهانئى : أى أتطلبون أدنى الأشياء قدرا ونفعاً ولذة بدل أعلاها

ولذلك استبدلوا الدنيا بالآخرة وشريعتهم بهذه الشريعة - انتهى .

(٤-٤) ليس فى ظ .

معنى غير معنى الآخر و سياتى تحريره إن شاء الله تعالى فى سورة سبأ
فكانه قيل : فهل أجابهم إلى سؤالهم ؟ قليل : نعم ، قال : اهبطوا مصرا ،
أى من الأمصار ، قال الحرالى : المصر هو البلد الجامع لما يتعاون عليه
من أمور الدنيا الذى يجمع هذه المطالب التى طلبوها لأن مادون الأمصار
لا يكون فيها إلا بعضها ٣ ، ومنه سميت مصر لجامع أمر ما فى الدنيا فيها ٥

(١) قال أبوحيان الأندلسى : المصر البلد مشتق من مصرت الشاة أمصرتها
مصرا حلبت كل شىء فى ضرعها ، وقيل : المصر الحد بين الأرضين و هجر ،
يكتبون : اشترى الدار بمصورها ، أى بمحدودها ، وقال عدى بن زياد :

وجاعل الشمس مصرا لاخفاء به بين النهار و بين الليل قد فصلا
و الجمهور على صرف مصرا هنا ، و قرأ الحسن و طلحة و الأعمش و أبان بن
معلى بغير تنوين ، فأما من صرف فانه يعنى مصرا من الأمصار غير معين ،
و أما من قرأ مصر بغير تنوين فالمراد مصر العلم و هى دار فرعون - انتهى
ملخصا . و قال البيضاوى : انحدروا إليه من التيه ، يقال هبط الوادى إذا نزل
به ، و هبط منه إذا خرج منه ، و قرئ بالضم ، و المصر البلد العظيم وأصله
الحد بين الشيتين ، و قيل أراد به العلم و إنما صرفه لسكون وسطه أو على تأويل
البلد و يؤيده أنه غير منون فى مصحف ابن مسعود و قيل أصله مصرايم فحرب
- انتهى . و قال أبو البركات النسفى : مصرا من الأمصار أى انحدروا إليه من
التيه و بلاد ما بين المقدس إلى قنسرين و هى اثنا عشر فرسخا فى ثمانية فراسخ ؛
أو مصر فرعون - انتهى .

(٢) فى ظ : الذى .

(٣) فى ظ : بعضا .

و غرابة سقياها، وإن وافق ذلك ما يقال إنها سميت مصر باسم رجل
فالوفاق في حكمة الله، لأن كل دقيق و جليل فيها جارٍ بعلم الله و حكمته
حيث كانت من وراء حجاب يخفيها أو ظاهرة بادية لأهل النظر
و الاستبصار - انتهى . « فان لكم ، أى فيه » ما سألتم ، ' و ينقطع عنكم المن
و السلوى ، و السؤال قال الحرالى طلب ما تدعو إليه الحاجة و تقع به
الكفاية ، قال : و ذكر تعالى أن مطلبهم إنما يجدونه فى الأمصار التى
أقر فيها حكمته لا فى المفاوز التى تظهر فيها كلمته ، و لذلك كثيرا ما تنخرق
العادة لأولياء هذه الأمة فى المفاوز و قل ' ما تنخرق فى الأمصار و القرى ،
لما فى هذه الآية مضمونه^٢ ، و لذلك حرص السالكون على السياحة و الانقطاع
١٠ عن العمار ، لما يجدون فى ذلك من روح رزق الله عن كلمته دون
كلفة حكمته .

و لما نظم سبحانه نبأ موسى عليه السلام ما كان من نبأهم مع يوشع

(١) قال المهاشمي : « فان لكم » فيه « ما سألتم » من غير دعاء أحد و لا يليق بي
أن أدعوا لتزيلكم . و قال النسفي : « فان لكم » فيها « ما سألتم » أى فان الذى
سألتم يكون فى الأمصار لا فى التيه . قال أبو حيان : السؤال الطلب و المطلوب ،
هذه الجملة جواب للأمر كما يجاب بالفعل المجزوم ، والمعنى ما سألتم من القول
و الجواب التى اخترتموها على المن و السلوى ، و قيل ما سألتم من انكالكم على
تدبير أنفسكم فى مصالح معاشكم و أحوال أوقاتكم - انتهى .

(٢) فى م : قيل ، و هو كما ترى .

(٣) فى م : مضمونة - كذا .

عليه السلام بعده نظم في هذه الآية بخطاب موسى عليه السلام ما كان
منهم بعد يوشع عليه السلام ' إلى آخر اختلال أمرهم وانقلاب أحوالهم
من حسن المظاهرة لنيهم إلى حال الاعتداء والقتل لأنبيائهم عليهم السلام ،
وفي جملة إشعار بأن ذلك لم يكن منهم إلا لأجل إثارة الدنيا [و-٣]
رئاستها ومالها على الآخرة إثارة للعاجلة على الآجلة ، وفي طيه أشد ه
التحذير لهذه الأمة في اتباعهم لسنن أهل الكتاب في مثل أحوالهم ؛
ولذلك انتظم بها الآية الجامعة وابتدأ بذكر الذين آمنوا من هذه
/ الأمة ثم استوفى الملل التي لها صحة على ما يذكر آنفا إن شاء الله تعالى
٨٠ / - انتهى . ولما كان التقدير ففعلوا ما أمروا به من هبوط المصر فكان ما
وعدوا به عطف عليه قوله « وضربت عليهم الذلة » ملازمة لهم بحيطه ١٠
بهم من جميع الجوانب كما يحيط البيت المضروب على الإنسان به ، وهي
اسم من الذل ' وهو صغار في النفس عن قهر وغلبة . قال الحرالي : وفي

(١-١) ليست في ظ .

(٢) في ظ : جملة ذلك ، وفي م : حمته - كذا .

(٣) زيدت الواو من م .

(٤) الذل الخضوع وذهاب الصعوبة والذلة كأنها هيئة من الذل كالجلسة ،
معنى الضرب هنا الإلزام والقضاء عليهم ، من ضرب الأمير البعث على الجيش
وضرب الدهر ضرباته أي ألزم لإلزاماته ، وقيل معناه الإحاطة بهم والاشتغال
عليهم ، مأخوذ من ضرب القباب ؛ وقيل معناه التصقت بهم ، من ضربت
الحائط بالطين ألصقته به ، أما الذلة فقليل هي هوانهم بما ضرب عليهم من الجزية
التي يؤدونها عن يد وهم صاغرون ، وقيل : فقر النفس وشحها فلا ترى ماله من =

عطفه إفهام لمجاوزة أبناء عديدة غايتها في الظهور ما عطف عليها كأن الخطاب يفهم فأنزلناهم حيث أنزلوا أنفسهم ومنعناهم ما لا يليق عن حاله مثل حالهم فظهر منهم وجوه من الفساد ، فسلط عليهم العدو فاستأصل منهم من شاء الله ومن بقي منهم أخذوا بأنواع من الهوان - انتهى .
 هـ « والمسكنة » أى كذلك مناسبة لحساسة ما سأله . قال الحرالي : وهى ظهور معنى الذل أو التذلل على ظاهر الهيئة والصورة سكونا وانكفاف حراك - انتهى . « وباءوا » أى رجعوا ٣ وكانوا أحقاء ٣ « بغضب »

= الملل أذل وأحرص من اليهود . والمضروب عليهم الذلة والمسكنة اليهود المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم - قاله الجمهور ، أو الذين كفروا بآيات الله وقتلوا الأنبياء بغير حق والقائلون : ادع لنا ربك ، ومن تابعهم من أبنائهم أقوال ثلاثة - فاختص من البحر المحيط ١ / ٢٣٦ .
 (١) فى مد : فأنزلنا .

(٢) قال المهاشمي : « و » لما مالوا إلى الأدنى « ضربت عليهم الذلة والمسكنة » أى جعلت كالقبة المضروبة عليهم فى الإحاطة بهم فلا يكاد ترى يهوديا إلا ذليلا ومسكينا فى نفسه أو فيما يظهر من حاله مخافة أن يستتراد فى الجزية ، و فيه إشارة إلى أنهم ليس لهم إذلال هذا الدين أصلا « و » ليس تذللهم ومسكنتهم مجودا يفيد رضا الله بل لذلك « باءوا » أى رجعوا إلى ذلة أنفسهم ملتبسين « بغضب » عظيم « من الله » بتسليط قهره موضع لطفه ، ولذلك سلط عليهم الكفر ومنعهم الإيمان و ليس بمجرد استبدالهم الطعام المحل لهم . قال أبو حيان : باء بكذا أى رجع - قاله الكسائى ، أو اعترف - قاله أبو عبيدة ، واستحق - قاله أبو روق ، أو نزل و تمكن - قاله البرد ، أو تساوى - قاله الزجاج ، وأنشدوا لكل قول =

'من باء فلان بفلان إذا كان حقيقاً بأن يقتل به لمساواته له'. قال
الحرالي: معناه اجماع القاهر على الانتقام في حق مراغمة - انتهى .
'من الله' ، 'الملك الأعظم' لجرأتهم على هذا المقام الأعظم مرة بعد
مرة وكرة إثر كرة . قال الحرالي: وفيه تهديد لهذه الأمة بما غلب
على أهل الدنيا منهم من مثل أحوالهم باستبدال الأدنى في المعنى من ه
الحرام والمتشابه بالأعلى من الطيب والطيب المأخوذ عفواً واقتناعاً -
اتhey .

ثم ذكر سبب هذا وقال الحرالي: ولما كان الغضب إنما يكون على من
راغم الجليل في معصيته ٣ ووقعت منهم المراغمة في معصيتهم واعتدائهم
ذكر فعلهم - انتهى . فقال ذلك ، ٤ أى الأمر العظيم الذى حل بهم من ١٠
الغضب وما معه ، ويجوز أن يرجع إلى اهتمامهم بأمر معاشهم وعنايتهم
بأحوال شهواتهم على هذا النحو الأخص الأدنى بانهم ، أى بسبب أنهم
= ما يستدل به من كلام العرب . وباء يستعمل في الخير وفي الشر ، في الحديث:
أبوء بنعمتك علىّ وأبوء بذنبي . (٣-٣) ليست في ظ .

(١-١) ليست في ط .

(٢) زيد: في مد: اى .

(٣) في م: معصية .

(٤) الإشارة إلى الباء بالغضب أو الباءة والضرب ، والباء للسبب ، أى ذلك

كأن بكفرهم وقتلهم ، الايات: المعجزات التسع وغيرها التى أتى بها موسى

أو التوراة - من البحر المحيط ١ / ٢٣٦ .

« كانوا ، أى جبله وطبعاً » يكفرون ، 'أى مجددين مستمرين' « بآيت الله ،
 أى يسترون إذعانهم و تصديقهم بسبب آيات الله الذى له جميع العظمة
 كتبنا عن لا يعلم الآيات و تلبساً ، و كان تجديد ذلك و الإصرار عليه
 ديدنا ٣ لهم و خلقا قائما بهم . قال الحرالى : و الكفر بالآيات أبعد الرتب
 من الإيمان ، لأنه أدنى من الكفر بالله ، لأن الكفر بالله كفر بغيث و الكفر
 بآيات الله كفر بشهادة « و الذين كفروا بآيتنا » هم اصحاب المشيمة ، انتهى .
 « و يقتلون النبيين ، أى كان ذلك جبله لهم » و طبعاً . قال الحرالى : و هذا
 جمع نبي . و هو من النبأ و هو الإخبار عن غيب عجز عنه المخبر به من
 حيث أخبر - انتهى ٦ .

(١-١) ليس فى ظ ، و فى م و مد : مستهزئين - مكان : مستمرين .

(٢) فى ظ : تلبياً .

(٣) فى الأصل : ديدنا - و هو محرف .

(٤) وقع فى ظ : بآيات الله - خطأ ؛ راجع القرآن الكريم سورة ٩٠ آية ١٩ .

(٥) ليس فى ظ .

(٦) قال أبو حيان : النبي مهموز من أنبأ فعيل بمعنى مفعول كسميع من أسمع ، و جمع
 على النبأ و مصدره النبوءة و تنبأ مسيماً ، كل ذلك دليل على أن اللام همزة .
 و حكى الزهراوى أنه يقال نبؤ إذا ظهر ، و بذلك سمي الطريق الظاهر نبئاً ؛
 و من لم يهمز فليل أصله الهمز ثم سهل و قيل مشتق من نبا ينبو إذا ظهر و ارتفع .
 قال الكسائى : النبي الطريق سمي به لأنه يهتدى به ، و سمي الرسول لأنه طريق
 إلى الله . قتالوا يحيى و شعيباً و زكريا ، و روى عن ابن مسعود قتل بنو إسرائيل =

ولما كان النبي معصوما دينا ودنيا قال « بغير الحق »^١ أى الكامل
تنبيها على أن قتله لا يقع إلا كذلك^٢، لكن هذا لا ينفي أن يكون ثم
شبهة كظن التنبؤ فالذم على الإقدام على إراقة الدم بدون الوضوح
التام وفاقا لنهى « ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق »^٣، فهو أخف
بما فى آل عمران^٤ . ثم علل هذه الجراءة فقال « ذلك » أى الأمر الكبير
من الكفر والعقل الذى هو من أعظم الكفر « بما عصوا » وهو من
العصيان . قال الحرالى : « هو مخالفة الأمر - انتهى » . « كانوا » أى جملة
وغيره « يعتقدون » أى يتجاوزون الحدود على سبيل التجدد والاستمرار،
فإن من فعل ذلك مرد عليه ومرت فاجترأ على العظام^٥ . قال الحرالى :

== سبعين نبيا، وفى رواية : ثلاثمائة نبى . وعلى هذا يتوجه قراءة من قرأ يقتلون
بالتشديد .

(١) تقتلونهم مبطلين أو قتلا بغير حق ، لأن النبي معصوم من أن يأتى أمرا
يستحق عليه فيه القتل ، وإنما جاء هذا القيد على سبيل التشجيع لقتلهم والتبجيل لفعليهم
مع أنبيائهم أى بغير الحق عندهم . قال ابن عباس وغيره : لم يقتل نبى قط من الأنبياء
إلا من لم يؤمر بقتال ، وكل من أمر بقتال نصر - تلخص من البحر المحيط ١/١٣٧ .
(٢) فى ظ : قتلهم .

(٣) وفى ظ : لذلك .

(٤) سورة ١٧ آية ٣٣ .

(٥) قال المهازمى « و » لكفرهم كانوا « يقتلون النبيين » شعيا وزكريا ويحيى
وغيرهم عليهم السلام مع علمهم أنه « بغير حق » أى الموجب له ثابت شرعا
وكذلك بالآيات الظاهرة على يدي محمد صلى الله عليه وسلم ويريدون قتله « ذلك »
الكفر والاجترأ على قتل الأنبياء « بما عصوا » فإن المعاصى تجر إلى الكفر
لأنهم أصروا على الصغائر أو اكتسبوا الكبائر على التدور - انتهى كلامه .
(٦ - ٦) ليست فى ظ .

وهو أى الاعتداء تكلف العداء، والعداء مجازة الحد، فيما يفسح فيه إلى حد لا عذر لمجاوزه من حيث فسح له سعة ما فسح وحُدَّ له ما حُدَّ - انتهى . وقد جاء نظم هذه الآيات من قصصهم على غير ترتيبها في الوجود، وفي التوراة لما ذكرت من هذه المناسبات العظيمة والله أعلم شرح أمرها ه من التوراة قال في آخر السفر الرابع منها في 'النسخ الموجودة' بين أظهر اليهود الآن في هذا القرن التاسع فيما قرأته في نسخة مترجمة بالعربية وخطها كذلك . وعليها آثار قراءتهم لها وبيان الأوقات التي يقرأ فيها كل فصل منها ثم قابلتها بالمعنى كما مضى مع شخص منهم و كان هو القارئ ما نصه: وهذه مظاعن بنى إسرائيل حيث خرجوا من أرض مصر ١٠ بأجنادهم على يدى موسى و هارون عليها السلام و كتب موسى مخارجهم و مراحلهم عن قول الرب ظعنوا من رَعْمِيس - وفي نسخة: من عين شمس - في خمسة عشر يوما من الشهر الأول من غد الفصح - ٣ وفي نسخة:

(٧) قال أبو حيان الأندلسي: ولما ذكر تعالى حلول العقوبة بهم ضرب الذلة والمسكنة والمبادة بالغضب بين علة ذلك فبدأ بأعظم الأسباب في ذلك وهو كفرهم بآيات الله، ثم ثنى بما يتلو ذلك في العظم وهو قتل الأنبياء، ثم أعقب ذلك بما يكون من المعاصي وما يتعدى من الظلم - قال معنى هذا صاحب المنتخب .

(١ - ١) في م: الفسح الموجود - كذا .

(٢) في ظ: بأخبارهم .

(٣) والفصح عند اليهود عيد تذكار خروجهم من مصر عند أكلهم الخروف والمرأروهم مستعدون للسفر. وعند النصارى عيد تذكار قيامة المسيح من الموت، و يعرف بالعيد الكبير، وهو تعريب فسح بالعبرانية ومعناه اجتياز و عبور أو نجاة، ويوم فصح أى بلاغيم ولا برد - تظر المحيط ١٥٩٩/٢ .

بعد الفصح يوم - و المراد بالشهر الأول عندهم نيسان^١ و هو شهر الفريك،
 و خرج بنو إسرائيل بقوة عظيمة تجاه جميع^٢ أهل مصر كانوا ٣ مشاغل
 بدفن الأبنكار الذين قتلهم الرب،^٤ و بما انتقم الرب^٥ من آلهتهم، فظعن
 بنو إسرائيل من رعسيس - و في نسخة: عين شمس - و نزلوا ساحوت
 و ارتحلوا من ساحوت و نزلوا آثم^٦ - و في نسخة: اثم^٧ - التي في أقاصى ه
 المفازة و ظعنوا من اثم^٨ و نزلوا في فوهة الخندق الذى فى جبال بعلصفون
 و نزلوا بازاء مغدول - و في نسخة: مجدول - و ارتحلوا من فوهة الخندق
 و جازوا^٩ في وسط^{١٠} البحر إلى القفر - و في نسخة: بين^{١١} البحر و القفر -
 و ساروا مسيرة ثلاثة أيام في بركة / اثم^{١٢} و نزلوا مررا^{١٣} - و في نسخة: ٨١ /
 الحريرة^{١٤} و أتوا آليم^{١٥} و في نسخة: و نزلوا في المراير^{١٦} و ارتحلوا من ١٠

(١) نيسان و نيسان اسم شهر بين آذار و ايار ايامه ٣ يوما سريانية - نظر المحيط

٢٢٦٣/٢

(٢) ليس في ظ .

(٣) في ظ : كان .

(٤ - ٤) ليست في م .

(٥) في م : آيم .

(٦ - ٦) ليست في ظ .

(٧) في م و مد : ايام .

(٨) من م و مد و ظ ، و في الأصل : الى .

(٩) في مد : مرر ، و في ظ : مرت .

(١٠) العبارة من هنا إلى « آليم » ليست في م .

(١١) في ظ : المرا .

المراير و صاروا إلى آليم - و كان^١ في آليم اثنتا عشرة عينا^٢ من ماء و سبعون نخلة و نزلوا هناك على الماء، و ارتحلوا من آليم^٣ و نزلوا ساحل بحر سوف - و في نسخة^٤ : على البحر الأحمر - و ظعنوا من شاطئ بحر سوف - و في نسخة : من البحر الأحمر - و في أخرى : بحر القلزم - و نزلوا بركة سينين^٥ و ارتحلوا من قفر سينين^٦ و نزلوا ذفقا^٧ و ظعنوا من ذفقا^٨ و نزلوا آلوش^٩ و ارتحلوا من آلوش^{١٠} و نزلوا رفيدين - و في نسخة : رفيديم - و لم يكن هناك ماء يشرب الشعب و ظعنوا من رفيدين - و في نسخة : رفيديم - فَنزلوا بركة - و في نسخة : قفر مينا -^{١١} و ظعنوا من قفر سيناء^{١٢} و نزلوا الموضع المعروف بقبور الشهوة و ارتحلوا من مقبرة الشهوة - و في نسخة : قفر ١٠ قبور الشهوة - فَنزلوا حصروث^{١٣} و ظعنوا من حصروث^{١٤} فَنزلوا رثما -

(١) في م : كانوا .

(٢) ليس في م .

(٣) ليس في ظ .

(٤ - ٤) في ظ : فَنزلوا .

(٥) زيد في ظ : فارتحلوا من مقبرة الشهوة و في نسخة قفر قبور الشهوة .

(٦) من ظ ، و في الأصل : سيشين ، و في م و مد : سين .

(٧) في ظ : ذفقا ، و في م و مد : ذفقا .

(٨) في م و مد : آلوس .

(٩) زيد في م : و نزلوا .

(١٠ - ١٠) ليست في ظ .

(١١) في ظ : حضر موت .

وفي نسخة: الرامة^١ - وارتحلوا من رثما - وفي نسخة: الرامة^٢ - فزلوا
رثمون^٣ فيرص^٤.

وقال في السفر الثاني عند ذكر الإنعام عليهم باستنقاذهم من أيدي
القبط بتلك الآيات العظيمة التي ستشرح إن شاء الله تعالى في سورة
الأعراف فقال موسى للشعب: اذكروا هذا اليوم الذي خرجتم فيه من ٥
مصر من العبودية والرق، لأن الرب أخرجكم من ههنا يد منيعة
فلا يؤكل الخبز في هذا اليوم وهو ذا أتمم خارجون في شهر الفقاخ^٦ -
وفي نسخة: الفريك - فاذا أدخلكم الرب إلى أرض الكنعانيين والحيثانيين
والامورانيين والجايزانيين واليابسانيين والفرزانيين^٧ كالذي أقسم لآبائكم
أن يعطيكم الأرض التي تغل السمن والعلس، تعملون هذا العمل ١٠
في هذا الشهر، كلوا الفطير سبعة أيام ولا يوجدن^٨ الخبز عندكم؛
وتعلمون أبناءكم في ذلك اليوم وتقولون لهم إن الله فعل بنا هذا الفعل
إذ أخرجنا من أرض مصر، وليكن ذلك آية على يدك وعلامة
بين عينيك لتكون سنة الرب وشريعته على لسانك لأن الرب
أخرجك من مصر يد عزيزة منيعة واحتفظ بهذا وهذه الوصية من ١٥

(١) في م: ربما .

(٢) في م: رموت .

(٣) في م: بفرص ، وفي مد: قرص .

(٤) في ظ و م ومد: الفقاخ - بالحاء المهملة .

(٥) في م: الفرزانيين .

(٦) في م: لا يوجدون - كذا .

سنة إلى سنة في وقته ، وإذا أدخلك الرب إلى ' أرض الكنعانيين التي أقسم لك و لآبائك أن يعطيها فيز كل ذكر بفتح ' الرحم للرب وكل ذكر من البهائم التي تكون لك يفتح الرحم يكون خاصة للرب تفتديه بحمل ٣ ، فان لم تفتده ' فاذبحه ، وتفتدي كل بكر ذكر من أولادك ، ٥ فاذا سألك ابنك غدا و قال لك : ما هذا العمل ؟ فقل : إن الرب أخرجنا من أرض مصر من العبودية والرق بيد منيعة عزيزة ، لأن فرعون قسا وفظ وأبى أن يرسلنا ، فقتل الرب جميع أبكار أرض مصر من بكر البشر إلى بكر البهائم ، فن أجل ذلك أذبح للرب كل ذكر بفتح الرحم وأفتدي ' جميع ' أبكار ولدي ' ، فيكون ذلك علامة على يدك وذكرنا بين ١٠ عينيك ، لأن الرب أخرجك من مصر بيد منيعة عزيزة . فلما أرسل فرعون الشعب وانطلقوا لم يرسلهم الله تعالى في طريق أرض فلسطين ، لأنه كان قريبا ولأن الله قال : لعل الشعب إذا ما عاينوا القتال أن يخافوا ويرهبوا فيرجعوا إلى مصر ، فساس الله الشعب في طريق بربة بحرسوف ، وخرج بنو إسرائيل من أرض مصر وهم متسلحون ، وحمل ١٥ موسى عليه السلام عظام يوسف عليه السلام معه ، لأنه أقسم على

(١) في ظ : في ، وليس في م ومد .

(٢) في م : يفتح .

(٣) في م : بحمل .

(٤) من م ومد و ظ ، وفي الأصل : لم تفتديه - كذا .

(٥) في م : افدى .

(٦-٦) في م : ابكارى لى .

بنى إسرائيل بأيمان وقال : إن الله سيذكركم فأصعدوا عظامي معكم من ههنا ،
فظفون من ساحوت و نزلوا ائام^١ التي في أقطار البرية ، وكان الرب
يسير أمامهم^٢ بالنهار في عمود السحاب ليسكنهم في الطريق وبالليل
في عمود نار ليضيء لهم وكان يسير أمامهم^٣ بالليل والنهار ، ولم يكن
عمود الغمام يزول بالنهار و عمود النار بالليل من بين يدي الشعب ، وكلم^٤
الرب موسى وقال له : قل لآل إسرائيل أن يرجعوا فينزلوا على شاطئ
الحدق وما بين مغرول^٥ والبحر أمام بعلصفون ، انزلوا هناك إزاء البحر
حتى يقول فرعون إن بنى إسرائيل غرباء في الأرض ، فيظن أنهم قد تاهوا
في القفر وأن البر قد انقلب عليهم ؛ وقال الرب لموسى : أنا أقسى قلب
فرعون فيسير في طلبكم فأجد بفرعون وجميع جنوده ، فيعلم أهل مصر^{١٠}
أنى أنا الرب ، ففعلوا كذلك ؛ فأسف فرعون و عبيده لإرسال الشعب
وتدموا ، فألجم خيله وسار في جميع شعبه وظعن في ستمائة ألف راكب
مختارة وجميع مواكب المصريين أيضا والرجال - وفي نسخة : والقواد -
على جميعها ، فسار المصريون في طلبهم فرهقوهم^{١١} وهم حلول على المهرقان ،
قرب^{١٢} فرعون ورفع بنو إسرائيل أبصارهم فأرأوا المصريين وهم في^{١٥}

(١) في م : أيام .

(٢-٣) ليست في ظ .

(٣) في م : مغدول ، وفي مد و ظ : معدول .

(٤) في مد : انقلب .

(٥) في مد : فرهقوا .

(٦) في م : بقرب .

طلبهم يخافوا خوفا شديدا ، فصلى بنو إسرائيل بين يدي الرب و قالوا
لموسى : ألقلة القبور بمصر أخرجتنا لموت^١ فى البرية ؟ لم فعلت بنا هذا
الفعل و أخرجتنا من مصر؟ أليس هكذا كنا نقول لك ونحن بمصر :
دعنا نتعبد للمصريين كان خيرا لنا أن نتعبد للمصريين من الموت فى هذا
٥ القفر ؟ فقال موسى للشعب : لاخوف عليكم ! انتظروا فأبصروا خلاص
الرب إياكم فى هذا اليوم ، لأنكم عايتم المصريين يومنا هذا ، لا تعودون
أن تعابوهم أيضا إلى الأبد ، والرب يجاهد عنكم إذ أنتم فى هدوء و طمانينة ؛
فصلى موسى بين يدي الرب فقال : مُر بنى إسرائيل أن يظعنوا و أنت
فارفع عصاك واضرب ماء البحر ، فيسير آل إسرائيل فى البحر فى اليبس ،
١٠ و ها أنا ذا أقسى قلوب المصريين و أغلظها ليتبعوهم^٢ ، فأجد بفرعون وجميع
جنوده و بمواكبه^٣ و فرسانه / ، فيعلم أهل مصر أنى أنا الرب إذا مجدت
بفرعون و بجميع جنوده ، فظعن ملك الله الذى كان يسير أمام عسكر
بنى إسرائيل فصار على ساقتهم ، فاحتمل السحاب الذى كان أمامهم
فوقف خلفهم و دخل بين عسكر المصريين و محلة بنى إسرائيل ، وكان
١٥ السحاب و الجندس تلك الليلة بأسرها وكان^٤ الضياء و النور لبنى
إسرائيل تلك الليلة كلها ، فلم يقدرُوا على الدنو إليهم تلك الليلة . فرفع

/ ٨٢

(١) فى م : للموت .

(٢) فى م : ليتبعوكم .

(٣) فى ظ : مواكبه .

(٤) فى ظ : فان .

موسى يده على البحر فزجر الرب البحر برمح سموم - وفي نسخة :
 قبول عاصف - أيل^١ أجمع ، فصير ماء البحر في اليبس^٢ وانقسم الماء ،
 فدخل بنو إسرائيل في وسط البحر في اليبس^٣ ، فصارت المياه كالسور
 بين ميامنهم ومياسرهم ، فسار المصريون فدخلوا في طلبهم فصار خيل
 فرعون وجميع مواكبه في البحر ، فلما كان عند حريم الغداة تراءى ه
 الرب^٤ لعسكر المصريين في عمود نار ومزنة غمامة ، فأرجف^٥ عسكر المصريين
 وأقته وربط مواكبهم وحبسها وجعلوا هم يُعْتَقُونَ بالسير عليها ،
 فقال المصريون : سيروا بنا لنهرب^٦ بين يدي آل إسرائيل ، لأن الرب حارب
 عنهم بمصر ، فقال الرب لموسى : ابسط يدك على المهرقان فتؤول المياه
 على المصريين فتطفح على مواكبهم وفرسانهم ، فرفع يده على البحر ، ١٠
 فرجع البحر عند وقت الغداة إلى موضعه والمصريون جعلوا يهربون
 إزاءه ، فعذب الرب المصريين في البحر وأكذبهم ، فجرت المياه وطفقت
 على المواكب والفرسان وعلى جميع جنود فرعون الذين دخلوا في البحر
 في طلبهم ، ولم ينج منهم^٧ واحد^٨ ، فخلص^٩ آل إسرائيل في ذلك اليوم
 من أيدي المصريين ، فنظر بنو إسرائيل إلى المصريين موتى على شاطئ ١٥
 المهرقان ، وعان آل إسرائيل النعمة العظيمة التي أنزلها الله بالمصريين ،

(١) من ظ ، وفي بقية الأصول: الليل (٢-٢) ليست في ظ (٣) زيد في م : اى .

(٤) أدرجت القوم : خاضوا في أخبار الفتن ونحوها على أن يوقعوا في الناس

الاضطراب من غير أن يصح عندهم شيء . (٥) زيد في م : من (٦) زيد في

الأصول كلها : ولا - كذا (٧) في ظ : واحدا (٨) زيد في ظ : الرب .

و خاف الشعب الرب وآمنوا به و صدقوا^١ قول موسى عبده ، حيث^٢
سبح موسى و بنو إسرائيل بهذا التسبيح و قالوا : نسبح الرب ذا الجلال
الذى تعالى على المواكب و غرق فرسانها فى البحر المتسع ، و المحمود
الرب الازلى ، فكان^٣ لى^٤ منجيا ، هذا إلهنا فلنحمده و لنمجده ، إله آبائنا
ه فلنعظمه و لنجله ، الرب ذو الملاحم ، جبار اسمه ، لأنه قذف بمواكب^٥ فرعون
و جنوده فى البحر و غرق جبابرة فى بحر سوف و غطتهم الأمواج
و هبطوا فى القعر فرسبوا مثل الجنادل ، يمينك يا رب بهية بالقوة ، يمينك
يا رب أهلك أعداءك بعظم عزك ، كتبت شاتك^٦ أرسلت غضبك
فأحرقهم^٧ كالسهم بريح وجهك ، و أمرك جمدت المياه و وقف جريها
١٠ كأنه الأطواد ، و رسب الأغمار فى قعر البحر كالرصاص فى الماء المتسع ؛
فمن مثلك و من يفعل كافعالك أيها البهى فى قدسه المرهوب^٨ المحمود
مظهر العجائب ، سُئِلَتْ^٩ بنعمتك هذا الشعب الذى خلّصت ، فبلغ ذلك
الشعوب فارتجفوا^{١٠} و قلقوا و غشى الخوف و الرعب سكان فلسطين ،
عند ذلك دعر أشراف ادوم^{١١} و غشى الرعدة و الازتعاش رجال^{١٢} مؤاب
١٥ و انكسر جميع سكان كنعان^{١٣} فانهزموا فليزل بهم الخوف و القلق و الرعدة
بعظمة ذراعك ، يغرقون كالجنادل حتى يحوز شعبك الذى خلّصت ،

- (١) فى م : صدق (٢) فى م : حين - كذا (٣) فى م و ظ : كان (٤) ليس فى م .
(٥) زيد فى م : و (٦) زيد فى مد : آل (٧) فى م : شاتك (٨) فى م : فأحرقهم .
(٩) فى م : الوهوب (١٠) فى م : شئت (١١) فى م : فارتجعوا (١٢) فى م :
ادوم (١٣) ليس فى م و ظ : عنكان - كذا .

تقبل بهم فتقدسهم في جبل ميراثك^١ ، الرب يملك^٢ إلى أبد الآبدين ؛
وظعن موسى بني إسرائيل من بحر سوف ، فخرجوا حتى انتهوا إلى برية
أسود ، ثم ساروا في البرية مسيرة ثلاثة أيام فلم يجدوا هناك ماء ، ثم
انتهوا إلى مورت فلم يقدرُوا على أن يشربوا ماء مورت ، لأنه كان
مُرًا فتذمر^٣ الشعب على موسى وقالوا له : ما الذي نشرب الآن ؟ فصل ٥
موسى بين يدي الرب ، فأظهر الرب له^٤ عودا فألقاه في الماء ، فغذب الماء
هناك ، علمه السنن والآحكام ، فأتوا حتى انتهوا إلى آليم^٥ وكان هناك
اثنتا عشرة عينا من ماء وسبعون نخلة فتزلوا هناك على الماء ، ثم ظعنوا
من آليم فأتوا برية سينين التي بين آليم^٥ وسينين في خمسة عشر من
الشهر الثاني من الزمان الذي خرجوا من مصر ، فتذمر^٣ جميع جماعة ١٠
بني إسرائيل على موسى وهارون وقالوا لهما : قد كنا نحب أن نتوفى^٦
في أرض مصر إذ كنا جلوسا بين أيدينا مراجل اللحم وكبار الخبز
ونفضل^٧ فأخرجتنا إلى هذه البرية^٨ لتقتلنا جماعة بني إسرائيل بالجوع
فقال الرب لموسى : ها أنا ذا مهبط^٩ لكم الخبز من السماء فليخرج الشعب
(١) في م : ميراثك (٢) من م ومد وظ ، وفي الأصل : ملك - كذا (٣) في م :
فتذمر - بالذال المهملة ، والصواب بالذال المعجمة من ذمره يذمره ذمرا لامة
وحضه وتهده ، وتذمر الرجل لام نفسه على فائت ، و فلان تغضب ، وعلى
فلان تنكره وأوعده - قطر المحيط ١/٦٩٩ (٤) ليس في مد (هـ-هـ) ليست في ظ .
(٦) من م ومد وظ ، وفي الأصل : تتوفى (٧) في م : القرية (٨) في الأصول :
مهبطا - كذا .

فليلتقطوا^١ طعام يوم يوم لكي أمتحنهم هل^٢ يسرون بوصايلى و سئفى
ويحفظونها أم لا ، فاذا كان اليوم السادس فليعدوا فضلا على ما يأتون به
و ليسكن ذلك ضعف ما يلتقطون فى كل يوم ، فقال موسى و هارون لجميع بنى
إسرائيل عند الاصيل : تعلمون أن الرب أخرجكم من أرض مصر و بالغداة
٥ تعانون مجد الرب ، لأن تدمركم^٣ بلغ^٤ الرب ، ونحن فمن نحن إذ نتدمرون
علينا ، وقال لهم موسى : إن الرب قد أعطاكم لحما عند الاصيل لتأكلوا
ورزقكم خبزا بالغداة لتشبعوا ، لأنه قد بلغ الرب تدمركم الذى ترابطون^٥
عليه ، ونحن فمن نحن و ليس إنما نتدمرون علينا بل على الرب ، وقال
لهارون : مرجع جماعة بنى إسرائيل أن يدنوا فيقفوا بين يدي الرب ،
١٠ فلما قال هارون ذلك لجميع جماعة بنى إسرائيل التفتوا فاذا مجد الرب قد
اعتلن فى السحاب و قال الرب لموسى : قد بلغنى تدمر بنى إسرائيل فقل :
عند مغارب^٦ الشمس تأكلون اللحم و بالغداة شرقا^٧ تشبعون من الخبز
فتعلمون^٨ أنى أنا الرب إلهكم ، فلما كان عند الاصيل صعدت
السُمانى^٩ فتعشت^{١٠} العسكر ، وكان بالغداة ضبابة تقطر المن فأحاطت بالعسكر ،
(١) من مد ، وفى الأصل : فليلتطفوا (٢) فى مد : حتى (٣) من م و مد و ظ ،
وفى الأصل : تدمركم - بالبدال المهملة (٤) فى م : قد بلغ (٥) فى ظ : تواطنون .
(٦) فى متن م : غروب ، وبهامشه بعلامة النسخة : مغارب (٧) فى ظ : سدقا .
(٨) ليس فى ظ (٩) من ظ غير أن فيه : السان ، وكتب فيه فوه : يعنى السلوى ؛
وفى الأصل : السُمار ، وفى م : السيات ، وفى مد : السبا (١٠) فى مد و ظ :
فتعشت - كذا .

فارتفعت الضبابه فاذا على وجه الأرض دقيق يتقشر^١ و كان شبه^٢ صفائح
الجليد^٣ على الأرض، فقال موسى: هذا الخبز الذى أعطاكم الرب لتأكلوا،
و هذا قول الرب الذى أمر به / ليلتقط المرء^٤ على قدر قوته مكبلا
لكل نفس على عدد رؤوسكم ليأخذ المرء لكل من كان فى خيمته،
فصنع بنو إسرائيل كما أمرهم موسى و التقطوا، ففهم من أخذ كثيرا ه
و منهم من تناول قليلا و كالوا ذلك، فلم يفضل الذى أخذ الكثير و الذى
أخذ القليل لم يعدمه، فقال لهم موسى: لا تبقين منه للغد شيئا، فلم يطيعوا
موسى فأفضل^٥ رهط منهم للغد، فذب فيه الدود و أنتن، فغضب موسى،
فجدلوا يلتقطونه فى كل غداة كل امرئ على قدر قوته، و كان إذا جميت^٦
عليه الشمس يبيع، فلما كان اليوم السادس التقطوا من الخبز ضعفى ١٠
ما كانوا يتناولون كل رجل مكبالين، فأتى جميع أشياخ الجماعة فأخبروا
موسى، فقال لهم: هكذا قال الرب، إن السبت راحة و دعة و غدا^٧
يوم قدس الرب؛ و قال فى موضع آخر: لا تعملوا فيه عملا بل يكون
سبتا للرب فى جميع مساكنكم، و كل ما أردتم أن تحتبزو^٨ فاختبزو^٩
و اطبخوا ما أردتم طبخه و احتفظوا بما تفضلون باردا للغد، فأبقوا ١٥
منه للغد كما أمر موسى، فلم ينتن و لم يدب فيه الدود فقال لهم موسى:

(١) فى م: متقشر (٢) فى م: مثل (٣) الجليد: الضريب و السقيط و هو ما يسقط
على الأرض من الندى فيجمد ج جلد و جلاد و جلداء - قطر المحيط ١/ ٣٩٤.
(٤) ليس فى ظ (٥) فى ظ: فأفضله (٦) فى م: جيئت (٧) فى م: غذا (٨) فى م:
فأخبزوا - بدون الضمير.

كلوه يومكم هذا ، لأن اليوم يوم السبت للرب و لستم تقدرون عليه
اليوم في الحقل ، كونوا تلتقطونه ستة أيام و اليوم السابع هو سبت لا يؤخذ
فيه ، فلما كان اليوم السابع خرج رهط من الشعب ليلتقطوا فلم يجدوا
فقال الرب لموسى : حتى متى يأبوا أن يقبلوا وصاياى و سنتى ، فاستراح
٥ الشعب في اليوم السابع . فسماه بنو إسرائيل المن ، هو كجة الكزبرة
و طعمه كشهد العسل . و قال في السفر الرابع : و المن كان يشبه حبة
الكزبرة ، كان منظره أبيض كالمها ، و كان الشعب يترددون و يلتقطونه
و يطحنونه في الرحى و يهرسونه في المهراس و يطبخونه في القدور
و يصيرون منه مليلا^٢ و يصير طعمه مثل طعام الخبز الذى يعجن دقيقه بالزيت .
١٠ رجع إلى الثانى قال : فأكل بنو إسرائيل المن أربعين سنة و لم يزالوا
يأكلون المن حتى انتهوا^١ إلى أقطار الأرض ذات السكنى و حتى انتهوا
إلى أقطار أرض كنعان ، و كان ذلك المكيال عشر جريب^٥ أى عشر وية^٤ ،
و إن جماعة بنى إسرائيل ظعنوا من برية سينين في مظاعنهم كما أمر الرب
فوردوا رفدين و لم يكن للشعب ماء يشربون ، فضج الشعب على موسى
(١) في ظ : ياتوا (٢) في م : كجة - كذا (٣) الليل الخبز و اللحم المدخل في
الملة . . . وهى الرماد الحار و الجمر . يقال أطعمنا خبزا مليلا و خبزة مايلا ، من
من اشىء في الجمر أدخله فيه - قطر المحيط ٨٩/٢ - ٨٩/٣ (٤) في ظ : انتهى (٥) الجريب
الزرعة و الوادى و مكيال قدر أربعة أفترة و هو المراد هنا ، ج أجربة و جربان ،
و مقدار معلوم من الأرض و هو ما يحصل من ضرب ستين في نفسها (٦) الوية
انثان أو أربعة و عشرون مدًا ، ج ويات .

و قالوا له: اعطنا ماء للشرب، فقال: ما بالكم تضجون وكم تجربون الرب؟
 'واشد' عطش الشعب هناك فتذمروا على موسى وقالوا له: لم أصعدتنا
 من أرض مصر لتقتلنا وأبناءنا ومواشينا بالعطش؟ فصلى موسى أمام
 الرب وقال: ما أصنع بهذا الشعب؟ إنهم كادوا أن يرجعوني، فقال الرب
 لموسى: 'جز قدام الشعب وانطلق ببعض أشياخ بني إسرائيل والعصا
 التي ضربت بها البحر قفلته، خذها بيدك وانطلق وها أنا ذاقا' بين
 يديك على حجر الظّرّان^٢ بجوريب^١ فاضرب عند ذلك الظّرّان فيخرج الماء
 ويشرب الشعب، فصنع موسى هذا الصنيع بين أشياخ بني إسرائيل،
 فسمى ذلك الموضع التجريب والتذمر، لأن بني إسرائيل تنازعوا
 واصطخبوا^٣ ولأنهم جربوا الله وقالوا: هل الله بيننا أم لا؟ ولما كان ١٠
 في الشهر الثالث بعد خروج بني إسرائيل من مصر انتهوا إلى بركة سيناء
 إذ ظعنوا من رفيدين فأتوا بركة سيناء وحل هناك إسرائيل قبالة^٤ الجبل،
 فصعد موسى إلى الجبل^٥ فدعاه الله^٦ من الجبل وقال: هكذا قل^٧ لآل يعقوب:
 قد رأيتم ما صنعت بالمصريين وحملتكم كأنكم على أجنحة النسور وأقبلت
 بكم إلى^٨، فان أتم الآن أطعتم قولي وحفظتم عهدي فأنتم أحب^٩ إلى من ١٥

(١-١) في ظ: فاشتد (٢) في ظ: وقفا (٣) الظرو والظرة الحجر أو المدور

المحدد منه أو هو حجر له حد كحد السكين ج ظران وظران (٤) في م: بجوريب.

(٥) في م: الذمر (٦) صحب الرجل يصحب صحبا صات شديدا، تصاحب القوم

تصاحبوا وتضاربوا واصطبخت الطير وغيرها اختلطت أصواتها. وفي ظ:

اصطبخوا - كذا مصحفا (٧) في ظ: قبالي (٨-٨) في م: فناداه (٩) في م: قال.

جميع شعوب الارض ، فأتى موسى فدعا بأشياخ الشعب فقص عليهم
جميع هذه الآيات التى أمره بها الرب ، فأجاب الشعب كلهم جميعا وقالوا :
نحن فاعلون جميع ما أمرنا به الرب ، فرد موسى جواب الشعب على الرب
فقال الرب لموسى : ها أنا ذا مناجيك فى سحابة مظلة لكى يسمع الشعب كلامى
٥ إذا كلمتك فيقبلوا كلامك و يصدقوك إلى الأبد ، فقال الرب لموسى : انطلق
إلى الشعب و طهرهم اليوم و غدا و ليبيضوا ثيابهم و يرحضوها^١ و ليستعدوا
فى اليوم الثالث فناشد الشعب و تقدم إليهم و قل لهم : احذروا أن
تصعدوا إلى الجبل و لا تقربوا إلى حافته ، و من دنا من الجبل فليقتل
و لا تصييه أيدى الناس بل يرحم رجما و يقذف به إلى أسفل به^٢ بهيمة
١٠ كان أو إنسانا ، فاذا صمتت أصوات القرون فأتم فى حل من الصعود إلى
الجبل ؛ فهبط^٣ موسى من الجبل إلى الشعب فطهر الشعب و يبيضوا ثيابهم ،
و قال موسى للشعب : كونوا مستعدين فى اليوم الثالث ، لا تقتربن إلى امرأة ،
فلما كان فى اليوم الثالث باكروا غلسا ، فاذا هم بأصوات قرون و بروق
و إذا هم أيضا بسحابة عظيمة قد حلت على الجبل ، فاشتد صوت القرن
١٥ جدا و اشتد فزع من كان فى العسكر ، و أخرج موسى الشعب إلى لقاء
الرب من العسكر فقاموا فى حافات الجبل و كان جبل سيناء يخرج منه
الْقُتَار و الدخان ، لأن الرب هبط عليه بالنار و ارتفع غباره كغبار
الآتون و تزلزل الجبل زلزلة شديدة و اشتد صوت القرن ، و دعا الرب

(١) رَحَضَ الثوبَ يَرْحُضُهُ رَحَضًا غَسَلَهُ ، اِرْحَضِ الثَّوْبَ غَسْلَهُ . و فى م :
يرخصوها (٢) ليس فى ظ و م (٣) بهامش الأصل وظ «واذا اتينا موسى الكتب» .

موسى إلى رأس الجبل ، فصعد موسى و قال له ' الرب : انزل فأنتد
بنى إسرائيل و أنذرهم أن لا يترحزوا ' عند النظر بين يدى الرب فيهلك
منهم كثير ، و كان جميع الشعب يسمعون الأصوات و يرون المصاييح
و يسمعون أصوات القرون و يرون الدخان يخرج من الجبل . فرأى ذلك
الشعب فقزعوا و وقفوا من بعيد و قالوا لموسى : كلنا أنت حتى نسمع ه
و لا يكلمنا الله لكيلا نموت ، فقال موسى : لاخوف عليكم ، لأن الله إنما
كلكم ليمتحنكم و يجربكم لكي تخافوه و ترهبوه و لا تخطئوا و لا تأثموا ، فوقف
الشعب من بعيد و دنا موسى من الضباب التى اعتلى الله فيها ، و قال الرب
لموسى : هكذا قل لآل إسرائيل : قد رأيتم و علمتم أنى ٣ كلمتكم من
السماء ، لا تتخذوا معى آلهة من ذهب و لا / تعملوا لكم آلهة من فضة ، ١٠ / ٨٤
ثم قال : ها أنا ذا مرسل إليك الملك بين يديك ليحفظك فى سفرك
و يوردك البلد الذى أنقنت - و فى نسخة : الذى هياته - فاحذره و اسمع
منه ، لأن اسمى حال عليه ، فإن ٦ أنت قبلت قوله و أطعت أمره و عملت
بكل ما يأمرك به أبغض مبغضيك و يسير ملكى أمامك فيدخلك على
الأمورانيين - و ذكر بعدهم خمس فرق - فأقتلهم و أيدهم و أرسل الرعب ١٥
و الخوف و الجزع بين يديك و أيدهم جميع الشعوب الذين تسير إليهم
و لا أيدهم فى سنة واحدة لكي لا تخرب الأرض بل رويدا رويدا حتى
تعتز ٧ - و فى نسخة : تكثر - فتصير ذا بطش قترت الأرض و اجعل
(١) ليس فى م (٢) فى ظ : لا يترحزوا - كذا (٣) فى م : اى (٤) من ظ ، و فى
بقية الأصول : التى - كذا (٥) و فى م : التى (٦) فى م : فاذا (٧) فى ظ : تعتز .

نخومك من بحر سوف^١ إلى فلسطين و^٢ من البرية^٣ حتى النهر - وفره
 في موضع آخر بالفرات - وقال الرب لموسى : اصعد إلى الجبل أنت
 وهارون وناذاب و آييهوا^٤ وسبعون^٥ رجلا من أشياخ بنى إسرائيل
 ويسجدون من بعيد ، ويقرب^٦ موسى وحده إلى الرب وهم لا يقتربون
 ٥ ولا يصعد الشعب معه^٧ . فجاء موسى وقص على الشعب جميع عهود
 الرب وجميع أحكامه ، فنادى الشعب كلهم بصوت عال وقالوا : نحن
 نفعل ما أمرنا الرب ، وكتب موسى جميع كلام الرب ، وغدا باكرا
 فبنى مذبحا في حافة الجبل ونصب اثنتى عشرة نضبة لاسباط بنى إسرائيل -
 ثم ذكر ذبائح وقرايين وغير ذلك ثم قال : ثم أخذ سفر العهد قتلاه^٨
 ١٠ على الشعب ، فقالوا : نحن سامعون فاعلون ما أمرنا به الرب ، فتناول موسى
 ذلك الدم - يعنى دم القربان - فرشه على الشعب^٩ وقال : هذا دم العهد
 الذى عاهدكم فى جميع هذه الأقاويل ، وصعد موسى ومن ذكر معه
 ثم تركهم فى مكان من الجبل ثم قال لهم : امكثوا ههنا ، فصعد موسى
 إلى الجبل وتغشا^{١٠} السحاب وحل مجد الله على جبل سيناء وستره^{١١}
 ١٥ السحاب ستة أيام ، ودعا الرب موسى فى اليوم السابع من^{١٢} جوف
 السحاب ونظر إلى مجد الرب مثل نار توقد^{١٣} فى رأس الجبل أمام جميع
 (١) فى ظ : سوفك . وزيد بعده فى الأصول : و (٢) ليس فى م ومد (٣) زيد
 بعده فى الأصول : و (٤) فى مد : ايهو (٥) فى م : سبعين (٦) من م ومد و
 ظ ، وفى الأصل : وتقرب (٧) زيد بعده فى م : احد (٨) فى ظ : ثم تلاه .
 (٩-٩) ليست هذه العبارة فى ظ (١٠) فى ظ : يغشا (١١) فى ظ : سترة (١٢) فى
 ظ : فى (١٣) فى ظ : يتوقد .

بنى إسرائيل ، فدخل موسى في جوف السحاب وصعد إلى الجبل فكث
 موسى في الجبل ' أربعين يوما نهارا و' أربعين ليلة ' ، وكلم الرب موسى
 وقال له : قل لبني إسرائيل : فليخصوا لى تزكية أموالهم ، وخذ ذلك
 من كل رجل بلغ أشده - ثم ذكر الأموال التى تزكى إلى أن قال :
 ويتخذون لى مظهرها حتى أحل ٣ بينهم كل شيء أريكة شبه القبة وجميع ٥
 متاعها كذلك فليصنعه ٤ - ثم قال : واعمل على المثال الذى أريكة فى
 الجبل وليتخذوا ٥ تابوتا من خشب الشمشاد ٦ طوله ذراعان ونصف
 وسمكه ذراع ونصف ، وصقحه بصفائح الذهب الإبريز من داخله
 ومن خارجه ، واتخذ له طوقا من ذهب يحيط به ، وضع له أربع
 حلقات من ذهب وسمرها فى أربع زوايا التابوت حلقتين فى شق واحد ١٠
 وحلقتين فى الجانب الآخر ، واتخذ أصدارا ٧ من خشب الشمشاد ٨
 وصفحها بالذهب ، وصير الأصدار ٧ فى الحلق فى جانبي التابوت ليحل
 بها ، وليكن الأصدار ٧ فى حلق التابوت ولا ينزع منها ، وتضع الشهادة
 التى أعطيك فى التابوت ، وسمى هذا تابوت الشهادة ٩ ، واتخذ كرويين أى
 شخصين من ذهب اتخذهما مفرعين ٩ مصبوبين فيكونا على جانبي التطهير ١٥

(١-١) ليست فى م (٢) بهامش الأصل وظ « أربعين ليلة » (٣) فى الأصل :
 أحل (٤) فى م : فليصنعه ، وفى مد : فليصنوه (٥) فى الأصول كلها : يتخذوا .
 (٦) فى النسخ كلها : الشمار كذا (٧) صطره صطرا و صطرا بمعنى سطره
 بالسین (٨) فى م : السادة (٩) فى وم فقط : مفرعين .

وتكون أجنحة الكرويين مبسوطة^١ تظل من فوق فتظل بأكتافها^٢ على
التطهير ، وليكن وجه كل واحد منها إزاء صاحبه وليكن وجهها
الكرويين من فوق التطهير ؛ وقال : واتخذ^٣ دارا للعبة من مهب الجنوب
واستمر يصف له عمل هذه القبة وأعمدها وستورها وآلاتها وخدمها
٥ وما يقرب فيها ومحل ضربها من العسكر وعلى أى كيفية فى نحو خمس
عشرة ورقة وسماها قبة الزمان ، ثم أمره تعالى فى آخر هذا السفر الثانى
بأشياء مما يتصل بامتعتها وسرادقاتها وغير ذلك فى أزيد من عشر ورقات
كما سيأتى ؛ وقال فى تضاعيف ذلك : وتصير الشهادة التى أعطيك فى
التابوت وأواعدك إلى هنالك وأكلمك فوق التطهير من بين الكرويين
١٠ الذين فوق تابوت الشهادة بجميع ما أمرك فى بنى إسرائيل وقال : ويتخذوا
هذا القربان دائما فى كل حين فى أحقابكم على باب قبة الزمان قدام الرب .
وأواعدكم إلى هناك لأكلكم وأواعد بنى إسرائيل إلى هناك فأقدس
بكرامتى وأحل بين بنى إسرائيل فيعملون أنى أنا الرب إلههم الذى
أخرجهم من أرض مصر ، ثم قال^٤ : فليؤد المرء منهم الزكاة عن نفسه
١٥ إذا عددتهم لكيلا ينزل بهم الوباء ، ثم ذكر له تفاصيل ما يؤدى
وأن الزكاة على الغنى والمسكين ، وكلم الرب موسى وقال له : اعلم
أنى قد انتخب بصلىال بن أورى بن حور من سبط يهودا وأسبغت عليه
روح الله وملائته من الحكمة والعلم فى كل علم ليعلم الصناعات فى
(١) فى م : مبسوطين (٢) فى م : باكتافها (٣) فى م : اتخذوا (٤) ليس فى ظ .
(٥) فى م : على .

عمل^١ آنية الذهب و الفضة و النحاس و في رندجة^٢ الحجارة و نظمها
 و كالمها و في تجارة الخشب ليعمل كل عمل و قد ضمنت إليه السهب^٣
 ابن اخسمخ^٤ من سبط دان^٥ و أحلت الحكمة و الفهم في قلوب ذوى
 الحكمة و العقل ليعملوا جميع ما أمرتك به من عمل قبة^٦ الأمد و تابوت
 الشهادة و التطهير الذى فوقها و جميع متاع قبة المائدة و جميع متاعها^٧
 و المنارة و جميع آتيها و مذبح البخور^٨ و مذبح القرايين و جميع آتيها^٩
 و السطل و أسفله و لباس التضائد و لباس القدس لهارون الكاهن
 يعنى الإمام و كسوة بنيه ليكهنوا و دهن المسح^{١٠} و بخور الطيب
 للقدس فليعملوا جميع ما أمرتك به - إلى أن قال : و دفع إلى موسى :
 لما^{١١} فرغ من كلامه له فى طور سيناء لوحى الشهادة لوحى حجارة مكتوب ١٠
 عليهما يد الله ، فرأى الشعب أن موسى قد أبطأ عن النزول من الجبل
 فاجتمع الشعب يعنى و قالوا : نتخذ لنا آلهة تسير أمامنا ، لأن الرجل موسى
 الذى أخرجنا من أرض مصر لا علم لنا ما صار من أمره - فذكر اتخاذهم
 العجل^{١٢} و أنهم ذبحوا له الذبائح و جلسوا^{١٣} يأكلون و يشربون و قاموا
 يلعبون و يتسافهون و أن هارون عليه السلام دُعر من ذلك و فزع ٥١

(١) فى م : علم (٢) رديج رديجنا بمعنى درج درجانا - قطر المحيط .
 و معنى رندجة الطى و الداخلى (٣) فى ظ : اخسمخ (٤) فى مد : داني (٥) فى
 م : فيه (٦) كتب فوقها فى الأصل و بهامش ظ : أى البكور (٧) فى مد :
 آتيها (٨) زيد فى م : أن (٩) بهامش الأصل « اتخذاهم العجل » (١٠) زيد
 فى ظ : له .

و إنما لم أُسْقِ نص التوراة عن هذا بلفظه لأن في أول عبارته ما رأيت
 غضا بالنسبة إلى مقام هارون عليه السلام و حاشاه عما يوم تقصا فجوزت
 أن يكون مما بدلوه ثم تأملت ما رواه النسائي و أبو يعلى و ابن أبي حاتم
 و ابن جرير عن ابن عباس رضى الله عنهما في 'حديث الفتون' فوجدته
 ليس بعيدا من تأويله و قد ذكرت محل الحاجة منه في سورة طه و الله
 الموافق؛ ثم قال فقال الرب لموسى: اهبط من ههنا لأن شعبك^٢ الذين
 أخرجتهم من أرض مصر أفسدوا سيرتهم و صدوا و شيكا عن الطريق
 الذى أمرتهم أن يسلكوه فاتخذوا لهم عجلا مفترعا^٣ و سجدوا له بين
 يديه و ذبحوا له الذبائح و قالوا: هذا الهك يا إسرائيل الذى أخرجك
 ١٠ من أرض مصر، و قال الرب لموسى: إني قد رأيت هذا الشعب قاسية
 قلوبهم فدعنى الآن فيشتد غضبي عليهم فأقتلهم و أيدهم و أصيرك إلى
 شعب عظيم، فصلى موسى بين يدي الإله^٤ و قال: كلا يا رب! لا يشتد
 غضبك على شعبك الذين^٥ أخرجتهم من مصر بقوتك المنية و بذراعتك
 العلية الرفيعة و لا يقول أهل مصر: إنك إنما أخرجتهم لهلاكهم لتقتلهم
 ١٥ بين الجبال و تستأصل شأفتهم^٦ و تريد خضراءهم عن جديد الأرض يا رب
 ليسكن غضبك و رجزك و اغفر ذنب شعبك اذكر إبراهيم و إسحاق
 و يعقوب عبيدك و الإيمان التى أقسمت بها لهم و قلت: إني مكثرتنسلكم
 (١) في م: من (٢) كذا، و الظاهر: القتن (٣) في م: قومك (٤) في ظ و م:
 مفرعا، و في مد: مفرغا (٥) في م: الهه (٦) في م: الذى (٧) في ظ و م:
 شاءفهم.

مثل نجوم السماء وجميع الأرض التي وعدت بها نسلهم أن تعطيهما
 فيرثوها إلى الأبد ؛ فعفا^١ الرب عن شعبه ولم ينزل بهم الشر ، فزل
 موسى وهبط من الجبل و آوْحا الشهادة في يده لَوْحَانِ كُتِبَ عليهما
 في الوجهين^٢ جميعا و اللوحان^٣ من عمل الله جل ثناؤه وخط الله مكتوب
 عليهما ، فلما دنا^٤ من العسكر نظر العجل و الصنوج فاشتد غضب موسى
 فرمى باللوحين^٥ من يده^٦ فكسرها في سفح الجبل ، ثم أخذ العجل
 الذي اتخذوه فأحرقه بالنار وسحله بالمبرد حتى صيره مثل التراب وثر
 سحائه على وجه الماء ، فوقف موسى على باب قبة الزمان وقال : من
 كان من حزب الله فليقبل إلى^٧ ، فأنحاز إليه بنو لاوى^٨ بأجمعهم فقال لهم
 موسى : هكذا يقول الرب إله إسرائيل ليتقلد المرء منكم سيفه و جوزوا^٩
 من باب إلى باب و جولوا العسكر وليقتل المرء منكم أخاه وصاحبه
 و قرابته ، فصنع بنو لاوى^{١٠} كما أمرهم موسى ، فقتل^{١١} من الشعب في ذلك
 اليوم نحو من ثلاثة آلاف رجل فقال لهم موسى : كفوا أيديكم يومكم
 هذا من الحمية للرب لتحل عليكم البركة يومنا هذا ، فلما كان الغد من ذلك
 اليوم قال موسى للشعب : أتم خطتكم و ارتكبتم هذه الخطيئة العظيمة^{١٢}
 فأما الآن فاني أصعد إلى الرب لعله أن يغفر لكم ذنوبكم وإنيكم ، فرجع

(١) بهامش الأصل و ظ : « ثم عفونا عنكم » (٢) في مد : وجهان (٣) في ظ :
 اللون (٤) زيد في ظ : هو (٥) زيد في م و مد : موسى (٦-٦) ليست
 في م (٧) العبارة ساقطة من هنا إلى « بنو لاوى » الآتي من ظ (٨) في
 الأصل : جوزا (٩) بهامش الأصل : « فاقتلوا انفسكم » .

موسى إلى الرب وقال: أطلب إليك بالتضرع^١ اللهم ربى حقا لقد أخطأ
 هذا الشعب وارتكب إثما عظيما واتخذوا آلهة من ذهب، فالآن إن
 أنت غفرت خطاياهم وإلا فاحنى من سفرك الذى كتبت، فقال الرب:
 أنا^٢ أحمو من سفرى من أخطأ و أذنب، فأما الآن فانطلق بهذا الشعب
 ٥ إلى الموضع الذى أقول لك وهذا ملاك^٣كى ينطلق أمامك إلى الأرض
 التى تغل السمن و العسل، لأنى لا^٤أصعد معكم، لأنهم شعب قاسية
 رقابهم^٥ ولعل غضبى أن يشتد عليهم فأقتلهم فى الطريق، فسمع الشعب
 هذا القول الفظيع فحزنوا، فلم يتسلح المرء منهم بسلاحه، فأخذ موسى
 خيمته فصبها خارجا من العسكر وأبعدها من المحلة وسماها قبة الزمان،
 ١٠ وكان من سأل الرب أمرا يخرج إلى قبة الزمان، وكان إذا خرج موسى
 إلى قبة الزمان كان جميع الشعب يقفون ويستعد كل امرئ منهم على
 باب خيمته ينظرون إلى موسى من خلفه حتى يدخل إلى القبة، وإذا
 دخل موسى إلى القبة كان ينزل عمود السحاب فيقف على باب القبة
 ٥ ويكلم موسى، وكان جميع الشعب ينظرون إلى عمود السحاب واقفا
 ١٥ على باب القبة^٦ وكان يقف جميع الشعب ويصلى كل امرئ منهم على
 باب خيمته، وكلم الرب موسى مواجهة كما يكلم المرء أخاه وصاحبه،
 وكان يرجع إلى العسكر وكان خادمه يشوع بن نون الغلام لم يكن

(١) فى ظ و م: التضرع (٢) فى م: إنما، وهو المناسب هنا (٣) ليس فى م وظ .
 (٤) كذا و اعله: قلوبهم، وقد مر قبل، وزيد بعده فى م: قلوبهم، ولكن
 ضرب عليه (هـ - هـ) ليست فى م .

يفارق القبة ، وقال موسى للرب : أنت يارب أمرتني أن أصعد بهذا الشعب ولم تطلقني على من ترسل معي و قلت : إني قد اطلعتك على جميع خلائقي و مجدى و ظفرت أيضا منى برحمة و رأفة ، فالآن إن كنت قد ظفرت منك برحمة و رأفة فأرني طريقك حتى أعرفك ، فقال الرب لموسى : سر أمامي فأواعدك و أريحك ، فقال له : إن أنت لم تصعد هـ
 بينا فلا تصعدنا من ههنا ، فيما ذا يعرف أنى قد ظفرت منك برحمة و رأفة أنا و شعبك إلا إذا سرت بينا فتكون أنا و شعبك منفصلين معروفين من جميع الشعوب الذين على / وجه الأرض ، فقال الرب لموسى : إني فاعل ما سألت ، لأنك ظفرت منى برحمة و رأفة ، و أصير اسمك معروفا شهيرا إلى الأبد ، فقال له : أرني مجدك ، فقال : أنا أجيز جميع مجدى و كرامتى ١٠
 بين يديك و يذكر اسم الرب أمامك و أتحنن على من أردت التحنن عليه و أرحم من أردت أرحم ، وقال : إنك لا تقدر على النظر إلى وجهى ، لأنه لا يرانى بشرى فيحيى ، وقال الرب لموسى : انقر لوحى حجارة مثل اللوحين الأولين اللذين كسرتهما و كن مستعدا بالغداة و اصعد باكرا إلى الجبل جبل سيناء وقف هنالك على رأس الجبل ، ٣ و لا يصعدن ١٥
 أحد معك ، و لا يرى أحد فى جميع الجبل ٣ ، و لا ترتعى الغنم و البقر قبالة ذلك الجبل ، فنقر موسى لوحين آخرين من حجارة مثل الأولين و غدا باكرا فصعد إلى طور سيناء كما أمره الرب و أخذ اللوحين فى يده فقل

(١) زيد فى مد : له (٢) من م و مد و ظ ، وفى الأصل : الذين (٣-٣) ليست فى م .

استعلان الرب أمامه ، فقال موسى : يا رب ! اللهم ربى الرؤف الرحيم
الطويل الأناة ' والمهل الكبير ' نعمته وقسطه حافظ النعمة والعدل إلى
ألف حقب و تغفر الذنوب والإثم والخطايا ، فاستعجل موسى نحر على
وجهه على الأرض ساجدا وقال : إن ظفرت يا رب منك برحمة
ه و رأفة فليسلك الرب الآن بيننا . لأن هذا الشعب هو شعب قاسية
رقابهم ، واغفر ذنوبنا و خطايانا و خبث نياتنا ؛ فقال له : ها أنا ذا
أعهد عهدا أمام جميع الشعب و أظهر عجائب لم أظهر مثلها فى الأرض
كلها و فى جميع الشعوب فىرى ذلك جميع هذا الشعب الذى أنت فيه
فعل الرب الذى أمرك به أنه مخوف مرهوب ، احتفظ بما أمرك به فى
١٠ هذا اليوم ، ها أناذا أقبل و أيد من بين يديك من الكنعانيين - و سعى
من تقدم ، وكرر النهى عن السجود لغيره سبحانه ، وأوصى بأشياء
منها الفطير فقال : واحتفظ بعيد الفطير سبعة أيام كما أمرتك فى
أوان شهر الفقاج ٣ - وفى نسخة : الفريك - لأنك إنما خرجت من مصر فى
شهر الفقاج ٣ ، ثم قال : فكث هناك عند الرب أربعين يوما و لياليها
١٥ لم يأكل طعاما ولم يشرب شرابا ، و كتب الله على لوحى الحجاره كلام
العهد ' و هو العشر الآيات ، فلما هبط موسى من جبل سيناء كان لوحا الشهادة
فى يده ولم يعلم موسى أن بشرة وجهه قد جللت بالبهاء إذ كله الله
فنظر هارون و جميع بنى إسرائيل إلى وجه موسى فقزعوا أن يقتربوا
(١) ليس فى مد (٢) فى ظ وم ومد : الكثير (٣) فى ظ : القحاح (٤) فى هامش
الأصل وظ : « اربعين ليلة » (٥) فى م : كلام العبد .

إليه، فدعاهم فأثاه هارون وجميع عظماء الجماعة وكلمهم موسى، فلما
فرغ من كلامه لهم^١ بسط على وجهه جلبابا وكان إذا دخل إلى
الرب ليكلمه يسفر عن وجهه حتى يخرج، وكان يخرج فيأمر بني إسرائيل
بما يؤمر به، وقال لهم: إن الرب أمر أن تعمل عملك ستة أيام
و اليوم السابع يكون مخصوصا مقدسا، السبت يوم راحة قدس^٥
الرب، ومن عمل فيه عملا فليقتل، ولا تشعلوا^٦ النار في جميع مساكنكم
يوم السبت، ثم أمرهم تعالى بالزكاة من الذهب والفضة والنحاس والقر
والجلود وغير ذلك وبأشياء يزيدونها في قبة الزمان في^٢ أكثر من عشر
ورقات، وقال في آخر ذلك^٣: وقال الرب لموسى: انصب قبة الزمان
في أول يوم من الشهر الأول؛ وصير تابوت الشهادة هنالك، وأسبل^{١٠}
الجلال على التابوت - إلى أن قال: وادن بهارون وبنه إلى باب قبة
الأمم واغسلهم^٤ بالماء، وألبس هارون لباس القدس وامسحه فليكن
لى، وادن بنه وألبسهم السراويل وامسحهم كما مسحت هارون أخاك
فليكنوا لى، وليكن لهم مسحهم للكهنوت إلى الأبد لأحقابهم،
فصنع موسى كما أمره الله، فلما كان أول يوم من الشهر الأول من^{١٥}
السنه الثانية نصب القبة يوم الأحد وضرب أوتادها وركب ألواحها

(١) ليس في ظ (٢) في ظ: ولا تشعلوا (٣) ليس في م (٤) من ظ ومد،
وفي الأصل: اغسلهم.

وزرقت^١ عوابرها وركز أعمدها وستر الست^٢ على القبة وجللها من فوقها كما أمر^٣ الرب ، و تناول الشهادة فوضعها في التابوت ، وصير الدهوق^٤ في التابوت ، ووضع التطهير على التابوت من فوق ، وأدخل التابوت إلى^٥ القبة ، وأخذ حجاب وجه الباب فجعل تابوت الشهادة ٥ كما أمر الرب ، ونصب المنارة عند حافات القبة مما يلي مهب الشمال خارجا من الحجاب ، ونصّد عليها صفوف الخبز بين يدي الرب كما أمر الرب موسى ، ونصب المنارة إزاء المائدة في حافات القبة مما يلي مهب الجنوب ، ودلوا مصايحها قدام الرب كما أمر الرب موسى ، ونصب مذبح الذهب في قبة الزمان خارجا من الحجاب ، وبخر عليه بخور الطيب كما أمر الرب ، وأسبل الست على باب القبة ، ونصب مذبح ١٠ القرايين على الباب ، وقرب عليه القرايين^٦ كما أمر الرب ، ووضع السطل بين قبة الزمان والمذبح وسكب عليه ماء الغسل ، وكان هارون وبنوه^٧ يغسلون أيديهم وأقدامهم إذا أرادوا الدخول إلى قبة الزمان ، وكانوا إذا دنوا من المذبح يغسلون أيضا كما أمر الرب موسى ، ونصب دارا ١٥ تحيط بالقبة والمذبح ، وأسبل الست على باب الدار ، وكل موسى عملها ؛ وتغشت السحابة قبة الزمان وامتلات القبة مجد الرب وكرامته ، ولم يقدر موسى على الدخول إلى قبة الزمان ، لأن السحاب حلت عليها ،

(١) في ظ : زرقت - بالقاف ، وهو خطأ (٢) في ظ : الستور (٣) في م : امره .

(٤) في مد : الدهون (٥) في ظ : على (٦) زيد في ظ : على الباب (٧) في مد : بنيه .

'وامتلأت القبة مجد الرب وكرامته' . فكان إذا ارتفع السحاب عن
 القبة كان بنو إسرائيل يظعنون في جميع مظاعنهم ، وإن لم ترتفع الغمامة
 لم يظعنوا إلى اليوم الذي ترتفع^٢ فيه ، لأن سحاب الرب كان يغشى القبة بالنهار
 وكانت النار تضيء عليها بالليل وتزهر وتير / أمام جميع بني إسرائيل في
 جميع مظاعنهم^٣ . وقال في أول السفر الرابع : أمر الله باحصاء بني إسرائيل ٥
 فكانوا من أبناء عشرين سنة إلى ما فوقها ، من خرج منهم للحرب في الأجناد
 ستمائة ألف و ثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسين دون سبط لاوى ، فانهم لحفظ
 قبة الزمان و خدمتها ، و تكون منازلهم حولها محدة بها ، وهم من ابن شهر
 إلى ما فوقه اثنان وعشرون ألفا ؛ ثم قال : وكلم الرب موسى وقال له :
 إذا أتى على الرجل من اللاويين خمسة وعشرون^٤ سنة يتقوى على أن يعمل ١٠
 العمل في قبة الزمان ، فإذا أتت عليه خمسون سنة يخرج من العمل ولا يعمل
 عملا في قبة الآمد ، وكان ينزل بنو إسرائيل حول بني لاوى بأزال الله
 تعالى لهم ، كل له محل من القبة على الاستدارة ، وكان ينزل من مشارقتها
 موسى و هارون و بنوه ليحفظوا حفاظ القدس و القرايين على بني إسرائيل
 و من دنا من قبة الزمان وأعمالها من الغرباء يؤمر بقتله ، فقد علم من ١٥
 هذا وما قبله من أن كلا يصلى على باب خيمته أن قبلتهم^٥ وهم في
 التيه قبة الزمان ، و في اليوم الذي نصب فيه الحباء أى في قبة الزمان
 تغشت سحابة من عند الرب قبة الزمان و حجاب باب الشهادة و كانوا يرون
 (١-١) كذا في الأصول كلها ، ولعلها مكررة و زيد بعدها في ظ : و لم يقدر
 موسى (٢) في ظ : يرتفع (٣) في م : مظانهم - كذا (٤) من م و مد و ظ ، و في
 الأصل : عشرين (٥) في م : قبلهم .

' في الحباء عند المساء نارا تنوقد إلى الصباح ، كذلك كان يكون ' في الحباء^٢
 دائما وكانت تغشاه سحابة بالنهار و تُرى فيه نار بالليل ، فاذا ارتفعت
 السحابة^٣ عن القبة ارتحل بنو إسرائيل من مواضعهم و حيث ما نزلت
 السحابة^٣ هناك كان ينزل بنو إسرائيل ، وإنما كان ارتحال بنو إسرائيل
 ٥ عن قول الرب وبأمره ، فرما مكثت السحابة على القبة من المساء حتى
 الصباح وترتفع^٤ بعد الصبح فيرتحلون ، وربما مكثت الليل والنهار وربما
 مكثت أياما وأشهرا وربما مكثت سنة^٥ ، وكلم الرب موسى وقال له :
 اتخذ قرنين من فضة يكونان عند حضور الجماعة و ارتحال العسكر يهتف بهما
 الكهنة ، فتحشد إليك جماعة بنو إسرائيل أجمعون إلى باب قبة الزمان ،
 ١٠ وإن نفخ في واحد اجتمع إليك القواد و رؤساء الألوف ؛ ولما كان
 في السنة الثانية في عشر خلون من الشهر الثاني ارتفعت السحابة عن قبة
 الشهادة ، و ارتحل بنو إسرائيل من بركة سيناء . ونزلت السحابة في قفر
 فاران ؛ ثم قال : و ارتحلوا من عند جبل الرب مسيرة ثلاثة أيام ، فأما
 تابوت عهد الرب فظعن قبلهم مسيرة يوم ابهي منزلا ، وكانت تظلمهم
 ١٥ سحابة من قبل الرب إذا ارتحلوا لئلا تؤذيهم حرارة الشمس^٦ ، فلما ارتحل

(١ - ١) ليست في ظ ، وفي م : الماء - مكان : المساء (٢) من م ومد وظ ، وفي
 الأصل : الحباء - كذا (٣ - ٣) ليست في ظ (٤) في م : المساء (٥) في ظ : يرتفع .
 (٦ - ٦) موضعها في ظ : وربما مكثت السحابة على القبة من المساء حتى الصباح
 وترتفع بعد الصبح فيرتحلون - مكررة (٧) ليس في م (٨) بهامش الأصل
 وظ : « وظللنا عليهم الغمام » .

حاملو التابوت قال موسى : انهض إلينا يا رب لينكسر شاتك^١ وبيد
أعدائك من بين يديك ، وإذا نزل حملة التابوت قال : أقبل يا رب
إلى ألوف بني إسرائيل ، فتدمر^٢ الشعب وساء الرب ذلك و غضب و سمع
توشوشهم^٣ فاشتد غضبه عليهم و اشتعلت^٤ فيهم نار من قبل الرب ،
فأحرقت الذي في أطراف العسكر و حوله ، و ضج الشعب على موسى ه
فصلى موسى^٥ أمام الرب و خمدت النار ، ودعا اسم ذلك الموضع الاحتراق ،
لأن نار الرب اشتعلت فيهم و أحرقتهم هناك ، و اشتهى الخلط الذين
كانوا فيهم من الشعوب شهوة و أقبلوا على بني إسرائيل و قالوا : ليت
أنا وجدنا من يطعمنا لحما ! ذكرنا السمك الذي كنا نأكله بمصر و أكلنا
القثاء و البطيخ و السكرات و البصل و الثوم و الآن أنفسنا قرمة^٦ - أى ١٠
يابسة - لا تقدر على شئ نأكله^٧ ما^٨ خلا هذا المن الذى قدام أعيننا ،
و سمع موسى الشعب سيكون فى قبائلهم ، كل إنسان على باب خيمته ،
و اشتد غضب الرب ، و شق ذلك على موسى أيضا ؛ ثم قال من أين
أقدر أعطى هذه الأمة كلها لحما ؟ إنها تبكى على و تقول : أعطنا

(١) فى ظ : شاتيك (٢) من م ومد و ظ ، وفى الأصل : فتدمر - بالبدال المهمة .

(٣) فى ظ : توشوشهم (٤) فى ظ : اشتعل (ه - ه) ليست فى م (٦) كذا فى

الأصول كلها ، وفى قطر المحيط ١/٢ - ١٠٩٩ : قرم الرجل الى اللحم يقرم قرما اشتدت

شهوته له ، و كثر حتى قيل فرمت إلى لقائك إذا اشتقت إليه ، فتفسير المصنف :

يابسة ، محل تأمل ، لعلها : شائقة ، أو : يائسة ، كما تدل عليه العبارة التالية .

(٧) فى م و ظ : نأكله (٨) ليست فى ظ .

لحما^١، لست أقدر أحتمل^٢ هذه الأمة كلها وحدي، لأنها أقوى مني،
 إن كان فعلك هذا بي فاقتلني قتلا^٣ إن^٤ وافيت منك رحمة ولا أعين
 شرا ولا أرى سوء، فقال الرب لموسى: اجمع سبعين شيخا من أشياخ
 بني إسرائيل الذين^٥ تعلم أنهم رؤساء الشعب وكتّابه وانطلق بهم إلى قبة
 ٥ الزمان فاني أنزل إليك وأكلمك هناك وأنقص من عطية الروح التي
 عليك وأصيره عليهم ليحملوا أثقل هذا الشعب ولا يتركوك وحدك،
 ثم قال موسى^٦ للشعب: تهيئوا غدا لتأكلوا لحما، لأنكم بكيتم أمام^٧
 الرب^٨ وقلت^٩: ليت من يطعمنا لحما! وإن الموت بأرض مصر خير
 لنا، فسيعطيك الرب لحما وليس إنما تأكلون منه يوما أو يومين بل تأكلون
 ١٠ منه شهرا حتى يخرج من أنوفكم وتصيكم منه نخمة، وجمع سبعين
 شيخا^{١٠} من مشايخ الشعب وأقامهم حول الخباء، ونزل الرب سبحانه
 وكله وأخذ من الروح الذي عليه وصيره على السبعين، ودخل موسى
 العسكر هو وأشياخ بني إسرائيل، وهبت ريح من قبل الرب وأصعدت
 السلوى من البحور وألقته على العسكر^{١١} ومسيرة يوم يمته ويسرة حول

(١) بهامش الأصل و ظ : « لن نصبر على طعام واحد » (٢) في م : احمل .
 (٣) ليس في ظ (٤) في ظ : الذي (٥) من م ومد و ظ ، وفي الأصل : لموسى .
 (٦) في ظ : امانف - كذا (٧-٧) ليست في ظ (٨) بهامش الأصل و ظ
 « سبعين رجلا » وزيد بعده في ظ « ليقاتنا » (٩) كذا في الأصول كلها،
 و اعلمها مقحمة .

العسكر و كان مرتفعا من الأرض نحو ذراعين، و جمعوا و نشروا حول
العسكر ليكون لهم قديدا، فيينا اللحم بين أسنانهم قبل أن ينقلع اشتد
غضب الرب عليهم و ضرب الشعب ضربة عظيمة جدا و دعا اسم ذلك
الموضع قبور الشهوة، و ارتحل الشعب من قبور الشهوة فأتوا حصروث^١
و نزلوها؛ و ذكر أنهم مكثوا هنالك سبعة أيام ثم قال: ثم ارتحل الشعب ه
من حصروث^٢ و نزلوا مفازة فاران و كلم الرب موسى و قال له: أرسل
قوما يُحسبون^٣ الأرض التي أعطى بنى إسرائيل - فذكر إرسال النقباء
الاثني^٤ عشر كما سيأتي / إن شاء الله تعالى في سورة المائدة ثم قال :
و رجعوا إلى موسى بعد أربعين يوما، فأتوا موسى و هارون و جماعة
بنى إسرائيل إلى بركة فاران إلى رقيم - انتهى شرح ما أشير إليه في هذه ١٠
السورة من قصص بنى إسرائيل من التوراة .

و لما بين سبحانه أنهم لما تغتوا على موسى عليه السلام كما مر و يأتي
عن نصوص التوراة مرة بعد مرة أورثهم كفرا في قلوبهم فردوا على
العصيان و التجزؤ^٥ على مجاوزة الحدود ف ضرب عليهم الذلة و المسكنة

(١) في ظ فقط حصروث - كذا بالناء المثناة (٢) وفي م: مُحسبون، وأحسبه أرضاء
أو أعطاه ما يرضيه وكفاه حتى قال حسبي و تقول أعطى فأحسب أى أكثر -
حسبه يحسبه حسبا وحسابا وحسابا وحسبة وحسابه عدته - قطر المحيط .
(٣) من م ومد، وفي الأصل: لآثي، وفي ظ: الانثا (٤) كذا في الأصول كلها،
والظاهر: الاجترأ، أى التشجع، وفي قطر المحيط: جرؤ الرجل يحجره جرأة
وجرة يحذف الهمزة و جرأة شجع جرأ تجريثا شجته، واجترأ اجترأ تشجع،
واستجرأ تكلف الشجاعة والإقدام؛ ولم يذكر من باب التفعّل .

و أحلهم الغضب، و كان فى ذلك تحذير لمن طلب سلوك ذلك الصراط
المستقيم من حالهم، وإعلام بأن المتقين المستجاب لهم فى الدعاء بالهداية
ليسوا فى شيء من ذلك بل قالوا: اهدنا، عن يقين و إخلاص متبرئين
من الدعاوى و الاعتراض على الرسل نبه على أن من عمل ضد عملهم
٥ فآمن منهم أو من غيرهم من جميع الملل كان على ضد حالهم عند ربهم
فلا يغضب عليهم بل يوفيه أجورهم و يورثهم الأمن و السرور المتضمنين
لضد الذلة و المسكنة فقال تعالى: ان الذين آمنوا، أو ' يقال إنه سبحانه
لما علل إهانة بنى إسرائيل بعصيانهم و اعتدائهم كان كأنه قيل: فما لمن
أطاع؟ فأجيب بجواب عام لهم ولغيرهم، أو يقال إنه لما أخبر تعالى
١٠ بأنهم ألزموا الحزى طوق ' الحماسة و كان ذلك ٣ ربما أوهم أنه لا خلاص
لهم منه وإن تابوا ' و كانت عادته سبحانه جارية بأنه إذا ذكر وعدا
أو وعيدا عقبه حكم ضده ليكون الكلام تاما، اعلوا أن باب التوبة
مفتوح و الرب كريم على وجه عام . و قال ' الحزالي: لما أنهى الحق

(١) فى م ومد: و (٢) فى م: طرق (٣) ليس فى م (٤) العبارة من هنا إلى
« تاما » ليست فى م وظ (٥) قال المايمى: ثم أشار إلى أن الإصرار على الكبائر
وإن كان يجر إلى الكفر فالإيمان بالله و اليوم لا آخر يمحو كل ما مضى من
ذلك و العمل الصالح يزيل الخوف و الحزن فقال « ان الذين آمنوا » باللسان
دون القلب و إن خادعوا الله و المؤمنين « و الذين هادوا » و إن كثرت قبائحهم
« و النصرى » و إن قالوا بالنهي المسيح « و الصبئين » و إن عبدوا الكواكب
و « من آمن » منهم مخلصا ١/٤٧. و ذكر أبو حيان: و مناسبة هذه الآية لما قبلها =

تعالى نبأ أحوال بني إسرائيل نهايته مما بين أعلى تكرمهم بالخطاب الأول إلى أدنى الغضب عليهم بهذا النبأ الآخر عنهم إعراضاً في مقابلة ذلك الإقبال الأول و كانوا هم أول أهل كتاب أشعر تعالى بهذا الختم أن جميع من بعدهم يكون لهم تبعاً لنحو مما أصابهم من جميع أهل الملل الأربعة - انتهى . فقيل « ان الذين آمنوا ، أى ٣ ادعوا » الإيمان بما دعا ه إليه محمد صلى الله عليه وسلم و الذين هادوا ، أى ادعوا أنهم على دين موسى عليه السلام . قال الحرالي : و هو من اليهود و هو رجوع بالباطن

= أنه لما ذكر الكفرة من أهل الكتاب و ما حل بهم من العقوبة أخبر بما للؤمنين من الأجر العظيم دالا على أنه يجزى كلا بفعله .

(١) ليس في ظ (٢) في ظ : ما (٣) و الذين آمنوا منافقو هذه الأمة أى آمنوا ظاهراً ولهذا قرنهم بمن ذكر بعدهم ثم بين حكم من آمن ظاهراً و باطناً - قاله - فيان الثوري . ثم ذكر أبو حيان الأندلسي في تفسيره المسمى بالبحر المحيط ٢٤١/١ سبعة أقوال في المعنى بالذين آمنوا (٤) زيد في م : الى (٥) قال أبو حيان ٢٤١/١ : هاد آله منقلبة عن واد و المضارع يهود و معناه تاب ، أو عن ياء و المضارع يهيد إذا تحرك ، و الأولى الأول لقوله تعالى « انا هدنا اليك » ؛ و قرأ الجمهور هادوا بضم الدال ، و قرأ أبو الساك العدوى بفتحها من المهاداة ، قيل أى مال بعضهم إلى بعض . و قال القاضي ثناء الله في التفسير المظهرى ٧٧/١ : هادوا أى تهودوا ، يقال هاد إذا دخل في اليهودية ، و يهود إما عربي من هاد بمعنى تاب ، سمو بذلك لما تابوا من عبادة العجل ، أو لقولهم « انا هدنا اليك » و إما معرب يهودا ، سمو بذلك اسم أكبر أولاد يعقوب عليه السلام (٦) في ظ : الباطن .

و ثبات فيه - انتهى . و قال أبو عمر : ابن العلاء لأنهم يهودون أى يتحركون عند 'قراءة التوراة و يقولون : إن السموات و الأرض تحركتا حين آتى الله عزوجل التوراة لموسى عليه السلام ' و النصرى ، المدعين أنهم تبعوا^٢ المسيح عليه السلام^٣ . قال الحرالى : جمع نصران فان كان هـ من النصره^٤ فهو فعلان .

ولما كانت هذه السورة فى استعطاف بنى إسرائيل ترغيبا و ترهيبا قرن هنا بين فريقهم ، و لما كانت ملة الصابئة^٥ جامعة لما تفرق من أصول أديان أهل الشرك تلامهم بهم^٦ مريدا كل مشرك فقال « و الصبئين »^٧ المنكرين للرسالة فى الصورة البشرية القائلين بالآلئان السماوية و الأصنام

(١-١) ليست فى ظ (٢) فى ظ : يتبعوا (٣) قال أبو حيان (٢٣٩/١) : و النصرى جمع نصران و نصرانة مثل ندمان و ندمانة . قال سيبويه و أنشد :

وكلناهما خرت و اسجد رأسها كما سجدت نصرانة لم تحف

و قال الخليل : واحد النصرى نصرى كهرى و مهارى ، قيل وهو منسوب إلى نصره قرية نزل بها عيسى ، و قال قتادة : نسبوا إلى ناصرة و هى قرية نزلوها ، فعلى هذا يكون من تغيرات النسب (٤) فى ظ : النصر (٥) فى م : الصابئين (٦) فى م : به (٧) الصابئون قبل الخارجون من دين مشهور إلى غيره من صبوه السن و النجم ، يقال صبأت النجم طلعت و صبأ ثنية الغلام خرجت و صبأت على القوم بمعنى طرأت . قال الحسن و السدى : هم بين اليهود و المجوس ، و قال قتادة و الكلبي : هم بين اليهود و النصرى يخلقون أو ساط رؤسهم و يجبون مذاكيرهم - البحر المحيط ٢٣٩/١ ، و فيه أقوال العلماء ، من أراد الاطلاع عليها فليراجع إليه .

الأرضية متوسطين إلى رب الأرباب ، قال الحرالي : بالهمز من صباً يصبأ
صباً و بغير همز من صبا يصبو صبوا ، تعاقبت الهمزة و الباء مع الصاد
و الباء لعام معنى هو عود إلى حال صغر بعد كبر - انتهى . و من آمن ،
أى منهم ^٢ بدوامه على الإيمان ^٣ إن كان آمن قبل ذلك ، و دخوله في
الإيمان إن كان كافراً فيكون من الاستعمال في الحقيقة و المجاز ، و باقته ، ه
أى لذاته ، و اليوم الآخر ، ^٤ الذى الإيمان ^٥ به متضمن للإيمان بجميع
الصفات من العلم و القدرة و غيرهما و حاث على كل خير و صاد عن
كل ضير ، و عمل صالحاً ، أى ^٦ و صدق ما ادعاه من الإيمان باتباع
شرع الرسول الذى فى زمانه فى الأعمال الظاهرة و لم يفرق بين أحد
من الرسل و لا أدخل بشئ من اعتقاد ما جاءت به الكتب من الصلاح . ١٠
قال الحرالي : و هو العمل المراعى من الخلل ، و أصله الإخلاص فى النية
و بلوغ الوسع فى المحاملة بحسب علم العامل و إحكامه ، و قال : و العمل
ما دبر بالعلم - انتهى .

(١) فى م و مد : الواو (٢) العبارة من هنا إلى « و المجاز » ليست فى م و ظ (٣) زيد
فى م د : و (٤) قال البيضاوى (٥٨/١) : من كان منهم فى دينه قبل أن يفسخ مصداقاً
بقلبه بالمبداء و المعاد عاملاً بمقتضى شرعه ، و قيل من آمن من هؤلاء الكفرة إيماناً
خالصاً و دخل الإسلام دخولاً صادقاً (٥) زيد فى م : أى (-) زيد فى ظ : منه .
(٦) هو عام فى جميع أفعال الصلاح و أقوالها و أداء الفرائض أو التصديق بمحمد
صلى الله عليه و سلم - أقوال ، الثانى يروى عن ابن عباس - البحر المحيط

١. ولما كان الأفراد أدل على تخصيص كل واحد بما له والجمع
 أدل على إرادة العموم و أقطع للتعنت أفرد^٢ أولا و جمع هنا فقال
 « فلهم اجرهم » الذى وعدوه على تلك الأعمال المشروطة بالإيمان، وهو
 فى الأصل جعل العامل على عمله، كائنا « عند ربهم » فهو محفوظ
 ٥. لا يخشى عليه نسيان ولا يتوجه إليه تلف « ولا خوف عليهم » من
 آت يستعلى عليهم من جميع الجهات « ولا هم يحزنون » على شئ. فات بل هم
 فى أعظم السرور بما^٣ لهم من العز والجدة ضد ما للعتدين من الذل
 والمسكنة، و حسن وضع هذه الآية فى أثناء قصصهم^٤ أنهم كانوا مأمورين
 بقتل كل ذكر من^٥ عداهم، وربما أمروا بقتل النساء أيضا، فربما ظن
 ١٠. من ذلك أن من آمن من غيرهم لا يقبل^٦. قال فى التوراة فى قصة

(١) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى م و ظ (٢) فأفرد الضمير فى
 « آمن » و « عمل » ثم قال « فلهم اجرهم » بجمع حملا على المعنى، وهذان الحملان
 لا يتان إلا باعراب من مبتدأ وأما على إعراب من بدلا فليس فيه إلا حمل على
 اللفظ فقط - البحر المحيط ١ / ٢٤٢ (٣) فى م : وربما (٤) فى م : المجد .
 (٥) قال أبو حيان : (و مناسبة ختم هذه الآية بها ظاهرة) لأن من استقر أجره
 عند ربه لا يلحقه حزن على ما مضى ولا خوف على ما يستقبل . قال القشيري :
 اختلاف الطرق مع اتحاد الأصل لا يمنع من حسن القبول ، فمن صدق الله
 فى إيمانه وآمن بما أخبر به من حقه و صفاته فاختلف وقوع الاسم غير قادح فى
 استحقاق الرضوان (٦) فى ظ : بما (٧) فى مد : لا يقتل .

مدین: و قتلوا کل ذکر فیها، ثم قال: و غضب موسی فقال لهم: لما ذا أبقيتم علی الإناث؟ و هن کن عشرة لبنی إسرائيل عن قول بلعام و مشورته - یعنی بما أفضی إلى الزنا، ثم قال: و قال الرب لموسی: کلم بنی إسرائيل و قل لهم: أنتم جائزون الأردن لتهلكوا جميع سكان الأرض و نحو هذا بما لعل بعضه أصرح منه و قد ذکر منه فی سورة المائدة، و فی ٥

٨٩/

وضعها أيضا فی أثناء قصصهم إشارة إلى / تكذيبهم فی قولهم: «ليس علينا فی الامین سبیل»^١، و ان المدار فی عصمة الدم و المال إنما هو الإیمان و الاستقامة و ذلك موجود فی نص^٢ التوراة فی غیر موضع، و فیها تهديدهم علی المخالفة فی ذلك بالدلة و المسكنة، و سیأتی بعض ذلك عند قوله «لا تعبدون الا الله»^٣، الآية^٤، بل و فیها ما يقتضی المنع^٥ من مال المخالف ١٠ فی الدین فانه قال فی وسط السفر الثانی: و إذا لقيت ثور عدوك^٦ أو حماره و علیه حمولة فارددها إليه، و إذا رأیت حمار عدوك جائئا تحت حملة فهمت أن لا توازره فوازره و ساعده، ثم رجع إلى قصصهم علی أحسن وجه فانه لما ذکر تعالی للؤمنین هذا الجزاء الذی نحم^٧ أمره ترغيبا باهمامه و نسبته إلى حضرة الرب المحسن بأنواع التریة و أنه لا خوف معه و لا حزن ١٥ تلاه بأنهم لم يؤمنوا بعد رؤية ما رأوا من باهر الآيات حتى رفع فوقهم الطور و علوا^٨ أنه دافئهم إن عصوا، فكان قبوله من أعظم النعم عليهم، لأن حقه الرد، لانه كالإیمان عند رؤية البأس لا إیمان بالغیب،

(١) فی ظ: ما (٢) سورة ٣ آية ٧٥ (٣) ليس فی م (٤) سورة ٢ آية ٨٣ .
(٥) فی ظ: التمتع (٦) فی ظ: ابيك (٧) فی ظ: نحم (٨) فی م: عملوا .

ثم ذكر أنه لما أفلح عنهم تولوا عن الحضرة الشريفة إلى حضرات الشيطان فأكرموا المعاصي إشارة إلى أنهم أغلظ الناس أكبادا وأكثرهم جرأة وعنادا لا يراعون^١ لرهبة ولا يثبتون لرغبة فقال تعالى «واذ^٢ وأخصر^٣ من هذا أن يقال إنه لما قرر سبحانه قوله^٤ للعالم العامل المذعن كائنا من كان تلاه بما لليهود من الجلالة الداعية إلى النفور عن خلال السعادة التي هي ثمرة^٥ للعلم وما^٦ له سبحانه من التطول عليهم باكراههم على ردهم إليه فقال واذ أي اذكروا يا بني إسرائيل اذ أخذنا، بما لنا من العظمة «ميثاقكم» بالسمع والطاعة من الوثيقة وهي تثنية العهد تأكيداً كإثباته بالكتاب - قاله الحرالي .

١٠. «ورفعنا» و^٧ لما كان الجبل قد صار فوقهم كالظلة عاما لهم بحيث أنه إذا وقع عليهم لم يفلت منهم إنسان^٨ نزع الجار فقال^٩ «فوقكم الطور»

(١) في ظ و م ومد: فأكثروا (٢) في م: لا يراعون (٣) العبارة من هنا إلى «فقال واذ» ليست في ظ (٤) في م و مد: قبوله (٥) ليس في م (٦) في م: بما. وقال المهاتمي: ثم أشار إلى أنهم لا يعملون ذلك العمل ما لم يشدد عليهم هذا الميثاق فقال «واذ أخذنا ميثاقكم» أي عهدكم الوثيق بتحمل الأحكام الشاقة من التوراة فأبتم فشددنا عليكم ١ / ٤٧. وقال أبو حيان: هذا هو الإنعام العاشر لأنه إنما أخذ ميثاقهم لمصلحتهم، والميثاق ما أودعه الله تعالى العقول من الدلائل على وجوده وقدرته وحكمته وصدق أنبيائه ورسله، أو قوله «لا تعبدون إلا الله» ذكر ما بينهما أقوالا أربعة آخر ١ / ٢٤٣ (٧) العبارة من هنا إلى «نزع الجار فقال» ليست في ظ (٨) من م ومد، وفي الأصل: انسانا (٩) سبب رفعه امتناعهم من دخول =

ترهيباً لكم لتقبلوا الميثاق الذى هو سبب سعادتكم، و'عن ابن عباس رضى الله
عنها أنه كل جبل ينبت، وكل جبل لا ينبت فليس بطور'،^١ وقلنا ٣ لكم
وهو مظل فوقكم 'خذوا ما أنيئكم' من الكتاب للسعادة بطاعتي والتزام
أحكامي الموجبة للكون في حضرتي 'بقوة' 'أى بجد واجتهاد'، والقوة
باطن القدرة، من القوى وهى طاقات الجبل التى يمتن بها ويؤمن انقطاعه - ه
قاله الحرالى . « واذكروا ما فيه » 'من التمسك به والانتقال عنه عند مجيء'

'الناسخ المنعوت فيه ذكرًا يكون بالقلب فكروا باللسان ذكرًا ولعلمكم

= الأرض المقدسة أو من السجود أو من أخذ التوراة والتزامها - أقوال ثلاثة،
روى أن موسى لما جاء إلى بنى إسرائيل من عند الله بالألواح فيها التوراة قال لهم:
خذوا والتزموها، فقالوا: لا، إلا أن يكلمنا الله بها كما كلمك، فصعقوا ثم أحيوا
فقال لهم: خذوها، فقالوا: لا، فأمر الله تعالى الملائكة فالتفتت جبالاً من جبال
فلسطين طوله فرسخ في مثله وكذلك كان عسكرهم يفعل عليهم مثل الظلة، وأخرج
الله تعالى البحر من ورائهم، وأضرم نارا بين أيديهم فاحتاط بهم غضبه فقبل لهم:
خذوها وعليكم الميثاق أن لا تضعوها ولا تسقط عليكم الجبل وغرقكم البحر وأحرقتمكم
النار، فسجدوا توبة لله وأخذوا التوراة بالميثاق وسجدوا على شق، لأنهم كانوا يرقبون
الجبل خوفاً، فلما رحمهم الله قالوا: لا سجدة أفضل من سجدة تقبلها الله ورحم بها،
فأمروا سجدوا على شق واحد - البحر المحيط ٢٤٣/١ (١ - ١) ليست في
ظ (٢) الطور أصله الناحية ومنه طوار الدار، وقال مجاهد: هو جنس الجبل
بالسريانية (٣) من م ومد وظ، وفي الأصل: قلت (٤) في ظ: فاقوة، والقوة
الشدة، وهذه المادة قليلة وهى أن تكون العين واللام واوين - قاله أبوحيان .

تتقون هـ^١ أى لتكونوا على رجاء من أن تتقوا موجبات السخط .
 'ولما كان التقدير' : فأخذتم ذلك و أوثقتم العهد به^٢ خوفا من أن يذنبكم^٣
 بالجبل عطف عليه وأشار إلى أنه كان من حقه البعد عن تركه بأداة
 البعد قوله « ثم توليتم » 'والتولى' قال الأصفهاني : أصله الإعراض عن
 الشيء بالجسم ، ثم استعمل في الإعراض عن الأمر و الدين - انتهى .
 وهو هنا الإعراض المتكلف بما يفهمه الفعل - قاله الحرالي .^٤ وذلك
 لأن النفوس إذا توطنت على أمر الله فرأت محاسنه فرجعت بذلك إلى
 نحو من الفطر الأولى لم ترجع عنه إلا بمنازعة من الهوى شديدة^٥ .

(١) أى رجاء أن يحصل لكم التقوى بذكر ما فيه ، وقيل معناه لعلمكم فتزعمون
 عما أنتم فيه ، والذي يفهم من سياق الكلام أنهم امتثلوا الأمر وفعّلوا مقتضاه ، يدل
 على ذلك « ثم توليتم من بعد ذلك » فهذا يدل على القبول و الالتزام لما أمر وابه ،
 و ظاهر هذا الإجلاء ، و المختار عند أهل العلم أن الله تعالى خلق لهم الإيمان والطاعة
 في قلوبهم وقت السجود حتى كان إيمانهم طوعا لا كرها - البحر المحيط ١/٣٤٤ .
 (٢ - ٣) ليست في ظ (٣) العبارة من هنا إلى « عطف عليه » ليست في ظ .
 (٤) في م : نذنبكم (٥) زيد في ظ : في (٦-٦) ليس في ظ ، وفي م : أى التوى . قال
 أبو حيان : التولى الإعراض بعد الإقبال ، وهذا أوضح ويدل عليه « ثم » والذي
 يفهم من السياق أنهم امتثلوا الأمر وفعّلوا مقتضاه ، يدل على ذلك « ثم توليتم
 من بعد ذلك » فهذا يدل على القبول و الالتزام لما أمر وابه ، وفي بعض القصص
 أنهم قالوا لما زال الجبل : يا موسى ! سمعنا و أطعنا ، ولولا الجبل ما أطعناك ، و قد
 علم أنهم بعد ما قبلوا التوراة تولوا عنها بأمور فخرقوها و تركوا العمل بها وقتلوا
 الأنبياء وكفروا بالله وعصوا أمره .

« ولما كان توليهم لم يستغرق زمن البعد أدخل الجار فقال ^١ : من بعد ذلك ، ^٢ أى التأكيد العظيم ^٣ عن ^٤ الوفاء به ^٥ ، فلو لا ، أى فتسبب عن ^٦ توليكم أنه لو لا فضل الله ، ^٧ أى الذى له الجلال والإكرام مستعل ^٨ عليكم ورحمته ^٩ ، بالغفو والتوبة ، والإكرام بالهداية والنصر على الأعداء ^{١٠} ، لكنتم من النخسين ^{١١} ، بالعقوبة ، تأبد الغضب ، وأيضاً فلما ^{١٢} »

(١ - ١) ليست فى ظ (٢ - ٢) فى مد : الوقاية (٣) زيد فى ظ : ذلك .
(٤) الفضل الإسلام ، والرحمة القرآن - قاله أبو العالية ، أو الفضل قبول التوبة والرحمة الغفو عن الزلة - من البحر المحيط ١ / ٢٤٤ (٥) الخسران هو النقصان ، ومعناه من الهالكين فى الدنيا والآخرة ، ويحتمل أن يكون كان هنا بمعنى صار . قال القشيري : أخذ سبحانه ميثاق المكلفين ولكن قوماً أجابوه طوعاً لأنه تعرف إليهم فوجدوه ، وقوماً أجابوه كرهاً لأنه ستر عليهم فجحدوه ، ولا حجة أقوى من عيان ما رفع فوقهم من الطور ولكن عدموا نور البصيرة فلم ينفعهم عيان البصر ، قال تعالى « ثم توليتم » أى رجعت إلى العصيان بعد مشاهدتكم الإيمان بالعيان ، ولو لا حكمة بامهاله وحكمه بإفضاله لعاجلكم بالعقوبة ولحل بكم عظيم المصيبة . وقال بعض أهل اللطائف : كانت نفوس بنى إسرائيل من ظلمات عصيانهم تحبب فى عشواء حالكة الجلباب وتحظر من غلوائها وعلوها فى حاقى كبر وإعجاب ، فلما أمروا بأخذ التوراة ورأوا ما فيها من أثقال التكليف ثارت نفوسهم الآبية ، فرفع الله عليهم الجبل فوجدوه أثقل مما كلفوه ، فهان عليهم حمل التوراة مع ما فيها من التكليف والنصب إذ ذاك أهون من الهلاك قال الشاعر :

إلى الله يدعى بالبراهين من أبى فان لم يجب نادته بيض الصوارم

من بحر المحيط ١ / ٢٤٠ .

كان يمكنهم أن يدعوا الإيمان والعمل الصالح عقت^١ تلك بآية الميثاق إشارة إلى أنه ليس المنجى الإيمان في الجملة بل الإيمان بجميع ما أخذ عليهم به الميثاق ، وهو جميع ما آتاهم في التوراة إيماناً مصحوباً بالقوة ، وما آتاهم صفة عيسى ومحمد عليهما السلام والأمر باتباعهما ، فهو بما أخذ عليهم به العهد وقد كفروا به فلم يصح^٢ لهم إيمان ولا عمل ، لأن التفرقة بين ما أتى منه سبحانه زندقة .

ثم جاءت قصة المعتدين في السبت مؤكدة لذلك . إذ كان حاصلها أنهم لما ضيعوا أمراً واحداً من أوامره واستخفوا به وهو تحريم السبت عذبهم بعذاب لم يعذب به أحداً من العالمين فقال : « لقد » وأقرب من ذلك أن يقال إنه سبحانه لما ذكرهم بنعمة العفو الحافظ لهم من الخسران قرعهم بحلقة أخرى لهم خذل بها فريقاً منهم حتى غلبهم الخسران^٣ فما ضرروا^٤ إلا أنفسهم مقسماً على أنهم بها عالمون ولها مستحضرون فقال تعالى^٥ عاطفاً على ما تقديره : لقد علمتم جميع ذلك من عهودنا وما ذكرنا من الإيفاء بمن نقض^٦ من شديد وعيدنا ومن التهديد على ذلك بضرب الذلة وما تبعها من أنواع النكال و « لقد » أى وعزى لقد علمتم الذين اعتدوا ، أى تعمدوا العدوان « منكم في السبت » بأن^٧ استحلوه ، أصل السبت القطع للعمل ونحوه « فقلنا »^٨ أى فتسبب عن اعتدائهم أن قلنا^٩ بما لنا من العظمة^{١٠}

(١) في ظ : عقيب (٢) في م : لم يصلح (٣-٢) في م : فاضروا ، وفي مد : فاضرا - كذا (٤) العبارة من هنا إلى « النكال » ليست في ظ (هـ) في م : نقص . (٦) في م : اى (٧) زيد في م : لهم (٨-٨) ليست في ظ .

« لهم » كونوا، بارادتنا^١، « قردة خسئين »، أى صاغرين مطرودين جمع
خاسي^٢ من الخسئ وهو طرد بكره واستخبات^٣، وسبب ذلك^٤ أن الله
تعالى أمرهم يوم الجمعة فأبوا^٥ إلا السبت، فألزمهم الله إياه وجعله لهم
محنة وحرم عليهم فيه العمل، فاصطادوا على تهب وخوف من العقوبة،
فلما طال زمن^٦ عفوه عنهم وحله سبحانه فتجاهروا بالمعصية مسخ منهم^٧
من عصي بالمباشرة ومن سكت عن النهي عن المنكر « فجعلناها » أى قسب
عن قولنا^٨ أنهم كانوا قردة كما قلنا، فجعلنا^٩ هذه العقوبة « نكالا »^{١٠}
أى قيدا مانعا « لما بين يديها »^{١١} من المعاصي^{١٢} من أهل عالمها / الشاهدين لها
« وما خلفها » بمن جاء بعدهم^{١٣}، روى معناه عن ابن عباس رضى الله عنهما^{١٤}،

(١) ليس في م (٢) ليس في ظ (٣) العبارة من هنا إلى « عن المنكر » ليست في
ظ (٤) قال أبو حيان : والاعتداء كان على ما نقل من أن موسى أمره الله بصوم
يوم الجمعة وعرفته فضله كما أمر به سائر الأنبياء فذكر ذلك لبنى إسرائيل وأمرهم
بالتشرع فيه فأبوه وتعدوه إلى يوم السبت فأوحى الله إلى موسى أن دعهم
وما اختاروه وامتنعهم فيه بأن أمرهم بترك العمل وحرم عليهم فيه صيد
الحيتان فكانت تأتى يوم السبت حتى تخرج إلى الأفنية فإذا ذهب السبت ذهبت
الحيتان ، فلم يظهروا للسبت الآخر فبقوا على ذلك زمانا حتى اشتبهوا الحوت ،
فعمد رجل يوم السبت فربط حوتا بنخزمة وضرب له وتدا بالاحل فلما
ذهب السبت جاء فأخذه ؛ فكان هذا من أعظم الاعتداء (٥) في ظ : قولهم لنا .
(٦) في ظ : فجعلناها أى (٧) قال البيضاوى : عبرة تنكل المعتبر بها أى تمنعه ، ومنه
النكل للقيد (٨-٩) ليست في ظ .

و النكال إبداء^١ العقوبة لمن يتعظ بها ، و اليد^٢ ما به تظهر أعيان الأشياء و صورها أعلاها و أدناها ، فلذلك ثبت لأنها يد عليا هي اليمنى^٣ و يد دنيا هي اليسرى ، و الخلف ما يخلفه المتوجه في توجهه^٤ فينطمس عن حواس إقباله شهوده - قاله الحرالي . و قال^٥ : « و موعظة » من الوعظ و هو دعوة الأشياء بما فيها من العبرة للانقياد للآله الحق بما يخوفها في مقابلة التذكير^٦ بما يرجيها^٧ ، و يبسطها^٨ « للتقنين » ، و قد أشعر هذا أن التقوى عصمة من كل محذور و أن النقم تقع في غيرهم و عظام لهم .

و لما بين تعالى قساوتهم في حقوقه عامة ثم خاصة اتبعه^٩ بيان جساوتهم^{١٠} في مصالح أنفسهم لينتج أنهم أسفه الناس فقال « و اذ قال موسى لقومه ، بنى إسرائيل ، إن الله ، « أي الذي له الأمر كله » ، « يا مكرم

(١) في م : انداء - كذا (٢) قال أبو حيان : قد استعملت للنعمة والإحسان ، وأما الأيادي فهو في الحقيقة جمع جمع واستعماله في النعمة أكثر من استعماله للجراحة كما أن استعمال الأيدي في الجراحة أكثر منه في النعمة ؛ خلف ظرف مكان مبهم وهو متوسط التصرف ويكون أيضا وصفا ، يقال رجل خلف بمعنى ردىء ؛ موعظة مفعلة من الوعظ والوعظ الإذكار بالخير بما يرق له القلب (٣) في م : العليا . (٤) في م : توجيهه (٥) ليس في ظ (٦) من م و مد وظ ، وفي الأصل : التذكر . (٧) في م : يرهبا (٨-٨) ليس في م (٩) قال المصنف : ثم أشار إلى أن إعراضهم عن أمر الله لم يتأخر إلى عصر المعتدين في السبت بل كان في عصر موسى مرارا في أمر واحد قصدوا ذلك وإن فعلوه آخر - ٨/١ (١٠) كذا في الأصول كلها ، و بهامش ظ : أي غلظتهم وجفاءهم (١١-١١) ليست في ظ .

ان تذبحوا بقرة. 'العرفوا بها أمر القتل الذى أعياكم أمره، 'وتاوها ليست
للتأنيث الحقيقى بل لأنها واحدة ٣ من الجنس فتقع على الذكر والاثنى ١.
ولما كان من حقهم 'المبادرة إلى الامثال والشكر فلم يفعلوا بين فظاظتهم
على طريق الاستئناف معظما لها بقوله حكاية عنهم 'قالوا اتخذنا هزرا،
٢ أى مكان هزء ومهزوا بنا حين نسألك عن قتل فتأمرنا بذبح بقرة '، ه
فجمعوا إلى ما أشير إليه * من اساءتهم سوء الأدب 'على من ثبتت'
'رسالته بالمعجزة فرد كلامه كفر'، فذكرهم بما رأوا منه من العلم بالله المنافى
للهمزة بأن قال 'اعوذ بالله، أى أعتصم بمن 'لا كفوء له من' 'ان
أكون من الجهلين ه' فانه لا يستهزئ إلا جاهل، و العوذ اللجاء من

(١) قال البيضاوى: أول هذه القصة قوله تعالى « واذ قتلتم نفسا فادراهم فيها »
وإنما فككت عنه وقدمت عليه لاستقلاله بنوع آخر من مساوئهم وهو الاستهزاء
بالأمر والاستقصاء فى السؤال وترك المسارعة إلى الامثال، وقصة أنه كان
فيهم شيخ موسر فقتل ابنه بنو أخيه طمعا فى ميراثه وطرحوه على باب المدينة ثم
جاؤا يطالبون بدمه، فأمرهم أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحبي فيخبر
بقاتله. وقال أبو حيان: ووجه مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تقدم ذكر مخالفتهم
لأنبيائهم وتكذيبهم لهم فى أكثر أنبيائهم فناسب ذلك ذكر هذه الآية لما تضمنت
من المراجعة والتعنت والعداوة بعد مرة (٢-٣) ليست فى ظ (٣) فى الأصول
واحد. (٤) فى م: حقه (ه) فى ظ: اليهم (٦) قال البيضاوى: لأن الهزء فى مثل
ذلك (أى مقام الإرشاد وبيان الأحكام) جهل وسفه، نفى عن نفسه ما رى
به على طريقة البرهان وأخرج ذلك فى صورة الاستعاذة استفظاعا له.
(٧) فى ظ: به.

متخوِّف لكاف يكفيه، و الجهل التقدم في الأمور المنبهة بغير علم - قاله
الحرالي . « قالوا ، تماديا في الغلظة » ادع لنا ربك ، « أى المحسن إليك »
فكان تخصيصهم له بالإضافة غاية في الجفاء « بين ، من التبيين و هو اقتطاع
الشيء ، و المعنى بما ٣ بلا بس و بداخله - قاله » الحرالي . و المراد المبالغة
٥ في البيان بما يفهمه صيغة التفعيل « لنا ما هي ، تلك البقرة » قال انه يقول : « .
و لما كانوا يعتنون^٢ أكد فقال « انها بقرة لا فارض ، أى مستنة^٤
فرضت سنها^١ أى قطعتها « ولا بكر ، أى قتيه صغيرة « عوان ، أى
نصف^{١١} و هو خبر مبتدأ محذوف ، و بين هذا الخبر بقوله « بين ذلك ، »
أى سنى^{١٢} الفارض و البكر « فافعلوا ما تؤمرون^٥ ، » فان الاعتراض
١٠ على من يجب التسليم له كفر^٦ فلم يفعلوا بل « سألو ايان اللون بعد يان
السن بأن^٧ » قالوا ادع لنا ربك ، تماديا في الجفاء بعدم الاعتراف
(١) قال المهانمي : فلما علموا أنه عزم من الله وأرادوا التخلص باستيصافها بأوصاف
لا توجد بقرة تتصف بها أصلا « قالوا » الآية (٢-٣) ليست في ظ (٣) زيد في م :
لا (٤) في ظ : قال (٥) في ظ ومد : تفهمه ، وفي م : تفهمه (٦) العبارة من
هنا إلى « فقال » ليست في ظ (٧) في م ومد : يعتنون (٨) العبارة من هنا إلى
« قطعتها » ليست في ظ (٩) في الأصل و م : سنيتها ، وفي مد : سنيتها (١٠) العبارة
من هنا إلى « بقواه » ليست في ظ (١١) قال البيضاوي : أى ما ذكر من الفارض
و البكر ، و لذلك أضيف إليه بين فانه لا يضاف إلا إلى متعدد ، وعود هذه
الكنايات و إجراء تلك الصفات على بقرة يدل على أن المراد بها معينة ويلزمه
تأخير البيان عن وقت الخطاب (١٢) ليس في ظ .

بالإحسان ، بين لنا ما لونها ، بعد يان سنها^١ ، واللون تكيف ظاهر
 الأشياء في العين - قاله الحرالي . وقال^٢ ، « وأأكد لما مضى من تلدهم
 فقال^٣ ، « انه يقول ، » وأكد إشارة إلى مزيد تعتهم فقال^٤ ، « انها بقرة
 صفراء . » وأكد شدة صفرتها بالعدول عن فاقعة إلى قوله معبرا باللون^٥
 « فاقع لونها ، أى خالص في صفته . قال الحرالي : نعت^٦ تخليص اللون ه
 الأصفر بمنزلة قاني في الأجر فهي إذن متوسطة اللون بين الأسود
 والأبيض كما كانت متوسطة السن ، « تسر النظرين » ، أى تهيج نفوسهم^٧
^٨ بأنك إذا نظرت إليها خيل إليك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها -
 قاله وهب « قالوا ادع لنا ربك ، » المحسن إليك بالإجابة في كل ما سألته
 « بين لنا ما هي ، ثم عللوا تكريرهم لذلك بقولهم « إن البقر ، أى ١٠
 الموصوف بما قدمته « تشابه » ، أى وقع تشابهه^٩ « علينا » ، وذكر الفعل
 لأن كل جمع حروفه أقل من حروف واحده فان العرب تذكره

(١) قال أبو حيان : لما تعرفوا سن هذه شرعوا في تعرف لونها ، وذلك كله
 يدل على نقص فطرهم وعقولهم ، إذ قد تقدم أمران : أمر الله لهم بدبح بقرة
 وأمر المبلغ عن الله الناصح لهم المشفق عليهم بقوله « فافعلوا ما تؤمرون » ومع
 ذلك لم يرتدعوا عن السؤال عن لونها (٢) ليس في (٣-٢) ليست في م و ظ .
 (٤-٤) ليست في ظ (ه) في م : انه تعنت ، وفي مد : انه نعت (٦) قال البيضاوي :
 والسرور أصله لذة في قلب عند حصول نفع أو توقعه من السر (٧) العبارة من
 هنا إلى « وهب » ليست في ظ (٨) زيد في م : أى (٩) اعتذار عنه أى إن البقر
 الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشبهه علينا - قاله البيضاوي (١٠-١٠) ليست
 في م (١١) العبارة من هنا إلى « سيبويه » ليست في ظ .

نقل عن سيويه ؛ ثم أدركتهم العناية فقالوا « وانا ان شاء الله ، أى
الذى له صفات الكمال و أكدوا لما أوجب توقعهم من ظن عنادهم وقدموا
التبرك بالمشية لذلك على خبر إن ' « لمهتدين » ، أى إلى المراد ' فتركوا
بما لا تكون بركة إلا به « قال انه يقول انها ، أى هذه البقرة التى أظلمت
التعنت فى أمرها « بقرة لاذلول » ٣ من الذل وهو حسن الاقياد - قاله
الحرالى ؛ ثم وصف الذلول بقوله ؛ « تثير الارض » ، أى ايتجدد منها
إثارتها بالحرث ' كل وقت ' من الإثارة ' قال الحرالى : وهى إظهار
الشيء من الثرى ، كأنها تخرج الثرى من محتوى ' اليبس ؛ ولما كان الذل
وصفا لازما عبر فى وصفها بانتفائه ' بالاسم المبالغ فيه ، أى ليس الذل
١٠. وصفا لازما لها لأنها بحيث لا يوجد منها ذل أصلا ، فانها لو كانت
كذلك كانت ' وحشية لا يقدر عليها أصلا ٨ .

(١-١) ليست فى ظ (٢) إلى المراد ذبحها أو إلى القاتل ، فى الحديث لو لم يستثنوا
لما بينت لهم آخر الأبد (٣) وقال صاحب المدارك : « لاذلول » صفة لبقرة بمعنى
بقرة غير ذلول يعنى لم تذلل للكراب وإثارة الأرض « ولا تسقى الحرث »
ولا هى من النواضح التى يسنى عليها لسقى الحرث ، ولا الأولى نافية والثانية
مزيدة لتوكيد الأولى ، لأن المعنى لاذلول تثير الأرض أى تقلبها للزراعة
وتسقى الحرث على أن الفعلين صفتان للذلول كأنه قيل لاذلول مثيرة وساقية -
انتهى (٤-٤) ليست فى ظ . وفى م : الذل - مكان : الذلول (ه) فى م :
موضع (٦) فى م : بالانتقام (٧) ليس فى م (٨) قال أبوحيان : « لاذلول » صفة
للبقرة على أنه من الوصف بالمفرد و « تثير الارض » صفة للذلول وهى صفة =
ولما

ولما كان لا يتم وصفها بانتفاء الذل إلا بنفي السقي عنها و كان
 أمرا يتجدد ليس هو صفة لازمة كالذل عبر فيه بالفعل وأصبحه لاعطفا
 على الوصف لا على تثير لثلا يفسد المعنى فقال واصفا للبقرة «ولا تسقى
 الحرث» أى لا يتجدد منها سقيه بالسانية كل وقت، ويجوز أن يكون
 إثبات لا فيه تنبيها على حذفها قبل تثير، فيكون الفعلان المنفيان هـ
 تفسيرا على سبيل الاستئناف للاذلول، وحذف لا قبل تثير لثلا يظن
 أنه معها وصف لاذلول يفسد المعنى، والمراد أنها لم تذلل بحرث
 ولا سقى ومعلوم من القدرة على ابتياعها وتسليمها للذبح أنها ليست فى
 غاية الإباء^١ كما آذن به الوصف باذلول^٢، كل ذلك لما فى التوسط من
 الجمع / لأشتات الخير «مسلمة» أى من العيوب «لا شية»^٣ أى علامة ١٠ / ٩١

= داخله فى حيز النفي، والمقصود نفي إثارته الأرض أى لا تثير فتذل فهو من باب:

على لاحب لا يهتدى بمناره

اللفظ نفي الذل والمقصود نفي الإثارة فينتفى كونها ذلولا، ولا تسقى
 الحرث نفي معادل لقوله: لا ذلول والجملة صفة، والصفتان مفتيتان من حيث
 المعنى كما أن لا تسقى منفي من حيث المعنى أيضا. وقال الحسن: كانت تلك
 البقرة وحشية ولهذا وصفت بأنها لا تثير الأرض بالحرث ولا يسنى عليها فتسقى.
 قال الزمخشري: لا ذلول صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول يعنى لم تذلل للحرث
 وإثارة الأرض ولاهى من التواضع التى يسنى عليها بسقى الحرث، ولا الأولى
 للنفي والثانية مزيدة لتوكيد الأولى لأن المعنى لا ذلول تثير وتسقى على أن الفعلين
 صفتان لاذلول كأنه قيل: لا ذلول مثيرة وساقية - انتهى كلامه.

(١) فى مد: لا (٢-٢) ليست فى ظ (٣) وفى البحر المحيط: أى لا بياض - قاله
 السدى، أولا وضح وهو الجمع بين لونين من سواد وبياض، أولا عيب فيها، =

« فيها ، تخالف لونها 'بل هي صفراء كلها حتى قرنها وظلفها' ، قالوا
الثن : أى فى هذا الحد من الزمان الكائن الفاصل بين الماضى و الآتى
« جئت بالحق » ٢ أى الأمر الثابت المستقر ٣ البين من بيان وصف البقرة
فصلوها ٤ « فذبحوها » أى فتسبب عما تقدم كله انهم ذبحوها « وما كادوا »
هـ أى قاربوا قبل هذه المراجعة الأخيرة ٥ « يفعلون » ٥ قال ابن عباس
رضى الله عنهما : لو ذبحوا بقرة ما لأجزأتهم لكنهم شددوا فى السؤال
فشد الله عليهم - يعنى أنهم كلفوا بالأسهل فشدوا ففسخ بالآشق ، و هو
دليل جواز النسخ قبل الفعل ٥ ، أو يقال إنه لما كان السبت إنما وجب عليهم

= أولاً لون يخالف لونها من سواد أو بياض ، أو لا سواد فى الوجه والقوائم
وهو الشية فى البقر ، يقال ثور موشى إذا كان فى وجهه وقوائمه سواد . قال ابن
عطية : والثور الأشبيه الذى ظهر بقله ، يقال فرس أبيض وكبش أخرج وتيس أبرق
و كلب أبقع و ثور أشبه ، كل ذلك بمعنى البقلة - انتهى . وليس الأشياء مأخوذاً
من الشية لاختلاف المادتين .

(١-١) ليست فى ظ ، و فى م : صفا - مكان : صفراء (٢) قال أبو جيان : و معنى
« بالحق » بحقيقة نعت البقرة و ما بقى فيها إشكال (٣-٣) ليست فى ظ (٤) فى
البيضاوى : لتطويلهم و كثرة مراجعاتهم أو لخوف الفضيحة فى ظهور القاتل
أو لغلاء ثمنها إذ روى أن شيخاً صالحاً منهم كان له عجة فأتى بها الغيبة وقال :
اللهم ! إني أستودعكها لابنى حتى يكبر ، فشبت و كانت وحيدة بتلك الصفات
فساوموها بالثمن و أمه حتى اشتروها بملاء مسكها ذهباً وكانت البقرة إذ ذاك بثلاثة
دنانير ، والمعنى أنهم ما قاربوا أن يفعلوا حتى انتهت سؤالاتهم و انقطعت
تعللاتهم ففعلوا كالضطر الملتهج ، إلى الفعل - انتهى كلامه (٥-٥) ليست فى ظ ،
و فى م : العمد - مكان : الفعل .

و ابتلوا بالتشديد فيه باقتراحهم له و سؤلهم إياه بعد إبانهم للجمعة كما يأتي
 إن شاء الله تعالى بيانه عند قوله تعالى «أما جعل السبت على الذين اختلفوا
 فيه»^١ . كان أنسب الأشياء تعقيه بقصة البقرة التي ما شدد عليهم في أمرها
 إلا لتعتهم فيه و إبانهم لذبح أي بقرة تيسرت، و يجوز أن يقال إنه لما
 كان من جملة ما استخفوا به السبت المسارعة إلى إزهاق ما لا يحصى من ه
 الأرواح الممنوعين منها من الحيتان و كان في قصة البقرة التعت و التباطؤ
 عن إزهاق نفس واحدة^٢ أمروا بها تلاء بها، و من أحاسن المناسبات أن
 في كل من آتى القردة و البقرة تبديل حال الإنسان بمخالطة لحم بعض
 الحيوانات^٣ العجم، ففي الأولى إخراسه بعد نطقه بلحم السمك، و في الثانية
 إنطافه بعد خرسه بالموت بلحم البقر، و لعل تخصيص لحم البقر^٤ بهذا ١٠
 الأمر لإيقاظهم من رقدتهم و تنبيههم من غفلتهم عن عظيم قدرة الله
 تعالى لينزع من قلوبهم التعجب من خوار العجل الذي عبده . و قال
 الإمام أبو الحسن الحرالي: و في ذلك تشام^٥ بين أحوالهم في اتخاذهم العجل
 و في طلبهم ذلك، و في كل ذلك مناسبة بين طباعهم و طباع البقرة
 المخلوقة للكد و عمل الأرض التي معها التعب و الذل . و التصرف فيما ١٥
 هو من الدنيا توغلا فيها و فيه نسمة^٦ مطلبهم ما تنبت الأرض الذي هو
 (١) سورة ١٦ آية ١٢٤ (٢) زيد في مد: و (٣) في م: الحيوان (٤) ليس في م.
 (ه) في ظ: تشاوم (٦) كذا، و بهامش م: لعله نسيه .

أثر الحرث - يعنى الذى أبدلوا الحطة به وهو حبة فى شجرة ، فكأنهم بذلك أرضيون ترايون لا تسمو طباع أكثرهم إلى الأمور الروحانية العلوية ، فان جبلة كل نفس تناسب ما تنزع إليه و تلهج به من أنواع الحيوان « جعل لكم من انفسكم ازواجاً ومن الانعام ازواجاً » - انتهى .

٥ ولما قسمت القصة شطرين تنبيها على التعمتين : نعمة العفو عن التوقف عن الأمر ونعمة البيان للقاتل بالأمر الخارق ، ٣ وتنبيها على أن لهم بذلك تقييعين : أحدهما بإساءة الأدب فى الرمي بالاستهزاء والتوقف عن الامتثال والثانى على قتل النفس وما تبعه ، ولو رتب ترتيبها فى الوجود لم يحصل ذلك ٣ ، وقدم الشطر الأنسب لقصة السبب اتبعه الآخر .

(١) فى ظ : حيه - كذا (٢) فى الاصول : خلق راجع سورة ٤٢ آية ١١ (٣-٢) ليست فى ظ : فى مد : رتب - مكان : رتب (٤) قال أبو حيان : ويجوز أن يكون ترتيب وجودهما ونزولهما على حسب تلاوتهما ، فيكون الله تعالى قد أمرهم بذبح البقرة فذبحوها وهم لا يعلمون بما له تعالى فيها من السر ثم وقع بعد ذلك أمر القتل فأظهر لهم ما كانت أخفاه عنهم من الحكمة بقوله « اضربوه ببعضها » ولاشئ يضطرننا إلى اعتقاد تقدم قتل القتل ، ثم سألوا عن تعيين قاتله إذ كانوا قد اختلفوا فى ذلك فأمرهم الله بذبح بقرة ، فيكون الأمر بالذبح متقدما فى النزول ، والتلاوة متأخرا فى الوجود ويكون قتل القتل متأخرا فى النزول ، والتلاوة متقدما فى الوجود ، ولا إلى اعتقاد كون الأمر بالذبح وما بعده مؤخرا فى النزول ، متقدما فى التلاوة والإخبار عن قتلهم متقدما فى النزول ، متأخرا فى التلاوة دون تعرض لزمان وجود القصتين .

وقال الحرالي : قدم نبأ قول موسى عليه السلام على ذكر تدارؤهم في القتل ابتداء بأشرف القاصدين من معنى التشريع الذي هو القائم على أفعال الاعتداء و أقوال الخصومة - انتهى . فقال تعالى « واذ، أى واذكروا إذ، ' وأسند القتل إلى الكل والقاتل واحد لأن ذلك عادة العرب ، لأن عادة القبيلة المدافعة عن أحدهم ' فقال « قتلتم نفسا ، فأقبل ه عليهم بالخطاب توبيخا لهم وإشارة إلى أن الموجودين ٣ منهم راضون بما مضى من أسلافهم وأن من وده شيئا كان من عملته .
 'ولما كانوا قد أنكروا القتل سبب عنه قوله مشيرا إلى إخفائه بالادغام' « فادراتم فيها » أى تدافعتم فكان كل فريق منهم يردّ القتل إلى الآخر فكان لكم بذلك ثلاثة آثام : إثم الكبيرة وإثم الإصرار ١٠

(١) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست في ظ (٢) وفي البحر المحيط : ونسبة القتل إلى جمع إما لأن القاتلين جمع وهم ورثة المقتول وقد نقل أنهم اجتمعوا على قتله ، أو لأن القاتل واحد ونسب ذلك إليهم لوجود ذلك فيهم على طريقة العرب في نسبة الأشياء إلى القبيلة إذا وجد من بعضها ما يذم به أو يمدح ٢٥٩/١ .
 (٣) في مد : المودين (٤-٥) ليست في ظ ، وفي مد : خفايه - مكان : اخفائه (ه) قرأ الجمهور بالادغام ، وقرأ أبو حيوة : فدارأتم ، على وزن تفاعلتم وهو الأصل ، ونقل من جمع في التفسير أن أبا السوار قرأ : فدارأتم - بغير ألف قبل الراء ؛ ويحتمل هذا التدارؤ وهو التدافع أن يكون حقيقة وهو أن يدفع بعضهم بعضا بالأيدى لشدة الاختصاص ، ويحتمل المجاز بأن يكون بعضهم طرح قتله على بعض فدفع المطروح عليه ذلك إلى الطارح ، أو بأن دفع بعضهم بعضا بالتهمة والبراءة - البحر المحيط .

وإثم الاقتراء بالدفع؛ قال الكلبي: وذلك قبل نزول القسامة في التوراة، كأنه يشير إلى ما اذكره عنها قريبا.

ولما كان فعلهم في المداراة فعل غافل عن إحاطة علم الخالق سبحانه قال يحكى حالهم إذ ذاك ' والله، 'أى' والحال أن الذى له الأمر كله 'مخرج' بلطيف صنعه وعظيم شأنه 'ما كنتم تكتمون' ٣٠٥ وفى تقديمه أيضا زيادة تبكى لهم بتوقفهم 'فى ذبح بقرة أمروا بذبحها لمصلحة لهم عظيمة بعد مبادرة بعضهم إلى قتل إنسان مثله بعد النهى الشديد عنه وقال 'منبها بالالتفات إلى أسلوب العظمة على ما فى الفعل المأمور به منها 'فقلنا، أى' بما لنا من العظمة 'اضربوه' ٣٠٦

(١-١) ليست فى ظ، وفى م: غامض - مكان: غافل (٢-٢) ليست فى ظ (٣) وقال المهاشمي: «والله مخرج» من قلوبكم «ما كنتم تكتمون» من أمر القاتل وأنه لوساى موسى لكذبوه (٤) ليس فى ظ (٥) فى ظ: قوله (٦-٦) ليست فى ظ، وفى م: منها مكان: منها (٧) معطوفة على قوله «تلتئم نفسا فادراتم فيها» والجملة من قوله تعالى «والله مخرج ما كنتم تكتمون» اعتراضية بين المعطوف والمعطوف عليه مشعرة بأن التدارؤ لا يجدى شيئا إذ الله تعالى مظهر ما كنتم من أمر القتل، والهاء فى اضربوه عائدة على النفس على تذكير النفس، إذ فيها التأنيت وهو الأشهر والتذكير أو على أن الأول هو على حذف مضاف أى وإذ تلتئم ذات نفس الحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، فروعى بعود الضمير مؤنثا فى قوله «فادراتم فيها» والظاهر أنهم أمروا أن يضربوه بأى بعض كان - قاله أبو حيان وذكر أقوالا فيه، فيراجع ثمه

١ و أضر ذكر البقرة ولم يظهر دلالة على اتحاد هذا الشق الأول من القصة الذى جعل ثانيا بالشق الذى قبله فى أنهما قصة واحدة فقال ' وبعضها ، قال الإمام أبو على الفارسى فى كتاب الحجة : قلنا اضربوا المقتول ببعض البقرة فضربوه به فحى ، ' يعنى و الدليل على هذا المحذوف قوله ' كذلك ، ٢ أى مثل هذا الإحياء العظيم على هذه الهيئة الغريبة ٣ و يحى الله ، ٢ أى الذى ٥ له صفات الكمال ٣ ' الموتى ' مثل هذا الإحياء الذى ٢ عوين و شوهد - انتهى . ٥ روى أنهم لما ضربوه قام و قال : قتلنى فلان و فلان لابنى عمه ثم سقط ميتا فأخذا و قتلا و لم يورث قاتل بعد ذلك ٥ ؛ و هذه الخارقة كما أخبر نبينا صلى الله عليه وسلم ذراع الشاة المسمومة بأنه مسموم لما سمته اليهودية التى كانت فى قومها هذه الآية ، و جعل هذا ١٠ التنبيه على البعث فى قصصهم ، لأنه من أعظم الأدلة عليه ، و قد وقع منهم ما ساغ معه عدم منكرين و هو قولهم للشركين : دينكم خير من دين محمد ، أو ٦ أن هذا ٦ تنبيه مقصود به حث العرب على سؤال من

(١-١) ليست فى ظ . و أخرت فى م عن ' فضر به فحى ' (٢-٢) ليست فى ظ . و قدمت فى م على ' و أضر ذكر البقرة ' (٣-٣) ليست فى ظ (٤) زيد فى ظ : هو . (٥-٥) ليست فى ظ ، و فى م : أخذوا - مكان : فأخذا . قال الماوردى : كان الضرب بميت لا حياة فيه لئلا يلتبس على ذى شبهة أن الحياة إنما انقلبت إليه مما ضرب به لتزول الشبهة و تتأكد الحجة - البحر المحيط ١ / ٢٦٠ (٦) فى ظ : و . (٧) كذلك إن كان هذا خطابا للذين حضروا إحياء القتيلى كان ثم إضمار قول أى و قلنا لهم كذلك يحى الله الموتى يوم القيامة ، و قدره الماوردى خطابا من موسى على نبينا و عليه الصلاة والسلام وإن كان لمنكرى البعث فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون من تلوين الخطاب والمعنى كما أحى قتيلى بنى إسرائيل =

استنصحوهم في السؤال عن النبي صلى الله عليه وسلم لكونهم أهل العلم الأول، فهو ملزم لهم باعتقاد البعث أو اعتقاد / كذب اليهود، وعبر بالاسم العلم لأن الإحياء من أخص الآيات بصفة الإلهية كما أن الإرزاق أخص الآيات بالربوبية ١، ويرىكم آيته، فيما يشهد بصحته ٥. «لعلكم تعقلون» ٢، أي لتكنوا برؤية تلك الآيات الشاهدة له على رجاء من أن يحصل لكم عقل فيرشدكم إلى اعتقاد البعث وغيره مما تخبر به الرسل عن الله تعالى.

ولما كان حصول المعصية منهم بعد رؤية هذه الحارقة مستبعد

= في الدنيا كذلك يحيي الله الموتي يوم القيامة، وإلى هذا ذهب الطبري؛ والظاهر هو الأول لانتظام الآي في نسق واحد ولئلا يختلف خطاب «لعلكم تعقلون» وخطاب «ثم قست قلوبكم» قاله أبو حيان.

(١) ظاهر هذا الكلام الاستئناف، ويجوز أن يكون معطوفاً على «يحيي» والظاهر أن الآيات جمع في اللفظ والمعنى وهي ما أراهم من إحياء الميت والعصا والحجر والغمام والن والسلوى والسحر والبحر والطور وغير ذلك، وكانوا مع ذلك أعمى الناس قلوباً وأشد قسوة وتكذيباً لنبيهم في تلك الأوقات التي شاهدوا فيها تلك العجائب والمعجزات - البحر المحيط.

(٢) وقال أبو حيان الأندلسي: أي لعلكم تمتنعون من عصيانه وتعملون على فضية عقولكم من أن من قدر على إحياء نفس واحدة قدر على إحياء الأتفس كلها لعدم الاختصاص «ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة» أي تخلق نفس واحدة وبعثها. وقال الزمخشري: في الأسباب والشروط حكم وفوائد وإنما شرط في ذلك لما في ذبح البقرة من التقرب وأداء التكليف واكتساب الثواب والإشعار بحسن تقديم القرية على الطلب وما في التشديد =

'التصور فضلا عن الوقوع' أشار إليه بقوله 'ثم قست'، 'من القسوة'
وهي اشتداد التصلب والتجبر^٣، 'قلوبكم'، 'ولما كانت لهم حالات
يطيعون فيها أتى بالجار فقال' من بعد ذلك، 'أى من بعد ما تقدم وصفه
من الخوارق في المراجعات و غيرها تذكيرا لهم بطول إمهاله لهم سبحانه

= عليهم لتشديدهم من اللطف لهم ولآخرين في ترك التشديد و المسارعة إلى
امتثال أوامر الله تعالى و ارتسامها على الفور من غير تفتيش و تكثير سؤال
ونفع اليتيم بالتجارة الربحية و الدلالة على بركة البر بالأبوين و الشفقة على الأولاد
و تجهيل الهازئ بما لا يعلم كنهه و لا يطلع على حقيقته من كلام الحكماء - قاله
أبو حيان الأندلسي . و قال البيضاوي : « لعلكم تعقلون » لكن يكمل عقلكم و تعلموا
أن من قدر على إحياء نفس قدر على الأنفس كلها أو تعملوا على قضيتها و لعله تعالى
إنما لم يحبه ابتداء و شرط فيه بأشراط لما فيه من التقرب و أداء الواجب و نفع
اليتيم و التنبيه على بركة التوكل و الشفقة على الأولاد و أن من حق الطالب أن
يقدم قربة و المتقرب أن يتحرى الأحسن كما روى عن عمر رضى الله عنه أنه
ضحى بنجبية بثلاث مائة دينار و أن المؤثر في الحقيقة هو الله تعالى و الأسباب
أمارات لا أثر لها و أن من أراد أن يعرف أعدى عدوه الساعى في إمارة الموت
الحقيقى فطريقه أن يذبح بقرة نفسه التى هى القوة الشهوية حين زال عنها شره
الصبى و لم يلحقها ضعف الكبر و كانت معجبة رائقة المنظر غير مذلة في طلب
الدنيا مسلمة عن دنسها لا شية بها من مقابحها بحيث يصل أثره إلى نفسه فيجى
حياة طيبة و تعرب عما به يتكشف الحال و يرتفع ما بين العقل و الوهم من التدار
و النزاع - انتهى كلامه ١/٦١ .

(١-١) ليست في ظ (٢-٢) ليست في م (٣) القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة
كما في الحجر و قساوة القلب مثل في نبؤه عن الاعتبار، ثم لاستبعاد القسوة .

مع توالى كفرهم وعنادهم، وتحذيرا من مثل ما أحل بأهل السبت «فهي»
أى قسبب عن قسوتها أن كانت «كالحجارة» التى هى أبعد الأشياء عن
حالتها، فان القلب أحيى حتىّ والحجر أجمد جامدا، ولم يشبهها بالحديد
لما فيه من المنافع، و^٢ لأنه قد يلين .

و لما كانت القلوب بالنظر إلى حياتها أين لين و بالنظر إلى ثباتها على حالة
أصلب شيء كانت بحيث تحير الناظر فى أمرها فقال «او» . قال الحرالى:
هى كلمة تدل على بهم الأمر و خفيته فيقع الإيهام و الإيهام - انتهى .

(١) قال أبو حيان الأندلسى : «فهي كالحجارة» يريد فى القسوة ، وهذه جملة
ابتدائية حكم فيها بتشبيه قلوبهم بالحجارة إذ الحجر لا يتأثر بموعظة و يعنى أن
قلوبهم صلبة لا يتخلخلها الخوارق كما أن الحجر خلق صلبا ، وفى ذلك إشارة إلى
أن اعتياص قلوبهم ليس لعارض بل خلق ذلك فيها خلقا أوليا كما أن صلابة الحجر
كذلك ؛ وجمعت الحجارة و لم تفرد فيقال كالحجر فيكون أخصر إذ دلالة المفرد
على الجنس كدلالة الجمع لأنه قول الجمع بالجمع لأن قلوبهم جمع فناسب مقابله
بالجمع ، ولأن قلوبهم متفاوتة فى القسوة ، كما أن الحجارة متفاوتة فى الصلابة ،
فلو قيل كالحجر لأنهم ذلك عدم التفاوت إذ يتوهم فيه من حيث الافراد ذلك -
انتهى كلامه . وقال المهايمى : « كالحجارة » لا كالحديد الذى يلين بالنار إذ
لا تلين بنار التخويف « او هى اشد قسوة » من الحجارة فلا تصلح لأن يكون
مشبهها كيف « و ان من الحجارة » كالحبال « لما يتفجر منه الانهر » بأن ينقلب
بعض أجزائها هواء ثم يجذب الهواء من الجوانب و يقلبها بقوة تبريدها ماء
« و ان منها لما يشقق » بمدافعة الماء من خلفه (٢) العبارة من هنا إلى « قد يلين »
ليست فى ظ (٣) ليس فى م .

وهذا الإيهام بالنسبة إلى الرائي لهم من الآدميين ، وأما الله تعالى فهو العالم بكل شيء قبل خلقه كعله به بعد خلقه ' وزاد أشد مع صحة بناء أفعل من قسى للدلالة على فرط القسوة فقال ' أشد قسوة ، لأنها لا تلين لما حقه أن يلينها والحجر يلين لما حقه أن يلينه وكل وصف للحى يشابه به^٢ ما دونه أقبح فيه مما دونه من حيث أن الحى مهياً لضده تلك المشابهة بالإدراك .

ولما كان التقدير فإن الحجارة تفعل بالمزاولة عطف عليه ' مشيراً إلى مزيد قسوتهم وجلاقتهم بالتأكيد قوله ' و ان من الحجارة^٣ وزاد في التأكيد تأكيداً لذلك قوله ' لما يتفجر ، أى يتفتح ' بالسعة

(١-١) ليست في ظ (٢) ليس في م (٣) تبين أن قلوبهم لا تتأثر وأن الحجارة قد يوجد فيها ما يتأثر وأنها متساوية في التأثر ، و قرئ ' و ان ' مشددة في ثلاثتها فما اسم ان دخلت اللام عليه ، و قرئ مخففة في ثلاثتها فاحتمل أن تكون معملة و ما اسمها ، واحتمل أن تكون ملفاة نحو ان في الدار لزيد فما متبداً خبره المجرور قبله واللام هي لام الابتداء لزمت للفرق أو لام غيرها اجتلبت للفرق ؛ قولان للنحاة - من النهر من البحر لأبي حيان ٢٦٣/١ (٤) العبارة من ' وزاد ' إلى هنا ليست في ظ (هـ) في الأصل يفتح من الانفعال ، وفي م ومد : يفتح ، من باب التفعّل ، وهو المناسب للفسر ، قال في النهر من البحر : يتفجر مضارع تفجر و ينفجر مضارع انفجر مطاوع فخر بتخفيف الجيم والتفجر التفتح بالسعة والكثرة . وقال أبو حيان في البحر : لما شبه تعالى قلوبهم بالحجارة في القسوة ثم ذكر أنها أشد قسوة على اختلاف الناس في مفهوم أو بين أن هذا التشبيه إنما هو بالنسبة لما علمه المخاطب من صلابة الأحجار وأخذ يذكر جهة كون قلوبهم =

و الكثرة « منه » الانهر ، ٢ ذكر الكثير ٣ بما يشاهد من ذلك و تذكيرا
 بالحجر المتفجر لهم منه الأنهار بضرب العصا ثم عطف على ذلك ما هو
 دونه فقال « و ان منها لما يشقق » ٤ أى يسيرا بتكلف بما يشير إليه الادغام
 و الفعل من التشقق و هو تفعل صيغة التكلف من الشق و هو مصير الشيء
 ه فى الشقين أى ناحيتين متقابلتين - قاله الحرالى . « فيخرج منه الماء ،
 الذى هو دون النهر ، ثم عطف على هذا ما هو أنزل من ذلك فقال « و ان
 منها » لما يهبط من خشية الله ، أى ينتقل من مكانه من أعلى الجبل إلى أسفل
 لأمر الملك الأعلى له بذلك و قلوبكم لا انتقاد لشيء من الأوامر فجعل
 الأمر فى حق القلوب لما فيها من العقل كالإرادة فى حق الحجارة لما
 ١٠ لها من الجمادية ٥ ، و فى ذلك تذكير ٦ لهم بالحجارة المتهاقنة من الطور

= أشد قسوة والمعنى أن قلوب هؤلاء جاسية صلبة لا تلينها المواعظ ولا تنأثر
 للزواج و ان من الحجارة ما يقبل التخلخل و أنها متفاوتة فى قبول ذلك على
 حسب التقسيم الذى أشار إليه تعالى - ثم ذكر اختلاف المفسرين فى هذه الآية أهى
 على سبيل التمثيل أم على غيره فليراجع ثمة .

(١) زيد فى م : و (٢) و قرئ « منه الانهر » ومنها الأنهر حملا على المعنى - النهر
 من البحر (٣-٢) فى ظ : ذكرنا للكثير (٤) التشقق : التصدع بطول أو عرض
 فينبع منه الماء بقله و قرئ يشقق بتشديد الشين و يشقق و ينشقق بنون و قافين
 و الفك شاذ (٥) زيد فى م و مد : أى الحجارة (٦) قال أبو حيان الأندلسي :
 و اختلف المفسرون فى تفسير هذا فذهب قوم إلى أن الخشية هنا حقيقة ، و اختلف
 هؤلاء فقال قوم : معناه من خشية الحجارة لله تعالى فهى مصدر مضاف للفعل ،
 و أن الله تعالى جعل لهذه الأحجار التى تهبط من خشية الله تعالى تميزا قام لها =

عند تجلى الرب . قال الحرالي : والخشية وجل نفس العالم بما يستعظمه .
ولما كان التقدير : فما أعمالكم - أو : فما أعمالهم ، على قراءة الغيب -
بما^٢ يرضى الله ؟ عطف عليه « وما^٣ » ويجوز أن يكون حالا من قلوبكم
أى^٤ قست و الحال أنه ما^٥ الله ، أى الذى له الكمال كله^٥ ، بغافل ،
و الغفلة فقد الشعور بما حقه أن يشعر به « عما تعملون^٦ » فانتظروا عذابا ه
مثل عذاب أصحاب السبت إما فى الدنيا وإما فى الآخرة ، ولم أر ذكر
قصة البقرة فى التوراة فلعله مما أخفوه لبعض نجاحاتهم كما أشير إليه
= مقام الفعل المودع فيمن يعقل ، واستدل على ذلك بأن الله تعالى وصف بعض
الحجارة بالخشية وبعضها بالإرادة و وصف جميعها بالنطق والتحميد والتقديس
والتأويب والتصدع ، وكل هذه صفات لا تصدر إلا عن أهل التمييز والمعرفة ،
قال تعالى « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل » الآية « وإن من شيء إلا يسبح بحمده »
« يُجبال أوبى معه والطير » وفى الحديث الصحيح : إني لأعرف حجرا كان يسلم
على^٧ قبل أن أبعث ، وإنه بعد مبعثه ما مر بحجر ولا مدر إلا سلم عليه ، وفى الحجر
الأسود أنه يشهد لمن يستلمه - وأطال البحث وأجاد فليراجع (٦) فى م : تذكيرا .
() وفى ظ : بما (٢) وفى ظ : فما (٣) العبارة من هنا إلى « انه ما » ليست فى ظ .
(٤) فى م : ان (هـ - هـ) ليست فى ظ (٦) وقد تضمنت هذه الآيات الكريمة
فصولا عظيمة ومحاورات كثيرة ، وذلك أن موسى على نبينا و عليه الصلاة
والسلام شافهم بأن الله تعالى يأمرهم بذبح البقرة ، وذلك امتحان من الله تعالى
لهم ، فلم يبادروا لامثال أمر الله تعالى وأخرجوا ذلك مخرج الهزء إذ لم يفهموا
سر الأمر ، وكان ينبغي أن يبادروا بالامثال ؛ فأجابهم موسى باستعاذة بالله الذى
أمره أن يكون ممن جهل فيخبر عن الله بما لم يأمره به فرد عليهم - من البحر
المحيط ، ولزيد التفصيل فليراجع إليه .

بقوله تعالى «تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا» ، والذي رأيت فيها مما يشبه ذلك ويمكن أن يكون مسيبا عنه أنه قال في السفر الخامس منها ما نصه : فاذا وجدتم قبلا في الأرض التي^٢ يعطيكم الله ربكم مطروحا لا يعرف قاتله يخرج أشياخكم وقضاكم و يذرعون ما بين القتل ٥ و القرية ، فأية قرية كانت قرية من القتل يأخذ أشياخ تلك القرية عجلا لم يعمل به عمل ولم يحرق به حرث ، فينزل أشياخ القرية العجل إلى الوادى الذى لم يزرع ولم يحرق فيه حرث يذبجون العجل فى ذلك الوادى و يتقدم الأحبار بنو^٣ لاوى الذين اختارهم الله ربكم أن يخدموا و يباركوا اسم الرب و عن قولهم يقضى كل قضاء و يضرب كل مضروب ، ١٠ و جميع أشياخ تلك القرية القريبة من القتل يغسلون أيديهم فوق العجل المذبوح فى الوادى و يحلفون و يقولون : ما سفكت أيدينا هذا الدم و ما رأينا من قتله فاغفر يا رب لآل إسرائيل شعبك الذين خلصت ، و لا تؤاخذ شعبك بالدم الزكى ، و يغفر لهم على الدم و أتم فاحصوا عن الدم و اقضوا بالحق و أبعثوا عنكم الإثم و اعملوا الحسنات بين يدي الله ربكم - انتهى - ٥ : و هو كما ترى يشبه أن يكون فرع هذا الاصل المذكور فى القرآن العظيم و الله أعلم .

ولما بين سبحانه أن قلوبهم صارت من كثرة المعاصى و توالى التجروء على بارئها محجوبة بالرين كثيفة الطبع بحيث أنها أشد قسوة من

(١) سورة ٦ آية ٩١ (٢) فى ظ : الدى (٣) فى ظ : بنى (٤) فى م : الدى .

الحجارة تسبب عن ذلك بعدم عن الإيمان فالتفت إلى المؤمنين يؤيسهم^١
من فلاحهم^٢ تسلياً للنبي صلى الله عليه وسلم عما كان يشتد حرصه عليه
من طلب إيمانهم^٣ في معرض التنكيت عليهم و التبكيت لهم منكراً للطمع
في إيمانهم بعد ما قرر أنه تكرر^٤ من كفرانهم^٥ فقال « اقتطمعون ، و الطمع^٦
تعلق البال بالشئ من غير تقدم سبب له » ان يؤمنوا ،^٧ أى هؤلاء هـ

الذين بين أظهركم^٨ / وقد سمعتم ما اتفق لأسلافهم من الكشافة وهم ٩٣ /

(١) في م : يؤنبهم (٢-٢) ليست في ظ (٣) في م : تقرر (٤) قال أبو حيان :
ثم ختم ذلك بأنه تعالى لا يغفل عما اجتروحه في دار الدنيا بل يجازيهم بذلك
في الدار الأخرى ، و كانت افتتاح هذه الآيات بأن الله تعالى يأمر و اختتامها
بأن الله لا يغفل ، فهو العالم بمن امتثل و بمن أهمل ، فيجازى ممثل أمره بمجزي ثوابه
ومهمل أمره بشديد عقابه - انتهى كلامه (٥) الطمع تعلق النفس بأدراك مطلوب
تعلقاً قوياً ، وهو أشد من الرجاء لأنه لا يحدث إلا عن قوة رغبة وشدة إرادة ، وإذا
اشتد صار طمعاً ، وإذا ضعف كان رغبة و رجاء - البحر المحيط ١/ ٢٦٩ . قال على
المهاشمي : « ا » تعلمون هذه القساوة منهم و ازدياد التعدي و التكبر و مع ذلك
ترونها الدلائل و تجرونهم بالمواعظ (٦) العبارة من هنا إلى « الا الله » ليست في ظ .
(٧) و ذكر أبو حيان الأندلسي في سبب نزول هذه الآية أفاويل و ذكر في آخرها
ما نصه : وهذه الأفاويل كلها لا تخرج عن ان الحديث في اليهود الذين كانوا في زمان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنهم الذين يصح فيهم الطمع أن يؤمنوا ، لأن
الطمع إنما يصح في المستقل ، والضمير في « ان يؤمنوا لكم » لليهود ، والمعنى
استبعاد إيمان اليهود ، إذ قد تقدم لأسلافهم أفاعيل و جرى أبناؤهم عليها فبعيد =

راضون بذلك و إلا لآمنوا بمجرد هذا الإخبار عن هذه القصص من
هذا النبي الأُمي الذي يحصل التحقيق بأنه لا معلم له بها إلا الله معترفين
لهم وقد ، أى و الحال أنه قد كان فريق ،^١ أى ناس يقصدون الفرقة
و الشتات ، منهم . قال الحرالي : من الفرق و هو اختصاص برأى
وجهة عن حقه أن يتصل به و يكون معه - انتهى . « يسمعون كلام الله ،
المستحق لجميع صفات الكمال و الكلام »^٢ . قال الحرالي : هو إظهار ما في
الباطن على الظاهر لمن يشهد ذلك الظاهر بكل نحو من أنحاء الإظهار -
انتهى . « ثم يحرفونه »^٣ أى يزيلونه عن وجهه برده على حرفه ، و في
ذكر الفريق مع المعطوفات عليه تأكيداً لعظيم تهمة عليهم في العصيان
= صدور الإيمان من هؤلاء (١) في مد : التحقيق (٢-٣) ليست في ظ . و الفريق
قبل هم الأخبار الذين حرفوا التوراة في صفة محمد صلى الله عليه وسلم - قاله مجاهد
و السدى ، و قيل جماعة من اليهود كانوا يسمعون الوحي إذا نزل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيحرفونه قصداً أن يدخلوا في الدين ما ليس فيه و يحصل
التضاد في أحكامه - البحر المحيط ٢٧٢/١ (٣) قال أبو حيان الأندلسي : الكلام
هو القول الدال على نسبة إسنادية مقصودة لذاتها ، و يطلق أيضاً على الكلمة ، و يعبر
أيضاً عن الخط و الإشارة و ما يفهم من حال الشيء و تقاليبه الست موضوعة و ترجع
إلى معنى القوة و الشدة و هي كلم ، كل ، لكم ، لك ، ملك ، مكل - انتهى كلامه .
(٤) التحريف إمالة الشيء من حال إلى حال ، و الحرف الحد المائل - قاله أبو حيان .
(٥) في م : تأكيداً (٦) من همك في الأمر يهكم همك لبعجه ، تهتمك في الأمر
و انهمك حد فيه و لج (نظر المحيط) و صلته هنا بنى شاهدة على كونه « تهتمكهم » =

بأنهم كانوا بعد ما وصف من أحوالهم^١ الخبيثة^٢ فرقا^٣ في الكفر و العدوان
و التبرء من جباب الحياء، و قوله « من بعد ما عقلوه »^٤ مع كونه توطئة
لما^٥ يأتي من أمر الفسخ مشيرا إلى أن تحريفهم لم يكن في محل إشكال
لكونه مدركا بالبديهة،^٦ و أثبت الجار لاختلاف أحوالهم^٧.

و لما كان هذا مع أنه إشارة إلى أنهم على جبيلات إبانهم و إلى ه
أن من اجتراً على الله لم ينبغ لعباد الله أن يطمعوا في صلاحه لهم، لأنه
إذا اجتراً على العالم بالحقائق كان على غيره أجراً مشيرا إلى أنه لا يفعله
عاقل ختمه بقوله « وهم يعلمون »^٨ أي و الحال أنهم مع العقل حاملون
للعلم فاهمون له غير غافلين بل متعمدون .

^٩ و لما كان الكلام مرشدا إلى أن التقدير فهم لجراتهم على الله ١٠

= وقع في ظ و مد : تهتكهم، و في م : تهكهم - كذا (١) في ظ و مد :
اعمالهم (٢) ليس في م (٣) في ظ : فرقا - كذا (٤) أي من بعد ما ضبطوه
و فهموه و لم تشبه عليهم صحته (٥) في مد : كما (٦ - ٧) ليست في ظ، و في م :
اثبات (٧) و متعلق العلم محذوف أي أنهم قد حرفوه أو ما في تحريفه من العقاب
أو أنه الحق أو أنهم مبطلون كاذبون، و الواو في قوله « و قد كان فريق » و في
قوله « وهم يعلمون » و الحال و العامل في قوله وهم يعلمون، فقوله ثم يحرفونه
أي يقع التحريف منهم بعد تعقله و تفهمه عالين بما في تحريفه من شديد
العتاب، و مع ذلك فهم يقدمون على ذلك يجترؤن عليه، و الإنكار على
العالم أشد من الإنكار على الجاهل - البحر المحيط ١ / ٢٧٢ (٨) قال على المأثمى :
ثم أشار إلى أن هذا التحريف حيث ظهر لنا على لسان بعضهم و إلا فهم =

إذا سمعوا كتابكم حرفوه وإذا حدثوا عباد الله لا يكادون يصدقون عطف عليه قوله « وإذا لقوا الذين آمنوا » بنينا محمد صلى الله عليه وسلم « قالوا » نفاقا منهم « آمنوا وإذا خلا بعضهم » أى المنافقين « إلى بعض قالوا » لا آمن لهم « ظنا منهم » جهلا بالله لما وجدوا كثيرا من أسرارهم ه و خفي أخبارهم بما هو في كتابهم من الدقائق وغير ذلك عند المؤمنين مع اجتهدهم في إخفائها أن بعضهم أفشاها فعلت من قبله « اتحدثونهم » من التحديث ٣ وهو تكرار حدث القول أى واقعه « بما فتح الله » ذوالجلال والجمال « عليكم » من العلم القديم الذى أتاكم على السنة رسلكم أو بما عذب به بعضكم . و الفتح قال الحرالى توسعة الضيق حسا ومعنى

= مبالغون في الكتمان ويشددون على من أظهر « و » ذلك أن فريقا منهم « إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا » أى صدقنا نبيكم في الباطن لأنه مذكور في كتابنا لكن لا نترك في الظاهر دين آبائنا خوفا من أقاربنا أو أكابرنا ولا نترك التمسك بالتوراة « وإذا خلا بعضهم إلى بعض » فاجتمع الكاثمون مع المظهرين مع خلو المجلس عن المؤمنين « قالوا » أى الكاثمون للمظهرين (١-١) ليست في ظ (٢) زيد في ظ : و (٣) التحديث الإخبار عن حادث و يقال منه يحدث ، وأصله من الحدوث وأصل فعله أن يتعدى إلى واحد بنفسه وإلى آخر بعن وإلى ثالث بالباء فيقال حدثت زيدا عن بكر بكذا - قاله أبو حيان (٤) الفتح القضاء بلغة اليمن « وهو الفتح العليم » وأصل الفتح خرق الشيء والسد ضده والذى حدثوا به هو ما تكلم به جماعة من اليهود من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولزيد تفصيل فيه فليراجع إلى البحر المحيط .

« ليحاجوكم ، أى المؤمنون » به عند ربكم ، و الحاجة تثبيت ' القصد و الرأى بما يصححه . و لما كان عندهم أن إفشاءهم لمثل هذا من فعل من لا يفعل قالوا إنكاراً من بعضهم على بعض « افلا تعقلون » ،^١ و يمكن أن يكون خطاباً للمؤمنين المخاطبين^٢ يتطمعون ، أى أفلا يكون^٣ لكم عقل ليردكم ذلك عن تعليق الأمل بإيمانهم^٤ . و لما كان ظنهم هذا^٥ أقبح الفساد لأنه لو لم يكن عليه من قبل الله لم يقدر غيره أن يعبر عنه بعبارة تعجز الخلائق عن مماثلتها وصل به قوله موجهاً لهم « أو لا ، أى ألا يعلمون أن علم المؤمنين لذلك لم يكن إلا عن الله لما قام عليه من دليل الإعجاز أو لا يعلمون أن الله ، الذى له الإحاطة بكل شىء ، يعلم ما يسرون ، أى يخفون من قولهم لأصحابهم و من غيره^٦ » و ما يعلنون^٧ ، أى يظهر^٨ ١٠

(١) فى ظ : تثبيت - كذا . وفى البحر المحيط : الحاجة من الاحتجاج وهو القصد للغلبة ، حجة قصده أن يغلب ، و الحجة الكلام المستقيم ، مأخوذ من محجة الطريق . وقال على المهانمى : « ليحاجوكم به عند ربكم ، أى ليغلبوكم بالحجة ويشهدوا عليكم عند ربكم تلقونهم الحجة عليكم . وقال البيضاوى : « ليحاجوكم عند ربكم » يحتجوا عليكم بما أنزل ربكم فى كتابه ، جعلوا حاجتهم بكتاب الله و حكمه حاجة عنده كما يقال عند الله كذا و يراد به أنه فى كتابه و حكمه ، و قيل عند ذكر ربكم أو بما عند ربكم أو بين يدي رسول ربكم (٢) العبارة من هنا إلى « بإيمانهم » ليست فى ظ (٣) ليس فى م (٤) من م و مد ، وفى الأصل : تكون (٥) العبارة من هنا إلى « الخلائق عن » ليست فى م (٦) كانت الواو زائدة هنا فى الأصول لحذفت (٧) فى م فقط : غيرهم (٨) و الأولى حمل ما يسرون و ما يعلنون على العموم إذ هو ظاهر اللفظ ، و قيل الذى أسروه الكفر ، و الذى أعلنوه الإيمان ، و قيل العداوة و الصداقة ؛ قرأ ابن محيص =

من ذلك فيخبر به أولياءه .

ولما ذكر سبحانه هذا الفريق الذى هو من أعلام كفرا وأعتام
أمرا عطف عليه قسما أعتى^١ منه وأفظ لأن العالم يرجى لفته^٢ عن رأيه
أو تخجيله بالحجاج بخلاف المقلد العاتى الكثيف^٣ الجافى فقال : ومنهم
اميون^٤ ، ويجوز أن يراد بهم من لا يحسن الكتابة و من يحسنها وهو غليظ
الطبع بعيد عن الفهم ، لأن الأعمى فى اللغة من لا يكتب أو من على
خلقة الأمة لم يتعلم الكتابة وهو باق^٥ على جبلته وحال ولادته والغبي^٦
الجلف^٧ الجافى القليل الكلام ، فالمعنى أنهم قسمان : كتبة وغير كتبة ،

== « اولوا تعلمون » بالتاء ، قالوا فيكون ذلك خطابا للمؤمنين وفيه تنبيه لهم على
جهلهم بعالم السر والعانية .

(١) فى ظ : اغبي (٢) لفته : صرفه ، من لفت فلانا عن رأيه صرفه (٣) فى ظ :
الكثيف - بالتاء المثناة (٤) الأعمى الذى لا يقرأ فى كتاب ولا يكتب ، نسب
إلى الأم لأنه ليس من شغل النساء أن يكتبن أو يقرأن فى كتاب ، أو لأنه
بحال ولادته أمه لم ينتقل عنها ، أو نسب إلى الأمة وهى القامة والخلقة ، أو إلى
الأمة إذ هى ساذجة قبل أن تعرف المعارف ، ظاهر الكلام أنها أنزلت فى
اليهود المذكورين فى الكتاب فى الآية التى قبل هذه - قاله ابن عباس (من البحر
المحيط) وذكرت فيه أقوال . وقال أبو حيان بعد ذكر أقوال : والقول الأول
هو الأظهر لأن سياق الكلام إنما هو مع اليهود فالضمير لهم . وقال على المأتمنى :
« ومنهم اميون » أى باقون على ما ولدتهم أمهاتهم « لا يعلمون الكتاب
الامانى » أى أحاديث قدرها الحرفون فى أنفسهم تقدير الأمانى الكاذبة
ولا يتخلصون بذلك عن الكفر ؛ لأنهم يعلمون أنهم كذابون فلا يحصل لهم الحرم
بقولهم - انتهى كلامه (٥) ليس فى ظ (٦) فى م ومد : العي (٧) من م و ظ ،
وفى الأصل : الخلف - بالخاء المعجمة - كذا .

وهم المراد بالأميين، وهؤلاء مع كونهم لا يحسنون الكتاب يحوز أن يتعلموا القراءة تلقيناً ولا يفهمون المعاني، ويحوز أن يكون المعنى أنهم قسمان: علماء نحارير عارفون بالمعاني و جهلة غبيون لا حظ لهم من التوراة إلا القراءة الخالية عن التدبر المقرونة بالتمنى^١ و لذلك قال « لا يعلمون الكتب، أى بخلاف القسم الذى أكد فيه كونهم من أهل العلم . ٥

ولما كان المراد سلب العلم عنهم رأساً أبرز^٢ الاستثناء مع كونه منقطعا في صورة المتصل فقال « الا امانى، جمع أمنية^٣، وهى تقدير الوقوع فيما يتراعى إليه الأمل، و يقال إن^٤ معناه يجرى في التلاوة للفظ كأنها تقدير بالإضافة لمن يتحقق له المعنى - قاله الحرالى . أى إن كانت

(١) في ظ : تلقيط (٢) قال أبو حيان الأندلسى في مناسبة ارتباط هذه الآية مانصه: انه لما بين أمر الفقرة الضالة التى حرفت كتاب الله وهم قد عقلوه و علموا بسوء مرتكبهم ثم بين أمر الفقرة الثانية المناققين وأمر الثالثة المجادلة أخذ بين أمر الفقرة الرابعة وهى العامة التى طريقها التقليد وقبول ما يقال لهم. قال أبو العالية ومجاهد وغيرهما: ومن هؤلاء اليهود المذكورون فالآية منبهة على عامتهم وأنبايعهم أى أنهم لا يطمع في إيمانهم، وقرأ أبو حيوة وابن أبى عتبة « اميون » بتخفيف الميم - انتهى (٣) في ظ : برز، وفي م: ابرفى - كذا (٤) وهى أفعولة: أصله أمنية، وهى من منى إذا قدر، لأن التمنى يقدر في نفسه ويحزم ما يتمناه، أو من تمنى أى كذب قال أعرابى لابن دأب في شيء حدث به: أهذا شيء رويته أم تمنيت؟ أى اختلقته . وقال عثمان: ما تمنيت ولا تعنيت منذ أسلمت، أو من تمنى إذا تلا قال تعالى « اذا تمنى اتقى الشيطان في امنيته » أى إذا تلا وقرأ - البحر المحيط ١/ ٢٧٠ (٥) وفي ظ: بان .

الاماني بما يصح وصفه بالعلم فهي لهم لا غيرها من جميع أنواعه . ولما
 أفهم ذلك أن التقدير ما هم^١ الا يقدرّون تقديرات^٢ لا علم لهم بها عطف
 عليه قوله « وان هم الا يظنون » ، تأكيد لنفي العلم عنهم . ولما أثبت لهذا
 الفريق القطع على الله بما لا علم لهم به و كان هذا معلوم الذم محتوم
 الإثم سبب عنه الذم^٣ و الإثم بطريق الأولى لفريق^٤ هو أردؤهم^٥ و أضرم
 لعباد الله و أعدام فقال « فويل » و الويل^٦ جماع الشر كله - قاله الحرالي .
 « للذين يكتبون » أي منهم و من غيرهم « الكتب » أي الذي^٧ يعلمون
 أنه من عندهم لا من عند الله « بأيديهم »^٨ وأشار إلى قبح هذا الكذب
 و بَعَدَ رتبته في الخبث بأداة التراخي فقال^٩ « ثم يقولون ، لما كتبوه كذبا
 ١٠ و بهتاننا » هذا من عند الله ،^{١٠} الملك الأعظم^{١١} ثم بين بالعلة^{١٢} الحاملة لهم
 / على ذلك خساستهم و تراميهم إلى النجاسة و دناءتهم فقال « ليشتروا به »
 أي بهذا الكذب الذي صنعوه « ثمنا قليلا » ثم سبب عنه قوله « فويل

/ ٩٤

(١) في م : لهم . وقال البيضاوي : ما هم إلا قوم يظنون لا علم لهم ؛ وهذا
 أوضح (٢) في م : تقديرا (٣) في ظ : الدم - بالدال المهملة (٤) في م : الفريق .
 (٥) في م : اردآؤهم (٦) الويل مصدر لا فعل له من لفظه و ما ذكر من قولهم
 و آل مصنوع ، و لم يحجى^{١٣} من هذه المادة التي فاؤها و اووعينها ياء إلا ويل و ويح
 و ويس و ويب ، و لا يفتي و لا يجمع ، و يقال و يله و يجمع على ويلات ، قال :

فقال لك الويلات انك مرجلي

و الويل معناه الفضيحة و الحسرة ، و قال الخليل : الويل شدة الشر ،
 و قال الأصمعي : هي كلمة تفجع وقد يكون ترعا و منه : ويل امه مسعر حرب -
 البحر المحيط ١ / ٢٧٠ (٧) في م و ظ : الذين ، و الظاهر أنه تفسير الكتب
 (٨-٨) ليست في ظ (٩) في ظ : بالغلة - بالغين المعجمة .

لهم بما كتبت ايديهم . من ذلك الكذب على الله . وويل لهم مما يكسبون .
 'أى يحدون كسبه' مما اشتروه به ، ' و جرد الفعل لوضوح دلالة على
 الخبث بقرينة ما تقدم وإذا كان المجرد كذلك كان غيره أولى . قال
 الحرالى : والكسب ما يجرى من الفعل والقول والعمل والآثار على
 إحساس بمنة فيه وقوة عليه . انتهى . وفى هذه الآية بيان لما شرفه
 به كتابنا من أنه لإعجازه لا يقدر أحد أن يأتي من عنده بما يدسه فيه
 فيلبس به . فله المنة علينا والفضل . ولما أرشد الكلام إلى أن التقدير :
 فحرفوا كثيرا فى كتاب الله وزادوا ونقصوا ، عطف عليه ما بين به
 جرأتهم وجفاهم وعدم اكترائهم بما يرتكبونه من الجرائم التى هم
 أعلم الناس بأن بعضها موجب للخلود فى النار فقال تعالى « وقالوا ١٠

(١ - ١) ليست فى ظ (٢) الكسب أصله اجتلاب النفع وقد جاء فى اجتلاب
 الضر ومنه « بلى من كسب سيئة » والفعل منه يحجى . متعديا إلى واحد تقول :
 كسبت مالا وإلى اثنين تقول : كسبت زيدا مالا ، وقال ابن الأعرابي : كسب
 هو نفسه وأكسب غيره وأنشد :

فاكسبني مالا وأكسبته حمدا

— قاله أبو حيان . وقال على المهاشمي : « وان هم الا يظنون » أى ما يبلغ اعتقادهم
 إلا هذا الظن الراجح إذ يظنون أنهم لا يجترؤن على تحريف كتاب الله فيقلدونهم
 ويتركون الأدلة القاطعة للمؤمنين لكنهم لا يبلغون مبلغ عذاب المحرفين ، « فويل للذين
 الآية المحرفة » ثم يقولون هذا « هو النازل » من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا «
 أى ليأخذوا من الأميين باعطاء المحرف لهم قليلا من الرشا « فويل لهم » الآية ،
 أى فلهم الويل الزائد على عذاب الأميين من جهتين ليستا فيهم : من جهة كتابتهم
 للمحرف ومن جهة اكتساب الرشا عليه . انتهى كلامه .

لن تمسنا ، من المس ' وهو ملاقاته ظاهر الشيء ظاهر غيره « النار ، أى المعدة فى الآخرة » الاياما ، ولما كان مرادهم بذلك أنهم لا يخلدون فيها وكان جمع القلة وإن كان يدل على ذلك لكنه ربما استعير للكثرة فدل على ما لا آخر له أو ما يعسر عده زادوا المعنى تأكيدا وتصريحا بقولهم « معدودة » أى منقضية ، لأن كل معدود منقضى . قال الحرالى :
و العد اعتبار الكثرة بعضها ببعض ، واقتصر على الوصف بالمفرد لكفائيته

(١) المس الإصابة والمس الجمع بين الشئيين على نهاية القرب ، والمس مثله لكن مع الإحساس ، وقد يجيئ المس مع الإحساس ؛ وحقيقة المس والمس باليد ، ونقل من الإحساس إلى المعانى مثل « انى منى الشيطان » « كاذبى يتخطبه الشيطان من المس » ومنه سمي الجنون مساً ، وقيل المس والمس والجس متقارب إلا أن الجس عام فى المحسوسات ، والمس فيما يخفى ويلقى كنبض العروق ، والمس والمس بظاهر البشرة ، والمس كناية عن النكاح وعن الجنون - قاله أبوحيان . وذكر فى زول الآية أن سبب زول هذه الآية أنهم زعموا أنهم وجدوا فى التوراة مكتوباً أن مابين طرفى جهنم مسيرة أربعين سنة إلى أن ينتهوا إلى شجرة الزقوم ، قالوا : إنما نعذب حتى ننتهى إلى شجرة الزقوم فنذهب جهنم وتهلك - روى ذلك عن ابن عباس ، وقيل إن النبى صلى الله عليه وسلم قال : اليهود من أهل النار ، قالوا : نحن ثم تخلفوننا أتم ، فقال : كذبتم ، لقد علمتم أنا لا نخلفكم ، فنزلت هذه الآية - ولمزيد التفصيل فليراجع إلى البحر المحيط ٢٧٨/١ (٢) قال البيضاوى : محصورة قليلة ، روى أن بعضهم قالوا : نعذب بعدد أيام عبادة العجل أربعين يوماً ، وبعضهم قالوا : مدة الدنيا سبعة آلاف وإنما نعذب مكان كل ألف سنة يوماً .

في هذا المعنى بخلاف ما في آل عمران .

ولما ادعوا ذلك ادعوا أن المسلمين يخلفونهم بعد ذلك فيها ، روى البخارى في الجزية^٢ والمغازى والطب والدارمى في أول المسند عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : لما فتحت خيبر أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اجمعوا لى من كان ههنا ه من يهود ، فجمعوا له فقال : إني سألتكم عن شيء فهل أتم صادق عنه ؟ فقالوا : نعم ، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : من أبوكم ؟ قالوا : فلان ، فقال : كذبتكم ، بل أبوكم فلان ، قالوا : صدقت وبررت ؛ قال : فهل أتم صادق عن شيء إن سألتكم عنه ؟ قالوا^٣ : نعم يا أبا القاسم ، وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته في أيينا ؛ فقال لهم : من أهل النار ؟ قالوا^٤ : نكون فيها يسيرا ثم تخلفونا فيها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اخسأوا فيها ! والله لا تخلفكم فيها أبدا ؛ ثم قال : هل أتم صادق عن شيء إن سألتكم عنه ؟ فقالوا : نعم يا أبا القاسم ، قال : هل جعلتم في هذه الشاة سما ؟ قالوا^٥ : نعم ، قال : ما حملكم على ذلك ؟ قالوا : أردنا إن كنت كاذبا أن نستريح منك ، وإن كنت نبيا لم يضرك . ولما ادعوا^{١٥} ذلك^٦ كان كأنه قيل : فيما ذا نرد عليهم ؟ فقال « قل ، منكمرا لقولهم^٧ . اتخذتم ، في ذلك » عند الله^٨ ، أى الذى له الأمر كله^٩ « عهدا فلن ،

(١) زاد في م ومد : فانه لبيان اجترائهم على العظام (٢) في م : الخبرية ، وهى محرفة (٣) في ظ : فقالوا (٤) في م ومد : فقالوا (٥) ليس في م (٦) زيد في م ومد : ذلك (٧-٧) ليست في ظ .

أى فيتسبب عن ذلك أنه يوفى بعهده ، لأنه « لن يخلف الله » ٢ الذى له صفات الكمال ، « عهده ام » ٣ لم يكن ذلك فأتهم « تقولون على الله ، المحيط بكل شئ قدرة وعلما » « ما لا تعلمون » ، ومعنى الإنكار فى الاستفهام أنه ليس واحد من الأمرين واقعا ، لا اتخذتم عهدا ولا قلمت ذلك جهلا ، بل قلمتموه وأتمت تعلمون خلافه ، ولما اتفق الأمران علم أن الكائن غير ما ادعوه فصرح به فى قوله « بلى » أى لتستنكم على خلاف ما زعمتموه ، فان بلى كلمة تدل على تقرير يفهم من إضراب عن نفي كأنها بلى وصلت بها الألف إثباتا لما أضرِب

(١) زيد فى م : اى (٢-٢) ليست فى ظ (٣) قال على المهاشمى : « ام » لم تتخذوه ولكن « تقولون ما لا تعلمون » صدقه من الخبر الروى عن يعقوب عليه السلام أن الله تعالى عهد إليه أن لا يعذب بنيه إلا تحلة القسم ، فان صح عنه فالمراد أولاد صلبه لا ذريته النازلة المشتمة على مؤمن وكافر ، قال عز وجل ليس كما يقولون . (٤) زيد فى م : مد : كما فى قوله تعالى « افترى على الله كذبا ام به جنة » وأم معادلة هنا للهمزة وإن اختاف الفعلان ، كما ذكر دليله فى آخر سورة ص (٥) زيد فى م و مد : ولذلك ذكرهم بتكرير الاسم الأعظم مظهرا غير مضمرا له من الحلال والجمال الذى عاينوا كثيرا منه استعطا فاهم إلى الخير وتخويفا (٦) من ظ ، وفى الأصل : تقدير ؛ وفى البحر المحيط : بلى حرف جواب يثبت به ما بعد النفي فلما قالوا « لن تمسنا النار » أجيبوا بقوله « بلى » ومعناه تمسك النار والمعنى على التأييد وبين ذلك بالخلود . وفى البيضاوى : « بلى » إثبات لما نفوه من مساس النارهم زمانا مديدا ودعرا طويلا على وجه أعم ليكون كالبرهان على بطلان قولهم ، ويختص بجواب النفي .

عن نفيه - قاله الحرالي . ' ونعم جواب لكلام لا جحد فيه ' . ولما أضرب
سبحانه عما قالوه من القضاء في الأعيان قاضيا عليهم بالخسران علل ذلك
' بوصفهم ' به متلبسون^٢ معلما بأن من حق الجاهل بالغيب الحكم على
الأوصاف التي ناط علام الغيوب بها الأحكام فقال ' من كسب سيئة ،
أى : عملا من حقه أن يسوء ' و احاطت به خطيئته ، بحيث لم يكن شيء هـ
من أحواله ' خارجا عن الخطيئة بل كانت غامرة ' لكل ما سواها من
أعماله ، ولا يكون ذلك إلا للكفر الهادم لأساس الأعمال الذي لا يتأتى
بقاء الأعمال بدونه . ' ولما كان أفراد الضمير أنص على جزاء كل فرد
والحكم بالنكال على الكل أنكأ وأروع^٦ وأقبح وأظع وأدل على القدرة
أفرد^٨ ثم جمع فقال آتيا بالفاء دليلا أن أعمالهم سبب دخولهم النار : ١٠
' فاولئك ، ' أى البعداء البغضاء ' و اصحب النار هم ، ' خاصة ' فيها ' .
' نخلدون ' ، ١١ .

(١-١) ليست في ظ (٢-٢) في ظ : بوصفهم (٣) في م : متلبسون (٤) زيد في ظ :
عمل (٥) في ظ : غامرة - بالعين المهملة (٦) العبارة من هنا إلى « دخولهم النار »
ليست في ظ (٧) في م فقط : اردع (٨) في م : فرد (٩) زيد في م : اى .
(١٠) زيد في مد : لا في غيرها لأنهم لا يخرجون منها (١١) قال البيضاوى فيمن
تحيط به خطيئته ما نصه : وتحقيق ذلك أن من أذنب ذنبا ولم يقطع عنه يحرم
إلى معاودة مثله و الانهالك فيه و ارتكاب بما هو أكبر منه حتى يستولى عليه
الذنوب ويأخذ بمجامع قلبه ، فيصير بطبعه مائلا إلى المعاصي مستحسنا إياها معتقدا
أن لا لذة سواها مبغضا لمن يمنعه منها مكذبا لمن ينصحه فيها كما قال تعالى « ثم كان
عاقبة الذين أساءوا السوء أى ان كذبوا بإيت الله » .

ولما بان بهذا ما لهم و لكل من شاركهم في هذا الوصف 'عطف
 عليه ما لمن ادعوا أنهم يخلفونهم في النار و لكل من شاركهم في وصفهم'
 الذى استحقوا به ذلك فقال 'و الذين امنوا ، أى أقروا بالوحدانية
 بالسنتهم 'و عملوا الصلحت' ، بيانا لأن قلوبهم مطمئنة بذلك 'اولئك ،
 ٥ العالو المراتب الشريفة المناقب ، ولم يأت بالفاء دلالة على أن سبب
 سعادتهم إنما هو الرحمة 'اصحب الجنة ، ٣ لا غيرهم ٣ ، هم ، أى خاصة
 'فيها' 'خلدون' .

(١-١) ليست في ظ (٢) قال أبو حيان الأندلسي: المراد بالذين 'امنوا' أمة محمد صلى الله
 عليه وسلم و مؤمنو الأمم قبله - قاله ابن عباس وغيره ، وهو ظاهر اللفظ .
 (٢-٣) ليست في ظ و م (٤) زيد في م و مد : أى لا فى سواها لانهم لا ييغون
 عنها حولا .

* * * *

خاتمة الطبع

تم بمنه تعالى وحسن توفيقه طبع الجزء الأول من تفسير « نظم الدرر
في مناسبات الآيات و السور » للشيخ العلامة أبي الحسن إبراهيم بن عمر
البقاعي الشافعي رحمه الله يوم الجمعة الحادى والعشرين من شهر صفر
المظفر سنة ١٣٨٩ هـ = ٩ / مايو سنة ١٩٦٩ م . اعتنى بتصحيحه و التعليق ٥
عليه الأستاذ الأديب فضيلة الشيخ محمد عبد الحميد شيخ الجامعة النظامية
بجدر آباد عم فيضه ، و عني بتنقيحه راقم هذه الخاتمة ، تحت إشراف
الأديب الفاضل صاحب الفضيلة الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير
الدائرة و عميدها ورئيس قسم آداب اللغة العربية بالجامعة العثمانية
أبقاه الله لخدمة العلم و الدين .

١٠

و يليه الجزء الثانى إن شاء الله تعالى أوله « ثم شرع سبحانه بقيم
الدليل على أنهم ممن أحاطت به خطيئته فقال ” واذ “ - الخ ، .
و فى الختام ندعو الله سبحانه و تعالى أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه
و يرضاه ، و صلى الله تعالى على خير خلقه سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه
أجمعين و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

١٥

الفقير إلى رحمة الله الغنى الحميد

السيد محمد حبيب الله الرشيد القادري

(كامل الجامعة النظامية)

صدر المصححين بدائرة المعارف العثمانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الغاشية^١

مقصودها شرح ما في آخر^٢ «سبح»، من تنزيه الله سبحانه وتعالى عن العبث^٣ باثبات الدار الآخرة التي الغاشية مبدؤها، وذكر ما فيها للاتقى والاشقى، والدلالة على القدرة عليها، وأدل ما فيها على هذا المقصود الغاشية - نعوذ بالله من القلب العاشى والبصيرة العاشية، هـ
لثلاث تكون الغاشية علينا بسوء الأعمال ناشية ﴿بسم الله﴾ الذى له العظمة البالغة والحكمة الباهرة ﴿الرحمن﴾ الذى له الفيض الأعلى؛ والنعم^٤ الظاهرة ﴿الرحيم هـ﴾ الذى اصطفى أولياء فأصلح بواطن نعمهم حتى عادت ظاهرة^٥ ظاهرة.

لما ختمت «سبح»، بالحث على تطهير النفوس عن ضر الدنيا، ١٠
و^٦ وغب في ذلك بخيرية الآخرة تارة والاعتداء بأولى العزم من الأنبياء
أخرى، رهب أول هذه من الإعراض عن ذلك مرة، ومن التزكى^٨ بغير
منهاج الرسل أخرى، فقال تعالى مذكرا بالآخرة التي حث عليها آخر

(١) الثامنة والثمانون من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آياتها ٢٦ (٢) زيد
في الأصل : سورة، ولم تكن الزيادة في ظ و م فخذناها (٣) من ظ و م،
وفي الأصل : العبث (٤) من ظ و م، وفي الأصل : العالى (هـ) من ظ و م،
وفي الأصل : انقمه (٦) في ظ : زاهرة (٧) من ظ و م، وفي الأصل :
ثم (٨) من ظ و م، وفي الأصل : التزكية .

/ ٧٣٨

تلك مقررا لأشرف خلقه صلى الله عليه وسلم لأن ذلك أعظم في تقدير
اتباعه / وأقعد في تحريك النفوس إلى تلقى الخبر بالقبول : ﴿ هل أتاك ﴾
أى جاءك و كان لك و واجهك على وجه الوضوح يا أعظم خلقنا
﴿ حديث الغاشية ه ﴾ أى القيامة التى تغشى الناس بدواهيها وشدائدها
ه العظمى و زواجرها و نواهيها ، فان الغشى لا يكون إلا فيما يكره .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما تقدم تنزيهه سبحانه عما توهم
الظالمون ، واستمرت آى السورة على ما يوضح تقدس الخالق جل
جلاله عن عظيم مقالهم ، أتبع ذلك بذكر الغاشية بعد افتتاح السورة بصورة
الاستفهام ٢ تعظيما لأمرها ، فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم : « هل أتاك ،
١٠ يا محمد » حديث الغاشية ، و هى القيامة ، [فكأنه - ٢] سبحانه و تعالى يقول :
فى ذلك اليوم يشاهدون جزاءهم و يشتد تحسرهم حين لا يغنى عنهم ، ثم
عرف بعظيم امتحانهم فى قوله « ليس لهم طعام الا من ضريع » مع ما
بعد ذلك و ما قبله ، ثم عرف بذكر حال من كان فى نقيض حالهم
إذ ذلك أزيد فى الفرح و أدهى ، ثم أردف بذكر ما نصب من الدلائل
١٥ و كيف لم يغن فقال « أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت » - الآيات ،
أى أفلا يعتبرون بكل ذلك و يستدلون بالصنعة على الصانع ثم أمره
بالتذكار ٤ - انتهى .

ولما هول أمرها بانهاهاها ٥ وعمومها ، زاد فى التهويل بما ذكر من

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : تقدس (٢) من ظ و م ، وفى الأصل :
الانهاهم (٣) زيد من م (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : بالتذكرا ٥ من ظ ،
وفى الأصل : م : بابهاها .

أحوالها في تفصيل الناس إلى شقي وسعيد ، وبدأ بالشقي لأن المقام
 للإنذار المؤثرين للحياة الدنيا ، و سوغ الابتداء ' بالذكرة التفصيل ' فقال :
 ﴿ وجوه ﴾ أى كثيرة جدا كأنه ' ﴿ يومئذ ﴾ [أى -] إذ تغشى الناس
 ﴿ خاشعة ﴾ أى ذليلة مخبئة من الخجل والفضيحة والخوف والحسرة ' التى
 لا تنفع فى مثل هذا الوقت ' ﴿ عاملة ﴾ أى مجتهدة فى الأعمال التى تبتغى بها
 النجاة حيث لا نجاة بفوات دار العمل فتراها جاهدة فيما كلفتها به الزبانية من
 جر السلاسل والأغلال وخوض الغمرات من النيران ونحو ذلك كأن يقال
 له : أد الأمانة ثم تمثل له أماته فى قعر جهنم ، فتكلف النزول إليها ثم يحملها على
 عنقه ويصعد فى جبال النيران حتى إذا كاد ^٢ أن يصل إلى ^٣ أعلاها سقطت
 منه فيتكلف النزول ^٤ إليها وهكذا ، وهذا بما كان يهمل العمل فى الدنيا
 ﴿ ناصبة ﴾ أى هى فى ذلك فى غاية التعب والدؤب فى العمل والاجتهاد -
 هذه رواية العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما ^٥ ، وذلك لأنهم لم يخشوا
 الله فى الدنيا فلم يعملوا له فلم ينصبوا فى طاعته أجسادهم ' فاضطروهم فى
 ذلك اليوم إلى أعظم مما أبوه فى الدنيا مع المضرة دون المنفعة ، ويجوز
 أن يراد بها الذين تعبوا ونصبوا فى الدنيا أجسامهم ^٦ وهم على غير

(١-١) من ظ و م ، وفى الأصل : بالذكرة التفصيل (٢) من ظ ، وفى الأصل
 و م : كانهم (٣) زيد من م (٤-٤) سقط ما بين الرقنين من ظ و م .
 (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : ينبغى (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : فى
 كل ما (٧-٧) من ظ و م ، وفى الأصل : إلى أن يصلها من (٨-٨) سقط ما بين
 الرقنين من م (٩) راجع العالم ١٩٨ / ٧ (١٠) سقط من ظ و م والعالم .

/٧٣٩

دين الإسلام كالرهبان من النصارى بعد النسخ و زنادقة المتصوفة من الفلاسفة و أتباعهم ، بأن يكون « وجوه » مبتدأ و « يومئذ » خبره أى كائنه يومئذ ، ثم يقدر ما بعده فى جواب سؤال سائل يقول : ما شأنها ؟ فأجيب بقوله : خاشعة ، أى فى الدنيا - إلى آخره ، وهذا قول ابن عباس رضى الله عنهما فى رواية عطاء عنه .

و لما كان العذاب لا يكون إلا [على - '] ما يسكره المعبذب ، دل على ذلك و على أنه على أنهى ما يكون ببناء الفعل للفعول فى قراءة أبى عمرو و يعقوب و أبى بكر عن عاصم فقال : ﴿ تصلى ﴾ أى يصلها مصل على^٢ أسير وجه و أسهله بأمر من له الأمر بأن يغمسها قهرا على وجه الإحاطة بها .
١٠ و المعنى على قراءة الجماعة بالبناء للفاعل : تدخل و تبشر بأن يدسها فيها أصحابها فيحيط بها من كل جانب و هو يدل على غاية الذل لأن من فعل بنفسه هذا لا يكون إلا كذلك ﴿ نارا ، حامية لا ﴾ متاهية فى الحر لأنها عملت بالجهل على خلاف ما حده لها نيتها فأخلت بركن للعمل أو شرط لما استولى عليها من الغفلة التى أحاطت بها^٥ ، فلم تدع لها موضعا يصلح لدخول الرحمة منه .

و لما كان من فى الحر أحوج شىء إلى ما يبرده^٦ باطنه ، قال بانبا [عند الكل - ^٨] للفعول جريا على قراءة أبى عمرو فى الذى قبله : ﴿ تسقى ﴾
(١) زيد من م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : بدا - كذا (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : عن (٤) وقع ، الأصل بعد « تصلى » و الترتيب من ظ و م .
(٥) من ظ و م ، وفى الأصل : فيها (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : لدخوله .
(٧) زيد فى الأصل : به ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) زيد من ظ و م .

- أى يسقى كل من أذن له الملك فى ذلك على أهون وجه ' وأيسره ' (من عين 'انية' هـ) أى بلغت غايتها فى الحر فنضجت غاية النضج فصارت إذا قربوها منهم سقط لحم وجوههم . وإذا شربوا قطعت أمعاءهم مما شربوا فى الدنيا من كأسات الهوى التى قطعوا باستلذادهم لها قلوب الأولياء .
- ولما ذكر ما يسقونه على وجه علم منه أنه لا يلذذ ولا يروى من هـ عطش ، أتبعه ما يطعمونه فقال حاصرا له : (ليس لهم) أى هؤلاء الذين أذابوا أنفسهم فى عبادة لم يأذن الله فيها (طعام) أصلا (الا من ضريع لا) أى يبيس الشبرق ، وهو شوك ترعاه الإبل ما دام رطبا ، فاذا يبس تحامته ، وهو سم : [و - ١] قال فى القاموس : والضريع كأمير : الشبرق أوبيسه أو نبات رطبه يسمى شبرقا ، و يابسه يسمى ضريعا ، لا تقربه ١٠ دابة لحبته ، أو شئ فى جهنم أمر من الصبر و أتن من الجيفة وأحر من النار . و نبات منتن يرمى به البحر ، و قال الهروى فى الغريين و عبد الحق فى الواعى : الضريع : الشبرق ، وهونبات معروف بالحجاز ذوق شوك ، و يقال شبرق ما دام رطبا ، فاذا جف فهو ضريع ، و قال القزاز فى ديوانه :
- الضريع : يبيس من يبيس الشجر ، و قيل : هو يبيس الشبرق خاصة ، ١٥ و قيل : هو نبات أخضر يرمى [به - ٢] البحر وهو منتن ٧ . أبو حنيفة
-
- (١ - ١) سقط ما بين الرافعين من ظ و م (٢) زيد فى الأصل : بوجه من ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحدوثها (٣) من م ، وفى الأصل و ظ : كامة . (٤) زيد من ظ و م (٥) من م و القاموس ، وفى الأصل و ظ : الجيف . (٦) من ظ ، وفى الأصل و م « و » (٧) زيد فى الأصل : و قال ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحدوثها .

رحمه الله تعالى : وهو مرعى لا تعقد عليه السائمة شيئا . [لا - '] لحما ،
 وإن لم تفارقه إلى غيره ساءت حالها . وقال ابن الأثير في النهاية :
 / الضريع هو نبت بالحجاز له شوك كبار ، وقال^٢ : الشبرق نبت حجازي / ٧٤٠
 يؤكل [وله - '] شوك . وإذا^٣ يبس سمي الضريع . وهذا ثوب
 مشبرق وهو الذى أفسد ، وفي نسجه سخافة ، وشبرقت الثوب أيضا :
 حرقته ، وقال فى القاموس : الشبرق كزبرج : رطب الضريع^٤ واحده
 بهاء ، قال البغوى^٥ رحمه الله تعالى : قال مجاهد وقادة وعكرمة : هو
 نبت ذو شوك لا طعم بالأرض ، تسميه فريش الشبرق ، فاذا هاج سموه
 الضريع ، وهو أخبث طعام وأبشعه ، وهو رواية العوفى عن ابن عباس
 ١٠ رضى الله عنهما . ولا يمتنع فى قدرة الله سبحانه وتعالى أن يكون
 الغسلين إذا انفصل عن أبدان أهل النار صار على هيئة الشبرق المسمى
 ضريعا ، فيكون طعامهم الغسلين الذى هو الضريع ، ويمكن أن يكون
 ذلك كناية عن أقبح العيش ولا يراد به شيء بعينه - والله تعالى أعلم ، قال
 الملوى : وسمى ضريعا لأن الإنسان يتضرع^٦ عند أكله من خشوته
 ١٥ ومروءته وقلته .

(١) زيد من ظ و م (٢) راجع ٢٠/٣ و ٢١٩/٢ (٣) زيد فى الأصل : أيضا ،
 ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٤) زيد فى الأصل : نبت ، ولم تكن الزيادة
 فى ظ و م لحذفها (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : الربيع (٦) راجع المعالم
 ١٩٨/٧ (٧) من ظ و م وفى الأصل : يضرع .

ولما حصر أكلهم في هذا ، وكان الضريع المعروف عند العرب
قد يتصور متصور أنه لو أكره شيء على أكله أسمنه أو سد جوعته ،
وكان الضريع المأكول لهم في القيامة شوكا من نار كما ورد تفسيره
عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم
نفي عنه فائدة الطعام ، فقال واصفا اضريع^١ أو طعام المقدّر بعد «الا»^٥
بما يفهمه تحامى الإبل التي ترعى^٤ كل نبات^٤ وهي أعظم الحيوانات إقبالا
على أنواع الشوك^٥ له من أنه ضر بلا نفع ﴿ لا يسمن ﴾ [أى -^٦
فلا^٧ يشبع ولا يقوى لأنه يلزم^٨ ما يسمن ، فعدمه يلزم عدمه .

ولما نفي عنه^٩ ما هو^٩ مقصود أهل الرفاهية وبدأ به [لأن المقام -^{١٠}
له ، نفي ما يقصد للإكفاف^{١١} فقال تعالى : ﴿ ولا يغنى ﴾ أى يسكنى كفاية^{١٠}
مبتدئة ﴿ من جوع^{١١} ﴾ فلا يحفظ الصحة ولا يمنع الهزال ، والمقصود
من الطعام أحد الأمرين ، وذلك لأنهم كانوا يأكلون الحرام الذي
تنت عليه لحومهم فيفسدها بفساده و تنمو به نفوسهم فيخبثها بخبثه ويتغذون
بالشبه^{١٢} أيضا و يباثرونها في جميع أوقاتهم^{١٢} و يباثرون العلوم التي تظلم

- (١) راجع معالم التنزيل ١٩٨/٧ (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : الضريع (٣) من
ظ و م ، وفي الأصل : الطعام (٤-٤) من ظ و م ، وفي الأصل : نبات .
(٥) من ظ و م ، وفي الأصل و م : الشاك (٦) زيد من ظ و م (٧) من
ظ و م ، وفي الأصل : ولا (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : لازم .
(٩-٩) سقط ما بين الرقيين من م (١٠) زيد من م (١١) من م ، وفي الأصل
و ظ : لفة كاك (١٢-١٢) سقط ما بين الرقيين من ظ و م .

القلوب^١ كالفلسفة والشعر والسحر و^٢ نحو ذلك^٣ مما يجر إلى البدع .
والآية من الاحتباك: نفى السمن أولا^٤ يدل على إثبات الهزال
ثانيا، ونفى الإغناء من الجوع ثانيا^٥ يدل على نفى الشبع أولا، ومن
جعل ذلك صفة الطعام أفسد المعنى لأنه يؤل إلى: ليس لهم طعام
منى عنه الإسمان والإغناء، بل لهم طعام لا يننى عنه ذلك.

ولما ذكر الأعداء^٦ وقدمهم لما تقدم، أبعه الأولياء فقال مستأنفا

ذكر ما لهم من ضد ما ذكر للأعداء: ﴿وجوه يومئذ﴾ أى / [إذ-^٧]
كان ما ذكر ﴿ناعمة لا﴾ أى ذات بهجة و سرور تظهر عليها النعمة
والنضرة^٨ والراحة والرفاهية بضد تلك الناصبة، لأن هؤلاء أتعبوا^٩
أنفسهم فى دار^{١٠} العمل الدنيا وصبروا على التقشف وشظف العيش
﴿لسعيها﴾ أى عملها^{١١} للآخرة الذى كأنه^{١٢} لا سعى غيره خاصة لعلها
أنه منج^{١٣} ﴿راضية لا﴾ لما رأت من ثوابه تود أن جميع سعيها

/ ٧٤١

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : القلب (٢-٢) فى م : نحوها (٣) زيد فى الأصل :
ونفسها ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م ، وفى الأصل :
نفسه (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : أعداءهم (٦) زيد فى الأصل : فقال تعالى ،
ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م ،
وفى الأصل : النظرة (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : السوا - كذا (١٠) زيد
فى الأصل : ظ : وهى دار ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (١١) من
ظ و م ، وفى الأصل : يحملها - مع يسير من البياض (١٢) من م ، وفى
الأصل و ظ : كان (١٣) زيد فى الأصل : قال ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م
فحذفناها .

[في الدنيا - ١] كان لذلك بعد أن كان ذلك السعى الذي هو الآخرة كريبها إليها في الدنيا لا تباشره إلا بشق الأنفس . ولما ذكر السعى أتبعه ثوابه فقال : ﴿ في جنة عالية لا ﴾ أى في المكان العالى و المكانة العالية والأشجار والغرف وغير ذلك بما^٢ صرفوا أنفسهم عن الدنيا ورفعوا همهم إلى النفائس .

و لما كان^٢ ما كان من هذا لا يصفو ، وفيه ما يكره من الكلام قال منزلها لها عن كل سوء : ﴿ لا تسمع ﴾ أى ايها الداخل إليها^٣ - على قراءة الجماعة ، وقرأ ابن كثير و أبو عمرو و رويس عن يعقوب بالبناء للفعول وهو أبلغ في النفي ﴿ فيها لا غية^٤ ﴾ أى لغو ما أو نفس تلغو أو كلمة ذات لغو على الإسناد المجازى ، بل المسموع فيها الذكر من ١٠ التحميد و التمجيد و التنزيه لحل ما يرى فيها من البدائع على ذلك مع نزع الحظوظ الحاملة على غيره من القلوب بما كانوا^٥ يكرهون من لغو أهل الدنيا المنافي للحكمة .

و لما وصف الجنة بأول ما يعتبر فيها وهو عدم المنقص ، أتبعه ما يطلب بعده وهو تناول الملتذات^٦ . وكان الأكل قد فهم من ذكر ١٥ لفظ الجنة ، ذكر المشروب لذلك و لدلالته إذا كان جاريا على

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : بما (٣) في ظ : ذكر (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : عليها (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : كان (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : التلذذات .

زيادة حسن الجنة و كثرة ما فيها من النباتات المقيمة و المفكهة من النجم
 و الأشجار^١ و الرى و الأطياف، فقال لأنه ليس كل جنة مما نعرفه فيه
 ماء جارٍ بنفسه: ﴿فيها﴾ أى^٢ الجنة. و لما كان الماء الجارى صالحا لأن
 يقسم إلى أماكن كثيرة^٣، و حد قوله المراد به الجنس الشامل للكثير
 ٥ مقابلة لعين أهل النار فى دار البوار: ﴿عين جارية﴾ أى عظيمة الجرى
 جدا، فهى بحيث لا تنقطع أصلا لما لأرضها من الزكاء و الكرم و [ما-^٤]
 لماثها من الغزارة و طيب^٥ العنصر، فهو صالح لأن يعم جميع نواحيها
 أقاصيها و أدانيها و إن عظم [اتساعها-^٦] و تامت أقطارها و بقاعها،
 كما نراه يجرى من ساق الشجرة الكبيرة جدا فيسقى جميع أغصانها
 ١٠ و أوراقها و ثمارها، و يزيد على ذلك بأن جريه من أسفل إلى فوق،
 يحده جادب الشوق و يسوقه أى سوق. يقدره الخلاق العليم، و الذى
 قدر على هذا كما هو مشاهد لنا لانشك فيه قادر على أن يجعل هذه
 العين - الصالحة للجنس و لو كانت واحدة بالشخص - عامة لجميع مرافق
 الجنة [تجرى -^٧] إلى خيامها و رياضها و بساتينها و مصانعها و مجالسها
 ١٥ و يصعدنها إلى أعلى غرفها و إن علت، مقسمة بحسب المصالح، موزعة
 على قدر المنافع، بقاية / الإحكام بما كان لداخلها من الخضوع الذى
 يجرى منهم^٨ الدموع و يقل الهجوع و يكسر الظمأ و الجوع.

/ ٧٤٢

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الافتجار (٢) زيد فى ظ: فى (٣) من ظ
 و م، و فى الأصل: شريقة (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى
 الأصل: لطيب (٦) زيد من م (٧) من م، و فى الأصل: معهم، و الكلمة
 سائطة من ظ.

ولما لم يبق بعد الأكل و الشرب إلا الاتكاء، قال مفهها أنهم ملوك : ﴿ فيها ﴾ معيدا الخبر قطعاً للكلام عن الأول تنبيهاً^٢ على شرف العين^٣ لأن الماء مما لا حياة بدونه ﴿ سر ﴾ أى زائدة الحد فى العكثرة^٤، جمع سرير و هو مقعد عال يجلس عليه الملك ينقل إلى الموضع الذى يشتهيه، سمي بذلك لأنه يسر النفس، و المادة كلها للمرور و الطيب و الكرم، و لذلك يطلق على الملك و النعمة و خفض العيش ﴿ مرفوعة لا ﴾ أى رفعها رافع^٥ عظيم [فى السمك - ٦] و هو جهة العلو ليرى الجالس عليها جميع ملكه و ما نعم به و ما شاء الله من غيره و فى القدر، لا كما تعهدونه فى الدنيا، بل ارتفاعها بمط جليل من مقدار عظيمة رافعها الذى رفع السماء، فالتسكير للتعظيم، و بنى الاسم للفعل للدلالة على أنه ليس له من ذاتها إلا الانخفاض، و أما ارتفاعها فبقسر القادر على كل شئ، و هذا يدل [على أنها - ٧] كسماء لا عمد لها، قال البغوى^٨ : قال ابن عباس رضى الله عنهما : ألواحها من ذهب مكللة بالزبرجد و الدر و الياقوت مرتفعة ما لم يحيى أهلها، فإذا أراد أن يجلس عليها [تواضعت له حتى يجلس عليها - ٩] ثم ترتفع إلى مواضعها - انتهى . و ذلك بما كانوا يتواضعون و يباشرون^{١٠} [من - ١١] مشاق العبادات على التراب و رث الأثواب .

- (١) زيد فى الأصل : أى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢-٣) من م، وفى الأصل و ظ : اشرف الدين (٣) من ظ و م، وفى الأصل : أكثر .
(٤-٥) من ظ و م، وفى الأصل : فذلك (٥) من ظ و م، وفى الأصل : واقع .
(٦) زيد من م (٧) زيد من ظ و م (٨) راجع المعالم ١٩٩/٧ .

و لما كان المستريح يحتاج إلى تكرار الشرب و ما يشرب فيه قال :
 ﴿ و اكواب ﴾ جمع كوب و هو إناء لا عروة له ، فهو صالح للناولة
 و الشرب من كل جهة ﴿ موضوعة ﴾ أى ملاءى و هى بحيث يسهل
 عليهم تناولها .

٥ و لما كان من هو بهذه المثابة يحتاج إلى المساند و الفرش الزائدة
 قال تعالى : ﴿ و نمارق ﴾ أى مساند يستندون إليها ، جمع عرقعة بالفتح
 والضم و هى الوسادة ﴿ مصفوفة ﴾ أى بعضها إلى بعض فهمى فى غاية
 الكثرة كأنها الروابي المنضدة على بساط الأرض ﴿ و زرابى ﴾ أى بسط
 عريضة كثيرة الورد كأنها الرياض فاخرة ناضرة زائدة عن مواضع
 ١٠ استراحاتهم ، و هى جمع زرية ﴿ مبثوثة ﴾ أى مبسوطة على وجه التفرق
 فى المواضع التى لا يراد التنزه بها من مواضع الرياحين النابتة و الأشجار
 المتشابكة كما بسط سبحانه و تعالى أديم الأرض و رصعه بأنواع النبات
 الفاخرة بما بسطوا أنفسهم فى الدنيا للحق و الانوها له .

و لما أنهى سبحانه ما أراد من تصوير تلك الدار على ما يليق
 ١٥ بهذه السور القصار ، و كانوا ينكرون غاية الإنكار فوبخهم بما يعصمهم

(١) زيد فى الأصل و ظ : قال ، و لم تكن الزيادة فى م لحذفناها (٢) من ظ
 و م ، و فى الأصل : على (٣) فى م : كان (٤) من م ، و فى الأصل و ظ :
 و هى (٥) فى ظ : الزرابى (٦-٦) من ظ و م ، و فى الأصل : على (٧) من م ،
 و فى الأصل و ظ : فيها (٨-٨) من ظ و م ، و فى الأصل : و رصفه .
 (٩-٩) من ظ و م ، و فى الأصل : الواها لهم .

من الزينغ عن العقائد الحقّة في استفهام إنكارى مذكرا لهم بأمرهم في غاية المعرفة بها وهي في غاية الوضوح في نفسها، لأن نزول هذه السور^١ كان في [أول الأمر قبل أن يتمرنوا على المعارف تدل على قدرته على البعث وعلى قدرته على ما ذكر من هذه الأمور التي أودعها الجنان للذة الإنسان . وذلك لما في - ٢] هذه^٢ الأمور التي ذكر بها سبحانه هـ

من^٣ عجائب الصنع مع تفاوته في جعل بعضها ذا اختيار / في الخفض والرفع ، وبعضها على كيفية واحدة لا قدرة له على الانفكاك عنها من علو أو سفول مع التهور أو التوعر ، فقال مسيبا عما مضى من^٤ الإخبار عن أحوال الفريقين في الآخرة وعن قدرته على ما ذكر^٥ : ((افلا ينظرون))
أى المنكرون^٦ من هذه الأمة لقدرة سبحانه وتعالى على الجنة و ما ١٠ ذكر فيها [و النار و ما ذكر فيها - ٢] نظر اعتبار .

و لما كان [لهم - ٢] من ملابس الإبل ما ليس لهم من ملابس غيرها ، وكانت فردة في المخلوقات لاشبيه لها مع ما لها من كثرة المنافع - كما قال الحسن رحمه الله تعالى - مع أكلها لكل مرعى واجترائها بأيسر

-
- (١) من ظ و م ، وفي الأصل : السورة (٢) زيد من ظ و م (٣) من م ، وفي الأصل : اهل ، وفي ظ : ذلك (٤) زيد في الأصل : عظام الأمور و ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : عن . (٦) زيد في الأصل : فقال سبحانه وتعالى ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها . (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : المتكبرون .

شيء لاسيما في الماء و طول صبرها عنه مع عظم خلقها و كبر جرمها
 و شدة قوتها ، فكانت^١ ادل على تمام القدرة و الفعل بالاختيار ، قال منها
 بذكرها على التدبر^٢ في الآيات المنبئة في الحيوانات التي هي أشرف
 المركبات و أكثرها صنعا بعد ما أشار إلى دلالتها على البعث في البروج
 ٥ بذكر نوح بعد أن صرح به في سورة^٣ سبحان كما مضى [بيان -^٤]
 في الموضعين و يأتي إن شاء الله تعالى في الفجر و الشمس ، و أوضح
 التعبير عنها هنا^٥ بما يدل على الخلطة المميلة المحيلة المناسبة لمعنى الغاشية
 بخلاف التعبير في سورة النحل بالإنعام لأنها سورة النعم (إلى الابل)
 و نبه على أن عجيب خلقها مما ينبغي أن تتوفر الدواعي على الاستفهام
 ١٠ و السؤال عنه بأداة الاستفهام ، فقال بانبا للفعل إشارة إلى أن الدال
 هو التأمّل في مجرد خلقها الدال على إحاطة علم الله^٦ و عظيم إحسانه^٧
 و قدرته تعالى و فعله بالاختيار و حسن تدبيره حيث خلقها لجر الأثقال
 [إلى البلاد -^٨] النائية فجعلها عظيمة بركة للحمل ناهضة به من غير معين ،
 مفقادة لمن اقتادها طوال الأعناق لتنوء بالأوقار الثقال رعى كل نبات
 ١٥ و تحتمل^٩ العطش إلى عشر فصاعدا ليتأتى بها قطع المفاوز ، فهي سفن البر مع
 ما لها من منافع آخر ، قال البيضاوي^{١٠} : ولذلك حصت بالذكر لبيان الآيات

-
- (١) من ظ ، وفي الأصل وم : و كآر (٢) من ظ وم ، وفي الأصل : البريد .
 (٣) سقط من ظ وم (٤) زيد من م (٥) من ظ وم ، وفي الأصل : عنها .
 (٦-٧) من ظ ، وفي الأصل : و قدرة الله تعالى ، وما بين الرقمين ساقط من م .
 (٧) زيد من أنوار التنزيل ص : ٧٩٦ (٨) من ظ وم ، وفي الأصل : تحمل .
 (٩) راجع الأنوار ٧٩٦ .

المنبثة في الحيوانات التي هي أشرف المركبات وأكثرها صنعا [و-١]
لأنها أعجب ما عند العرب - انتهى ، و تنفعل للبسط^٢ و تجدد في سيرها^٣
[فتأثر-١] بالصوت الحسن جدا ، و من عجائبها أنها لا تكذب أصلا
فإنها لا تبرك [عجزا عن الحمل-١] إلا وليس فيها^٤ من القوى شيء ، وليس
فيها ما تعم كراهته^٥ إلا كثرة رغائها ، فلعله سبحانه نفى عن الجنة اللغو
لذلك ، و لعله مثل العين الجارية و قربها بديرها ، و السرر المرفوعة التي
حكى أنها تنخفض حتى يتمكن المنتفع بها من ظهورها ثم ترتفع^٦ به
بالسواء في علوها مع ما يعهدون من بروك الإبل للحمل و الركوب ثم
ارتفاعها^٧ لتمام الانتفاع . و قرب نصب الأكواب^٨ بسنامها و النمارق
ببقيتها^٩ حال بروكها ، ثم فصل ما دلت عليه الإبل من الأكواب بالجبال ١٥
[ألى-١] لا يرتقى مثل / جبل السد . و النمارق التي ترتقى ، و بسط الزرابي
بمهد الأرض ، قال أبو حيان^{١٠} رحمه الله تعالى : و ﴿ كيف ﴾ سؤال عن
حال^{١١} و العامل فيه ﴿ خلقت و فيه ﴾ و إذا علق الفعل عما فيه الاستفهام
لم يبق الاستفهام على حقيقته .

و لما ذكر سبحانه و تعالى هذا المخلوق المفرد الذي هو أدل ما يكون ١٥

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) سقط ما بين الرقنين من ظ و م (٣) من ظ و م ، وفي
الأصل : عندها (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : من الكراهة (٥) من ظ
و م ، وفي الأصل : رفع (٦) من م ، وفي الأصل و ظ : انتفاعها (٧) من ظ
و م ، وفي الأصل : الأكوان (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : بنقيها (٩) راجع
البحر المحيط ٨ / ٤٦٤ (١٠) من ظ و م ، وفي الأصل : حامل .

على هذا القول بالطبيعة، أتبعه ذكر السماء ليتذكر السامع ذلك فيأعد^١ من يقول به فقال: ﴿وإلى السماء﴾ أى التى هى من جملة مخلوقاتنا ﴿كيف رفعت وثقته﴾ أى حصل بأيسر أمر رفعها من الذى خلقها بلا عمد على ما لها من السعة والكبر والثقل والإحكام وما فيها من ٥ جبال الكواكب والغرائب والعجائب، فذلك دال على القدرة^٢ التامة التى لا يشارك تعالى فيها أحد قل ولا جل^٣ على إيجاد الجنة العالية وعلى رفع السرر [فيها - ٢] لأنه دل^٤ على الفعل بالاختيار ونفى حكم الطبيعة حكما و^٥ حتما، وذلك دال على كمال قدرته تعالى على كل شيء .

ولما ذكر تعالى من الحيوان الملابس للانسان و تعالى [من - ٦] ١٠ الاكوان، أتبعه أعلى الأرض^٦ فقال تعالى: ﴿وإلى الجبال﴾ أى الشاخنة وهى أشد الأرض ﴿كيف نصبت وثقته﴾ أى كان نصبها من ناصبها عالية^٧ جدا على بقية الأرض بلا موجب فيها لذلك من طبيعة ولا غيرها بل بفعل الفاعل المختار فهى^٨ راسخة لا تميل، فوضعها كذلك على ما فيها من المنافع من المياه الجارية والأشجار المختلفة أعجب من وضع الاكواب

(١) زيد فى الأصل و ظ : عن ، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢-٣) سقط ما بين الرقيين من ظ وم (٣) زيد من ظ وم (٤) فى ظ : دال (٥-٥) سقط ما بين الرقيين من م (٦) زيد من م (٧) زيد فى الأصل : وأشدّها واصليها ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٨) من ظ وم ، وفى الأصل : عالت - (٩) من م ، وفى الأصل و ظ : بل هى .

و المارق المزيّنة ، وبها مع ذلك ثبتت الأرض و حفظت من المبد ،
و اعتدل^١ أمر السكواكب في تقدير الليل و النهار بأعتدال البلاد^٢ بالطلق
بأعلام^٣ بعضها قبل بعض حتى [كانت -^٤] المطالع و المغارب^٥ على
رتيب مطرد ، نظام محكم غير منخرم^٦ تقدر به الأزمان و الفصول و السنين
و الأيام و الشهور - إلى غير ذلك من الأمور ، و لا يكون ذلك لها
إلا بقاهر قادر مختار لا شريك له .

و لما كان الخفض لا يكون إلا بخافض قاهر كما أن الرفع كذلك
قال تعالى : ﴿ و إلى الأرض ﴾ أى مع سعتها ﴿ كيف سطحت ﴾ أى
اتفق بسطها من بأسطها حتى^١ صارت مهادا موضوعا يمشى عليه بغاية السهولة ،
و القدرة على جعلها كذلك على ما هي فيه من الزينة بناضر النبات^٢
و غير ذلك من الاختلافات دالة على الفعل بالاختيار ، و ليست بدون
القدرة على بث الزرابي في الجنة على اختلاف أشكالها و صورها و ألوانها .
و لما دل^٣ ما ذكر^٤ من عجائب صنعه في أنواع^٥ المخلوقات من
البسائط و المركبات العلويات و السفليات على كمال قدرته [على كل
شيء ، قد دل على كمال قدرته -^٦] على البعث و على كل ما ذكر أنه^٧

(١) من ظ و م ، و في الأصل : اعتدال (٢-٢) في ظ : بالطولوع على (٢) زيد
من ظ و م (٤) من ظ و م ، و في الأصل : المغالب (٥) زيد في الأصل :
تقديره ، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها (٦) زيد في الأصل : انها ،
و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها (٧-٧) من ظ و م ، و في الأصل : سبحانه
و هاء (٨) من ظ و م ، و في الأصل : افعال .

يفعله في الجنة والنار، وكان الحث على النظر في هذه الأشياء باستفهام
 إنكارى، وكان ذلك مفيدا لا تنفاه النظر، قال سبحانه مسيئا عنه:
 ﴿فذكرت﴾ / كل من يرجى تذكره وانتفاعه بالتذكير يا أشرف خلقنا / ٧٤٥
 بما في غرائزهم وفطرتهم من العلم الأول^٢ بما في هذه الأشياء و أمثالها مما يدل
 ه على صحة ما^٣ نزلنا عليك ليدلهم^٤ على كمال قدرة الذى بعثك فينقادوا لك
 أتم انقياد لاسيما في اعتقاد حقيقة^٥ البعث، ولا يهتمك كونهم لا ينظرون
 ولا يتطرفون^٦، ولعل التذكير يوصل المتذكر إذا أقبل عليه بحسن
 رغبة إلى أن يعرف أن الإبل تشبه الأنفس المطمئنة الذلولة المطيعة^٧
 المنقادة، و السماء تشبه الأرواح القدسية النورانية، و الجبال تشبه العقول
 ١٠ و المعارف الثابتة^٨ الراسخة، و الأرض تشبه البدن المشتغل على الأعضاء
 و الأركان^٩.

ولما كانت هذه السورة^٩ مكية من أوائل ما أنزل، و كان مأمورا
 إذذاك بالصفح قال: ﴿إنما انت مذكره﴾ [أى - ١٠] لامقاتل قاهر

(١) زيد في الأصل: يا أفضل الخلق و اشرفهم و افضاهم و اتقاهم، ولم تكن
 الزيادة في ظ فحذفناها، و موضه في م: يعنى (٢) من م، و في الأصل
 و ظ: الأول (٣) من ظ و م، و في الاصل: بما (٤) من ظ و م، و في
 الأصل: لتدل (٥) من ظ و م، و في الأصل: حقيقة (٦ - ٦) سقط ما بين
 الرقيين من ظ و م (٧) سقط من ظ و م (٨) زيد في الاصل: انتهى،
 و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٩) من م، و في الاصل و ظ: السور.
 (١٠) زيد من ظ و م.

قاسر لهم على التذكر والرجوع ، فلا عليك إن لم ينظروا ولم يتذكروا
لأنه ما عليك إلا البلاغ ، ولذلك قال : ﴿ لست ﴾ وإشار إلى القهر
بأداة الاستعلاء فقال : ﴿ عليهم ﴾ أى خاصة ﴿ بمصطرلا ﴾ أى بمنسلط ،
وأما غيرهم فسنسلطك عليهم عن قريب ، وقرأها الكسائي بالسين
على الأصل .

٥

ولما نفي عنهم تسلط الدنيا ، وكان التقدير : فمن أقبل وآمن
فإن الله ينعمه النعم الأكبر ، قال مستدركا قسيمهم في صورة الاستثناء :
﴿ الا ﴾ أى لكن ' ﴿ من تولي ﴾ أى كلف نفسه الماطئة وفطرته
الأولى المستقيمة للأعراض ﴿ وكفرلا ﴾ أى وأصر على كفره ؛ وأجاب
الشرط بقوله مسيا عنه : ﴿ فيعذبه ﴾ ^١ أشد العذاب الذى لا يطيقه أصلب ١٠
الحديد ولا أشد الجبال ' ﴿ الله ﴾ ^٢ أى الملك الأعظم بسبب تكبره
على الحق ، ومخالفته لأمر الماطع ومرادك الذى كله الحسن الجميل ،
ولعله صوره وهو منقطع بصورة المتصل بالتعبير بأداته إشارة إلى أن
العذاب من الله عذاب منه صلى الله عليه وسلم ، لأن سببه تكذيبهم له ،
وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما ، آلاء بالفتح والتخفيف على أنها استفاحية ١٥
﴿ العذاب الا كبرته ﴾ يعنى عذاب الآخرة ، ويجوز أن يكون الاستثناء

(١) زيد في الأصل : الا ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٢-٢) سقط
ما بين الرقنين من ظ و م (٣-٣) من ظ و م ، و ، الأصل : العظيم (٤) زيد
في الأصل و ظ : بسبب فطرته ، ولم تكن الزيادة في م لحذفها (٥-٥) في ظ
و م : حسن جميل (٦) من ظ و م ، و في الأصل : قراءة .

متصلا فيكون المعنى: [أن - ١] من أصر على الكفر يسلطه الله عليه فيقتله فيعذبه [الله - ١] في الدار الآخرة ؛ ثم علل إخباره عن عذابه في الآخرة بقوله مؤكدا لما لهم من التكذيب: (ان النيا) أى خاصة بما لنا من العظمة والكبرياء (اياهم) أى رجوعهم وإن أبوا بالموت ثم بالبعث ثم بالحشر .

ولما كان الحساب متأخرا عن ذلك كله ، وعظيما كما وكيفا ، عظمه بأداة التراخي فقال: [ثم ان) أكدته لإنكارهم ، وأتى بأداة دالة على أنه كالواجب في أنه لا بد منه فقال - : (علينا) أى خاصة بما لنا من القدرة والتزهد عن نقص العبث والجور وكل نقص ، لا على غيرنا ، لأن غيرنا لا قدرة له فقد تقدمنا فيه بالعود^١ / الصادقة ، وأكدها غاية التأكيد (حسابهم) أى يوم القيامة على التقير^٢ والقطمير ، وغير ذلك من كل صغير وكبير ، وذلك يكون في الغاشية يوم ينقسم الناس قسمين : في دار هوان ، ودار أمان ، فقد التف آخرها بأولها ، وتعاقق^٣ مفصلها بموصلها^٤ - والله الهادي للصواب وإليه المآب^٥ .

(١) زيد من م (٢) من م ، وفي الأصل و ظ : يـ لـ ط (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : الدنيا و (٤-٤) من م ، وفي الأصل و ظ : عذابه عن إخباره (٥) زيد من ظ و م (٦) تكرر في الأصل فقط (٧) زيد في الأصل : والفتيل ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لخذفناها (٨-٨) من ظ و م ، وفي الأصل : موصلها بمفصلها - (٩-٩) - فقط ما بين الرقيين من ظ و م .

سورة الفجر

مقصودها الاستدلال على آخر العاشية الإياب والحساب، وإدراك ما فيها على هذا المقصود الفجر بانفجار الصبح عن النهار الماضي بالأمس من غير فرق في شيء من الذات وانبعث النيام من الموت الأصغر 'وهو' النوم بالانتشار في ضياء النهار^٢ اطلب المعاش^٣ للجازاة في الحساب بالثواب^٥ والعقاب ﴿بسم الله﴾ جامع العباد بعد تمزيقهم بما له من العظمة ﴿الرحمن﴾ الذي عمهم بعد العموم بالإيجاد بالبيان المهيئ من شاء للإيمان^٦ ﴿الرحيم﴾^٧ الذي خص أوليائه بالرضوان الميخ للجنان .

لما ختمت تلك بأنه لا بد من الإياب والحساب، وكان تغيير الليل والنهار وتجديد كل منهما بعد إعدامه دالا على القدرة على البعث،^{١٠} وكان الحج قد جعله الله في شرعه له على وجه التجرد عن الخيط ولزوم التلية والسير إلى الأماكن المخصوصة آية مذكرة بذلك^٩ قال : ﴿والفجر لا﴾ أى الكامل فى هذا الوصف لما له من العظمة حتى كأنه لا يفجر غيره، وهو^٦ فجر يوم النحر الذى هو أول الأيام^٢ الآخذة فى الإياب إلى

(١-١) التاسعة والثمانون من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آياتها ٣٠ .

(٢-٢) سقط ما بين الرقعين من ظ و م (٣) من ظ و م، وفى الأصل :

بالإيمان (٤) زيد فى الأصل : الروف، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .

(٥) من ظ و م، وفى الأصل : ذلك (٦) زيد فى الأصل وم : أى، ولم تكن

الزيادة فى ظ لحذفها (٧) من م، وفى الأصل وظ : أيام .

يبت الله المحرام بدخول حرمة والتحلل من محارمه وأكل ضيافته^١.
 ولما ذكر هذا اليوم بما العبارة به عنه أدل على البعث لأنه ينفجر
 عن صبح قد أضأ، ونهار قد انبرم وانقضى، لا فرق بينه وبين ما
 مضى، عم فقال معبرا بالمقابل: ﴿وليل عشرة﴾ هي أعظم ليالى العام.
 هـ وهي آية الله على البعث بالقيام^٢ إلى إجابة داعى الله تعالى على هيئة
 الأموات^٣ ﴿والشفع﴾ أى لمن تعجل فى يومين ﴿والوتر﴾ أى لمن
 أتم - قاله ابن الزبير، وروى أحمد^٤ والبخاري^٥ رجال الصحيح عن
 عياش بن عقبة وهو ثقة عن جابر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
 أنه قال: العشر عشر الاضحي، والشفع يوم الاضحي، والوتر يوم عرفة.
 ١٠ ولما كان تعاقب الليل والنهار^٦ ادل على القدرة و^٧ أظهر فى
 النعمة، قال رادا لآخر القسم على اوله، ومذكرا بالنعمة وكمال القدرة،
 لأن الليل أخفاهما سرى وسرا، فهو اعظمهما فى ذلك أمرا، لأن سير
 النهار ظاهر لسرايته / بخلاف الليل فانه محوى صرفه^٨. فكان أدل على
 القدرة^٩ ﴿وآيل﴾ أى من ليلة النفر ﴿اذا يسر﴾ أى ينقضى كما
 (١) زيد فى الاصل: وغير ذلك مما تقدم، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها.
 (٢) من ظ و م، وفى الأصل: يوم اقيامة (٣) زيد فى الأصل و ظ: وقال،
 ولم تكن الزيادة فى م لحذفناها (٤) راجع المسند ٣/ ٢٢٧ (٥) راجع مجمع الزوائد
 ١٣٧/ ٧ (٦-٦) سقط ما بين الرقيين من ظ و م (٧-٧) من ظ و م، وفى
 الأصل: اظهر (٨) فى ظ: صرف (٩) زيد فى الأصل: الكاملة، ولم تكن
 الزيادة فى ظ و م لحذفناها.

/ ٧٤٧

ينقضى ليل الدنيا وظلام ظلمها فيخلفه الفجر ويسرى فيه الذين آبوا إلى
الله راجعين^١ إلى ديارهم بعد حط أوزارهم ، [وقد رجع آخر القسم
على أوله - ٢] وأثبت الياء في يسرى ابن كثير ويعقوب^٢ وحذفها
الباقون ، وعلّة حذفها قد سأل عنها المؤرج الأخفش فقال : اخدمني سنة ،
فسأله بعد سنة فقال : الليل يسرى فيه ولا يسرى ، فعدل به عن معناه^٣ ه
فوجب أن يعدل عن لفظه كقوله تعالى "وما كانت أمك بغيا" لما عدل
عن «باغية» عدل لفظه فلم يقل : بغية - انتهى ، وهو يرجع إلى اللفظ^٤
مع أنه يلزم منه رد روايات الإثبات ، والحكمة المعنوية فيه - والله
أعلم - من جهة السارى وما يقع السرى فيه ، فأما من جهة السارى
فانقسامهم ليلة النفر إلى مجاور وراجع إلى بلاده ، فأشير إلى المجاورين ١٠
بالحذف حثا لهم على ذلك لما فيه من جلالة المسالك ، فكان ليل وصالحهم
ما انقضى كله . فهم يغتيمون حلوله و يلتذون طوله من تلك المشاهد والمشاعر
والمعاهد ، وإلى الراجعين بالإثبات^٥ لما سرى الليل بخدافيره عنهم آبوا راجعين
إلى ديارهم فيما^٦ انكشف من نهارهم ، وأما من جهة ما وقع فيه السرى
فالإشارة إلى طوله تارة وقصره أخرى ، فالحذف إشارة إلى القصير ١٥
[و - ٨] الإثبات إشارة إلى الطويل بما وقع^٧ من تمام سراه وما

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : الراجعين (٢) زيد من ظ (٣) من م ، وفي
الأصل وظ : أبو يعقوب (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : معاده (هـ-هـ) سقط
ما بين الرفين من ظ و م (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : بإثبات (٧) من ظ
و م ، وفي الأصل : بما (٨) زيد من ظ و م (٩-٩) من ظ و م ، وفي
الأصل : مما يقع .

وقع للسايرين فيه من قيام وصف^١ الأقدام بين يدي^٢ الملك العلام كما قال الإمام تقي الدين ابن دقيق العيد رحمه الله تعالى حيث قال مشيراً لذلك^٣:

كم ليلة فيك وصلنا السرى لا نعرف الغمض ولا نستريح

الآيات المذكورة عنه في المزمّل، فقد انقسم الليل إلى ذى طول وقصر،
 ٥ و السارى فيه إلى ذى حضور وسفر، فدلّت المفاوطة في ذلك وفي جميع
 أفراد القسم على أن فاعلها قادر مختار^٤ واحد قهار، ولذلك أتبعه الدلالة
 بقهر القهارين^٥ وإبارة الجبارين، وأما دبغي، فذكرت حكمته في مريم.
 ولما كان هذا قسمًا عظيمًا في ذكر تلك الليالي المتضمن لذكر
 تلك المشاعر وما فيها من الجوع^٦ والبكاء والخضوع كما قال أبو طالب^٧
 ١٠ في قصيدته اللامية المشهورة:

وليلة جمع و المنازل من منى وهل فوقها من حرمة ومنازل

وفي تذكيره^٨ بالبعث ودلالته عليه دلالة عقلية واضحة بالإيجاد بعد
 الإعدام مع ما لهذه الأشياء في أنفسها وفي نفوس المخاطبين بها من
 الجلالة، به على ذلك سبحانه وتعالى بقوله: ((هل في ذلك)) أى

المذكور مع ما له من على الأمر / و واضح القدر ((قسم)) أى كاف مقنع
 ١٥ / ٧٤٨ ((لذى)) أى صاحب ((حجرته)) أى عقل^٩ فيحجره ويمنعه^{١٠} عن الهوى في

(١) زيد في الأصل: القيام ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٢) من ظ
 و م ، وفي الأصل: ابدي (٣-٣) -قط ما بين الرقين من ظ و م (٤) زيد في
 الأصل: قاهر، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٥) من م ، و ، الأصل
 و ظ : الظاهرين (٦) من ظ و م ، وفي الأصل: الخشوع (٧) من ظ و م ،
 وفي الأصل: على بن أبى طالب (٨) في م : تذكره (٩-٩) في ظ : لينعه ويحجره -

درك الهوى، فيعليه إلى أوج الهدى، في درج العلى، حتى يعلم أن الذى فعل ما تضمنه هذا القسم لا يتركه سدى، و أنه قادر على أن يحيى الموتى، قال ابن جرير^١: يقال للرجل إذا كان مالكا نفسه قاهرا لها ضابطا: إنه لذو حبر - [انتهى، فر بلغ أن يحجره عقله عن المآثم ويحمله على المكارم فهو ذو حبر -]^٢ .

- و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: ابتداء سبحانه لمن تقدم ذكره وجهها آخر من الاعتبار، و هو أن يتذكروا حال من تقدمهم من الأمم و ما أعقبهم تكذيبهم و اجترامهم فقال: " ألم تركيف فعل ربك بعاد - إلى قوله: ارم ذات العماد - إلى قوله: ان ربك لبالمرصاد " أى لا يخفى عليه شيء من مرتكبات الخلائق و^٣ لا يغيب^٤ ١٠ عنه^٥ ما أكنوه " سواء منكم من أسر القول و من جهر به " فهلا اعتبر^٦ هؤلاء بما يعاينونه و يشاهدونه من خلق الإبل و رفع السماء و نصب الجبال و سطح الأرض، و كل ذلك لمصالحهم و منافعهم، فالإبل لائقهم و انتقالهم، و السماء لسقيهم و إظلالهم، و الجبال لاختزان مياههم و أقلاهم، و الأرض لحلهم و راحلهم^٧، فلا بهذه الأمور كلها^٨ ١٥ استبصروا، و لا بمن خلا من القرون اعتبروا، " ألم تركيف فعل ربك بعاد " على عظيم طغيانها و صميم بهتانها " ان ربك لبالمرصاد " فيتذكرون
- (١) راجع جامع البيان ٢٠/ ٩٥ (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: لا يخفى عليه (٤) من ظ، و فى الأصل و م: اعتبروا (٥) من ظ و م، و فى الأصل: تراحلهم (٦-٦) سقط ما بين الرقين من ظ و م .

حين لا ينفع الذكر "إذا دكت الأرض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا
و جىء يومئذ بجهنم، يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى" -
انتهى .

و لما كان التنذير كما هدى إليه السياق : ليعثن كلهم صاغرين ثم
٥ ليحشرن ثم ليحاسبن فيجازى كل أحد بما عمل ، فان آمنوا بذلك نجوا
و إلا عذبهم الذى ثبتت قدرته على العذاب الأكبر بعد العذاب الأدنى
بسبب قدرته على البعث بسبب قدرته على ما رأيت من خلق الإبل و السماء
و الجبال و الأرض على ما فى كل من العجائب بسبب قدرته على كل
شئ ، و هذا هو المقصود بالذات ، حذف زيادة فى تعظيمه و اعتمادا^١ على
١٠ معرفته بما هدى إليه من السياق فى جميع السورة و ما قبلها . و لما طوى
جواب القسم لإرشاد السياق إليه و تعويل المعنى عليه^٢ ، و تهويلا له مع
العلم بأنه لا يكون قسم^٣ بغير مقسم عليه ، و كان قد علمت القدرة عليه
عما^٤ أشير إليه بالمقسم به ، أوضح تلك القدرة بأمر العذاب [الأدنى -]
للآثم الماضية ، فقال مخاطبا لمن قال له فى آخر تلك " فذكر انما أنت
١٥ مذكر " تسلية له صلى الله عليه وسلم و إشعارا بأنه لا يتدبره حق تدبره^٥
غيره ، و تهديدا لمن كذب من قومه : (الم تر) أى تنظر بعين الفكر
يا أشرف رسلنا فتعلم علما هو فى التيقن به كالمحسوس بالبصر ، و عبر

- (١) من ظ و م ، و فى الأصل : اعتمادا (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : اليه .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : قسما (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : ما .
(٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : تدبره .

بالاستفهام / إشارة إلى [أن - '] ما ندمه إلى رؤيته بما يستحق أن يسأل عنه : (كيف فعل ربك) أى المحسن إليك ' برسالك ختاماً لجميع الأنبياء^٢ بالأمم الماضية بما شاركوا به هؤلاء من تكذيب الرسل وجعل محط نظرهم الدنيا ، و عملوا أعمال من يظن الخلود ، [و - '] بدأ بأشدهم في ذلك وأعتام الذين قالوا : من أشد مناقرة ؟ فقال : (بعد سِلا) أى ه الذين بلغوا في الشدة أن قالوا : من أشد مناقرة ؟ وقال لهم نبينهم هود صلى الله عليه وسلم : ، و تتخذون مصانع لعلكم تخلدون ، و دل على ذلك بناؤهم^٣ جنة في هذه الدنيا [القانية - '] التى هى دار الزوال ، والقلعة والارتحال ، والنكد والبلاء والكدر ، والمرض والبؤس والضرر ، فقال مبيناً لهم على حذف مضاف : (ارم) أى أهلها وعمدتها ، واطلقها ١٠ عليهم لشدة الملابس لما لها من البناء العجيب والشأن الغريب ، ثم بينها بقوله : (ذات) أى صاحبة (العهاد سِلا) أى البناء العالى الثابت بالأعمدة التى لم يكن في هذه الدار مثلها ، ولذا قال : (التى لم يخلق) أى يقدر ويصنع - بناءه للفعول إرادة للتعميم ' (مثلها) يصح أن يعود الضمير على " عاد " باعتبار القبيلة ، وعلى " ارم " باعتبار البلدة ، وأوضح هذا ١٥ بقوله معممًا للأرض كلها : (فى البلاد سِلا) أى فى بنائها ومرافقتها

(١) زيد من ظ و م (٢ - ٢) من ظ و م ، وفى الأصل : حيث جعلك ختام النبيين (٣) فى ظ : بنائهم ، وفى م : بنيانهم (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : للنعم (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : بقوله .

و ثمارها، و تقسيم مياهها و انهارها، و طيب أرضها و حسن أطيارها، و ما
اجتمع بها مما يفوت الحصر و يعجز القوى، و لا مثل أهلها الذين بنوها
في قوة أبدانهم و عظيم شأنهم و غير ذلك من أمورهم، و كان صاحبها
شداد قد ملك المعمورة كلها فتحيزها فبناها في بركة عدن في ثلاثمائة سنة
٥ يضاهى بها الجنة على ما زعم^١ - فلوب ضلت و أضلت و أضلها باريها^٢ -
قال أبو حيان^٣ : على أوصاف بعيد أو مستحيل عادة أن يكون في
الأرض مثلاً، فلما تمت على ما أراد قصدها للسكن و عمره إذذاك
تسعمائة سنة، فلما كان منها على مسيرة يوم و ليلة بعث الله عليهم صيحة من
السماء فأهلكهم^٤ فكانوا كأمس الذاهب، و أخفى مدينتهم فلم يرها أحد
١٠ إلا عبد الله بن قلابة، خرج في طلب إبل ضلت له على زمن معاوية
رضي الله عنه فوقع عليها. و لما خرج منها و انفصل عنها خفيت عنه،
و كان قد حمل معه بعض ما رأى فيها من اللؤلؤ و المسك و الزعفران
فباعه، و سمع به معاوية رضي الله عنه فأرسل إليه لئلا يخذله، [فأرسل -°]،
معاوية رضي الله عنه إلى كعب الأحبار فسأله عن ذلك فقال : هي أرم
١٥ ذات العباد، و سيدخلها رجل من المسلمين في زمانك أشقر أحر قصير،
على حاجيه خال، [و -°] على عقبه خال، يخرج في طلب إبل له، ثم

(١-١) سقط ما بين الرقین من ظ و م (٢) في البحر المحيط ٤٦٩/٨ (٣) من
ظ و م، و في الأصل : فأهلكهم (٤) زيد في الأصل : من، و لم تكن الزيادة
في ظ و م لئلا يخذلها (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، و في الأصل : زمانه .

٧٥٠ /

التفت فأبصر ابن^١ قلابة فقال :^٢ هذا / والله^٣ ذاك الرجل - ذكره شيخنا في
تخريج أحاديث الكشف [و-^٤] قال : و آثار الوضع^٥ عليه لائحه ،
وقال جماعة منهم ابن عباس رضى الله عنهما : الأوصاف كلها للقبيلة وهم
عاد الأولى ، واسمها ارم باسم جدم ، وكانوا عربا سيرة يبنون بيوتهم
على الأعمدة على عادة العرب^٦ ، ولم يخلق مثلهم أمة من الأمم في جميع البلاد . ه
ولما بدأ بهؤلاء لأن أمرهم^٧ كان أعجب ، وقصتهم أنزه وأغرب ،
بنى^٨ بأقرب الأمم إليهم زمانا وأشبههم بهم شأنا لأنهم أترفوا بما جوا
به من جنات و عيون و زروع و نخل طلعا هضيم ، فجعلوا موضع ما
لزمهم من الشكر الكفر ، واستحبوا العمى على الهدى ، مع ما في آيتهم ،
وهي الناقة ، من عظيم الدلالة على القدرة^٩ فقال : (وثمود الذين جابوا) أى ١٠
تقبوا قطعوا قطعاً حقيقياً كأنه^{١١} عندهم كالواجب (الصخر بالوادى)
أى [وادى -^{١٢}] الحجر أو وادى القرى ، فجعلوا بيوتا منقورة في الجبال
فعل من يغتال الدهر ويفنى الزمان^{١٣} ؛ قال أبو حيان^{١٤} : قيل أول من
نحت الجبال^{١٥} والصخور والرخام ثمود ، وبنوا ألفا وسبعائة^{١٦} مدينة

(١) وقع في الأصل قبل «فأبصر» والترتيب من ظ وم (٢-٢) من ظ وم ، وفي
الأصل : والله هذا (٣) زيد من م (٤) زيد في الأصل : والله ، ولم تكن الزيادة في
ظ وم لحذفها (هـ) من ظ وم ، وفي الأصل : العمر (٦) زيد في الأصل : العرب ،
ولم تكن الزيادة في ظ وم لحذفها (٧) تكرر في الأصل فقط (٨) زيد في ظ ؛
على الساعة (٩) في م : كان (١٠) زيد من ظ وم (١١) زيدت الواو في الأصل
ولم تكن في ظ وم لحذفها (١٢) في البحر المحيط ٤٧٠/٨ (١٣) من ظ وم والبحر ،
وفي الأصل : الحجارة (١٤) من ظ وم والبحر ، وفي الأصل : تسعمائة .

كلها بالحجارة^١.

ولما ذكر القبيلتين^٢ من العرب، ذكر [بعض - ٢] من جاورم من طغاة العجم لما في قصتهم من العتو والجبروت مع ما حوته من الغرائب و خوارق العجائب لاسيما في القدرة على البعث بقلب العصاحية ٥ وإعادتها جمادا مع التكرار، وبايجاد الضفادع والقمل من كثران الأرض وغير ذلك فقال: ﴿فرعون﴾ أى وفعل بفرعون ﴿ذى الاوتاد ميلا﴾ أى الذى ثبت ملكه تثبيتاً من يظن أنه لا يزول بالمساكر والجنود وغيرهم من كل ما يظن أنه يشد أمره من الجنات والعيون والزروع والمقامات الكريمة، فصارت له اليد المبسوطة فى الملك.

١٠ ولما كان المراد بفرعون هو و جنوده لأن الرأس يكفى به عن البدن، لأنه جماعة وبه قوامه، وصفه بوصف يجمع قومه وجميع من ذكر هنا فقال: ﴿الذين﴾ أى فرعون و جنوده و كل من ذكر هنا من الكفرة من عاد و ثمود و أتباعهم^٣ ﴿طغوا﴾ أى تجاوزوا الحدود ﴿فى البلاد ميلا﴾ أى [التي - ٣] ملكوها بالفعل وغيرها بالقوة ﴿فاكثروا﴾ ١٥ عقب طغيانهم وبسيهه ﴿ففى الفساد ميلا﴾ بما فعلوا من الكفر والظلم بما صار سنة لمن سمع به.

ولما كان [ذلك - ٢] موجبا للعذاب، سبب عنه قوله: ﴿فصب﴾

(١) فى م: بالحجار (٢) فى ظ و م: قبيلتين (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، وفى الأصل: فرعون (٥) من ظ و م، وفى الأصل: بشيت (٦) زيد فى الأصل: الذى، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

أى أنزل إنزالا هو فى غاية القوة (عليهم) أى فى الدنيا (ربك) /
 أى المحسن إليك المدبر لأمرك الذى جعل ما مضى من أخبار الأمم
 وآثار الفرق موطئا لهم (سوط عذاب) أى جعل عذابهم من
 الإغراق و الرجف وغيرهما فى قوته و تمكنه و علوه و إحاطته كالمصوب
 فى شدة ضربه و لصوقه بالمضروب و إسرعه إليه و التفافه به كالسوط
 / و فى كونه منوعا^١ إلى أنواع متشابهة، و أصله الخلط، و إنما سمي هذا
 الجلد المضفور الذى يضرب به لكونه مخلوط الطاقات بعضها ببعض، و لأنه
 يخلط اللحم و الدم، و قيل: شبه بالسوط ما أحل بهم فى الدنيا إشعارا^٢
 بالترديد و التكرير إلى أن يهلك المعذب به و إيذاها بأنه بالقياس إلى ما
 أعد لهم فى الآخرة كالسوط إذا قيس إلى السيف، هذا سوط الدنيا ١٠
 و سيف الآخرة أشد و أحده^٣ و أمضى؛ ثم علل أخذه لكل ظالم و انتقامه
 من كل مفسد بأنه رقيب، فقال ممثلا أن العصاة لا يفوتونه مؤكدا تنبيها
 على أن أعمال العباد أعمال من ينكر ذلك أو لا يخطر بباله: (ان ربك)
 أى مولاك المدبر لأمر^٤ نبوتك (للمرصاد^٥) أى لا يفوته شئ، بل
 هو قادر و مطلع على كل شئ^٦ اطلاع من يريد^٧ بالإقامة فى مكان ١٥

(١) من ظ و م، و فى الأصل: اتفاته (٢) من ظ و م، و فى الأصل: نوعا.

(٣) من ظ و م، و فى الأصل: اشعار (٤-٤) سقط ما بين الرقعتين من ظ

و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: لأمر (٦-٦) من ظ و م، و فى

الأصل: قادر و مطلع لا يفوته شئ (٧) من ظ و م، و فى الأصل: يره.

الرصد و زمانه مع غاية الحفظ و الرعى و هو قادر على ما يريد .

و لما ذكر سبحانه أن عادة هؤلاء الفرق كانت الطغيان، و ذكر

أن عادة الرب سبحانه فيمن تولى و كفر أنه يعذبه [كما - ١] هدد به آخر تلك، و دل على ذلك بما^٢ شوهد في^٣ الأمم، و علل ذلك بأنه

٥ لا يغفل، [ذكر - ١] عادة الإنسان من حيث هو من غير تقييد هؤلاء.

الفرق عند الابتلاء في حال^٤ السراء و الضراء، فقال مشيراً إلى جواب ما

كانت الكفار تقوله من أنهم آثر عند الله من المسلمين لا يساعد عليهم

في الدنيا و تقلل الصحابة^٥ رضى الله عنهم من الدنيا مسيياً عما مضى عطفاً

على ما تقديره: ^٦ هذه كانت^٦ عادة هؤلاء الأمم و عادة الله فيهم:

١٠ ﴿ فاما الانسان ﴾ أى الذى أودع الحجر ليعقل هذه الاقسام و ما يراد

منه من اعتقاد المقسم عليه بها و جبل على النسيان و الانس بنفسه و المحبة

لها و الرضى عنها .

و لما كان المقصود التعريف بحاله عند الابتداء، قدم الظرف الدال

على ذلك على الخبر فقال: ﴿ اذا ﴾ و أكد الامر بالنافي فقال:

١٥ ﴿ ما ابتله ﴾ أى عامله معاملة المختبر بأن خالطه بما أراد مخالطة تيمله

و تحيله ﴿ ربه ﴾ أى الذى أبدعه و أحسن إليه بما يحفظ وجوده ليظهر

(١) زيد من ظ و م (٢) من م، و فى الأصل و ظ: بما (٣) من ظ و م،

و فى الأصل: من (٤) من م، و فى الأصل و ظ: حال (٥) من ظ و م،

و فى الأصل: للصحابة (٦-٦) من م، و فى الأصل و ظ: كانت هذه .

شكره أو كفره ﴿فاكرمه﴾ ١ أى بأن جعله عزيزا [بين الناس - ٢]
و أعطاه ما يكرمونه به من الجاه و المال ﴿و نعمه له﴾ أى بأن جعله
٣ متلذذا مترفا بما أعطاه [غير تعبان - ٢] بسببه ﴿فيقول﴾ سرورا
بذلك و افتخارا: ﴿ربى﴾ أى الموجد لى و المدبر لأمرى ﴿اكرمن له﴾
أى فيظن أن ذلك عن استحقاق فيترفع به ﴿و اما﴾ هو ﴿اذا﴾ و أكد ه
على نمط الأول فقال: ﴿ما ابتلاه﴾ أى ربه ليظهر صبره أو جزعه .

و لما كان قوله فى الأول "فاكرمه و نعمه" كناية / عن توسع
٧٥٢ / عليه ، قاله [هنا - ٧] بقوله: ﴿فقدّر﴾ أى ضيق تضيق من يعمل
الامر بحساب و تقدير ﴿عليه رزقه لا﴾ فهو كناية عن الضيق كما أن العطاء
بغير حساب كناية عن السعة ، فجعله بمقدار ضرورته الذى لا يعيش ١٠
[عادة - ٧] بدونه ، و لم يجعله فيه فضلا عن ذلك و لم يقل «فأهان» موضع
«قدر عليه» تعليما للأدب معه سبحانه و تعالى [و - ٢] صونا لأهل
الله عن هذه العبارة ٤ لأن أكثرهم مضيق عليه فى دنياه ، و لأن ترك
الإكرام لا ينحصر ٥ فى كونه إهانة ﴿فيقول﴾ أى " الإنسان

(١-١) من ظ و م ، و فى الأصل : و بان (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) من ظ
و م ، و فى الأصل : مقبلا مترفا (٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل : موجدنى .
(٥) من ظ و م ، و فى الأصل : لى (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : فيرتفع .
(٧) زيد من م (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : لعبادة (٩) من ظ و م ، و فى
الأصل : ان (١٠) من م ، و فى الأصل و ظ : لا يحصر (١١) زيد فى الأصل :
هذا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .

[بسبب الضيق - ١]: ﴿ربّي﴾ أي الربّي لي ﴿أهانني﴾ فيهم لذلك
و يضيق به ذرعا، و يكون ذلك أكبر همه .

و لما كان نسبة هذا إليه توبيخا و تقريبا لقصور نظره فإن الإقتار
قد يؤدي إلى سعادة الدارين، و التوسعة قد تؤدي إلى شقاوتها، و هذا
ه أكثر ما يوجد، قال ردعا عن مثل هذا القول بأعظم أدوات^٢ الزجر
معللا للتوسعة و الإقتار: ﴿كلا﴾ [أى - ٢] إني لا أكرم بتكثير الدنيا
و لا أهين بتقليلها، لا التوسعة منحصرة في الإكرام و لا التضيق منحصر
في الإهانة و الصغار، وإنما أتتهم الإهانة من حيث أنهم لا يطيعون الله،
و ربما كانت بالتوسعة، و ربما كانت بالإقتار. فربما عصى فوسع عليه
١٠ إهانة له، و هذا لمن يريد سبحانه به الشقاء فيجعل له طيباته في الدنيا استدراجا،
و ربما عصى فضيق عليه إكراما [له - ٢] لأن ذلك يكفر عنه، و في
الصحيح في حديث أفرع و أبرص و أعمر في بني إسرائيل شاهد^٤ عظيم
لذلك^١.

و لما زجر^٥ عن اعتقاد أن^٦ التوسعة للأكرام و التضيق للإهانة،
١٥ ذكر أن معيار من جبل على حب الطاعة و من جبل على [حب - ٢]
المعصية بنقض الدنيا وحبها، فقال [معربا - ٢] عن كلام الإنسان في الشقين
(١) زيد من ظ و م، و في الأصل: أداة (٣) زيد من ظ و م.
(٤-٤) من ظ و م، و في الأصل: لذلك عظيم (٥) من م، و في الأصل و ظ:
ذكر (٦-٦) تكرر ما بين الرقين في الأصل فقط (٧) زيد من م، و موضعه
في ظ ١ معربا .

و أفرد أولا لأنه أنص على التعميم و جمع ثانيا إعلاما بأن المراد الجنس
 ﴿ بل ﴾ أى يستهينون بأمر الله بما عندهم من العصيان ، فيوسع على بعض
 من جبل على الشقاء إهانة له بالاستدراج^١ و يضيق على [بعض -^٢]
 من لم يجعل على ذلك إكراما له و ردعا^٣ عن اتباع الهوى و ردا إلى
 الإحسان إلى الضعفاء ، و ترجم هذا العصيان الذى هو سبب الخذلان ه
 بقوله : ﴿ لا يكرمون ﴾ أى أكثر الناس ﴿ اليتيم لا ﴾ بالإعطاء و حوه
 شفقة عليه و رحمة له لأنه ضعيف لا يرجى من قبله نفع بثاء و لا غيره .
 و لما كان الإنسان لا يمنع من حث غيره على الخير إلا حب الدنيا
 إن كان المحثوث أعظم منه فيدخره لحوائجه و إن كان مثله فانه يخشى
 أن يقارضه بذلك^٤ فيحثه على مسكين آخر ، و كان الإحسان^٥ بالحث ١٠
 على الإعطاء أعظم من الإعطاء لأنه يلزم منه الإعطاء بخلاف العكس ،
 قال : ﴿ ولا يحضون ﴾ أى يحثون حثا عظيما لأهلهم و لا لغيرهم
 ﴿ على طعام المسكين لا ﴾ أى بذله له سخاء^٦ و جودا ، / فكانت إضافته^٧
 إليه إشارة إلى أنه شريك للفقير^٨ فى ماله بقدر الزكاة .

٧٥٣ /

- (١) من م ، و فى الأصل و ظ : فى الاستدراج (٢) زيد من م (٣) زيد فى
 الأصل : له ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٤) أو وقع فى الأصل قبل
 « أى يستهينون » و الترتيب ظ و م (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : لذلك .
 (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : الإنسان (٧) تتكرر فى الأصل نقط (٨-٨) فى
 ظ و م : أضائه (٩) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م .

- ولما دل على حب الدنيا بأمر خارجي ، دل عليه بأمر في الإنسان
فقال تعالى : ﴿ يا كلون ﴾ أى على سبيل التجديد والاستمرار ﴿ التراث ﴾
أى الميراث^١ ، أصله وراث^٢ أبدلت الواو تاء ، [و-^٣] كأنه عبر عنه
به دلالة على أخذ الظاهر الذى تشير إليه الواو ، والتفتيش عن الباطن
هـ المشار إليه بمخرج التاء تفتيشا ربما أدى إلى أخذ بعض مال الغير :
﴿ اكلا لا لا ﴾ أى^٤ ذالم أى^٥ جمع وخطط بين الحلال والحرام فانهم كانوا
لا يورثون النساء ولا الصبيان [و-^٦] يأكلون ما جمعه المورث وإن كانوا
يعلمون أنه حرام ويقولون : لا يستحق المال إلا من يقاتل ويحمى الحوزة .
ولما كان ذلك قد يفعل عن ضرورة [مع الكراهة -^٧] قال
١٠ ما هو صريح في المقصود : ﴿ ويحبون ﴾ أى على سبيل الاستمرار ﴿ المال ﴾
أى هذا النوع من أى شئ كان ، وأكدته بالمصدر والوصف^٨ فقال :
﴿ حبا جماه ﴾ أى كثيرا مع حرص وشره ، [فصار -^٩] فصارى^{١٠} أمرهم
النظر الدينوى ، ولم يصرفوا أنفسهم عن حبه إلى ما دعا إليه العقل الذى
يعقل^{١١} النفس عن الهوى ، والحجر الذى يحجرها عن الحظوظ ، والنهاية
١٥ التى تنهاها عن الشهوات إلى الإقبال على الله .

- (١) زيد فى الأصل : أى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٢) من ظ
وم ، وفى الأصل : وارث (٣) زيد من م (٤) زيد فى الأصل : اكلا ،
ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : « و »
(٦) زيد من ظ و م (٧-٧) من ظ و م ، وفى الأصل : بالوصف والمصدر .
(٨) من ظ و م ، وفى الأصل : يعقله .

ولما كان السياق هاديا إلى أن التقدير: يحسبون أن ذلك يوفر
 أموالهم ويحسن أحوالهم ويصلح بالهم، زجر عنه بمجامع الزجر فقال:
 ﴿ كلا ﴾ أى ما هكذا ينبغي أن يكون الأمر، ثم استأنف ذكر ما
 يوجب ندمهم وينبهم من رقتهم ويعرفهم أن حب المال لا يقتضى
 نموه، ولو اقتضى نموه ما اقتضى إيجابه للسعادة فقال: ﴿ إذا دكت الأرض ﴾ ٥
 أى حصل دكها ورجها وزلزلتها لتسويتها فتكون كالأديم الممدود بشدة
 المط لا عوج فيها بوجه. وأشار بالبناء للفعول إلى سهولة ذلك لأن
 الأمر عظيم لعظمة الفاعل الحق، ولذلك قال: ﴿ دكا دكا ﴾ أى مكررا
 بالتوزيع على كل موضع نأت^٢ فيها، فيكون^٢ لكل جبل وأكمة وثنية وعقبة
 دك يخصه على حدته ليفيد ذلك أنه دك مبالغ فيه فتصير جبالها^٢ وأكامها^{١٠}
 هباء منثورا ثم تستوى حتى لا يكون فيها شئ من عوج، وهو كناية عن
 زلازل عظيمة لاتحملها الجبال الرواسى فيكف بغيرها.

ولما دلت التسوية على مجيء أمر عظيم، فإن العادة في الدنيا أن الطرق
 لاتعم بالكس أو الرش أو التسوية إلا للحضور عظيم كالسلطان، قال
 متلطفا بالمخاطب من أواخر سورة البروج إلى هنا بذكر صفة الإحسان ١٥
 على وجه يفتت أكباد أزداده: ﴿ و جاء ربك ﴾ أى أمر المحسن إليك
 باظهار رفعتك العظمى في ذلك اليوم الأعظم لفصل القضاء / بين العباد

٧٥٤ /

(١) من ظ و م، وفي الأصل: لا ينقضى (٢-٢) من م، وفي الأصل و ظ:
 فيه (٣) زيد في الأصل: دكا، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٤) سقط
 من ظ.

بشفاعتك (و الملك) أى هذا النوع^١ حال كون الملائكة مصطفىين
 (صفا صفا) أى موزعا اصطفا فهم على أصنافهم كل، صنف صف على
 حدة، ويحيط أهل السماء الدنيا بالجن والإنس، وأهل كل سماء كذلك،
 وهم على الضعف بمن أحاطوا به حتى يحيطوا أهل السماء السابعة بالكل
 ه وهم على الضعف من جميع من^٢ أحاطوا به من الخلائق، ومعنى مجيئه
 سبحانه وتعالى بعد أن نفى عنه أن يشبه بمجىء شيء من الخلق لأنه
 سبحانه وتعالى ليس كمثل شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فإذا
 صححنا العقد في ذلك في كل ما كان من التشابه قلنا في هذا أنه مثل
 أمره سبحانه وتعالى في ظهور آيات اقتداره وتبيين آثار قدرته وقهره
 ١٠ وسلطانه بحال الملك إذا حضر بنفسه فظهر بحضوره^٣ من آثار الهيبة
 والسياسة ما لا يظهر بظهور عساكره كلها خالية عنه، فجيئه عبارة عن
 حكمه وإظهار عظمتة وبطشه وكل ما يظهره الملوك إذا جاؤا^٤ إلى مكان،
 وهو سبحانه وتعالى شأنه حاضر مع المحكوم بينهم بعليه وقدرته،
 لم يوصف بغية أصلا أزلا و[لا-°] أبدا، فحضوره في [ذلك-°]
 ١٥ الحال وبعده كما^٥ كان قبل ذلك من غير فرق أصلا، لم يتجدد شيء

(١) زيد في الأصل: أى، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٢) من ظ
 و م، وفي الأصل: ما (٣) من م، وفي الأصل و ظ: بحضور (٤) من م،
 وفي الأصل و ظ: جاء (٥) زيد من ظ و م (٦) من م، وفي الأصل:
 و ما، والعبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة في ظ إلى «تعلق قدرته».

غير تعليق قدرته على حسب إرادته بالفصل بين الخلق^١، ولو غاب في وقت أو أمكنت غيبته بحيث يحتاج إلى المجيء لكان محتاجا، ولو كان محتاجا لكان عاجزا، ولو عجز أو أمكن عجزه في حال من الأحوال لم يصلح للالهية - تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا، وفي تكرير "صفا" تنبيه على صرف المجيء عن حقيقته وإرشاد إلى هـ ما ذكرت من التمثيل .

و لما كانت جهنم لا تأتي^٢ بنفسها لأنها لو أتت بنفسها لربما ظن أنها خارجة عن القدرة بل تقودها الملائكة، فكلما عالجوها ذهابا وإيابا حصل للناس من ذلك من الهول ما لا يعلمه إلا الله تعالى، وكان المهول نفس المجيء بها لاتعيين الفاعلين، لذلك بنى للفعول قوله: ﴿ و جآء ﴾ ١٠ أى بأسهل أمر ﴿ يومئذ ﴾ أى إذ وقع ما ذكر ﴿ بجهنم لا ﴾ أى النار التى تتجهن من يصلها، روى أنه يؤتى بها لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك، وهو كقوله تعالى: "و برزت الجحيم لمن يرى" وأبدل من "إذا" توضيحا لطول الفصل وتهويلا^٣ قوله: ﴿ يومئذ ﴾ أى إذ وقعت هذه الأمور فرأى الإنسان ما أعد^٤ للشاكرين ١٥ وما أعد للكافرين^٥.

ولما قدم هذه الأمور الجليلة والقوارع المهولة اهتماما [بها -^٥]

(١) من ظ وم، وفي الأصل: الخلاق (٢) من ظ وم، وفي الأصل: لايتأتى.
(٣) زيد في الأصل: له، ولم تكن الزيادة في ظ وم فخذناها (٤-٥) في ظ وم؛ للشاكر والكافر (هـ) زيد من ظ وم .

و تنبيهها على أنها، لما لها من عظيم الموعظة، جدرة بأن يتعظ بها كل سامع،
 ذكر العامل في ظرفها وبدله فقال: ﴿ يتذكر الانسان ﴾ أى على سبيل
 التجديد والاستمرار فيذكر كل ما [كان - ١] ينفعه في / الدنيا وما
 يضره فيعلم أن حبه للدنيا لم يفده إلا خساراً، لا زاد بحبها شيئاً لم يكتب
 له ولا كان ينقصه بذلها شيئاً كما كتب له أو بذلها، وإذا تذكر ذلك
 هان عليه البذل، وليست تلك الدار دار العمل، فلذلك قال: ﴿ واني ﴾
 أى كيف ومن أى وجه ﴿ له الذكرى ﴾ أى نفع التذكر العظيم فانه
 في غير موضعه، فلا ينفعه ٢ أصلاً بوجه من الوجوه ٣ لقوات دار العمل،
 ولا يقع بذلك على شيء سوى الندم وتضاعف الغم ٢ والهم ٢
 ١٠ و الآلام .

ولما كان الندم يقتضى أن يعمل الإنسان ما ينافيه، بين أنه ليس
 هناك عمل إلا [إظهار - ١] الندم فاستأنف قوله: ﴿ يقول ﴾ أى متمنياً
 المحال على سبيل التجديد والاستمرار: ﴿ يا ليتني ﴾ وهل ينفع شيئاً دلت
 ﴿ قدمت ﴾ أى أوقعت التقديم لما ينفعني ٢ من الجدة ٢ والعمل [به - ١]
 ١٥ ﴿ لحياتي ﴾ أى أيام حياتي في الدنيا أو ١ لأجل حياتي هذه الباقية التي لا موت
 بعدها، ويمكن أن يكون سبب تمنيه هذا عليه بأنه كان في الدنيا محتاراً،
 وأن الطاعات في نفسها [كانت - ١] ممكنة لا ممانع له [منها - ١] في
 (١) زيد من م (٢) في ظ: ما (٣-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ وم (٤) سقط
 من ظ (٥) في ظ: التذكر (٦) زيد من ظ وم (٧) من ظ وم، وفي
 الأصل «و» .

الظاهر إلا صرف نفسه عنها و عدم تعليق ما آتاه الله من القوى بها .

ولما كان هذا غير نافع له ، سبب عنه قوله : ﴿ فيومئذ ﴾ أى إذ وقعت هذه الأمور كلها ' ﴿ لا يعذب ﴾ أى يوقع ﴿ عذابه ﴾ أى عذاب [الله ، أى - ٢] مثل عذابه المطلق المجرد فكيف بتعذيبه . ولما اشتد التشوف إلى الفاعل ، أتى به على وجه لا أعم منه أصلاً^٢ فقال : ﴿ أحديلاً ﴾ . ولما جرت العادة بأن المعذب يستوثق منه بسجن أو غيره ، ويمنع من كل شئ . يمكن أن يقتل به نفسه ، خوفاً من أن يهرب أو يهلك نفسه قال : ﴿ ولا يوثق ﴾ أى يوجد ﴿ وثاقه ﴾ [أى - ٣] مثل وثاقه فكيف بایشاقه ﴿ أحده ﴾ والمعنى أنه لا يقع فى خيال أحد لأجل انقطاع^{١٠} الانساب والاسباب أن أحداً يقدر^٤ على [مثل - ٤] ما يقدر عليه سبحانه وتعالى من الضر^٥ ليخشى كما يقع فى هذه الدنيا ، بل يقع فى الدنيا فى أوهام كثيرة أن عذاب من يخشونه أعظم من عذاب الله - ٥ وأن عذاب الدنيا بأسره لو اجتمع على إنسان وحده لا يساوى رؤية جهنم بذلك المقام فى ذلك المحفل المهول دون دخولها^٨ - ولذلك تقدم خوفه^{١٥} على الخوف^٩ من الله ، وبني الكسائى ويعقوب الفعيلين للفعول ، والمعنى

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : النكدة (٢) زيد من ظ و م (٣) سقط من م .

(٤) من ظ و م ، وفى الأصل « و » (٥) زيد من م (٦) من ظ و م ، وفى

الأصل : لا يقدر (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : الحزم (٨ - ٨) سقط ما بين

الرقمين من ظ و م (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : الحزم .

على قراءة الجماعة بينهما للفاعل : لا يعذب أحد عذاباً مثل عذاب الله أى
لا يعذب أحد^١ غير الله أحداً من الخلق مثل^٢ عذاب الله [له -^٣] ،
والحاصل أنه لا يخاف في القيامة من أحد غير الله ، فانه ثبت بهذا الكلام
أن عذابه لا مثل له ، ولم يذكر المعذب من هو فيرجع الأمر إلى
هـ [أن -^٤] المعنى : فيومئذ يخاف الإنسان من الله خوفاً لا مثل له ، أى
لا يخاف من أحد مثل خوفه منه سبحانه وتعالى ، ويجوز أن يكون
الضمير في "عذابه" للإنسان ، أى لا يعذب أحد من الزبانية / أحداً غير
الإنسان مثل عذابه ، وفي المبنى للفعل : لا يعذب عذاب الإنسان [أحد -^٥]
لكن يعمده أنه يلزم عليه أن يكون عذاب الإنسان أعظم من عذاب
١٠ إبليس - ويجوز أن يكون المعنى : إنه لا يحمل أحد ما يستحقه من
العذاب كقوله تعالى "ولا تزر وازرة وزر أخرى" .

/ ٧٥٦

ولما علم أن هذا الجزاء^٦ المذكور لا يكون إلا^٧ للهلوع الجزوع
المضطرب النفس الطائش في حال السراء والضراء ، الذى لا يكرم اليتيم
ولا المسكين ويحب الدنيا ، وكان من المعلوم أن في الناس من ليس
د هو كذلك ، تشرفت النفس إلى جزائه فشفي عى هذا التشوف بقوله ،
إعلاماً بأنه يقال لنفوسهم عند النفخ في الصور وبعثرة ما في القبور
للبعث والنشور : ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ لِإِيَّاهِ﴾ أى التى هى في غاية

(١) زيد في الأصل : عذاباً ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٢) من ظ
وم ، وفي الأصل : من (٣) زيد من م (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ
وم ، وفي الأصل : يلزمه (٦-٧) سقط ما بين الرقعين من ظ و م .

السكون لاخوف عليها ولاحزن ولا نقص ولاغبون، لأنها كانت في الدنيا في غاية الثبات على^١ كل ما أخبر به^٢ عن الدار^٣ الآخرة وغيرها من وعد ووعيد و تعذير و تهديد، فهم راجون لوعده خائفون من وعيده، وإذا كانت هذه حال^٤ النفس التي شأنها الميل إلى الدنيا فما ظنك بالروح التي هي خير؛ صرف ﴿ارجعى﴾ أى بالبعث ﴿الى ربك﴾ هـ
أى موعده^٥ الذى أوجدك ورباك تربة الموقفين، أو إلى بدنك حال كونك ﴿راضية﴾ أى بما تعطينه. فلا كدر يلحقك بوجه^٦ من الوجوه أصلاً^٧ كما كنت في دار القلق [والاضطراب -^٨] مطمئة ساكنة تحت القضاء والقدر سالكة سبيل الرضا إن حصل ابتلاء بالتكريم والتعظيم أو التضيق والتغريم وثوقاً بما عند الله^٩ ﴿مرضية﴾ عند الله وسائر خلقه، ١٠
فلا شيء يكرهك بسبب ما كنت مطمئة تعملين الأعمال الصالحة تحت القضاء والقدر خيره و شره حلوه ومره، ثم بين ما أجل من الرجوع فقال سبحانه: ﴿فادخلى﴾ أى بسبب^{١١} هذا الأمر^{١٢} ﴿فى عبدي﴾ أى فى زمرة الصالحين الوافدين على^{١٣} الذين هم أهل للاضافة^{١٤} إلى^{١٥}، أو فى أجساد عبادى

- (١) من ظ و م ، وفى الأصل : عن (٢ - ٣) من ظ و م ، وفى الأصل : فى .
(٢) من ظ و م ، وفى الأصل : حاة (٤) من م ، وفى الأصل : حين ، والكلمة ساقطة فى ظ (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : موجدك (٦ - ٧) سقط ما بين الرقين من ظ و م (٧) زيد من ظ و م (٨) زيد فى الأصل : جل جلاله و علا زابداً ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٩ - ١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : هذه الأمور (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : الاضافة .

التي خرجت في الدنيا منها، وقراءة "عبدى" بالتوحيد [للجنس - ١]
 الشامل للقليل والكثير تدل على ذلك (وادخل جنتي) [أى - ١]
 وهي جنة عدن وهي أعلى الجنان، قال البغوي^٢ : قال سعيد بن جبير : مات
 ابن عباس رضي الله عنهما [بالطائف - ٢] فشهدت جنازته فجاء طائر لم ير^٣
 ٥ على [صورة - ٣] خلقه، فدخل نعشه فلم ير^٤ خارجاً منه، فلما دفن تليت
 هذه الآية على شفير القبر فلم ندر من تلاها، وهذا^٥ الآخر هو أولها
 على ما هو ظاهر المقسم عليه بالفجر من البعث المحتوم، الذي لولا هو لكان
 خلق الخلق^٦ من العبث المذموم، المنزه عنه الحي القيوم، فسبحان الملك الأعظم
 الذي هذا كلامه، علت معانيه عن طعن وشرفت أعلامه، وغر في ذروة
 ١٠ الإعجاز تركيبه ونظامه، «و أين الثريا من يد المتناول» .

(١) زيد من ظ و م (٢) راجع المعالم ٢٠٦/ ٧ (٣) زيد من ظ و م والمعلم .
 (٤) من ظ و م والمعلم، وفي الأصل : لم ندر (٥) زيد من المعالم (٦) من ظ و م
 والمعلم، وفي الأصل : خطته (٧) من ظ و م والمعلم، وفي الأصل : فلم ندر .
 (٨) من ظ و م، وفي الأصل : هذه (٩) من م، وفي الأصل و ظ : الحق .

٧٥٧ /

/ سورة البلد

مقصودها^٢ "الدلالة على نفى القدرة" عن الإنسان، وإثباتها لخالفه الديان،
 بذكر ما للإنسان من الهموم^٣ والاحزان، وذكر الأسباب [الموقعة له
 فيما شاء أو أبى، وذكر السبب -^٤] المخلص منها، الموصل إلى السعادة في
 الآخرة، وهو ما هدى إليه ربه سبحانه، وذلك هو معنى اسمها، فإن ه
 من تأمل أمان أهل الحرم وما هم فيه من الرزق والخير على قلة
 الرزق يلبدهم - مع ما فيه غيرهم من^٥ هم أكثر منهم وأقوى - من الخوف
 والجوع علم ذلك ﴿ بسم الله ﴾ الملك الواحد القهار ﴿ الرحمن ﴾ الذى
 أسبغ نعمته على سائر بريته، وفاوت بينهم فى عطيته، فكان كل ساعطا
 لحالته فى كبد ما يهمه فى خاصته وعامته لحكم تعجز الافكار^٦ ﴿ الرحيم ﴾ ١٠
 الذى خص أهل ولايته بما يرضيه عنهم من أقضيته فبوصلهم إلى
 جنته وينجيهم من النار.

لما ختم^٧ كلمات الفجر بالجنة التى هى افضل الاماكن التى يسكنها
 الخلق، لاسيما المضافة إلى اسمه^٨ الاخص المؤذن بأنها افضل الجنان،

(١) اتسعون من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آياتها ٢٠ (٢) تكرر
 فى الأصل فقط (٣ - ٣) من ظ و م، وفى الأصل: نفى الدلالة (٤) من ظ
 و م، وفى الأصل: المول (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، وفى
 الأصل: من (٧) زيد فى الأصل و ظ؛ عن درك جزء الجزء منها، ولم تكن
 الزيادة فى ظ و م لحذفها (٨) من م، وفى الأصل و ظ: ختمت.

بعد ما ختم آياتها بالأنفس المطمئنة بعد ذكر الأمانة التي وقعت في كبد الندم
الذي يتمنى لأجله العدم، بعد ما تقدم [من - ١] أنها لا تزال في كبد
ابتلاء المعيشة في السراء والضراء، افتتح هذه بالأمانة^٢ مقسما في أمرها
بأعظم البلاد وأشرف أولى الأنفس المطمئنة، فقال مؤكدا بالنافي من
٥ حيث أنه ينفي ضد ما ثبت من مضمون الكلام مع القطع بأنه لم^٣ يقصد
[به - ١] غير ذلك: (لا أقسم) أى أقسم قسما أثبت مضمونه
وأنتى ضده، ويمكن أن يكون النفي على ظاهره، والمعنى أن الأمر
في الظهور غنى عن الإقسام حتى بهذا القسم الذى أتم عارفون بأنه في
غاية العظمة، فيكون كقوله " فلا أقسم بمواقع النجوم " وانه [لقسم - ١]
١٠ لو تعلمون عظيم " (بهذا البلد) أى الحرام وهو مكة التى لا يصل
إليها قاصدوها إلا بشق الأنفس، ولا يزدادون لها مع ذلك إلا جبا،
الدال على أن الله تعالى جعلها خير البلاد^٤، وقذف جها في قلوب
من اختارهم^٥ من كل حاضر وباد، لأنها تشرفت في أولها وآخرها
وأثنائها بخير العباد، ولم يصفه بالأمن لأنه لا يناسب سياق المشقة بخلاف
١٥ ما في التين، فان المراد هناك الكمالات .

ولما عظم البلد بالإقسام به، زاده عظما بالحال به إشعارا بأن

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، وفي الأصل: بالاره - كذا (٣) من
ظ و م، وفي الأصل: لا (٤) زيد من م (٥) من ظ و م، وفي الأصل:
وهو (٦) زيد في الأصل: بلاشك ولا ريب، ولم تكن الزيادة في ظ و م
لحذفهما (٧-٧) من ظ و م. وفي الأصل: ... مع اختيارهم .

شرف المكان بشرف السكان ، وذلك في جملة حالة فقال : (وانت)
يعنى و أنت خير كل ' حاضر و باد (حل) أى مقيم أو حلال لك
ما لم يحل لغيرك من قتل من تريد ممن يدعى أنه لا قدرة لأحد عليه '
(بهذا البلد) فتحل قتل ابن خطل وغيره وإن كان متعلقا بأستار
الكعبة ، وتحرم قتل من دخل دار / ابى سفيان وغير ذلك مما فعله ه / ٧٥٨
الله لك بعد الهجرة بعد نزول هذه السورة المسكية بمدة طويلة علما
من أعلام النبوة ، أو المعنى : يستحل أهله منك وانت أشرف الخلق ما
لا يستحلونه من صيد و لا شجر ، و كرر إظهاره و لم يضره زيادة في
تعظيمه تقييحا لما يستحلونه من أذى المؤمنين فيه ، وإشارة إلى أنه
يتلذذ بذكره ، فقد وقع القسم بسيد البلاد و سيد العباد ، و لكل جنس ١٠
[سيد - °] ، و هو انتهاؤه في الشرف ، فأشرف الجماد الياقوت و هو
سيده ، و لو ارتفع عن هذا الشرف لصار نباتا ينمو كما في الجنة ، وأشرف
جنس النبات النخل [و لو - ٦] ارتفع صار حيوانا يتحرك بالإرادة ،
فالحيوان سيد الأكوان ، و سيده الإنسان ، لما له من النطق و البيان ،
و سيد الإنسان الرسل عليهم أفضل الصلاة و السلام ، لما لهم من عظيم ١٥
الوصلة بالملك الديان ، و سيدهم ٢ ' أشرف الخلق صلى الله عليه وسلم الذى
ختموا به لما فاق به من الفضائل التى أعلاها هذا القرآن ، فسيد الخلق

- (١) سقط من ظ (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : معه (٣) من ظ و م ،
و فى الأصل : بزيادة (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : مذكرة (هـ) زيد من ظ
و م (٦) زيد من م (٧-٧) فى ظ و م : من .

محمد بن عبد الله^١ رسول الله أشرف الممكنات و سيدها لأنه وصل
إلى أعلى مقام يمكن أن يكون لها، ولو بقى فوق ذلك مقام يمكن
للممكن لنقل إليه، و لكونه^٢ أشرف كانت مكابته أعلى المكابدات، يصبر
على أذى قومه بالكلام الذى هو أنفذ من السهام. ووضع السلاء من
الجزور على ظهره الشريف - نفديه بحر وجوهنا ومصون جباهنا^٣
و خدودنا - و هو ساجد، ووضع الشوك فى طريقه، والإجماع على قصده
بجميع انواع^٤ الأذى من الحبس و النفى و القتل بحيث قال صلى الله عليه
وسلم ما أؤذى أحد فى الله ما أؤذيت..

ولما أفهمت هذه الحال أن القسم إنما هو فى الحقيقة به^٥ صلى الله
عليه وسلم، كرر الإقسام به على وجه يشمل غيره فقال: ((ووالد))
ولما كان المراد التعجيب من ابتداء الخلق بالتوليد من كل حيوان فى
جميع أمر التوليد وما عليه الإنسان من النطق و البيان و غريب^٦ الفهم
وكان السياق لزم أولى الانفس الأمانة، و كانوا هم أكثر الناس، حسن
التعبير بأداة ما^٧ لا يعقل لأنها من أدوات التعجيب فقال: ((وما ولد))
١٥ أى من ذكر أو أنثى كائنا من كان، فدخل كما مضى النبى صلى الله عليه
وسلم فصار مقسما به مرارا، و كذا دخل أبواه^٨ إبراهيم وولده إسماعيل

(١) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م ،
وفى الأصل : لكنه (٣) من ظ و م، وفى الأصل : جبان (٤) زيد فى الأصل :
السلاء ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) فى الأصل بياض ملأناه من
ظ و م (٦) من ظ و م، وفى الأصل : غير (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : لا .
(٨) من م ، وفى الأصل و ظ : أبوه .

عليهما الصلاة والسلام و ما صنعا و ما صنع الله لهما بذلك البلد،
و معلوم أن ذكر الصنعة تنبيه على صانعها، فالمقصود^١ القسم بمن جعل
البلد على ما هو عليه من الجلال، و خص النبي صلى الله عليه وسلم
بما خصه به من الإرسال، و فاوت^٢ بين المتوالدين في الخصال^٣، من النقص
و الكمال و سائر الأحوال، تنبيهاً على ماله من الكمال^٤ بالجلال و الجمال^٥،
و لعله خص هذه الأشياء بالإقسام تسلياً للنبي صلى الله عليه وسلم،
/ و تثبتاً له على احتمال الأذى، إشارة إلى أن من كان قد حكم عليه بأنه
لا يزال في نكيد، كان الذي ينبغي [له - °] أن يختار أن يكون ذلك
النكيد فيما يرضى الله سبحانه و تعالى، و ذلك لأن النبي صلى الله عليه
وسلم كان في مكة المشرفة في أعظم شدة بما يعانيه من أذى الكفار ١٠
في نفسه و أصحابه رضي الله عنهم لعلوا^٦ مقامه، فان شدة البلاء للأمثل
فالأمثل كما مضى مع أمره صلى الله عليه وسلم بالصبر^٧ و الصفح، و كل
والد و مولود في شدة بالوالدية و المولودية، و غير ذلك إنما لا يحصى من
الإنكاد البشرية، من حين هو^٨ نقطة في ظلمات ثلاث في ضيق عمر و مقر
ثم ولادة و ربط في تابوت و فطام عن الآف و أهنة؟ من المؤدب ١٥

- (١) من م، و في الأصل و ظ : و المقصود (٢) من ظ و م، و في الأصل :
فات (٣) من ظ و م، و في الأصل : الجمال (٤ - ٤) من ظ و م، و في
الأصل : و الجمال و الجلال (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، و في
الأصل : و علو (٧) من ظ و م، و في الأصل : بالامر (٨) من ظ و م، و في
الأصل : كان .

و المعلم وتويخ من المشايخ ومعاندة من الأقران ، ومن يتسلط^١ عليه من النسوان ، مع أنه عرضة للأمراض ، وسائر ما يكره من الأعراض والأغراض ، و الفاقات والنوائب والآفات ، و المطالب والحاجات ، لا يحظى بهواه ، ولا يبلغ مناه ، ولا يدرك ما اجتباه ، ولا ينجو غالباً مما يخشاه ، و تفاصيل هذا الإجمال لا تحصى ، ولا حد لها فتستقصى ، إلى الموت

٥ و ما بعده ، فلذلك كان المقسم عليه قوله : ﴿ لقد خلقنا ﴾ أى بما لنا من القدرة التامة^٢ والعظمة^٣ التى لاتضاهى^٤ (الانسان) أى هذا النوع ﴿ فى كبده ﴾ أى شدة شديدة ومشقة عظيمة^٥ محيطة به إحاطة الظرف بالمظروف ، لو وكله سبحانه وتعالى فى شيء منها إلى نفسه ملك^٦ ، ولولا

١٠ هذه البلايا لادعى^٧ ما لا يليق به من عظيم المزايا ، و قد ادعى بعضهم مع ذلك الإلهية و بعضهم الاتحاد برب العباد - تعالى الله عن قولهم الواضح الفساد ، بما قرنه به سبحانه وتعالى من الموت والمرض وسائر الانكاد ، فعل سبحانه ذلك [ليظهر^٨] بما للعبد من الضعف والعجز - مع ما منحه به من القوى الظاهرة والباطنة فى القول والفعل والبطش

١٥ و العقل - ما له سبحانه من تمام العلم و شمول القدرة ، و يظهر من خلقه له على هذه الصفة ، علم جميع ما فى السورة ، فعمل قطعاً إنكار ظنه

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : يتسلط (٢ - ٢) سقط ما بين الرقنين من ظ

وم (٣) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ و م فحذفناها (٤) فى الأصل

بياض ملأناه من ظ و م (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : لاد (٦) زيد

من ظ .

لتناهي قدرته و تعالى عظمته ، و فساد هذا الظن بشاهد العقل^١ من حيث كونه مصنوعا ، و بشاهد الوجود من أجل^٢ أنه يسلك طريق الشر و لا يقدر على طريق الخير إلا بالتوفيق ، فلم قطعاً إعجاز السورة لأنه لا قدرة لمخلوق على أن يأتي بجملة واحدة تجمع جميع [ما -^٣] وراءها من الجمل - هذا إلى ما لها من فتون الإعجاز التي وصلت إلى حد الإعجاز ، هذا إلى ما هـ لبقية الجمل من الإعجاز في حسن الرصف و إحكام التركيب و الربط و المراعاة بالألفاظ اللعاني إلى غير ذلك مما لا يبلغ^٤ كنهه إلى منزله سبحانه و عز شأنه ، و علم أن الإكرام و الإهانة / ليستا دائرتين على التنعيم في الدنيا و التضيق كما تقدم شرحه في سورة الفجر ، و لأجل ما علم من كون الإنسان لا يزال في تكبد و شدة و نصب من حيث احتياجه ١٠ أولاً إلى مطلق الحركة و السكون ، و ثانياً إلى المأكل و المشرب ، و ثالثاً إلى ما يترتب عليهما إلى غير ذلك [ما -^٥] يعي عده و يجهل حده ، توجه الإنكار في قوله تعالى يانا للأسباب الموقعة له في التكبد ، و هي شهواتان : نفسية و حسية ، و النفسية منحصرة في أربع : الأولى أنه^٦ يشتهي أن يكون كل من في الوجود في قبضته فأشار إليها^٧ (يحسب) ١٥

(١) من م ، وفي الأصل و ظ : الفعل (٢) من م ، وفي الأصل و ظ : بحيث (٣) زيد من ظ و م (٤) من م ، وفي الأصل و ظ : لا يبلغه (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : ان (٧) زيد في الأصل : بقوله تعالى ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها .

أى هذا الإنسان اضعف عقله^١ مع ما هو فيه من أنواع الشدائد
 ﴿ان لن يقدر﴾ ولما أكد بالفعلية وخصوص هذا النفي^٢ قدم الجار
 تأكيذا بما يفيد من الاهتمام بالإنسان فقال: ﴿عليه﴾ أى خاصة ﴿أحدم﴾
 أى من أهل الأرض أو السماء فيغلبه حتى أنه يعاند خالقه^٣ مع ما ينظر
 ٥ من اقتداره على أمثاله بنفسه و بمن شاء من جنوده فيعادي رسله عليهم
 الصلاة والسلام و يمجّد آياته .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما أوضح سبحانه و تعالى حال
 [من -^٤] تقدم ذكره في السورتين في عظيم حيرتهم و سوء غفلتهم
 و ما أعقبهم ذلك من التذكر تحسرا حين لاينفع التندّم^٥ ، و لات حين
 ١٠ مطمع ، أتبع ذلك بتعريف نبينا^٦ عليه أفضل الصلاة و السلام بأن
 وقوع^٧ ذلك منهم إنما جرى على حكم السابقة التى شاءها و [الحكمة -^٨]
 التى قدرها كما جاء فى الموضع الآخر ” ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها “
 فأشار تعالى إلى هذا بقوله ” لقد خلقنا الإنسان فى كبد “ أى أنا
 خلقناه لذلك ابتلاء ليكون ذلك قاطعا لمن سبق له الشقاء عن التفكير^٩
 ١٥ و الاعتبار ” و ان تدعهم إلى الهدى قلن يهتدوا اذا أبدا “ فأعماهم بما

(١) زيد فى الأصل و ظ : علله ، و لم تكن الزيادة فى م فخذناها (٢) من ظ
 و م ، و فى الأصل : المنافى (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : حلقه (٤) زيد من
 م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : الندم (٦) فى ظ و م : نبيه (٧) زيد فى
 الأصل : مثل ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فخذناها (٨) من ظ و م ، و فى
 الأصل : التذكر .

خلقهم فيه من الكبد و أغفل قلوبهم فحبوا أنهم لا يقدر عليهم أحد ،
 وقد بين سبحانه و تعالى فعله هذا بهم في قوله لئن صلى الله عليه وسلم
 " ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا و اتبع هواه " " ولو شاء ربك
 لأمن من في الارض كلهم جميعا " فأنت تشاهدكم يا محمد ذوى ابصار
 و آلات يعتبر بها النظر " الم يجعل له عنين و لسانا و شفقتين " فهلا اخذ
 في خلاص نفسه ، و اعتبر بحاله و أمسه ، " فلا اقتحم العقبة " ولكن
 إذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له - انتهى .

و لما كان الإنسان لا يفتخر بالاتفاق إلا إذا أنصى إلى الإملاق ،
 فلم أن مراده * الإشارة إلى أن معه أضعاف ما أنفق من حيث أنه
 حقره بلفظ الإهلاك ، إشارة إلى الثانية و الثالثة من شهواته النفسية . ١٠
 و هما إرادته أن يكون له الفخار و الامتنان على جميع الموجودات
 و إرادته أن يكون عنده من الاموال ما لا يحيط به الأفكار / ولا تحويه
 الأقطار - كما يشير إليه حديث " لو أن لابن آدم واد من ذهب ، و لا يملا
 جوف ابن آدم إلا التراب ، علل سبحانه و تعالى جهله * في حسابه

- (١) زيد في الأصل : بلهائم و هما قلوبهم ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها .
 (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : الناظر (٣) زيد في الأصل : بيومه و ،
 ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٤) من م ، وفي الأصل و ظ : ملاق .
 (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : مراد (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : حيث .
 (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : بنى (٨) من ظ و م ، وفي الأصل :
 جعل ابن آدم .

ذلك وما تبعه بقوله : ﴿ يقول ﴾ أى مفتخرا بقدرته و شدته :
 ﴿ اهلك ما لا بداءه ﴾ ولقصد المبالغة فى كثرتة جاءت قراءة [ابى - ١]
 جعفر بالتشديد على أنه جمع لا بد كركع و راكم فأفهمت أنه بحيث
 لا يحصى ، بل لو جمع لم تسعه الأرض إلا بأن يكون [بعضه - ١] على
 ٥ بعض فلا يعد و لا يحسد ، أى و ذلك قليل من الكثير الذى معى ، قلدت
 به أعناق الرجال المن ، و استعبدت^٢ به الأحرار فى كل زمن ، فصرت^٣
 بحيث إذا دعوت كثر الملبى ، و إذا ناديت كثر المجيب ، و إذا أمرت
 عظم الممثل ، وفاء لصنائى الماضى و رغبة فى نعمى الباقية ، فمن يستعصى
 على و من يخالف أمرى ، فضلا عن أن يريد إخمالي^٤ ذكرى
 ١٠ أو تنقص قدرى .

ولما كان الشيء لا يعنى إلا إذا كان مجهولا و لو من بعض الجهات ،
 أنكر عليه هذا الظن على تقدير وقوعه فانه لا يوصل إلى ما ظنه إلا به ،
 بقوله مشيرا إلى شهوته النفسية الرابعة ، و هى أن تكون أموره مستورة
 فلا يظهر على غيبه أحد أصلا : ﴿ يحسب ﴾ أى هذا الإنسان العنيد بقلة
 ١٥ عقله ﴿ ان لم يره ﴾ أى^٥ بالبصر و لا بالبصيرة^٦ فى الزمن الماضى ﴿ احدثه ﴾

(١) زيد من ظ و م (٢) من م ، وفى الأصل و ظ : استعبدت (٣) من ظ
 و م ، وفى الأصل : بصرف (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : انحالى (٥) من
 ظ و م ، وفى الأصل : الجهالات (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : قال تعالى .
 (٧-٧) من ظ و م ، وفى الأصل : يره بالبصيرة و لا البصر .

أى فى عمله هذا سره و جهره و جميع أمره ، فينقص جميع ما عمل إذا أراد ، و [كل - ١] ما فاته من آثار هذه الشهوات الأربع ، و هو لا يزال فائتاله ، كان^٢ من إرادة تحصيله فى نكد و معاناة و كبد^٣ بحيث يرمى نفسه لتحصيله فى المهالك ، و لا يحصل منه على ما يرضيه أبداً ، و هذا كناية عن أنه يعمل من المساوى أعمال من يظن أنه لا يطلع عليه ، فذلك هـ
 نبه الله تعالى بأنواع التنبيه لياخذ حذرہ و يحرز عمره .

و لما أنكر عليه^٤ سبحانه و تعالى هذه النقائص ، قرره على ما أوجب^٥ شهوته [الحسية - ٦] المتفرعة إلى أنواع بما^٦ يستلزم أن يكون فاعله [له - ٦] المان عليه به من بعض فيضه ، عالماً بجميع أمره قادراً على نفعه و ضرره بنفسه و بمن أراد من جنده ، فقال مشيراً إلى ما يترتب ١٠
 على نظر العين الباصرة^٨ الجائلة فى العالم الحسى و نظر عين البصيرة الجائلة فى العالم المعنوى^٩ من شهوته أن يحصل على كل ما يراه بعين باصرته^{١٠} و يعلمه بعين بصيرته^{١١} من ملىح ، و يخلص من كل ما يراه من قبيح ، و مذكرا له بما كان يجب عليه من الشكر باستعمال هذه المشاعر^{١٢} فيما شرع له

-
- (١) زيد من م (٢) - سقط من ظ (٣) فى ظ : كيد (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : على (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : اوجبت (٦) زيد من ظ و م .
 (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : ما (٨-٨) - سقط ما بين الرقين من ظ و م .
 (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : بصيرته (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : باصرته (١١) من ظ و م ، و فى الأصل : الشارع .

و كفها عما منع الله منه : ﴿الم نجعل﴾ أى بما لنا من العظمة التى^١
لا يمكن أحدا أن يضاهيها^٢ ولا يقرب منها^٣ ﴿له عينين لا﴾ يبصر^٤
/ ٧٦٢ /
بهما وإلا لتعطل عليه أكثر ما يريد ، شققناهما و هو فى الرحم فى ظلمات
ثلاث على مقدار مناسب لا يزيد إحداهما على الأخرى شيئا و قدرنا
هـ البياض و السواد^٥ أو الزرقه أو الشهته أو غير ذلك على ما روى ،
و أودعناهما البصر على كيفية يعجز^٦ الخلق عن^٦ إدراكها .

و لما قدره^٧ سبحانه على ما ينشأ [عنه - ^٨] شهوتا تحصيل الملبح
و نفي القبيح ، أتبع [ذلك - ^٩] ما ينشأ عنه^٩ شهوتا الأمر و النهى و أنواع
الكلمات الكمالية فقال : ﴿و لسانا﴾ أى يترجم به عما فى ضميره ﴿و شفقتين لا﴾
١٠ أى يستران فاه و يعينانه على الأكل و الشرب و على النطق بفصاحة
و بلاغة^{١٠} على حد^{١٠} معلوم لا يبلغه غيره ، فيجتمع له أمره و يصل إلى
مقاصد حجة^{١١} و أهوال مهمة ، و لم يذكر السمع لأن الكلام يستلزمه ، و المعنى :
السنا قادرين بالقدرة التى جعلنا له بها ما ذكر على أن نجعل لغيره مثل ما
جعلنا له و أكثر فيقاومه و يغلبه .

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : و القدرة على هذا الصنيع و جعل الذين (٢) من
ظ و م ، و فى الأصل : يضاهيها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : منها (٤) زيد
فى الأصل : أى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لخصفناها (٥) من ظ و م ، و فى
الأصل : على (٦-٦) من ظ و م ، و فى الأصل : الخلاق على (٧) فى ظ : قرره .
(٨) زيد من م (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : عنها (١٠-١٠) من ظ و م ،
و فى الأصل : لأحد (١١) من ظ و م ، و فى الأصل : جمعه .

ولما كان لله تعالى على كل أحد في كل لحظة منه جديدة في إبقاء هذه الآلات الثلاث، عبر فيها بالمضارع، ولما كانت النعمة في العقل إنما هي بهيته أولا ثم بحمله [به - ٢] على الخير ثانيا، وكان أمره خفيا، وكان من المعلوم أن كل أحد غير مهدي في كل حركاته وسكناته إلى ما يسعده، بل كان هذا المنكر^٢ عليه لم يؤهل لطريقه^٥ الخير، اختير له لفظ الماضي لذلك تحقيقا لكونه وجعله غريزة لا تتحول وطبيعة لا تتبدل، بل هي غالبية على صاحبها، قائدة إلى مضارة أو محابة و مسارة وإن كره^٤، وهو السبب الذي يكون به الخلاص من شر تلك الانكاد في دار الإسعاد فقال تعالى: ﴿ وهديته ﴾ أي بما أتياه من العقل ﴿ النجدين ﴾ أي طريق الخير والشر، وصار بما جعلناه له من ذلك سميما بصيرا^٥ عالما فصار موضعا للتكليف، روى الطبراني^٦ عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أيها الناس! هلموا إلى ربكم فان^٧ ما قل وكفى خير مما كثر وألهى، يا أيها الناس إنما هما نجدان: نجد خير ونجد شر، فما جعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير^٨، قال المنذرى: النجد هنا الطريق - انتهى. ١٥

(١) من ظ و م، وفي الأصل: على (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، وفي الأصل: الفكر (٤) من ظ و م، وفي الأصل: كرهو (٥ - ٥) في ظ و م: بصيرا سميما (٦) راجع بجمع التروائد ٢٥٦/١٠ (٧) من ظ و م، وفي الأصل: فانه (٨) زبدت الواو في الأصل، ولم تكن في ظ و م فخذناها.

وهو طريق في ارتفاع، عبر عن الخير والشر به^١ لإعلانها الإنسان
 عن رتبة باقي الحيوان، ولأن الإنسان لا يختار واحدة منهما إلا بمعاناة
 وتكلف كمعاناة من يصعد في عقبة، والتجد لغة الموضع العالي، والله
 تعالى يعلى^٢ من أراد على ما^٣ شاء منها بخلاف ما كان يقتضيه ظاهر
 حاله من ٥ / ٧٦٣ أنه لا يجب تكلف شيء أصلاً، ولا يريد الأشياء / تأتبه
 إلا عفواً، وذلك لأجل إظهار قدرته سبحانه وتعالى، أما صعوبة طريق
 الخير فيها، حفه به من المكاره حتى صار العمل به، مع أن كل أحد
 يعشق اسمه^٤ ومعناه، أشد شيء وأصعبه، وأشقّه وأتعبه، وأما صعوبة^٥
 طريق الشر فواضحة جداً مع أن الله يلزمه لمن أراد بتسهيله وتحييه وتخفيفه
 ١٠. وتقريبه مع أن كل أحد يكره اسمه وينفر من معناه، وجعل الله
 تعالى الفطرة الأولى السليمة التي فطر الناس عليها من الاستقامة بحيث
 تدرك الشر وتنهى عنه، وتدرك الخير وتأمر به، غير أن الشهوات
 والحظوظ تعالجها، والغالب من أعانها الله، وإلى ذلك يشير حديث^٦
 «إذا لم تستح فاصنع ما شئت» وحديث «البر ما اطمأنت إليه النفس
 (١) وقع في الأصل بعد «عبر» والترتيب من ظ و م (٢) زيد في الأصل :
 من يشاء و، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٣) من ظ و م، وفي
 الأصل : من (٤) في ظ : فما (٥) من ظ و م، وفي الأصل : يكره (٦) زيد في
 الأصل : ينفر من، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٧) من ظ و م،
 وفي الأصل : صعبة (٨) في ظ و م : العباد (٩) من ظ و م، وفي الأصل :
 قوله عليه الصلاة والسلام .

وانشرح له الصدر، والإثم ما حاك في الصدر و تردد [في - '] القلب
و إن افتاك الناس وأفتوك . .

و لما كان معنى ما مضى أن هذا الإنسان عاجز و إن تناهت
قوته، و بلغت الذروة قدرته،^٢ "السبق قوله تعالى "و خلق الانسان ضعيفا"^٣
و أنه معلوم جميع أمره مفضوح في سره كما هو مفضوح في جهره، كما ه
أشار إليه حديث جندب رضى الله تعالى عنه عند الطبراني^٤ "ما أمر عبد
سريرة إلا ألبسه الله رداءها، و حديث أبي سعيد رضى الله تعالى عنه
عند أحمد و أبي يعلى^٥ "لو أن أحدكم يعمل في صحرة صماء ليس لها باب
و لا كوة يخرج عمله للناس، فهو موصول إليه و مقدور عليه، و أنه كان
يجب عليه الشكر على ما "جعل له" سبحانه و تعالى^٦ من القوى التي جعلها ١٠
لسوء كسبه آلات للكفر^٧، سبب سبحانه و تعالى عنه قوله تفصيلا للأشياء
الموصلة إلى الراحة في العقبي نافيا لفعالها عنه على سبيل الحقيقة دلالة
على عجزه: ﴿ فلا اقتحم ﴾ أى وثب ورمى بنفسه بسرعة و ضغط
و شدة حتى كان من شدة المحبة لما يراه فيما دخل فيه من الخير كأنه
أتاه من غير فكر و لا روية بل هجما ﴿العقبه بـ﴾ و هى طريق النجاة، ١٥
و المقرر فى اللغة أنها الطريق الصاعد فى الجبل المستعار اسمها لأفعال البر

(١) زيد من ظ و م (٢ - ٢) سقط ما بين الرقعين من ظ و م (٣) راجع بجمع
الزوائد ١٠ / ٢٢٥ (٤) من ظ و م، و فى الأصل: ان (٥ - ٥) من م، و فى
الأصل و ظ: جعله (٦) زيد فى الأصل و ظ: له، و لم تكن الزيادة فى م
لحذفها (٧) من ظ و م، و فى الأصل: للفكر .

المقرر في النفوس أنها مريحة لا متعبة، مع كونها أعظم نفرا وأعلى منقبة،
 لأننا حجبناه^١ عنها بأيدينا وعظيم قوتنا وعجيب قدرتنا، وذلك أن الخير لما
 كان محببا إلى القلوب معشوقا للنفوس مرغوبا^٢ فيه لا يعدل عنه أحد، جعلناه
 في بادئ الأمر كريها [و-^٣] على النفوس مستصعبا ثقيلًا حتى صار لمخالفته^٤
 ٥ الهوى كأنه عقبة كثود، لا ينال ما فيه من مشقة الصعود، إلا بعزم
 شديد وهمة ماضية، ونية جازمة، ورياضة وتدريب، وتأديب وتهذيب،
 / ٧٦٤ وشديد^٥ مجاهدة وعظيم مكابدة للنفس والهوى / والشيطان، بحيث
 يكون متعاطيه في فعله له كالراى بنفسه فيه [بلا -^٦] روية روى
 العاشق له المتهالك عليه، فكان هذا سببا لأن هذا الجاهل بنفسه المتعدى
 ١٠ لطوره لم يختر لنفسه الخير بما أوتي من البصر الذي يبصر به صنائع الله،
 والبصيرة التي يعرف بها ما يضره وما ينفعه شكرا لربه سبحانه^٧ أو تعالى
 ويكون ذلك^٨ لإحسانه إليه، وهل جزاء الإحسان^٩ إلا الإحسان،^{١٠} وهل
 جزاء النعمة إلا الشكر^{١١}، بل اختار الشر وارتكب الضرر مع أنا هيأناه لكل
 منهما فبانت لنا القدرة. و اتضحت في صفاتنا العظمة، و تحقق له الضعف
 ١٥ وظهر منه^{١٢} النقص والعجز، فوجب عليه لعزتنا الخضوع، وإجراء مصون

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : حجبنا (٢) من ظ و م ، وفي الأصل :
 مرغبا (٣) زيد من ظ و م (٤) من م ، وفي الأصل و ظ : لمخالفة (٥) من م ،
 وفي الأصل و ظ : شدة (٦-٧) سقط ما بين الرقيين من م (٧) من م ، وفي
 الأصل و ظ : الانسان (٨-٩) سقط ما بين الرقيين من ظ و م (٩) من ظ و م ،
 وفي الأصل : له .

الدموع وإظهار الافتقار والذل والصغار ، لنفحه سيل الجنة و نجيته
 من طريق النار، ومن اقتحم هذه العقبة التي هي الأعمال الصالحة اقتحم
 عقبة الصراط ، فكانت سهولتها عليه بقدر مكابذته لهذه^١ ، واستراح
 من تلك المكابذات والأحزان والهموم و صار إلى حياة طيبة كما قال
 الله تعالى ”من عمل صالحا من ذكر أو أنثى و هو مؤمن فلنجينه حياة ه
 طيبة“ الآية ، واقتحامها بأن يرتحل من عالمه السافل إلى العالم العالى الكامل
 الذى ليس فيه إلا اللذة ، وذلك هو الاعتراف بحق العبودية ، و تلك
 هى الحرية لأن الحر من خرج من رق الشهوات إلى خدمة المولى ،
 فصار [طوع -^٢] أمره فى سره وجهره لاحظ لشهوة فيه ولا وصول
 لحظ إليه ، و ذلك يكون بشيئين : أحدهما جذب و الآخر كسب ، فالمجذوب ١٠
 محمول ، و الكاسب فى تعب المجاهدات بسيف الهمة العالية موصول .
 و لما بين أنه لا خلاص من النكد إلا بهذا الاقتحام ، شرع فى
 تفسير العقبة بادئا بتحويل أمرها لعظيم قدرها ، فقال معبرا بالماضى الذى
 جرت عادة القرآن بأنه إذا عبر به شرح المستفهم عنه : ﴿ وما أدراك ﴾
 أى أيها السامع^٣ لكلامنا ، الراغب^٤ فيما عندنا ﴿ ما العقبة ه ﴾ أى إنك ١٥
 لم تعرف كنهه صعوبتها وعظمة ثوابها ، فلما تفرغ القلب بالاستفهام عما
 لا يعرفه ، وكان الإنسان أشهى ما إليه تعرف ما أشكل عليه ، فتشوفت
 النفوس إلى علمها ، قال مشيرا إلى الأولى التى هى العقبة التى ثمرتها السخاء

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : بهذه (٢) زيد من ظ و م (٣ - ٣) من ظ
 و م ، وفى الأصل : الراغب لكلامنا .

و إصلاح قوة الشهوة معبرا بالفك الذى هو أدنى ما يكون من العتق
لأنه 'الإعانة فيه و لو بما قل كما ورد فى حديث البراء رضى الله عنه
'أعتق النسيئة و فك الرقبة، و عتقها أن تفرد به، و فكها أن تعين فى
ثمنها، و فسر المراد بهذه العقبة بمادل على معادل لا كما يأتى تعيين تقديره
ه فانها لا تستعمل إلا مكررة^٢ قال: ﴿فك﴾ أى الإنسان ﴿رقبة لا﴾ أى
من الأسر أو^٣ الظلم أو الغرم أو السقم شكرا / لمن أولاه الخير و تنفيسا
للكرية حبا للعالمى و المكارم لا رياء و^٤ سمعة كما فعل هذا الظان الضال
و لا لطمع فى جزاء و لا لخوف من عناء ﴿او اطعم﴾ أى أوقع الإطعام
لشيء^٥ له قابلية ذلك ﴿فى يوم ذى مسغبة لا﴾ أى جوع عام فى مكان
١٠ جوع و زمان جوع - بما أنهم الوصف و الصيغة، فكان لذلك يحمل
على الضنة بالموجود خوفا من مثل ما فيه المطعم يخاف النفس و آثر
عليها اعتمادا على الله ﴿يتيما﴾ أى [إنسانا -^٦] صغيرا لا أب له يرجى
أو يخاف ﴿ذا مقربة لا﴾ لا^٧ يرجى باطعامه إلا التودد لأقاربه للكثير بهم
مع [أنه -^٨] يجمع بذلك بين صدقة و صلة و إن كان غنيا^٩ ﴿أو مسكينا﴾
(١) من ظ و م، و فى الأصل: لان (٢) من ظ و م، و فى الأصل: مكروهة.
(٣) زيد فى الأصل: من، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لخذناها (٤) زيد فى
الأصل: لا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لخذناها (٥) من م، و فى الأصل
و ظ: بشيء (٦) زيد من م (٧) من ظ و م، و فى الأصل: أى (٨) زيد من
ظ و م (٩) زيد فى الأصل: انتهى قبل تعالى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م
لخذناها.

أى شخصا لا كفاية له (إذا متربة ٥) أى حاجة مقعدة له على التراب ، لا يقدر على سواء ، فالآية من الاحتباك : ذكر القرب أولا يدل على ضده ثانيا ، و ذكر المتربة ثانيا يدل على ضدها ' أولا ، و سر ذلك أنه [ذكر - ١] فى اليتيم القرب المعطف ، و فى المسكين الوصف المرقق الملطاف ، فهو لا يقصد باطعامه إلا سد فاقته ، و دخل فيه اليتيم البعيد و الفقير من باب الأولى و إن كان أجنيا .

و لما كانت ٢ هذه الأفعال خيرا فى ١ نفسها تدل على جودة الطبع و علو الهمة و كرم ٣ العنصر و إباء النفس إشاره إلى شدة حسنها لأنه لا يوفق لها إلا مخلص و إن كان غير مستند إلى ٤ شرع و إلى ما يفيد من سلاسة ٥ الطبع و سهولة الانقياد و إلى عظمة الإيمان بالتعبير بأداة ١٠ التراخى فى قوله مشيرا إلى العقبة الثانية و هى الحكمة المزكية للقوة النطقية : (ثم كان) أى بعد التخلق بهذه الأخلاق الزاكية العالية النفيسة الغالية فى حال كفره أو مبادئ إسلامه للدلالة على صفاء جبلته و جودة عنصره من الراسخين فى الإيمان المعبر عنه بقوله : (من الذين آمنوا) أى عند ما دعاه إليه الهادى و لم تحمله حية الأنف و شমাخة النفس ١٥

-
- (١) من ظ و م ، و فى الأصل : ضد (٢) زيد من م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : كان (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : من (٥) من م ، و فى الأصل : و ظ : كبر (٦) زيد فى الأصل : ما ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لخذفها . (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : سلامة .

على الإنباء عن أن يكون تابعا بعدما^١ كان متبوعا، وسافلا في زعمه أثر
 ما كان رفيعا، بل سدّد النظر وقوم الفـكر فأيقن أنه يعلى نفسه من
 الحضيض إلى ما فوق السهوى، يرفيها^٢ في درج المعالي إلى ما ليس له انتها،
 "ان في ذلك آيات لاولى النهى" فحينئذ يعلم استقامة طبعه وكرم
 ٥ غريزته وعلى همته وحسن نيته وجميل طويته وغازاة عقله وجلالة
 نبهه وفضله واستحقاقه التقدم على الأعلام في الجاهلية والإسلام،
 ولذلك كان الصديق رضى الله تعالى عنه أعلى الناس درجة بعد النبيين
 عليهم أفضل الصلاة والسلام والتحية والإكرام، لأن هذه كانت أفعاله
 رضى الله تعالى عنه قبل الإسلام كما قال ابن الدغنة حين وجده قد خرج
 ١٠ / ٧٦٦ من مكة / المشرفة يريد الهجرة حين آذاه الكفار: إن مثلك يا أبا بكر
 لا يخرج ولا يخرج، إنك لتصل الرحم وتقرى الضيف وتحمل الكل
 وتعين على نوائب الحق - كما^٣ قالت خديجة رضى الله عنها للنبي صلى الله
 عليه وسلم حين رجع إليها ترجف بوادره^٤ من تجلى جبريل عليه الصلاة
 والسلام له سواء، فلما سرب في رحيب مسربه، وشرب من صافى مشربه،
 ١٥ توفيقا من الله تعالى لم يتلغم حين^٥ دعاه إلى الدين و [لا - ٦] كانت
 عنده كسوة ولا تردد، ثم ترقى في درجات الإسلام إلى أعلى مرام
 بحيث قال^٦ يوم الحديبية لعمر رضى الله عنهما حين أظهر الكراهة للصالح ما

(١) من ظ و م، وفي الأصل: ان (٢) من ظ و م، وفي الأصل: يركبها.
 (٣) - سقط من ظ (٤) من ظ و م، وفي الأصل: بواره (٥) من م، وفي
 الأصل و ظ: حتى (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م، وفي الأصل: قام -

قال 'له النبي' صلى الله عليه وسلم سواء حرفا بحرف من غير أن يكون حاضره أو ينقل إليه كلامه، فإسار حيثنذ حائزا قصب السبق، لا مطمع في مداناته، فكيف بلحاظه ومساواته، ولكماله وعظمته وجلاله لم يشرب قط خمرا، وكان إذا ليم على ذلك في الجاهلية قال [لعشراء]: والله لو وجدت شيئا يزيد في عقلي لاشتريته بجميع مالى فكيف أشتري بمالى ما يزيل عقلى . وتلك الأعمال لا تصح وإن كانت بمدوحة^٢ في كل^١ حال إلا بالإيمان، أما إن كانت بعده فواضح، وأما إن كانت قبله فبانعاطفه عليها كما قال صلى الله عليه وسلم : أسلمت على ما سلف منك من خير^٣ .

ولما كان الإيمان معليا للإنسان عن درك الهوان إلى عظم^{١٠} الشأن، حاملا له على محاسن الأعمال ومكارم الأفعال، وذلك أنه يقود إلى جميع شرائع الدين العظيمة الشأن، وكانت موجبة للجهاد الأكبر من حيث مخالفتها^١ للطبع، وكان ذلك غير مقدور عليه إلا بالشجاعة وهي القوة الثالثة التي إذا هدئت أراحت، وكانت لا تكون إلا بعظيم الصبر، وكان الصبر لممارسته لا يدوم إلا بالتعاون قال تعالى : (وتواصوا)^{١٥}

(١-١) من ظ و م، وفي الأصل : للنبي (٢-٢) من ظ و م، وفي الأصل : بكل (٣) زيد في الأصل : وأنه لم يسجد لغيره قط، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله على ما كان منك من خير انتهى والله تعالى أعلم بالصواب، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٤) من ظ و م، وفي الأصل : مخالفتها.

أى صبروا وأوصى بعضهم بعضاً (بالصبر) فى اقتحام عقبات الأعمال^١ التى لا يجرها إلا أبطال^٢ الرجال من الأمر بالمعروف إلى ما دونه وإن كان فيه الخوف ، فإن الشجاعة كما قيل صبر ساعة .

ولما كان الإنسان لا بد أن يعرض له من غيره من الخلاف ما يوجب قسوته^٣ عليه ، فكانت الرحمة من ثمرات الاضطبار المثمر للعدالة ، وهى التوسط بين مذمتى الإفراط والتفريط فى الفسق والبله وهى العقبة الرابعة ، قال مؤكداً باعادة العامل لإشارة إلى قلة العاملين بها : (وتواصوا بالرحمة^٤) أى الرحمة العظيمة / بحسب زمانها ومكانها بأن يوطنوا أنفسهم على كل ما يحمل على الرحمة العظيمة التى توجب لهم الحب فى الله والبغض فيه لأنهم كانوا قبل الإيمان خالصين عن الرياء والإعجاب متهئين للتزكية فزكاهم الإيمان ، فصاروا فى غاية النورانية والعرفان .

/ ٧٦٧

ولما كان ذلك من معالى الأخلاق ، وموجبات الفواق والوفاق ، كانت نتيجته^٥ لا محالة : (اولئك) أى العظماء الكبراء العالو المنزلة ، ولم يأت بضمير الفصل كما يأتى لاضدادهم ليخلص الفعل له سبحانه ١٥ وتعالى من غير نظر إلى ضمائرهم الدالة على جبلاتهم لأنه هو الذى جبلها ، واغنى عنه بالإشارة الدالة على علو مقامهم وبعد مراتبهم (١) من ظ و م ، وفى الأصل : الانعال (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : الإبطال و (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : تسوية (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : نتيجة .

(اصحاب الميمنة^١) أى الجانب [الذى -^١] فيه اليمن^٢ والبركة والنجاة من [كل -^١] هلكة بقسميهم من السابقين المقربين وأصحاب اليمن الأبرار، كما مضى [شرحه -^٢] فى سورة^٣ الواقعة، وهذا تعريض بذلك الذى أئلف ماله^٤ فى المنافسة، والمشاقة^٥ والمعاكسة .

و لما أرشد السياق لمعادلة " فلا اقتحم العقبة " إلى أن التقدير: هـ
ولا أحجم عن المعطبة التى هى الأفعال^٦ الموجبة للعتبة مع كونها متعبة، بل قطع من يستحق الوصل ووصل من يستأهل القطع، ثم كان من الذين كفروا وتواصوا بالملائمة واكتسبوا السيئات واتبعوا الشهوات وعاملوا بالقسوة، عطف عليه قوله: (و الذين كفروا) أى ستروا ما تظهر لهم مرأتى بصائرهم من العلم . و لما كان الكفر بالآيات من أسوء^{١٠} أنواع الكفر لأنه كفر بما جعله الله علما على غيب عهده، وهى جميع ما تدركه الحواس من الأقوال والأفعال الدالة على ذى الجلال لأنها دالة على الصفات الدالة على الموصوف بها الذى ظهر بأفعاله و بطن بعظيم جلاله، قال: (بأيتنا) [أى -^٢] على ما لها من العظمة بالإضافة إلينا والظهور الذى [لا -^١] يمكن خفاؤه (م) أى خاصة لسوء ضمائرهم^{١٥} ولفساد جبلاتهم (اصحاب المشئمة^٧) أى الخصلة المكسبة للشؤم والحرمان والهلكة فهو لاء مشائيم^٨ على أنفسهم، وكفرهم دال على فساد جبلاتهم فهو

(١) زيد من ظ و م (٢) فى الأصل بياض ملثاه من ظ و م (٣) زيد من م (٤) سقط من ظ و م (٥) فى ظ: أمواه (٦) من ظ و م، وفى الأصل: الناقشة (٧) من م، وفى الأصل و ظ: افعال (٨) من ظ و م، وفى الأصل: متشابههم .

يشير إلى أن^١ من كان كفره أخف لم يكن جبلياً، فيوشك أن يهدى
فيكون من أصحاب الميمنة .

ولما كان معنى هذا أنهم في الجانب الذي فيه الشؤم والهلكة ،
و البعد من كل بركة ، أنتج قوله : ﴿ عليهم ﴾ أى خاصة 'دون غيرهم'
هـ ﴿ نار مؤصدة ﴾ أى مطبقة الباب مع إحاطتها بهم من جميع الجوانب - بما
أفهمته أداة الاستعلاء ومع الضيق و الوعورة ، وهذا لعمري أشد
الضيق والكبد^٢ ، والنصب والتكد ، فالملجأ^٣ منه إلى الله الواحد ، الواحد
الصمد ، وقد [علم -^٤] أن أولها هو هذا الآخر ، فكان التقاطر / فيها بما
تشدبه الأيدي وتعتقد عليه الخناصر - والله تعالى هو^٥ المرجو للهداية
١٠ إلى خير السرائر ، وهو^٦ الهادى للصواب ، وإليه المرجع والمآب^٧ .

/ ٧٦٨

(١) زيد في الأصل : كل ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لخذفناها (٢-٢) سقط
ما بين الرقين من ظ و م (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : فالتجا - كذا -
(٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : الله .

سورة و الشمس

مقصودها لإثبات تصرفه سبحانه وتعالى في النفوس التي هي سرج الأبدان ،
تقودها إلى سعادة أو كيد وهوان ونكد^١، كما أن الشمس سراج الفلك ،
يتصرف سبحانه في النفوس بالاختيار لإضلالا و هداية نعيم و شقاوة
كتصرفه سبحانه في الشمس بمثل ذلك من صحة و اعتلال ، و انتظام^٢ هـ
و اختلال ، و كذا في جميع الأكوان ، بما له من عظيم الشأن ، و اسمها
الشمس واضح الدلالة على ذلك بتأمل القسم [و المقسم عليه - ٣] بما
أعلم به و أشار إليه ﴿ بسم الله ﴾ [الذي هو - ٢] الملك الأعظم فله^٣
التصرف العام ﴿ الرحمن ﴾ الذي وسعت رحمته كل شيء فإليه الإنعام
﴿ الرحيم ﴾ الذي خص من شاء بالتوفيق فبني إنعامه عليهم على التمام ١٠
لما أثبت في سورة البلد أن الإنسان في كيد^٤ ، و ختمها بأن من
حاد عن^٥ سبيله [كان - ٢] في أنكد النكد ، و هو النار المؤصدة ، أقسم
أول هذه على أن الفاعل لذلك أولا و آخرا هو الله سبحانه [لأنه - ١]
يحول بين المرء و قلبه و بين القلب و لبه ، فقال مقسما بما يدل على تمام عمله
(١) الحادية و التسعون من سور القرآن الكريم ، مكة ، و عدد آياتها ١٥ ، و زيد
في الأصل و م : و ضحاها (٢) من م ، و في الأصل و ظ : نظام (٣) زيد من
ظ و م (٤) من ظ و م ، و في الأصل الذي له (هـ) من ظ و م ، و في الأصل :
على (٦) زيد من ظ .

وشمول قدرته في الآفاق علويها وسفليها، والآنفس سعيدها وشقيها،
وبدأ بالعالم العلوي، فأفاد ذلك قطعاً العلم بأنه الفاعل المختار، وعلى العلم
بوجوب ذاته وكمال صفاته، وذلك أقصى درجات القوى النظرية، تذكيراً
بعضائم آلائه، ليحمل على الاستغراق في شكر نعمائه، الذي هو منتهى
٥ [كالات - ١] القوى العملية، مع أن أول المقسم به مذكر بما ختم
به آخر تلك من النار: ﴿والشمس﴾ أي الجامعة بين ٢ النفع والضرر
بالنور والحر، كما أن العقول كذلك لا أنور منها إذا تارت، ولا أظلم منها
إذا بارت ﴿وضئها لآء﴾ أي [و - ١] ضوئها الناشئ عن جرمها
العظيم الشأن البديع التكوين المذكور بالنيران إذا أشرقت وقام سلطانها
١٠ كاشراق أنوار العقول، والضحي - بالضم والقصر: صدر النهار حين
ارتفاعه، وبالفتح والمد: شدة الحر [بعد امتداد النهار، وشيء ضاح -
إذا ظهر للشمس والحر - ١] .

ولما افتتح بذكر آية النهار، أتبعه ذكر آية الليل فقال: ﴿والقمر﴾
أي المكتسب من نورها كما أن أنوار النفوس من أنوار العقول
١٥ ﴿إذا تلها﴾ أي تبعها في الاستدارة والنور بما دل على أن نوره
من نورها من القرب المالحق لنوره والبعد المكتسب له في مقدار ما يقابلها
من جرمه، ولا يزال يكثر إلى أن تتم / المفايلة فيتم النور ليلة الابدار

/ ٧٦٩

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) من م ، وفي الأصل و ظ : الضر والنفع (٣) من
ظ و م ، وفي الأصل : ارتفاعها .

عند تقابلها^١ في أفق الشرق والغرب، ومن ثم يأخذ في المقاربة فينقص بقدر ما ينحرف عن المقابلة، ونسبة التبع إليه مجازية أطلقت بالنسبة إلى ما ينظر منه كذلك^٢.

ولما ذكر الآيتين، ذكر ما هما آيتاه، وبدا بهما لأنه لا صلاح له إلا بهما كما أنه لا صلاح للبدن إلا بالنفس والعقل فقال: ﴿والتَّهَارِ﴾ ٥
 أى [الذى - ٣] هو محل الانتشار فيما جرت [به - ٢] الأقدار ﴿إِذَا جَلَسَ﴾
 أى جلّى الشمس تجلية عظيمة بعضها أعظم من بعض باعتبار الطول والقصر والصحو والغيم والضباب والصفاء والكدر كما أن الأبدان تارة تزكى القلوب والنفوس والعقول وتارة تدنسها، لأن العقل يكون في غاية الصفاء والدعاء إلى الخير في حال الصغر ثم لا يزال يزيد ١٠
 وينقص بحسب زكاه البدن في حسن الجبلة، أو نجاسته بسوء الجبلة، حتى يصير الشخص نوراً محضاً ملكاً ناطقاً إذا طابق البدن العقل فتعاونوا على الخير، أو يصير ظلاماً محتاً شيطانياً رجياً إذا خالف البدن العقل بسوء الجبلة وشرارة الطبع.

ولما ذكر معدن الضياء، ذكر محل الظلام فقال: ﴿وَالسَّيْلِ﴾ أى ١٥
 الذى هو ضد النهار فهو محل السكون والانتقاض والسكون

(١) من ظ و م . وفى الأصل : تقابلها (٢) زيد فى الأصل : انتهى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٣) زيد من م (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : إذ (٦) زيد فى الأصل : فى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .

(اذا يغشها^١) أى يغطى الشمس فيذهب ضوءها حين تغيب فتمتد
 ظلال الارض على وجهها المماس لنا، فيأخذ الافق الشرقى فى الإظلام،
 ويمتد ذلك الظلام بحسب طول الليل وقصره كما يغطى البدن نور
 العقل بواسطة طبعه بخبثه ورداءة عنصره، وذلك كله بمقادير معلومة،
 ٥ و موازن قسط محتومة، ليس فيها اختلال، ولا يعتريها^٢ انحلال، حتى
 يريد ذو الجلال، ولم يعبر بالماضى كما فى النهار لأن الليل لا يذهب
 الضياء بمرة بل شيئاً فشيئاً، ولا ينفك عن نور بخلاف النهار، فانه إذا
 أبدى الشمس^٣ ولم يكن غيم ولا كدر جلى الشمس فى آن واحد،
 فلم يبق معه ظلام بوجه .

١٠ ولما ذكر الآيتين و محل أثرهما. ذكر محل الكل فقال تعالى:
 ﴿و السماء﴾ أى التى هى محل ذلك كله و مجلاه كما أن الأبدان محل
 النفوس، والنفوس مركب العقول، ولما رقى الأفكار من أعظم المحسوسات
 المماسية إلى ما هو دونه فى الحس وفوقه فى الاحتياج إلى أعمال فكر،
 رقى إلى الباطن^٤ الأعلى المقصود بالذات وهو المبدع لذلك كله معبراً عنه
 ١٥ بأداة ما [لا - لا] يعقل، مع الدلالة بنفس الإقسام، على أن له العلم التام،
 والإحاطة الكبرى^٥ بالحكمة البالغة، تنبيهاً [على] أنهم وصفوه بالإشراك

-
- (١) من م. وفى الأصل و ظ : انظلام (٢) من ظ و م، وفى الأصل :
 لا يقر بها (٣) زيد فى الأصل : ان، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.
 (٤) من ظ، وفى الأصل و م : قوته (٥) من ظ و م، وفى الأصل : الباطل -
 (٦) زيد من م (٧) من م، وفى الأصل و ظ : والكبرياء .

وإنكار الحشر بتلك المنزلة السفلى والمساواة بالجمادات التي عبدوها مع
 ماله من صفات الكمال التي ليس لغيره ما يداني شيئاً منها، زجراً لهم
 بالإشارة والإيماء عن ذلك / و مشيراً إلى شدة التعجب^٢ منهم لكونها
 أداة التعجب فقال : ﴿ وما بنها لا ﴾ أي هذا البناء المحكم الذي ركب فيه
 ما ذكره إشارة إلى ما وراءه مما يعجز الوصف .
 ٥

ولما ذكر البناء ذكر المهاد فقال : ﴿ والارض ﴾ [أى - ٢] التي هي
 فراشكم بمنزلة محال تصرفاتكم بالعقل في المعاني المقصودة ﴿ وما طحنها لا ﴾
 أى بسطها على وجه هي فيه محيطة بالحيوان كله و محاط بها في مقر
 الافلاك ، و هي [مع - ٤] كونها ممسكة بالقدرة كأنها طائفة * في تيار
 بحارها^٣ ، و هي موضع البعد و الهلاك و محل الجمع - كل هذا بما يشير إليه ١٥
 التعبير بهذا اللفظ إشارة إلى ما [فى - ٤] سعى الإنسان من أمثال هذا ،
 قال أهل البصائر : و ليس في العالم الآفاق شيء إلا و في العالم النفساني نظيره ،
 و انشدوا في ذلك :

دواؤك فيك وما تشعر ودواؤك منك و تستنكر
 و تحسب أنك جزء صغير و فيك انطوى العالم الأكبر
 ١٥
 فالسماوات سبع كطباق الرأس التي تتعلق بالقوى المعنوية والحسية
 (١) فى ظ : زاجرا (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : التعجب (٣) زيد من ظ
 و م (٤) زيد من م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : حائطة (٦) من ظ و م ،
 و فى الأصل : بحار .

كالذاكرة والحافظة والواهمة والمخيلة والمفكرة والحس المشترك
وما هو لمقاسم البصر في العين ، ونظير الشمس الروح^١ في إشرافه وحسنه ،
ونظير الليل الطبع فان ما به من نور فانما^٢ هو من الروح كما أن
الليل كذلك لا يكون نوره إلا من الشمس بواسطة إفادتها للقمر المنير له
• والكواكب ، ونظير النهار - الذي هو نير في أصله^٣ ومتكدر بما يخيل^٤ له
من السحب^٥ ونحوه - القلب وسحبه^٦ الشكوك والأوهام النفسية ، ونظير
القمر في ظلمته^٧ بأصله وإنارته بالشمس النفس ، فإذا أكسبها القلب
المستفيد من الروح النور أنار جميع البدن ، وإذا أظلمت أظلم كله ،
والاعضاء الباطنة كالسكاك يقوم بها البدن فينير له الوجود بواسطة
١٠ الروح والنفس ، والأمطار كالدمع ، والحر كالخزن^٨ ، والبرد كالسرور^٩ ،
والرعد كالنطق ، والبرق كاللمح ، والرياح كالنفس - إلى غير ذلك [من
البدائع - ^٩] لمن تأمل ، والعالم السفلي سبع طباق أيضا^{١٠} ، قال الملوى :
و" نظيرها طبقة الجلد " هي ثلاث ، [و- ^٩] طبقة اللحم وطبقة^{١١} الشحم
(١) في ظ و م : انما (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : نقه (م) في ظ : يحدث .
(٤) من م ، وفي الأصل و ظ : السحاب (٥) من ظ و م ، وفي الأصل :
مسحه (٦) في الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٧) زيد في الأصل : والدمع ،
ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٨) من ظ و م ، وفي الأصل :
كالدور - كذا (٩) زيد من ظ و م (١٠) زيدت الواو في الأصل و ظ ،
ولم تكن في م لحذفها (١١ - ١٢) من ظ و م ، وفي الأصل : نظير هذه
الجلل (١٢) من ظ و م ، وفي الأصل : الجلد .

و طبقة العروق و طبقة العصب ، و الجبال كالعظام و المعادن منها المياه
و فيها العذب كالريق^٢ و الملح كالدمع و المركا في الأذن و المتن منه
كما في الأنف ، و منه ما هو جار كالبول ، و منه ما هو كالعيون و هو
الدم ، و السيل كالعرق^٤ ، و المعادن المنطبعة كالحديد و الرصاص هي و سبخ
الأرض و هي كالغذرة و ما يخرج من الجلد من خبث ، [و - °] النبات ه
كالشعور تارة تحلق [كالخصاد - °] و تارة تقلع كالنتف ، و الحيوانات
التي فيها كالقمل ، و طيورها^٦ كالبراغيث ، و عامر البدن^٧ ما أقبل منه ،
و خرابه ما أدبر .

و لما أتم^٨ الإشارة / إلى النفوس لأهل البصائر ، صرح بالعبارة
٧٨١ / لمن دونهم فقال تعالى : (و نفس) أى أى نفس جمع فيها سبحانه العالم ١٠
بأسره . و لما كانت النفوس أعجب ما في السكون و أجمع ، عبر فيها
بالتسوية حثا على^٩ تدبر أمرها للاستدلال على " مبدعها للسعي في إصلاح "
شأنها فقال تعالى : (و ما سؤلها^{١٠}) أى عدلها على هذا القانون الأحكم في
أعضائها و ما فيها من الجواهر و الأعراض و المعاني و عجائب المزاج
من الأخلاط المتنافرة التي لأم بينها بالتسوية و التعديل فجعلها متمازجة ، ١٥

(١) من ظ و م ، و في الأصل : المعاد (٢) من ظ و م ، و في الأصل : منها
الماء (٣) من ظ و م ، و في الأصل : الريق (٤) في ظ : العروق (٥) زيد من ظ
وم (٦) من ظ و م ، و في الأصل : الطيور (٧) من ظ ، و في الأصل : و م : البلد .
(٨) من ظ و م ، و في الأصل : تمت (٩) زيد في الأصل : ما ، و لم تكن الزيادة
في ظ و م لحذفها (١٠ - ١٠) تكرر ما بين الرقین في الأصل فقط .

وقد أرشد السياق والسباق واللاحق إلى أن جواب القسم مقدر تقديره :
لقد طبع سبحانه وتعالى نفوسكم على طبائع متباينة هيأها بها لما يريد من القلوب
من تزكية وتدسية بما جعل لكم من القدرة^١ والاختيار، وأبلغ في
التقدم إليكم في تزكية نفوسكم وتطهير قلوبكم لاعتقاد الحشر بما هو
ه أوضح من الشمس لا شبهة فيه^٢ ولا لبس لتنجوا من عذاب الدنيا
والآخرة بالاتصاف بالتقوى، والانخلاص من الفجور والطغوى .

وقال الأستاذ أبو جعفر ابن الزبير : لما تقدم في سورة البلد تعريفه
تعالى بما خلق فيه^٣ الإنسان من الكبد مع ما جعل له سبحانه من آلات
النظر، وبسط له من الدلائل والعبء، وأظهر في صورة من ملك قياده،
١٠ وميز رشده وعناده^٤ " وهديناه النجدين " " إنا هديناه السبيل " وذلك
بما جعل له من القدرة الكسبية التي حقيقتها اهتمام أو لم ؟ وأنى بالاستبداد
والاستقلال، ثم^٥ " وإله خلقكم وما تعملون " أقسم سبحانه وتعالى في
هذه السورة على فلاح من اختار رشده واستعمل جهده وأنفق وجده
" قد افلح من زكاها " وخيبة من غاب هداه فاتبع هواه " وقد خاب
١٥ من دساها " فبين حال الفريقين وسلوك الطريقين - انتهى .

ولما كان أعجب أمورها الفجور لما غلب سبحانه عليها من الخطوط
والشهوات، وهي تعلم بما لها من زاجر العقل بصحيح النقل أن^٦ الفجور

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : القوة (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : فيها .
(٣) زيد في الأصل و ظ : أى ، ولم تكن التزيات في ظ و م لحذفها (٤) من
ظ و م ، وفي الأصل : عناد (٥) في الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٦) من
ظ و م ، وفي الأصل : اذا .

أقبح القبيح ، و' التقوى لما أقام' عليها من [ملك - ٢] العقل الملوكى و غريزة العلم النورانى أحسن الحسن ، و تذوق أن الفجور أشهى شهى ، و أن التقوى أمر شئ .^٤ و أصعبه^٥ ، و أثقله و أتعبه ، قال معلما أن هذا لا يقدر عليه سواه لأنه أعجب من جميع ما مضى لأن البهيمة لا تقدم على ما يضرها و هى تبصر و لو قطعت ، و الآدمى يقدم على ما يضره .^٥ و هو يعلم و يقاتل من منعه منه ، فقال مسليا عما حذف^٦ من جواب القسم : (فاهمها) أى النفس إلهام الفطرة السابقة^٧ الأولى^٨ قبل الست بربكم^٩ ، (فجورها) أى انبعاثها^{١٠} فى الميل [مع -^٨] دواعى الشهوات و' عدم الخوف الحامل على خرق سباج / الشريعة بسبب ذلك الطبع ٧٧٢ / الذى عدل فيه ذاتها و صفاتها فى قسر المتنافات على التمازج غاية ١٠ التعديل (و تقوئها^{١١}) أى خوفها الذى أوجب سكونها و تحرزها بوقايات الشريعة ، فالآية من الاحتباك : ذكر الفجور أولا دال^{١٢} على السكون الذى هو ضده ثانيا ، و ذكر التقوى ثانيا دال^{١٣} على ضده ، و هو عدم الخوف أولا ، و إلهامها للآمرين هو جعله لها عارفة بالخير و الشر مستعدة و منهية لكل منهما ؛ ثم زاد ذلك بالبيان التام بحيث لم يبق لبس ، فزالت ١٥

(١) زيد فى الأصل : اما ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : غاب (٣) زيد من م (٤-٥) سقط ما بين الرقيين من ظ و م (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : حدث (٦) سقط من ظ و م (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : انبعاثاتها (٨) زيد من ظ و م (٩) زيد فى الأصل : هو ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : دلالة .

الشبه عقلا بالفريزة والإلهام ونقل بالرسالة والإعلام ، و دل بالإضافة على أن ذلك كله منسوب إليها و مكتوب عليها وإن كان بخلقه و تقديره لأنه أودعها قوة و جعل لها اختيارا صالحا لكل من النجدين ، و أوضح أمر النجدين في الكتب و على السنة الرسل عليهم الصلاة و السلام ٥ بعد ما وهبه لها من الفطرة القويمة و أحق عنها سر القضاء و القدر و علم العاقبة ، فأقام بذلك عليها الحجة و أوضح المحجة .

و لما كان من المعلوم أن من سمع هذا الكلام يعلم أن التقوى لا يكون إلا مأمورا بها ، و الفجور لا يكون إلا منها عنه ، فيتوقع ما يقال فيها ' مما يتأثر عنهما ' ، قال تعالى : ﴿ قد افلح ﴾ أى ظفر بجميع المراتد ١٠ ﴿ من زكّٰها ﴾ أى نماها و أصلحها و صفاها تصفية عظيمة بما يسره الله له من العلوم النافعة و الأعمال الصالحة و طهرها على ما يسره لمجانبتها ٢ من مذام الاخلاق لأن كلا ميسر لما خلق له ، و الدين بنى على التحلية و التخلية و دزكى ، صالح للنعين ﴿ و قد خاب ﴾ أى حرم مراده مما أعد لغيره فى الدار الآخرة و خسر و كان سعيه باطلا ﴿ من دسّٰها ﴾ أى أغواها ١٥ إغواء عظيما و أفسدها و دنس بحياها و قدرها و حقرها و أهلكتها بخباثت الاعتقاد و مساوئ الأعمال ، و قبائح النيات و الأحوال ، و أخفاها بالجهالة و الفسوق ، و الجلافة و العقوق ، و أصل "دسى" ، دسس ، فالتركيب أن يحرص (١) من ظ و م ، و فى الأصل : فيها (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : عنها . (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : لمجانبتها (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : كل . (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : فالتركيب .

الإنسان على شمس أنه لا تكسف، وقره أن لا يخسف، و نهاره أن لا يتكدر، و ليله ألا يطق، و التدسيس أقله إهمال الأمر حتى تكسف شمس، و يخسف قره، و يتكدر نهاره، و يدوم ليله، و طرق ذلك اعتبار نظائر المذكورات من الروحانيات^٢ و إعطاء كل ذى حق حقه، فنظير الشمس هي النبوة لأنها كلها ضياء باهر و صفاء قاهر، و ضخما الرسالة ه و قرها الولاية، و النهار هو العرفان، و الليل عدم طمأنينة النفس بذكر الله و ما جاء من عنده، و إعراضها عن الانقياد لقبول ما جاء من النبوة^٣ أو الولاية^٤، و العلماء العاملون هم / أولياء الله، قال الإمامان أبو حنيفة و الشافعي رضي الله عنهما: إن لم تكن العلماء أولياء الله فليس لله ولي - رواه عنهما الحافظ^٥ أبو بكر الخطيب^٦، و هو مذكور في التبيان وغيره من ١٠ مصنفات النووي، و نظير السماء العزة و الترفع عن الشهوات و عن خطوات الشاطين^٧ من الإنس و الجن، و الأرض نظيرها التواضع لحق الله^٨ و لرسوله و للمؤمنين فيكون بإخراجه المنافع^٩ لهم كالأرض المخرجة لنباتها، و التدسية خلاف ذلك، من عمل بالسوء فقد هضم نفسه و حقرها

(١) من ظ و م، و في الأصل: انتهاره (٢) من م، و في الأصل و ظ : الروحانيات (٣-٤) من ظ و م، و في الأصل : الاوياء (٤) من ظ و م، و في الأصل: الإمام (٥) زيد في الأصل: الحافظ، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها (٦-٧) من م ظ و في الأصل: الحظوظ طين (٧) زيد في الأصل: وغيره، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها (٨) من ظ و م، و في الأصل: المانع .

فأخفاها^١ كما أن اللثام ينزلون بطون الأدبية^٢ ومقاطعها بحيث تخفى
أماكنهم على^٣ الطارقين، و الأجواد ينزلون الروابي^٤، و يوقدون النيران
للطارقين، و يشهرون أماكنهم للضيفين منازل الأشراف في الأطراف
كما قيل :-

٥ قوم على المحتاج سهل وصلهم و مقامهم وعر على الفرسان

و لما كان السياق للترهيب بما دلت عليه سورة البلد و تقديم الفجور

هنا، و كان الترهيب أحث على الزكاء، قال دالا على خيبة المدسى ليعتبر

به من سمع خبره لاسيما إن كان يعرف أثره: (كذبت ثمود) أنك

فعلهم لضعف أثر تكذيبهم لأن كل سامع له يعرف ظلهم فيه لوضوح

١٠ آيتهم و قبح غايتهم، و ما لهم بسفول الهمم و قباحة الشيم، و خصهم^٥

لأن آيتهم مع أنها كانت أوضح الآيات في نفسها هي أدلها على الساعة،

و قريش و سائر العرب عارفون بهم لما يرون من آثارهم، و يتناقلون

من أخبارهم (بطعواها^٦) أى أوقعت التكذيب لرسولها بكل ما أتى

به عن الله تعالى بسبب ما كان لنفوسهم من وصف الطغيان، و هو

١٥ مجاوزة القدر و ارتفاعه و الغلو في الكفر و الإسراف في المعاصي

و الظلم، أو بما توعدهوا به من العذاب العاجل و هى الطاغية التى أهلكوا

(١) من ظ و م، و فى الأصل: و أخفاها (٢) من ظ و م، و فى الأصل:

الأرض (٣) من ظ و م، و فى الأصل: عن (٤) فى م: الربى (٥) من ظ

و م، و فى الأصل: المختار (٦) فى ظ: قبح (٧) من ظ و م، و فى الأصل:

خضتهم لاسيما إن كان يعرف.

بها ، و طغى - واوى يأتى يقال : طغى كدعا يطغو طغوى و طغوانا - بضمها
كطغى يطغى ، و طغى كرضى طغيا و طغيانا - بالكسر و الضم ، فالطغوى^١
- بالفتح اسم ، و بالضم مصدر ، فقلبت الياء - على تقدير كونه يائيا - واوا للفرقة
بين الاسم و الصفة ، و اختير التعبير به دون اليائى لقوة الواو ، فأفهم
أنهم بلغوا النهاية فى تكذيبهم ، فكانوا على الغاية^٢ من سوء تعذيبهم^٣ .
و لما ذكر تكذيبهم ، دل [عليه -^٤] بقوله : ((اذ)) أى تحقق تكذيبهم
أو طغيانهم بالفعل حين ((انبعث اشقيها)) أى أشد ثمود شقاء و هو عاقر
الناقة للمشاركة فى الكفر و الزيادة بمباشرة^٥ العقر ، و هو قدار بن سالف ،
أو هو [و -^٦] من ماله^٦ على عقرها ، فان أفعل التفضيل إذا أضيف
/ صالح للواحد و الجمع ((فقال لهم)) أى بسبب الانبعاث أو التكذيب ١٠ / ٧٧٤
الذى دل على قصدهم لها بالأذى ، و أظهر^٧ و لم يضمر و عين الإظهار بالجلالة
[إشارة -^٨] إلى عظيم آيتهم و بديع بدايتهم و نهايتهم فقال : ((رسول الله))
أى الملك الذى له الأمر كله ، فتعظيمه من تعظيم مرسله و هو صالح
عليه الصلاة و السلام و كذا الناقة ، و عبر بالرسول لأن وظيفته الإبلاغ
و التحذير الذى ذكرهنا ، ولذا قال مشيرا بحذف العامل إلى ضيق الحال ١٥
عن ذكره لعظيم الهول و سرعة التعذيب عند مسها بالأذى ، و زاد فى التعظيم

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : فالطغى (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : العناية .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : تكذيبهم (٤) زيد من م (٥) من ظ و م ،
و فى الأصل : بمشاهدة (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : و لاه (٧) من ظ و م ،
و فى الأصل : و عين الجهر (٨) زيد من ظ و م .

بإعادة الجلالة : ﴿ ناقة الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى له الجبروت كله
 فلا يقر من انتهك حرمة^١ واجترأ على ما أضافه إليه ، ولهذا أعاد الإظهار
 دون الإضمار ، والعامل : دعوا أو احذروا - أو نحو ذلك أى احذروا أذاها
 بكل اعتبار ﴿ وسقيها^٢ ﴾ أى الماء الذى جعله الله تعالى لها لسقيها وهو
 ٥ برّها ، فلا تذودوها عن برّها فى [اليوم -^٣] الذى تكون فيه نوبتها فى
 الشرب ولا تمسوها بسوء ، وكأنه صلى الله عليه وسلم فهم عنهم بعد
 مدة أنهم يريدون عقرها فكرر عليهم التحذير ﴿ فكذبوه ﴾ أى
 أوقعوا تكذيبه بسبب طغيانهم وعقب أمره هذا الأخير فيما حذر
 من حلول العذاب ، أو تكون الفاء هى الفصيحة أى قال لهم ذلك
 ١٠ فكانت [بعده -^٤] بينه وبينهم فى أمرها أمور ، فأوقعوا تكذيبه فيها كلها
 ﴿ ففكروها^٥ ﴾ أى بسبب ذلك التكذيب بعضهم بالفعل وبعضهم بالرضا
 به ﴿ فدمدم ﴾ أى عذب عذابا تاما مجللا مغظيا مطبقا مستأصلا شديدا
 به رؤسهم وأسرع فى الإجهاز وطحنهم طحنا^٦ مع الغضب الشديد ، قال
 الرازى : والدمدمة : تحريك البناء حتى ينقلب ، ودل بأداة الاستعلاء على
 ١٥ شدته وإحاطته فقال : ﴿ عليهم ﴾ ودل على شدة العذاب لشدة الغضب
 بلغت القول بذكر صفة الإحسان التى كفروها لأنه لا أشد غضبا من

- (١) من ظ و م ، وفى الأصل : حرمة (٢) زيد من ظ و م (٣) من م ، وفى
 الأصل وظ : بما (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : التكذيب (٥) سقط من م .
 (٦) فى ظ : متاصلا (٧) زيد فى الأصل : شديدا ، ولم تكن الزيادة فى ظ
 و م فحذفناها .

كفر إحسانه فقال: ﴿ ربهم ﴾ أى الذى أحسن إليهم ففرهم^١ إحسانه
فقطعه عنهم فعادوا كأمس الدابر ﴿ بذنبهم ﴾ أى بسببه .

و لما استوتوا فى الظلم و الكفر بسبب عقر الناقة بعضهم بالفعل
و بعضهم بالرضا و الحث ، قال مسيبا عن ذلك [و معقبا -^٢] : ﴿ فستوها^٣ ﴾

أى الدمدمة عليهم فجعلها كأنها أرض بولغ فى تعديلها فلم يكن فيها شيء .

[خارج عن شيء كا -^٢] سوى الشمس المقسم بها و سوى بين الناس

فيها ، [وكذا -^٢] ما أقسم به بعدها ، فكانت الدمدمة على قلوبهم كما كانت

على ضعيفهم^٢ / ، فلم تدع منهم أحدا و لم يتقدم هلاك أحد منهم^٤ على

أحد^٥ ، بل كانوا كلهم^٥ كنفس واحدة من قوة الصعقة و شدة الرجفة كما

أنهم استوتوا فى الكفر و الرضا بعقر الناقة و كل [نفس -^٢] هى عند ١٠

صاحبها كالناقة قد أوصى الله صاحبها أن يرعى نعمته سبحانه فيها فيزكيتها

و لا يبدسها ، فان الناقة عبارة عن مطية يقطع^٦ عليها السير حسا أو معنى ،

و ذلك صالح لأن يراد به النفس التى تقطع بها عقبات الأعمال ، و السقيا

ما يعيش المسقى به ، و هو صالح لأن يراد به الذكر و العبادة ، فمن [لم -^٢]

يرع النعمة^٧ و يشكر المنعم فقد عقرها ، فاستحق الدمدمة منه ، و كما^٨ أنه ١٥

سوى بينهم فى الدمدمة سوى بين المهتدين^٩ فى النجاة ﴿ ولا ﴾ أى و الحال

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : ففرهم (٢) زيد من ظ و م (٣) فى م : ضعيفهم .

(٤-٤) من ظ و م ، وفى الأصل : عن صاحبه (٥) سقط من ظ و م (٦) من ظ

و م ، وفى الأصل : يقع (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : النعم (٨) سقط من م

(٩) فى م : المهتدى .

أنه لا (يخاف)^١ في وقت من الأوقات أى ربهم ، روى ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما و يؤيده^٢ قراءة أهل المدينة و الشام بالقاء المسبية عن الدمدة [و التسوية -^٣] وكذلك^٤ هى فى مصاحفهم (عسفها)^٥ أى عاقبة هذه الدمدة و تبعثها فانه الملك الأعلى الذى^٦ كل شيء فى قبضته لا كما يخاف كل معاقب^٧ من الملوك فيبقى [بعض -^٨] الإبقاء .
 هـ . فعمل أنه سبحانه و تعالى يعلى أوليائه لأنهم على الحق ، و يسفل أعداءه^٩ لأنهم على الباطل ، فلا يضل بعد ذلك إلا هالك ، بصيرته^{١٠} أشد ظلما من الليل الحالك ، و قد رجع آخرها على أولها بالقسم و جوابه المحذوف الذى هو طبع النفوس على طبائع مختلفة و انتقدم إليهم بالإنذار ١٠ . من الهلاك ، و نفس القسم أيضا فان من له هذه الأفعال الهائلة التى^{١١} سوى بين خلقه [فيها -^{١٢}] و هذا التدبير المحكم هو بحيث لا يعجزه أمر و لا يخشى عاقبة - و الله الموفق للصواب^{١٣} .

(١) زيد فى الأصل : اى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٢) من م ، وفى الأصل وظ ؛ يؤيد (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : ذلك . (٥) من م ، وفى الأصل وظ ؛ فان (٦) زيد فى الأصل : له كل شيء . ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : معقب (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : أعداءهم (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : اعمى البصيرة قلبه (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : الذى (١١) زيد من م - (١٢) سقط من م .

سورة الليل

مقصودها الدلالة على مقصود الشمس، و هو التصرف التام في النفوس
بإثبات كمال القدرة بالاختيار باختلاف^٢ الناس في السعي مع^٣ اتحاد
مقاصدهم، وهى^٤ الوصول إلى الملاذ من شهوة البطن و الفرج و ما
يتبع ذلك من الراحة^٥، و اسمها الليل أوضح ما فيها^٦ على ذلك بتأمل هـ
القسم و الجواب، و الوقوع من ذلك على الصواب، و أيضا ليل نفسه دال
على ذلك لأنه على غير مراد النفس^٧ بما فيه من الظلام و النوم الذى
هو أخو الموت، و ذلك [مانع -^٨] عن أكثر المرادات، و مقتضى لاكثر
المضادات ﴿بسم الله﴾ الذى له العظمة الظاهرة^٩ و الحكمة الباهرة
﴿الرحمن﴾ الذى شملت نعمته إيماده و يانه^{١٠} المتواترة ﴿الرحيم﴾ الذى ١٠
خص من أرادته^{١١} / من عباده بما يرضيه، فجعله حامده و شاكره .

٧٧٦/

لما بين في الشمس حال من زكى نفسه و حال من دساها، و أوضح

-
- (١) اثنتان و اتسعون من سور القرآن الكريم، مكية، و عدد آياتها ٢١ .
(٢) من ظ و م، و فى الأصل: بخلاف (م) من ظ و م، و فى الأصل: بعد.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: هو (ه) زيد فى الأصل: واقعه أعلم، و لم تكن
الزيادة فى ظ و م لفظها (٦) من ظ و م، و فى الأصل: فيه (٧) فى ظ:
النفوس (٨) زيد من م (٩) من ظ و م، و فى الأصل: القاهرة (١٠) من ظ
و م، و فى الأصل: نجاه (١١) فى ظ و م: اراد .

في آخرها من مخالفة ثمود لرسولهم^١ ما أهلكهم، ففلم أن الناس محتلمون
 في السعي في تحصيل نجد الخير و نجد الشر، فمنهم من تغلب عليه ظلمة
 اللبس، ومنهم من يغلب عليه نهار الهدى، فتباينوا في مقاصدهم، و في
 مصادرهم ومواردهم، بعد أن أثبت [أنه -^٢] هو الذي تصرف في النفوس
 بالفجور و التقوى، أقسم أول هذه بما يدل على عجائب صنعه في ضره
 ونفعه على ذلك، تنبيها على تمام قدرته في أنه الفاعل بالاختيار، يحول
 بين المرء و قلبه حتى يحمله على^٣ التوصل إلى مراده، بضد ما يوصل
 إليه بل بما يوصل إلى مضاده، [و-^٤] على أنه لا يكاد يصدق الاتحاد
 في القصد و الاختلاف في^٥ السعي و التوصل^٦، و شرح جزاء كل^٧ تحذيرا
 ١٠ من نجد الشر و ترغيبا في نجد الخير، و بين ما به التزكية و ما به التدمية
 فقال: ﴿وَاللَّيْلِ﴾ أي الذي هو آية الظلام الذي هو سبب الخبط
 و الخبط^٨ لما يحدث عنه من الإشكال و اللبس في الاحوال و الالهال
 الموصل إلى ظلمة العدم، و هو محل الأسرار بما يصل الأخيار و يقطع
 الأشرار: ﴿إِذَا يَغْشَىٰ﴾ أي يغطي ما كان من الوجود^٩ مبصرا بضياء
 ١٥ النهار على التدريج قليلا قليلا، و ما يدل عليه من جليل مبدعه، و عظيم

(١) في م: لرسولهم (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، وفي الأصل: إلى.
 (٤-٤) في ظ و م: التوصل والسعي (٥) زيد في الأصل: به، ولم تكن
 الزيادة في ظ و م لحذفها (٦) من ظ و م، وفي الأصل: الخبط (٧) زيد
 في الأصل و ظ: ما كان، ولم تكن الزيادة في م لحذفها.

ماحقه و مطلعته ﴿ و النهار ﴾ [أى - ١] الذى هو سبب ٢ انكشاف
 الامور ٣ كالموت الذى يزيل عن الروح علائق البدن فينجلى لها ما كانت
 فيه من القبائح ، و الجهر الذى يشرح النفس بازالة اللبس ﴿ اذا تجلّى لا ﴾
 أى ظهر ظهورا عظيما بضياء ٤ الشمس ، و أظهر ما كان خفيا فلم يدع
 لبصر شيئا من لبس ، فمن كان يريد السر قصد الليل ، و من أراد الجهر ٥
 قعد النهار سواء كان من الارار أو من الفجار .

ولما ذكر المتخاطبين معنى ، أتبعهما المتخاطبين ٦ حسا ، فقال مصرحا
 فيها بما هو مراد فى الأول ، و خص هذا بالتصريح تنبيها على انه
 - [لكونه - ١] عاقلا - عاقد يغلط فى نفسه فيدعى الإلهية أو الاتحاد ،
 أو غير ذلك من وجوه الإلحاد ﴿ و ما خلق ﴾ و حكم التعبير بما ٦ ١٠
 الأغلب فيه غير العقلاء ما تقدم فى سورة ٧ الشمس من تنبيههم على أنهم
 [لما - ١] أشركوا به سبحانه و تعالى ما [لا - ١] يعقل نزوله ٨ تلك المنزلة
 و قد أحاط ٩ بكل شيء ، و هو الذى خلق العلماء ، و هم لا يحيطون به علما
 [مع - ١] ما يفيد [ما - ١] من التعجب ١٠ منهم فى ذلك لكونها صيغة التعجب ١١

(١) زيد من ظ و م (٢ - ٢) من ظ و م ، وفى الأصل : الانكشاف
 للأمور (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : اظهر (٤) من ظ و م ، وفى
 الأصل : الخير (٥) من م ، وفى الأصل وظ : المخاطبين (٦) زيد فى الأصل : هو ،
 و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : السورة .
 (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : نزوله (٩) من ظ ، وفى الأصل و م : احاطوا .
 (١٠) فى م : التعجب .

(الذكر) اى حيا بآلة الرجل ومعنى بالهمة والقوة (والانثى لا) حيا بآلة المرأة ومعنى بسفول الهمة وضعف القوة وما دلا عليه من عظيم الاصطناع، و باهر الاختراع والابتداع، فانه دل فرقة بينهما / وهما من غير؟ واحدة وهى التراب على تمام قدرته المستلزم لشمول علمه و فعله بالاختيار، فالآية [من الاحباك - ٢]: ذكر أولا الصنعة دلالة على حذفها ثانيا، وثانيا الصانع دلالة على حذفه أولا.

ولما ذكر ما هو محسوس التخالف من المعانى والأجرام، أتبعه ما هو معقول التباين من الأعراض فقال: (ان سعيكم) أى عملكم أيها المكلفون فى التوصل إلى مقصد واحد. ولذلك أكدته لأنه لا يكاد يصدق اختلاف وجوه السعى مع اتحاد^٢ المراد، وعبر بالسعى ليزل كل فى^٣ عمله غاية جهده (لشئ^٤) أى مختلف^٥ اختلافا شديدا باختلاف ما تقدم، وهو جمع شئت كقتلى وقيل، فيكون الإنسان رجلا وهو أى الهمة، ويكون أنثى وهو ذكر الفعل، فتنايفتم فى الاعتقادات، وتعاذتم فى المقالات، وتباينتم غاية التباين بأفعال طيبات وخيئات، فساع فى فكاك نفسه، وساع فى إيثامها، فلم قطعا أنه لابد من محق ومبطل ومرض^٦ ومنفضب^٧ لأنه لا جائز أن يكون المتباينان متحدين^٨

(١) من ظ و م، وفى الأصل: القدرة (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد فى الأصل؛ وجود، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٤) من م، وفى الأصل و ظ: من (هـ) من ظ و م، وفى الأصل: مختلفا (٦) من ظ و م، وفى الأصل: راض (٧) من ظ و م، وفى الأصل: متحيدان .

في الوصف بالإرضاء أو الإغضاب ، فبطل ما أراد المشتركون من قولهم
 ”لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء“ - [الآية ١ -] وما ضاهاها .
 وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما بين قبل حالهم في الافتراق ،
 أقسم سبحانه على ذلك الشأن في الخلائق بحسب تقديره أزالا ”ليلوهم
 أيهم احسن عملا“ فقال تعالى ”ان سعيكم لشتى“ فاتصل بقوله تعالى ه
 ”قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها“ ثم إن قوله تعالى ”فاما من
 أعطى واتقى - إلى - العسرى“ يلائمه تفسيره وتذكيرا بما الامر عليه من
 كون الخير والشر بارادته وإلهامه وبحسب السوابق قوله ”فألهما فجورها
 وتقواها“ فهو سبحانه الملهم للاعطاء والاتقاء والتصدق ، والمقدر للبخل
 والاستغناء والتكذيب ”والله خلقكم وما تعملون“ ”لايسئل عما يفعل“ ١٥
 ثم زاد ذلك إيضاها بقوله تعالى ”ان علينا للهدى وان لنا للآخرة
 والاولى“ فتبا للقدرية والمعتزلة ”وكاين من آية في السموات
 والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون“ - [انتهى - ٢] .

ولما طابق بين القسم والمقسم عليه ، ونبه بالقسم والتأكيد مع
 ظهور المقسم عليه على ه أنهم في أمنهم مع التحذير كن ٦ يدعى أنه ١٥
 لافرق وأن مآل الكل واحد كما يقوله أصحاب الوحدة - عليهم الخزي
 واللعنة ، شرع في بيان تشتت المساعي وبيان الجزاء لها ، فقال مسيبا

(١) زيد من م (٢) من ظ وم ، وفي الأصل : هذا (م) تكرور في الأصل
 فقط (٤) زيد من ظ وم (٥) من ظ وم ، وفي الأصل : مع (٦) من ظ وم ،
 وفي الأصل : ممن .

عن اختلافهم ما هو مركز في الطباع من أنه لا يجوز تسوية المحسن بالمسيء. ناسرا لمن زكى نفسه أو دساها نشرًا مستويا إيدانا بأن المطيع في هذه الأمة - والله الحمد - كثير بشارة لنيها^٢ صلى الله عليه وسلم : ﴿ فاما من اعطى ﴾ أى رقع منه إعطاء على ما حددنا له^٣ وأمرناه به ﴿ واتقى ﴾ أى وقعت منه التقوى وهو اتخاذ الوقايات من الطاعات واجتناب المعاصي / خوفا من سطواتنا ﴿ وصدق ﴾ أى اوقع التصديق للخبر ﴿ بالحسنى ﴾ أى وهى كلمة العدل التى هى أحسن الكلام من التوحيد وما يتفرع عنه من الوعود الصادقة بالآخرة والإخلاف فى النفقة فى الدنيا وإظهار الدين وإن قل أهله على الدين كله، وغير ذلك من كل ما وعد به الرسول صلى الله عليه وسلم عن الله سبحانه وتعالى، وعدل الكلام إلى مظهر العظمة إشارة إلى صعوبة الطاعة على النفس وإن كانت فى غاية اليسر فى نفسها لأنها فى غاية الثقل على النفس فقال : ﴿ فستيسره ﴾ أى نهيه^٤ بما لنا من العظمة بوعد لاخلف فيه ﴿ لليسرى ﴾ أى الخصلة التى هى فى غاية اليسر والراحة من الرحمة ١٥ المقتضية للعمل بما يرضيه سبحانه وتعالى ليصل إلى ما يرضى به^٥ من

/ ٧٧٨

- (١) من ظ وم ، وفى الأصل : والمسى (٢) من ظ وم ، وفى الأصل : لبيتنا .
(٣-٢) من ظ وم ، وفى الأصل : حددناه (٤) من ظ وم ، وفى الأصل : الاخلاق (٥) زيد فى الأصل و ظ : بما ، ولم تكن الزيادة فى م لحذفناها .
(٦) زيد فى الأصل : به ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم لحذفناها (٧-٧) من ظ وم ، وفى الأصل : يرضيه .

الحياة الطيبة^١ ودخول الجنة .

ولما ذكر المزمكى وثمرته، أتبعه المدسّى وشقوته فقال: ﴿ واما من بخل ﴾
 أى أوجد هذه الحقيقة الخبيثة فتمنع ما أمر به وندب إليه ﴿ واستغنى لا ﴾
 أى طلب الغنى عن الناس وعمّا وعد به من الثواب وأوجده بما زعمت
 له^٢ نفسه الخائبة، وظنونه الكاذبة . فلم يحسن إلى الناس ولا عمل^٥
 للعقبى: ﴿ وكذب ﴾ أى أوقع التكذيب أن يستحق التصديق ﴿ بالحسنى لا ﴾
 أى فأنكرها . ولما^٣ كان جامدا مع المحسوسات كالبهائم قال^٤: ﴿ فسنيسره ﴾
 أى نهشته بما لنا من العظمة بوعده لا خلف فيه ﴿ للعسرى^٥ ﴾ أى للنخلة
 التى هى أعسر الأشياء وأنكدّها، وهى العمل بما يغضبه سبحانه الموجب
 لدخول النار وما أدى إليه، وأشار بنون العظمة فى كل من نجد الخير^{١٠}
 ونجد الشر إلى أن ارتكاب الإنسان اسكل منهما فى غاية البعد، أما نجد
 الخير فلما حفه من المكاره، وأما نجد الشر فلما فى العقل والقطرة
 الأولى من الزواجر عنه، وذلك كله أمر قد فرغ منه فى الأزل
 بتعيين أهل السعادة وأهل الشقاوة^٦ [وكل -^٧] - كما قال صلى الله
 عليه وسلم - مبسر لما خلق له . .
 ١٥

ولما كان أهل الدنيا إذا^٨ وقعوا فى ورطة تخلصوا منها بأموالهم

(١) زيد فى الأصل: الأبدية، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٢) من
 ظ و م، وفى الأصل: به (٣) سقط من ظ و م (٤) زيد من م (٥) من م،
 وفى الأصل و ظ: اذ .

قال: ﴿وما يغني﴾ أي في تلك الحالة ﴿عنه﴾ أي هذا الذي بخل وكذب ﴿مالة﴾ أي الذي بخل به رجاء نفعه، ويجوز أن يكون استفهاما إنكاريا فيكون نافيا للاغناء على أبلغ وجه ﴿إذا تردى﴾ أي هلك بالسقوط في حفرة القبر و النار، تفعل من الردى وهو الهلاك والسقوط في بئر.

ولما كان ربما قال المتعنت الجاهل بما له سبحانه وتعالى من العظمة التي لا اعتراض لأحد عليها: ما له^٢ لا ييسر الكل للحسنى، استأنف جوابه مبينا ما ألزم به نفسه من المصالح تفضلا منه بما له من اللطف والكرم وما / يفعله بما هو له من غير نظر إلى ذلك بما له من الجبروت والكبر، فقال مؤكدا تنبيها على أنه يجب العلم بأنه لا حق لأحد عليه أصلا: ﴿ان علينا﴾ أي على ما لنا من العظمة ﴿للهدى﴾ أي البيان للطريق للحق وإقامة الأدلة الواضحة على ذلك.

ولما بين ما ألزمه نفسه المقدس فصار كأنه عليه لنحتم وقوعه فكان ربما أوهم أنه يلزمه^٥ شيء، أتبعه ما ينفيه ويفيد أن له غاية التصرف [١٥ - فلا يعسر عليه شيء أراده فقال: ﴿وان لنا﴾ أي بإيها المنكرون خاصا بنا، و قدم ما العناية به أشد لأجل إنكارهم لا للفاصلة، فانه يفيدها مثلا أن يقال: للعاجلة والأخرى، فقال: ﴿الأخرة والاولى﴾

(١) زيد في الأصل: اذا، ولم تكن الزيادة في ظ و م فخذناها (٢) من ظ و م، وفي الأصل: ما (٣) من ظ و م، وفي الأصل: المصالح (٤-٤) من ظ و م، وفي الأصل: بيان الطريق للحق (٥) من م، وفي الأصل وظ: الزمه. (٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م.

فن ترك ما بينا له من طريق الهداية لم يخرج عن كونه لنا ولم يضر
إلا نفسه ولنا التصرف [التام، بما نقيم من الأسباب المقربة للشيء
جدا، ثم بما نقيم من الموانع الموجبة لبعده غاية البعد، فنعطى من
نشأ ما نشأ 'ونمنع من نشأ ما نشأ'، ومن طلب منهما شيئا من غيرنا
فال رأيه وخاب سعيه، وليس التقديم لأجل الفاصلة، فقد ثبت بطلان ه
هذا وأنه لا يحل اعتقاده في غير موضع، منها آخر سورة براءة، وأنه
لا فرق بين أن يعتقد^٢ أن فيه شيئا موزونا بقصد الوزن فقط ليكون
شعرا، وأن يعتقد أن فيه [شيئا - ٢] قدم أو آخر لأجل الفاصلة
فقط ليكون سجعا، على أنه لو كان [هذا - ٢] لأجل الفاصلة فقط
لكان يمكن أن يقال: للاولى - أو للأولة - و' الأخرى مثلا . ١٠

ولما أخبر سبحانه وتعالى أنه ' ألزم نفسه المقدس البيان، وأن له
كل شيء، المستلزم لإحاطة العلم وشمول القدرة، شرح ذلك بما سبب
عنه من قوله لافتنا القول إلى تجريد الضمير من مظهر العظمة للترفق^٦
بالمخاطبين في تبعيد الوهم و تقريب الفهم فقال : ﴿ فأنذرتكم ﴾ أى
حذرتكم أيها المخالفون للطريق الذى بينته ﴿ نارا تلظى ﴾ أى تنقد ١٥
وتتلهب تلهبا هو فى غاية الشدة من غير كلفة فيه على موقدا أصلا

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من م (٢) زيد فى الأصل : فيه، ولم تكن
الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد من م (٤) من ظ و م، وفى
الأصل : او (٥) من م، وفى الأصل و ظ : ان (٦) من ظ و م، وفى
الأصل : بالرفق .

ولا أحد من خزنتها - بما اشار إليه إسقاط التاء، وفي الإدغام أيضا إشارة إلى أن أدنى نار الآخرة كذلك، فيصير إنذار ما يتلظى^١ وما فوق ذلك من باب الأولى .

ولما كان قد تقدم غير مرة تخصيص كل من المحسن والمسيء
 ٥ بداره بطريق الحصر إنكارا لأن يسوى محسن بمسيء في شيء، وكان الحصر بـ "لا" و "إلا" أصرح أنواعه قال: ﴿ لا يصلها ﴾ أى يقاسى^٢ حرها و^٣ شدتها على طريق اللزوم والانغماس ﴿ الا الاشقى لا ﴾ أى الذى هو فى الذروة من الشقاوة وهو الكافر، فان الفاسق وإن دخلها لا يكون^٤ ذلك له^٥ على طريق اللزوم، ولذلك وصفه بقوله تعالى:
 ١٠ ﴿ الذى كذب ﴾ أى أفسد قوته العملية^٦ بأن أوقع التكذيب بما حقه التصديق ﴿ وتولى^٧ ﴾ أى أفسد قوته العملية بأن أعرض عن الحق تكبرا وعنادا فلم يؤت^٨ ماله لزكاة نفسه ﴿ وسيجنها ﴾ أى النار الموصوفة بوعد لاخلف فيه عن قرب - بما أفهمته السين من التأكيد / مع التنفيس، وتجنبيه له فى غاية السهولة - بما أفهمه البناء للفعول ﴿ الاتقى^٩ ﴾ / ٧٨٠
 ١٥ أى الذى أسس قوته العملية^{١٠} أمكن تأسيس، فكان فى الذروة^{١١} من رتبة التقوى وهو الذى اتقى الشرك والمعاصى، وهو يفهم أن من لم يكن^{١٢}

(١) زيد فى ظ : منه (٢-٣) سقط ما بين الرقين من ظ و م (٣-٣) من م ،
 وفى الأصل و ظ : له ذلك (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : العملية (٥) زيد
 فى الأصل و ظ : من ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٦ - ٦) سقط
 ما بين الرقين من ظ .

[في الذروة-^١] لا يكون كذلك ، فان الفاسق يدخلها ثم يخرج منها ، ولا ينافي الحصر السابق .

ولما ذكر ما يتعلق بالقوة العلية ، أتبعه ما ينظر^٢ إلى القوة^٣ العملية فقال : (الذي يؤتى ماله) أى يصرفه فى مصارف الخير ، ولذلك بينه بقوله تعالى : (يزكى^٤) أى يتطهر من الاوضاع^٥ والادناس^٥ بتطهيره^٦ نفسه و تنميتها بذلك الإتياء بالبعد عن مساوئى الاخلاق ولزوم محاسنها لأنه ما كذب و [ما -^١] تولى ، والآية من الاحتباك : ذكر التكذيب أولا دليلا على حذف ضده ثانيا ، وإتياء المال ثانيا دليلا على حذف ضده أولا^٧ .

ولما كان الإنسان قد يعطى ليزكى نفسه بدفع مائه ومكافأة نعمته^٨ . قال : (وما) أى و الحال أنه ما (لاحد عنده) وأغرق فى التنى فقال : (من نعمة تجزى^٩) أى [هى -^{١٠}] بما يحق جزاؤه لأجلها . ولما تبنى أن يكون بذلك قصد مكافأة ، قال مينا قصده باستثناء منقطع : (الا) أى لكن قصد بذلك (ابتغاء) أى طلب و قصد ، ولقت القول إلى صفة الإحسان إشارة إلى^{١١} وصفه بالشكر فقال : (وجه ربه)^{١٢}

(١) زيد من م (٢-٣) من ظ و م ، وفى الأصل : فى (٣) من م ، وفى الأصل وظ : الأصار (٤) فى ظ و م : بتطهره (٥) زيد فى الأصل : انتهى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٦) زيدت الواو فى الأصل وظ ، ولم تكن فى م لحذفناها (٧) زيد من ظ و م (٨) زيد فى الأصل وظ : ان ، ولم تكن الزيادة فى م لحذفناها .

الذى اوجده و ربه و احسن إليه^١ بحيث أنه لم ير^٢ إحسانا إلا منه
و لا عنده شيء إلا وهو من فضله (الاعلى ٤) أى مطلقا فهو أعلى من
كل شيء، فلا يمكن أن يعطى أحد من نفسه شيئا يقع مكافأة له،
و عبر عن المنقطع بأداة المتصل للإشارة إلى أن الابتغاء المذكور كأنه
نعمه من آتاه المال لأن الابتغاء - وهو تطلب رضا الله - كان السبب في

ذلك الإيتاء بغاية الترغيب، و قد آل الأمر بهذه العبارة الرشيقة والإشارة
[الآنيقة -^٤] مع ما أومأت إليه من الترغيب، و أعطته من التحبيب إلى
أن المعنى : [إنه -^٥] لا نعمى عليه^٦ لأحد في ذلك إلا لله، و عبر بالوجه
إشارة إلى أن قصده أعلى القصود فلا نظر له إلا إلى ذاته سبحانه و تعالى
١٠ التى عبر عنها بالوجه لأنه^٧ أشرف الذات، و بالنظر إليه تحصل الحياة
و الرغبة و الرهبة، لا إلى طلب شيء من دنيا و لا آخرة . و لما كان

هذا مقاما ليس فوقه مقام، قال تعالى بعد وعده من الإنجاء من النار :
(و اسوف يرضى ع) أى باعطاء الجنة العليا و المزيد بوعده لاخلف فيه
بعد المذلة في الحياة الطيبة - بما أشارت إليه أداة التنفيس و لا بدع^٨ أن

(١) زيد في الأصل : بانه ، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها (٢) من ظ
و م ، و في الأصل : لا يرى (م) زيد في الأصل : سيب ، مع قدر من البياض ،
و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها (٤) زيد من ظ (٥) زيد من م .
(٦-٦) من م ، و في الأصل : لا يعنى عليه ، و في ظ : لا نعمة عليه (٧) من
ظ و م ، و في الأصل : لأنها (٨) من ظ و م ، و في الأصل : لا بد .

يكون هذا الوعد على هذا الوجه الأعلى لأن الآية نزلت في أبي بكر
الصديق رضي الله عنه / حين اشترى بلالا رضي الله عنه في جماعة من
الضعفاء المسلمين يؤذيهم المشركون فأعتقهم ، فبين تعالى أنه مطبوع على
تزكية نفسه فهو المفلح كما ذكر في سورة الشمس ، وأنه مخلص لإعطائه
الضعفاء من الأيتام والمساكين وإعتاقه الضعفاء في كل حال كما ذكر ه
في سورة البلد ، نقل^١ البغوي^٢ رضي الله تعالى عنه عن الزبير [يعنى -^٣]
ابن بكار أنه [قال -^٤] : كان أبو بكر رضي الله عنه يبتاع الضعفاء فيعتقهم
فقال [له -^٥] أبوه : أي بني^٦ ! لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك ، قال : منع
ظهري أريد . وقال : إنه أعتق بلالا و أم عميس و زهرة^٧ فأصيب^٨
بصرها حين أعتقها ، فقالت^٩ قريش : ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى ، ١٠
فقالت^{١١} : كذبوا و بيت الله ، ما تضر اللات والعزى ولا تنفعان^{١٢} ، فرد الله
عليها بصرها ، و أعتق التهذية و ابنتها و جارية بني المؤمل . و قال : إنه
اشترى بلالا من أمية بن خلف استنقاذا له عما كان فيه من العذاب
(١) من ظ وم ، وفي الأصل : روى (٢) راجع المعالم ٢١٣/٧ (٣) زيد من ظ
وم (٤) من م ، وفي الأصل وظ : فني يضر (٥) من المعالم ، وفي الأصل
وظ : زهير ، وليس واضحاً في م (٦) من ظ والمعلم ، وفي الأصل وم :
فكف (٧) من ظ وم والمعلم ، وفي الأصل : فقال (٨) زيد في الأصل :
ردا عليهم ، ولم تكن الزيادة في ظ وم لحذفناها (٩) من ظ وم والمعلم ،
وفي الأصل : لا ينفعنا - كذا .

'حين كان يشد يديه ورجليه وقت الهجرة ويلقيه عريانا على الرمضاء
 و يضربه، و كلما ضربه صاح و نادى: أحد أحد، فزيده ضربا فاشتراه'
 'بعد كان لآبي بكر رضى الله عنه'، كان ذلك العبد صاحب عشرة آلاف
 دينار و غلمان و جوار و مواش و 'كان مشركا، فلما اشتراه به و أعنته قال
 المشركون: ما فعل هذا ببلال إلا ليد كانت لبلال عنده، يعنى فأزل الله
 ذلك تكذيبا لهم، و من أبدع الأشياء تعقيبها بالضحى الى هى فى النبى
 صلى الله عليه و سلم و فيها: "ولسوف يعطيك ربك فترضى" إشارة إلى
 إنه أقرب أمته إلى مقامه صلى الله عليه و سلم ما عدا عيسى صلى الله عليه
 و سلم لأنه الاتقى بعد النبيين مطلقا، و إلى [أن -'] خلافته حق لا مرية
 ١٠ فيه لأنه لما وعد النبي صلى الله عليه و سلم أنه يرضيه و أنه لا يرضيه'
 غيره كما أنه أرضاه خلافته له فى الصلاة و لم يرضه غيره حين نهى
 عن ذلك بل زجر لما سمع قراءة' غيره و قال: يابى الله و المؤمنون
 إلا أبا بكر رضى الله عنه. و قد رجع آخرها على أولها بأن سعى هذا
 الصديق رضى الله عنه مبين آتم مباينة سعى ذلك الأشقى، و قال بعضهم:

(١-١) سقط ما بين الرقعين من ظ و م (٢-٢) من ظ و م، وفى الأصل: أبو بكر
 رضى الله عنه بعد كان له (٣) من ظ و م والعالم، وفى الأصل: له (٤) زيد فى
 الأصل: لكن، و لم تكن الزيادة فى ظ و م والعالم لحذفها (٥) زيد فى الأصل:
 أيضا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٦) زيد من ظ و م (٧) من
 ظ و م، وفى الأصل: لا يرضى (٨) من م، فى الأصل و ظ: عنه (٩) من ظ
 و م، وفى الأصل: قراءته.

إن المراد بذلك^١ الأشق أبو جهل، وأيضاً فإن [هذا -^٢] الختم دال على أن من صفى نفسه و زكاها بالتجلي بالنور^٣ المعنوى من إنارة ظلام الليل بما يحليه به من ضياء القيام و غير ذلك من أنواع الخير يرضى بالنور^٤ الحسى بعد الموت - والله الموفق للصواب؛.

(١) زيد في الأصل : الى قوله ، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها .
 (٢) زيد من ظ و م (٣) زيدت ابواب في الأصل ولم تكن في ظ و م فحذفناها (٤) سقط من ظ و م .

سورة الضحى

مقصودها الدلالة على آخر الليل بأن أتقى الاتقياء الذى هو الاتقى على الإطلاق فى عين / الرضا دائما، لا ينفك عنه فى الدنيا والآخرة، لما تحلى به من صفات الكمال التى هى الإيصال للمقصود بما لها^٢ من النور المعنوى كالضحى بما له من النور الحسى الذى هو أشرف ما فى النهار، وقد علم بهذا أن اسمها أدل ما فيها على مقصودها ﴿ بسم الله ﴾ المعز لمن أراد، الكريم البر الودود ذى الجلال والإكرام ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم بعلمته^٣ الإيجاد الخاص والعام ﴿ الرحيم ﴾ الذى أعلى أهل وده فخصهم بآتمام الإنعام .

/ ٧٨٢

لما حكم فى آخر الليل باسعاد الاتقياء، وكان النبي صلى الله عليه وسلم أتقى الخلق مطلقا، وكان قد قطع عنه الوحي حين ابتلاء لمن شاء من عباده، وكان به صلى الله عليه وسلم صلاح الدين والدنيا والآخرة، وكان الملوان سبب [صلاح^٤] معاش الخلق وكثير من معادهم، أقدم سبحانه وتعالى بهما^٥ على أنه أسعد الخلاق دنيا

(١) الثالثة والتسعون من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آياتها ١١ (٢) من م، وفى الأصل وظ : له (٣) من ظ، وفى الأصل وم : بنعمة (٤) زيد من م (٥) من ظ وم، وفى الأصل : كثر (٦ - ٦) من ظ وم، وفى الأصل : بهم سبحانه وتعالى .

و أخرى ، فقال مقدا ما يناسب^١ حال الاتق الذى قصد به أبو بكر
رضى الله عنه قصدًا أوليا من النور الذى يملأ^٢ الاقطار ، ويمحو كل
ظلام يرد عليه ويصل إليه ، مفهما بما ذكر من وقت الضياء الناصع حالة
أول النهار و آخر الليل التى هى ظلمة ملتف بساقها ساق النهار عند
الإسفار : ﴿ والضحي لا ﴾ فذكر ما هو أشرف النهار و الطفه و هو زهرته ، و
وأضوأه و هو صدره ، و ذلك وقت ارتفاع الشمس لأن المقسم لأجله
أشرف الخلائق ، و ذلك يدل على أنه يبلغ من الشرف ما لا يبلغه أحد
من الخلق^٣ .

ولما ذكر النهار بأشرف ما فيه مناسبة لأجل المقسم لأجله ، أتبعه
الليل مقيدا له بما يفهم إخلاصه^٤ لأنه ليس لأشرف ما فيه اسم يخصه^٥
فقال : ﴿ واليل ﴾ أى الذى به تمام الصلاح . ولما كان أوله و آخر
النهار و آخره و أول النهار [ضوا -^٦] ممتزجا بظلمة لالتفاف ساق
الليل بساق النهار ، قيد بالظلام الخالص فقال : ﴿ اذا سبى لا ﴾ أى سكن
أهله أو ركذ ظلامه و إلباسه و سواده و اعتدل فخلص فغطى بظلامه
كل شيء ، و المتسجى : المتغطى ، ومع تغطيته سكنت ربحه ، فكان فى غاية^٧
الحسن ، ويمكن أن يكون [الأول -^٨] مشيرا إلى ما يأتى به هذا الرسول
صلى الله عليه وسلم من المحكم ، و الثانى مشيرا إلى المتشابه ، و هذه الأربعة
(١) من ظ و م ، و فى الأصل : ينافى (٢) زيد فى الأصل : و الله أعلم ،
و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفنا (٣) فى ظ : أخلصه (٤) زيد من م .
(٥) زيد من ظ و م .

الأحوال^١ للنور و الظلمة - وهى ضوء ممتزج بظلمة^٢، [وظلمة -^٣] ممتزجة بضوء، وضياء خالص، وظلام خالص - الحاصلة^٤ فى الآفاق فى الإنسان مثلها، فروحه نور خالص، وطبعه ظلام حالك، و قلبه نور ممتزج بظلمة النفس، و النفس ظلمة ممتزجة بنور القلب، فان قويت شهوة النفس على نورانية القلب اظلم جميعه، و إن قويت نورانية القلب على ظلمة النفس صار نورانيا، و إن غلبت / الروح على الطبع تروخن فارفع^٥ عن رتبة الملائكة، و إن غلب الطبع على الروح أنزله عن رتبة البهائم كما قال تعالى «ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا» .

/ ٧٨٣

و لما أقسم بهذا [القسم -^٦] المناسب لحاله صلى الله عليه وسلم،
 ١٠ أجابه بقوله تعالى : ﴿ ما ودعك ﴾ أى تركك تركا يحصل به فرقة كفرقة المودع و لو على احسن الوجوه الذى هو مراد المودع^٧ ﴿ ربك ﴾ أى الذى أحسن إليك بايجادك أولا ، و جعلك أكمل الخلق ثانيا، ورباك أحسن تربية ثالثا، كما أنه لا يمكن توديع الليل للنهار بل^٨ الضحى للنهار الذى هو أشد ضيائه، و لا يمكن توديع الضحى للنهار و لا الليل وقت مجهوله^٩ .
 ١٥ و لما كان ربما تغنت متغنت فقال : ما تركه و لكنه لا يجبه^{١٠}، فكم

(١) من ظ و م . وفى الأصل : احوال (٢) زيد من م (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : الحاصل (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : و انتفع و ارتفع (٥) زيد فى الأصل : قال ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فخذفناها (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : ولا (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : اى (٨) من م ، وفى الأصل وظ : النهار ليل (٩) فى م : ليل (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : كما قيل .

من مواصل وليس بواصل ، قال نافيًا لكل رك : ﴿ وما قلتي ﴾ اى
وما أبغضك بغضًا ما ، وحذف الضمير اختصارًا^١ لفظًا ليعم ، فهو من
تقليل اللفظ لتكثير المعنى ، و^٢ ذلك لأنه كان انقطع عنه الوحي مدة لأنهم
سألوه عن الروح و قصة أهل السكف و ذى القرنين فقال : أخبركم
بذلك غدا ، و لم يستثن ، فقالوا : [قد -^٣] ودعه ربه و قلاده ، فنزلت ه
لذلك ، و لما نزلت كبر صلى الله عليه وسلم فكان التكبير فيها و فيما بعدها
سنة كما يأتى إيضاحه و حكمته^٤ آخرها ، و قد أفهمت هذه العبارة
أن المراتب التقريبية^٥ اربع : تقرب بالطاعات و محبة و هى للمؤمنين ،
و إبعاد بالمعاصى و بغض و هى للكفار ، و تقرب بالطاعات مخلوط بتباعد
للمعاصى و هى لعصاة المؤمنين ، و إعراض مخلوط بتقريب بصور طاعات ١٠
لا قبول لها و هى لعباد الكفار .

و قال الأستاذ أبو جعفر ابن الزبير : لما قال تعالى ” فاهلمها فجورها
و تقواها “ ثم أتبعه بقوله ” فى الليل “ ” فسيسره “ و بقوله ” ان علينا للهدى
و إن لنا للآخرة [و الاولى] -^٢ “ ، فلزم الخوف و اشتد الفزع و تعين
على الموحد الإذعان للتسليم و التضرع فى^٣ التخلص و التجاؤه إلى ” السميع ١٥
العليم ، أنس تعالى أحب عباده إليه و أعظمهم منزلة لديه ، و ذكر [له -^٢]

- (١) من م ، و فى الأصل : اختيارا ، و الكلمة سافطة من ظ (٢ - ٢) فى ظ
و م ؛ ذلك (٣) زيد من ظ و م (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : حكمة .
(٥) من ظ و م ، و فى الأصل : الترتيب (٦ - ٦) سقط ما بين الرقین من م .
(٧) من ظ و م ، و فى الأصل « و » .

ما منحه من تقريبه و اجتنائه و جمع خير^١ الدارين له فقال تعالى "و الضحى
و الليل اذا جى ما ودعك ربك و ما قلى و الآخرة خير لك من
الاولى" ثم عدد تعالى [عليه -^٢] نعمه بعد وعده الكريم له بقوله
["ولسوف يعطيك ربك فترضى" و أعقب ذلك بقوله -^٢] "فاما اليتيم فلا
تقهر و أما السائل فلا تنهر" فقد أويتك قبل تعرضك و أعطيتك^٢ قبل
سؤالك، فلا تقابله بقهر من تعرض و انتهار من سأل، 'وقد' حاشاه
سبحانه عما نهاه [عنه -^٢] و لكنه تذكير بالنعم و ليستوضح الطريق
من وفق [من -^٢] أمة محمد صلى الله عليه وسلم /، 'أما هو صلى الله عليه
وسلم فحسبك من تعرف رحمته ورفقه "و كان^٣ بالمؤمنين رحيما^٤" "عزيز
١٠ عليه ما عنتم^٥ حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف^٦ رحيم" ثم تأمل استفتاح هذه
السورة و مناسبة ذلك المقصود و لذلك السورة قبلها برفع القسم فى الأولى
بقوله "و الليل اذا يغشى" تنبيها على إيهام الامر فى السلوك على المكلفين
و غية حكم العواقب، و ليناسب هذا حال المتذكر بالآيات و ما يلحقه
من الخوف بما أمره غائب عنه من تيسيره و مصيره و استعصامه به
١٥ يحصل اليقين و استصغار درجات المتقين، ثم لما لم يكن هذا غائبا بالجملة

/ ٧٨٤

(١) فى ظ : خ-يرى (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، وفى الأصل :
اعطيك (٤-٤) من م، وفى الأصل و ظ : فقد (٥-٥) تكررو ما بين الرقيين
فى الأصل فقط (٦) زيد فى الأصل : قال تعالى، ولم تكن الزيادة فى ظ و م
فخذناها (٧-٧) فى ظ و م : الى .

عن أحاد المكلفين أعنى ما يشر العلم اليقين و يعلى من اهل للترقى ' في درجات المتقين ، بل قد يصلح ' سبحانه خواص عباده - بملازمته ' التقوى والاعتبار - على واضحة السبيل و يرهم مشاهدة و عيانا ما قد انتهجوا قبل سيده بمشقة النظر في الدليل ، قال صلى الله عليه وسلم لحارثة : وجدت فالزم ، و قال مثله للصديق ، و قال تعالى " لهم البشرى في الحياة الدنيا و في الآخرة " " ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تنزل عليهم الملائكة ألا تحافوا و لا تحزنوا و ابشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا و في الآخرة " فلم يبق في حق هؤلاء ذلك الإبهام ، و لا كدر خواطرهم بتكاثف ذلك الإظلام ، بما منحهم سبحانه و تعالى من نعمة الإحسان بما وعدهم في قوله " يجعل لكم فرقا " و " يجعل لكم نورا تمشون به " " أو من كان ميتا فأحييناه و جعلنا له نورا يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها " فعمل هؤلاء على بصيرة ، و استولوا اجتهدا بتوفيق ربهم على أعمال جليلة خطيرة ، فقطعوا عن الدنيا الآمال ، و تاهبوا لآخرتهم بأرضح الأعمال " تتجافى جنوبهم عن المضاجع " " فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة عين " فلا ابتداء الأمر و شدة الإبهام و الإظلام أشار^١ قوله سبحانه و تعالى " و الليل اذا

(١) من ظ و م ، و في الأصل : الترقى (٢) زيد في الأصل و ظ : عليه ، و لم تكن الزيادة في م لحذفها (٣) من ظ و م ، و في الأصل : بملازمة . (٤) زيد في الأصل : ذلك ، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٥) من م ، و في الأصل و ظ : الظلام (٦) زيد في الأصل : إليه ، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها .

يفشى“ و لما' يوؤل إليه الحال فى حق من كتب فى قلبه الإيمان و أیده
 روح منه أشار قوله سبحانه و تعالى ” و النهار إذا تجلى “ و لانتصار
 السبل و إن تشعبت فى طريق ” فنكم كافر و منكم مؤمن “ ” فريق فى الجنة
 و فريق فى السعير “ أشار قوله سبحانه و تعالى ” و ما خلق الذكر و الانثى “
 ٥ ” و من كل شئ خلقنا زوجين “ ” ففروا إلى الله “ الواحد مطلقا، فقد وضح
 لك إن شاء الله بعض ما يسر من تخصيص هذا القسم - و الله أعلم ، اما
 سورة الضحى^١ فلا إشكال فى مناسبة فى استفتاح القسم بالضحى^٢ لما
 يسره به سبحانه لاسيما إذا / اعتبر ما ذكر من سبب زول السورة ،
 و أنه صلى الله عليه و سلم كان قد فتر عنه^٣ الوحي حتى قال بعض
 ١٠ الكفار: قلى محمدا ربه ، فنزلت السورة مشعرة عن هذه النعمة
 و البشارة - انتهى .

/ ٧٨٥

و لما ذكر حاله فى الدنيا بأنه لا يزال يواصله بالوحي و الكرامة ،
 و منه ما هو مفتوح على أمته من بعده ، روى عن أنس رضى الله عنه أنه
 قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : أريت ما هو مفتوح
 ١٥ على أمتى من بعدى * كفرا كفرا^٤ ففرى ذلك . فلما كان ذلك و كان
 ذكره على وجه شمل الدارين صرح بالآخرة التى هى أعلى و أجل ،

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : ما (٢) فى م : و الضحى (٣) من ظ و م ،
 و فى الأصل : فى الضحى (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : عليه (٥) من ظ
 و م ، و فى الأصل : بعد (٦) أى قرية قرية - كما الناية .

ولادنى

ولأذن من يدخلها^١ فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على
 قلب بشر، فكيف بما له صلى الله عليه وسلم، فقال مؤكداً لذلك كما
 أكد الأول بالقسم بما لهم فيه من الإنكار: ﴿والآخرة﴾ أى التى هى
 المقصود من الوجود بالدات لأنها باقية خالصة عن شوائب الكدر
 أو الحالة المتأخرة لك ليفهم منه أنه لا يزال في رَق من على^٢ إلى أعلى^٥
 منه^٢ و كامل إلى أكمل منه^٢ دائماً أبداً لا إلى نهاية ﴿خير﴾ وقيد بقوله:
 ﴿لك﴾ لأنه ليس كل أحد كذلك ﴿من الأولى﴾ أى الدنيا الفانية
 التى لا سرور فيها خالص كما أن النهار الذى هو بعد الليل خير منه
 وأشرف ولا سيما الضحى منه، وقد أفهم ذلك أن الناس على أربعة
 أقسام: منهم من له الخير في الدارين وهم أهل الطاعة الأغنياء، [ومنهم ١٠
 من له الشر فيهما وهم الكفرة الفقراء -^٥]، ومنهم من له صورة [خير
 في الدنيا و شر في الآخرة وهم الكفرة الأغنياء، ومنهم من له صورة
 شر -^٥] في الدنيا و خير في الآخرة وهم المؤمنون الفقراء، فقد قال:
 الناس في الدنيا على أربع والنفس في فكرتهم حارّه
 فواحد دنياه مقبوضة إن له من بعدها آخره ١٥
 وواحد دنياه مبسوطة ليس له من بعدها آخره
 وواحد قد حاز حظهما سعيد في الدنيا وفي الآخرة

(١) من ظ و م، وفي الأصل: يدخل (٢) من ظ و م، وفي الأصل: أعلى.

(٣) سقط من م (٤) من ظ و م، وفي الأصل: أقسم (٥) زيد من ظ و م.

(٦) العبارة من هنا إلى آخر الأبيات سائطة من ظ و م.

و واحد يسقط من بينهم فذلك لا دنيا ولا آخره

ولما ذكر سبحانه الدنيا والآخرة، ذكر ما يشملهما^٢ مما زاده^٣ من فضله، فقال مصدرا بحرف الابتداء تأكيداً للكلام لأنهم يشكرونه^٤ وليست للقسم لأنها إذا دخلت على المضارع لزمته النون المؤكدة، وضم هـ هذه اللام^٥ إلى كلمة التنفيس للدلالة على [أن -] العطاء وإن تأخر وقته^٦ لحكمة كائن^٧ لا محالة : (ولسوف يعطيك) أى بوعده لا حلف فيه وإن تأخر وقته بما أفهمته الأداة (ربك) أى الذى لم يزل يحسن إليك^٨ بوعده الدنيا ووعده الآخرة^٩ (فترضى^{١٠}) أى فيتعقب على ذلك ويتسبب عنه رضاك^{١١}. وهذا شامل لما منحه بعد كمال النفس ١٠ من كمال العلم وظهور الأمر وإعلاء الدين وفتح البلاد ودينونة العباد ونقص ممالك الجبابرة، وإنهاء كنوز الأكامرة / [و -] القياصرة، وإحلال الغنائم حتى كان يعطى عطاء من لا يخاف الفقر، وشامل لما ادخره له سبحانه وتعالى فى الآخرة من المقام المحمود والحوض المورود، والشفاعة العظمى^{١٢} إلى غير ذلك مما لا يدخل تحت الحدود^{١٣}، وقد أفهمت ١٥ العبارة أن الناس أربعة أقسام : معطى راض، ومنوع غير راض، ومعطى

/ ٧٨٦

(١) من م، وفى الأصل : يشبهها، وفى ظ : يشمله (٢) من ظ و م، وفى الأصل : زاد (٣) من ظ و م، وفى الأصل : ينكرون (٤-٤) من ظ و م، وفى الأصل : هذا اللازم (٥) زيد من ظ و م (٦) سقط من م (٧) من ظ و م، وفى الأصل : كائنة (٨-٨) سقط ما بين الرقنين من ظ و م (٩) من ظ و م، وفى الأصل : برضاك (١٠) من ظ و م، وفى الأصل : المحصر.

غير

(٢٧)

١٠٨

غير راض، و ممنوع راص، و عن على رضى الله عنه أنها أرجى آية
 فى القرآن لأنه صلى الله عليه وسلم لا يرضى واحدا من أمته فى النار .
 و لما وعده بأنه لا يزال فى كل لحظة يرقبه فى مراقى العلا و الشرف،
 ذكره بما رقا به قبل ذلك من حين توفى أبوه و هو حمل و ماتت أمه
 و هو ابن ثمان سنين، فتم يتمه من الأبوين قبل بلوغه لئلا يكون عليه ه
 - كما قال جعفر الصادق - حق لمخلوق، فقال مقرر له : (الم يحذك) أى
 يصادفك أى يفعل بك فعل من صادف آخر حال كونه (يتما فاوى)
 و لما كان يلزم من اليتيم فى الغالب عدم العلم لليتيم لتهاون الكافل، و من
 عدم العلم الضلال، قال مينا أن يتمه و إهماله من الحل على دينهم
 كان نعمة عظيمة عليه لأنه لم يكن على دين قومه فى حين من الأحيان ١٠
 أصلا : (و وجدك) أى صادفك (ضالا) أى لا تعلم الشرائع " ما
 كنت تدري ما الكتاب و لا الايمان " فأطلق اللازم و هو الضلال
 على المزوم، و المسبب على السبب، و هو عدم العلم، فكنت لأجل ذلك
 [لا تقدم -] على فعل من الأفعال لأنك لا تعلم الحكم فيه إلا ما علمت
 بالعقل الصحيح و الفطرة السليمة المستقيمة من التوحيد و بعض توابه، ١٥
 و هذا هو التقوى كما تقدم فى الفاتحة، و لم يرد به حقيقته و إنما أعراه
 من التعلق بشئ من الشرائع و نحوها باعدام من يحمله على ذلك ليفرغه

(١) زيد فى ظ : به (٢-٢) فى ظ : على (٣) من ظ و م، وفى الأصل : فكيف.
 (٤) زيد من ظ و م (٥-٥) من ظ و م، وفى الأصل : عليك بالفعل .

ذلك للتأمل بنفسه فيوصله بعقله السديد إلى الاعتقاد الحق في الأصول
و [الوقوف في -١] الفروع ﴿فهدى﴾ أى فهداك هدى محيطا بكل
علم، فعلمك بالوحي والإلهام والتوفيق للنظر^٢ ما لم تكن تعلم .

و لما كان العيال يمنعون من التفرغ لعلم أو غيره قال : ﴿ووجدك﴾
٥ أى حال كونك ﴿عائلا﴾ أى ذا عيال لا تقدر على التوسعة عليهم أو فقيرا،
قال ابن القطاع^٣ : عال الرجل^٤ : افتقر ، و أعال : كثر عياله . ﴿فاغنى^٥﴾
بما جعل لك من ربح التجارة ثم من كسب الغنائم وقد أفهم ذلك أن الناس
أربعة أقسام : منهم من وجد الدين و الدنيا ، و منهم من عدمهما ، و منهم
من وجد الدين لا الدنيا ، و منهم من وجد الدنيا لا الدين . و لما ذكره
١٠ بما أنعم عليه به من هذه [النعم - ١] الثلاث أوصاه^٦ بما يفعل في
ثلاث مقابلة لها ، فقال مسيبا عنه مقدما معمول ما بعد الفاء عليها اهتماما :
﴿فاما اليتيم﴾ أى هذا النوع ﴿فلا تقهره﴾ أى تغلبه على شيء / فانما
أذقك اليتيم تأديبا^٧ بأحسن الآداب لتعرف ضعف اليتيم و ذله ، و فوق
ذلك كفالاته و هى خلافة عن الله لأن اليتيم لا كافل له إلا الله ، و لهذا
١٥ قال النبي صلى الله عليه وسلم : أنا و كافل اليتيم كهاتين -^٨ و أشار بالسبابة^٩
و الوسطى .

/ ٧٨٧

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : و النظر (٣) فى كتاب
الأفعال ٣٨٩/٢ (٤) زيد فى الأصل ، أى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و كتاب
الأفعال لمخزناتها (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : اوصاف (٦) من ظ و م ،
و فى الأصل : تأديبا (٧-٧) فى ظ و م : السبابة .

ولما

و لما بدأ بما كان بداية له ، ثنى بما هو نهاية له من حيث كونه
يصير رأس الخلق فيصير محط الرجال في كل سؤال من علم و مال ، فقال
مقدما له اهتماما به إشارة إلى أن جبر الخواطر و استتلاف الخلق من أعظم
المقاصد في تمام الدين : ﴿ و اما السائل ﴾ أى الذى أحوجته العيلة
أو غيرها إلى السؤال ﴿ فلا تنهره ﴾ أى تزجر زجرا مهينا ، فقد علمت ه
مضاضة العيلة ، بل أعطه ' و لو قليلا ، أورده ردا جميلا ، وكذا السائل
[فى العلم - ٢] .

و لما ذكر له تفصيل ما يفعل فى اليتيم و الفقير و الجاهل ، أمره بما
يفعل ' فى العلم الذى آتاه إياه إعلاما بأنه الآلة التى يستعملها فى الأمرين الماضيين
و غيرهما لأنها أشرف أحوال ' الإنسان و هى أرفق الأمور لأن يكون
مقطع السورة لتوافق مطلعها فقال : ﴿ و اما بنعمة ربك ﴾ أى الذى ١٠
أحسن إليك باصلاح جميع ما يهمك من العلم و غيره و بالهجرة و مبادئها
عند تمام عدد آياتها [من - ١] السين و هى إحدى عشرة ﴿ فحدث ع ﴾
أى فاذكر النبوة و بلغ الرسالة فاذكر جميع نعمه عليك فانها نعم على
الخلق كافة ، و منها إنقاذك ' بالهجرة من أبدى الكفرة و إعزازك
بالانصار ، و تحديتك بها شكرها ، فانك مرشد يحتاج الناس إلى الاقتداء بك ، ١٥
و يجب عليهم أن يعرفوا [لك - ١] ذلك و يتعرفوا مقدارك ليؤدوا

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : مضادة (٢) من ظ ، و فى الأصل و م : أعطهم .
(٣) زيد من م (٤-٤) - سقط ما بين الرتين من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى
الأصل : حال (٦) زيد من ظ و م (٧) من م ، و فى الأصل : اتقواك ،
و فى ظ : اتقأدى (٨) فى ظ : اعزأزى .

حقك ، فخذتهم أنى ما ودعتك ولا قليتك ، ومن قال ذلك فقد خاب
 وافتقر ، و اشرح لهم تفاصيل ذلك بما وهبتك من العلم الذى هو
 أضوأ من [ضياء - ٢] الضحى وقد رجع آخرها على اولها بالتحديث
 بهذا القسم والمقسم لأجله ، وما للملك الأعلى فى ذلك من عظيم فضله :
 هـ و لقد امثل صلى الله عليه وسلم و ابتداء هذا التحديث الذى يشرح
 الصدور ، و يلاءم الأكواف من السرور ، و النعمة و الحبور . لأنه بأ كبر النعم
 المزيلة ، لكل النقم ، بالتكبير كما ورد فى قراءة ابن كثير و فى رواية
 السوسى عن أبى عمرو ، و اختلف القراء فى ابتدائه و انتهائه و لفظه ،
 فقال بعضهم : هو من أول الضحى ، و قال آخرون : من آخرها ، و قال
 ١٠ غيرهم من أول الشرح ، فن قال للأول لم يكبر آخر الناس ، و من قال
 للآخر انتهى تكبيره بالتكبير فى آخرها ، و سبه أن جبريل عليه
 الصلاة و السلام لما أتى النبى صلى الله عليه وسلم بعد فترة الوحى ، فتلا
 السورة عليه كبر مسرورا لما كان أحزنه من الفترة و من قول المشركين :
 قلاه ربه ، و تحديثا بالنعم التى / حباه الله بها فى هذه السورة له و لأمته
 / ٧٨٨

(١) من م ، و فى الأصل وظ : تفصيل (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ،
 و فى الأصل : فى (٤ - ٥) من ظ و م ، و فى الأصل : للقسم (٥) زيد فى
 الأصل : اول ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) زيدت الواو فى
 الأصل ، و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : آخر .
 (٨) زيد فى الأصل : فقد ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٩) من ظ و م ،
 و فى الأصل : وتلى .

امثالاً لما أمر به^١ و اختلف عنهم في لفظه ، فنههم من اقتصر على
 « الله أكبر ، و منهم من زاد التهليل فقال : « لا إله إلا الله و الله أكبر ،
 و هذا هو المستعمل ، و منهم من زاد « و لله الحمد ، و الراجح قول من
 قال : إنه لآخر الضحى إسناداً و معنى ، لأنها و إن كانت هي السبب
 و العادة جارية^٢ بأن من دهمه أمر عظيم يكبر مع أوله ، لكن شغله^٣ ه
 صلى الله عليه و سلم بالإصغاء إلى ما يوحى إليه منعه من ذلك ، فلما
 ختمت السورة تفرغ له ، فكان ذلك الوقت [كأنه -^٤] ابتداء مفاجأة
 ذلك^٥ الأمر العظيم له ، و زاد ما في السورة من جلائل النعم المقتضية
 للتحميد و ما في ذلك من بدائع الصنع الموجب للتهليل^٦ ، و قد علم بذلك
 سبب من ظنه في أولها ، و أما من ظنه لأول الشرح فكونه كان في ١٥
 [آخر -^٧] الضحى ، فاذا وصل بها « ألم نشرح ، ألبس الحال ، و تعليق^٨
 الأشياء بالآوائل هو الأمر المعتاد ، و حكمته مع ما مضى من سببه^٩ أن
 التهليل توحيده سبحانه و تعالى بالأمر ، و امتناع شريك يمنعه من شيء
 يريد من الوحي و غيره ، و التكبير تفريده له^{١٠} بالكبرياء تنزيها له عن
 شوب نقص يلم به من أن يتجدد له علم ما لم يكن ليكون ذلك سبباً ١٥

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : له (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : الجارية .

(٣) زيد في الأصل و ظ : النبي ، و لم تكن الزيادة في م فحذفناها (٤) زيد

من ظ و م (٥) سقط من ظ و م (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : للتعليل .

(٧) من ظ و م ، وفي الأصل : تعليل (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : تسيبه .

(٩) سقط من ظ .

لقطع من وصله بوحى أو غيره، و التحميد إثبات التفرد بالكمال له
 على إسباغ نعمه، و فى ذلك أن هذه السورة^١ آذنت^٢ بأن القرآن^٣ أشرف
 على الختام، لأن عادة الحكماء من المدبرين تخفيف المنازل فى الاواخر
 على السائرين كتخفيف أول مرحلة رقعا بالمقصرين، فناسب الذكر بهذا
 ٥ عند الآخر لأن تذكر الانقضاء يهيج مثل ذلك عند السالك، و لأن
 تقصير السور [ربما-^٢] أوهم شيئاً مما لا يليق، فسن^٤ التنزيه بتكبيره^٥
 سبحانه و تعالى عن كل ما يؤهم نقصاً، و إثبات الكمال له بالتوحيد منه على
 الحث على تدبر ما فى هذه السورة^٦ من الجمع للعانى على وجازتها و قصر
 آياتها و حلاوتها مع ما فى ذلك من تخفيف التعليم، و التدريب على الحفظ
 ١٠ فى المبادئ و التحبيب [فيه-^٦] و التهميم^٧، و التحميد على إتمام النعمة
 على غاية الإحكام^٨ من لدن حكيم عليم^٩.

(١) فى م: السور (٢-٢) من ظ و م، وفى الأصل: بالقرآن (٣) زيد من ظ
 و م (٤-٤) من ظ و م، وفى الأصل: التكبير بتنزيهه (٥) فى ظ و م:
 السور (٦) زيد من م (٧) من ظ و م، وفى الأصل: التهميم (٨-٨) من م،
 وفى الأصل: والله تعالى هو الرؤف الرحيم، و العبارة ساقطة من ظ.

سورة ألم نشرح^١

مقصودها تفصيل ما في آخر الضحى من النعمة، وبيان [أن - ٢] المراد بالتحديث^٢ بها هو شكرها بالنصب في عبادة الله والرغبة إليه بتذكره^٣ لإحسانه وعظيم رحمته بوصف الربوبية وامتثانه، وعلى ذلك دل اسمها الشرح / ﴿ بسم الله ﴾ الذى جل أمره وتعالى جده * ولا إله غيره * فعظم ماله ٥ / من إنعام ﴿ الرحمن ﴾ الذى أفاض جوده على سائر خلقه لأنه ذو الجلال والإكرام ﴿ الرحيم ﴾ الذى أعلى أهل حضرته بخاص رحمته في مقامات الاختصاص إلى أعلى مقام .

لما أمره صلى الله عليه وسلم آخر الضحى^٦ بالتحديث بنعمته^٦ التى أنعمها عليه^٧ فصلها في هذه السورة فقال مثبتا لها في استفهام ١٠ إنكارى مبالغه في إثباتها عند من يشكرها والتقرير بها مقدما المنه بالشرح في صورته قبل الإعلام بالمغفرة كما فعل ذلك في سورة الفتح الذى هو نتيجة الشرح، لتكون البشارة بالإكرام أولا لافتنا القول إلى مظهر العظمة [تعظيما - ٨] للشرح : ﴿ ألم نشرح ﴾ أى شرحا يليق بعظمتنا

(١) في م : الشرح ، وهى الرابعة و التسعون من سور القرآن الكريم ، مكية ، وعدد آياتها ٨ (٢) زيد من م (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : من التحديث (٤) من م ، وفى الأصل و ظ : بتذكير (هـ-هـ) سقط ما بين الرقين من ظ و م (٦-٦) من م ، وفى الأصل و ظ : بتحديث نعمته (٧-٧) سقط ما بين الرقين من م (٨) زيد من ظ و م .

(لك) أى خاصة .

ولما عين المشروح له ، فكان المشروح مبهما ، فزاد تشوف النفس إليه ليكون أضخم له ، بينه^١ ليكون بيانا بعد إبهام^٢ فيكون [أعظم -^٣] فى التنويه به و أجل فى التعريف بأمره فقال : (صدرك^٤) أى نسرته

و نفرحه بالهجرة ، فإن هذه السورة مدنية عند ابن عباس رضى الله عنهما ، ونجله ونعظمه ونخرج منه قلبك ونشقه ونغسله ونملأه إيمانا وحكمة ورأفة وعلما ورحمة^٥ ، فانفسح جدا حتى وسع^٦ مناجاة الحق ودعوة الخلق ، فكان مع الحق بعظمته وارتفاعه ، ومع الخلق بفيض أنواره وشعاعه ، وقد كان هذا الشرح حقيقة مرارا ، وكان مجازا أيضا ١٠ باحلال جميع معانيه ، وكل ذلك على ما لا يدخل تحت الوصف [لا -^٧]

يعبر^٨ لكم عنه^٩ بأكثر من أنه شق بعظمتنا ، فالعلم الذى شق به معرفة الله والدار الآخرة والدين والدنيا ، والحكمة التى درت^{١٠} فيه هى وضع الشيء فى محله ، وإعطاء كل ذى حق حقه ، وقرأ أبو جعفر المنصور بفتح حاء " نشرح " وخرجها ابن عطية على التأكيد بالنون الخفيفة ثم ١٥ أبدل ألف من النون ، ثم حذف النون تخفيفا ، وقال^{١١} أبو حيان^{١٢} بأن اللحياني حكى فى نوادره عن بعض العرب النصب بلم والجزم بلى ،

(١) من ظ و م ، وفى الأصل ١ بين ذلك (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : ايها (٣) زيد من ظ و م (٤-٤) سقط ما بين الرقين من ظ و م (٥-٥) من ظ و م ، وفى الأصل : رمة وعلما (٦) زيد فى ظ : ضحا (٧-٧) من ظ و م ، وفى الأصل : عنه لكم (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : ودت (٩-٩) فى الأصل : بياض ملأناه من ظ (١٠) راجع البحر ٨/ ٤٨٨ .

و سره هنا أن الفتح في اللفظ مناسب غاية المناسبة للشرح ، ووجه قراءة الجمهور أنه لما دل على الفتح بالشرح دل بالجزم على أنه مع ذلك رابط لما أودعه من الحكم ضابط له ، هاد بما فيه من رزاة العلم ، و وقار التقى و الحلم ، قال ابن بريجان : ففرق [ما - '] بين النبي و الولي في ذلك أن النبي شرح^٢ صدره ظاهرا فأعلى ظاهرا ، و الولي شرح ذلك^٢ منه باطنا ه فعلى به باطنا ، و الكافر ضيق ذلك منه و أبقى [بظلمته - '] ، و حظوظ^١ الشيطان منه فهو لا يستطيع قبول / الهداية و لا الصعود في [معارج العبرة إلا على مقدار ما يستطيع الصعود في - '] السماء . ” كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون “ - الآيات .

و لما كانت سعة الصدر بالعلم و الحكمة هي الجمال باجتماع المحاسن ، ١٠ و كان ذلك مع حمل ما يعنى من أعظم النكد ، و كان الجمال بجمع المحاسن لا يكمل إلا إذا جمع إلى الجمال الجلال* بانتفاء الرذائل ، و كان الاستفهام الإنكارى إذا اجتمع^١ مع النفي صار إثباتا ، لأنه نفي للنفي ، قال عاطفا عليه ما لا يعطف إلا مع الإثبات (و وضعنا) أى حططنا و أسقطنا و أبطلنا خطأ لارجعة له و لا فيه بوجه بما لنا من العظمة ، مجازا ١٥ (عنك و زرك) أى حملك الثقيل الذى لا يستطيع حمله ، و لذلك

(١) زيد من ظ و م (٢) في ظ : يفسر (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : منه (٤-٥) من ظ و م ، وفي الأصل : بمحظوظ (٥-٥) من ظ و م ، وفي الأصل : الجلال الجمال (٦) من م ، وفي الأصل و ظ : جمع .

وصفه بقوله : ﴿الَّذِي انْقَضَ ظَهْرُكَ﴾ أى [جملة - '] و هو عماد
 بدنك تصوت مفاصله من الثقل كما يصوت الرجل الجديد إذا لز بالحل
 الثقيل ، و ذلك هو [ما - '] دمه عند ما أمر بانذار قومه و مفاجأتهم
 بما يكرهون عن عيب دينهم و تضليل آبائهم و تسفيه حلومهم ^٢ فى
 الدين ^٣ بدين لا يرضاه أدنى العقلاء إذا تأمل شيئاً من تأمل مع التجرد
 من حظ النفس مع ما عندهم من الأنفة و الحمية و إلقاء الأنفس فى
 المهالك لأدنى غضب ، فقال : يا رب إذن يثلغوا رأسى فيدعوه خبزة .
 تخفف ^٤ سبحانه و تعالى عنه ^٥ ذلك بما أظهر له من الكرامات و أيدته
 به من المعجزات ، و ضمن له من الحماية إلى أمور لا يحيط بها علماً إلا الذى
 ١٠ أيدته بها ^٦ "و الله يعصمك من الناس" حتى خف ذلك عليه ، فصار أشفق
 أهل عليه يمنعه من بعض الإبلاغ و يمسك بثوبه ^٧ لئلا يخرج إلى الناس
 فيقول لهم ذلك فيحصل له ما يكره فيجذب نفسه منه و يخرج إليهم
 فيخبرهم ^٨ كما وقع فى أمر الإسراء و غيره ، و قال ابن عباس رضى الله عنهما ^٩ :
 هو أن جبريل عليه الصلاة و السلام شق صدره فأخرج منه قلبه فشرحه
 ١٥ و أخرج منه علقه سوداء فألقاه و غسله ثم ملأه علماً و إيماناً و حكمة ،
 يعنى فصار يحتمل ما لا يحتمله غيره ، و خف عليه ما يثقل على غيره ،

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) من ظ و م ، وفى الأصل : بالدين (٣-٣) من
 ظ و م ، وفى الأصل : عنه سبحانه و تعالى (٤-٤) سقط ما بين الرقعتين من ظ
 و م (٥) من م ، وفى الأصل و ظ : ثوبه (٦) من ظ و م ، وفى الأصل :
 و يخبرهم (٧) راجع البحر ٨ / ٤٨٧ .

ولاشك أن ذلك وزر لغوى، وهو واضح، وشرعى بالمال^١ على تقدير ترك الامتثال اللازم للاستئصال، وقد أعاده الله من ذلك.

وقال الأستاذ أبو جعفر ابن الزبير: معنى^٢ هذه السورة من معنى السورة قبلها، وحاصل السورتين تعداد نعمه سبحانه وتعالى عليه^٣،

فإن قلت: فلم فصلت^٤ سورة ألم نشرح ولم ينسق ذكر هذه النعم في سورة هـ

واحدة، / قلت: من المعهود في البشر فيمن عدد على ولده أو عبده نعماً ٧٩١ /

أن يذكر له أولاً ما شامد الحصول عليه منها بسببه مما يمكن أن يتعلق في بعضها بأن ذلك وقع جزاء لا ابتداء، فإذا استوفى له ما قصده من هذا^٥، أتبعه بذكر نعم ابتدائية قد كان ابتداءه بها قبل وجوده^٦ كقول

الأب مثلاً لابنه: ألم اختر لأجلك الآم والنفقة حيث استولدتك ١٠ وأعدت من مصالحك كذا وكذا، ونظير ما أشرنا إليه [بقوله^٧-]

سبحانه لذكرها عليه الصلاة والسلام "ولم تك شيئاً" وقد قدم له "أنا نبشرك بيجي" وتوهم استبداد الكسبية في وجود الولد^٨ غير

خافية (٩) في حق من قصر نظره ولم يوفق فابتدى بذكرها ثم أعقب بما

لا يمكن أن يتوهم فيه ذلك، وهو قوله "وقد خلقتك من قبل ولم تك ١٥

شيئاً" وله نظائر من الكتب وعليه جاء ما ورد في هاتين السورتين -

(١) من م، وفي الأصل وظ: في المال (٢) من ظ وم، وفي الأصل: يعنى.

(٣-٣) في م: عليه سبحانه وتعالى (٤) من ظ وم، وفي الأصل: فصلنا (هـ) من

ظ وم، وفي الأصل: هذه (٦) من ظ وم، وفي الأصل: وجودها (٧) زيد

من ظ وم (٨) من ظ وم، وفي الأصل: البلد.

و الله أعلم - انتهى .

ولما شرفه في نفسه بالكمال الجامع^١ للجلال إلى الجلال، و كان
ذلك لا يصفو إلا مع الشرف عند الناس قال: ﴿ ورفعنا ﴾ أى بما لنا
من العظمة^٢ و القدرة الباهرة^٣ ﴿ لك ﴾ أى خاصة رفعة تلاشى عندها
ه رفعة غيرك من الخلق كلهم^٤ ﴿ ذكرك^٥ ﴾ عند جميع العالمين العقلاء
و غيرهم بالصدق و الأمانة و الحلم و الرزاة و مكارم الأخلاق و طهارة
الشيم و انتفاء شوائب النقص حتى [ما - °] كانت شهرتك عند قومك
قبل النبوة إلا الأمين، و كانوا يضربون المثل بشمالك الطاهرة، و أوصافك
الزاهرة الباهرة، ثم بالنبوة ثم بالرسالة ثم بالهجرة، و بأن جعلنا اسمك
١٠ مقرونا باسمنا فى كلمة^٦ التوحيد و الإيمان و الأذان و الإقامة و الشهد
و الخطبة، فلا أذكر إلا و ذكرت^٧ معى، و من الكرامة الظفر على أعدائك
و الكرامة لأوليائك، و جعل^٨ رضاك رضاى و طاعتك طاعتى، و أمر^٩
ملائكتى بالصلاة عليك، و مخاطبتى لك بالألقاب العلية و السمات المعزة
المعلية من الرسول و النبى، و نحو ذلك على حسب الأساليب و مناسبات
١٥ التراكيب إلى غير ذلك من فضائل و مناقب و شمائل لا تضبط بالوصف،
٩ قال الرازى: ثم جعل لأمته من ذلك أوفر الحظ، قيل: يا رسول الله،

(١ - ١) من ظ و م، و فى الأصل: للجلال و الجلال (٢ - ٢) سقط ما بين
الرقين من ظ و م (٣) سقط من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل:
انعقاد (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: تذكر (٧) من ظ
و م، و فى الأصل: جعلت (٨) من ظ و م، و فى الأصل: امرت (٩) زيدت
الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م لحذفناها .

من أولياء الله ؟ قال : الذين [إذا - ١] ذكروا ذكر الله . [وفي حديث :
الذين إذا رؤوا ذكر الله - ١] . وقال : خياركم من تذكروا الله رؤيته ،
ويزيد في علمكم منطقته ، ويزهدكم في الدنيا عمله . فتتهى قسمة الشاء
أن خلط ذكره بذكره .

ولما ذكر هذه المآثر الشريفة التي هي الكمال ، وكان الكمال هـ

لا يصفو إلا مع مساعدة الأقدار ، فإن الهمم إذا عظمت
[اتسعت - ١] مجالاتها ، فإذا حصل فيها تعطيل حصل فيها نكد على

حسبه ، بين أنه أزال عنه / العوائق في عبارة دالة على أن سبب المنحة بهذه
الكالات هو ما كان صلى الله عليه وسلم فيه من الصبر على الأكدار ،

وتجرع مرارات الأقدار ، فقال مؤكدا ترغيبا في حمل مثل ذلك رجاء في ١٥
الإثابة بما يليق من هذه المعالي مبالغا في الحث على تحمله بذكر المعية
إشارة إلى تقارب الزمنين بحيث أنهما كانا كالتلازمين مسييا عما مضى
ذكره من حاله في الضحى : ﴿ فان ﴾ أى فعل بك سبحانه هذه الكالات

الكبار بسبب أنه قضى في الأزل قضاء لا مرد له [وبلا معقب - ١]
أشئ منه أن ﴿ مع العسر ﴾ أى [هذا - ٢] النوع خاصة ﴿ يسرا ﴾ ١٥
أى عظيما جدا يجلب به المصالح ويشرح به ما كان قيده من القرائح ،
فإن أهل البلاء ما زالوا ينتظرون الرخاء علما منهم بالفطرة الأولى التي

(١) زيد من ظ و م (٢) من م ، وفي الأصل و ظ : يذكر (٣) زيد في
الأصل : في ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٤) زيد في الأصل : في
كل ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٥) سقط من م (٦) في ظ :
كالتلاصقين ، وفي م : كالتلازمين (٧) زيد من م .

فطر الناس عليها أنه المتفرد بالكمال، وأنه الفاعل بالاختيار لنسبه الكواثر بأضدادها، وقد أجرى سنته القديمة سبحانه وتعالى بأن الفرج مع الكرب، فلما قاسى صلى الله عليه وسلم بما ذكر في الضحى من اليتيم الشديد وضلال قومه العرب خاصة كلهم الذين ألهمه الله تعالى مخالفتهم ه في أصل الدين بتجنب الآوثان، وفي فرعه بالوقوف مع الناس في الحج في عرفة موقف إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ومن العيلة ما لم يحمله أحد حتى كان بحيث يمتن سبحانه وتعالى عليه بانقاذه منه في كتابه القديم وذكره الحكيم، وكان مع تحمل ذلك قائما بما يحق له من الصبر وعلو إلى معالي الشكر، فيحمل - كما قالت الصديقة الكبرى خديجة ١٠ رضى الله تعالى عنها^٢ - الكل، ويقرى الضيف، ويصل الرحم، ويعين على نوائب الحق، ثم حمل أعباء النبوة فكان يلقى من قومه [من-^١] الأذى والمكرب والبلاء ما لم يحمله غيره، بشره الله تعالى بأنه يسر له جميع ذلك وبلين قلوبهم فيظهر دينه على الدين كله، وبقنى أصحابه رضى الله عنهم بعد عيبتهم، ويكثرهم بعد قتلهم، ويعزهم بعد ذلتهم، ١٥ ويصير هؤلاء المخالفون له أعظم الأعضاء، وينقاد له المخالف أتم انقياد، ويفتح له أكثر البلاد، ليكون هذا العطاء في اليسر بحسب ما كان وقع

(١) من ظ و م، وفي الأصل: بأنه (٢) من ظ و م، وفي الأصل: العمرة.
(٣) زيد في الأصل: وارضاه ورضى عن وانداه، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، وفي الأصل: المحققون.

من 'العسر' ، فانه قضى سبحانه وتعالى قضاء لا يرتد أنه يخالف بين الأحوال ،
دليلا قاطعا على أنه تعالى وحده الفعال ، وأن^٢ فعله بالاختيار ،
لا بالذات والإجبار .

و لما كان العسر مكروها إلى النفوس ، و كان لله سبحانه وتعالى
فيه حكما عظيمة ، و كانت الحكم لا تترامى إلا للأفراد من العباد ، كرره ه
سبحانه و تعالى / على طريق الاستئناف لجواب من يقول : وهل^٢ بعده
من عسر ؟ مؤكدا له ترغيا في أمره رقا لما يتسبب عنه مبشرا بتكثيره
مع وحدة العسر و إن كان حمل كل [واحد -^١] منهما على شيء غير
ما قصد به الآخر ممكنا فقال : (ان مع العسر) أى المذكور فانه
معرفة ، و المعرفة إذا أعيدت معرفة كانت غير الأولى سواء أريد العهد ١٠
أو الجنس (يسرا^١) أى آخر لدفع المضار والمكاره ، فان النكرة إذا
أعيدت نكرة احتمل أن تكون غير الأولى ، و قد قال النبي صلى الله عليه
و سلم أنها غيرها ، فقال^٢ الحسن البصرى^٣ : إن الآية لما نزلت قال النبي
صلى الله عليه وسلم : أتاكم اليسر لن يغلب عسر يسرين . و قد روى هذا
من أوجه كثيرة ، و روى عبد الرزاق عن ابن مسعود رضى الله عنه ١٥
قال^١ : لو كان العسر في جحر ضب ل تبعه اليسر حتى يخرج منه . [و للطبراني
عنه رضى الله عنه قال^٢ : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو كان

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : في (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : انه (م) زيد
في الأصل : من ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٤) زيد من ظ و م .
(٥) من ظ و م ، وفي الأصل : و قال (٦) راجع الدر المنثور ٦ / ٣٦٤ .
(٧) راجع مجمع الزوائد ٧ / ١٣٩ .

العسر في جهر لدخل عليه اليسر حتى يخرج -^١، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية، قال الحافظ نور الدين الهيثمي: وفيه أبو مالك^٢ النخعي وهو ضعيف، ورواه الطبراني أيضا في الأوسط و البزار عن أنس رضي الله عنه بنحوه، قال الهيثمي: وفيه عائذ بن شريح وهو ضعيف، وروى الفراء عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم وهو يضحك ويقول: لن يغلب عسر يسرين، وروى عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن الحسن به مرسلا، ومن طريقه أخرجه الحاكم والبيهقي في الشعب [و-^٣] رواه الطبري^٤ من طريق ابن ثور عن معمر، ورواه ابن مردويه من طريق أخرى موصولا وإسناده ضعيف، وفي الباب عن عمر ذكره مالك في الموطأ^٥ عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر رضي الله عنه أنه بلغه أن أبا عبيدة رضي الله عنه حضر بالشام فكتب إليه كتابا^٦ فيه «ولن يغلب عسر يسرين»، ومن طريقه رواه الحاكم، قال ذلك شيخنا ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف، وقال: وهذا أصح طرقه - انتهى، وهذا من جهة أن اليسر نكرة والعسر معرفة، وقد اشتهر أن النكرة إذا أعيدت نكرة فالثاني غير الأول، والمعرفة بالعكس، قال الشيخ سعد الدين التفتازاني في أول تلويحه^٧ في الكلام على^٨ المعرفة والنكرة:

(١) زيد من ظ والمجمع (٢) في المجمع: إبراهيم (٣) زيد من ظ (٤) راجع ٢٩ / ١٣٠ (٥) راجع ص ١٦٧ (٦) من ظ وم، وفي الأصل: كتابه (٧-٧) من ظ وم، وفي الأصل: على الكلام في (٨) راجع ص ١٥١ (التوضيح والتلويح).
١٢٤ (٣١) والكلام

و الكلام فيما إذا أعيد اللفظ الأول إما مع كلفيته من^١ التنكير و التعريف أو بدونها ، و حينئذ^٢ يكون طريق التعريف هو اللام أو الإضافة ليصح إعادة المعرفة نكرة و بالعكس ، و تفصيل ذلك أن المذكور أولا إما أن يكون نكرة أو معرفة ، و على التقديرين إما أن يعاد نكرة أو معرفة فيصير أربعة أقسام ، و حكمها أن ينظر إلى الثاني ، فإن كان هـ نكرة فهو مغاير للأول ، وإلا لكان المناسب هو التعريف بناء على كونه معهودا سابقا بالذكر ، إن كان معرفة فهو الأول حملا له على المعهود الذي هو الأصل في اللام / و الإضافة ، و ذكر في الكشف أنه إذا أعيدت النكرة نكرة فالثاني مغاير للأول وإلا فعينه^٣ فإن المعرفة تستغرق الجنس ، و النكرة تتناول البعض ، فيكون داخلا في الكل سواء قدم ١٠ أو آخر ، و فيه نظر ، أما أولا فلان التعريف لا يلزم أن يكون للاستغراق بل العهد هو الأصل ، و عند تقدم المعهود لا يلزم أن تكون النكرة عينه ، و أما ثانيا فلان معنى كون الثاني عين الأول أن يكون المراد به هو المراد بالأول ، و الجزء بالنسبة إلى الكل ليس كذلك ، و أما ثالثا فإن إعادة المعرفة نكرة^٤ مع مغايره الثاني للأول كثير في ١٥

(١) من ظ و م ، و في الأصل : مع (٢) زيد في الأصل : على ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م ، و في الأصل : لكان بعينه (٤) زيد في الأصل و ظ : و للعهد ، و لم تكن الزيادة في م و التلويح فحذفناها (٥) من م ، و في الأصل و ظ : فلان (٦) من ظ و م ، و في الأصل : تكون .

الكلام، قال الله تعالى "ثم آتينا موسى الكتاب تماما" إلى قوله "وهذا كتاب انزلناه" وقال تعالى "اهبطوا بعضكم لبعض عدو" وقال تعالى "ورفع بعضكم فوق بعض درجات" إلى غير ذلك، وقال غيره: "يسالك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء" ومنه قول الشاعر:

إذ الناس ناس و الزمان زمان

٥

فإن الثاني لو كان عين الأول لم يكن في الإخبار به فائدة - انتهى . قال: و اعلم أن المراد أن هذا هو الأصل عند الإطلاق و خلو المقام عن القرائن* و إلا فقد تعاد النكرة نكرة مع عدم المغايرة كقوله تعالى "و هو الذي في السماء اله و في الارض اله" وقالوا لولا نزل [عليه - ١] آية من ربه قل ان الله قادر على ان ينزل آية "

١٠ " ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا و شيعة" يعنى قوة الشباب، ومنه باب التأكيد اللفظي، و قد تعاد النكرة معرقة مع المغايرة كقوله تعالى "و هذا كتاب انزلناه مبارك" إلى قوله "[ان تقولوا - ٨] انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا" و قال غيره: "فلا جناح عليهما أن يصلحا" بينهما صلحا و الصلح خير" المراد

(١) من ظ و م، و في الأصل: تعالى (٢) من ظ و م، و في الأصل: اذا. (٣) من ظ و م، و في الأصل: عنه (٤) من ظ و م، و في الأصل: المكان. (٥) من م، و في الأصل و ظ: القرونين (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م، و في الأصل: بقوله (٨) زيد من م (٩) من م، و في الأصل و ظ: يصلحا.

بالنكرة خاص وهو الصلح بين الزوجين، وبالمعرفة عام في كل صلح جائز
 "زدناهم عذابا فوق العذاب" فان التثنية لا يكون فوق نفسه -
 انتهى. قال: وقد تعاد المعرفة معرفة مع المغيرة كقوله تعالى [دو أنزلنا
 إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب. و قال غيره -^١]:
 "قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء" الاول عام والثاني خاص، ه
 "هل جزاء الإحسان إلا الإحسان" الاول العمل والثاني الثواب "وكتبنا
 عليهم فيها ان النفس بالنفس" الاولى القاتلة والثانية المقتولة - انتهى،
 قال: وقد تعاد المعرفة نكرة مع عدم المغيرة كقوله تعالى "انما الهكم
 اله واحد" ومثله كثير، والمعرفة مثل النكرة في حالتى^٢ الإعادة
 معرفة والإعادة نكرة في أنها إن / أعيدت معرفة كان الثاني هو الاول، ١٠ / ٧٩٥
 وإن أعيدت نكرة كان غيره، ثم مثل بالآية التي هنا، و قال: وهذا
 مبنى على [ان -^١] تنكير "يسرا"^٢ للتفخيم وتعريف العسر للعهد، أى
 العسر الذى أنتم عليه أو الجنس [أى -^١] الذى يعرفه كل أحد، فيكون
 اليسر الثانى مغايرا للاول بخلاف العسر - انتهى - و قال فى الكشف:
 و أما اليسر فنسب متناول لبعض [الجنس -^١]، فاذا^٣ كان الكلام الثانى ١٥
 مستأنفا عن منكر تناول بعضا غير البعض الاول بغير الإشكال.

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و التلويح، وفى الأصل: حاله انكرة فى، وفى
 م: حالة (٣) فى ظ و م: يسر (٤) من ظ و م. وفى الأصل: اليسر (هـ) من
 ظ و م، وفى الأصل: فان.

و لما علم من هذا أن المواد تكون بحسب الأوراد الشداد لما على
 الممدود من الشكر، و لما علم للشاكر^١ من الوعد بالمزيد، قال مسيبا عما
 أعطاه من اليسر بعد ذلك العسر ^٢ندبا له^٢ إلى الشكر و إعلاما بأنه
 لا ينفك عن تحمل أمر في الله : ﴿ فاذا فرغت ﴾ أي بما أتاك من اليسر
 ٥ يسر من جهادك الذي أنت فيه في وقت المخاطبة بهذا الكلام بما يوجب
 عسرا^٣ في المآل أو الحال، وعقبه العسر في [أي - ^٤] موضع كان
 لاسيبا عند دخول الناس في الدين أفواجا، أو من العبادة الثقيلة العظيمة
 بسماع الوحي وتحمله، أو من الغرض بالتيسير الذي بشرناك به ﴿ فانصب لا ﴾
 أي بالغ في التعب بعبادة أخرى من التسييح والاستغفار، أو النفل لمن
 ١٠ أولاك هذا المعروف ﴿ و الى ربك ﴾ أي المحسن إليك بما ذكر في
 هاتين السورتين [خاصة - ^٤] ﴿ فارغب ع ﴾ أي بالسؤال لأنه القادر
 وحده كما قدر على تربيتك فيما مضى وحده، لأنه المختص بالعظمة، فلا
 قدرة أصلا إلا لمن يعطيه ما يريد منها، والرجب شعار العبد دائما في
 كل حال أي افعل ذلك، ألم تشرح لك صدرك ؟ فقد اتصل هذا
 ١٥ الآخر بالأول اتصال المعلول بالعلة، و لأم ما بعدها بذلك أيضا بعينه

(١) من ظ و م، وفي الأصل : من الشاكر (٢-٢) من ظ و م، وفي الأصل .

ندباه (٣) من م، وفي الأصل و ظ : عسر (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ

وم، وفي الأصل : وقد (٦-٦) من ظ و م، وفي الأصل : الأول بالآخر .

ملاءمة الشمس بالآهلة، وآخر هذه السورة مشير^١ إلى الاجتهاد في العبادة
عند الفراغ من جهاد الكفار في جزيرة العرب بعد انقضاء ما يوازي عدد
آي هذه السورة من السنين بعد الهجرة، وهي ثمان، رغبة في الأخرى
التي هي [خير - ^٢] من الأولى، إشارة إلى قرب الأجل بما أشارت إليه
سورة النصر - إكمالاً لسياق إن شاء الله تعالى .

٥

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : مشيراً (٢) زيد من ظ و م .

سورة التين^١

مقصودها [سر - ٢] مقصود "ألم نشرح" و ذلك هو إثبات^٢
 القدرة الكاملة و هو المشار إليه باسمها، فان في خلق التين و الزيتون
 من الغرائب ما يدل على ذلك، و كذا فيما اشير إليه بذلك من النبوت،
 ه و ضم القسم إلى المقسم عليه و هو الإنسان، الذي هو أعجب ما في
 الالكون، [واضح - ٢] في ذلك / ﴿بسم الله﴾ الملك الأعظم الذي لا نعبد
 إلا إياه ﴿الرحمن﴾ الذي عم بنعمة إيجاده و بيانه جميع خلقه أسفله
 و أعلاه [و أدناه - ٢] و أقصاه ﴿الرحيم﴾ الذي خص من بينهم أهل
 وده بما يرضاه، و أردى من عدام^٣ و أشقاه .

/ ٧٩٦

١٠ لما ذكر سبحانه و تعالى [في - ٢] تلك السورة أكل خلقه و ما
 كله به، [و - ٦] ختمها بالامر بتخصيصه سبحانه و تعالى بالرغبة إليه،
 فكان صلى الله عليه وسلم يقوم حتى تورم قدماه و يذل^٤ الجهد لمولاه^٥
 في [كل - ٢] ما يرضاه، ذكر في هذه أنه سبحانه و تعالى كما جعل ذاته

(١) الخاتمة و التسعون من سور القرآن الكريم، مكية، و عدد آياتها ٨ .

(٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، وفي الأصل : إشارة إلى (٤) من ظ و م،

وفي الأصل : لا يعدل (٥) من م، وفي الأصل : عاداهم، وفي ظ : عاداه .

(٦) زيد من م (٧) من ظ و م، وفي الأصل : بيده (٨) سقط من ظ و م .

أكل ذوات المخلوقات ، خصه بأن جعل نوعه صلى الله عليه وسلم أكمل
الأنواع وهو الإنسان ، وأصله أعظم الأصول ، وهو إبراهيم صلى الله عليه
وسلم ، وبلده أفضل البلاد وهي مكة ، و [أن - ١] من عاداه بمنابذة شرعه
أسفل الخلق . و أن له سبحانه وتعالى تمام القدرة ، وهو فاعل بالاختيار ،
يعلى من يشاء ويسفل من يشاء ، فنزلتها من آخر تلك منزلة العلة من ٥
المعلول ، وأقسم فيها بأشياء أشار بها إلى شرفها في أنفسها وفي عجيب
صنعها و شرف البقاع التي يكون بها إيمان إلى ما شرفها به مما أظهر
بها من الخير والبركات بسكنى الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ،
والصالحين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، فكانت مهاجر إبراهيم ومولد
عيسى وأكثر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام و منشأهم ، وكان منها ١٠
مظهر نبوة موسى ، ومظهر نبوة إسماعيل عليهما الصلاة والسلام
و ولده خاتم الأنبياء الكرام - عليه أفضل الصلاة والسلام ، ومكان
البيت الذي هو قوام للناس ، و هدى للعالمين - إلى غير ذلك من
الإشارات الظاهرات والدلالات الواضحات على تمام قدرته وفعله^٢
بالاختيار ، لأنه يعلى من يشاء من العقلاء وغيرهم من البقاع وغيرها ١٥
على أحسن تقويم^٣ ، ويسفل [من يشاء - ١] من ذلك كله إلى
أسفل سافلين .

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) من ظ و م ، وفي الأصل : المنزلة عن (٣) من
ظ و م ، وفي الأصل : علمه (٤) من م ، وفي الأصل و ظ : تقوم .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: هذه سورة موضحة و متممة^١
 للقصود في السورتين قبلها، فإن لك أن الصورة الإنسانية بظاهر الأمر
 - بما [هى -^٢] عليه من الترتيب و الإتقان - قد كانت تقتضى الاتفاق^٣ بظاهر
 ارتباط الكمال [بها -^٤] من حيث أنها فى أحسن تقويم، و الافتراق يبعد
 ه فى الظاهر، فكيف افترق الحكم و اختلف السلوك، فن صاعد بالاستيضاح
 و الامثال، و نازل^٥ أسفل سافلين فضلا عن رقى بعض درجات الكمال،
 فاذا ليس يرقى من خص بمزية التقريب إلا لأنه نودى من قريب فأسرع
 فى إجابة مناديه و اصاخ، و ما اعتل بجاده فسلك من واضحات السيل
 ما رسم له. و بنى [على -^٦] ما كتب له من ذلك عمله "ولو شئنا لآتينا
 ١٠ / ٧٩٧ كل نفس هداها"، فعلى العاقل المنصف فى نفسه أن يعلم أن كلا ميسر
 لما خلق له فيضرع إلى خالقه فى طلب الخلاص، من وجد خيرا فليحمد
 الله، فأوضحت هذه السورة أن ما أعطى الله نبيه صلى الله عليه وسلم
 و خصه به من ضروب^٧ الكرامات و ابتدأه به من عظيم الآلاء مما تضمنته
 السورتان إلى ما منحه من خير الدارين و ما تضمنه. قسمه له سبحانه
 ١٥ و تعالى أنه ما ودعه و لا قلاه من الملائكة و الأنيس و دلائل الحب
 و التقريب - كل ذلك فضلا^٨ منه سبحانه و تعالى و إحسانا^٩ لا لعمل

- (١) من ظ و م، وفى الأصل: مهمة (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ، وفى
 الأصل و م؛ الاتقان (٤) من ظ و م، وفى الأصل: قال (٥) زيد من م.
 (٦) من ظ و م، وفى الأصل: كل (٧) من ظ و م، وفى الأصل: ضروب. (٨)
 فى ظ: فضل (٩) فى ظ و م: احسان.

تقدم يستوجب ذلك أو بعضه ، و لو تقدم عمل لم يقع إلا بمشيئته ،
و توفيقه و إرادته ، و لا يستوجب أحد عليه شيئا ، و إنما [هو - ']
فضله يؤتيه من يشاء ، فقال سبحانه و تعالى منها على ما وقع الإيماء إلى
بعضه " لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم " و مع ذلك لا ينفعه
وقوع صورته الظاهرة في عالم الشهادة على أكمل خلق و اتم وضع ٥
بل إذا لم يصحبه [توفيق - '] و سبقته سعادة من خالقه و لم يجعل
له نور^١ يمشى به لم يرغب نفسه و لا عرف إلا ابتاء جنسه . فقصر نظره على
أول ما شاهد ، و وقف عند^٢ ما عاين من غير اعتبار يحده إلى تحقق^٣ مآله
و تبين حاله أنه لم يكن شيئا مذكورا ، فلما قصر و ما أبصر اعتقد لنفسه
الكمال ، و عصى عن المبتدأ و المال ، فصار أسفل سافلين حيث لم ينتفع ١٠
بالآيات نظره ، و لا تعرف حقيقة خبره ، " أو لم ير الإنسان أنا خلقناه
من نطفة فإذا هو خصيم مبين و ضرب لنا مثلا و نسي خلقه "
ثم قال تعالى " الا الذين آمنوا و عملوا الصالحات فهم الذين هداهم ربهم
[بإيمانهم " - °] فجزوا بسببه من خلقه في [أحسن - '] تقويم ، و استوضحوا^٤
الصراط المستقيم ،^٥ و استبصروا^٦ فأبصروا ، و نظروا فاعتبروا . و قالوا : ١٥
ربنا الله ثم استقاموا ، فلهم أجر غير ممنون - [انتهى - °] .

- (١) زيد من ظ و م (٢) من م ، و في الأصل و ظ : نورا (٣) من م ،
و في الأصل و ظ : على (٤) من ظ و م ، و في الأصل : تحقيق (٥) زيد من
م (٦-٦) من ظ و م ، و في الأصل : تقوية و - توصوا (٧-٧) من ظ و م ،
و في الأصل : فاستبصروا .

ولما كان التين أحسن الفواكه تقويما فيما ذكروا من فضيلته ، وهو
 - مع كونه فاكهة شهية حلوة جدا - غذاء بقيم الصلب و قوت كالبر [و-']
 سريع الهضم ، و دواء كثير النفع يولد دما صالحا و ينفع الرئة و الكلى
 و يلين الطبع و يحلل الطعام و يزيل رمل ' المثانة و يفتح سدد الكبد
 ٥ و الطحال . فكان جامعا لجميع منافع المتناولات من الغذاء و التفكه
 و التحلى و التداوى ، فهو كامل فى مجموع ما هو فيه من [لذة -'] طعمه
 و كثرة نفعه ، و كونه كفا كهة الجنة بلا شائبة تعوق عن أكله من صنوان
 يتعب أو نوى يرمى ، مع أنه ينفع به رطبا و يابسا ، و هو مع ذلك فى
 سرعة فسادده و سوء تغيره أسفلها رتبة و أردوها مغبة ، فهو كالقطرة
 ١٠ الأولى | فى -'] مبدئه سهولة و حسنا و قبولا لكل من الإصلاح
 و التغير ، كآخر الهرم عند نهايته فى عظيم تغيره بحيث [أنه -'] لا ينتفع
 بشئ منه / إذا تغير ، و غيره من الفواكه إذا فسد جانب منه بقى آخر ،
 فكان فى هذا كالقسم للسافل من الإنسان أقسم الله تعالى به فقال :
 ﴿ و التين ﴾ بادئا به لأن القسم المشار [به -'] إليه أكثر ، فالاهتمام
 ١٥ به أكبر .

/ ٧٩٨

و لما كان الزيتون فى [عدم -'] فساد بطرقه أو تغير يلحقه ،
 و فيه الدسومة و الحرافة و المرارة ، و هو إدام و دواء مع تهيشه للنفع
 (١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : رهن - كذا (م) من
 ظ و م ، وفى الأصل : بجميع .

بكل حال فى أكله بعد تزييته والتنوير بدهنه و الادهان به لإزالة الشعث
و تنعيم البشرة و تقوية العظم و شد العصب و غير ذلك من المنافع
مع لذه و ما يتبع ذلك من فضائله الجمّة كما مؤمن^١ [تلاه به -^٢] فقال :
﴿ والزيتون^٣ ﴾ ولما كان [مع -^٢] ذلك مشارا بهما إلى مواضع نباتهما وهى
الأرض المقدسة من جميع بلاد الشام إيماء إلى من كان بها من الأنبياء
و التابعين لهم باحسان لاسيما إبراهيم عليه السّلاة و السلام الذى^٤ كانت
مهاجره فأحيّاها^٥ الله تعالى بعبادته و تردد الملائكة إليه بالوحى و من بعده
أولاده الذين طهرها الله بهم من الشرك و أنارها بهم بالتوحيد ، و ختمهم
بعيسى عليه الصلاة و السلام أحد أولى العزم المشرف بكونه من أمة
محمد صلى الله عليه و سلم و على نبينا أفضل الصلاة و السلام ، و كانت ١٠
الكناية بالشجرتين عن البلد المراد به سكانه أبلغ من التصريح بالمراد من
أول وملة ، ساقه على هذا المنهج العزيز ، و لم يبق عن لم يسكنها من
أشرافهم إلا موسى و هارون و إسماعيل و محمد عليهم الصلاة و السلام ،
فأشاره إلى الأولين بقوله معبرا بما يدل على أحسن التقويم [لأن -^٦]
الطور الجبل ذو النبت من النجم و الشجر [الثمر -^٧] و غيره : ١٥
﴿ و طور ﴾ أى جبل^٨ المكان [المسمى -^٩] بهذا الاسم .

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : من (٢) زيد من م (٣) من ظ و م ، وفى
الأصل : التى (٤) من م ، وفى الأصل و ظ : فأحيّاها (٥) من ظ و م ، وفى
الأصل : و أشار (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : جعل .

ولما كان الكلام في التقويم، كان المناسب له صورة جمع السلامة فقال تعالى: ﴿سِينِينَ لَا﴾ أى وما كان بالجبل ذى النبت الحسن الذى كلم الله فيه موسى عليه الصلاة والسلام من لذىذ المناجاة و عجائب المواعدة وحكم الكلام مع أن فيه [من - ٢] الأشجار و الأماكن ما
 ٥ يكن من الحر و البرد، و فيه لخلوه و حسنه و علوه جمع الخاطر للتفرد و طمأنينة النفس للتخلى للعبادة و التحصن بما يخشى لعلوه و صعوبته، و فيه ما يصلح للزرع من غير كلفة، و فيه ما يأكله الناس و الدواب مع الماء العذب و الفناء الرحب و المنظر الأنيق، و سنين و سينا - اسم للوضع الذى هذا الجبل به، و أشار سبحانه و تعالى إلى الآخرين من
 ١٠ أولاد إبراهيم عليه الصلاة والسلام ختاماً للقسم بأكل المقسم به كما جعل المنزل عليه ذلك [الذى - ٣] هو ختام الرسل أكل النوع [المقسم - ٢] لأجله ليكون فى البدء بما يرد / بعد حسن التقويم إلى الفساد و الختم بما هو أشرف المذكورين بكل اعتبار طباق حاز أعلى الأسرار: ﴿و هذا البلد﴾ أى مكة، صرح هنا بهذين المكانين ترشيحاً لأن المراد

/ ٧٩٩

- (١) من ظ و م، و فى الأصل: عليه (٢) من ظ و م، و فى الأصل: عجيب.
 المساجدة (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: التحصين.
 (٥) من ظ و م، و فى الأصل: ادم (٦) من ظ و م، و فى الأصل: ختام.
 (٧) من ظ و م، و فى الأصل: البلد (٨) من ظ و م، و فى الأصل: به.
 ١٣٦ (٣٤) بالاولين

بالأولين مواضع نبتهما مع تلك الإشارة اللطيفة بذكر اسميهما إلى مناسبتها
 للقسم من أجله ﴿الامين لا﴾ [أى - ١] الذى يأمن فيه من ' حل به
 من البشر والطير والوحش، فكان بذلك كالرجل الامين الذى يأتمنه
 آخر على نفسه وما يعز عليه فيؤديه إليه ويوقره عليه، وأمانته شاملة
 لكل ما^٢ يخشى حتى الفقر والعيلة والجوع وتغير الدين بعد تقرر ه
 مع أن^٣ به البيت الذى جعله الله^٤ هدى للعالمين وقياما للناس فهو مدار
 الدين والدنيا، وكان به من الأمرار بالوحى وآثاره ما لم يكن فى
 بلد من البلاد، وذلك إشارة إلى أنه تعالى كما جعل النبى المبعوث منه
 فى [آخر - ١] الزمان فى أحسن تقويم جعله فى أحسن تقويم البلدان
 إذ كان أمانا من غير ملك [مرهوب - ١] والناس ينخطفون^٥ من ١٠
 حوله، وهو محل الأنس بالناس^٦ كما أن الذى قبله محل الأنس^٧ بالانفراد،
 وهو مجمع المرافق ومعدن المنافع ومحل فوى الوجاهة دينا ودنيا،
 ومحل الرفعة والمناصب^٨ مع ما حازه^٩ المكمان من أنزل السكتب السماوية
 وإشراق الأنوار الإلهية^{١٠} الدينية فيهما، وفى ذلك تخويف [لهم - ١] بأنهم
 إن لم يرجعوا عن عيهم أخافه إخافة لم يخفها [بلدا - ١] من بلاد العرب ١٥

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل وظ : حله، ولم تكن الزيادة
 فى م لحذفها (٣) من ظ و م، وفى الأصل : من (٤) من ظ و م،
 وفى الأصل : منه (٥) سقط من ظ و م (٦) من ظ و م، وفى الأصل :
 ينخطفون (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) من ظ و م، وفى الأصل :
 المتاب (٩) من ظ و م، وفى الأصل : جار .

فيكونون بذلك قد ردوا أسفل سافلين في الدد، كما ردوا في الأخلاق بالشقاق والدلد .

ولما كان هذا القسم مع كونه جامعا لبدائع المصنوعات التي هي [لما ذكر - ١] من حكمها دالة على كمال علم خالقها^١ و تمام قدرته^٢ جامعا
 ٥ لأكثر الذين آمنوا، وكان إبراهيم عليه الصلاة والسلام لتكون أباهم
 مذكورا مرتين بالأرض المقدسة من القدس^٣ و مكة، فتوقع أكل
 الخلق و أفطنهم المخاطب بهذا الذكر المقسم عليه علما منه ببلوغ القسم إلى
 غايته و استوائه على نهايته . أجيب بقوله تعالى محققا : ﴿ لقد خلقنا ﴾
 أى قدرنا و أوجدنا بما لنا من العظمة الباهرة الظاهرة و العزة الغالبة
 ١٠ القاهرة ﴿ الانسان ﴾ أى هذا النوع الذى جمع فيه الشهوة و العقل
 و فيه الأنس بنفسه ما ينسيه أكثر مهمه . و لهذا قالت الملائكة عليهم
 الصلاة و السلام ” انجمل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء ” لأنهم
 علموا [أنه - ٦] إذا جمع^٤ الغضب و الشهوة إلى العقل جاءت المنازعة
 فيتولد الفساد من الشهوة و السفك من الغضب ﴿ فى احسن تقويم ﴾
 ١٥ / ٧٨٠ أى كائن^٥ منا روحا و عقلا / أو أعم من ذلك بما جعلنا له من حسن الخلق

(١) زيد من م (٢) زيد في الأصل : جلت قدرته . ولم تكن الزيادة في ظ و م
 لحدوثها (٣) من ظ و م ، و في الأصل : احاطته بكل شيء (٤) من م ، و في
 الأصل و ظ : في الأرض (٥) زيد في الأصل : من ، ولم تكن الزيادة في
 ظ و م لحدوثها (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م ، و في الأصل : جميع (٨) من
 ظ و م ، و في الأصل : كائنا .

و الخلق بما خص به من انتصاب القامة و حسن الصورة و اجتماع
خواص الكائنات و نظائر سائر الممكنات بعد ما شارك فيه غيره من
السمع و البصر و الذوق و اللمس و الشم^١ الجوارح التي هيأته لما خلق
له حتى قيل أنه العالم الأصغر كما مضى بسط ذلك في سورة الشمس ،
ثم ميزناه بما أودعناه^٢ فيه بما جعلناه عليه من الفطرة الأولى التي لا تبدل^٣
لها من الطبع الأول السليم الذي هيأناه به^٤ و قويناه بقدرتنا^٥ لقبول
الحق ، و بمثل ما قلته في حمل الآية على الفطرة الأولى قال الأصفهاني
في تفسير " كان الناس أمة واحدة " في البقرة ، [و -^٦] قال ابن رجب
هنا : مفطور على فطرة الإسلام الدين القيم ، ثم لما منحناه به من العقل
المدرک القويم ، فكما جعلناه شكلاً يميزه عن سائر الحيوان منحناه عقلاً^٧
يهديه إلى العروج عن درك التيران إلى درج الجنان بالإيمان و الأعمال
الصالحة البالغة نهاية الإحسان ، بدليل من فيه من الأنبياء الذين أكملهم
[محمد -^٨] على جميعهم أفضل الصلاة و السلام و التحية و الإكرام
و التابعين لهم بإحسان^٩ الذين ملأوا الأرض علماً و حكمة و نوراً ، قال
البغوي^{١٠} : خلقه سبحانه و تعالى مديد القامة يتناول مأكوله بيده مزيناً^{١١}

(١) زيدت الواو في الأصل و لم تكن في ظ و م فحذفنا ما (٢) من ظ و م ،
و في الأصل : اودعنا (٣-٤) سقط ما بين الرقین من م (٤) زيد من م .
(٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م ، و في الأصل : بالاحسان (٧) راجع

بالعقل والتمييز - انتهى ، والعقل 'هو المقصود في الحقيقة' من الإنسان لأن من أسماء اللب ، ومن المعلوم أن المقصود من [كل - ٢] شيء له وهو الشرع كما مضى في آخر النساء ، والظاهر أن عقول الناس بحسب الخلق متقاربة^٢ و [أنها - ٢] إنما تفاوتت بحسب الجبلية فبعضهم جعل سبحانه وتعالى عنصره وجبلته في غاية الفساد فلا تزال جبلته تردى على عقله فيتناقص إلى أن يصير إلى أسوأ الأحوال ، فكل ميسر لما خلق له ، وبمضهم يصرف عقله بحسب ما هياه الله له إلى ما ينجي ، وبمضهم يصرفه لذلك إلى ما يرديه ، لأنك تجد أعقل الناس في شيء وأعرفهم به أشدهم بلادة في شيء آخر ، وأغباهم في شيء أذكاهم في شيء آخر - ١٠ فاعتبر ذلك ، وبذلك انتظم أمر الخلق في أمر معاشهم بالعلوم والصنائع والأحوال - والله الهادي ، وهذه الآية تدل على أن الله سبحانه وتعالى منزّه عن التركيب والصورة لأنه لو كان في شيء منها لكان هو الأحسن لأن كل صفة يشترك فيها الخلق^٣ والحق فالمبالغة للحق كالعالم والأعلم والكريم والأكرم - قاله^٤ الاستاذ أبو القاسم القشيري ١٥ في تفسيره ، وصيغة "أفعل" لا تدل على ما قاله الزنادقة ، وإن عزي ذلك

- (١-١) من م ، وفي الأصل : في الحقيقة هو المقصود (٢) زيد من ظ و م .
 (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : متفاوتة (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : تفاوت .
 (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : بذلك (٦) من م ، وفي الأصل و ظ : الحق .
 (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : قال .

٨٠١ / إلى بعض^١ الأكابر^٢ من قولهم^٣ : / ليس في الإمكان أبدع مما كان، لأن
الدرجة الواحدة تتفاوت إلى ما لا يدخل تحت حصر كتفاوت أفراد
الإنسان في صورته وألوانه، وغير ذلك من أكوانه وبديع شأنه، وقد
بينت ذلك في تصنيف مفرد لهذه الكلمة سميته : تهديم الأركان من
" ليس في الإمكان أبدع مما كان "، [وأوضحته غاية الإيضاح والبيان، هـ
و جرت فيه فنن تصم الآذان، ونصر الله الحق بموافقة الأعيان، وقهر
أهل الطغيان، ثم أردفته بكتاب دلالة البرهان على أن في الإمكان
أبدع مما كان، - ٢] ثم شفيت الأسقام، ودمغت الأخصام، وخسأت
الأوهام، بالقول الفارق بين الصادق والمنافق، وهو نحو ورقتين في
غاية الإبداع في قطع النزاع، ويمكن أن تكون صيغة^٤ أفعل مفيدة ١٠
[بالنسبة - ٢] إلى شيء أراد الله بحيث أن تتفطن له [نحن - ٢] لأن
من المجمع عليه عند أهل السنة وصرح به الأشعري وغيره في غير موضع
من كتبهم أن الله تعالى لا تتناهى مقدوراته، ومن صرح بما صرح
به الأشعري وأكثر فيه الإمام حجة الإسلام الغزالي في كتبه^٥ الإحياء
وغيره ولا سيما كتابه^٦ تهافت الفلاسفة، وبين أن هذا من قواعدهم ١٥
لنفهم صفة الإرادة^٧ وقولهم^٨ بأن فعله بالذات، وبين فساد ذلك،

(١-١) من ظ و م، وفي الأصل : لبعض (٢-٢) من ظ و م، وفي
الأصل : لقولهم (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، وفي الأصل : صفة .
(٥) من ظ و م، وفي الأصل : كتابه (٦-٦) تكرر ما بين الرقين في
الاصل فقط .

و انه سبحانه و تعالى قادر على اختراع [عالم -^١] آخر و ثالث متفاوتة بالصغر و الكبر، و على كل ممكن، و عرف أن الممكن هو المقدور عليه، و انه يرجع إلى المقدور عليه أيضا ممكن، و عرف الممتع بأنه إثبات الشيء مع نفيه، و إثبات الأخص مع نفي الأعم، و إثبات الاثنين مع نفي الواحد، و قال: و ما لا يرجع إلى ذلك فهو ممكن، فدخل فيه^٢ عالم أبدع من هذا العالم - و الله الموفق لما يريد^٣.

و لما كان الإنسان مع هذه المحاسن قد سلط الله سبحانه و تعالى عليه شهوات و هيا طبعه لردائل و أخلاق دنيا، و أهوية و حظوظ للأنفس ميلات، و كان أكثر الخلق بها هالكا لتبين قدرة الله سبحانه ١٠ و تعالى، لم يستثن^٤ بل حكم على الجنس كله بها كما حكم عليه بالتقويم، فقال تعالى دالا بأداة التراخي على أن اعوجاجه بعد ذلك العقل الرصين و الذهن الصافي المستنير في غاية البعد لولا القدرة الباهرة و القوة القاهرة القاهرة: (ثم رددته) أي بما لنا من القدرة الكاملة و العلم الشامل، ففعل منافع ما خلقناه^٥ له فضيع نفسه و فوت أسباب سعادته^٦ و نكسناه ١٥ نحن في خلقه، فصار بالأميرين في خلقه و خلقه نفسا و هوى أو أعم

(١) زيد من م (٢) من م، و في الأصل وظ: عليه (٣-٣) سقط ما بين الرقنين من ظ و م (٤) من ظ و م، و في الأصل: الخلائق (٥) من ظ و م، و في الأصل: لم يستثن (٦) من ظ و م، و في الأصل: بهما (٧) من ظ و م، و في الأصل: خلقنا (٨) من ظ و م، و في الأصل: سعادات و نكسناه - كذا.

من ذلك بالنكس^١ (اسفل سافلين لا) أى إلى ما تحت رتبة الجمادات المستفدرات، فصار يعمل الاعمال السيئات المقتضية بعد حسن الجمع لغاية الشتات^٢، أما رده فى خلقه فبأن سلطنا عليه الشهوات التى ركبناها فى النفوس، وجعلناها داعية / إلى كل بؤس، فغلبت على عقله فأعمته حتى أوردته^٣ الموارد، وأوقعته فى المهارى والمعاطب، حتى أنه ليركب كثيرا^٤ من أموره وهو قاطع بأنه باطل شنيع. لا يقدم على مثله عاقل، فصار يعبد من دون الله ما [هو - *] دون البشر بل ومطلق الحيوان بما لاضر فيه ولا نفع،^٥ و صار يركب^٦ الظلم والعدوان والإفك والبهتان، وما لا يحصى بالعد من أنواع الفواحش والعصيان، ويظلم أبناء جنسه وغيرهم، ويجتهد فى الفجور، ويتصرف بما^٧ لا يشك^٨ هو فى أنه لا يقره^٩ عليه من له أدنى نظر ممن يلزمه أمره^{١٠} ويعنيه شأنه، فصار بذلك أخط رتبة من البهائم بل من أدنى الحشرات المستفدرات لأنها وإن كانت لها شهوات إلا أنها ليس لها عقل تغطيه بها وتطمس نوره بظلامها، فلا تنسب إلى أنها قوّت شيئا لعدم تكليفها لعدم العقل الموجب للشرف، وأما هو فاستعمل ما خلقناه له من الآلات، وما فضلناه به من الكمالات،^{١٥}

(١) من ظ و م، وفى الأصل: بالنكسر (٢) من ظ و م، وفى الأصل: استتات - كذا (٣) زيد فى الأصل: فى، ولم تكن الزيادة فى ظ وم لحذفناها. (٤) من ظ و م، وفى الأصل: كثير (٥) زيد من ظ (٦-٧) من ظ و م، وفى الأصل: فصار (٧) من ظ و م، وفى الأصل: فيما (٨) زيد فى الأصل: فيه، ولم تكن الزيادة فى ظ وم لحذفناها (٩) من ظ و م، وفى الأصل: امره.

في غير ما خلقناه له فاستحق العذاب المهيئ، ثم يموت من^١ غير مجازاة
على^٢ شيء من ذلك أو على كثير منه^٣، فلا بد في الحكمة حينئذ من بعثه،
وله بعد البعث عند ربه على ذلك عذاب مقيم. وأما في خلقه فبالهرم
حتى صار بعد تلك القوى ضعيفا، وبعد ذلك العز ذليلا مهينا، وبعد
ذلك العلم الغزير والفكر المنير لا يعلم شيئا، وصار يستقدره^٤ وينسكبه
من كان يأفقه ويستعطره، وقال ابن رجان: أما رده في طريق الديانة
فبالكفر والتكذيب، وأما فيما سبيله الجزاء فبالسخ في دار البرزخ
وتحويل صورته إلى ما غلب^٥ عليه خلقته وعمله في^٦ الدنيا من الدواب
والهوام والبهائم، وفي الآخرة تزرق عيناه ويشوه خلقه^٧، وقال
الإمام أبو العباس الأقليشي^٨ في شرح «المقدم المؤخر» من شرحه للاسماء
الحسنى: إن الله تعالى خلقه - أي الإنسان - أولا في أحسن تقويم.
ثم ركب في هذا الجسم الذي يجذبه إلى أسفل سافلين^٩، فإن قدم عقله
على هواه صعد إلى أعلى عليين، وكان من المقربين المقدمين، وإن قدم
هواه هبط إلى أدراك الجحيم، وكان من المبعدين المؤخرين.

(١) من ظ و م، وفي الأصل: فلان قد استحق (٢) من ظ، وفي الأصل وم؛
على (٣) من ظ، وفي الأصل وم: من (٤) زيد في الأصل و ظ: بل،
ولم تكن الزيادة في ظ وم فحذفناها (٥) سقط من ظ وم (٦) من ظ وم،
وفي الأصل: قلب (٧) زيد في الأصل: دار، ولم تكن الزيادة في ظ وم
فحذفناها (٨) من ظ وم، وفي الأصل: خلقته (٩) راجع معجم المؤلفين
١٨١/٢ (١٠) من ظ وم، وفي الأصل: السافلين.

ولما حكم بهذا الرد على جميع النوع إشارة إلى كثرة المتصف به منهم، وكان الصالح قليلا جدا، جعله محط الاستثناء فقال: ﴿الذين آمنوا﴾ أى بالله ورسله^١ فكانوا [من - ٢] ذوى البصائر والمعارف، فغلطنا بلطفنا عقولهم بما دعت إليه و أعانت عليه الفطرة الأولى على شهواتهم، و حينئذ^٢ من أرذل / العمر، فكانوا [كليا - ٣] زدناهم ٥ / ٨٠٣ سنا زدنا أنوار عقولهم و نقصنا نار شهواتهم بما أضعفنا من إحكام طبائعهم و تعلقهم بهذا العالم، و أحكمتنا من مدارك أنوار الحق و إشرافاته^٤ منهم، و أعظمنا من قوى أرواحهم .

ولما كان الإنسان قد يدعى الإيمان^٥ كاذبا قال : ﴿و عملوا﴾ أى تصديقا لدعواهم الإيمان ﴿الصلحت﴾ أى من محاسن الأعمال من^٦ ١٠ الأقوال والأفعال ثابتة الأركان على أساس الإيمان، محكمة بما آتيناهم من العلم غاية الإحكام، متقنة غاية الإتقان، فانا حفظناهم - و قليل ما هم - بما كملناهم به و شرفناهم على جميع الحيوانات و سائر من سواهم فلم نمكن منهم الشهوات ولا غيرها، و أقنأهم^٧ على ما اقتضاه منهاج العقل، فتبعوا الرسل بسبب إبقائنا لهم على الفطرة الأولى فى أحسن تقويم، لم يدنس ١٥ بحياها بشهوة و لاحظ ولا هوى، فسهل انقيادهم، فأداهم ذلك إلى العدل

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : رسوله (٢) زيد من م (٣) من م ، وفى الأصل و ظ : حياتهم (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : إشرافاته (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : الآن (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : « و » (٨) فى ظ و م : إقنائهم

و النصفة و الإحسان، و جميع مكارم الأخلاق و معالى الأمور ،
 و لم يزيغوا عن [منهاج -^١] الرسل فى قول ولا عمل ، فالآية [كما ترى -^١]
 من الاحتباك : حذف أولا بما أفهمته الآية عمل السيئات . و ثانيا الإبقاء
 على أصل الخلق فى أحسن تقويم على الفطرة الأولى ، ليكون نظمها فى
 الأصل : " ثم رددناه أسفل سافلين ^٢ " بعمل السيئات فله على ذلك ^٢ عذاب
 مهين " (الذين آمنوا و عملوا الصالحات) فانا أبقينا هم على الفطرة الأولى
 فى أحسن تقويم .

ولما كان السياق لمدح المؤمنين ، حسن أن يعد أعمالهم التى تفضل
 عليهم بها سببا كما منّ عليهم ^٣ به من الثواب ^٤ فقال : (فلهم) أى
 ١٠ فتسبب عن ذلك أن كان لهم فى الدارين على ما وفقوا له بما يرضيه
 سبحانه و تعالى (اجر) أى عظيم جدا وهو مع ذلك (غير ممنون ^٥)
 أى مقطوع أو يمن عليهم به حتى فى حالة المرض و الهرم [لكونهم -^١]
 سعوا فى مرضاة الله سبحانه و تعالى و عزموا عزمًا صادقًا أنهم لا ينتصون
 من أعمال البر ذرة ^٦ ولو عاشوا مدى الدهر ، و ذلك الأجر جزاء لأعمالهم
 ١٥ فضلا منه بالأصل ^٧ و الفرع حتى أنهم إذا عجزوا بالهرم كتب لهم
 أجر ما كانوا يعملون فى حال الصحة ، و لمن تابع هواه فى السفول
 عذاب عظيم لأنه رد أسفل سافلين ^٢ .

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : السافلين (م) فى ظ :
 بذلك (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : على (هـ-هـ) من ظ و م ، وفى الأصل :
 بالثواب (٦) سقط من ظ و م (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : بالأصنف .

ولما ثبت بهذا انه لا يجوز في الحكمة تركهم بغير^١ جزاء مع ما
 يشاهد^٢ من ظلم بعضهم لبعض معاندة لما يقتضيه [قويم-^٣] العقل الذي
 لا شك فيه، فكان ذلك بحيث لا يرضاه أحد منهم ولا يقر مخلوق عبدا
 في ملكه على مثله بأن يغنى بعضهم على بعض فيهملهم^٤ بل لا بد أن
 يحجز بينهم أو يأخذ للظلم من الظالم، ولو كان ذلك المالك أقل الناس
 و أجهلهم فكيف إن كان عاقلا فكيف إن كان حاكما فكيف / إن
 كان لا يخاف أحدا فكيف إن كان عدلا مقسطا قد ثبتت إحاطة علمه
 وقدرته سبحانه وتعالى، حسن كل الحسن^٥ أن يكون ذلك سببا للانكار
 على من يظن أن الله يهمل عباده من الحكم بينهم لمجازاة كل من المطيع
 والعاصي بما^٦ عمل مع ما ترى من ظلم بعضهم لبعض، وأن الظالم قد^٧
 يموت قبل القصاص، فقال مسيبا عن الوعد بما أفصح^٨ به الكتاب من
 إثابة المؤمنين الذين طالما بغى عليهم الظلمة، وانتقصهم^٩ حقوقهم الفسقة،
 والوعيد بما أفهمه الخطاب لعقاب المجرمين الذين طالما بغوا على غيرهم:
 ﴿فما﴾ أي قسب عن إقامة الدليل على تمام القدرة و على بغى العبيد
 بعضهم على بعض أنه يقال لك تصديقا لك فيما أخبرت به من [أن-^{١٠}]

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : من غير (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : يشاء .
 - كذا (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : لا يشك (٥) من
 م ، وفي الأصل و ظ : فيهملهم (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : بل (٧) من
 ظ و م ، وفي الأصل : الحق (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : على (٩) سقط
 من ظ و م (١٠) من ظ و م ، وفي الأصل : افتتح (١١) من ظ و م ، وفي
 الأصل : انتقصوهم .

الله سبحانه و تعالى يبعث الخلائق بعد موتهم ليجازى كلا بما عمل
و إنكارا على من كذبك : [ما - ١] ﴿يَكْذِبُ﴾ أى أى شئ^١ ينسبك إلى
الكذب يا أشرف الخلق و أكملهم نفسا و أقام عرضا و أطهرهم خلقا
و خلقا، و عبر بـ «ما»^٢ إشارة إلى^٣ أن الكذب بهذا مع [هذا - ٤]
الدليل القطعى الذى تضمنته هذه السورة فى عداد ما لا يعقل بل دونه
﴿بعد﴾ أى بعد مشاهدة بغى بعض الناس على بعض استعمالا لحال^٥ التمسك،
و أعراه من الجار إشارة إلى أن هذا الذم لمن استغرق زمانه الذى بعد هذا
الدليل بالتكذيب، إشارة إلى أن من آمن قبل الغرغرة و اتصل بإيمانه ذلك
بموته^٦ كان ممن له أجر غير ممنون ﴿بالدين^٧﴾ أى الجزاء لكل أحد
بما يستحقه على سبيل العدل و الإنصاف لأجل تلك الأعمال التى غلبت
فيها الحظوظ على العقول، فوقع بها من الظلم و الأذى ما لا يسمع عاقلا
من العباد أن يحسن عنده ترك فاعلها من غير^٨ جزاء حتى كان أكثر
أفعال العباد ظلما، و من شأن الملوك الإنصاف بين عبيدهم و رعاياهم،
فكيف بالله سبحانه و تعالى الذى شرع لعباده ذلك، و قد ثبت بما له
١٥ من هذا الخلق العظيم، على هذا النظام المحكم و المنهاج الاقوم أنه الحكيم،
الذى لا حكيم غيره، العليم الذى لا عليم سواه .

(١) زيد من م (٢) سقط من م (٣-٢) من ظ و م، و فى الأصل :
ادت الاشارة اليه (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل : لحانة.
(٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل : اتصلت السعادة بإيمانه حين موته (٧) من
ظ و م، و فى الأصل : نعم .

ولما صح أن تارك الظالم بغير انتقام والمحسن بلا إكرام ليس
 [على - ٢] منهاج العدل الذي شرعه الله تعالى، حسن جدا تكرير
 الإنكار بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ ليس الله ﴾ أى على ما له من صفات
 الكمال، وأكد به الجار في قوله: ﴿ باحكم الحكيم ﴾ أى حتى يدع الخلق
 يهلك بعضهم بعضا من غير جزاء، فيكون خلقهم عبثا، بل هو أحكم
 الحاكمين علما وقدرة وعدلا وحكمة بما شوهده من إبداعه الخلق ومفاوته
 بينهم، وجعل الإنسان [من - ٢] بينهم على أحسن تقويم، فلا بد أن
 يقيم الجزاء ويضع الموازين القسط / ليوم القيامة فيظهر عدله وحكمته
 وفضله، وهذا الآخر هو أولها قسما من جهة النبوت التي ظهر بها
 حكمه وحكمته، ومقسما عليه من حيث أن الخلق في أحسن تقويم يقتضى ١٠
 العدل لا محالة، والرد أسفل سافلين* يتقاضى الحكم حتما لأجل ما يقع
 من الظلم والتشاجر بين من استمر على الفطرة القويمة ومن رد للأسفل
 سافلين، وقد اشتملت هذه السورة على وجازتها على جميع مقاصد
 التوراة إجمالا، وزادت الدلالة على الآخرة، وذلك أن قسمها هو قوله
 في التوراة «أتانا ربنا من سيناء وشرق لنا من جبل ساعر، وظهر لنا ١٥
 من جبال فاران»، والخلق في [أحسن - ٢] تقويم هو خلق آدم
 (١) من ظ و م، وفي الأصل: بغير (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م،
 وفي الأصل: شره (٤) زيد في الأصل: هذا، ولم تكن الزيادة في ظ و م
 لحذفناها (٥) من ظ و م، وفي الأصل: السافلين (٦) من ظ و م، وفي
 الأصل: ظران.

عليه الصلاة والسلام المذكور في أولها وخلق زوجه وما يحتاجان إليه
من السماء والأرض ، وخلق الأصفياء من أولادهما وما جاؤا به من
الخير ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات هو ما فيها من الشرائع
والأحكام ، وقوله بعد ما تقدم من المعبر بالمقسم عنه « معه ربوات
٥ الاطهار عن يمينه أعظام وحيهم إلى الشعوب ، وبارك على جميع أطهاره ،
والرد أسفل سافلين هو ما ذكر أولها من العصاة من قاييل ومن بعده
إلى آخرها ، على ما أشار إليه من عصيان بني إسرائيل الموجب للعنهم ،
فقد اكتفت بأول التوراة وآخرها وأوسطها ، وأبدأ بآخرها لأنه
في النبوات ، وهي أهم المهم لأنها المنجية من شر قطاع الطريق ، وآخرها
١٠ أدل ما فيها على النبوات^١ لاسيما الثلاث [العظام - ^٢] المشار إليها بقسم
هذه السورة - ^٣ والله سبحانه وتعالى أعلم بالغيب^٤ .

(١) زيد في الأصل : والله الهادي ، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها .
(٢) زيد من ظ و م (٣ - ٢) في ظ : والله الهادي إلى الصواب وإليه المرجع
والمآب ، وفي م : والله الهادي .

سورة العلق^١ وتسمى اقرأ

^٢ مقصودها الأمر لاسمياً للمقصود بالفضل في سورة التين بعبادة من له الخلق والأمر، شكراً لإحسانه واجتناباً لكفرانه، طمعا في جنانه وخوفا من نيرانه، لما^٣ ثبت من أنه يدين العباد يوم المعاد، وكل من اسمها دال على ذلك لأن المربى يجب شكره، ويحرم غاية التحريم كفره، على ه أن "اقرأ"، يشير إلى الأمر، "والعلق" يشير إلى الخلق، و "اقرأ" يدل على البداية وهي العبادة بالمطابقة، وعلى النهاية وهي النجاة يوم الدين باللائم، والعلق يدل على كل من النهاية ثم البداية باللائم، لأن من عرف أنه مخلوق من دم عرف أن خالقه قادر على إعادته من تراب، فإن التراب أقبل للحياة من الدم، ومن صدق [بالإعادة -] ١٠ عمل لها، و خص العلق لأنه مركب الحياة، ولذلك سمي^٦ نفسا ﴿بسم الله﴾ الذي له صفات الكمال فاستحق التفرد بالإلهية / ﴿الرحمن﴾ الذي عمت نعمته فاستوجب الشكر من سائر البرية ﴿الرحيم﴾ الذي وفق من شاء

(١) السادسة والتسعون من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آياتها ١٩ .
 (٢) زيدت الواو في الأصل ولم تكن في ظ و م فحذفناها (٣) من ظ ، وفي الأصل و م : كما (٤) زيد في الأصل : القيامة وهو، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : سمياً .

من خواصه لما أنالهم به^١ المواهب السنية^٢ والعطايا الوفية^٣ .

لما أمره سبحانه و تعالى في الضحى بالتحديث بنعمته ، و ذكره
بمجامعها في " ألم نشرح " فأتيج ذلك لإفراذه بما أمره به^٤ في ختمها من
تخصيصه بالرغبة إليه ، فدل في الزيتون على أنه أهل لذلك لتمام قدرته
الذى يلزم منه^٥ أنه لاقدرة لغيره إلا به ، فأتيج ذلك تمام الحكمة فأثمر قطاعا
البعث^٦ للجزاء فتشوف السامع^٧ إلى ما يوجب حسن الجزاء في ذلك اليوم
و بأى وسيلة يقف بين يدى الملك الأعلى في يوم الجمع الأكبر من
خصال الذين آمنوا و عملوا الصالحات ، فأرشد^٨ إلى ذلك في هذه السورة ،
فقال بادئا بالتعريف بالعلم الاصلى ذاكرًا أصل من خلقه سبحانه و تعالى
١٠ في أحسن تقويم و بعض أطواره الحسنة و القبيحة تمجيبا من تمام قدرته
سبحانه و تعالى و تنفيها على تعرفها و إنعام^٩ النظر فيها ، و قدم الفعل
العامل في الجار و المجرور هنا لأنه أوقع في النفس لكونها أول ما نزل
فكان الامر بالقراءة أم : (اقرأ) و حذف مفعوله لإشارة إلى أنه
لا قراءة إلا بما أمره به ، و هى الجمع الاعظم ، فالمعنى : أوجد القراءة لما
١٥ لامقروه غيره ، و هو القرآن الجامع لكل خير ، و أفصح له بأنه لا يقدر

- (١) زيد في الأصل : من ، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٢-٢) سقط
ما بين الرقيين من ظ و م (٣) في م : بها (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : منها .
(٥) من ظ و م ، وفي الأصل : البحث (٦) من م ، وفي الأصل و ظ :
الشارع (٧) زيد في الأصل : السياق ، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها .
(٨) من ظ و م ، وفي الأصل : امعان .

على ذلك إلا بمعونة الله الذى أدبه فأحسن تأديبه ، ورباه^١ فأحسن تربيته ، فقال ما أرشد المعنى إلى [أن -^٢] تقديره : حال كونك مفتتحا القراءة (باسم ربك) أى بأن تبسمل ، أو مستعينا بالمحسن إليك لما^٣ له من الأسماء الحسنى والصفات العلى بما خصك به فى "ألم نشرح" أو بذكر اسمه ، والمراد على هذا بالاسم الصفات العلى ، و عبر به لأنه يلزم من حسن ه الاسم حسن مدلوله ، ومن تعظيم الاسم تعظيم المسمى وجميع ما يتصف به و ينسب إليه^٤ ، قالوا : وهذا يدل على أن القراءة لا تكون تامة إلا بالتسمية ، ولكونه فى سياق الأمر بالطاعة الداعى إليها تذكر النعم لم يذكر الاسم الأعظم الجامع ، وذكر صفة الإحسان بالتربية الجامع لما عداه و تأنيسا له صلى الله عليه وسلم لكونه أول ما نزل حين جب ١٠ إليه الخلاء ، فكان يخلو بنفسه^٥ يتعبد بربه فى غار حراء ، فجاءه جبريل عليه الصلاة والسلام بخمس آيات من أول هذه السورة إلى قوله "ما لم يعلم" ولهذا السراقة مساق البسملة بعبارة هى أكثر تأنيسا فى أول الأمر وأبسط منها ، فأشار إلى الاسم الأعظم بما فى مجموع الكلام من صفات الكمال ، وأشار إلى عموم منه الرحمن بصفة / الخلق المشار إلى تعميمها^٦ ١٥ / ٨٠٧ بخذف المفعول ، وإلى خصوص صفة الرحيم بالأكرمية التى من شأنها

- (١) من م ، وفى الأصل و ظ : زيادة (٢) زيد من م (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : الى ما (٤) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ و م فحذفناها .
(٥) سقط من ظ و م (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : نعيمها .

بلوغ النهاية ، وذلك لا يكون بدون إفاضة العمل بما يرضى ، فيكون سببا
للكرامة^١ الدائمة ، و بالتعليم^٢ الذى من شأنه أن يهذى إلى الرضوان ،
و أشار إلى الاستعاذة^٣ بالأمر بالقرآن لما أفهمه قوله سبحانه و تعالى ” و اذا
قرأت القرآن جعلنا بينك و بين الذين لا يؤمنون بالآخرة - [أى من
هـ شياطين الإنس و الجن -]^٤ - حجبا مستورا “ - و قوله تعالى ” فاذا
قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم “ .

و لما خصه تشريفا^٥ باضافة هذا الوصف الشريف إليه ، وصفه
على جهة العموم بالخلق و الأمر إعلاما بأن له التدبير و التأثير ، و بدأ
بالخلق لأنه محسوس بالعين ، فهو أعلق^٦ بالفهم ، و أقرب إلى التصور ، و أدل
١٠ على الوجود و عظيم القدرة و كمال الحكمة^٧ ، فكانت البداية به فى هذه
السورة التى هى أول ما نزل أنسب الامور لأن أول الواجبات^٨ معرفة
الله^٩ ، و هى بالنظر إلى أفعاله فى غاية الوضوح فقال : (الذى خلق)^{١٠}
و حذف مفعوله إشارة إلى أن له هذا الوصف و هو التقدير و الإيجاد
على وفق التقدير الآن و فيما كان و فيما يكون ، فكل شئ يدخل فى
١٥ الوجود فهو من صنعه و متردد بين إذنه و منعه و ضره و نفعه .

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : الكرامة (٢) من ظ و م ، و فى الأصل :
بالتعظيم (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ساعاته - كذا (٤) زيد من ظ و م .
(٥) زيد فى الأصل : بما خصه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من
ظ و م ، و فى الأصل : أعلم (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : القدرة (٨-٨) فى
ظ و م : معرفته سبحانه .

ولما كان الحيوان أكمل المخلوقات، وكان الإنسان أكمل الحيوان
و زبدة مخضه، و لباب حقيقته و سر محضه، و أدل على تمام القدرة
لكونه جامعا لجميع ما فى الأكون، فكان خلقه أبداع من خلق غيره،
فكان لذلك أدل على كمال الصانع^١ و على وجوب إفراده بالعبادة، خصه
فقال: ﴿خلق الإنسان﴾ أى هذا الجنس الذى من شأنه الانس بنفسه^٥
و ما رأى من أخلاقه و حسه، و ما ألقه من أبناء جنسه .

ولما كانت العرب تأكل الدم، و كان الله تعالى قد حرمه لانه^٢
أصل الإنسان^٣ أو غيره من الحيوان^٢ و هو مركب الحياة، فاذا أكل تطبع
آكله بخلق ما هو دمه، قال معرفا بأنه سبحانه و تعالى بنى هذه الدار^٤ على
حكمة الأسباب مع قدرته على الإيجاد من غير تطوير^٥ فى تسليب: ١٠
﴿من علق^٦﴾ أى [خلق-^٦] هذا النوع من هذا الشيء و هو دم شديد
الحرارة جامد غليظ، جمع علقه، وكذا الطين الذى يعلق باليد يسمى علقا،
و هم^٧ مقرّون بخلق الآدمى من الأمرين كليهما، فالآية من أدلة إمامنا
الشافعى رضى الله تعالى عنه على استعمال المشترك فى معنيه، و لعله عبر
به ليعم الطين فيكون - مع ما فيه من الإشارة إلى بديع الصنعة - إشارة إلى ١٥
حرمة أكل ما هو أصلنا من الدم و التراب قبل أن يستحيل، فاذا

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الصنع (٢) من ظ و م، و فى الأصل: لأن.

(٣-٢) من ظ و م، و فى الأصل: من الحيوان و غيره (٤-٤) فى ظ و م:

بنى هذه الدار سبحانه و تعالى (٥) من ظ و م، و فى الأصل: تطوّر (٦) زيد

من ظ و م (٧) من ظ و م، و فى الأصل: هو .

/ ٨٠٨

استحال وصف بالحلال لأن الاستحالات لها مدخل في الإحالات^١
 في النكاح وغيره /، واحمرار النطفة ليس استحالة لأنها كانت حمراء قبل
 قصر الشهوة لها، وربما ضعفت الشهوة عن قصرها فزلت [حمراء-]،
 فاذا تحول^٢ الدم لما صار إلى جنس ما يحل، وكذا إذا تحول التراب
 بمخالطة الماء تمراً^٣ أو حبا حل .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما قال الله سبحانه وتعالى لنبيه
 صلى الله عليه وسلم "فما يكذبك بعد بالدين اليس الله باحكم الحاكمين"
 وكان معنى ذلك: أى شئ حل على هذا بعد وضوح الأمر لك وبيانه
 وقد نزهه سبحانه وتعالى عن التكذيب بالحساب وأعلى قدره عن ذلك،
 ١٠ ولكن سبيل مثل هذا إذا ورد كسبيل قوله تعالى "لئن اشركت ليحبطن
 عملك" وبابه، وحكم هذا القليل واضح في حق من تعدى إليه الخطاب
 وقصد بالحقيقة به من أمته صلى الله عليه وسلم من حيث عدم عصمتهم
 وإمكان تطرق الشكوك والشبهة إليهم، فتقدير الكلام: أى شئ
 يمكن^٤ فيه أن يحملكم على التوقف أو التكذيب بأمر الحساب، وقد
 ١٥ وضع لكم ما يرفع الريب ويزيل الإشكال، ألم تعلموا أن ربكم أحكم
 الحاكمين؟ أفيلق^٥ به وهو العليم الخبير أن يجعل اختلاف أحوالكم في

(١) من ظ، وفي الأصل: الاستحالات، وفي م: الاستحالات (٢) زيد
 من ظ وم (٣) من ظ وم، وفي الأصل: استحالة (٤) من ظ وم، وفي
 الأصل: بحر (٥) من ظ وم، وفي الأصل: طريق (٦) من م، وفي الأصل
 و ظ: يمكنكم (٧) من ظ وم، وفي الأصل: يلقي.

الشكوك بعد خلقكم في أحسن تقويم؟ أفيحسن أن يفعل ذلك عبثاً؟
وقد قال تعالى "وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما باطلاً" فلما
قرر سبحانه العبيد على أنه أحكم الحاكمين مع ما تقدم ذلك من موجب
نفي الاسترابة في نوع الحق إذا اعتبر و نظر، و وقعت في الترتيب سورة
العلق مشيرة إلى ما به يقع [الشفاء - ٢]، ومنه يعلم الابتداء والانهاء، هـ
وهو كتابه المبين، الذي جعله الله تعالى تبياناً لكل شيء و هدى و رحمة
و بشرى للحسنين، فأمر بقراءته ليتدبروا آياته فقال "اقرأ باسم ربك"
مستعينا به فسوف يتضح سبيلك و ينتهج دليلك "تبارك الذي نزل الفرقان
على عبده ليكون للعالمين نذيراً" و أيضاً فإنه تعالى أعلم عباده بخلقهم
الإنسان في أحسن تقويم "ثم رددناه أسفل سافلين" و حصل منه على ما ١٠
قدم^٢ بيانه افتراق الطرفين و تباين القائلين، كل ذلك بسابق حكمته
و إرادته "و لو شئنا لآتينا كل نفس هداها" و قد بين سبحانه لنا
أقصى غاية ينالها أكرم خلقه و أجل عباده لديه من الصنف الإنساني،
و ذلك فيما أوضحت السورتان قبل من حال نبينا المصطفى صلى الله
عليه وسلم و جليل وعده الكريم له في قوله "و لسوف يعطيك ربك ١٥
فرضى" و فضل حال ابتداء "الم نشرح" على تقدم سؤال "رب اشرح"
إلى ما أشارت إليه آى السورتين من خصائصه الجليلة، و ذلك
أعلى مقام يناله^٤ أحد من ذكر، فوقع [تعقيب - ٢] ذلك بسورة

(١) من ظ و م، وفي الأصل: وقد (٢) زيد من ظ و م (٣) من م، وفي
الأصل و ظ ١ تقدم (٤) في ظ: لا يناله .

/ ٨٠٩

تضمنت الإشارة إلى حال من جعل في الظرف الآخر من الجنس الإنساني،
وذلك حال من أشير إليه من لدن قوله تعالى "أرأيت الذي ينهى عبدا
إذا صلى" إلى قوله "كلا لا تطعه" ليظهر تفاوت / المنزلتين وتبين ما بين
الحالتين، وهي العادة المطردة في الكتب، ولم يقع صريح التعريف هنا
ه كما وقع في الظرف الآخر لطابق المقصود، ولعل بعض من لم يتفطن
يعترض هنا بأن هذه السورة من أول ما أزل فكيف يستقيم مرادك
من ادعاء ترتيبها على ما تأخر [عنها-^٢] نزولا، فنقول له: وأين غاب
اعتراضك في عدة سور مما تقدم بل في معظم ذلك، وإلا فليست سورة
البقرة من المدنى، ومقتضى تأليفنا هذا بناء ما بعدها من السور على الترتيب
الحاصل في مصحف الجماعة إنما هو عليها وفيما بعد من المكي^٢ ما لا يخصي،
فإنما غاب عنك نسيان (٩) ما قدمناه في الخطبة من أن ترتيب السور على
ما هي عليه راجع إلى فعله عليه الصلاة والسلام أكان ذلك بتوقيف
منه أو باجتهاد الصحابة رضي الله عنهم على ما قدمناه، فارجع بصرك،
وأعد في الخطبة نظرك، والله يوفقنا إلى اعتبار بيناته وتدبر آياته،
و يحملنا في ذلك على ما يقربنا إليه بمنه [و-^٥] فضله - انتهى .

و لما أتم سبحانه ما أراد من أمر الخلق وهو الإيجاد [بالأسباب-^٥]

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : ليوافق (٢) زيد من ظ و م (٣) زيدت
الواو في الأصل ولم تكن في ظ و م لخدمتها (٤) من ظ و م ، وفي الأصل :
الى (٥) زيد من م .

بالتدرج، أخذ في التنبيه على عالم الأمر وهو الإبداع من غير أسباب،
فقال مكرراً للأمر بالقراءة تنبيهاً على عظم شأنها وتأييلاً له صلى الله عليه
وسلم و^١ مسكناً لروعه ومعلماً أن من جاءه الأمر من قبله ليس كأربابهم:
﴿اقرأ﴾ ولما كان قد قال صلى الله عليه وسلم عند هذا الأمر إخباراً
بالواقع كما يقوله لسان الحال لو لم ينطق بلسان القول: ما أنا بقارئ، هـ
فكان التقدير: فربك الذي ربك فأحسن تربيتك وأدبك فأحسن
تأديبك^٢ أمرك بالقراءة وهو قادر على جعلك قارئاً، عطف عليه [قوله -^٣]:
﴿وربك﴾ أو يكون التقدير: والحال أن الذي خصك بالإحسان الجم
﴿الأكرم﴾ أى الذى له الكمال الأعظم مطلقاً من جهة الذات ومن
جهة الصفات ومن جهة الأفعال، فلا يلحقه نقص فى شيء من الأشياء ١٠
[أصلاً -^٤] لأن حقيقته البعيد عن اللوم الجامع لمساوى الأخلاق، فهو
الجامع^٥ لمعالى الأخلاق، وليس غيره يتصف بذلك، فهو يعطيك ما لا يدخل
تحت الحصر، وأشار إلى [أن -^٦] من ذلك أنه يفيض على^٧ أمته الامية
من العلم والخط ما لم يفض على أمة قبلها على قصر أعمارهم، فقال مشيراً
إلى العلم التعليم، مشعراً بوصفه سبحانه بالمنح بالعلم إلى ترتيب الحكم بالأكرمية ١٥
على هذا الوصف الناقل للانسان من الحال العلقى^٨ السافل إلى هذا الحال

(١) سقط من م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : نادبك (٣) زيد من م .
(٤) زيد من ظ و م (٥) زيد فى الأصل : ما ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م
لحذفها (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : الى (٧) من م ، وفى الأصل
و ظ : العلقى .

العالى الكامل ﴿الذى علم﴾ أى بعدد^١ الحلم عن معاجلتهم^٢ بالعذاب
والعقاب^٣ جودا منه من غير مانع من خوف عاقبة ولا رجاء منفعة ﴿بالقلم^٤﴾
أى الكتابة به . ولما نبه بذلك على [ما فى -^٥] الكتابة من المنافع
التي لا يحيط بها غيره سبحانه وتعالى ، لأنها انبنت عليها استقامة أمور
الدنيا والدين فى الدنيا والآخرة ، وهى كافية فى الدلالة على دقيق^٥
حكيمته / تعالى ولطيف تدبيره ، زاد ذلك عظمة على وجه يعم غيره فقال^٦ :
﴿علم﴾ أى العلم الضرورى والنظرى ﴿الانسان﴾ أى الذى من شأنه
الانسان بما هو فيه لا يتقل إلى غيره بل ينسأه إن لم يلهمه ربه إياه
﴿ما لم يعلم﴾ أى باطنه وحكمته لينتظم^٧ به حاله [فى دينه -^٨] من الكتاب
والسنة ودينه من المعاملات والصنائع ، فيفيض عليه من علمه اللدنى الذى
لا سبب له ظاهر ما يعرف به ترتيب المقدمات بالحدود [و -^٩]
الوسطى ، فيعلم النتائج ، وما يعرف به الحدسيات ، وذلك بعد خلق
القوى ونصب الدلائل وإنزال الآيات . ولو كان ذلك بالاسباب فقط
لتساوى الناس فى مدة التعليم [و -^٩] فى أصل المعلوم كما تساوا فى
مدة الحمل وأصل الإنسانية ، وقد ذكر سبحانه مبدأ الإنسان ومنتهاه
بنقله من أحسن الحالات^{١٠} إلى أعلاها تقريراً لربوبيته^{١١} وتحقيقاً لأكرميته ،

(١) زيد فى ظ : محكم (٢-٢) فى ظ و م : بالعقاب (٣) زيد من ظ و م .
(٤) زيد فى الأصل : وما فيها ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من
ظ و م ، وفى الأصل تدقيق (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : قال (٧) زيد
فى ظ : من (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : لينتظم (٩) زيد من م (١٠) من
ظ و م ، وفى الأصل : الأحوال (١١) من م ، وفى الأصل وظ : للربوبية .

قال الملوى : و لو كان شيء من العطاء و النعم أشرف من العلم لذكره ' عقب صفة الأكرمية - انتهى ، و فى ذلك إشارة إلى مزيد كرم العلماء بالتعليم ، و فى الآية الإشارة إلى مطالعة عالمى الخلق و الأمر ، قال الرازى ، و فى كل من العالمين خصوص و عموم - انتهى ، فالمعنى أنه يعلمك أيها النبي الكريم و إن كنت أميا لا تعلم الآن شيئا كما علم بالقلم من لم يكن يعلم ، ه فتكون أنت - بما أشارت إليه صفة الأكرمية على ما أنت فيه من الأمية - أعلم من أهل الأقاليم ، و أعلى فى [كل - ٢] مقام سام .

و لما كان الدم أكثر الأخلاط و أشدها هيجانا^٢ ، فإن مرضه لا يشبهه شيء من أمراض بقية الأخلاط ، و كان مع ذلك سريع البرء إن أصيب بعلاجه و عولج بأمر قاهر أقوى منه ، و كان العلم قرين الغنى فى الأغلب ، ١٠ و كانت زلة العالم تفوق زلة غيره ، قال معرفا بعد التعريف بالإلهيات بأمر النفس مينا لقسم الإنسان المردود أسفل سافلين مقررا لحاله ، و رادعا له عن ضلاله : ﴿ كَلَّا ﴾ أى ارتدع أيها العالم عن الطغيان إن نلت الغنى حقا ﴿ ان الانسان ﴾ أى هذا النوع الذى هو نوعك و من شأنه الانس بنفسه و النظر فى عطفه ﴿ ليطنى^٣ لا ﴾ أى من شأنه - إلا من ١٥ عصمه الله سبحانه - أن يزيد على الحد الذى لا ينبغي له مجاوزته كما يزيد الخلط^٤ الدموى ، و أكده لما لاكثر الخلق من التكذيب به فانه لا طاعى يقر بأنه طغى ﴿ ان ﴾ أى لأجل أن ﴿ راه ﴾ أى علم الإنسان نفسه

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : لذكر (٢) زيد من ظ و م (٣) فى ظ و م : هيجا (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : كان (ه) من ظ و م ، و فى الأصل : الحفظ .

علما وجدانيا (استغنى^١) أى وجد له الغنى، هذا هو الطبع الغالب فى الإنسان متى استغنى عن شىء عمى عن مواضع افتقاره، فتغيرت أحواله معه، و تجاوز فيه ما ينبغى له الوقوف عنده «ولا يملأ» جوف ابن آدم إلا التراب، و من كان مفتقرا^٢ إلى شىء كان منطاعا له كما فى حديث
 ٥ آخر أهل النار خروجا منها يقسم لربه أنه لا يسأل غير ما طلبه، فاذا أعطيه و استغنى به سأل غيره حتى يدخل دار القرار، [و -^٣] لعله نبه بهذا على أن هذه الأمة المحتاجة ستفتح / لها خزائن الأرض فيطغيها الغنى كما أظنى من قبلها وإن كانوا هم ينكرون ذلك كما قال صلى الله عليه وسلم حين بشرهم بالفتوحات و قال : إنه يغدى على أحدكم بصفحة
 ١٠ و يراح عليه بأخرى^٤ ثم قال لهم : أنتم اليوم خير أم يومئذ، فقالوا : بل يومئذ، تنفرغ لعبادة ربنا، فقال : بل أنتم اليوم خير منكم يومئذ، قال صلى الله عليه وسلم : و الله ما الفقر أخشى عليكم، و لكن أخشى أن يبسط^٥ عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم - أو كما قال صلى الله عليه وسلم .

١٥ ولما كان لا دواء [لذلك -^٦] مثل تذكر الجزاء. قال معرفا أن

- (١) من ظ و م ، و فى الأصل : بنى (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : معتقدا .
 (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ان (٤) زيد من م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : أخرى (٦) زيد فى الأصل : كما ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لخصفها (٧) زيد فى الأصل : الله ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لخصفها (٨) زيد من ظ و م .

الإنسان لا يزال مفتقرا إلى مولاه في حياته و [ماتته -^١] وغناه وفقره،
محذرا له سوء حالاته مؤكدا لأجل إنكارهم ذلك: ﴿ ان الى ربك ﴾
أى المحسن إليك بالرسالة التى رفع بها ذكرك، لا إلى غيره من التراب
ونحوه^٢ ﴿الرجعى له﴾ أى الرجوع الاعظم الثابت الذى لا يحيد عنه، أما
في الدنيا فلا يحيد عن الإقرار به، فانه لا يقدر أحد على شئ. إلا بتقديره، ه
و أما في الآخرة فيما أثبت في برهانه في سورة التين، فيحاسب الناس
بأعمالهم، ويجازى كل أحد بما يستحق من ثواب أو عقاب، فقيه وعيد
للطاغى [وتحقير -^١] لغنى ينقطع .

ولما أخبر بطغيانه وعجل بذكر دوائه لأن المبادرة بالدواء لثلاث^٣
يتحكم الداء واجبة، دل على طغيانه مخوفا من عواقب الرجعى في أسلوب ١٠
التقرير لأنه أوقع في النفس و أروع^٤ للّب لأن أبا جهل قال: لئن رأيت
محمدا يعفر وجهه لأفضخن رأسه بصخرة، فجاء ليفعل ما^٥ زعم فتكص على
عقيقه ويبست يده على حجره فسئل عما دهاه، فقال: إن يئى و بينه لهولا
وأجنحة، وفي رواية: لخذلنا من النار^٦، وفي رواية: لفحلا من الإبل،
فأرأيت مثله، ولودنوت [منه -^٧] لأكلنى، وأصل الحديث في صحيح ١٥
مسلم^٨ عن أبى هريرة رضى الله عنه، [فقال -^٧]: ﴿ارهيت ﴾ تقدم

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، وفي الأصل: وغيره (٣) من ظ
و م، وفي الأصل: قبل ان (٤) من ظ و م، وفي الأصل: أروع (٥) من
ظ و م، وفي الأصل: كما (٦) في ظ: الغبار (٧) زيد من ظ (٨) راجع
صفات المنافقين .

في الأنعام أن هذا الفعل إذا لم يكن بصريا كان بمعنى أخبر، فالمعنى:
[أخبرني - '] هل علمت بقلبك علما هو في الجلاء كروية بصرك
(الذي ينهى لا) أي على سبيل التجديد والاستمرار .

ولما كان أخش ما يكون صد العبد عن خدمة سيده، قال معبرا
بالعبودية منكرا للبالغة في تقبيح النهى والدلالة على كمال العبودية:
٥ (عبدا) أي من العبيد (إذا صلي) أي خدّم سيده الذي لا يقدر
أحد أن ينكر سيادته بإيقاع الصلاة التي هي وصلته به، وهي أعظم
أنواع العبادة لأنها مع كونها أقرب وصلة إلى الحق انقطاع وتجرد
بالكلية عن الخلق، فكان نهيه له عن ذلك نهيا عن أداء الحق لاهله
١٠ حسدا أو بغيا، فكان دالا على أن من طبع [أهل - '] كل زمان
عداوة أهل الفضل وعدمهم عن الخير لثلاثا يختصوا^١ بالكمال .

ولما كان هذا أمرا خارجا عن الحد في الطغيان، وكان السؤال
إنما / هو عن رؤية حاله في نهيه العبد عن الصلاة، لا عن رؤية ذاته،
فتشوف السامع إلى معرفة ذلك [الحال - ']، كرر التقرير بزيادة
١٥ التعجيب من حاله والتحذير، فقال مكررا العامل بزيادة في التأكيد وبيانا
لأن هذا في الحقيقة أول السؤال عن الحال: (أريت) أي أخبرني^٢
عن حاله (ان كان) أي هذا الناهي، وعبر بأداة الاستعلاء إشارة
إلى أنه في غاية الثبات والتمكن فقال: (على الهدى لا) أي الكامل

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ ر م، وفي الأصل: لثلاثا يختصموا (م) من
ظ و م، وفي الأصل: اخبرت .

في الهداية فكف^١ عن نهى هذا المصلى عن خدمة مولاه الذي هو معترف بسيادته و إن ادعى كذبا أن له شريكا كما أنه لا ينهى عن السجود للأصنام .

ولما ذكر ما لعله يكون عليه في تكميل نفسه ، ذكر ما لعله يعانيه من إنجاء غيره فقال : ﴿ او امر ﴾ أى ذلك الناهى ﴿ بالتقوى^٥ ﴾ ه
أى التى هى عماد الدين ، وهى عمارة الباطن بالنور الناشئة عن الهدى ، و عمارة الظاهر لذلك ، المرشحة من عمارة الباطن ، الموجب لذلك ، فأمر هذا المصلى بملازمة خدمة سيده المجمع على سيادته ، ولاشك في توحيده^٢ بالربوبية بالإقبال على ما يرضيه من أفعال العبادة^٣ ، ليكون ذلك وقاية للفاعل من سخطه فيأمن الهلاك ، والجواب محذوف تقديره : ألم يكن خيرا ١٠ له فليتدبر^٤ كل أمر من أموره فلا يقدم عليه حتى يعلم بالدليل أنه هدى و تقوى .

ولما كان التقدير حتما كما هدى إليه السياق ما قدرته من جواب السؤالين ، بنى عليه قوله زيادة في التوبيخ والتعجيب والتقريع استفهاما عن حال لهذا الناهى مناف^٦ للحال الأول معيدا الفعل لإيضاحا لذلك : ١٥
﴿ اريت ﴾ أى أخبرنى أيها السامع ولا تستعجل ﴿ ان كذب ﴾ أى [أوقع -^٦] هذا الناهى التكذيب بأن المصلى على الهدى بخدمة سيده

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : فكيف (٢) في ظ : توحده (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : العباد (٤) من م ، وفي الأصل و ظ : فيتدبر (٥) من ظ ، وفي الأصل و م : منافيا (٦) زيد من ظ و م .

المتفق على سيادته ، فكان بذلك مرتكبا للضلال الذي لا شك في كونه ضلالا ، ولا يدعو إليه إلا الهوى .

و لما كان المكذب [قد - ١] لا يترك من كذبه ، أشار إلى أن حال هذا على غير ذلك فقال : ﴿ وتولى ﴾ أى وكلف فطرته الأولى بعد معالجتها الإعراض عن قبول الأمر بالتقوى ، وذلك التولى لإخراجه الباطن بالأخلاق السيئة الناشئة عن التكذيب [وإخراجه الظاهر بالأعمال القبيحة الناشئة عن التكذيب - ٢] ، والجواب محذوف تقديره : ألم يكن ذلك التولى و التكذيب شرا له لأن التكذيب والتولى من غير دليل شر محض ، فكيف إذا كان الدليل قائما على ضدّهما .

١٠ و لما عجب من حاله البعيدة عن العقل مع نفسه و مع أبناء جنسه ، أنكر عليه معجبا من كونه يعلم أنه ليس بيده شئ ، المنتج لأنه مراقب و حاله مضبوط غاية الضبط و ينسى ذلك ، فقال ذاكرا مفعول « أرديت » الثانى و هو لا يكون إلا جملة استفهامية : [(ألم يعلم) - ١] أى يقع له علم يوما من الأيام (بأن الله) أى و هو الملك الأعلى (يرى) أى [له - ١]

١٥ صفتا البصر و العلم على الإطلاق ، فهو يعلم كل معلوم و يبصر كل مبصر ، و من كان له ذلك كان جديرا بأن يهلك ٢ من يراه على الضلال و الإضلال و ينصر / من يطيع امره على كل من يعاديه ، و إنما جاء هذا الاستفهام الإنكارى على هذا الوجه لأنهم يعترفون بكل ما أنكر عليهم

/ ٨١٣

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد من ظ (٣) زيد في الأصل : كل ، ولم تكن الزيادة في ظ و م محذوفها .

فيه و يلزمهم [بما يفعلون - '] من عداوة النبي صلى الله عليه وسلم أن يكونوا منكرين له، وذلك هو عين التناقض الذي لا أشنع عندهم منه، هذا ويمكن، وهو أحسن، أن تنزل الآية على الاحتباك فيقال: لما كان السؤال عن حال الناهي لأن الرؤية عليه لا بصرية، فتشوف السامع إلى معرفتها. وكان للناهي حالان: طاعة ومعصية، بدأ بالأولى لشرفها^٥ على الأسلوب الماضى فى التقرير على سبيل التعجيب فقال: "أريدت" أى أخبرنى "ان كان" الناهي ثابتا فى نهيه هذا متمكنا "على الهدى" أى الكامل "او" كان قد "امر" فى ذلك الأمر^٢ أو فى أمر^٣ ما من عبادة الأولان وغيرها "بالتقوى" وحذف جواب السؤال عن هذا الحال لدلالة جواب الحال الثانى عليه، وهو ألم يعلم بأن الله يرى كل ١٠ ما يصح أن يرى، فينهى عنه إن كان مكروها ولا يقر عليه ويحاسب به ليزن هذا الناهي أفعاله بما شرعه سبحانه من الدليل العقلى والسمعى فيعلم أهى مما يرضيه ليقره^٤ عليه كما يقر [سائر - '] ما يرضيه أو يستخطه فيمنعه منه. ولما ذكر ما يمكن أن يكون عليه حال الناهي من السداد، ذكر ما يمكن أن يكون عليه من الفساد، فقال مقورا معجبا معيدا ١٥ العامل لزيادة التعجيب على النمط الأول: "أريدت ان كذب" أى هذا الناهي بالحق فى وقت النهى - ولما كان لا يلزم من التكذيب التولى

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، وفى الأصل: اشرفها (٣-٢) سقط

ما بين الرقمين من ظ و م (٤) من ظ و م، وفى الأصل: فيقره.

قال: "وتولى" أى عن الدين بنهيه هذا، فكان على الضلال والهو
 متمكنا في^١ ذلك بحيث [أنه -^٢] لا يصدر عنه فعل [إلا فاسدا^٣
 "الم يعلم بأن الله يرى" فيحاسب نفسه بما ارشد إليه سبحانه من البراهين
 فيعلم أن ما هو عليه من الرشد إن كان الله يقره عليه ويمكنه منه أو الغواية
 ه إن كان ينهيه عنه ولا يقره عليه، كما فعل بهذا الذى أقسم: ليرضخ رأس
 هذا المصلى، وأقدم عليه بصخرته وهو عند نفسه فى غاية القدرة على ذلك
 بزعمه فنفعه الله منه وردده عنه فرجع على عقبيه خاسئا ظاهرا عليه الجبن
 والرعب وغيرهما مما يتحاماه الرجال^٤، ويأتف منه الضراغمة الأبطال،
 والاحتباك هنا بطلب وأريت، جملة ليس هو من التنازع لأنه يستدعى
 ١٠ إضمارا والجل لا تضمر، إنما هو من باب الحذف لدليل، فحذف الكون^٥
 على الضلال ثانيا "لدلالة الكون" على الهدى [عليه -^٦] أولا، وحذف
 "الم يعلم بأن الله يرى" أولا لدلالة ذكره^٧ آخره عليه .

ولما كان هذا الخبيث معرضا عن هذا العلم الذى هو معترف به
 كله، وإنما كان إعراضه لما^٨ عنده من الحظوظ والشهوات الموقعة له

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : من (٢) زيد من ظ و م (٣) من م ، وفى
 الأصل و ظ : فاسد (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : عاتيه (٥) من ظ و م ،
 وفى الأصل : عنه (٦) من م ، وفى الأصل و ظ : الرجل (٧) من ظ و م ،
 وفى الأصل : لكونه (٨-٨) من ظ و م ، وفى الأصل : للدلالة (٩) من ظ
 و م ، وفى الأصل : ذكر (١٠) من ظ ، وفى الأصل و م : لما (١١) من ظ
 و م ، وفى الأصل : بما .

- بحكم الرد^١ أسفل سافلين - إلى رتبة البهائم ، أتى بأعظم أدوات الردع
 فقال : ﴿ كلا ﴾ أى ليس عنده علم بشيء من ذلك لسفول رتبته عن رتبة
 البهائم ولا فى يده شيء من الأشياء ، فهو لا يقدر / على شيء مما رآه
 من الأذى ، فليرتدع عن تعاطي ذلك لأنه لا يضر إلا نفسه .

و لما كان نقي العلم عنه يوم أنه فى عداد الغافلين الذين لا ملامه ه
 عليهم ، بين أن اتقاء العلم عنه ليس عن غفلة يعذر صاحبها ، إنما هو عن
 تهاون بالخير^٢ ورضى بالعمى و التقليد ، فهو من قسم الضال^٣ الذى فرط
 فى استعمال القوة العلمية المذكور^٤ فى الفاتحة ، فاستأنف الإخبار عنه فى
 جواب من يقول : فما يفعل [به - °] ؟ معبرا^٥ بأداة الشك لإقامة له ولغيره
 فى محل الرجاء لانتهائه إبقاء للتكليف و مؤكدا لأنهم منكرو^٦ : ١٠
 ﴿ لن لم ينته ﴾ أى يقتل^٧ هذا الناهى لهذا العبد المطيع فيقف و يكف
 عما هو فيه من نهيه و تكذيبه و توليه .

و لما كان الحال غير محتاج إلى أكثر من التأكيد لإيقاع الفعل ،
 عبر بالحقيقة و لم ينقلها لإشارة إلى أن هذا الناهى أقل من أن يحتاج
 فيه إلى فعل شديد ، بل أقل نفحة من العذاب تكفى فى إهلاكه ، و ما كان ه
 أصل التأكيد إلا تطيبا^٨ لقلوب الأولياء و تكذيبا للأعداء فقال^٩ :

(١) زيد فى الأصل : فى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٢) من ظ و م ،
 وفى الأصل : فى الخير (٣) من م ، وفى الأصل وظ : الضلال (٤) من م ، وفى
 الأصل وظ : المذكورة (٥) زيد من ظ و م (٦) زيد فى الأصل : له ، ولم تكن
 الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : يعتقد (٨) من ظ
 و م ، وفى الأصل : تعليليا (٩) فى الأصل وظ : قال ، و ساقط من م .

﴿لنسفعاً﴾ أى والله لناخذن و نقبضن قبضا و أخذنا بشدة و عنف مع الجرو والاجتذاب و اللطم و الدفع و الغيظ أخذ من يعرض ما خوضه و يذله و يسود وجهه و يقدره ﴿بالناصية﴾ أى بالشعر الذى فى مقدم رأسه و هو أشرف ما فيه، و العرب لا تأنف من شئ أنفثهم من أخذ الناصية، و إذا انتكحت حرمة الأشرف فما بالك بغيره، و استغنى بتعريف العهد عن الإضافة .

و لما كان من المعلوم أن من صار فى القبضة على هذه الهيئة المهينة المزرية فهو هالك، اغتنى به عن أن يقول: و لنسجبه بها على وجهه إلى النار، و وصفها بما يدل على ذلك فقال مبدلاً لأن البدل وصف بما قر به من المعرفة: ﴿ناصية﴾ أى عظمة القبح ﴿كاذبة﴾ أى متعمدة ١٠ للكذب ﴿خاطئة﴾^١ فهي صادر^٢ عنها الذنب من الكذب و غيره من غير تعمد، فأغلب أحوالها على [غير -^٣] صواب تارة عن عمد و تارة عن^٤ غير عمد، و ما ذاك إلا لسوء جيلة صاحبها حتى كاد لا يصدر عنه فعل سديد، و وصفها بما هو لصاحبها على الإسناد المجازى مبالغته فى تكذيبه فى أنه لا يقدر على منع المهتدى أو إذلاله أو شئ من أذاه إلا إن ١٥ أذن له صاحب الأمر كله فيما يكون سبباً لزيادة رفعة، و فى العدول عن الحقيقة، كأن يقال: ناصية كاذب خاطئ، بالإضافة إلى هذا المجاز،

(١) من ظ و م، و فى الأصل: لأن (٢) من ظ و م، و فى الأصل: فى .
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: صادرة (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م،
و فى الأصل: من (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: او .

من الجزالة و الفخامة و الجلالة ما لا يخفى .

ولما كان هذا هو غاية الإهانة ، وكان الكفار إنما يقصدون باعراضهم
الشهاخة و الأنفة و العز عن أن يكونوا أتباعا أذنانا ، و إنما عزم بقومهم ،
و أقرب من يعتز به الإنسان أهل ناديه ، و هم القوم الذين يجتمعون نهارا
ليحدث بعضهم بعضا و يستروح بعضهم إلى بعض لما عندهم من التصافي ه
لأنهم لا يتركون أشغالهم نهارا و يجتمعون لذلك إلا عن ذلك ، قال
تعالى / مسيبا عن أخذه على هذا الوجه^٢ المزمى : ﴿ فليدع ﴾ أى دعاه استغاثة
﴿ ناديه لا ﴾ أى [القوم -^٢] الذين كانوا يجتمعون معه نهارا يتحدثون في
مكان ينادى فيه بعضهم بعضا من أنصاره و عشيرته ليخلصوه عما هو فيه ،
و الذى نزلت فيه هو أبو جهل ، قال للنبي صلى الله عليه و سلم : أتهددنى ١٠
و أنا أكثر أهل الوادى ناديا .

و لما كان كأنه قيل : فلو دعا ناديه يكون ماذا ؟ قال : ﴿ سندع ﴾
أى بوعد لاخلف فيه ﴿ الزبانية لا ﴾ أى الأعوان الموكلين بالنار ليجروه
إليها ، و هم فى الأصل الشرط ، الواحد زبينة كهبرية ، من الزبن و هو الدفع
أو زبنى على النسبة ، أصلها زباني و التاء عوض عن الياء ، و هم كل من ١٥
عظم خلقه ، و اشتد بطشه ، و قد اجتمعت المصاحف العثمانية على حذف
الواو من هذا [الفعل -^٢] خطأ ، و لا موجب لحذفه من العربية لفظا ،

(١) سقط من ظ و م (٢) زيد فى الأصل : المذكور ، و لم تكن الزيادة فى
ظ و م لحذفناها (٣) زيد من م (٤-٤) سقط من م (٥) من ظ و م ، و فى
الأصل : هذا (٦) من القاموس ، و فى الاصول : كمفزية (٧) زيد من ظ و م .

و كان المعنى فى ذلك - والله أعلم - ان لا يظن أنهم دعوا لرفعة لهم فى ذواتهم يستعان بهم بسييها لأن معنى الواو عند الربانيين العلو و الرفعة ، إشارة إلى أنهم لا قوة لهم إلا بالقوى العزيز ، أو يقال : إن الحذف دال على تشبيه الفعل بالامر ليدل على أن هذا الدعاء أمر لابد من إيقاعه مضمونه ، ومن إجابة المدعين^١ إلى ما دعوا إليه ، وأن ذلك كله يكون [على -^٢] غاية الإحكام ، والاتساق بين خطه ومعناه والانتظام ، لاسيما مع التأكيد بالسين ، الدال على تحتم الاتحاد والتكئين ، أو يكون المعنى : إنا ندعوهم بأيسر دعاء وأسهل أمر ، فيكون منهم ما لا يطاق ولا يستطيع^٣ دفاعه بوجه ، فكيف لو أكدنا دعوتهم وقويتهم عزمتهم .

١٠ ولما كان الذى تقدم نهى الناهى للصلى و السفع بناصيته إن لم ينته وأمره بدعاء ناديه ، وكان الحكم فى الأول أنه لا يجيبه إلى ترك الصلاة ، وفى الثانى أن الناهى لا ينتهى عن عصيانه بالتهديد^٤ وأنه لا يفيد [دعاء -^٥] ناديه ، فالكل منى ، حسن كل الحسن الإتيان بأداة الردع فقال : ﴿ كلا^٦ ﴾ أى لا يقدر على دعاء ناديه ولا ينتهى عن

١٥ أذاه للطبع بالتهديد فليرتدع عن كل [من -^٧] ذلك .

ولما كان كأنه قيل : فما أفعلى ؟ قال معرفا أن^٨ من علم أن

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : المدعين (٢) زيد من م (٣) زيد فى الأصل : من ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : ان (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : فى النهاية (٦) زيد من ظ و م (٧) من م ، وفى الأصل و ظ : أى .

طبع الزمان و أهله الفساد، وجب [عليه - ١] الإقبال [على شأنه - ١]
و الإعراض عن سائر العباد ﴿ لا تطعه ﴾ أى فى نهيه لك عن الطاعة
بالصلاة أو غيرها .

و لما كان نهيه عن الصلاة التى هى عماد الدين، و كانت الصلاة
يعبر عنها بالسجود لأنه - مع أنه جزؤها - هو أشرفها، وهو أيضا يطلق على ٥
مطلق العبادة، قال تعالى مشيرا إلى النصر له صلى الله عليه وسلم و لاتباعه
على كل من يمتنعهم عبادته^٢ : ﴿ و اسجد ﴾ أى دم على صلاتك و خضوعك
بنفسك و جدد ذلك فى كل وقت . و لما كان السجود أقرب مقرب للعبد
إلى الله قال : ﴿ و اقرب ^{السجدة} ع ﴾ أى اجتهد بسرك فى بلوغ درجة القرب
إلى ربك و التحجب إليه بكل عبادة لاسيما الصلاة فانه^٣ أقرب ما يكون العبد ١٠
من ربه و هو ساجد، و قد شرح^٤ / هذا المقام كما تقدم فى الفاتحة / ٨١٦ /
قوله صلى الله عليه وسلم «أعوذ بعفوك [من - ١] عقوبتك، فان هذه الجملة
أفادت - كما قال الإمام الغزالي فى كتاب الشكر^٥ - مشاهدة أفعال الله فقط ،
فكانه لم ير إلا الله و أفعاله ، فاستعاذ بفعله من فعله ، قال : ثم اقترَبَ ففنى
فى^٦ مشاهدة الأحوال ، و ترقى إلى مصادر الأفعال، و هى الصفات ، فقال : ١٥

«أعوذ برضاك من سخطك» و هما صفتان ، ثم رأى ذلك نقصانا فى التوحيد

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : عبادة لهم (٣) من ظ
و م ، وفى الأصل : وانه (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : الى (٥) من اُظ
و م ، وفى الأصل : صرح (٦) راجع الإحياء ٥٦/٤ (٧) فى الإحياء : عن .

فاقترب وترقى من [مقام - ١] مشاهدة الصفات^٢ إلى مشاهدة الذات^٣ فقال
 « وأعوذ بك منك ، فرارا^٤ منه إليه من غير رؤية فعل وصفة ، ولكنه رأى
 نفسه فارا منه إليه و مستعيذا ومثليا ففنى عن مشاهدة نفسه إذ^٥ رأى ذلك
 نقصانا فاقترّب فقال « أنت كما أثبتت على نفسك لا أحصى ثناء عليك ، فقوله
 ٥ « لا أحصى ، [خبر عن - ٦] فناء نفسه و خروجه عن مشاهدتها ، وقوله
 « أنت - ٧] كما أثبتت ، بيان أنه المثلى و المثلى عليه ، وأن الكل منه بدأ وإليه
 يعود ، وأن كل شيء هالك إلا وجهه ، فكان أول مقامه نهاية مقامات^٨ الموحدين
 وهو أن لا يرى إلا الله وأفعاله فيستعبد بفعل من فعل ، فانظر إلى ماذا
 انتهت نهايته إذا انتهى إلى الواحد الحق حتى ارتفع من نظره و مشاهدته
 ١٠ سوى الذات الحق ، ولقد كان صلى الله عليه وسلم لا يرقى من مرتبة إلى
 أخرى إلا ويرى الأولى بعدا بالإضافة إلى الثانية ، فكان يستغفر الله من
 الأولى ، ويرى ذلك نقضا [فى - ٩] سلوكه و تقصيرا فى مقامه ، وإليه
 الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « إنه ليغان^٩ على قلبي حتى أستغفر الله
 فى اليوم و الليلة سبعين مرة ، فكان [ذلك - ١٠] لترقيه إلى سبعين مقاما
 ١٥ بعضها يعد نقضا لنقص أوائلها وإن كان مجاوزا أقصى غايات مقامات
 الخلق ، ولكن كان نقصانا بالإضافة إلى أواخرها ، فكان استغفاره لذلك .

(١) زيد من ظ و الإحياء (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : الذات (م) من ظ
 و م ، وفى الأصل : الصفات (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : اقرارا (٥) من
 ظ و م ، وفى الأصل : اى (٦) زيد من الإحياء (٧) زيد من ظ و م (٨) من
 ظ و م ، وفى الأصل : مقام (٩) من م ، وفى الأصل و ظ : ليعاد .

و لما قالت عائشة رضى الله عنها: قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك
و ما تأخر، فما هذا البكاء فى السجود و ما هذا الجهد الشديد ؟ قال :
أفلا أكون عبدا شكورا - معناه : أفلا أكون طالبا للزيد فى المقامات ،
فان الشكر سبب الزيادة حيث قال تعالى " و لئن شكرتم لأزيدنكم "
اتهى . و هو على ما ترى من النفاسة فمن أكثر من الدعاء فى سجوده ه
فقم أن يستجاب له ، و الصلاة لا تكون إلا بالقراءة ، فاذا فعلت ذلك
احتجبت عن الأغيار بحجاب منيع^١ ، فازدودت صفاء و صنت^٢ حالك عن
الغير - كما يرشد إليه ما فى صحف إبراهيم عليه الصلاة و السلام ' ينبغي
للعاقل أن يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شأنه - و الله أعلم^٣ ،
فقد رجع آخرها إلى الاول ، على أحسن وجه و أجمل^٤ و أكمل - ١٠
و الله الهادى^٥ .

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : بليغ (٢) ريد فى الأصل : احوالك و صفت ،
و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٣-٢) سقط ما بين الرقنين من م .
(٤-٤) سقط ما بين الرقنين من ظ و م .

سورة القدر

مقصودها تفصيل الأمر الذي هو أحد قسمي ما ضمنه مقصود "اقرأ"
 وعلى ذلك دل اسمها لأن الليلة فضلت به ، فهو من^٢ إطلاق المسبب على
 السبب ، و هو دليل / لمن يقول باعتياد تفصيل الاوقات لأجل ما
 ٥ كان فيها ، [كا - ٣] قال ذلك اليهودى فى اليوم الذى نزل فيه قوله تعالى
 "اليوم أكملت لكم دينكم" وأمره الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله
 تعالى عنه على ذلك وأعلمه أنه صار لنا عيدين : عيداً من جهة كونه يوم
 عرفة ، وعيداً من جهة كونه يوم جمعة ﴿بسم الله﴾ الذى جل أمره
 و"تنزه ذاته" ﴿الرحمن﴾ الذى عمت رحمته فبدعت صفاته ﴿الرحيم﴾
 ١٠ الذى خص أهل التوحيد بآتمام النعمة فاخصت بهم جناته .

لما ذكر الله سبحانه وتعالى كتابه فى هذا الذكر العربى المعجز ، ذكر
 إنزاله مستحضراً فى كل قلب . كان ذلك مغنياً عن إعادته بصريح اسمه ،
 فكان متى أضمره عليه المخاطب بما^٢ فى السياق من القرائن الدالة عليه ،
 وبما له فى القلب من العظمة و فى الذهن من الحضور لاسيما فى هذه

(١) السابعة والتسعون من سور القرآن الكريم ، مكية ، وعدد آياتها (٢) زيد
 فى الأصل : باب ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد من ظ و م .
 (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من م (٥) سقط من م (٦-٦) من ظ و م ، وفى
 الأصل : تنزهت صفاته (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : كما .

السورة لا فتاح العلق بالأمر بقراءته ، و ختمها بالصلاة التي هي أعظم
أركانها ، فكانت دلالتها عليه دلالة هي في غاية الوضوح ، فكان كأنه
قال : واقترب بقراءة القرآن في الصلاة ، فكان إضماره أدل على العظمة
الباهرة^١ من إظهاره ، لدلالة^٢ الإضمار على أنه ما تم شيء ينزل غيره فهو
بحيث لا يحتاج إلى التصريح به ، قال مفتخا له بأمر : إضماره ، وإسناد ه
إزاله إليه ، وجعل ذلك في مظهر العظمة ، وتعظيم وقت إزاله المتضمن
لعظمة البلد الذي أنزل فيه - على قول الأكثر ، والنبي الذي أنزل عليه ،
مؤكدًا لأجل ما لهم من الإنكار : ﴿ انا ﴾ أى بما لنا من العظمة
﴿ أنزلته ﴾ أى هذا الذكر كله من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من
السماء [الدنيا - ٣] مرتبًا هذا الترتيب الذي جمع الله الأمة المعصومة ١٠
عليه ، وهو الموجود الآن ، وكذا كان إنزال أول نجم منه ، وهو أول
السورة الماضية إنزالًا مصداقًا لأن عظمته من عظمتنا بما له من
الإعجاز في نظمه ، ومن تضاؤل القوى عن الإحاطة بعلمه ، وأول ما
أنزل منه صدرها إلى خمس آيات منها [آخرها - ٤] « ما لم يعلم ، على
النبي صلى الله عليه وسلم وهو مجاور في هذا الشهر الشريف بجبل حراء ١٥
من جبال مكة المشرفة ، ثم صار ينزل مفرقًا بحسب الوقائع حتى تم في
ثلاث وعشرين سنة ، وكلما نزل منه نجم يأمر النبي صلى الله عليه وسلم
(١) سقط من م (٢) من ظ وم ، وفي الأصل : لدلالته على (٣) زيد من م .
(٤) زيد من إظ وم .

بترتيبه في سورته عن أمر الله تعالى حتى تم في السور 'على ما هو عليه الآن' على ما هو عليه في بيت العزة .

و لما عظمه بما ذكر، زاده عظمًا بالوقت الذي اختار لإزاله فيه ليكون طالعه سعيداً^١ لما كان أثره حميداً فقال: {في ليلة القدر جلي} أي هـ الليلة التي لها قدر عظيم وشرف كبير، والأعمال فيها ذات قدر وشرف، فكانت بذلك كأنها محتصة بالقدر فلا قدر لغيرها^٢ .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: ورد تعريفًا بانزال ما تقدم الأمر بقراءته لما قدمت الإشارة إلى عظيم أمر الكتب، وأن السلوك إليه سبحانه إنما هو من ذلك الباب، أعلم سبحانه وتعالى بليلة إزاله ٨١٨ / ١٠ وعرفنا / بقدرها لتعتمدها في مظان دعائنا وتعلق رجائنا ونبحث في^٣ الاجتهاد في العمل لعلنا نوافقها وهي كالساعة في يوم الجمعة في إيهام أمرها مع جليل قدرها و من قبيل الصلاة الوسطى، والله سبحانه في إخفاء ذلك أعظم رحمة، وكان في التعريف بعظيم قدر هذه الليلة التعريف بجلالة المنزل فيها، فصارت سورة القدر من تمام ما تقدم ١٥ ووضح اتصالها - انتهى .

و لما علم من السياق تعظيمها بعظمة ما أنزل فيها و بالتعبير عنها بهذا، قال مؤكداً لذلك التعظيم حثاً على الاجتهاد في إحيائها لأن

(١ - ١) - فقط ما بين الرقین من ظ (٢) من ظ و م، وفي الأصل: سیدا .
(٣) من ظ و م، وفي الأصل: لغيره (٤) من ظ و م، وفي الأصل: على .

للإنسان من الكسل والتداعى إلى البطالة ما يزهده فى ذلك :
 ﴿ وما آدرُك ﴾ أى وأى شئ أعلمك وأنت شديد التفحص ﴿ ما ليلة القدر ﴾
 أى لم تبلغ درايتك وأنت أعلم الناس غاية فضلها ومنتهى^١ على قدرها
 على مالك من سعة العلم وإحاطة الفكر وعظيم المواهب .

ولما ثبتت عظمتها بالتنبيه على أنها أهل لأن يسأل عن خصائصها ، ه
 قال مستأنفا : ﴿ ليلة القدر ﴾ أى التى خصصناها بأنزالنا [له - ٢] فيها
 ﴿ خير من ألف شهر ﴾ أى خالية [عنها - ٢] أو العمل فيها خير من
 العمل فى ألف شهر ليس فيها ليلة القدر ، وذلك ثلاث وثمانون
 سنة و أربعة أشهر ، قالوا : وهى مدة ملك^٢ بنى أمية سواء ، و تسميتها
 بذلك لشرفها ولعظيم قدرها ، أو لأنه يفصل فيها من أم الكتاب مقادير ١٠
 الأمور ، فيكتب فيها عن الله حكم ما يكون من تلك الليلة إلى مثلها
 من العام المقبل ، من قولهم : قدر الله على هذا الأمر يقدره قدرا ، أى قضاء ،
 وهى الليلة المرادة فى سورة الدخان بقوله تعالى ” فيها يفرق كل أمر
 حكيم “ و ذكر الآلاف إما للبالغة بنهاية مراتب العدد ليكون أبلغ من
 السبعين فى تعظيمها أو لأن النبى صلى الله عليه وسلم ذكر شخصا من مؤمنى ١٥
 بنى إسرائيل ليس السلاح مجاهدا فى سبيل الله ألف شهر ، فعجب المؤمنون
 منه فتقاصرت إليهم أعمالهم ، فأعظمهم الله سبحانه و تعالى ليلة من قامها
 (١) من ظ و م ، وفى الأصل : تنتهى (٢) زيد من ظ و م (٣) فى
 ظ : دواة .

كان خيرا^١ من ذلك ،^٢ وأبهما^٣ في العشر الاخير من شهر رمضان في قول الجمهور على ما صحح من الأحاديث ليجتهدوا في إدراكها كما أخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة و الصلاة الوسطى في الخمس ، واسمه الأعظم في الاسماء ، ورضاه في سائر الطاعات ليرغبوا في جميعها ، وخطه في المعاصي ليتنبهوا عن جميعها ، وقيام الساعة في الاوقات ليجتهدوا في كل لحظة حذرا من قيامها ، والسر في ذلك أن النفيس لا يوصل^٤ إليه إلا باجتهد عظيم إظهارا لنفاسه وإعظاما للرجبة فيه وإيدانا بالسرور به ، لكن جعل السورة ثلاثين كلمة سواء يرجع أنها السابعة والعشرون التي وازاها^٥ قوله هي - كما نقل عن أبي بكر الوراق .

١٠ ولما عظمها ، ذكر وجه العظم ليكون إعلاما بعد إيهام وهو أوقع

في النفس فقال مستأنفا : ﴿ تنزل ﴾ أى تنزلا متدرجا هو أصلا على غاية

ما يكون من الخفة و السرعة بما أشار إليه / حذف التاء ﴿ الملائكة ﴾ / ٨١٩

أى هذا النوع العظيم الذى هو خير كله ﴿ و الروح ﴾ أى جبريل عليه

الصلاة والسلام ، خصه بيانا لفضله أو هو مع أشرف الملائكة أو هو

١٥ خلق أكبر من الملائكة أو هو أمر تسكن إليه نفوس العارفين ويحصل

به اليقين والبركة ﴿ فيها ﴾ وأشار إلى خفاء ذلك التزل باسقاط تاء

التزل [مع - °] ما تقدم من الإشارات ، و دل على زيادة البركة في

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : ثواب قياسها خير (٢ - ٣) من ظ و م ،

وفي الأصل : قائما - كذا (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : لا يتوصل (٤) من ظ

وم ، وفي الأصل : وزاها (٥) زيد من ظ و م .

ذلك النزول وعظيم طاعة الملائكة بقوله: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ج﴾ أى يعلم المحسن إليهم الربى لهم وتمكينه، وتنزلهم إلى لأرض أو السماء الدنيا أو تقرّبهم من المؤمنين، متبدئ تنزلهم^١ ﴿من كل امرٍ﴾ أى الأمور الكلية التي يفرقون فيها بإذن [الله - ٢] تفاصيل الأمور التي يريد سبجانه في ذلك العام في أوقاتها من تلك الليلة إلى مثلها من العام المقبل، أو من أجل ه تقدير كل شيء يكون في تلك السنة، وعبر عن الشيء بالأمر إعلاماً بأنهم لا يفعلون شيئاً إلا بأمره .

ولما ذكر سبجانه هذه الفضائل، كانت النتيجة أنها متصفة بالسلامة التامة كاتصاف الجنة - التي هي سبجها - بها، فكان ذلك أدل^٢ على عظمتها فقال تعالى: ﴿سَلَامٌ قَدْ﴾ أى عظيم جداً ﴿هى﴾ أى ما هى إلا سلامة ١٠ وخير ليس فيها شر، ولا يزال ذلك السلام والبركة فيها ﴿حتى﴾ أى إلى ﴿مطلع الفجر﴾ أى طلوعه ووقت طلوعه وموضع طلوعه، لا يكون فيه شر كما في غير ليلتها، فلا تطلع الشمس في صيحتها بين قرني الشيطان إن شاء الله تعالى. وذلك سر قراءة الكسائي [بالكسر - ٢] - والله أعلم، واختير التعبير بـ ﴿حتى﴾ دون إلى، ليفهم أن لما بعدها حكم ما قبلها، فيكون المطلع في ١٥ حكم الليلة، وعن ابن عباس^٣ رضى الله عنهما أن جبريل عليه الصلاة والسلام ينزل ليلة القدر في كوكبة من الملائكة ومعه لواء أخضر يركزه

(١) من م ، وفي الأصل و ظ : نزلهم (٢) زيد من ظ و م (م) زيد في الأصل : دليل واضح ، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٤) راجع الباب ٧ / ٢٣٠ - رواية أنس .

فوق الكعبة، ثم يفرق الملائكة في^١ الناس حتى يسلموا على كل قائم وقاعد وذاكر وراكع وساجد^٢ إلى أن يطلع الفجر. فمن تأمل هذه السورة علم منها ما للقرآن من العظمة فأقبل عليه بكلية يتلوه حق تلاوته كما أمر في سورة « اقرأ » فأمن من غير شك من هول يوم الدين المذكور في التين، ومن تلاوته بحقه تعظيم ليلة القدر لما ذكر من شرفها، وذلك جازاً إلى الحرص عليها في كل السنة، فإن لم يكن ففي كل رمضان، فإن لم يكن ففي جميع ليالي العشر الأخير منه، ليكون له من الأعمال بسبب فضلها ومضاعفة العمل^٣ فيها ما لا يحصى إلا الله تعالى بحيث أنه ربما يكون خيراً من عمل من اجتهد فيما قبلنا ألف سنة، ١٠ ورجوع آخرها بكون هذا التنزل في ليلة القدر على أولها في غاية الوضوح لأن أعظم السلام فيها نزول القرآن، ولعل كونها ثلاثين^٤ كلمة إشارة إلى إن خلافة النبوة التي هي ثلاثون سنة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم التي آخرها يوم نزل أمير المؤمنين الحسن بن علي رضي الله عنهما [فيه - ٥] عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنه في شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين هي كليلة القدر في الزمان، وما بعدها كليالي العام فيه الفاضل وغيره، وتلك المدة كانت لخمس خلفاء / أشارت إليهم حروف الكلمة الأخيرة منها، فآلاف لأبي بكر رضي الله عنه

١٨٢٠

- (١) من م، وفي الأصل وظ : بين (٢) زيد في الأصل وظ : وقارئ، ولم تكن الزيادة في ظ وم لحذفها (٣) من م، وفي الأصل وظ : الأعمال . (٤) من م، وفي الأصل وظ : تأثير - كذا (٥) زيد من ظ وم .

و هي في غاية المناسبة له ، فان الربانيين قالوا : هو اسم للقائم المحيط
 الأعلى الغائب عن مقامه^١ لكنها الحاضر معه وجودا كالروح ، وكذا كان
 رضى الله عنه حاضرا مع^٢ الأمة بوجوده و هو غائب عنهم بتوجهه ،
 وجميع قلبه إنما هو مع الله عز وجل ، و اللام لعمر رضى الله عنه و هي
 شديدة المناسبة^٣ له فانها صلة بين باطن الآلف و ظاهر الميم الذى هو ه
 لمحمد صلى الله عليه وسلم لانه للتمام ، وكذلك فعل - وصل بين السيرتين^٤
 وصلا تاما بحيث وصل ضعف الصديق في بدنه^٥ و قوته في أمر الله
 بقوة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتظم به الأمر انتظاما لا مزيد
 عليه ، و الفاء لعثمان رضى الله تعالى عنه و هو إشارة لبدا خلوص منته
 لتنقل بمزيد أو نقص ، و آيته^٦ الفطرة الأولى ، و آيتها المحسوسة اللبن أول ٦٠
 خرجه إذا أصابه أقل شيء من الهواء الممدود غيره ، وكذلك الفطرة
 إذا أصابها أقل شيء من الهوى المقصود غيرها ، وكذا [كان -^٧] حاله
 رضى الله تعالى عنه ، حصلت له آفات الإحسان إلى أقاربه الذى قاده إليه
 قويم فطرته حتى حصلت [له -^٨] الآفات الكبير رضى الله عنه ، والجيم لعل
 رضى الله عنه [و هو -^٩] إشارة إلى الجمع ، و الإجمال الذى يحصل عنده ١٥
 عنا و هو أنسب الأمور له رضى الله تعالى عنه فانه حصل به الجمع بعد

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : مقاصد (٢) في الأصل بياض ملأناه من ظ
 و م (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : للناسبة (٤) من ظ و م ، وفي الأصل :
 السورتين (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : باطنه (٦) من ظ و م ، وفي
 الأصل : انه (٧) زيد من م (٨) زيد من ظ و م .

الافتراق العظيم بقتل [أمير المؤمنين - ١] عثمان رضى الله تعالى عنه
 شهيدا مظلوما ، وحصل به الإجمال لكن لم يتم التفصيل بسبب ما حصل
 من العناد ، و الرأى إشارة إلى الحسن رضى الله تعالى عنه و هى تطوير
 و تصير^٢ و تربية ، و هى لكل مرب مثل زوج المرأة و سيد العبد ،
 ٥ و لذلك فعل رضى الله عنه لما رأى الملك يهلك بقتل المسلمين رياه
 بنزوله عن الأمر للمعاوية ، فكان كالسيد أذن لعبده وربى أمره به ، و قد
 سماه النبي صلى الله عليه وسلم سيدا - رضى الله عنهم أجمعين ، [والله أعلم
 بالصواب - ٣] .

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : تصوير (٣) زيد من ظ -

سورة لم يكن^١ وتسمى القيامة والمنفكين

مقصودها الإعلام بأن هذا الكتاب القيم من علو مقداره و جليل آثاره
أنه كما أنه لقوم نور وهدى فهو لآخرين^٢ وقر وعى، فيقود^٣ إلى الجنة
دار الأبرار، ويسوق إلى النار دار الأشقياء الفجار، وعلى ذلك [دل-^٤] كل
من أسمائها الذين كفروا، والمنفكين، بتأمل الآية في انقسام الناس
إلى أهل الشقاوة وأهل الهداية، وكذا القيامة بانقسام أهل الدعوة فيها
بحسب الإرادة إلى القسمين: أهل الشقاوة وأهل السعادة ﴿بسم الله﴾
الذى له / العلو المطلق فلا يخرج شيء عن مراده ﴿الرحمن﴾ الذى
عم بنعمة إيجاده ويأنه جميع عباده ﴿الرحيم﴾ الذى خص أهل وداده
بالأعمال الصالحة المتكفلة بأنجاه العامل بها وإسعاده .

١٠

لما أخبر سبحانه وتعالى أن الليلة الشريفة التى صانها بنوع خفاء
فى تنزل من يتنزل فيها وفى تعيينها لا تزال قائمة على ما لها من تلك
الصفة حتى يأتى الفجر الذى يحصل به غاية البيان، أخبر أن أهل الأديان
سواء كان لها أصل من^٥ الحق أم لا لم يصح فى العادة الجارية على
حكمة الأسباب^٦ فى دار الأسباب^٧ أن يتحولوا عما هم فيه إلا بسبب عظيم^٨

١٥

(١) الثامنة والتسعون من سور القرآن الكريم، مدنية، وعدد آياتها ٨ (٢) من
ظ و م، وفى الأصل: لآخر (٣) من ظ و م، وفى الأصل: فيقول (٤) زيد
من م (٥) سقط من ظ و م (٦) فى ظ: فى (٧-٧) سقط ما بين الرقين من ظ .

يكون بيانه أعظم من بيان الفجر، وهو القرآن المذكور في القدر
والرسول المنزل عليه ذلك فقال: ﴿لم يكن﴾ أى فى مطلق الزمان
الماضى والحال والاستقبال كونا هو كالجبل والطبع، وهذا يدل على
ما كانوا عليه قبل ذلك من أنهم يدلون ما هم عليه من الكفر أو الإيمان
٥ بكفر أو بدعة^١ ثم لا يثبتون عليه [لأن -^٢] ذلك ليس فى جبلاتهم،
ولما هو خاطر عارض كما هو محكى عن سيرتهم من بعد موسى عليه
الصلاة والسلام [لما كانت تسوسهم الأنبياء عليهم السلام -^٣] كما دل
على بعض ذلك قوله تعالى "فعموا و صموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا
وصموا" وكذا المشركون كانوا يدلون دين إسماعيل عليه الصلاة
١٠ والسلام ولا ينفصلون عنه بالكلية، وتارة يعبدون الأصنام، وتارة
الملائكة، وأخرى الجن، ولم يكونوا يثبتون على حالة واحدة ثباتا كليا
مثل ثباتهم على الإسلام بعد مجيء البينة ونسيانهم أمور الجاهلية بالكلية
حتى نسوا الميسر^٤، فلم يكن أحد من أولادهم يعرف كيفيته وكذا السائبة
وما معها وغير ذلك من خرافاتهم ﴿الذين كفروا﴾ أى سواء كانوا
١٥ عريقين فى الكفر أم لا .

ولما كان العالم أولى باتباع الحق وأشد جرما عند فعل ما يقتضى
اللوم، بدأ بقوله: ﴿من اهل الكتاب﴾ أى من اليهود والنصارى الذين
كان أصل دينهم حقا، فألحدوا فيه بالتبديل والتحريف والاعوجاج

(١) من م، وفى الأصل و ظ: بدعة (٢) زيد من م (٣) من ظ و م،
وفى الأصل: السير .

في صفات الله تعالى ، ثم نسخه الله تعالى بما شرع من مخالفته في الفروع
و موافقته في الأصول فكذبوا ﴿ والمشركين ﴾ اى بعبادة الاصنام و النار
و الشمس و نحو ذلك بمن هم عريقون في دين لم يكن له أصل في الحق
بأن [لم - ١] يكن لهم كتاب ﴿ منفكين ﴾ اى منفصلين زائلين عما
كانوا عليه من دينهم انفكاً كما يزلبهم عنه بالكلية بحيث ^٢ لا يبقى لهم به
علقة ، و يشتون على ذلك الانفكاك ، و أصل الفك الفتح و الانفصال
لما كان ملتجماً ، من فك الكتاب و الختم و العظم - إذا ^٣ زایل ما ^٢
كان ملتصقا و متصلا به ، أو عما في أنفسهم من ظن اتباع الحق إذا ^٤
جاءهم الرسول المبشر به بما كان أهل الكتاب يستفتحون به و المشركون
يقسمون بالله جهد أيمانهم " / لئن جاءهم نذير ليكون أهدى من إحدى الأمم " - ١٠ / ٨٢٢
الآية ، فيصيروا بذلك أحزاباً و فرقاً ﴿ حتى ﴾ أى [إلى - ١] أن
﴿ تاتيهم ﴾ عبر بالمضارع لتجدد البيان في كل وقت بتجدد الرسالة
و التلاوة ﴿ الينة ٥ ﴾ أى الآية التى هى في البيان كالفجر المنير الذى
لا يزداد بالتمادى إلا ظهوراً و ضياء و نورا ، و ذلك هو الرسول و ما معه
من الآيات التى ^٦ أعظمها الكتاب سواء كان التوراة أو الإنجيل أو الزبور ١٥

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : حيث (٣-٣) من ظ
و م ، وفى الأصل : ازال (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : اذ (٥) زيد
في الأصل و ظ : فلما جاءهم نذير ، ولم تكن الزيادة في م لخدشها .
(٦-٦) من ظ و م ، وفى الأصل : التلاوة و الرسالة (٧) من ظ و م ، وفى
الأصل : الذى .

أو الفرقان، و لذلك أبدل منها قوله: ﴿رسول﴾ أى عظيم جدا، وزاد
عظمته بقوله واصفا [له - ']: ﴿من الله﴾ [أى - '] الذى له الجلال
والإكرام ﴿يتلوا﴾ أى يقرأ قراءة متواترة ذلك الرسول بعد تعليمنا
له ﴿صحفا﴾ جمع صحيفة و هى القرطاس و المراد ما فيها، عبر بها
٥ عنه لشدة المواصلة ﴿مطهرة لا﴾ أى هى فى غاية الطهارة^١ والنظافة^٢
و النزاهة من^٣ كل قدر^٤ بما جعلنا لها من البعد من^٥ الأدناس بأن الباطل
من الشرك بالأوثان و غيرها من كل زيغ لا يأتىها من بين يديها ولا من
خلفها و أنها لا يمسها إلا المطهرون، و قراءته وإن كان^٦ أميا لمثل^٧ ما
فيها قراءة لها. و لما عظمه بأن وصف صحفه التى [هى - '] محل
١٠ المكتوب بالطهارة، بين سبب ذلك فقال: ﴿فيها﴾ أى تلك الصحف
﴿كتب﴾ جمع كتاب أى علوم هى لنفسها^٨ حقيقة بأن تكتب ﴿قيمة﴾^٩
أى هى فى غاية الاستقامة لنطقها بالحق الذى لامرية فيه ليس^{١٠} فيها
شرك ولا عوج بنوع من الأنواع، فاذا أتتهم هذه البيئة انفسكوا
[و - '] انفسكاهم أنهم كانوا مجتمعين^{١١} قبل هذا، أهل الكتاب يؤمنون
١٥ بالنبي صلى الله عليه وسلم لما عندهم من البشائر الصريحة به، والمشركون
يقولون: لئن جاءنا نذير لنكونن أهدي من لإحدى الأمم، ويقولون: نحن

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ و م (٣-٣) من ظ
و م، وفى الأصل: القدر (٤) من ظ و م، وفى الأصل: عن (٥-٥) من ظ
و م، وفى الأصل: الها (٦) من ظ و م، وفى الأصل: كنفاستها (٧) من
ظ و م، وفى الأصل: لا (٨) من م، وفى الأصل و ظ: بمجمين .

نعرف الحق لأهله ولا ندفعه بوجه ، فلما جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم بما لا شبهة فيه تفرقوا ، فبعضهم^١ آمن وبعضهم^٢ كفر .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : هي من كال^٣ ما تقدمها

لأنه لما أمره عليه الصلاة والسلام بقراءة كتابه الذي [به -^٤] اتضحت

سبيله وقامت حجته ، [و -^٥] أتبع ذلك بالتعريف بليلة إزاله وتعظيمها^٥

بمعظم ما أهدت له مما أنزل فيها ، أتبع ذلك بتعريفه^٦ صلى الله عليه وسلم

بان هذا الكتاب هو الذي كانت اليهود تستفتح به على مشركي العرب

و تعظم أمره وأمر الآتي به ، حتى إذا حصل ذلك مشاهدا لهم كانوا هم^٧

أول كافر به ، فقال تعالى " لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب

و المشركين منفكين حتى تأتيهم البينة - إلى قوله : وذلك دين القيمة " ١٠

وفي التعريف بهذا تأكيد ما تقدم بيانه مما يثمر الخوف وينهج باذن

الله التسليم والتبرؤ من أدعاء حول أوقوة ، فان هؤلاء قد كانوا قدم

لهم في^٨ أمر الكتاب والآتي / به^٩ يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة

والإنجيل ، و قد كانوا يؤملون الانتصار به عليه الصلاة والسلام من

أعدائهم ويستفتحون بكتابه ، فرحم الله من لم يكن عنده علم منه كآتي بكر^{١٥}

و عمر و أنظارهما رضى الله عنهم أجمعين ، و حرم^{١٠} هؤلاء الذين قد كانوا

(١) في ظ و م : بعض (٢) في ظ و م : بعض (٣) من ظ و م ، وفي الأصل :

كلام (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : بتعريف النبي .

(٦) سقط من م (٧) من م ، وفي الأصل و ظ : من (٨) زيد في ظ : ما .

(٩) من م ، وفي الأصل و ظ : رحم .

على بصيرة من امره و جعلهم بكفرهم شر البرية ، و رضى^١ عن الآخرين
 و رضوا عنه ، و أسكنهم فى جواره و منحهم الفوز الأكبر و الحياة
 الأبدية و إن كانوا قبل بعثه عليه الصلاة و السلام على جهالة و عمى ،
 فلم يضرمهم إذ قد سبق لهم فى الأزل "أولئك هم خير البرية - " انتهى .
 ٥ و لما كان التقدير : فإذا أتتهم البيعة انصكوا ، فلقد تفرق المشركون
 بعد إتيانك و أنت البيعة العظمى إليهم إلى مهتد و ضال ، و الضال إلى
 مجاهر^٢ و مسامر ، و كذا اهل الكتاب ، ثم [ما - ٢] اجتمع العرب على
 الهدى إلا من بعد ما جاءتهم البيعة ، عطف على هذا الذى أفهمه السياق
 قوله معلما بزيادة القبح فى وقوع الذنب من العالم بأفرادهم بالتصريح عن
 ١٠ المشركين : ﴿ و ما تفرق ﴾ أى الآن و فيما مضى من الزمان تفرقا عظيما
 ﴿ الذين ﴾ و لما كانوا فى حال هى أبقى بالإعراض ، بنى للفعول قوله :
 ﴿ اوتوا الكتب ﴾ أى عما كانوا عليه من الإطباق على الضلال أو الوعد
 باتباع^٣ الحق المنتظر فى محمد صلى الله عليه و سلم ، و كذا كان فعلهم فى
 عيسى صلى الله عليه و سلم من قبل ، فاستمر بعضهم على الضلال و بالغ
 ١٥ فى نقض العهد و العناد ، و وفى^٤ بعض بالوعد^٥ فاهتدى ، و كان تفرقهم
 لم يعد تفرقا إلا^٦ زمنا يسيرا ، ثم اجتمعوا فلم يؤمن منهم من يعد

(١) زيد فى الأصل : الله ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٢) من ظ
 و م ، و فى الأصل : مهاجر (٣) زيد من ظ و م (٤) من م ، و فى الأصل
 و ظ : باطباق (٥-٥) من م ، و فى الأصل : نقض العهد ، و فى ظ : بعضهم
 بالوعد (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : لا .

خلافه^١ لباقيهم تفرقا لكونه قليلا من كثير، فلذلك أدخل الجار فقال:

(الا من بعد) و كان ذلك الزمن اليسير هو بإسلام من أسلم من قبائل العرب الذين^٢ كانوا قد أطبقوا على النصرانية من تنوخ و غسان و عاملة و بكر بن وائل و عبد القيس و نحوهم و كذا من كان تهود من قبائل اليمن و أسلم، ثم أطبق اليهود و النصارى على الضلال فلم يسلم^٣ منهم إلا من لا يعد لقلته مفرقا لهم (ما) أى^٤ الزمن^٥ الذى (جاءتهم) فيه أو مجئ (البينة^٦) فكان حالهم كما قال سبحانه ”وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به“^٧ و قد كان مجئ البينة يقتضى اجتماعهم على الحق^٨، لا تفرقهم فيه^٩، وكأنه أشار إلى المشركين بالعاطف و لم يصرح بذكرهم لأنهم كانوا عكس أهل الكتاب لم يفرقوا^{١٠} إلا زمنا يسيرا فى أول الامر، فكان الضال منهم أكثر، ثم أطبقوا على الهدى لما لهم من قويم الطبع و معتدل المزاج، فدل ذلك على غاية العوج لأهل الكتاب لأنهم كانوا لما عندهم من العلم أولى من المشركين بالاجتماع على الهدى، و دل ذلك على أن وقوع اللدد و العناد / من العالم أكثر، ٨٢٤ / و حصول الآفة لهم من قوة ما لطباعهم من كدر النقص بتربيته و تنميته^{١١}

(١) من ظ و م، و فى الأصل: خلافهم (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الذى (٣) ليس فى ظ (٤) من م، و فى الأصل و ظ: زمن (هـ) زيد فى الأصل: فاستحقوا اللعن، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٦-٧) من ظ و م، و فى الأصل: لأنه يفرقهم.

بالمعاصي من أكل السحت من الربا وغيره من الكبائر والتسوية بالتوبة ، فألفت ذلك أبدانهم فأشربته قلوبهم حتى تراكم ظلامها ، وتكاثف رينها وغمامها ، فلما دعوا لم يكن عندهم شيء من نور تكون لهم به قابلية الانقياد للدعاء .

٥ ولما كان حال من ضل على علم أشنع ، زاد في فضيحتهم فقال : ﴿ وما ﴾ أى فعلوا ذلك والحال أنهم ما . ولما كان المقصود بروز الأمر المطاع ، لا تعيين الأمر ، قال بعد وصف الصحف بأنه ثبت أنها قيمة بانيا للفعل : ﴿ امروا ﴾ أى وقع أمرهم بما أمروا به بمن إذا أطلق الأمر لم يستحق أن ينصرف إلا إليه ، في تلك الكتب التي . اوجب ثبوت اتباعها وأذعنوا [له - ٢] ﴿ الا ليعبدوا ﴾ أى لاجل أن يعبدوا ﴿ الله ﴾ أى الإله الذى له الأمر كله ولا أمر لأحد غيره بأن يوجدوا عبادته ويحددوها في كل وقت ، والعبادة امتثال أمر الله تعالى كما أمر على الوجه المأمور به من أجل أنه أمر ، مع المبادرة بغاية الحب والخضوع والتعظيم ، وذلك مع الاقتصاد لئلا ١٥ يمل الإنسان فيخل ، أو يحصل له الإعجاب فتفسد عبادته ، حال كونهم ﴿ مخلصين ﴾ أى ثابتا غاية الثبات لإخلاصهم ﴿ له الدين ﴾ بحيث لا يكون فيه شوب شيء مما يكدره من شرك جلي ولا خفي بأن

(١-١) سقط ما بين الرقین من ظ (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : المستطاع .
(٣) زيد من م (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : فيحل (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : مفسد .

يكون الامثال لكونه أمر لرضاء لا لشيء من نفع ولا دفع^١، و يكون ذلك على الصواب، فان كثيرا من العاملين يكون مخلصا، و يكون بناؤه بغير أساس صالح، فلا يفعه بل يكون وبالا عليه، فانه ضيع الأصل كالرهبان و كذا كثير ممن يعتقد ولاية شخص وهو لا يعرف أن يميز بين الولي و العبد و المكرم و المستدرج، و حقيقة الإخلاص أنه أفراد ٥ الحق في الطاعة بالقصد^٢ مع نسيان الخلق في الأعمال و التوصل إليه بالتوفى عن ملاحظتهم مع التنقي عن مطالعة النفس برؤية العبد نفسه عبدا مأمورا لا يريد ثوابا، جاءلا^٣ كل شيء وسيلة إلى الله، و علامته عدم رؤية العمل، و يعرف ذلك بالخوف و عدم الالتفات إلى طلب الثواب، و بالحياة منه لكونه يرى أنه ما قام بحق السيد على ما ينبغي كما قال تعالى ١٠ "يوتون ما آتوا و قلوبهم و جلة أنهم الى ربهم راجعون" قال القشيري: [و يقال - ٤] : الإخلاص تصفية العمل من الخلل، و قال الرازي: الإخلاص النية الصافية لأن [النية - ٥] دائمة^٦، و العمل ينقطع، و العمل يحتاج^٧ إلى النية، و النية لا تحتاج إلى العمل، و لأجل^٨ ما أفهمه التعبير بالاسم من التمكن و الثبات أكده بقوله: (حنفاء) أى في غاية الميل ١٥

(١) زيد في الأصل و ظ : ضرر، و لم تكن الزيادة في م لحذفها (٢) من ظ و م، و في الأصل : بانقدر (٣) من ظ و م، و في الأصل : عاجلا (٤) زيد من م (٥) زيد من ظ و م (٦) من م، و في الأصل و ظ : الدائمة (٧) من م، و في الأصل و ظ : يحتاج (٨) من م، و في الأصل و ظ : لاجله .

مع الدليل 'إلى القوم' بحيث لا يكون عندهم اعوجاج أصلاً، بل مهما حصل أدنى زيغ عرضوه على الدليل فالوا معه بما لهم من الخنف فقادهم^٢ إلى الصلاح / فصاروا في غاية الاستقامة، وتلك هي العبادة الإحسانية، ٨٢٥ / وأصل الخنف في اللغة: الميل، قال الملو: وخصه العرف بالميل إلى الخير، ولذا سمي الأحنف بن قيس [لميل - ٢] في رجليه إلى داخل من جهة القدام إلى الوراء، وسموا الميل إلى الشر إلحاداً، فالخنيف المطلق الذي يكون متبرئاً عن أصول الملل الخمس: اليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين، وعن فروعها من جميع التحل إلى الاعتقادات الحققة، وعن توابعها من الخطايا والسيئات إلى العمل الصالح ١٠ وهو مقام التقى [و- ٤]، عن المكروهات إلى المستحبات وهو المقام الأول من الورع، وعن الفضول شفقة على خلق الله وهو ما لا يعنى إلى الذي يعنى، وهو المقام [الثاني من الورع، وعمما يجر إلى الفضول وهو - ٢] مقام الزهد، فالآية جامعة لمقامي الإخلاص الناظر أحدهما إلى الحق، والثاني إلى الخلق، فالإخلاص لمقام المشتغل بالمصنعي له لأنه ١٥ أفراد الحق بالقصد في الطاعة، والخوف لمقام المشتغل بالمصنعي منه لأنه الميل عن سائر المخلوقات إلى الله تعالى وإلى ما يرضيه.

(١-١) من ظ و م، وفي الأصل: الاقوم (٢) من ظ و م، وفي الأصل: فقادوا (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد من م (٥) زيد في الأصل: ترك، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها.

و لما ذكر أصل الدين، أتبعه الفروع، فبدأ بأعظمها الذى مر
بجمع الدين و موضع التجرد عن العوائق فقال: ﴿ و يقيموا ﴾ أى يعدلوا
من غير اعوجاج ما، بجميع الشرائط و الأركان و الحدود ﴿ الصلوة ﴾
لتصير بذلك أهلاً لأن تقوم بنفسها، و هى التعظيم لأمر الله تعالى .
و لما ذكر صلة الخالق، أتبعها وصلة الخلائق فقال: هـ
﴿ و يؤتوا الزكاة ﴾ [أى-١] بأن يحضروها لمستحقها شفقة على خلق الله
إعانة على الدين، و لسكرتهم حرفوا ذلك و بدلوه بطباعهم المعوجة، و تدخل
الزكاة عند أهل الله فى كل ما رزق الله من عقل و سمع و بصر و لسان
و يد و رجل و راحة و غير ذلك - كما هو واضح من قوله تعالى
” و بما رزقناهم ينفقون “ .

١٠

و لما كان هذا دينا حسنا [بينا - ٢] فضلوا عنه على [ما - ٢] عندهم
من الأدلة، زاد فى توبيخهم بمدحه فقال: ﴿ و ذلك ﴾ أى و الحال أن
هذا الموصوف من العبادة على الوجه المذكور الذى هو فى غاية العلو
و الخير ﴿ دين القيمة ١ ﴾ أى الملة أو النفوس أو الكتب التى لا عوج فيها،
و هو على الأول من إضافة ٣ الموصوف إلى الصفة ٢، و عن الخليل أنه ١٥
قال: هو جمع قيم، و القيم و القائم واحد، و المعنى دين القائمين لله تعالى
بالتوحيد، و دل على ما قدرته فى أمر المشركين بذكرهم ٤ فى نتيجة ١ ما

(١) زيد من م (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل:
الصفة الى الموصوف (٤-٤) من ظ و م. و فى الأصل: بنتيجة .

مضى 'فى قوله' مؤكدا لأجل إنكارهم: ﴿ان الذين كفروا﴾ أى وقع منهم الستر لمرائى عقولهم بعد صرفها للنظر الصحيح فضلوا واستمروا على ذلك وإن لم يكونوا عريقين فيه ﴿من اهل الكتب﴾ أى اليهود والنصارى ﴿والمشركين﴾ أى العريقين فى الشرك، ودل بالإتيان بالوصف هنا والفعل فى أولئك^٢ - والله أعلم - على أن المشرك^٣ يرجع عن شركه و يؤمن إن لم يكن عريقا فى الشرك بخلاف أهل الكتاب متى تلبس أحد منهم بكفر لا يرجع عنه وإن كان / تلبسه به على أضعف الوجوه، وكذا كل من ينسب إلى علم ولا سيما إن كان بليدا متى عرضت له شبهة بعد رجوعه عنها، فلذلك جمع بينهم فى قوله: ﴿فى نار جهنم﴾ ١٠ أى النار التى تلقاهم بالتجهنم والعبوسة تكون عذابا لأجسامهم ﴿خلدين فيها﴾ أى يوم القيامة أو فى الحال لسعيهم فى موجباتها، واشترك الفريقين فى جنس العذاب لا يوجب التساوى فى النوع بل يختلف بحسب اشتداد الكفر وخفته .

/ ٨٢٦

ولما كان معظم السياق للعبادة والترغيب فيها من القراءة والسجود ١٥ والافتكاك عن الكفر، لم يذكر التأييد بلفظه، بل اكتفى بما دل عليه وقال فى نتيجة ما مضى: ﴿اولئك﴾ أى البعداء البغضاء ﴿هم﴾ أى خاصة بما لظهارهم من الخبث ﴿شر البرية﴾ أى الخليفة الدين أهلوا

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : بقوله (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : او- كذا (٣) من م ، وفى الأصل و ظ : المشركين (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : ف .

إصلاح أنفسهم ، وفرطوا في حوائجهم و مآربهم ، وهذا نار لأرواحهم حين ينادى عليهم به .

ولما ذكر الأعداء وبدأ بهم ، لأن السياق لزم من جمد مع المألوف^١ وترك المعروف ، أتبعه الأولياء فقال مؤكدا لما للكفار من الإنكار : ﴿ ان الذين آمنوا ﴾ أى أقروا بالإيمان من الخلق كلهم^٢ الملائكة^٣ وغيرهم ﴿ وعملوا ﴾ أى تصديقا لإيمانهم ﴿ الصلحت ﴾ أى [هذا -^٤] النوع . ولما كان نعيم القلب أعظم ، قدمه على نعيم البدن إبلاغا فى مدحهم فقال : ﴿ أولئك ﴾ أى العالو الدرجات ﴿ هم ﴾ أى خاصة ﴿ خير البرية ﴾ .

ولما خصصهم بالخيرية ، ذكر ثوابهم ، فقال ذاكرا جنة أبدانهم معظما^{١٠} لهم بالتعبير عن إنعامه عليهم بلفظ الجزاء المؤذن بأنه فى مقابلة ما وصفوا به : ﴿ جزاؤهم ﴾ أى على طاعاتهم ، وعظمه بقوله : ﴿ عندهم ﴾ إليهم المربى لهم وأى المحسن ﴿ جنت عدن ﴾ أى إقامة لا تحول عنها ﴿ نجوى ﴾ أى جريا دائما لا انقطاع له . ولما كان عموم الماء مانعا من تمام اللذة ، قرب وبعض بقوله : ﴿ من تحتها ﴾ أى تحت أرضها^{١٥} وغرفها وأشجارها ﴿ الانهر ﴾ .

ولما كانت اللذة لا تكمل إلا بالدوام قال : ﴿ خلدين فيها ﴾ ولما كان النظر إلى الترغيب فى هذا السياق أتم حثا على اتباع الدليل

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : الملائكة (٢) زيد فى ظ : من (م) زيد من ظ و م .

المعروف ، و المفارقة للحال المألوف ، أكد معنى الخلود تعظيما لجزائهم بقوله : ﴿ ابدأ ﴾ .

و لما كان هذا [كله - '] ثمرة الرضا ، و كان التصريح به أقر للعين لأنه جنة الروح ، قال مستأنفا أو معللا : ﴿ رضى الله ﴾ أى بما له من نعوت الجلال و الجمال ﴿ عنهم ﴾ أى بما كان سبق لهم ^٢ من العناية و التوفيق .
و لما كان الرضا إذا كان من الجانبين ، كان اتم و أعلى لهم ^٢ قال : ﴿ و رضوا عنه ﴾ لأنهم لم يبق لهم أمنية إلا أعطاهمها مع علمهم أنه متفضل فى جميع ذلك ، لا يجب عليه لأحد شيء . و لا يقدره أحد حق قدره ،
فلو أخذ الخلق بما يستحقونه أهلكتهم ، و أعظم نعمه عليهم ما من / عليهم / ٨٢٧
١٠ به من متابعتهم رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فان ذلك كان سبيبا لكل خير .

و لما كان ذلك ربما ادعى أنه لناس مخصوصين ؛ فى زمان مخصوص ، قال معملا له و منبها على الوصف الذى كان سبب أعمالهم التى كانت سبب جزائهم : ﴿ ذلك ﴾ أى الأمر العالى الذى جوزوا به ﴿ لمن خشى ربه ﴾
١٥ أى خاف المحسن إليه خوفا يلىق به ، فلم يركن إلى التسويف و التكاسل ،
و لم يطبع نفسه بالشر بالجرى مع الهوى فى التطعم بالمحرمات بل كان بمن ^٦

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) تكرر ما بين الرقيين فى الأصل فقط (٣) من م ،
وفى الأصل وظ : لأنه (٤) من م ، وفى الأصل وظ : مخصوص (٥-٥) سقط
ما بين الرقيين من ظ و م (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : هما .

يطلب معالى الاخلاق فيستقى قلبه فيما يرضى ربه ، فكان تواتر إحسانه
يزيده خوفاً فيزيده شكراً ، فان الخشية ملاك الامر ، والباعث على كل خير ،
وهى للعارفين ، قال الملوى ما معناه : إن الإنسان إذا استشعر عقاباً يأتته
أو خسراً ، لحقته حالة يقال لها الخوف وهى انخلاع القلب عن طمأنينة
'الامن وقلقه' واضطرابه لتوقع مكروه ، فان اشتد سعى وجلا لجولانه
فى نفسه ، فاذا اشتد سعى رهباً لادائه إلى الهرب ، وهى حالة المؤمنين
الفارين إلى الله و من غلب عليه الحب لاستغراق فى شهود الجلاليات
لحقته حالة تسمى مهابة إذ لا ينفك عن خوف إبعاد أو صد اغفلة أو ذلة ،
و من غلب عليه التعظيم لاستغراق فى شهود الجلاليات^٢ صار فى الإجلال ،
و وراء هذا الخشية " إنما يخشى الله من عباده العلماء " فمن خاف ربه هذا ١٠
الخوف انفك من جميع ما عنده مما لا يلىق بجناحه سبحانه ، و لم يقدح
فى البينة ولا توقف فيها ، وما فارق الخوف قلباً إلا خرب ، فكان جديراً
بأن يقدح فى كل ما أدى إلى العبارة ، و قد رجع آخر السورة على
أولها بذلك ، و بتصنيف^٣ الناس صنفين : صنف انفك عن هوى نفسه
فأنجاها ، و صنف استمر فى أسرهِ فأرداها ، و قد ذكرت فى مصاد ١٥
النظر للإشراف على مقاصد السور ، سر تخصيص النبى صلى الله عليه وسلم
لأبى^٤ رضى الله عنه بقراءة هذه السورة عليه بخصوصها ، وحاصله
(١ - ١) من ظ و م ، وفى الأصل : اقلب وقلقه (٢) من ظ و م ، وفى
الأصل : ذهباً (٣) من م ، وفى الأصل و ظ : الجلائيات - كذا (٤) فى
ظ : هذه (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : بتصنيف (٦) من م ، وفى الأصل
و ظ : لأبى بكر .

أن سبب تخصيصه بذلك أنه وجد اثنين من الصحابة رضى الله عنهم قد خالفاه في القراءة فرفعهما^٢ إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأمرهما فعرضا عليه فحسن لهما، قال: فسقط في نفسى من التكذيب أشد بما [كان -^١] في الجاهلية، فضرب صلى الله عليه وسلم في صدرى فقضت عرقا، وكأنما أنظر إلى الله فرقا، ثم قص على^٣ خبر التخفيف^٤ بالسبعة الأحرف^٥، وكانت السورة التى وقع فيها الخلاف النحل وفيها أن الله يبعث رسوله صلى الله عليه وسلم يوم البعث شهيدا، وأنه نزل عليه الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة، وأنه نزل عليه روح القدس بالحق ليثبت الذين آمنوا، وأن اليهود اختلفوا في السبت، / وسورة "لم يكن" على قصرها حاوية ١٠ إجمالا لكل ما في النحل على طولها بزيادة، وفيها التحذير من الشك بعد البيان، و تقييح حال من فعل ذلك، وأن حاله يكون كحال الكفرة من أهل الكتاب فى العناد، فيكون شر البرية، فقرأها النبي صلى الله عليه وسلم [عليه -^٢] رضى الله عنه تذكيرا له بذلك كله على وجه البلى وأخصر ليكون أوسع له تصورا فيكون أرسخ فى النفس وأثبت ١٥ فى القلب وأعشق للطبع، فاختصه الله بالثبوت وأراد له الثبات، فكان من المرادين المرادين لما وصل إليه قلبه ببركة ضرب النبي صلى الله عليه وسلم صدره من كشفه الحجب ونفى الشياطين والنظر إلى سبجات القدس

(١) من ظ و م ، وفى الأصل ؛ فى رفعهما (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) من ظ و م ، وفى الأصل : بالأحرف السبعة (٤) من ظ و م ، وفى الأصل ؛ اعتقده

وشهود^١ تلك الحضرة الشفاء، و صيرورته إلى أن يكون أصنى
 الصحابة رضى الله عنهم مراقبه لتلاوة النبی صلى الله عليه وسلم بما يتذكر
 من الامر الشريف بتخصيصه بذلك، فيصير كلما قرأ هذه السورة الجامعة
 غائبا عن تلاوة نفسه مصغيا بأذنى قلبه إلى روح النبوة يتلو عليه ذلك
 فيدوم له حال الشهود الذى وصل إليه بسر تلك الضربة. ولشوته في ه
 هذا المقام قال صلى الله عليه وسلم: أقرؤكم^٢ أبى - رواه أحمد والترمذى^٣
 وابن ماجه^٤ عن أنس رضى الله تعالى عنه وهو صحيح، ورواه بعضهم
 مرسلًا، وما فيه ولم أذكره^٥ في المصاعد سنة التواضع حتى لا يمنع
 أحدا ما^٦ يراه من علوه من القراءة على من هو دونه فإنه ما منع
 أكثر أهل الكتاب من الإسلام إلا رؤية ما كانوا عليه من العلم^٧
 بكتب الله وسنن الرسل عليهم الصلاة والسلام و جهل العرب بذلك،
 فنظروا إلى ما كان ولم ينظروا إلى الحالة الراهنة^٨ الآن، فخلق الحسد
 أديانهم وسلبهم إيمانهم، وصاروا أشقى الناس - كما نبه عليه أول السورة -
 نسأل الله العفو والعافية^٩ في الدين والدنيا والآخرة - آمين^{١٠}.

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : الشهود الى (٢) من ظ و م ، وفي الأصل :
 اقرؤكم (٣) راجع مواقيت الصلاة (٤) راجع ص ١٤ (٥) من ظ و م ، وفي
 الأصل : لم اذكر (٦-٦) من ظ و م ، وفي الأصل : ما احد (٧) من ظ و م ،
 وفي الأصل : الراهنة (٨-٨) في ظ : واقه أعلم .

سورة الزلزلة

مقصودها انكشاف الأمور ، و ظهور المقدور أم^٢ ظهور ، وانقسام
الناس في الجزاء في دار البقاء إلى سعادة و شقاء^٣ ، و على ذلك دل اسمها
بتأمل الظرف و مظهره ، و ما أفاد من بديع القدر و صروفه ﴿ بسم الله ﴾
المحيط بكل شيء قدرة و علما ﴿ الرحمن ﴾ الذي عم الخلق بنعمته الظاهرة
قسما ﴿ الرحيم ﴾ الذي أمّ النعمة على خواصه حقيقة و اسما ، عينا و رسما .
لما ختم تلك بجزاء الصالح و الطالح في دار البقاء على ما أسلفوه في
مواطن الفناء ، ذكر في هذه أول مبادئ تلك الدار^٤ و أوائل غاياتها ،
و ذكر في القارعة ثواني مبادئها و آخر غاياتها ، و أبلغ في التحذير
١٠ / ٨٢٩ بالإخبار باظهار ما يكون عليه الجزاء ، فقال معبرا بأداة التحقق / لأن الأمر
حتم لا بد من كونه^٥ : ﴿ اذا ﴾ .

و لما كان المخوف الزلزلة و لو لم يعلم فاعلمها ، و كان البناء للفعول يدل
على سهولة الفعل و يسره جدا ، بنى للفعول قوله : ﴿ زلزلت الارض ﴾
أي حركت واضطربت زلزلة البعث بعد النفخة الثانية بحيث يعمها ذلك

(١) التاسعة و التسعون من - و القرآن الكريم ، مدنية ، و عدد آياتها ٨ (٢) من
ظ و م ، و في الأصل : ام (٣) من ظ و م ، و في الأصل : شقاوة (٤) من ظ
و م ، و في الأصل : البقاء (٥) من ظ و م ، و في الأصل : الداية (٦) زيد في
الأصل : قل ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها .

لا كما كان يتفق قبل ذلك من زلزلة^١ بعضها دون بعض و على وجه
دون ذلك، وعظم هذا الزلزال و هوّله بإبهامه لتذهب النفس فيه كل
مذهب، فقال كاسرا الزام لانه^٢ مصدر، و لو فتحها لكان اسما
للحركة، قال البيضاوى^٣: و ليس إلا فى المضاعف. (زلزالها لا) أى
تحركها واضطرابها الذى يحق لها فى مناسبتها اعظمة جرم الارض وعظمة
ذلك اليوم، و لو شرح بما يليق به لطال الشرح، و ذلك كما تقول:
أكرم التقي لكرامة وأمن الفاسق [الشقى - °] إهانة، أى على حسب
ما يليق به .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: وردت عقب سورة البرية
ليبين بها^٤ حصول جزاء الفريقين و مآل الصنفين المذكورين فى قوله تعالى ١٠
”ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين - إلى قوله: اولئك شر
البرية“ وقوله ”ان الذين امنوا“ - إلى آخر^٥ السورة . ولما كان حاصل
ذلك اقترافهم على صنفين و لم يقع تعريف بتباين^٦ أحوالهم، أعقب ذلك
بمآل الصنفين واستيفاء جزاء^٧ الفريقين المجمل ذكرهم فقال تعالى ”يومئذ
يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم“ إلى آخر السورة - انتهى . ١٥

(١) من ظ و م، وفى الأصل: زات (٢) من ظ و م، وفى الأصل: لانها.
(٣) راجع الأنوار ص: ٨٠٧ (٤) من ظ و م، وفى الأصل: كعظمة (٥) زيد
من ظ و م (٦) من ظ و م، وفى الأصل: به (٧) فى ظ: خاتمة (٨) من ظ
و م، وفى الأصل: تباين (٩) من ظ و م، وفى الأصل: خبر .

ولما كان الاضطراب العظيم يكشف عن الخفي في المضطرب^١
 قال: ﴿واخرجت﴾ وأظهر ولم يضمن تحقيقا للعموم فقال: ﴿(الارض)﴾
 أى كلها ﴿اثقالها﴾ أى مما هو مدفون فيها كالأموات^٢ والكنوز
 التى^٣ كان أمرها ثقيلا على الناس، وهو جمع ثقل - بالكسر، وذلك
 حين يكون^٤ البعث والقيام متأثرا ذلك الإخراج عن ذلك الزلزال،
 كما يتأثر عن زلزال البساط بالنفض لإخراج ما فى بطنه وطيه وغضونه
 من وسخ ورازب وغيره، وما كان على ظهرها فهو ثقل عليها
 لأنها يعطيها الله قوة لإخراج ذلك كله كما كان يعطيها قوة^٥ أن تخرج^٦
 النبات الصغير اللطيف الطرى الذى هو أنعم من الحرير فيشق الارض
 الصلبة التى تكل عنها المعاول^٧ والحديد، ويشق النواة مع ما لها من
 الصلابة التى تستعصى بها على الحديد فيفلق نصفين وينبت منها ما يريد
 سبحانه وتعالى، ويفلق قشر الجوز واللوز ونوى^٨ الخوخ وغيره مما^٩
 هو فى غاية الصلابة كما نشاهده، ويخرج منه الشجر بشق الارض
 على ضعفه ولينه وصلابتها / وبكونه على ظهرها حتى يصير أغلظ شئ.
 ١٥ وأشدّه، وكذا الحب سواء، فالذى قدر على ذلك هو سبحانه وتعالى

/ ٨٣٠

(١) من ظ وم، وفى الأصل: المضطر (٢) فى م: من الأموات (٣) من ظ وم،
 وفى الأصل: الذى (٤-٥) من ظ وم، وفى الأصل: يكون حين (٥-٥) من
 ظ وم، وفى الأصل: اخرج (٦) من ظ وم، وفى الأصل: المعاويل
 (٧) من ظ وم، وفى الأصل: ثقا (٨) من ظ وم، وفى الأصل: ما.

٨٣٠ /

قادر على تكوين الموتى في بطن الأرض وإعادتهم على ما كانوا عليه
كما يكون الجنين في البطن ويشق / جميع منافذه على التحذير من السمع
و البصر والشم وغير ذلك من [غير-٢] أن يدخل [إلى-٢] هناك
بيكار ولا منتشر، ثم يخرج من البطن، فكذا إخراج الموتى من غير فرق،
كل عليه حين - سبحانه ما أعظم شأنه وأعز سلطانه .

و لما كان الإنسان إذا رأى هذا عجب له ولم يدرك سببه لأنه
أمر عظيم فظيع يبهر عقله ويضيق عنه ذرعه، عبر [عنه-٥] بقوله :
(و قال الانسان) أي هذا النوع الصادق بالقليل والكثير لما له
من النسيان لما تأكد عنده من أمر البعث بما له من الانس بنفسه
والنظر في عطفه، على سبيل التعجب والدهش أو الحيرة، ويجوز أن
يكون القائل الكافر كما يقول "من بعثنا من مردنا" فيقول له المؤمن
"هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون" : (ما لها) أي أي شيء.
للأرض في هذا الأمر الذي لم يعهد مثله .

و لما طال الكلام وأريد التهويل، أبدل من "إذا" قوله معرفا
للإنسان ما سأل عنه : (يومئذ) [أي-٢] إذ كان ما ذكر من الزلزال ١٥

-
- (١) زيد في الأصل و ظ : من غير فرق ، ولم تكن الزيادة في م لحذفناها .
(٢) زيد في الأصل : على ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها (٣) زيد من م .
(٤) زيد في الأصل : شنيع ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها (٥) زيد
من ظ و م (٦) زيد في الأصل : فقال ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها .

و ما لزم عنه و نصبه و كذا ما أبدل منه بقوله: ﴿تحدث﴾ أى الأرض
 بلسان الحال باخراج ما فى بطنها من الموتى و السكنوز و غيرها على وجه
 يعلم الإنسان به لم زلزلت و لم أخرجت ، و أن الإنذار بذلك كان حقاً ،
 و قال ابن مسعود رضى الله عنه: تحدث بلسان المقال . ﴿اخبارها لا﴾
 ٥ أى^٢ التى زلزلت و أخرجت ما أخرجت لأجلها ، و كل شيء عمل عليها
 شهادة^٣ منها على العاملين^٤ فتقول: عمل فلان كذا و كذا - تعدد حتى
 يود المحرم أنه يساق إلى النار لينقطع عنه تعداد^٥ ذلك الذى يلزم منه
 العار، و تشهد للأومن بما عمل حتى يسره ذلك ، فيشهد للأوذن كل ما امتد
 إليه صوته من رطب و يابس .

١٠ و لما كان من المقرر أنه لا يكون شيء إلا بأذنه تعالى ، و كان قد
 بنى الأفعال لما لم يسم فاعله ، فكان الجاهل ربما خفى عليه فاعل ذلك قال:
 ﴿بان﴾ أى تحدث بسبب أن ﴿ربك﴾ أى المحسن إليك باحقاق الحق
 و إزهاق الباطل لإعلاء شأنك ﴿أوحى﴾ و عدل عن حرف النهاية
 لئذانا بالإسراع فى الإيحاء فقال: ﴿لها ثم﴾ أى بالإذن فى التحديث المذكور
 ١٥ بالحال أو المقال .

و لما أخبر تعالى باخراج الأنفال التى منها الأموات ، اشتد التشوف

(١) راجع تفسير الطبرى ٣٠ / ١٤٧ (٢) زيد فى الأصل: الأرض ، و لم تكن
 الزيادة فى ظ و م لحذفها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل: شهادته (٤) من م
 و فى الأصل و ظ : العالمين (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : تعدد .

إلى هيئة ذلك الإخراج وما يتأثر عنه ، فقال مكررا ذكر^١ اليوم زيادة
 في التهويل : ﴿ يومئذ ﴾ أى إذ كان ما تقدم وهو حين^٢ يقوم الناس
 من القبور ﴿ يصدر ﴾ أى يرجع رجوعا هو فى غاية السرعة والاهتداء
 إلى الموضع الذى ينادون منه لا يغلط أحد منهم فيه ولا يضل
 [عنه - ٣] ﴿ الناس ﴾ من قبورهم ' إلى ربهم ' الذى كان لهم بالمرصاد
 ليفصل بينهم ﴿ اشتانالا ﴾ أى متفرقين بحسب مراتبهم فى الدوات^٤
 والأحوال من مؤمن و كافر ، وآمن و خائف ، و مطيع و عاص .
 ولما ذكر ذلك ، أتبعه علته فقال بانبا للفعول على طريقة كلام

القادرين : ﴿ ايروا ﴾ أى / يرى الله المحسن منهم والمسيء بواسطة من
 يشاء من جنوده أو بغير واسطة حين يكلم سبحانه و تعالى كل أحد ١٠
 من غير ترجمان ولا واسطة كما أخبر بذلك رسوله صلى الله عليه وسلم
 ﴿ اعماهم ﴾ فيعملوا جزاءها أو صادرين عن الموقف كل إلى داره ليرى
 جزاء عمله ، ثم سبب عن ذلك قوله مفصلا الجملة التى قبله : ﴿ فن يعمل ﴾
 من محسن أو مسيء مسلم أو كافر ﴿ منقال ﴾ أى مقادير^٥ وزن
 ﴿ ذرة خيرا ﴾ أى من جهة الخير ﴿ يره ﴾ أى حاضرا لا يغيب عنه ١٥
 شيء منه لأن المحاسب له الإحاطة علما و قدرة ، فالكافر يوقف على

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : ذا كرا (٢) زيد فى الأصل : يوم ، ولم تكن
 الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٣) زيد من ظ و م (٤ - ٤) من ظ و م ، وفى
 الأصل : اتى كانت لهم (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : الذات (٦) زيد فى
 الأصل و ظ و او ، ولم تكن الزيادة فى م لحذفناها .

أنه جوزى به في الدنيا أو أنه أحبط لبنائه على غير أساس الإيمان،
فهو صورة بلا معنى ليشته ندمه ويقوى حزنه وأسفه، والمؤمن يراه
ليشته سروره به .

و لما ذكر الخير ، أتبعه ضده فقال : ﴿ ومن يعمل ﴾ أى كائنا
من كان ﴿ مثقال ذرة شرا ﴾ أى من جهة الشر ' ﴿ يره ﴾ ٤ فافوقه ،
فالمؤمن يراه و يعلم أنه قد غفرله ليشته فرحه ، والكافر يراه فيشته حزنه
وترحه ، والذرة التلة الصغيرة أو الهباءة التى ترى [طائرة - ٢] فى الشعاع
الداخل من الكوة ، وقد رجع آخرها على أو لها بتحديث الاخبار
وإظهار الأسرار^٣ ، وقد ورد فى حديث الأعرابي أن هذه السورة جامعة
١٠ لهذه الآية الأخيرة ، و قال ابن مسعود رضى الله عنه : ' إنها أحكم آية
فى القرآن ، و كان رسول الله صلى الله عليه وسلم [يسميها - ٥] الفاذة
الجامعة ، و من فقه ذلك لم يحقر ذنبا وإن دق لأنه يجتمع إلى أمثاله
فيصير كبيرا^٦ كما^٧ قال صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها^٨ : إياك
و محقرات الذنوب ، فان لها من الله طالبا ، و روى كما ذكرته فى
١٥ كتابي^٩ «مساعد النظر فى الإشراف على مقاصد السور» فى حديث

(١) زيد فى الأصل و ظ : فانه ، و لم تكن الزيادة فى م لحذفها (٢) زيد من
ظ (٣) زيد فى الأصل : انتها ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٤) راجع
المعالم ٢٣٤/٧ (٥) زيد من م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : كثيرا (٧) - نقط
من ظ و م (٨) راجع مسند الإمام أحمد ٧٠/٦ (٩) من ظ و م ، و فى الأصل :
كتاب .

[انها تعدل نصف القرآن، وفي حديث - ١] آخر أنها تعدل ربع القرآن، 'و لا تعارض'، فالأول نظر إليها من جهة أن الأحكام تنقسم إلى أحكام الدنيا وأحكام الآخرة، وهذه السورة اشتملت على أحكام الآخرة إجمالاً، وزادت على 'القارعة بأخراج الأتقال' وأن كل أحد يرى كل ما عمل، والثاني نظر إليها باعتبار ما تضمنته الحديث الذي رواه الترمذى عن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله بعثى بالحق، ويؤمن بالموت، ويؤمن بالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر. [فاقتضى - ١] هذا الحديث أن الإيمان بالبعث الذي قرره هذه السورة ربع الإيمان الكامل الذي دل عليه القرآن، وأيضاً فأمر الدين أربعة أجزاء: أمر المعبود، وأمر العبيد، وأمر العبادة، [وأمر - ١] الجزء، فهذه السورة تكفلت بأمر الجزء، وسورة الكافرون ربع لأنها في أمر العبادة على وجه الخصوص والخفاء وإن كانت على وجه التمام والوفاء، وسورة النصر ربع لأنها لأمر العبادة على وجه العموم والجلاء والظهور والعلا - والله الهادي للصواب وإليه المآب. ١٥

(١) زيد من ظ وم (٢-٢) من ظ وم، وفي الأصل: فلا معارض (٣-٣) من ظ وم، وفي الأصل: الآخرة باتقال الاحمال (٤) راجع الجامع - انقدر (٥) من ظ وم، وفي الأصل: السه - كذا (٦) من ظ وم، وفي الأصل: العبد. (٧) من ظ وم، وفي الأصل: بالجزء (٨-٨) في ظ: واقه أعلم بالصواب، وما بين الرقین ساقط من م.

سورة العاديات

مقصودها الإعلام بأن أكثر الخلق يوم الزلزلة هالك لإيثار الفاني من العز [و المال - ٢] على الباقي عند ذى^٢ الجلال، المدلول عليه بالقسم وهو العاديات و المقسم عليه و ما عطف عليه، و قد علم أن اسمها أدل شئ. على ذلك / لما هدى إليه^١ القسم و المقسم عليه : ﴿ بسم الله ﴾ الذى له الأمر كله فلا يستل عما يفعل ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم^٣ نعمته إيجاده و بيانه فنعمته أتم نعمة و أشمل ﴿ الرحيم ﴾ الذى خص خلص عباده بتوفيقه فأتم نعمته عليهم و أكل .

لما ختم الزلزلة بالجزاء لأعمال^٦ الشريوم الفصل ، افتتح هذه بيان ١٠ ما يجر إلى تلك الأعمال من الطبع ، و ما ينجر^٧ إليه ذلك الطبع مما يتخيله من النفع ، موحا من^٨ لا يستعد لذلك اليوم بالاحتراز التام^٩ من تلك الأعمال ، معفا^{١٠} من أثر دنياه على أخراه ، مقسما بما لا يكون إلا عند أهل النعم الكبار الموجبة للشكر ، فمن غلب عليه الروح شكر . و من غلب

(١) المائة من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آياتها ١١ (٢) زيد من ظ و م .

(٣) من ظ و م ، وفى الأصل : ذوى (٤) من م ، وفى الأصل وظ : عليه .

(٥) من ظ و م ، وفى الأصل : عما (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : على الأعمال

من (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : يجر (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : لمن .

(٩) من م ، وفى الأصل وظ : التام (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : مشبها .

عليه الطبع - وهم الأكثر - كفر فقال: ﴿والغديت﴾ أى الدواب التى من شأنها أن تجرى بغاية السرعة، وهى الخيل التى ظهورها^١ عز و بطونها كنز، وهى لرجل وزر و لرجل أجر، فمن فاخر بها و نادى بها أهل الإسلام و أبطره عزها حتى قطع الطريق و أخاف الرفيق كانت له شرا، ومن جعلها فى سبيل الله كانت له أجرا، ومن حمل^٢ عليها و لم ينس^٣ حق الله فى رقابها و ظهورها كانت له ستر^٤، و إنما أقسم بها ليتأمل ما فيها من الأسرار الكبار التى باينت به أمثالها من الدواب كالثور مثلا و الحمار ليعلم أن الذى خصها بذلك فاعل 'مختار واحد' قهار، فالقسم فى الحقيقة به سبحانه .

ولما كانت دالة على الضابحات بالالتزام، قال ناصبا به أو بد «تضبح» ١٠ مقدرًا: ﴿ضبحًا﴾ [و الضبح -^٥] صوت جهير يخرج من أفواهها عند العدو الشديد، ليس بصهيل و لاحتمة و لارغاء و هو من النفس، و ليس شيء من الدواب يضبح^٦ غير الفرس و الكلب و الثعلب، و أصله للثعلب و استعير للخيل، و حكاه ابن عباس رضى الله عنهما فقال: أح أح، أو الضبح عدو دون التقريب .

١٥

(١) من ظ و م، وفى الأصل: بطونها (٢) من ظ، وفى الأصل و م: عمل (٣) من ظ و م، وفى الأصل: سيرا (٤ - ٤) من م، وفى الأصل و ظ: واحد مختار (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، وفى الأصل: سفخ - كذا .

ولما ذكر عدوها، أتبعه ما ينشأ عنه، فقال عاطفا بأداة التعقيب
لأن العدو بحيث يتسبب عنه و يتعقبه الإبراء: ﴿فالموريت﴾ أى المخرجات
لنار بما يصطك من نعالها بالأحجار، لا سيما عند سلوك الأوعار .
ولما كان الإبراء أثر القدح قال: ﴿قدحاً﴾ أى قدح ضرباً بعنف
٥ كضرب الزند ليورى النار، ونسب الإبراء إليها لإيجادها صورته وإن
لم يكن لها قصد إليه .

ولما ذكر العدو وما يتأثر عنه، ذكر نتيجته وغايته فقال:
﴿فالمغيرت﴾ أى باغرة أهلها عليها / على [العدو و -] الإغارة
والركض الشديد لإرادة القتل والنهب . ولما كانت الإغارة الكائن
١٠ عنها الثبور والويل أروع ما تكون فى أعقاب الليل قال: ﴿صبحاً﴾
أى ذات دخول فى الصباح .

/ ٨٣٣

ولما كان الأعداء^١ حال الإغارة يكون مختلفاً تارة يميناً [وتارة -]
شمالاً و تارة أماماً و تارة وراء بحسب الكسر والفر فى المصاولة
والمحاولة تارة أثر الهارب، وأخرى فى مصاولة المقبل المحارب، فينشأ
١٥ عنها الغبار الكثير لإثارة الهواء له واصطدام بعضه ببعض لتعاكسه بقوة
الدفع من قوائمه وما تحركه منه، وكان المقسم به منظوراً فيه إلى ذاته
ونتيجة القسم منظوراً فيها إلى الفعل بادئ بدء مع قطع النظر بالأصالة
عن^٢ الذات، عطف على اسم الفاعل بعد حله إلى أن وصلتها فقال:

(١) زيد من ظ وم (٢) من ظ وم، وفى الأصل: أعداء (م) من ظ وم،
وفى الأصل: على .

(فائرن به) [أى - ١] بفعل ٢ الإغارة و مكانها و زمانها من شدة العدو (نقعلا) أى غبارا مع الاعتناق والصياح و الزجر بالنعق حتى صار ذلك الغبار منجبكا و منعقدا عليها .

ولما كان المغير يتوسط الجمع عند اختلال حالهم فيفرق شملهم لأنهم متى افرقوا حصل فيهم الخلل ، و متى اختلفوا تخلصهم العدو ففرق شملهم ه قال : (فوسطن به) أى بذلك النقع أو الفعل و الوقت و الموضع (جمعا لا) أى و هو المقصود بالإغارة ، فدخلت فى وسط ذلك الجمع لشجاعتها و قوتها و طواعيتها و شجاعة فرسانها .

ولما أقسم بالخيال التى هى أشرف الحيوان ٤ كما أن الإنسان المقسم لأجله أشرف ما اتصف ٥ منه بالبيان ، و تجرى به أفكاره كحيل الرهان ، و تقدح ١٠ المعانى تارة مقترنة ٦ بأشرف المعان ، و أخرى ٧ بأخس ما يقع به الاقتران ٨ ، من الزور و البهتان ، و الإلحاد و الطغيان ، و تغير ٩ منه ثواقب ١٠ الأذهان ، تارة على شبه الخصوم بالبرهان . و أخرى بما يغير به من الشبه الملتبسة فى وجوه المعانى الحسان ، و يثر تارة المعانى الصحيحة على أهل الطغيان ،

(١) زيد من ظ و م (٢) فى ظ : فعل (م) العبارة من هنا الى « أولى الإيمان و ه ص ٢١٤ س ٢ و م ساقطة من ظ (٤) من م ، و فى الأصل : الحيوانات . (٥) من م ، و فى الأصل : اتصل (٦) من م ، و فى الأصل : مقترنة (٧) من م ، و فى الأصل : آخر (٨) من م ، و فى الأصل : الاقتران (٩) من م ، و فى الأصل : يعز (١٠) من م ، و فى الأصل : مواقة .

من ذوى البدع^١ والكفران، وأخرى^٢ الفاسدة على حزب
الملك الديان، وتوسط تارة جمع أولى الطرفين، وأخرى جمع أولى
الإيمان، وكانت الإغارة في الغالب لأجل قهر المغار عليهم على أموالهم
عدوانا إن كان ذلك في غير الجهاد، وإن كانت في الجهاد فقل من
يخلص في ذلك الحال، فيكون عمله ليس إلا الله كما أشار إليه الحديث

٥. القدسي^٣ "إن عبدى كل عبدى للذى يذكرنى عند لقاء قرنه" قال
جيبا للقسم بذكر المقسم عليه حاكما على النوع باعتبار عد المخلص لقلته
عدما، مؤكدا لما لهم من تكذيب ذلك فإن كل أحد يتبرأ من مثل
هذا الحال: (إن الانسان) أى هذا النوع بما له من الأنس بنفسه
والنسيان لما ينفعه (لربه) أى المحسن إليه بابتدائه ثم إبقائه وتديره
وترتيبه^٤ (لكنود) أى كفور نكد لسوء المعاملة حيث يقدم بما
أحسن به الله إليه من الصافنات الجياد وبما آناه من قوة الجنان
والأركان على ما نهاه عنه، ومصدره الكنود بالضم وهو كفران

النعمة، فالمراد هنا - بالتعبير [عنه -] بهذه الصيغة التى هى للبالغة / - ٨٣٤

١٥ من يزدرى^٥ القليل ولا يشكر الكثير، وينسى كثير النعمة بقليل المحنة،
ويلوم ربه فى أسر^٦ نقمة، وقال الفضيل بن عياض: هو من أنسته

(١) قوم؛ أو (٢) من م، وفى الأصل: آخر (٣) راجع الترمذى - الدعوات.
(٤) من ظ و م، وفى الأصل: ترتيبه (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ
وم، وفى الأصل: دورى (٧) من ظ و م، وفى الأصل: السى - كذا.

الخصلة الواحدة من الإساءة الخصال الكثيرة من الإحسان^١،
والشكور ضده .

وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : أقسم^٢ سبحانه على [حال-^٣]
الإنسان بما هو فقال "ان الانسان لربه لكنود" أى لكفور، ييغل بما لديه
من المال كأنه لا^٤ يجازى ولا يحاسب على قليل ذلك وكثيره من أين
اكتسبه وفيما أنفقه، وكأنه ما سمع بقوله تعالى "فمن يعمل مثقال ذرة
خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره" "وانه لحب الخير"
أى المال "لشديد" لبخيل، "ولانه على ذلك لشهيد" فان الله على ذلك
لمطلع فلا نظر فى أمره وعاقبة مآله "إذا بعثر ما فى القبور وحصل
ما فى الصدور" أى ميز ما فيها من الخير والشر ليقع الجزاء عليه "إن ١٠
ربهم بهم يومئذ لخبير" لا يخفى عليه شئ من أمرهم "فمن يعمل مثقال
ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره" - انتهى .

و لما كان لإقدام الإنسان على الظلم عجبا ، فاذا كان يشهد على نفسه
بالظلم كان أعجب ، قال مؤكدا لما لاكثر الخلق قبل البعث والمحاففة^٥
من إنكار كفرانه : (وانه) أى الإنسان (على ذلك) أى الكنود ١٥
العظيم حيث أقدم على مخالفة الملك الأعظم المحسن مع الكفر لإحسانه

(١) من م ، وفى الأصل وظ : الانسان (٢) زيد فى الأصل : بالله ، ولم تكن
الزيادة فى ظ وم فحذفناهما (٣) زيد من ظ وم (٤) من ظ وم ، وفى
الأصل : الاحسان (٥) من م ، وفى الأصل وظ : لا (٦) من ظ وم ، وفى
الأصل : كان (٧) من ظ وم ، وفى الأصل : المحققة .

(لشهادة^٤) لأنه مقر إذا حوق بأن جميع ما هو فيه من إحسان ربه وبأن ربه نهاه عن المخالفة، أو أنه لا أمر عنده [منه-^١] بما فعل، وأنه لا ينبغي لعامل أن يتحرك بحركة يمكن أن يكرهها الملك الذي هو في خدمته ولا شيء له إلا منه بغير إذنه، وأنه إن تحرك بغير ذلك كان كافرا لإحسانه مستحقا لعقابه، لا يقدر على إنكار شيء منه .

و لما كان من العجائب أن يكفر أحد إحسان المنعم، و هو شاهد على نفسه، ذكر الحامل له على ذلك حتى هان عليه فقال : (وأنه) أى الإنسان من حيث هو مع شهادته على نفسه بالكفر الذى يقتضى سلب النعم (لحب) أى لأجل حب (الخير) أى المال الذى لا يعد غيره ١٠ لجهله خيرا (لشديد^٥) أى بخيل بالمال ضابط له بمسك عليه، أو ببلغ القوة فى حبه لأن منفعة فى الدنيا وهو متقيد بالعاجل الحاضر المحسوس مع علمه بأن أقل ما فيه أنه^٦ يشغله عن حسن الخدمة لربه و هو معرض عن الدين حيث كانت منفعة آجلة غائبة مع علمه بأن المعروف بما يرضى من خدمة ربه الحاث^٢ عليها الداعى إليها فهو لحب عبادة الله^٣ ١٥ ضعيف متعاس، و كان حبه الخير يقتضى عنه الشكر الذى يتقاضى الزيادة، ولا يتخيل أن شديدا عامل فى الحب لأن ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها، وإنما ذلك المتقدم دليل على المعمول المحذوف .

(١) زيد من م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : إن (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : الحادث (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : ربه (٥) من م ، وفى الأصل : وظ : ان .

و لما كان المال فانيا لا ينبغي لعاقل ان يعلق أمله به فضلا عن
أن يؤثره على الباقي، نبهه على ذلك بتهديد بليغ، فقال مسبيا عن ذلك
معجبا، موقفا له على ما يؤول إليه أمره: ﴿ افلا يعلم ﴾ أى هذا الإنسان
الذى / أنساه أنسه بنفسه .

٨٣٥ /

و لما كان الحب أمرا قليلا ، لا يطلع عليه إلا عالم الغيب ، و كان ه
[البعث من عالم الغيب، و كان - '] أمرا لا بد منه ، و كان المخوف مطلق
كونه ، لم يحتاج إلى تعيين العاقل ، فبنى للمعول قوله مهيدا مؤذنا بأنه شديد
القدرة على إثارة الخفايا ، معلقا بما يقدره ما يؤول إليه أمره من أن الله
يحاسبه^٢ و يجازيه على أعماله ، و أنه لا ينفعه مال و لا غيره ، و لا ينجي
إلا ما كان من أعماله موافقا لأمر ربه مبنيا على أساس الإيمان واقعا ١٠
بالإخلاص^٣ : ﴿ اذا بعث ﴾ أى أثير بغاية السهولة و أخرج و فرق
و نظر و قش بغاية السهولة . و لما كان الميت قبل البعث جمادا ، عبر عنه
بأداة ما لا يعقل فقال^٤ : ﴿ ما فى القبور لا ﴾ أى أخرج ما فيها من الموقى
الذين تشكر العرب بعثهم^٥ فنشروا للحساب ، أو من عظامهم و لحومهم
و أعصابهم و جلودهم و جميع أجسامهم . و قلب بعضه على بعض حتى أعيد ١٥
كل شىء منه على ما كان عليه ، ثم أعيدت إليه الروح ، فكان كل أحد
على ما مات عليه .

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : امر (م) من ظ و م ،
وفى الأصل : يحاسب (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : بعد الاخلاص .
(٥) فم : فقبل (٦) من م ، وفى الأصل و ظ : بعثهم .

و لما كان الخوف إنما هو ما يتأثر عن البعث من الجزاء على الاعمال
 الفاسدة قال: ﴿ و حصل ﴾ اى أخرج و ميز و جمع فعرف أنه معلوم
 كله بغاية السهولة كما أشار البناء للفعول^١ ﴿ ما فى الصدور ﴾ اى من
 خير أو شر بما يظن مضمرة أنه لا يعلمه أحد أصلا، و ظهر مكتوبا فى
 ه صحائف الاعمال، و هذا يدل على [ان -^٢] النيات يحاسب بها كما يحاسب
 على ما يظهر من آثارها .

و لما كان علم ما فى الصدور أمرا باهرا للعقل، قال جاءها نظرا
 إلى المعنى لما عبر عنه بالإفراد بالنظر إلى اللفظ، لأن العلم بالكل يلزمه
 العلم ببعض بخلاف العكس مؤندا إشارة إلى أنه بما لا يكاد يصدق،
 ١٠ معلا للجملة المحذوفة الدالة على الحساب: ﴿ ان ربهم ﴾ اى المحسن
 إليهم بخلقهم و رزقهم و تربيتهم و جعلهم أقوياء سوين ﴿ بهم ﴾ قدم
 هذا الجار 'و المجرور' لا للاحتصاص، بل للإشارة إلى ' نهاية الخبر .
 و لما كانت الخبرة للاحاطة بالشئ ظاهرا و باطنا، و كان يلزم من الخبرة
 بالشئ بعد كونه بمدد طوال الخبرة به حال كونه من باب الأولى قال:
 ١٥ ﴿ يومئذ ﴾ اى إذا كانت [هذه -^٢] الأمور و هو يوم القيامة ﴿ لخبر ﴾
 اى يحيط بهم من^٣ جميع الجهات عالم غاية العلم ببواطن أمورهم، فكيف

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : الى المفعول (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) من
 ظ و م ، و فى الأصل : للنعى (٤-٤) سقط ما بين الرقنين من ظ (٥) زيد فى الأصل :
 انها ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٦) زيد فى الأصل : يكون ،
 و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : فى .
 بظواهرها

بظواهرها جواهر و أعراضا، أقولا و أفعالا، خفية كانت أو ظاهرة،
 سرا كانت أو علانية، خيرا كانت أو شرا، و من المعلوم أن فيها الظلم
 و غيره، و منهم المحسن و غيره، فلاجل علمه سبحانه بذلك غاية العلم
 يحاسبهم لثلا يقع ما ينافي الحكمة و هو أن تستوى الحسنة و السيئة،
 فالقصد بالقيد و تقديم الظرف الإبلاغ في التعريف بأنه سبحانه و تعالى ٥
 يحيط العلم بذلك كما إذا قيل / لك : تعرف فلانا ؟ فقلت : و لا أعرف ٨٣٦/
 إلا هو، فان قصدك بذلك أن معرفتك به في غاية الإتيان، لا تنفي
 معرفة غيره، و فيه إشعار بأن كل أحد يعرف غاية المعرفة في ذلك
 اليوم أنه سبحانه و تعالى [عالم - ١] بأحواله لا ذهول له عن شيء من
 ذلك كما يقع في هذه الدار من أن الإنسان يعمل أشياء كثيرة و هو ١٠
 غافل عن أن ربه سبحانه مطلع عليه فيها، و لو نبه العلم، فلاحاطته سبحانه
 و تعالى بجميع أحوالهم كان عالما^٢ بأن الإنسان^٢ لربه لكنود، و قد رجع
 آخرها إلى أولها، و تكفل مفصلها بشرح مجملها - و الله^٢ الهادي للصواب^٢.

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) من م، و في الأصل وظ : بالانسان ان (٣-٣) في
 ظ : أعلم بالصواب .

سورة القارعة^١

مقصودها إيضاح يوم الدين بتصوير ثوانى أحواله في مبدئه^٢ ومآله،
 وتقسيم الناس فيه إلى ناج وهالك، واسمها القارعة واضح في ذلك^٣
 ﴿بسم الله﴾ الملك الأعلى ﴿الرحمن﴾ الذى عمت نعمة إيجاده وبيانه
 ٥ جميع الورى ﴿الرحيم﴾ الذى خص أهل حزه بالتوفيق لما يحب ويرضى .
 لما ختم^٤ العاديات بالبعث، ذكر صيحته فقال : ﴿القارعة﴾ أى^٥
 الصيحة أو القيامة، سميت بها لأنها تفرع أسماع الناس وتدهقها دقا شديدا
 [عظيما -^٦] مزعجا بالأفزع، والأجرام السكيفة بالنشقق والانفطار،
 والأشياء الثابتة بالانتثار^٧ .

١٠ ولما كانت تفوق الوصف في عظم شأنها [و -^٨] جليل سلطانها،
 عبر عن ذلك وزاده عظما بالإلهام والإظهار في موضع الإضمار مشيرا
 بالاستفهام إلى أنها مما يستحق^٩ السؤال عنه على وجه التعجيب
 والاستعظام فقال : ﴿ما القارعة﴾ وأكد تعظيمها [إعلاما -^{١٠}]

(١) الحادية والمائة من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آياتها ١١ .
 (٢) من ظ و م، وفى الأصل : مبابه (م) زيد فى الأصل : والله أعلم به
 ولم تكن الزيادة فى ظ و م لخدفتها (٤) من م، وفى الأصل و ظ : ختمت .
 (٥) من ظ و م، وفى الأصل : أو (٦) زيد من ظ و م (٧) من م، وفى
 الأصل و ظ : بالانتشار (٨) فى ظ و م : يحق (٩) فى ظ و م : أو .

بأنه [مهما - '] خطر يالك^٢ من عظمها فهي أعظم منه^٣ فقال :
 ﴿ وما أدراك ﴾ أى و أى شئ أعلمك وإن بالغت فى التعرف ،
 وأظهر موضع الإضمار لذلك فقال : ﴿ ما القارعة^٤ ﴾ أى أنك لا تعرفها
 لأنك لم تعهد مثله .

وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما قال الله سبحانه و تعالى ه
 ” أفلا يعلم إذا بعثر ما فى القبور و حصل ما فى الصدور “ كان ذلك
 مظنة لأن يسأل : متى ذلك ؟ فقيل : يوم القيامة الهائل الأسر ، الفظيع
 الحال ، الشديد البأس ، و القيامة هى القارعة ، ه كررت تنظيما لامرأها كما
 ورد فى قوله تعالى ” الحاقة ما الحاقة “ و [فى - '] قوله سبحانه
 ” فغشيهم من اليم ما غشيهم “ ثم زاد عظيم^٥ هولها إيضاحا بقوله تعالى ١٠
 ” يوم يكون الناس كالفراش المبثوث “ و الفراش ما تهافت فى النار
 من البعوض^٦ ، و المبثوث : المنتشر ” و تكون الجبال كالعهن المنفوش “
 و العهن : الصوف المصبوغ ، و خص لإعدادة للغزل إذ لا يصبغ لغيره
 / بخلاف الأبيض [فانه - '] لا يلزم فيه ذلك ، ثم ذكر حال الخلق فى
 وزن الأعمال و صيرورة كل فريق إلى ما كتب له و قدر - انتهى . ١٥

و لما أتى السامع جميع فكره إلى تعرف أحوالها ، قال ما تقديره :
 تكون (يوم يكون) أى كونا كأنه جبلة (الناس) أى الذين^٧ حالهم

(١) زيد من ظ و م (٢) فى ظ : مالك (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : منها .
 (٤) زيد فى الأصل : ما ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فخذناها (ه) من ظ
 و م ، و فى الأصل : البقوم (٦) فى ظ و م : الذى .

النوس على كثرتهم و اختلاف ذواتهم و أحوالهم و مراتبهم و مقاديرهم
 و انتشارهم بعد بعثرة القبور و تحصيل ما فى الصدور ﴿كالفراش﴾
 أى صغار الجراد لأنها تتفرش و تنهافت على النار، أو 'هو طير' غير
 ذلك لا دم له، يتساقط فى النار و ليس يبعوض و لا ذباب، ^٢ و قال ' حمزة
 ٥ السكرماني: شبههم بالفراش التى تطير من هنا و من هنا و لا تجرى على
 سميت واحد و هى همج يحتلبها السراج، و قال غيره: وجه الشبه الكثرة
 و الانتشار و الضعف و الذلة و التطار إلى الداعي من كل جانب كما
 تتطارى الفراش، و كثرة التهافت فى النار و ركوب بعضهم [بعضاً - ^٢]
 و موج بعضهم فى بعض من شدة الهول كما قال تعالى "كانهم جراد
 ١٠ منشتر": ﴿المبثوث﴾ أى المنتشر المتفرق .

'ولما كانت الجبال أشد ما تكون، عظم الرهبة بالإخبار بما يفعل
 بها' فقال تعالى: ﴿و تكون الجبال﴾ على ما هى عليه من الشدة و الصلابة
 و أنها صخور راسخة ﴿كأعهن﴾ أى الصوف المصبغ ^٦ لأنها ملونة كما
 قال تعالى "و من الجبال جدد بيض و حر" ^٧ أى و ^٧ غير ذلك ﴿المنفوشة﴾
 ١٥ أى المندوف المفرق الأجزاء الذى ليس هو بمتلبد شئ منه على غيره،

(١-١) من ظ و م، وفى الأصل: هطه (٢-٢) من ظ و م، وفى الأصل:
 على (٣) زيد من م (٤) العبارة من هنا إلى 'بها' فقال تعالى: ساقطة من ظ.
 (٥) من م، وفى الأصل: فيها (٦) من ظ و م، وفى الأصل: المصبوغ.
 (٧-٧) من ظ و م، وفى الأصل: الى .

فقرأها لذلك متطيرة في الجو كالهباء المنثور حتى تعود الأرض كلها
لأعوج فيها ولا أمنا .

ولما كان اليوم إنما يوصف لأجل ما يقع فيه ، سبب عن ذلك
قوله مفصلا لهم : ﴿ فاما من ثقلت ﴾ أى بالرجحان . ولما كانت الموزونات
كثيرة الأنواع جدا ، جمع الميزان باعتبارها فقال : ﴿ موازينه ﴾ أى مقادير هـ
أنواع حسناته باتباع [الحق - '] لأنه ثقیل في الدنيا واجتناب الباطل ،
والموزون الأعمال أنفسها تجسدا وصحائفها ﴿ فهو ﴾ بسبب رجحان
حسناته ﴿ في عيشة ﴾ أى حياة تنقلب فيها ، ولعله ألحقها الهاء الدالة على
الوحدة - والمراد العيش - ليفهم أنها على حالة [واحدة - '] في الصفاء
واللذة وليست ذات ألوان كحياة الدنيا ﴿ راضية ﴾ أى ذات رضى ١٠
أو مرضية [لأن أمه - '] جنة عالية ﴿ واما من خفت ﴾ أى
طاشت ﴿ موازينه ﴾ أى بأن غلبت سيئاته أو لم تكن له حسنة
لاتباعه الباطل وخفته عليه في الدنيا ﴿ فامه ﴾ أى التى تؤويه وتضمه
إليها كما يقال للأرض : أم - لأنها تقصد لذلك ، ويسكن إليها كما يسكن
إلى الأم ، وكذا المسكن ، وهو يفهم أنه مخلوق منها غلب عليه طبع ١٥
الشیطان لكون العنصر النارى أكثر أجزائه ، وعظمها بالتنكير والتعبير
بالوصف المعلن بأنه لا قرار لها فقال : ﴿ هابوية ﴾ أى نار نازلة سافلة
جدا ، فهو بحيث لا يزال يهوى / فيها نازلا وهو فى عيشة ساخطة ،
فآلية من الاحتباك ، ذكر العيشة أولا دليلا على حذفها ثانيا ، وذكر

٨٣٨ /

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : مخلوط .

الأم^١ ثانيا دليلا على حذفها أولا .

ولما كانت مما يفوت الوصف بعظيم أهوالها وشديد زلزالها، جمع الأمر فيها فقال منكر^٢ ان يكون مخلوق يعرف وصفها^٣ : «وما أدراك» أي و أي شيء أعلمك وإن اشتد^٤ تكلفك «ماهي^٥» أي الهاوية . لأنه لم يعد أحد مثلها لقيسها عليه ، وهاء السكت إشارة إلى أن ذكرها مما يكرب القلب حتى لا يقدر على الاسترسال في الكلام ، أو [إلى -]^٦ أنها مما ينبغي للسامع أن يقرع بهذا الاستفهام عنها سمعه فيسكت لسماع الجواب وفهمه غاية السكوت ويصغى غاية الإصغاء .

ولما هوّلها بما ذكر ، أتبعها ما^٧ يمكن البشر معرفته من وصفها . فقال (نار حامية^٨) أي قد انتهى حرها ، هذا ما تتعارفونه بينكم ، وأما التفاصيل فأمر لا يعلمه إلا الله تعالى ، وهذا نهاية القارعة ، فتلاؤم^٩ الأول للآخر واضح جدا و ظاهر - والله أعلم .

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : الامام (٣) زيد في الأصل و ظ : فقال ، ولم تكن الزيادة في م لحذفها (٣) زيد في الأصل : منك ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٤) زيد من ظ (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : بما (٦) من م ، وفي الأصل و ظ : فتلاؤم .

سورة التكاثر^١

مقصودها التصريح بما أشارت إليه العاديات من أن سبب الهلاك يوم
الجمع - الذى صورته القارعة - الجمع للال ، والإحلال إلى دار الزوال ،
واسمها واضح الدلالة على ذلك ﴿ بسم الله ﴾ ذى الجلال والإكرام
﴿ الرحمن ﴾ الذى عم بالإنعام ، [بالبيان - ٢] بعد الانبهاهم ، والإيجاد ه
بعد الإعداد ﴿ الرحيم ﴾ الذى خص أهل وده بدوام نعمتهم بالإتمام .
لما أثبت في القارعة أمر الساعة ، وقسم الناس فيها إلى شقي وسعيد ،
وختم بالشقي ، افتتح هذه بحلة الشقاوة ومبدأ الحشر لينزجر السامع عن
هذا السبب ليكون من القسم الأول ، فقال ما حاصله : انقسمتم فكان
قسم منكم هالكا لانه ﴿ الهنكم ﴾ أى أغفلكم إلا النادر منكم غفلة عظيمة ١٠
عن الموت الذى هو وحده كاف في البعث على الزهد فكيف بما بعده
﴿ التكاثر لا ﴾ وهو المباهاة والمفاخرة بكثرة الأعراض الفانية من متاع
الدنيا : المال والجاه والبنين ونحوها مما هو شاغل عن الله ، فكان ذلك
موجبا لصرف الهمة كلها إلى الجمع ، فصرفكم ذلك إلى الله ، فأغفلكم

(١) الثانية والمائة من سور القرآن الكريم ، مكية ، وعدد آياتها ٨ (٢) زيد في
الأصل : هو ، ولم تكن الزيادة في ظ وم فحذفناها (٣) زيد من ظ وم .
(٤) زيد في الأصل : تمام ، مع يسر بياض بعده ، ولم تكن الزيادة في ظ وم
فحذفناها (هـ) من م ، وفي الأصل و ظ : بمن .

عما أمامكم 'من الآخرة' و الدين الحق و عن ذكر ربكم و عن كل ما ينجيكم من سخطه ، أو عن المنافسة في الأعمال الموصلة إلى أعلى الدرجات بكثرة الطاعات ، و ذلك كله لأنكم لا تسلمون بما^٢ غلب عليكم من الجهل الذى سببه شهوة النفس وحب الراحة فخفت^٣ موازينكم ، و حذف هذا الشئ الملهو عنه لتعظيمه و الدلالة على أنه ايسر غيره بما يؤسف على اللهو عنه .

/ ٨٣٩

ولما كانوا ينكرون البعث ، و يعتقدون / [دوام -^٤] الإقامة في القبور ، عبر بالزيارة إشارة إلى أن البعث لا بد منه و لا مرية فيه ، و أن اللبث في البرخ و إن طال قائما هو كلبث الزائر عند منزوره في جنب الإقامة ١٠ بعد البعث في دار النعيم أو غار الجحيم ، و أن الإقامة [فيه -^٥] محبوبة للعلم بما بعده من الآمال و الشدائد و الأوجال ، فقال : (حتى) أى استمرت مباهاةكم و مفاخرةكم إلى أن (زرت المقابر) أى بالموت و الدفن ، فكنتم فيها عرضة للبعث لا تتمكنون من عمل ما ينجيكم لأن دار العمل فانت كما أن الزائر ليس بصدده العمل عند المزور ، لا يمكنون ١٥ بها^٦ إلا ريثما يتكلم المجموعون بالموت كما أن الزائر معرض للرجوع^٧

(١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) من ظ و م ، و في الأصل : ما .

(٣) من م ، و في الأصل و ظ : فخفت (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ،

و في الأصل : بعدد (٦) من م ، و في الأصل و ظ : فيها (٧) من ظ و م ، و في

الأصل : الرجوع .

إلى داره و محل قراره ، فلم يكن لكم وازع^١ عن الإقبال^٢ على الدنيا إلا الموت لكان كافيا فكيف و الامر أعظم من ذلك ؟ فان الموت مقدمة من مقدمات العرض ، قال أبو حيان^٣ : سمع بعض الأعراب الآية فقال : بعث القوم للقيامة ورب الكعبة ، فان الزائر منصرف لا مقيم ، و روى ابن أبي الدنيا عن عمر بن عبد العزيز أنه قرأها ثم قال : ما ه [أرى - ^٤] المقابر إلا زيارة ، ولا بد لمن زار أن يرجع إلى بيته ، إما إلى الجنة أو إلى النار .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما تقدم ذكر القارعة و عظيم^٥ أهوالها ، أعقب بذكر ما شغل و صد^٦ عن الاستعداد لها و ألهى عن ذكرها ، وهو التكاثر بالعدد و القرابات و الأهلين فقال : ” ألهاكم التكاثر “ وهو ١٠ في معرض التهديد و التقريع و قد أعقب بما يعضد ذلك و هو قوله ” كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون “ ثم قال ” كلا لو تعلمون علم اليقين “ و حذف جواب ” لو “ و التقدير : لو تعلمون علم اليقين^٧ لما شغلكم^٨ التكاثر ، قال صلى الله عليه و سلم : لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا و لبكيتم كثيرا - الحديث ، وقوله تعالى ” لترون الجحيم “ جواب ١٥ لقسم مقدر أى و الله لترون الجحيم ، و تأكد بها التهديد و كذا ما بعد

(١) من م ، و في الأصل و ظ : رادع (٢) زيد في الأصل : عن الدنيا ، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٣) راجع البحر المحيط ٥٠٧/٨ (٤) زيد من ظ (٥) من ظ و م ، و في الأصل : عظم (٦) من ظ و م ، و في الأصل : صدر (٧-٧) من م ، و في الأصل و ظ : لشغلكم .

إلى آخر السورة - انتهى .

ولما كان الاشتغال بالتكاثر في غاية الدلالة على السفه لأن^١ من
المعلوم قطعاً أن هذا الكون على هذا النظام لا يكون إلا بصانع حكيم ،
وكان العقلاء المتفكرون بالكون في غاية النظام ، وكان الحكيم لا يرضى
٥ أصلاً أن يكون عبده^٢ يظلم بعضهم بعضاً ثم لا يحكم بينهم ولا ينظر
في مصالحهم علم قطعاً أنه يبعثهم ليحكم بينهم لأنه كما قدر على إبدائهم
يقدر على إعادتهم ، وقد وعد بذلك وأرسل به رسله وأزل به كتبه ،
فثبت ذلك ثبوتاً لا مرية فيه ولا مزيد عليه ، وكان الحال مقتضياً لأن
يردع غاية الردع من أعرض عما يعنيه وأقبل على ما لا يعنيه ، فقال
١٠ سبحانه معبراً بأم الروادع ، وجامعة الزواجر والصوادع : ﴿ كلا ﴾ أى
ارتدعوا أتم ردع وانزعجوا / أعظم زجر عن الاشتغال بما لا يجدى ،
/ ٨٤٠
فانه ليس الأمر كما تظنون من أن الفخر في المكاثرة بالأعراض^٣ الدنيوية
ولم تخلقوا لذلك ، إنما خلقتم لأمر عظيم ، فهو الذى يهكم [فاشتغلت عنه بما
لا يهكم -^٤] فكنتم لاهين كمن كان يكفيه كل يوم درهم^٥ فاشتغل بتحصيل
١٥ أكثر ، وكذا من ترك المهم من التفسير و اشتغل بالأقوال الشاذة أو ترك
المهم من الفقه و اشتغل^٦ بنوادير الفروع وعلل النحو وغيرها^٧ وترك

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : لا (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : عبده .
(٣) من م ، وفى الأصل وظ : فى الأعراض (٤) زيد من ظ و م (هـ) من ظ
و م ، وفى الأصل : درهما (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : استعمل (٧) فى
م : نحوها .

ما هو أهم منه مما لا عيش له إلا به .

و لما كان الردع لا يكون إلا عن ضار يجر وبالا وحسرة ، دل على ذلك بقوله استئنافا : ﴿ سوف ﴾ أى بعد مهلة طويلة يتذكر فيها من تذكر ﴿ تعلمون لا ﴾ أى يتجدد لكم العلم بوعده لا خلف فيه بما أنتم عليه من الخطأ عند معاينة ما يكشفه الموت و يجر حزنه القوت من عاقبة هـ ذلك و وباله .

و لما كان من الأمور ما لو شرح شأنه على ما هو عليه اطلال و أدى إلى الملل ، دل على أن ^٢ شرح هذا ^٢ الوعيد مهول بقوله مؤكدا مع التعبير بأداة التراخي الدالة على علو الرتبة : ﴿ ثم كلا ﴾ أى ارتدعوا ارتدعا أكبر من ذلك لأنه ﴿ سوف تعلمون ^٣ ﴾ أى يأتىكم العلم من ١٠ غير شك و إن تأخر زمنه يسيرا بالبعث .

و لما كان هذا أمرا صادعا ^٢ ، أشار إلى أنه يكفى هذه الأمة المرحومة التأكيد بمرة ، فقال مرددا للأمر بين تأكيد الردع ثالثا بالأداة الصالحة له و لأن تكون [لمعنى - ^٤] حقا كما يقوله أئمة القراءة : ﴿ كلا ﴾ [أى - ^٤] ليشتد ارتداعكم عن التكاثر فإنه أساس كل بلاء فانكم ١٥ ﴿ لو تعلمون ﴾ أيها المتكاثرون . و لما كان العلم قد يطلق على الظن رفع مجازه بقوله : ﴿ علم اليقين ^٥ ﴾ أى لواقع لكم علم [على - ^٥] وجه اليقين

(١) فى م : بوعيد (٢-٢) من ظ و م ، وفى الأصل : هذا شرح (م) من ظ و م ، وفى الأصل : صادقا (٤) زيد من م (ه) زيد من ظ و م .

مرة من الدهر لعلتم ما بين أيديكم، فلم يلهكم التكاثر و لضحكتم قليلا و لبكيتم كثيرا، و لخرجتم إلى الصعدات تجأرون^١ - لحذف هذا الجواب بعد حذف المفعول للتفخيم فهو إشارة إلى أنه لا يقين غيره، و المعنى أن أعمالكم أعمال من لا يتيقنه، قال الرازي : و اليقين مركب **٥** الأخذ في هذا الطريق، و هو غاية درجات العامة، و أول خطوة الخاصة، قال عليه الصلاة و السلام^٢: خير ما ألقى في القلب اليقين . و علم قبول ما ظهر من الحق و قبول ما غاب للحق^٣ و الوقوف على ما قام بالحق، و الآية من الاختباك: ذكر الإلهاء أولا و حذف سببه و هو الجهل لدلالة الثاني [عليه^٤]، و ذكر ثانيا العلم الذي هو الثمرة^٥ و حذف ما يتسبب **١٠** عنه من عدم اللهو الذي هو ضد الأول، و زاد في التفخيم لهذا الوعيد بإيضاح التوعد به بعد إبهامه^٦ مع قسم^٧ دل عليه بلامه، فقال: ﴿لبرون﴾ أى بالمكاشفة و عزتنا، و لا يصح أن يكون هذا جوابا لما قبله لأنه محقق ﴿الجحيم﴾ أى النار التى تلقى المعذبين بها بكرأهه و تغيظ و عتو^٨ و -^٩ شديد^{١٠} توقد، فالؤمن يراها و ينجو منها سواء خالطها **١٥ / ٨٤١** أم لا و الكافر / يخلد فيها .

و لما كان هذا توعدا^{١١} على التكاثر لأنه يقتضى الإعراض عن الآخرة

(٦) من م، و فى الأصل و ظ: تجاورون (٢) راجع الكثر ٢/ ٩٠ (٣) من ظ و م، و فى الأصل: للخلق (٤) زيد من م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: العمرة (٦-٧) من ظ و م، و فى الأصل: بقسم (٧) زيد من ظ و م (٨) زيد فى الأصل: وشدة، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٩) من ظ و م، و فى الأصل: توعد .

فيوقع في غمرات البلايا السكبار، أكد فقال مفضله بحرف التراخي :
 (ثم لترونها) وعزة الله، ورقى العلم عن رتبة الأول فقط فقال تعالى :
 (عين اليقين) أى الرؤية التى هى نفس اليقين، وذلك هو المعاينة بغاية
 ما يكون من صفاء العلم 'الكونه لاربية' فيه فان المشاهدة أعلى انواع العلم،
 قال الرازى : [و-٢] هو ٢ المعنى بالاستدراك ٣ عن الاستدلال، وعن الخبر ه
 بالعيان، وخرق الشهود ٤ حجاب - العلم - انتهى . ويجوز أن يكون
 هذا الثانى بالملامسة والدخول، فالمؤمن وارد والكافر خالد .

ولما كان من أهول ٥ الخطاب التهديد برؤية العذاب، زاد في
 التخويف بأنه لأجل أن يكون ما يعذب به العاصى عتيذا، فاذا أوجب
 السؤال النكال كان حاضرا لا مانع من إيقاعه فى الحال، ولو [لم-٢] ١٠
 يكن حاضرا كان لمن ٦ استحقه فى مدة إحضاره محال، فقال مفضلا بأداة
 التراخي : (ثم) أى بعد أمور طويلة عظيمة مهولة جدا ٧ (لتستلن)
 وعزتنا (يومئذ) أى [إذ-٨] ترون الجحيم (عن النعيم ٩) أى
 الذى ٩ أدام التكاثر إليه ١٠ حتى عن الماء البارد فى الصيف و الحار فى

(١-١) من م، وفى الأصل و ظ : لا كونه لارتبة (٢) زيد من م .
 (٣-٣) من ظ و م، وفى الأصل : المغير المستدرك (٤) زيدت الواو فى الأصل
 ولم تكن فى ظ و م فحذفناها (ه) من ظ و م، وفى الأصل : اهل (٦) زيد
 فى ظ : فاز (٧) سقط من ظ و م (٨) زيد من ظ و م (٩-٩) فى الأصل
 بياض ملأناه من ظ و م .

الشتاء هل كان استمتاعكم به على وجه السرف^١ لإرادة الترف أو كان لإرادة القوة للنشأة إلى الخير فلم يخرج عن السرف، فالؤمن المطيع يسأل سؤال تشریف، والعاصي يسأل سؤال توبيخ وتأفیف، ولأن النعيم قد تكون لمطلق الجنس وإليه يشير حديث أبي هريرة رضى الله عنه عند الترمذی^٢ وغيره أن النبی صلی الله علیه وسلم ضاف أبا الهيثم ابن التيهان مع أبي بكر وعمر رضى الله عنهما فأطعمهم بسرا و رطباً و سقاهم ماء بارداً و بسط^٣ لهم بساطاً في ظل، فقال النبي صلی الله علیه وسلم: إن هذا من النعيم الذي تسألون عنه: ظل بارد و رطب طيب و ماء بارد. [و-^١] قد يكون للكمال فيكون من أعلام النبوة كما في ١٠ حديث محمود بن لبيد رضى الله عنه عند أحمد^٤ من وجه حسن إن شاء الله أنهم قالوا عند نزولها: أى نعيم وإنا هما الأسودان: التمر والماء، و سيوفنا على رقابنا و العدو حاضر، قال: إن ذلك سيكون. له شاهد عند الطبرانی عن ابن الزبير رضى الله عنهما، و عند الطبرانی^٥ أيضاً عن الحسن البصرى مرسلاً، فقد التحم آخرها بأولها على وجه [هو-^١] ١٥ من أطف الخطاب، و أدق المسالك في النهى عما يحجر إلى العذاب، لأن العاقل^٦ إذا علم أن بين يديه سؤالاً عن كل ما يتلذذ به علم أنه يعوقه

(١) من م، و في الأصل و ظ: الشرف (٢) راجع الجامع/الزهد (٣) في ظ: بسر (٤) زيد من ظ و م (٥) راجع المسند ٤٢٩/ (٦) من ظ و م، و في الأصل: عن (٧) راجع مجمع الزوائد ٧/ ١٤٢ (٨) من ظ و م، و في الأصل: العامل.

ذلك في زمن السؤال عن لذاذات الجنة العوال الغوال ، فكان
 خوفه / من مطلق السؤال مانعا له عن^١ التعم بالمباح^٢ فكيف بالمكروه
 فكيف ثم كيف بالمحرم ؟ فكيف إذا كان السؤال من ملك تذوب
 لهيته الجبال ؟ فكيف إذا كان السؤال على وجه العتاب ؟ فكيف إذا
 جر إلى العذاب ؟ فتأمل كلام خالقك ما ألطف إشاراته و أجل عباراته ، ه
 في نذارته و وبشارته - ^٣ والله أرحم^٤ .

(١) من م ، وفي الأصل وظ : من (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : بالمال .

(٣-٢) في ظ : والله أعلم ، وما بين الرقین ساقط من م .

سورة العصر^١

قال الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه : إنها سورة لو لم ينزل إلى الناس إلا هي لكفتهم ، وهو معنى^٢ قول غيره^٣ : إنها اشتملت جميع علوم^٤ القرآن ، مقصودها تفضيل نوع الإنسان المخلوق من علق ، و بيان خلاصته و عصارته و هم الحزب الناجي يوم السؤال عن زكاه الأعمال بعد الإشارة إلى أضعافهم ، و الإعلام بما ينبغي من الأعمال و الأحوال بترك الفاني و الإقبال على الباقي لأنه خلاصة السكون و لباب الوجود . و اسمها العصر واضح في ذلك فان^٥ العصر يخلص روح المعصور و يميز صفاوته ، و لذلك كان وقت هذا النبي^٦ الخاتم الذي هو خلاصة الخلق وقت العصر ، و كانت صلاة العصر أفضل الصلوات ، و بيان اشتغالها على علوم القرآن^٧ تنزيل جملتها على [ما - ^٨] قال الغزالي : إن القرآن كالبحر الذي فيه جزائر

(١) الثالثة و المائة من سور القرآن الكريم ، مكية ، و عدد آياتها ٣ .

(٢-٢) من ظ و م ، وفي الأصل : قوله (٣-٣) من ظ و م ، وفي الأصل :

اشتملت على جميع (٤) زيد في الأصل و ظ : كل من هذا صنعته ، ولم تكن

الزيادة في م لحذفناها (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : كان (٦) زيد في الأصل :

الفتح ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها (٧) العبارة من هنا إلى

و بها معادن ، ص ٢٣٥ م ١ ساقطة من ظ (٨) زيد من م .

بها معادن ستة، منها أربعة مهمة: مهتان منها هما ياقوت أخضر فأحمره للعلم بالله، وأخضره لصفاته، وأزرقه لأفعاله، وزمرد أخضر^١ هو العلم باليوم الآخر وما فيه، ومهتان أولهما در أنضر وهو العلم بالعبادات المقربة إليه سبحانه وتعالى، وثانيهما مسك أذفر، وهو العلم بالعبادات التي بها تهيأ العبادات، ومهتان^٢ وهما درياق أكبر وهو العلم بازاحة الشكوك^٣ والشبه والارهام لأنها^٤ سموم ومهلكة للدين، وعبر أشهب وهو الاعتبار بمن هلك باجتنب ما كان سبب هلاكه، والافتقار بمن نجح باتباع ما كان سبب نجاته، فالجملة الأولى للغير لأن فيها شم روائح الهالك وضده الناجي، وبدئ بها لأن دره المقاسد مقدم على جلب المصالح، والجملة الثانية للياقوت بصفاته الثلاث والزمرد، والثالثة للدر والمسك،^٥ وهما عبادات مقصودة، وعادات وسيلة إليها ممدودة، والرابعة للدرياق لأن الشبه والشكوك إنما هي من أوهام عاطلة وخيالات باطلة، والخامسة وسيلة إليها ومتعة لها لأن معرفة ذلك واجتنابه لا يكون إلا بيزل الجهد في الصبر (بسم الله) الذي كل شيء هالك إلا وجهه (الرحمن) الذي عم بالنعمة البر والفاجر فليس شيء شبهه (الرحيم) الذي^٦ الذي [خص^٧] بآتمام النعمة أوليائه، فكانوا للدهر غرة ولأمله جهة.

(١-٢) من ظ و م، وفي الأصل: زمرد أخضر (٢) من ظ و م، وفي الأصل: مما (٣) من ظ و م، وفي الأصل: ثانيها (٤) من ظ و م، وفي الأصل: بالعبادات (٥) من ظ و م، وفي الأصل: مهتان (٦) من ظ و م، وفي الأصل: لأنهم (٧) من ظ و م، وفي الأصل: متمعة (٨) زيد من ظ و م.

لما كانت لذة هذه الدنيا الظاهرة التمتع بما فيها من المتاع، وكان
 الإنسان مسؤولاً بما شهد به، ختم التكاثر عن ذلك النعيم متوعداً برؤية
 الجحيم، فكان ساكن هذه الدار على غاية الخطر، / فكان نعيمه في غاية
 الكدر، قال دالا على ذلك بأن أكثر الناس هالك، مؤكداً بالقسم
 ٥ و الأداة لما^١ للاغلب من التكذيب لذلك إما بالقال أو بالحال :
 ﴿والعصر﴾ أي الزمان الذي خلق فيه أصله^٢ آدم عليه الصلاة والسلام
 و هو في عصر يوم الجمعة كما ورد في الحديث الصحيح في مسلم^٣،
 أو الصلاة الوسطى أو وقتها الذي هو زمان صاحب هذا الشرع الذي
 مقداره فيما مضى من الزمان بمقدار وقت العصر من النهار أو بعضه،
 ١٠ أو زمان كل أحد الذي هو الخلاصة بالنسبة إليه تنبيهاً له على نفاسته
 إشارة إلى اغتنام إنفاقه في الخير لإشفاقاً من الحشر^٤، أو وقت الاصيل
 لأنه أفضل بما يحويه من الفراغ من الاشغال^٥ و استقبال الراحة
 والحصول على فائدة^٦ ما أنفق فيه ذلك النهار، [و-^٧] بما دل عليه من
 طول الساعة ورجح من كان له فيها بضاعة باختتام الأعمال و تقوض النهار،
 ١٥ و الدال على البعث، أو جميع الدهر الذي أوجد فيه سبحانه و تعالى المخلوقات
 و قدر فيه المقدورات بما ظهر [فيه -^٨] من المعائب الدالة على ما لله

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : بما (٢) زيد في الأصل : و هو ، ولم تكن
 الزيادة في ظ و م لمخالفاتها (٣) راجع ٢٨٢/١ (٤) من ظ و م ، وفي الأصل :
 الشرح (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : الشرا - كذا (٦) من ظ و م ، وفي
 الأصل : الاشتغال (٧) من م ، وفي الأصل و ظ : الفائدة (٨) زيد من م .

تعالى من العز والمظمة الداعى إلى صرف الهمة إليه وقصرها عليه :
 ﴿ ان الانسان ﴾ أى هذا النوع الذى هو أشرف الأنواع لكونه فى
 أحسن تقويم كما أن العصر خلاصة الزمان ، والعصر يكون لاستخراج
 خلاصات الأشياء ﴿ لنى خسر ﴾ أى قص بحسب مساعيهم فى أهوائهم
 وصرف أعصارهم فى أغراضهم لما لهم بالطبع من الميل إلى الحاضر ه
 والإعراض عن الغائب والاعتثار بالقانى أعم من أن يكون الخسر
 قليلا أو جليلا بحسب تنوع الناس إلى أكياس وأرجاس ، فن كان
 كافرا كان فى كفران ، ومن كان مؤمنا عاصيا كان فى خسران^١ إن كان
 بالغا فى المعصية وإلا كان فى مطلق الخسر ، وهو مدلول المصدر المجرد ،
 وفى هذا إشارة إلى العلم بالاحتياج إلى إرسال الرسل لبيان المرضى ١٠
 [لله -^٢] من الاعتقادات والعبادات والعادات إيمانا وإسلاما وإدامة
 لذلك ليكون فاعله من قبضة اليمين وتاركة آمن أصحاب^٣ الشمال .
 وقال الأستاذ أبو جعفر ابن الزبير : لما قال تعالى ” الهاكم التكاثر “
 وتضمن ذلك الإشارة إلى قصور نظر الإنسان وحصر إدراكه فى العاجل
 دون الآجل الذى فيه فوزه وفلاحه^٤ وذلك لبعده عن العلم بموجب الطبع ١٥
 ” إنه كان ظلوما جهولا “ أخبر سبحانه أن ذلك شأن^٥ الإنسان بما

(١) فى ظ و م : خسارة (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) من ظ و م ، وفى الأصل :
 فى قبضة (٤) زيد فى الأصل : انتهى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لخذفها .
 (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : صلاحه (٦-٦) من ظ و م ، وفى الأصل :
 شأن ذلك .

هو إنسان فقال " والعصر ان الإنسان لني خسر " فالقصور شأنه، والظلم طبعه، والجهل جلته، فيحق أن يلهيه التكاثر، ولا يدخل الله عليه /روح الإيمان " إلا الذين آمنوا و عملوا الصالحات " إلى آخرها، فهؤلاء الذين " لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله " - انتهى .

٥. ولما كان الحكم على الجنس حكما على الكل لأنهم ليس لهم من ذواتهم إلا ذلك، وكان فيهم من خلصه الله سبحانه وتعالى بما طبع عليه الإنسان بجعله في أحسن تقويم، وحفظه عن الميل مع ما فيه من النقائص، اشتد سبانه وتعالى لأنهم قليل جدا بالنسبة إلى أهل الخسر فقال دالا بالاشتناء على أن النفوس داعية إلى الشر^٢ مخلدة إلى البطالة واللهو، ١٠ فالملخص واحد من ألف كما في الحديث الصحيح^٣ ﴿ إلا الذين آمنوا ﴾ أى أوجدوا الإيمان وهو التصديق بما علم بالضرورة بحجى النبى صلى الله عليه وسلم به من توحيد سبانه وتعالى والتصديق بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ولعل حكمة التعبير بالماضى الحث على الدخول فى الدين ولو على أدنى الدرجات، والبشارة لمن فعل ذلك بشرطه بالنجاة^٤ ١٥ من الخسر .

(١) من ظ و م . وفى الأصل : الممران (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : اشره (٣) زيد فى الأصل : قال تعالى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها . (٤) من م ، وفى الأصل و ظ : التصديق باليوم (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : بالتجارة .

و لما كان الإنسان حيوانا ناطقا، و كان كمال حيوانيته فى القوة العملية للحركة بالإرادة لا بمقتضى الشهوة القاسرة البهيمية قال تعالى :
 ﴿ و عملوا ﴾ أى تصديقا بما أقروا به من الإيمان^١ ﴿ الصلحت ﴾ أى هذا الجنس ، و هو اتباع الأوامر و اجتناب النواهي فى العبادات كالصلاة و العادات كالبيع فكانوا بهذا مسلمين بعد أن كانوا مؤمنين فاشترؤا ه
 الآخرة بالدنيا فلم يلهمهم التكاثر ، ففازوا بالحياة الأبدية و السعادة السرمدية
 فلم يلهمهم شئ من الخسر .

[و لما كان الإنسان بعد كماله فى نفسه بالأعمال لا ينتفى عنه مطلق الخسر -^٢] إلا بتكميل غيره ، و حيثئذ يكون وارثا لأن الأنبياء عليهم الصلاة و السلام بعثوا للتكميل ، و كان الدين لا يقوم ، و إذا قام لا يتم ١٠
 إلا بالأمر بالمعروف و النهى عن المنكر الناشئ عن نور القلب ، و لا يتأتى ذلك إلا بالاجتماع . قال مخصا لما دخل فى الأعمال الصالحة تنبيها على عظمه : ﴿ و تواصلوا ﴾ أى أوصى^٣ بعضهم بعضا بلسان الحال أو المقال : ﴿ بالحق لا ﴾ أى الأمر الثابت ، و هو كل ما حكم الشرع بصحته فلا يصح بوجه تفيه من قول أو عمل أو اعتقاد أو غيره من ١٥
 فعل أو ترك ، فكانوا محسنين ، و التكميل^٤ فى القوة العملية باجتلاب^٥ الخيور .

(١) زيد فى الأصل : باق و حده الأعمال ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .

(٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : يوصى (٤ - ٤) من ظ

و م ، و فى الأصل : بالقوة (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : باجتلاب .

و لما كان [الإنسان - '] ميالا إلى النقصان ، فكان فاعل ذلك
الإحسان معرضا للشئان من أهل العدوان ، وهم الأغلب في كل زمان ،
قال تعالى : ﴿ وتواصوا ﴾ ^١ لأن الإنسان ينشط بالوعظ وينفعه اللحظ
واللفظ ﴿ بالصبر ﴾ أي الناشئ عن زكاة النفس على العمل بطاعة الله
من إحقاق / الحق و ^٢ إبطال الباطل ^٢ والنفي له و الحق و على ما يحصل
بسبب ذلك من الأذى باجتئاب الشرور إلى المهمات الذي هو سبب موصل
إلى دار السلام ^٣ ، فكانوا مكملين للقوة العملية حافظين لما قبلها من العلية ،
وذلك هو حكمة العبادات فان حكمة الشيء هي الغاية والفائدة المقصودة
منه ، و هي هنا أمران : خارج عن العامل و هو الجنة ، و داخل قائم
١٠ به و هو النور المقرب من ^٤ الحق سبحانه و تعالى ، و اختيار التعبير
بالوصية إشارة إلى الرفق في الأمر ^٥ بالمعروف و النهي عن المنكر ،
واستعمال اللين بغاية الجهد ، والصبر هو خلاصة الإنسان و سره و صفاته
و زبدته و عصارته ، الذي لا يوصل إليه إلا بضغط الإنسان لنفسه و قسرها
على أفعال الطاعة و قهرها على لزوم السنة و الجماعة حتى يصير الصبر لها
١٥ بالتدريب عادة و صناعة ، فقد عائق آخرها أولها ، و واصل ^٦ مفصلها موصولها ^٦ ،

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد في الأصل : اء ، و لم تكن الزيادة في ظ و م
لحذفها (٣-٣) من ظ و م ، وفي الأصل : البطل (٤) من ظ و م ، وفي
الأصل : الاسلام (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : الى (٦-٦) من ظ و م ،
و في الأصل : بالامر (٧-٧) من ظ و م ، وفي الأصل : موصولها مفصلها .

و هي أربع عشرة كلمة تشير إلى أن في السنة الرابعة عشرة من النبوة يكون الإذن في الجهاد الذي هو رأس الأمر بالمعروف بالفعل لإظهار الحق وهي سنة الهجرة التي تم فيها بدره، وعم نوره و قدره، و جم عزه و نصره، فإذا ضمت إليها أربع كلمات البسمة كانت موازية في العدد لسنة خمس من الهجرة، و كان فيها غزوة بدر الموعد و غزوة ه الأحزاب، و قد وقع فيها أتم الصبر من النبي صلى الله عليه و سلم ثم من واقفه من الصحابة رضى الله تعالى عنهم لإظهار^٢ الحق و الصواب، فانهم في بدر خذلوا من ركب عبد القيس أو من نعيم بن مسعود و موافقة المنافقين و خوفوا حتى كاد يعمهم الرعب و الفشل، فقال النبي صلى الله عليه و سلم: و الله لأخرجن و لو لم يخرج معي أحد، و أنزل الله فيها^٣ الذين ١٠ قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم^٤ فزادهم إيماناً و قالوا^٥ الآيات، و في الأحزاب زاغت الأبصار و بلغت القلوب الحناجر و أسفرت عاقبة الصبر فيها عما قال النبي صلى الله عليه و سلم عند ذهابهم: 'الآن نفروهم' و لا يفروننا. فإذا ضمت إليها الضمائر الأربعة أشارت إلى سنة تسع، و قد كانت فيها غزوة تبوك و هي غزوة العسرة لما [كان-ه] ١٥

(١) من ظ و م، و في الأصل « و » (٢) زيدت الواو في الأصل و ظ و لم تكن في م فحذفناها (٣-٢) سقط ما بين الرقین من ظ و م (٤-٤) من ظ و م، و في الأصل: الا ان نفروهم (٥) زيد من ظ و م.

فيها من الشدة التي أسفرت عاقبة الصبر فيها^١ عن إقبال الوفود، بفخامة
 العز والجدود وتواتر السعود، بلطف الرحيم الودود، وبذلك كان نور
 الوجود، وتواتر الفضل والجود^٢ من الإله المعبود = ^٣ و صلى الله على
 سيدنا محمد وآله وصحبه خيار الوجود^٣ .

(١) وقع في الأصل بعد «أسفرت» والترتيب من ظ و م (٢) من ظ و م ،
 وفي الأصل : الوجود (٣-٣) سقط ما بين الرقین من م .

سورة الهمزة^١

مقصودها بيان الحزب الأكبر الخاسر الذي ألماه التكاثر، فبانت خسارته^٢
 يوم القارعة الخافضة الرافعة، واسمها الهمزة / ظاهر الدلالة على ذلك
 ٨٤٦ / ﴿ بسم الله ﴾ الذي له تمام العز وهو الحكم العدل ﴿ الرحمن ﴾ الذي
 عم ظاهر نعمته أهل البخل وأولى البذل ﴿ الرحيم ﴾ الذي آتم نعمته
 على من شاء من عباده فخصهم بالفضل .

لما بين الناجين من قسمي الإنسان في العصر، وختم بالصبر، حصل
 تمام التشوف^٣ إلى أوصاف الهالكين، فقال مينا لأضلهم وأشقاهم الذي
 الصبر على أذاه في غاية الشدة ليكون ما أعد له من العذاب مسلاة
 للصابر^٤ : ﴿ ويل ﴾ أي هلاك عظيم جدا ﴿ لكل همزة ﴾ أي الذي ١٠
 صار له الهمز عادة لأنه خلق ثابت في جبلته وكذا ﴿ لمزة ﴾ والهمز
 الكسر كالهزم ، واللز الطعن - هذا أصلهما، ثم خصا بالكسر من أعراض
 الناس و الطعن فيهم ، وقال ابن هشام في تهذيب السيرة^٥ : الهمزة
 الذي^٦ يشتم الرجل علانية، ويكسر^٧ عينه عليه ويهمز به ، واللزة الذي

(١) الرابعة والمائة من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آياتها ٩ .
 (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : التكاثر (م) من ظ و م ، وفي الأصل :
 التصوف (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : المصابر (٥-٥) من ظ و م ، وفي
 الأصل : الذين صار لهم الممز (٦) راجع السيرة ١/ ١٢٤ (٧) من السيرة ، وفي
 الأصول : التي (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : كسر .

يعيب الناس سرا - انتهى . وقال البغوي^١: وأصل الهمز الكسر والعض
 على الشيء^٢ بالحنف، والذي دل على الاعتياد صيغة فعل بضم و فتح
 كما يقال ضحكك للذي يفعل الضحك كثيرا حتى صار عادة له و ضرى
 به، والفعل بالسكون للفعول وهو الذي يهمزه^٣ الناس ويلزونه، وقرئ
 بها وكأنه إشارة إلى من يعتمد أن يأتي بما يهمز به ويلز به فيصير
 مسخرة يضحك منه - والله أعلم .

وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما قال سبحانه وتعالى "ان
 الانسان لني خسر" أتبعه بمثال [من ذكر نقصه و قصوره و اغتراره،
 و ظنه الكمال لنفسه حتى يعيب غيره، و اعتماده على ما جمعه من المال
 ١٠. ظنا أنه يخلده و ينجي، و هذا كله هو عين النقص، الذي هو شأن
 الإنسان، وهو المذكور في السورة قبل، فقال تعالى ويل لكل همزة
 لمزة، فافتحت السورة - *] بذكر^٤ ما أعد له من العذاب جزاء له
 [على - '] همزه^٥ والزة الذي أتم^٦ حسده، والهمزة العياب الطعان
 والزة مثله، ثم ذكر تعالى ماله و مستقره بقوله "لينبذن في الحطمة"
 ١٥ أي ليطرحن في النار جزاء له^٧ على اغتراره و طعنه - انتهى .

ولما كان الذي يفعل النقيصة من غير حاجة تحوجه إليها أقبح حالا

(١) راجع العالم ٢٤٠/٧ (٢-٢) من ظ و م، وفي الأصل: عليه (م) من ظ
 و م، وفي الأصل: يميزه (ع) زيد في الأصل: ان، ولم تكن الزيادة في ظ
 و م لخصفها (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، وفي الأصل: ما ذكره
 (٧) زيد من م (٨-٨) سقط ما بين الرقيين من ظ و م (٩) سقط من م .

و كان المتمول^١ عندهم هو الرابع ، و هم يتفاخرون بالربح و يعدون
 الفائز به من ذوى المعالي ، قال مقيدا له كل ، بالوصف مبينا الخاسر كل
 الخسارة : ﴿ الذى جمع ﴾ و لما كان مطلق الجمع يدل على الكثرة جاء
 التشديد فى فعله لآبى جعفر و ابن عامر و حمزة و الكسائى ، و خلت
 تصريحها بما علم تلويحا و دلالة على أن المقصود به من جعل الدنيا أكبر هـ
 همه ، و التخفيف لمن عدا^٢ اكتفاء بأصل مدلوله بخلاف عدد ، فان
 مجردة يكون لما قل ، ولهذا أجمعوا على التضعيف فيه : ﴿ مالا ﴾ أى
 عظيما^٣ ، و أكد مراد الكثرة بقوله : ﴿ وعدده لا ﴾ أى جعله بحيث إذا
 أريد عدده طال الزمان فيه و كثر / التعداد ، أو ادخره و أمسكه إعدادا
 ٨٤٧ / لما ينبو^٤ فى هذه الدنيا المنقضية ، و زاده قيدا آخر فى بيان حاله فقال : ١٠
 ﴿ يحسب ﴾ لقلة عقله ﴿ ان ماله ﴾ أى ذلك الذى عدده ﴿ اخلده ﴾
 أى أوصله إلى رتبة الخلد فى الدنيا ، فأحب ذلك المال كما يحب الخلود ،
 و يجوز أن يكون ذلك كناية عن أنه عمل^٥ - بانهماكه فى المعاصى
 و الإعراض عن الله عز وجل و الإقبال على التوسع فى الشهوات
 و الأعراض الزائلات - عمل من يظن أنه لا يموت ، و يجوز أن يكون ١٥
 استثناء ، و فيه تعرض^٦ بأنه لا يفيد الخلد إلا الأعمال الصالحة المسعدة

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : المشهور (٢) من ظ و م ، وفى الأصل :
 عادام (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : عظيمة (٤) من ظ و م ، وفى
 الأصل : « و » (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : عمله (٦) من ظ و م ، وفى
 الأصل : تعرض .

في الدار الآخرة .

و لما كان هذا الحسبان لشدة وهمه و بيان ضعفه لا يحتاج إلى إقامة دليل على فسادہ ، اكتفى فيه بأداة الردع الجامعة لكل زجر فقال :
(كلا) أى لا يكون ما حسبه لأنه لا يكون له ما لا يكون لغيره من
• أمثاله بل يموت كما مات كل حي مخلوق .

و لما كان كأنه قيل : فما الذى يفعل به بعد الموت ؟ قال مقسما
[دالا - ٢] باللام الداخلة على الفعل على القسم : (لينبذن) أى ليطرحن
بعد موته طرحاً ما هو خفيف هين جدا على كل طارح كما دل عليه
التعير بالنبد و بالبناء للفعل (في الحطمة نبط) أى الطبقة من النار التى
١٠ من شأنها أن تحطم أى تكسر و تهشم بشدة و عنف كل ما طرح
فيها فيكون أخسر الخاسرين ، و عبر بها في مقابلة الاستعداد بالمال الحامل
على الاستهانة بالخلق ، قال الأستاذ أبو الحسن الحرالى : فلعنى ما يختص
بالحكم يسمى تعالى باسم من أسمائها من نحو جهنم فيما يكون مواجهة
و من نحو الحطمة فيما يكون جزاء لقوة قهر و استعداد بعدد ، و نحو
١٥ ذلك فى سائر أسمائها ، و عظم شأنها سبحانه و تعالى بقوله : (و ما أدراك)

أى و أى شيء أعلمك و لو بمحاولة منك للعلم و اجتهاد فى التعرف مع

(١) زيد فى الأصل : لأداة الزجر ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .

(٢) من ظ و م ، و فى الأصل : يموت (م) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ،

و فى الأصل : صرح (ه) من ظ و م ، و فى الأصل : يكون .

كونك أعلم^١ الخلق ﴿ ما الحطمة ٥ ﴾ أى ما الدركة النارية التى سميت
هذا الاسم^٢ لهذه الخاصية^٣ فانه ليس فى الوجود الذى شاهدهتموه ما
يقاربها ليكون مثالا لها ، ثم فسرنا بقوله : ﴿ نار الله ﴾ أى الملك
الاعظم الذى عدل المشركون عنه إلى شركائهم ، فمعظمة هذه النار من
عظمته ، و انتقامه من نقمته^٤ ﴿ الموقدة ٥ ﴾ أى التى وجد وتحم لإيقادها ه
بإيقاده ، و من الذى يطبق محاولة ما أوقده ؟ فهى لا يزال لها هذا
الاسم ثابتا .

ولما وصف الهامز الهازم^٥ ، وصف الحاطم فقال تعالى : ﴿ التى ﴾
ولما كان لا يطلع على أحوال الشيء إلا من قبله علما قال : ﴿ تطلع ﴾
اطلاعا شديدا ﴿ على الافئدة ٥ ﴾ جمع فؤاد وهو القلب الذى يسكاد^٦ ١٠
يحترق من شدة ذكائه ، فكان ينبغى أن يحمل ذكائه فى أسباب^٧ الخلاص ،
/ واطلاعا عليه بأن تعلو وسطه و تشتمل عليه اشتمالا بليغا ، سمي
بذلك لشدة توقده ، و خص بالذكر لانه أظف ما فى البدن و أشده
تألما بأذى شيء من الأذى ، و لانه منشأ العقائد الفاسدة و معدن حب
المال الذى هو منشأ الفساد و الضلال ، و عنه تصدر الأفعال القبيحة . ١٥

(١) من م ، وفى الأصل و ظ : اغرو (٢ - ٢) من ظ و م ، وفى الأصل :
الخاصية (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : نقمه (٤) من م ، وفى الأصل و ظ :
الهازم (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : فقال (٦) من ظ و م ، وفى الأصل :
سكاد (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : الاسباب (٨) من ظ و م ، وفى
الأصل : كانه .

ولما كان الاطلاع على القواد مظنة الموت، وفي الموت راحة من العذاب، أشار إلى خلودهم فيها وأنهم لا يموتون ولا ينقطع عنهم العذاب، فقال مؤكدا لأنهم يكذبون [بها - ']: ﴿انها﴾ وأشار إلى قهرهم وغلبتهم فقال: ﴿عليهم﴾ و آذن بسهولة التصرف في تعذيبهم ٥ وانقطاع الرجاء من خلاصهم بقوله معبرا باسم المفعول: ﴿مؤصدة لا﴾ أى مطبقة بغاية الضيق، من أوصدت الباب - إذا أطبقته .

ولما كانت^٢ عادتهم في المنع من التصرف أن يضعوا خذبة عظيمة تسمى المقطرة^٣ فيها حلق توثق فيها الرجل، فلا يقدر صاحبها بعد ذلك على حراك^٤، قال مصورا لعذابهم بحال من ضمير عليهم: ﴿في﴾ [أى - ']
١٠. حال كونهم موثقين في ﴿عمد﴾ بفتحيتين وبضميتين جمع عمود ﴿ممددة﴾ أى معترضة كأنها موضوعة على الأرض، فهي في غاية المكنة فلا يستطيع الموثق بها على نوع حيلة في^٥ أمرها فهو تأكيد ليأسهم من الخروج بالإيثاق بعد الإيصاد، وهذا^٦ أعظم الويل وأشد النكال، فقد رجع آخرها إلى^٧ أولها، وكان لفصلها [أشد - '] التحام بموصلها -
١٥. والله الموفق للصواب، وإليه المرجع والمآب^٨ .

(١) زيد من م (٢) من ظ و م، وفي الأصل: كان (٣) من ظ و م، وفي الأصل: السطرة (٤) من م، وفي الأصل وظ: السترك (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، وفي الأصل: من (٧) من ظ و م، وفي الأصل: هو. (٨) من ظ و م، وفي الأصل: على (٩) زيد من ظ (١٠ - ١٠) سقط ما بين الرقيين من ظ و م .

سورة الفيل

مقصودها الدلالة على آخر الهمة من إهلاك المبكرين في دار التعاضد
والتناصر بالأسباب، فعند^٢ انقطاعها أولى لاختصاصه سبحانه وتعالى بتنام
القدرة دون التمكن بالمال والرجال، واسمها الفيل ظاهر الدلالة على
ذاك بتأمل سورته، وما حصل في سيرة جيشه وصورته ﴿بسم الله﴾ هـ
الذى له الإحاطة بقدرته في كل شيء عاملة ﴿الرحمن﴾ الذى له النعمة
الشاملة ﴿الرحيم﴾ الذى يختص أهل الاصطفاء بالنعمة الكاملة.

لما قدم في الهمة أن كثرة الأموال المسبية بالقوة بالرجال^٢ ربما
أعقبت الوبال، دل عليه^٤ في هذه بدليل شهوى وصل في تحريقه وتغلغله^٥
في الأجسام وتجريفه إلى القلوب في العذاب الأدنى كما ذكر فيما قبلها ١٠
للعذاب الأكبر الأخفى، محذرا^٦ من الوجاهة^٧ في الدنيا وعلو الرتبة، مشيرا
إلى أنها كلما عظمت زاد ضررها بما^٨ يكسبه من الطغيان حتى يذاع
صاحبها الملك الأعلى، ومع كونه شهوديا فللعرب^٩ ولاسيما^٩ قريش به
الخبرة^٩ التامة، فقال مقررا منكرًا على من يخطر له خلاف ذلك:

-
- (١) الخامسة والمائة من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آياتها هـ (٢) من
ظ و م، وفى الأصل: فقد - كذا (٣) من ظ و م، وفى الأصل: للرجال.
(٤) من م، وفى الأصل و ظ: عليها (هـ) من ظ و م، وفى الأصل: تغلغله.
(٦-٦) من ظ و م، وفى الأصل: للوجاهة (٧) من ظ و م، وفى الأصل: بما.
(٨-٨) من ظ و م، وفى الأصل: فلاسيما (٩) من ظ و م، وفى الأصل: الحلوة.

(الم تر) أى تعلم علما [هو - ١] فى تحققة كالحاضر / المحسوس بالبصر،
و ذلك لأنه صلى الله عليه وسلم و إن لم يشهد تلك الوقعة فإنه شاهد
آثارها، و سمع بالتواتر مع إعلام الله له أخبارها، و خصه صلى الله
عليه وسلم بإعلاما بأن ذلك لا يعلمه و يعمل به إلا هو صلى الله عليه
و سلم و من وفقه الله لحسن اتباعه، لما^٢ الانسان من علائق النقصان،
و علائق الحظوظ و النسيان، و قرئ "تر" باسكان الراء، قالوا جدا فى
إظهار أثر الجازم، و كان السر فى هذه القراءة الإشارة إلى الحث فى
الإصرار بالرؤية إيماء إلى أن أمرهم على كثرتهم كان كالمحسوس بالبصر، من
لم يعتن به و يسارع إلى تعمله لا يدركه حق إدراكه .

١٠ و لما كان للناظر فى الكيفية من التدقيق والوقوف على التحقيق
فى وجوه الدلالات على كمال علم الله و قدرته و إعزاز نبيه بالإرهاص
لنبوته و التمكين^١ لرسائله لتعظيم بلده و تشریف قومه ما ليس للناظر إلى
مطلق الفعل قال: ﴿ كيف ﴾ دون أن يقول: ما ﴿ فعل ﴾ أى فعل
من له أتم داعية إلى ذلك الفعل، و فعل الرؤية معلق عن^٦ "كيف" لما
١٥ فيه من معنى الاستفهام فلا يتقدم عامله عليه، بل^٥ ناصبه فعل^٤، و جملة
الاستفهام فى موضع نصب بالفعل المعلق ﴿ ربك ﴾ أى المحسن إليك

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، وفى الأصل: ما (٣) من ظ و م،
وفى الأصل: وجوده (٤) من ظ و م، وفى الأصل: تمكين (٥) زيد فى ظ:
أى (٦) من ظ و م، وفى الأصل: على (٧) من ظ و م، وفى الأصل: فعله.

و من إحسانه [إحسانه - ١] إلى قومك بك و بهذه الواقعة الخارقة
 للعادة إرهابا لنبوتك [كما - ١] هو معلوم من أخبار الأنبياء المتقدمين
 فيما^٢ يقع بين أيدي نبوتهم من مثل ذلك ليسكون مؤيدا لادعائهم
 النبوة بعد ذلك ، و في تخصيصه صلى الله عليه وسلم بالخطاب و التعبير
 بالرب مع التشريف له و الإشارة^٣ بذكره . التعريض^٤ بحقارة الأصنام التي
 سموها أربابا لهم ، يعلم ذلك منهم علم اليقين من آمن ، و من استمر على
 كفره فسيعلم ذلك حق اليقين عند ما يسلط الله عليهم رسوله صلى الله
 عليه وسلم بالبلد الحرام ، و يعلها له على أعلى حال و مرام ﴿ باصحب القيل^٥ ﴾
 أى الذين قصدوا انتهاك حرمت الله سبحانه و تعالى فيخربوا^٦ بيته و يمزقوا
 جيرانه بما أو صلهم إلى^٧ البطر^٨ من الأموال و القوة التي من^٩ عليهم ١٠
 سبحانه و تعالى بها ، فحسبوا أنها تخلد لهم فإن أنها توردهم المهالك ضد ما
 حسبه . و هم الحبشة الذين كانوا غلبوا على بلاد اليمن ، بنى أميرهم وهو
 أبو يذكسوم أبرهة بن الصباح الأشرم بيعة بصنعاء و سماها القليس وزن
 قيط ، و أراد أن يصرف لإيها - فيما زعم - حج العرب ، فخرج رجل
 من كنانة فقعدها فيها ليلا - يعنى تغوط و اطخها به ، فأغضب ذلك الأشرم ١٥

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و في الأصل : كما (٣-٢) في ظ و م :
 التحقير (٤) في ظ : ليخربوا (٥) من ظ و م ، و في الأصل : من (٦-٦) من
 ظ و م ، و في الأصل : والقوة والأموال (٧) زيد في الأصل : الله ، ولم تكن
 الزيادة في ظ و م لحذفها .

فسأل ققيل له : زى الفاعل من أهل البيت الذى بمكة^١ - خلف : لهدم
الكعبة ، و من عجائب صنع الله أنه ألهمه سبحانه و تعالى تسميتها هذا
الاسم الذى هو مشتق / من القاس الذى^٢ أحد معانيه أنه ماء خرج
من الحلق ملء الفم ، فهو مبدأ القيء الذى هو أخو الغائط الذى آل
ه أمرها إليه ، فكان سبب هلاكها^٣ بهلاك بابنها ، و ذلك أنه غضب من
ذلك فخرج بجيشه لهدم بيت الله الكعبة و معه أفيال كثيرة منها فيل
عظيم اسمه محمود ، فقاتله بعض العرب فهزمهم و قتل منهم ، فلما دؤخهم
دانوا له^٤ ، فلما وصل إلى المعس خرج إليه^٥ عبد المطالب جد النبي صلى الله
عليه و سلم ، فعرض عليه ثلث أموال تهامة على أن يرجع عنهم ، و قيل :
١٠ بل كانت طلائعه أخذت له مائتى بعير فطلبها منه فقال : قد كنت أعجبني
حين رأيتك ، فزهدت فيك حين تكلمنى فى مائتى بعير ، و ترك كلامى
فى بيت هو دينكم^٦ و فيه عزم ؟ فقال : أنا رب الإبل ، و أما البيت فله
رب يمنعه^٧ ، فقال : ما كان يمنعه منى ، فقال^٨ : أنت و ذاك ، فرد عليه
إبله فسادها و مضى ، و أمر قريشا أن يتفرقوا فى الشعاب و يتحرزوا فى

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : مكة (٢) زيد فى الأصل : هو ، ولم تكن
الزيادة فى ظ و م لحذفها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : هلاكها (٤) زيد
فى الأصل : فقتله ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٥) من ظ و م ،
و فى الأصل : إليه (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : إليهم (٧) من ظ و م ،
و فى الأصل : دونكم (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : يمنع عنه (٩) زيدت
الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و م لحذفها

الجبال، و أتى عبد المطلب الكعبة فأخذ بحلقة الباب و جعل يقول :
[يا رب لا أرجو لهم سواك فامنهم أن يقربوا^٢ قراكا -^٣]
و قال :

لام إن المرء يـ نع رحله فامنح حلالك
لا يغلبن صليهم ومحالم عدوا محالك
جروا جميع تلامد في الفيل كي يسوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم جهلا و ما رقبوا جلالك
إن كنت تاركهم وكـ بيتنا فأمر ما بدا لك
ثم ترك الحلقة وتوجه [في -^٣] بعض تلك الوجوه فلما أصبح
أبرهته تهيأ للدخول إلى الحرم و عبأ جيشه و قدم الفيل فبرك فمالجوه
فلم تغد فيه حيلة، فوجهوه إلى غير الحرم فقام يهرول فوجهوه إلى ١٠
الحرم فبرك، و كان هذا دأبه في ذلك اليوم فييناهم كذلك إذ أرسل
الله تعالى عليهم طيرا أبابيل، كل طائر منها في مقاره حجر، و في
رجليه حجران، الحجر منها أكبر من العدسة و أصغر من الحصاة،
فرمتهم بها، فكان الحجر منها يقع في رأس الرجل فيخرج من دبره
فهلكوا جميعا، و أهل مكة و من حضر من العرب [في رؤس الجبال -^٣] ١٥
ينظرون إلى صنع الله تعالى بهم و إحسانه إليهم - أي أهل مكة -
و كان ذلك إرھاصا لنوة محمد صلى الله عليه و سلم، فان ذلك كان

(١) راجع للآيات تاريخ الطبري ١١٢ / ٢ وفيه بعض المغارقات (٢) في م :
يخربوا (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد في الأصل : توجه و، ولم تكن الزيادة
في ظ و م مخذفاها (٥) من ظ و م، و في الأصل : على .

عام مولده ، و قال حمزة الكرماني : [و في رواية ^١ -] : يوم مولده ،
و كأنه كان سيبا لضعفهم حتى ذهب سيف بن ذي يزن إلى كسرى
و أتى منه بجيش فاستأصل ^٢ بقيتهم - كما هو مشهور في السير ، و مأثور في
الخير ، و وفدت قريش لتهنته بالنصرة عليهم ، و كان رئيسهم عبد المطلب
٥ جد النبي صلى الله عليه و سلم ، و بشره سيف بأنه يولد له ولد اسمه محمد
فأعلمه بأنه ولد و أن أباه توفي ، فأخبره سيف بأنه النبي المبعوث في
آخر الزمان ، و أن يثرب مهاجرة ، و أنه لو علم / أنه يعيش إلى زمن
بعثته لآتى يثرب و جعلها قراره حتى ينصر النبي صلى الله عليه و سلم
[بها - ^٣] و يظهر نبوته ^٤ .

/ ٨٥١

١٠ و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما تضمنت سورة الهمة ذكر
اغترار من فتن بماله حتى ظن أنه يخلده و ما أعقبه ذلك ، أتبع هذا
أصحاب الفيل الذين غرهم تكاثرهم ، و خدعهم امتدادهم في البلاد و استيلائهم
حتى هموا بهدم البيت المكرم ، فتمجّلوا النعمة ، و جعل الله كيدهم في
تضليل . و أرسل عليهم طيرا أبابيل ، أى جماعات متفرقة ، ترميهم
١٥ بحجارة من سجيل حتى استأصلتهم ^٥ و قطعت ^٦ دابرهم فجعلهم كعصف
مأكول ، و أثمر ^٧ لهم ذلك ^٨ اغترارهم بتوفر حظهم من الخسر

(١) زيد من ظ و م (٢) من م ، و في الأصل و ظ : و استأصل (٣) من ظ
و م ، و في الأصل : انه (٤) سقط من ظ و م (٥) زيد في الأصل : انه ،
و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفنا (٦) من م ، و في الأصل و ظ : دينه .
(٧ - ٧) من ظ و م ، و في الأصل : فقطعت (٨ - ٨) من ظ و م ، و في
الأصل : ذلك لهم .

المتقدم - انتهى .

و لما قرره بالكيفية تنبيها على ما فيها من وجوه الدلالة^١ على مقدمات الرسالة ، أشار إلى تلك الوجوه مقدما عليها تقريراً آخر جامعاً لقيستهم ومعلماً بغصتهم فقال : ﴿الم يحمل﴾ أى بما له من الإحسان إلى العرب لا سيما قريش ﴿كيدهم﴾ [أى - ٢] فى تعطيل الكعبة بتخريبها^٥ وبصرف الحج إلى كنيستهم على زعمهم و [قد - ٢] كان كيدهم عظيماً غلبوا به من ناوهم من العرب ﴿فى تضليل﴾ أى مظلوماً لتضييع عما قصدوا له من نسخ الحج إلى الكعبة أولاً ومن هدمها ثانياً وإبطال و بعد عن السداد وإهمال بحيث صار بكونه مظلوماً لذلك معموراً به لا مخلص له منه ، وهذا مشير^٦ إلى أن كل من تعرض^{١٠} لشيء من حرمان^٦ الله كسيت من بئوته أو ولى من أوليائه أو عالم^٧ من علماء الدين وإن كان مقصراً نوع تقصير وقع فى مكروه ، وعاد^٨ عليه وبال شره^٨ ومن عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب^٩ ، وإلى أن من جاهر بالمعصية أسرع إليه الهلاك بخلاف من تستر ، وإلى أن الله تعالى يأتى من يريد عذابه من حيث لا يحتسب ليدوم الحذر منه ولا يؤمن^{١٥}

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : الدلالات (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد من م (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : تعظيماً (٥) من م ، وفى الأصل : وظ : مشيراً (٦-٦) من ظ و م ، وفى الأصل : لحرمان (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : عالماً (٨-٨) من ظ و م ، وفى الأصل : إليه لما ورد (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : فى محاربه .

مكره و لو كان الخضم أقل عباده، لم يخطر للجيشة ما وقع لهم أصلا
ولا خطر لاحد سواهم ان طيورا تقتل جيشا دوخ الأبطال وذات له
غلب الرجال، يقوده ملك جبار كنيته في السهل تمشى ورجله على
القاذفات في رؤس المناقب .

٥ و لما كان التقدير : فمنعهم من الدخول إلى حرم إبراهيم عليه
الصلاة و السلام فضلا عن الوصول إلى بلدة^٢ الرسول صلى الله عليه
و سلم ، عطف عليه أو على و يجعل ، معبرا بالماضى لأنه بمعناه و هو
أصرح و التعبير به أقعد قوله : ﴿ و ارسل ﴾ و بين أنه إرسال عذاب
بقوله : ﴿ عليهم ﴾ أى خاصة من بين من كان^٣ هناك من كفار العرب ،
١٠ وأشار إلى تحقيرهم و تخسيسهم عن أن يعذبهم بشىء عظيم ليكونهم عظموا أنفسهم
و تجبرو على خالفهم بالقصد القبيح لبيته فقال تعالى معلما بأنه ساط عليهم
ما [لا - '] يقتل مثله في العادة^٤ : ﴿ طيرا ﴾ / و هو اسم جمع يذكر
/ ٨٥٢ على اللفظ ، و يؤنث على المعنى ، و قد يقع على الواحد ، و لذلك قال
مينا الكثرة ﴿ ابابيل ﴾ أى جماعات كثيرة جدا متفرقة^٥ يتبع بعضها
١٥ بعضا من نواحي شتى فوجا فوجا و زمرة زمرة ، أمام كل فرقة منها طير يقودها
أحمر المنقار أسود الرأس طويل العنق . قال أبو عبيدة^٦ : يقال : جاءت

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : فى (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : بلد .
(٣) سقط من ظ و م (٤) زيد من م (٥) زيد فى الأصل : و كان ذلك ،
و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٦-٦) من ظ و م . و فى الأصل : كثير
متفرقة جدا (٧) فى م : أبو عبيد .

الخيل أبابيل من هاهنا و' هاهنا، وهو جمع إبالة بالكسر والتشديد وهي^٢
الحزمة الكبيرة - شبهت بها الجماعة من الطير في تضامها، وفي أمثالهم:
ضغت على إبالة، أى بلية على أخرى .

ولما تشوف السامع إلى فعل الطير بهم، قال مستأنفا^٣: (ترميمهم)
أى الطير (بجحارة) أى عظيمة^٤ فى الكثرة^٥ و الفعل . صغيرة فى هـ
المقدار والحجم، كان كل [واحد - °] منها فى نحو مقدار العدسة،
فى منقار كل طائر منها واحد وفى^٦ كل رجل واحد .

ولما كان الشيء إذا كان مصنوعا للعذاب كان أشد فعلا فيه قال:
(من سجيل مولا) أى طين متحجر مصنوع للعذاب فى موضع هو فى غاية
العلو كما بين فى سورة هود عليه الصلاة والسلام، قال^٧ حمزة الكرماني: ١٠
قال أبو صالح: رأيت تلك الحجارة مخططة بالحرمة . ولما تسبب عن
هذا المرمى هلاكهم، وكان ذلك بفعل الله^٨ سبحانه وتعالى القادر
على ما أراد^٩ لأنه الذى خلق الأثر قطعاً لأن مثله لا ينشأ عنه^{١٠} ما نشأ
من الهلاك، قال: (لجعلهم) أى ربك المحسن إليك بإحسانه إلى

(١) زيد فى الأصل: من، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٢) من ظ
وم، وفى الأصل: هو (٣-٣) من ظ و م، وفى الأصل: كان قائل قال.
(٤-٤) من ظ و م، وفى الأصل: كثيرة (٥) زيد من ظ و م (٦) زيد فى
الأصل و ظ: رجليه، ولم تكن الزيادة فى م لحذفها (٧) زيد فى الأصل:
الشيخ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٨-٨) سقط ما بين الرقين
من ظ و م (٩) من ظ و م، وفى الأصل: منه .

قومك لأجلك بذلك (كمصف ما كول ع) أى ورق زرع وقع
 فيه الأكال وهو أن يأكله الدود و يحوفه لأن الحجر كان يأتى فى
 الرأس فيخرق^١ بما له من الحرارة و شدة الوقع كل ما مر به حتى
 يخرج من الدبر و يصير موضع تجويفه أسود لما له من النارية، أو أكل
 حبه فبقى^٢ صفرا منه أو كتبتن أكلته الدواب و رائته، و لكنه جاء على
 ما عليه آداب القرآن كقوله تعالى: "كانا ياكلان الطعام" وهذا
 الإهلاك فى إعجابه هو^٣ من معانى^٢ الاستفهام التقريرى فى أولها، فقد
 تعاقب طرفاها، و التفت آخرها بأولها - والله أعلم بمراده^٤ .

(١) من ظ و م ، وفى الأصل: فينخرق (٢) من ظ و م ، وفى الأصل:
 وبقى (٣-٢) من ظ و م ، وفى الأصل: فى معنى (٤-٤) سقط ما بين الرقین
 من ظ و م .

سورة قريش

مقصودها الدلالة على [ضد - ٢] ما دلت عليه^٢ الفيل بأن إهلاك
 الجاحدين المعاندين لإصلاح المقرين^٣ العابدين، وهو بشارة عظيمة لقريش
 خاصة باظهار^٤ شرفهم في الدارين، واسمها قريش ظاهر الدلالة على ذلك،
 والتعبير بقريش دون قومك أو الحمس مثلاً ونحوه دال على أنهم يغلبون
 الناس اجمع بقوة كما يدل عليه الاسم، وبغير قوة^٥ كما دل عليه ما فعل
 لاجلهم من قصة الفيل : (بسم الله) ذى السجحات والحمد لله جميع الكمال
 (الرحمن) ذى النعم العامة بالإيجاد والبيان فهو ذو الأفضال (الرحيم)
 ذى الانتقام بالإبعاد والاختصاص / بمن يشاء بالإسعاد بالتقريب
 ٨٥٣ / و الإجلال .

١٠

لما^٦ كان ما فعله سبحانه - من منع هذا الجيش العظيم - الذى من قوته
 طاعة أكبر ما خلق الله من الحيوان البرى فيما نعلمه له - من دخول الحرم
 الذى هو مظهر قدرته ومحل عظمتة الباهرة وعزته والمذكر بخليته عليه

- (١) السادسة والمائة من سور القرآن الكريم ، مكية ، وعدد آياتها (٢) زيد من
 ظ و م (٣) زيد فى الأصل : سورة ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .
 (٤) من م ، وفى الأصل و ظ : المقرين (٥) من م ، وفى الأصل و ظ :
 لاظهار (٦ - ٦) من ظ و م ، وفى الأصل : يعرفوه (٧) من ظ و م ، وفى
 الأصل : و لا .

الصلاة والسلام وما كان من الوفاء بعظيم خلقه - كرامة لقريش عظيمة
 ظاهرة عاجلة حماية لهم عن أن تستباح ديارهم وتسبى ذراريهم لكونهم
 أولاد خليله وخدام بيته وقطان^١ حرمه ومتعززين به ومنقطعين إليه ،
 وعن أن يخرب موطن^٢ عزمهم ومحل أمنهم وعيشهم وحرزمهم ، ذكرهم
 ٥ سبحانه وتعالى ما فيه من النعمة الآجلة لإكرامنا ثانيا بالنظر في العاقبة ،
 فقال مشيراً إلى أن من تعاضم عليه قصصه ، ومن ذل له وخدمه أكرمه
 وعظمه : (لا يلف قريش^٣) أى لهذا الأمر لا غيره^٤ فعلنا ذلك وهو
 إيقاعهم الإيلاف وهو ألفهم للدم الذى ينشأ عنه طمأنينتهم وهيبة
 الناس لهم ، وذلك ملزوم لألفهم أولاً فى أنفسهم ، فإذا كان لهم
 ١٠ الألف بحرمهم بما حصل لهم من العز والمكنة به بما دافع عنهم فيه
 مع ماله من بعد الآفات عنه ، وكان لهم الألف بينهم ، فكان بعضهم
 يألف بعضاً ، قوى أمرهم فآلفوا غيرهم أى جعلوه يألف ما ألفوه إياه أى
 سنوه له وأمره به ، أو يكون اللام متعلقاً بفعل العبادة بدلالة^٥
 "فليعبدوا" أى ليعبدونا لأجل ما أوقفنا من^٦ ألفهم وإيلافهم ، وعلى
 ١٥ التقديرين الألف علة للعبادة أولاً يوجب الشكر بالعبادة . وفى هذا إشارة
 إلى تمام قدرته سبحانه وتعالى وأنه إذا أراد شيئاً يسره سببه لأن
 (١) من ظ و م ، وفى الأصل : خطان (٢) من م ، وفى الأصل و ظ :
 مواطن (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : لغيرة (٤) من ظ و م ، وفى
 الأصل : يسوه (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : بذلك لاله (٦) من ظ و م ،
 وفى الأصل : عن .

التدبير كله له يخفض من يشاء وإن عز، ويرفع^١ من يشاء وإن ذل،
ليشمر اعتقاد ذلك حبه والانتقطاع لعبادته والاعتماد عليه في [كل - ٢]
نقع و دفع، و قريش ولد النضر بن كنانة واسمهم واسم قبيلتهم مشتق
من القرش [و التقرش - ٢] وهو التكسب والجمع، يقال: فلان
يقرش لعياله ويقترش أى يكتسب، وقال البغوى^٢: وقال [أبو - ٢] ه
ريحانة: سأل معاوية ابن عباس رضى الله عنهما: لم سموا بهذا؟ فقال:
لدابة تكون في البحر [هى - ٢] أعظم دوابه، يقال لها القرش،
لا تمر بشيء من الغث والسمين إلا أكلته، وهى تأكل ولا تؤكل وتعلو
ولا تعلق، قال: و هل تعرف العرب ذلك في أشعارها؟ قال: نعم،
وأشد للجمعى:

وقريش هى التى تسكن البحر بها سميت قريش قريشا
سلطت بالعلو فى لجة البحر على سائر الجيوش جيوشا
وقال^٣ الزخشرى: هى دابة عظيمة تعبت بالسفن ولا تطاق إلا بالنار،
والتصغير للمعظيم - انتهى، وقيل: سموا بذلك لتجمعهم إلى الحرم بعد
تفرقهم، فان القرش - كما تقدم - الجمع، وكان المجمع لهم قصيا، والقرش^٤ ١٥
أيضا^٥ الشديد، وقيل: هو من تقرش الرجل - إذا تنزه عن مدانيس

(١) من ظ و م، وفى الأصل: رفع (٢) زيد من م (٣) زيد من ظ و م .
(٤) راجع للمعالم ٧ / ٢٤٧ (٥) زيد فى الأصل: أبو القاسم، ولم تكن الزيادة
فى ظ و م لحذفها (٦) راجع البحر ٨ / ١٣٠ (٧) من ظ و م، وفى الأصل:
القريش (٨) من ظ و م، وفى الأصل: أبا - كذا .

الأمور، ومن تقارشت الرياح / في الحرب - إذا دخل بعضها في
[بعض - ١] .

و المادة كلها للشدة والاختلاط، والتعبير بهذا الاسم لمدهم .
وكما أجرى سبحانه وتعالى مدحهم على الألسنة جعلهم موضعاً للمدح،
٥ قال النبي صلى الله عليهم عليه وسلم^٢ : إن الله اصطفى كنانة من
بنى إسماعيل و اصطفى قريشا من كنانة و اصطفى بنى هاشم من قريش
و اصطفاني من بنى هاشم، و قال صلى الله عليه وسلم^٣ : الأئمة من قريش، قال
العلماء: وذلك أن طيب العنصر يؤدي إلى محاسن الأخلاق، ومحاسن الأخلاق
تؤدي إلى صفاء القلب، و صفاء القلب عون على إدراك العلوم، و بادراك
١٠ العلوم تنال الدرجات العلى في [الدنيا و - ١] الآخرة، و صرف الاسم
هنا على معنى الحى ليكون الاسم بمادته دالا على^٤ الجمع، و بصرفه دالا على^٥
الحياة إشارة إلى كمال حياتهم ظاهرا و باطنا، قال سيويوه في معد
و قريش و ثقيف: صرف هذه الأحياء أكثر، و إن جعلتها اسما للقبائل
- يعنى فتنعتها - فجائز حسن، و الذى يدل على تعلق اللام بفعل دلت عليه
١٥ الفيل أن السورتين في مصحف أبى^٦ رضى الله عنه سورة واحدة من غير

(١) زيد من ظ و م (٢) راجع المعالم ٧ / ٢٤٧ (٣) راجع مسند أحمد ٣ / ١٢٩ .

(٤ - ٥) من ظ و م، و فى الأصل: يودى الى (٥) زيد فى الأصل: معنى،

و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٦) زيد فى الأصل: ان، و لم تكن

الزيادة فى ظ و م لحذفها (٧) من ظ و م، و فى الأصل: أبى بكر .

فضل، وأن عبد الرزاق^١ وابن أبي شيبة^٢ رويَا عن أبي إسحاق عن عمرو ابن ميمون قال: صلى بنا عمر رضى الله عنه المغرب فقرأ في الأولى بالتين والزيتون، وفي الثانية ألم زكيف وثلثلاف قريش.

وقال [الإمام - ٢] أبو جعفر ابن الزبير: لا خفاء في اتصالهما أي أنه سبحانه وتعالى فعل ذلك بأصحاب الفيل ومنعهم عن بيته وحرمة ه لا تنظام شمل قريش، وهم سكان الحرم وقطان بيت الله الحرام، وليؤلفهم بهاتين الرحلتين فيقيموا بمكة وتأمين ساحتهم - انتهى.

ولما علل بالإيلاف^٣ وكان لازماً ومتعدياً، تقول: آلفت المكان أولفه إيلافاً فأنا مؤلف^٤ وآلفت فلاناً هذا الشيء أي جعلته آلفاً له، وكان الإتيان بالشيء محتملاً لشئيين^٥ ثم إبدال^٦ أحدهما منه أضخم لشأنه^٧ وأعلى لأمره، أبدل منه قوله: (الفهم) أي إيلافاً إياهم (رحلة الشتاء) التي يرحلون فيها في زمنه إلى اليمن لأنها بلاد حارة ينالون بها متاجر الجنوب (والصيف^٨) التي يرحلون فيها في زمنه إلى الشام لأنها بلاد باردة ينالون فيها منافع^٩ الشمال، وهم آمنون من سائر العرب لأجل عزمهم بالحرم

(١) راجع مصنفه ١٠٩/٢ (٢) راجع مصنفه - كتاب الصلاة (٣) زيد من ظ.

(٤-٥) في م: باتصالها (ه) من ظ وم، وفي الأصل: تو من (٦) من ظ

وم، وفي الأصل: يلاف (٧) من ظ وم، وفي الأصل: يولف (٨) في ظ؛

للشئيين (٩) من ظ وم، وفي الأصل: ابدا (١٠) من ظ وم، وفي

الأصل: منع.

المكرم المعظم بيت الله و الناس يتخطفون من حولهم^١، ففعل الله تعالى
 بأصحاب الغيل ما فعل ليزداد العرب لهم^٢ هيبة و تعظيما فتزيد في
 إكرامهم لما رأت من إكرام الله تعالى لهم فيكون لهم غاية التمكن في
 رحلتهم، و الرحلة بالكسر هيئة الرحيل، و قرئ بالضم و هي الجهة التي
 ٥ يرحل إليها، و كانوا معذورين لذلك لأن بلدهم لازرع به^٣ [ولا ضرع -^٤]
 فكانوا إذا ضربوا في الأرض قالوا: نحن سكان حرم الله^٥ و ولاية يثبه^٦،
 فلا يعرض أحد بسوء، فلولا الرحلتان لم يكن لهم مقام بمكة، ولولا الأمن
 بجوار البيت لم يقدروا على التصرف، و أول من سن لهم الرحلة هاشم
 ابن عبد مناف، و كان يقسمون ربهم بين الغنى و الفقر^٧ حتى كان^٨
 ١٠ فقيرهم كغنيهم، و في ذلك يقول^٩ الشاعر:

قل للذي طلب الساحة و الندى هلا مررت بآل عبد مناف
 الراشدين و ليس يوجد رائش و القائلين هلم للضياف
 و الخاططين فقيرهم بغنيهم حتى يكون فقيرهم كالكاف
 القائلين بكل وعد صادق و الراحلين برحلة الإيلاف
 ١٥ عمرو العلاء هشم الثريد لقومه و رجال مكة مستنون^{١٠} عجاف

(١) في ظ: حواه (٢) من ظ و م، و في الأصل: عنده (٣) من ظ و م،
 و في الأصل: بها (٤) زيد من ظ و م (٥ - ٥) من ظ و م، و في الأصل:
 الحرم (٦) من ظ و م، و في الأصل: بيت الله (٧ - ٧) من ظ و م، و في
 الأصل: فكان (٨) من ظ و م، و في الأصل: قد قال - و راجع العالم ٢٤٨ / ٧
 للأبيات (٩) من ظ و م، و في الأصل: منون.

سفرين سنهما له و لقومه سفر الشتاء ورحلة الاضياف
و تبع هاشما على ذلك إخوته، فكان هاشم يؤلف^١ إلى الشام و عبد شمس
إلى الحبشة، و المطلب إلى اليمن، و نوفل إلى فارس، و كان تجار قريش
يختلفون إلى هذه الأمصار بجمال هذه الإخوة - أى عهودهم - التى أخذوها
بالأمان^٢ لهم من ملك كل ناحية [من هذه النواحي -^٣]، و أفرد الرحلة^٤
فى موضع التثنية لتشمل كل رحلة - كما هو شأن المصادر و أسماء
الأجناس، [إشارة [لهم -^٥] بالبخارة بأنهم يتمكنون عن قريب من الرحلة
إلى أى بلد أرادوا لشمول^٦ الأمن لهم و بهم جميع الأرض بما نشره
الله سبحانه و تعالى من الخير فى قلوب عباده فى سائر الأرض بواسطة
هذا النبى الكريم الذى هو أشرفهم و أعظمهم و أجلهم و أكرمهم . ١٠
ولما كان هذا التدبير لهم من الله كافيا^٧ لهمومهم الظاهرة بالنعى
و الباطنة بالأمن، و كان شكر المنعم واجبا، فاذا أنعم بما يفرغ المنعم
عليه للشكر كان^٨ وجوبه عليه أعظم،^٩ سبب عن^{١٠} الإنعام عليهم بذلك
قوله^{١١}: ﴿ فليعبدوا ﴾ أى قريش على سبيل الوجوب شكرا على هذه
النعمة خاصة إن لم يشكروه على جميع نعمه التى لا تحصى لأنهم يدعون ١٥

(١) من ظ و م، و فى الأصل: ياف (٢) من ظ و م، و فى الأصل: فالأمان.
(٣) زيد من ظ و م (٤-٥) من م، و فى الأصل: أى إلى أى بلاد أرادوا
لشموم، و فى ظ: إلى أى بلاد أراد و الشموم (٥) من ظ و م، و فى الأصل:
كأينا (٦) من ظ و م، و فى الأصل: فإن (٧-٨) من ظ و م، و فى الأصل:
بسبب (٨) من ظ و م، و فى الأصل: قال تعالى .

أنهم أشكر الناس للاحسان و أبعدهم عن الكفران^١ (رب هذا البيت^٢)
 أى الموجد له و المحسن إلى أهله بتربيتهم به و بحفظه من كل طاغ،
 و تأثيره لأجل حرمة في كل باغ، و بأذلال الجبارة له ليكمل إحسانه
 إليهم و عطفه عليهم بأكمال إعزازه لهم في الدنيا و الآخرة و جعل ما
 داموا عابدين له موصولا بعز الآخرة، فتم النعمة و تكمل الرحمة،^٣ و المراد^٤
 به السكينة، عبر عنها بالإشارة تعظيما لإشارة إلى أن ما تقدم في السورة
 الماضية من المدافعة عنهم معروف أنه بسببه لا يحتاج إلى تصريح، و أن^٥ ذلك
 جملة متصورا في^٦ كل ذهن^٧ حاضرا مشاهدا لكل مخاطب، و في هذا
 التلويح من التعظيم ما ليس للتصريح، ثم وصف نفسه الأقدس بما هو
 ١٠ / ٨٥٦ ثمرة الرحلتين / ومظهر لزيادة شرف البيت فقال تعالى : (الذى أطعمهم)
 أى قريشا بحمل الميرة إلى مكة بالرحلتين آمنين من أن يهاجوا،
 و باهلاك الذين أرادوا إخراج البيت الذى به نظامهم، إطعاما مبتدئا
 (من جوع لا) أى عظيم فيه غيرهم من العرب، أو كانوا هم فيه قبل
 ذلك لأن بلدهم مهيا لذلك لأنه ليس بنى زرع، فهم عرضة للفقر^٨
 ١٥ الذى ينشأ عنه^٩ الجوع، فكفاهم ذلك وحده ولم يشركه أحد في كفايتهم،
 فليس من الشكر إشراكهم في عبادته و لا من البر بأبيهم إبراهيم عليه

(١) من ظ و م، وفي الأصل : الكفر قال (٢-٢) من ظ و م، وفي الأصل :
 فالمراد (م) من ظ و م، وفي الأصل : الى (٤-٤) من ظ و م، وفي
 الأصل : ذهن كل احد (٥) من م، وفي الأصل و ظ : للمقراء (٦) من ظ
 و م، وفي الأصل : عنهم .

الصلاة والسلام الذى دعا لهم بالرزق ونهى أشد النهى عن عبادة الأصنام، ولم [يقول: أشبعهم -^١] لأنه ليس كلهم كان يشبع، ولأن من كان يشبع منهم طالب لأكثر مما [هو -^١] عنده، ولا يملاً جوف ابن آدم إلا التراب، .

ولما ذكر السبب فى إقامة الظاهر، ذكر السبب فى إقامة العيش ٥
 بنعمة الباطن فقال: (وَأَمْنُهُمْ) أى تخصيصاً لهم (من خوف ع) أى
 شديد جداً من أصحاب القيل وما ينال من حولهم من^٢ التخطف بالقتل
 والنهب والغارات و^٣ بالأمن من^٢ الجذام بدعوة إبراهيم عليه الصلاة
 والسلام، [و من الطاعون والدجال بتأمين النبي صلى الله عليه وسلم -^١]،
 وعن ذلك تسبب الاتحاف بما خصهم به من الإيلاف، فلم [أن -^١] ١٠
 آخرها علة لأولها، ويجوز أن يكون إلفهم للبلد وقع أولاً فحماه الله لهم
 بما ذكر، فيكون ذلك مسياعاً عن الإلف فيكون أولها علة لآخرها، فقد
 التقى الطرفان^٥، والتأم البحرين المغترقان، وكما التقى آخر كل سورة
 مع أولها فكذلك التقى آخر القرآن العظيم بأوله بالنسبة إلى تسع سور
 هذه أولها إذا عُدَّت من الآخر إليها، فإن حاصلها المن على قريش ١٥
 بالإعانة على المتجر إيلافاً لهم بالرحلة فيه والضرب^٦ فى الأرض بسية

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، وفى الأصل: عن (٣-٣) من ظ و م،
 وفى الأصل: من الأمن (٤) من ظ و م، وفى الأصل: لآخرها .
 (٥) من ظ و م، وفى الأصل: الطرف (٦) من ظ و م، وفى الأصل:
 الصر.

واختصاصهم بالامر بعبادة الذى منّ عليهم بالبيت الحرام وجلب لهم
به الارزاق والامان، ومن أعظم مقاصد التوبة - المناظرة لهذه بكونها
التاسعة من الاول - البراءة من كل مارق، وأن فعل ذلك يكون سببا
للالفة بعد ما ظن أنه سبب الفرقة . وذكر مناقب البيت ومن يصلح
لخدمته ، والفوز بأمانه و نعمته ، والبشارة بالغنى على وجه أعظم من
تحصيله بالمتجر وأبهى وأبهر، وأوفى وأوفر، 'وأزهى' وأزهر، وأجل
أنحر، بقوله تعالى " ما كان للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله ^٢ شاهدين على
أنفسهم " - الآيات ، وقوله تعالى "وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من
فضله" فلم بهذا علما جليا أنه شرع سبحانه في رد المقطع على المطلع من سورة
١٠ قريش الذين أكرمهم الله بانزال القرآن بلسانهم وأرسل ^٣ به النبي صلى الله عليه
وسلم إليهم كما أكرمهم ببناء البيت في شأنهم ^٤ ، وتعظيمه لغناهم وأمانهم ،
ومن أعظم المناسبات في ذلك كون أول السورة التي أخذ فيها في
رد المقطع على المطلع شديد المشابهة للسورة المناظرة لها حتى أن في
كل منهما مع ^٥ التي قبلها كالسورة الواحدة فان ^٦ براءة مع الانتقال كذلك
١٥ حتى قال عثمان رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم ^٧ توفي

(١-١) تكرر ما بين الرقيين في الأصل فقط (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من
ظ و م (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : أرسله (٤) من ظ و م ، وفي الأصل :
شانه (٥) زيد في الأصل و ظ : السورة ، ولم تكن الزيادة في م فحذفناها .
(٦) زيد في الأصل : مع ، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٧) زيد في
الأصل : ومات ، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها .

ولم يبين أمرها، فلم يتحرر له أنها مستقلة عنها، ولذلك لم يكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم، وكانت هذه التي من الآخر مقطوعاً بأنها مستقلة مع ما ورد من كونها مع التي قبلها سورة واحدة في مصحف أبي^١ رضى الله تعالى عنه، وقراءة عمر رضى الله تعالى عنه [لها -^٢] على وجه يشعر بذلك كما مضى إشارة إلى أن الآخر يكون أوضح من الأول، ومن أغرب ذلك أن السورتين اللتين قبل سورتي المناظرة بين أمريهما طباق، فالأولى في الآخر وهي الفيل أكرم الله فيها قريشاً باهلاك [أهل -^٣] الإنجيل، والأولى في الأول وهي الانتقال أكرمهم الله فيها بنصر أهل القرآن عليهم باهلاك جبارتهم، فكان ذلك سبباً لكسر شوكتهم وسقوط نخوتهم المفضي^٤ إلى سعادتهم^٥، وعلم أن البراءة^{١٠} وغيرها إنما عمل لإكرامهم لأنهم المقصودون بالذات وبالقصد الأول بالإرسال والناس لهم تبع كما أن جميع الرسل تبع للرسول^{١١} الفاتح الخاتم الذي شرفوا بإرساله إليهم صلى الله عليه وسلم، وكان عدد التسع مشيراً إلى أن قريشاً أهل لأن يتصلوا بعروج الأسرار في الملكوت إلى [الفلك -^٢] التاسع، وهو العرش الذي هو مقلوب الشرع، فهم^{١٥} يصعدون بأسرار الشرع - التي من أعظمها الصلاة - من الأسفل إلى الأعلى

(١) من ظ و م، وفي الأصل: أبي بكر (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، وفي الأصل: سورة (٤) من ظ و م، وفي الأصل: المقتضى (٥) في ظ: شقاوتهم (٦) من ظ و م، وفي الأصل: الرسول.

من الطرفين معا كما أنه ينزل عليهم بالبركات من الجانبين ، وإذا ضمنت
 التسع الأولى إلى الأخرى كانت ثمان عشرة ، فكانت مشيرة إلى ركعات
 الصلوات مضموما إليها الوتر ، وإلى ظهور الدين ظهورا كاملا [على -']
 غالب أقطار الأرض كما كان في سنة ثمان وعشرين ، وهي الثامنة عشرة
 ٥ من موت النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك في أثناء خلافة عثمان
 رضي الله عنه فانه كان فيها قد تمزق ملك كسرى و ضعف جدا ، وكذا
 ملك الروم مع ما كان من زوال أمر القبط بالسكينة ، ومن بديع
 الإشارات أيضا أنك إذا نظرت إلى نزول براءة وجدته سنة تسع من
 الهجرة في غزوة تبوك وعقب الرجوع منها ، فكان كونها ناسعة ونزولها
 ١٠ في السنة التاسعة مشير^٢ا إلى كون الدين يظهر على كل مخالف بعد تسع
 سنين ، وهي السنة الثامنة من موت النبي صلى الله عليه وسلم في وسط
 خلافة الفاروق حين ظهر المسلمون على الفرس و الروم ، فقتلوا رجالهم ،
 و انتحلوا أموالهم ، كما كان قد ظهر عند نزولها على عباد الأوثان من
 / العرب ، و من الغريب أن قصة الفيل كانت سنة مولد النبي صلى الله عليه
 ١٥ وسلم ، فهي قبل النبوة بأربعين سنة بعدد كلمات السورتين : [الفيل -']
 و قريش ، فان الفيل ثلاث و عشرون و قريش سبع عشرة ، و ذلك
 - والله أعلم - إشارة إلى أن ابتداء الأمن - باهلاكهم والإشباع بنهب
 ما كان معهم من أموالهم و متاعهم - كان لمولده صلى الله عليه وسلم

/ ٨٥٨

(١) زيد من ظ و م (٢) من م ، وفي الأصل و ظ : ملك (٣) في ظ و م :
 مشير (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : حتى .

و تشريف الوجود بوجوده، ويكون ذلك ظاهرا كما كان السبب - الذى هو وجوده صلى الله عليه وسلم - ظاهرا، و إلى أن وسطه يكون بنبوته صلى الله عليه وسلم، و يكون ذلك باطنا كما أن السبب - و هو الوحي باطن، ثم كان أمن الصحابة رضى الله تعالى عنهم فى السنة الثامنة الموارية لعدد كلمات البسملتين على يد النجاشى ملك الحبشة الذين كان الآمن ٥ أولا بأهلاكمهم، و إذا ضمنت إليها أحد عشر ضميرا - سبعة فى القيل و أربعة فى قريش - كانت^١ تسعا و خمسين توازيها إذا حسبت من المولد^٢ سنة [ست - ٢] من الهجرة، و فيها كانت عمرة الحديبية و هى الفتح السبى [الخنى - ٢]، و إلى ذلك أشار صلى الله عليه وسلم بقوله فى برك واقته الشريفة حين بركت فقالت الصحابة رضى الله تعالى عنهم: خلا^٣ ١٠ القصوى - أى حُرنت: ما خلا^٤ و لكن حبسها حابس القيل، و فيها نزلت سورة الفتح، فكان^٥ سبب الآمن العظيم والغنى، و عقبها فى سنتها كان البعث إلى ملوك الأمصار، و فتح خيبر و [انبساط - ٧] ذكر الإسلام^٦ فى جميع الأقطار، و كذا كان عقبها قبل عمرة القضية لإسلام عمرو بن العاص على يد النجاشى^٧ لما سأله أن يعطيه عمرو بن أمية الضميرى رضى الله ١٥

(١) من ظ و م، وفى الأصل: كان (٢) من ظ و م، وفى الأصل: الولد.
 (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، وفى الأصل: محلات - كذا (٥) من ظ و م، وفى الأصل: لكنها (٦) من م، وفى الأصل و ظ: فكانت (٧) زيد من م (٨) من م، وفى الأصل و ظ: ملوك الامصار (٩) من ظ و م، وفى الأصل: الثانى .

عنه ليقتله، و ذلك حين أرسله النبي صلى الله عليه و سلم إلى النجاشي
رضي الله عنهما يدعوه إلى الإسلام فأنكر النجاشي ذلك على ابن
العاص و شهد للنبي صلى الله عليه و سلم بالرسالة و أمره بأن يؤمن به،
فعمل فكان ملك الحبشة بدعاء النبي صلى الله عليه و سلم ناجيا هاديا،
٥ [و-٢] إلى النبي صلى الله عليه [داعيا، عكس ما كان للملك الحبشة بمولده

صلى الله عليه و سلم -٢] من أنه كان هالكا، و إلى الجحيم هاويا، و إن حسب
من سنة بنيان الكعبة في الخامسة و العشرين من مولده صلى الله عليه
و سلم كانت السنة التاسعة و الخمسون هي الحادية و الثلاثون بعد الهجرة،
و هي سنة استئصال ملك الفرس بقتل آخر ملوكهم يزدجرد، و الفرس هم
١٠ الذين أزالوا الحبشة عن بلاد اليمن و طهروا منهم أرض العرب، و لعل
قسمة السورتين إلى ثلاث و عشرين و سبع عشرة إشارة إلى [أن-٢]

هذا المولد الشريف الذي حرسه الكعبة بمولده صلى الله عليه و سلم
و حصل الأمن و العز ببركته تبنى الكعبة و تجدد بعد بضع و عشرين
سنة من مولده، قالوا: كان بنيانها [و-٢] سنة خمس و عشرون

١٥ [سنة-٢]، فلعلة كان في آخر الرابعة و العشرين^٢، و لعل قصة الفيل كانت
وله نحو سنة من حين الولادة، و به حين البنيان ألف الله بين قريش
بعد أن كانوا تنافروا أشد المنافسة و تعاقدوا على الحرب في أمر الحجر

(١) من ظ و م، و في الأصل: ان (٢) زيد من م (٣) من ظ و م، و في
الأصل: عشرين.

الاسود من يضعه في موضعه حتى أصلح الله بينهم به صلى الله عليه وسلم
فوضعه بيده الشريفة في ثوب ، وأمرهم فأمسكت جميع القبائل بأطرافه ،
ثم رفعوه حتى وازوا به موضعه فأخذه [هو -] صلى الله عليه وسلم
فوضعه في مكانه ، فكان الشرف له خاصة في الإصلاح و البنيان ،
و تشير مع ذلك إلى أنه يبق في النبوة ثلاثا و عشرين سنة ، ثم يتوفاه ه
الله سبحانه و تعالى بعد أن جعل الله كيد جميع الكفرة في تضليل من
عباد الأوثان و الفرس و الروم و غيرهم بما فتح الله عليه من جزيرة
العرب التي ألف الله بها بين كلمتهم حتى انسابوا على غيرهم فما وافقهم
أحد ناوشوه القتال و ساءموه النضال و النزال ، و لعل الإشارة بكون
قريش سبع عشرة كلمة إلى أنه صلى الله عليه وسلم بعد سبع عشرة سنة ١٠
من بنيان البيت يبعثه الله سبحانه و تعالى لأمر قريش بالعبادة التي أجلها^٢
الصلاة التي أعظمها الفرائض التي هي سبع عشرة ركعة شكرا لنعمة من
آمنهم من خوف و أطعمهم من جوع بأعظم العبادات ، و إلى أن ابتداء
ألفه قريش بالقوة القريبة من الفعل بعد الشتات العظيم الظاهر و جعل
كيد الكفار في تضليل يكون في السنة السابعة عشرة من النبوة ، ١٥
و ذلك سنة أربع من الهجرة فان فيها كان إجلال بني النضير من اليهود

(١) زيد من م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : بما (٣) زيد في الأصل : واعظمها ،
و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٤) من م ، وفي الأصل و ظ : بنعمة .
(هـ-ه) من ظ و م ، وفي الأصل : يكون في تضليل (٦) من ظ و م ، وفي
الأصل : السابعة عشر .

من المدينة الشريفة وإخلاف قريش [الموعِد - ١] في بدر الموعد وهنا
منهم عن لقاء جيش النبي صلى الله عليه وسلم^٢، وكانت بعد يسير غزوة
الأحزاب، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم بعد انصرافهم: الآن
نفزؤهم ولا يغزونا - يعنى أن نخوة الشيطان منهم وحية الجاهلية أخذت
ه في الاضمحلال لانتها قوتهم في الباطل الذى كان سبب عزم الظاهرى
الذى هو الذل في الباطن. وكان ذلك ابتداء عزم في الباطن الذى هو
ذلهم لأهل الإسلام في الظاهر، وفي أثر الأحزاب كانت غزوة بني
قريظة، فاذا ضمنت إلى الكلمات الضمائر الأربعة كانت إحدى وعشرين
توازيها سنة ثمان من الهجرة وهى سنة الفتح الأعظم الذى وقعت به^٣
١٠. الألفة العظمى بين قريش وأمنهم وغنائم الذى وعدم [الله - ١] به
في السورة المناظرة لها - وهى براءة - بائتلاف جميع العرب وانبعاثهم
لاجتماع كلمتهم إلى جهاد الفرس / و الروم والقبط وأخذهم لبلادهم،
وانتثالهم لكتوزهم وتحكمهم في نساءهم وأولادهم، فسبحان من هذا
كلامه، وتعالى شأنه وعز مرامه^٤.

/ ٨٦٠

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد في الأصل : بعد انصرافهم الآن، ولم تكن
الزيادة في ظ و م فحذفناها (٣) من م، وفي الأصل و ظ : فيه (٤) زيد في
الأصل : ولا اله غيره، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها.

سورة الدين و تسمى أرأيت و التكذيب و الماعون^١

مقصودها التنبيه على ان التكذيب بالبعث لأجل الجزاء أبو الخبائث، فانه يجرى المكذب على مساوىى الاخلاق و منكرات الاعمال حتى تكون الاستهانة بالعظام خلقا له فيصير بمن ليس له خلق، و كل من أسماها الأربعة^٢ فى غاية الظهور فى الدلالة على ذلك بتأمل السورة نعرف هذه الأشياء المذكورة^٣، فهى باهية عن المنكرات بتصريخها، داعية إلى المعالى بافهامها و تلويحها ﴿بسم الله﴾ الذى تعالت عظمتة عن كل شائبة نقص فكان له كل كمال ﴿الرحمن﴾ الذى عمت نعمته^٤ المحسن و المسىء فغمر الكل بالنوال ﴿الرحيم﴾ الذى خص أوليائه بتمام النعمة فخباه بنعيم الاتصال .

١٠

لما أخبر سبحانه و تعالى عن فعله^٥ معهم من الانتقام ممن تعدى حدوده فيهم، و من الرفق بهم بما هو غاية فى^٦ الحكمة، فكان معرفا بأن فاعله لا يترك الناس سدى من غير جزاء، و أمرهم آخر قريش بشكر^٧ نعمته بافراده بالعبادة، عرفهم أول هذه أن ذلك لا يتهى إلا بالتصديق

(١) السابعة و المائة من سور القرآن الكريم، مكية، و عدد آياتها ٧ (٢) سقط من ظ و م (٣) من م، وفى الأصل و ظ؛ المذكورات (٤) من ظ و م، وفى الأصل: نعمة (٥) من ظ و م، وفى الأصل: فعلهم (٦-٧) من ظ و م، وفى الأصل: فى غاية (٧) من ظ و م، وفى الأصل: يشير .

بالجزاء الحامل على معالى الأخلاق الناهى عن مساوئها، وعجب من يكذب بالجزاء مع وضوح الدلالة^١ عليه بحكمة الحكيم، و وصف المكذب [به-^٢] بأوصاف هم منها فى غاية النفرة. و صورته بأشنع صورة بعث لهم على التصديق وزجرا عن التكذيب، فقال خاصا بالخطاب رأس الأمة ٥ إشارة إلى أنه لا يفهم هذا الأمر حق فهمه غيره: ﴿ارهيت﴾ أى أخبرنى يا أكمل الخلق ﴿الذى يكذب﴾ أى يوقع التكذيب لمن يخبره كائنا من كان ﴿بالدين^٣﴾ أى الجزائى الذى يكون يوم البعث الذى هو محط الحكمة وهو غاية الدين التكليفى الأمر بمعالى الأخلاق الناهى عن سيئها، ومن كذب بأحدهما كذب بالآخر^٤. ولما كان فعل الرؤية بمعنى ١٠ أخبرنى، المتعدى إلى مفعولين، كان تقدير المفعول الثانى: أليس جديرا بالانتقام منه .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما تضمنت السور^٥ المقدمة من الوعيد لمن انطوى على ما ذكر فيها مما هو جارٍ على حكم الجهل و الظلم الكائنين فى^٦ جبلة الإنسان ما تضمنت كقوله "ان الإنسان لربه ١٥ لكنود" "ان الانسان لفي خسر" "يحسب ان ماله اخذه" و انجر أثناء ذلك بما تثيره هذه الصفات الأولية^٧ ما ذكر فيها أيضا كالشغل

(١) من ظ و م، وفى الأصل: الأدلة (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، وفى الأصل: عن الآخر (٤) من ظ و م، وفى الأصل: السورة . (٥) من ظ و م، وفى الأصل: على (٦) بهامش م: أى المكلم بها فى الأزل أو الأولية بمعنى أنها فى الفطرة الأولى .

٨٦١ /

بالتكاثر، والطعن على الناس ولمزهم والاعتزاز المهلك أصحاب الفيل
أتبع ذلك / بذكر صفات قد توجد في المنتمين إلى الإسلام أو^٢ يوجد
بعضها أو أعمال من يتصف بها وإن لم يكن من أهلها كدع اليتيم، وهو
دفعه عن حقه و عدم الرفق به، و عدم الحض على طعام المسكين،
و التغافل عن الصلاة و السهو عنها، و الرياء بالأعمال و الزكاة و الحاجات
التي يضطر فيها الناس بعضهم إلى بعض، و يمكن أن يتضمن إبهام الماعون
هذا كله، و لا شك أن هذه الصفات توجد في المتسمين بالإسلام، فأخبر
سبحانه و تعالى أنه [من-^٣] صفات من يكذب يوم الدين و لا ينتظر
الجزاء و الحساب، أى إن هؤلاء هم أهلها، و من هذا القبيل قوله عليه
الصلاة و السلام «أربع من كن فيه كان منافقا خالصا» و قوله عليه
الصلاة و السلام «لا يزني الزاني حين يزني و هو مؤمن» و هذا الباب
كثير في الكتاب و السنة، و قد بسطته في كتاب «إيضاح السبيل من
حديث سؤال جبريل» فن هذا القبيل عندي - و الله أعلم - قوله
تعالى "أرايت الذى يكذب بالدين فذلك الذى يدع اليتيم" أى أن
هذه الصفات من دفع اليتيم و بعد الشفقة عليه، و عدم الحض على
إطعامه^٤ و السهو عن الصلاة و المراعاة بالأعمال و منع الحاجات إن
(١) من ظ و م، و فى الأصل : لأصحاب (٢) من ظ و م، و فى الأصل : أى.
(٣) زيد من م (٤) من ظ و م، و فى الأصل : هذا (هـ) من ظ و م، و فى
الأصل : طعامه .

هذه كلها من شأن المكذب بالحساب والجزاء لأن نفع^١ البعد عنها إنما يكون إذذاك، فمن صدق به جرى في هذه الخصال على السنن المشكور والسعي المبرور، ومن كذب به لم يبال بها وتأبط جميعها. فتهزوا أيها المؤمنون عنها. فليست من صفاتكم في أصل إيمانكم الذي إبتعث^٢ عليه. فمن تشبه بقوم فهو منهم، فاحذروا هذه الرذائل فإن دع اليتيم من الكبر الذي أهلك أصحاب الفيل، وعدم الحض على إطعامه فأنما هو فعل الخيل الذي يحسب أن ماله أخذه. والسهو عن الصلوات من ثمرات إلهام^٣ التكائر، والشغل بالأموال والأولاد، فنهى عباده عن هذه الرذائل التي يشرها^٤ ما تقدم والتحمت السور^٥ - انتهى .

١٠ ولما كان المراد بهذا الجنس، وكان من المكذبين من يخفى تكذبيه، عرفهم بأمارات تنشأ من عمود الكفر الذي صدر به وينفرع منه تفضحهم، وتدل عليهم^٦ وإن اجتهدوا في الإخفاء وتوضحهم، فقال مسيبا عن التكذيب ما هو دال عليه: ﴿فذلك﴾ أي البغيض البعيد من كل خير ﴿الذي يدع﴾ أي يدفع دفعا عنيفا بغاية^٧ القسوة ١٥ ﴿اليتيم﴾ ويظلمه ولا يبحث على إكرامه لأن الله تعالى نزع الرحمة من

(١) من ظ و م، وفي الأصل: النفع (٢) من ظ و م، وفي الأصل: تابعتم (٣) من م، وفي الأصل و ظ: الهاكم (٤) من ظ و م، وفي الأصل: ثمرتها (٥) من ظ و م، وفي الأصل: السورة (٦) من م، وفي الأصل و ظ: عليه (٧) زيد في الأصل: انقوة و، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها .

قلبه، ولا ينزعها إلا من شق لأنه لا حامل على الإحسان^١ إليه إلا الخوف من الله^٢ سبحانه و تعالى، فكان التكذيب بجزائه سببا للغلظة [عليه - ٣] .

ولما كانت رحمة الضعفاء علامة على الخير، و لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، كانت القسوة عليهم / علامة على الشر، و كان من بخل بالدين في قوله أتد ' بخلا بالذل ' من ماله، قال معرfa لأن المكذب ينزله تكذيبه إلى أسفل الدرجات، وأسوأ الصفات الحامل على شر الحركات: ﴿ ولا يحض ﴾ أى بحث نفسه و أهله و لا غيرهم حثا عظيما يحمى فيبعث^٣ على المراد ﴿ على طعام المسكين^٤ ﴾ أى بذله له و إطعامه^٥ .
لما به بل يمقته و لا يكرمه و لا يرحمه، و تعبيره^٦ عن الإطعام^٧ - الذى هو المقصود - بالطعام الذى هو الأصل و إضافة إلى المسكين للدلالة على أنه يشارك الغنى فى ماله بقدر ما فرض الله من كفايته، و قد تضمن هذا أن علامة التكذيب [بالبعث - ٢] إيذاء الضعيف و التهاون بالمعروف، و الآية من الاحتباك^٨: الدع فى الأول يدل على المقت فى ١٥

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الانسان ان يحسن (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الاله (٣) زيد من ظ و م (٤-٤) من ظ و م، و فى الأصل: بخلاف البذل (٥) من ظ و م، و فى الأصل: فينبعث (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: بالطعام (٧) زيد فى الأصل: ذكر، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

الثاني، والحض في الثاني يدل على مثله [في الأول - '] .

و لما كان هذا حاله مع الخلائق ، أتبعه حاله مع الخالق إعلاما
بأن كلا منهما دال على خراب القلب و موجب لمقت الرب ، وأعظم
الإهانة والكره ، وأن المعاصي شؤم مهلك ، تنفيرا عنها وتحذيرا [منها-'] ،
ه فسيب عنه قوله معبرا بأعظم ما يدل على الإهانة : ﴿ فويل ﴾ و لما
كان الأصل : له - بالإضمار والإفراد ، وكان المراد به الذي الجنس الصالح
للوحد وما فوقه و كان من يستهين بالضعيف لضعفه يعرض عما لا يراه
و لا يحسه لغيته ، وكان من أضاع الصلاة كان لما سواها أضيع ، وكان
من باشرها ربما ظن النجاة و لو كانت مباشرة لها على وجه الرياء
١٠ أو غيره من الأمور المحبطة للعمل ، عبر بالوصف تعميما و تعليقا للحكم
به و شق من الصلاة تحذيرا من الغرور ، و إشارة إلى أن الذي أثمر له
تلك الخساسة هو ما تقدم من الجرى مع الطبع الردي ، و آتى بصيغة
الجمع تنبيها على أن الكثرة ليست لها عنده عزة لأن إهانة الجمع مستلزمة
لإهانة الأفراد من غير عكس فقال : ﴿ للصليين ﴾ و لما كان الحكم إنما
١٥ هو [على ذات الموضوع من غير اعتبار لوصفه بالفعل علم أن المقصود
إنما هو - '] من كان مكلفا بالصلاة لأن من كان متلبسا بها مثل قوله

(١) زيد من ظ و م (٢) في ظ و م : حال (٣) زيدت الواو في الأصل
و لم تكن في ظ و م فحذفنا (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : على (٥) من ظ
و م ، وفي الأصل : اشار (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : لأن .

صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار ، فذلك وصفهم بقوله : ﴿ الذين هم ﴾ أى بضائرهم و خالص سرائرهم . ولما كان المراد تضييعهم قال : ﴿ عن ﴾ دون " فى " ﴿ صلاتهم ﴾ أى هى جديرة بأن تضاف إليهم لوجوبها عليهم و إيجابها لأجل مصالحهم و منافعهم بالتركية وغيرها ﴿ ساهون ﴾ أى عريقون فى الغفلة عنها و تضييعها و عدم المبالاة بها . و قلة الالتفات إليها ، و يوضح ذلك أن ابن مسعود رضى الله عنه قرأ " لاهون " و فائدة التعبير بالوصف الدلالة على ثبوته لهم ثبوتا يوجب أن لا يذكروها من ذات أنفسهم أصلا ، و لذلك كشفه بما بعده ، روى البغوى أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن الآية فقال : هو إضاعة الوقت^٢ ، / و عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : هم المنافقون يتركون ١٠ / ٨٦٣ الصلاة إذا غابرا و يصلونها إذا حضروا مع الناس .

و لما كان من كان بهذه الصفة لا نظر له لغير الحاضر كالبهايم ، قال دالا^٢ على أن المراد^٢ بالسهو ههنا تضييعها عند الانفراد بالترك حسا و معنى و عند الاجتماع بالإفساد فى المعنى : ﴿ الذين هم ﴾ أى بجملة سرائرهم ﴿ يراؤون ﴾ أى بصلاتهم و غيرها يرون^١ الناس أنهم يفعلون ١٥ الخير ليراهم الناس فيروهم الثناء عليهم و الإحسان إليهم ولو بكف ما هم

(١) راجع للعالم ٧ / ١٤٩ (٢) زيد فى الأصل : انتهى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : عنها (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : عنها (٥) زيد فى الأصل : الاجتهاد و ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : يورون .

يستحقونه^١ من السيف عنهم، لا لرجاء الثواب ولا لمخوف العقاب من^٢
الله سبحانه و تعالى، ولذلك يتركون الصلاة إذا غابوا عن الناس .

و لما كان من كان بهذه الصفة ربما فعل قليل الخير دون جليله
رياء^٣، بين أنهم غلب عليهم الشح حتى أنهم مع كثرة الرياء منهم لم يقدرُوا
ه على أن يراؤا بهذا الشيء التافه، فانسلخوا من جميع خلال المكارم،
فقال إبلاغا في ذمهم إشعارا بأن أحب الخلق إلى الله انفعهم لعياله :
(و يَمْنَعُونَ) أى على نحدد الأوقات، و حذف المفعول الأول تعمما
حتى يشمل كل أحد وإن جل و عظمت منزلته و لطف محله من قلوبهم^٤

تعريفا بأنهم بلغوا من الرذالة دركة^٥ ليس وراءها للحسد^٦ موضع
١٠ (و الماعون ع) أى حقوق الأموال و الشيء اليسير من المنافع مثل إعاره
التافه من متاع البيت التى جرت عادة الناس أن يتعاوروه بينهم،
و يَمْنَعُونَ أهل الحاجة ما أوجب الله لهم فى أموالهم من الحقوق،
و الحاصل أنه ينبغي حل ذلك على منع ما يجب بذله مثل فضل^٧ الكلاء
و الماء و الزكاة و نحوه ليكون موجبا للويل، و على الزكاة حمله على ابن
١٥ عمر رضى الله عنهما و الحسن و قتادة، قال العلماء : هو مأخوذ من المعن،

(١) من ظ و م، و فى الأصل : فيه مستحقون (٢) من ظ و م، فى الأصل :
عن (٣) إزيد فى الأصل : لهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٤) - فقط
من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل : قولهم (٦) من ظ و م، و فى
الأصل : درجة (٧) فى ظ : للحسن (٨) من ظ و م، و فى الأصل : فضلا .

و هو فى اللغة الشئ اليسير، و لذلك فسرہ بعضهم [بالماء - '] و بعضهم بما يعار من المتاع نحو القدر و الفأس. و الدلو. و بعضهم بالزكاة لانه [لا - '] يؤخذ من المال على وجه الزكاة إلا شئ. يسير جدا بالنسبة إليه، و قيل : هو كل عطية أو منفعة، و قال قطرب : هو فاعول من المعن، و المعن : المعروف، و قال أبو عبيدة : الماعون فى الجاهلية العطاء و المنفعة ٥ و فى الإسلام الزكاة، و قال الهروى : قال ابن عباس رضى الله عنهما : هو العارية - ذكر هذا الأستاذ عبد الحق الإشبلى فى كتابه الواعى، و قال ابن جرير* : و أصل الماعون من كل شئ منفعة. فدل ذلك على أنهم بلغوا نهاية التكذيب باستهانتهم بأعظم دعائم الدين و استعظامهم لأدنى أمور الدنيا، و هذا الآخر كما ترى هو الأول لأن الذى جر إليه هو ١٠ التكذيب. و من منع هذه الأشياء التافهة كان جديرا بأن يمنع ورود الكوثر فى يوم المحشر، و كما التقى آخرها بأولها التقت السورة / كلها ٨٦٤ / مع مناظرتها فى العدد من أول القرآن، و ذلك انه قد علم أن حاصل هذه السورة الإبعاد عن سفساف الأخلاق و رديها و ذنبها من التكذيب

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل : بشئ (٣) من ظ و م، و فى الأصل : ذلك (٤) فى م : الإمام (٥) راجع جامع البيان ١٧٥/٣٠ (٦) من ظ و م، و فى الأصل : بما عظم (٧) من م، و فى الأصل و ظ : الدين (٨) زيدت الواو فى الأصل و ظ، و لم تكن فى م لحذفها (٩ - ٩) من ظ و م، و فى الأصل : السوان بالمعصم كله .

بالجزاء الذى هو حكمة الوجود^١ المثمر للاعراض عن الوفاء بحق الخلائق
و طاعة الخالق، و الانجذاب مع النقائص إلى الاستهانة [بالضعيف-^٢]
الذى لا يستهين به إلا أنذل الناس و أرذلهم، و الرياء الذى لا يلم به إلا من
كان فى غاية الدناءة، فكان ذلك موجبا لليل إلى أعظم الويل، و [فى-^٣]
ذلك أعظم مرغب فى معالى الأخلاق التى هى أضداد ما ذكر فى السورة،

و كلا الأمرين موجود فى الانفصال المناظرة لها فى رد المقطع على المطلع
على أتم وجه، ليسكون ذلك إشارة إلى أنها شارحة لهذا فقيه الإيماء إلى
ملاحظتها عند قراءتها، انظر إلى قوله تعالى "الذين يقيمون الصلاة" و بما
رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا" الآية^٤ "و إذ قالوا اللهم ان
١٠ كان هذا هو الحق من عندك" الآية "و ما كان صلاتهم عند البيت

الامكاه و تصدية" "و الذين كفروا إلى جهنم يحشرون" [الآية-^٥] "فان لله
خمسه و للرسول و لذى القربى و اليتامى و المساكين و ابن السبيل"
الآية "الم ترالى الذين خرجوا من ديارهم بطرا و رياء الناس" الآية،
و لقد انطبقت السورة بمعانيها و تراكيبها العظيمة و نظومها و مبانيها
١٥ على الاراذل الأدنياء الأسافل، و أحاطت برؤسهم بعد كلماتها مفردة
قبل حروفها، و أدارت عليهم كؤوس حنوفها من نوافذ الرماح بأيدى.

(١) من ظ و م، وفى الأصل: الوجود (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد فى
الأصل و ظ: و يؤتون الزكاة، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فخذناها (٤) من
ظ و م، وفى الأصل: الآيات (٥) من ظ و م، وفى الأصل: خروجها.

جنودها ومواضى سيوفها، وذلك أن عدة كلماتها خمس وعشرون كلمة،
 فإذا اعتبرتها من أول سقى [النبوة وازت السنة الثانية عشرة من - ١]
 الهجرة، وذلك أو آخر^٢ خلافة الصديق رضى الله عنه، وفيها لم يبق
 على يده^٣ أحد من المصلين الذين ارتدوا عن الإسلام بعد وفاة النبي صلى الله
 عليه وسلم أو منعوا الزكاة، فبين أنهم ما كانوا يصلون في حياته صلى الله
 عليه وسلم ويزكون لإلراية الناس فعل الأدنياء الانجاس حتى حل بهم
 الويل بأيدي جنود الصديق الذين جاؤهم بالرجل والخيل فزقوم عن
 آخرهم، ولم تمض تلك السنة إلا وقد فرغ منهم بالفراغ من بني حنيفة
 بالهامة وأطراف بلاد اليمن من أهل النجير ببلاد كندة والأسود العنسى
 من صنعاء، وما مضت سنة ست عشرة الموازية لعدد 'الكلمات بالبسمة' ١٠
 - وذلك في أوائل خلافة الفاروق - حتى زالوا من [جميع - ١] جزيرة
 العرب وهم مشركو العرب ومتصروهم وتمعسوم الذين كانوا بنواحي
 العراق والشام والبحرين فأسلم أكثرهم، وذهب الباقيون إلى بلاد الروم،
 فخل الويل بالمرائين من أهل الصلاة فاهم الذين آتى إليهم نبيهم صلى الله
 عليه وسلم [بالصلاة - ٠] فأعرضوا عنها^٤ والناس لهم تبع، ولم يصح ١٥
 في هذه السورة اعتبار الضمائر لأن الدين في هذا الحد كان قد ظهر على

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، وفي الأصل: أول (٣) من م، وفي
 الأصل: يد، والكلمة ساقطة من ظ (٤ - ٤) من ظ و م، وفي الأصل:
 كلمات البسمة (٥) زيد من م (٦) من م، وفي الأصل و ظ: عنه.

كل ظاهر، إلى حد لا إضمار [فيه-'] بوجه ولا عائق له ولا سائر، وكما
 أنه لا حاجة إلى الرمز بالضاهر، لما دقت له في الحائقين من البشار، على
 رؤس المنابر / والمنائر، فكذلك لم يناسب بعد الوصول إلى هذا الحال / ٨٦٥
 المكشوف، الإيماء بالدلالة بأعداد الحروف -^٢ والله أعلم بالصواب، وإليه
 المرجع والمآب^٢ .

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) سقط ما بين الرقین من ظ و م .

سورة الكوثر ' وتسمى النحر '

مقصودها المنحة بكل خير يمكن أن يكون ، واسمها الكوثر واضح في ذلك ، وكذا النحر لأنه معروف في نحر الإبل^٢ ، وذلك غاية الكرم عند العرب ﴿ بسم الله ﴾ الملك الأعظم الجواد الأكرم [الذى - '] لا حد لغنائض فضله ﴿ الرحمن ﴾ الذى شمل الخلاق بجوده^٣ وفات يبنهم^٤ فى صوب وبله ﴿ الرحيم ﴾ الذى خص حزبه بالاهتداء بهديه والاعتصام بحبله .

لما^٥ كانت سورة الدين بإفصاحها ناهية عن مساوئ الأخلاق ، كانت بإفهامها^٦ داعية إلى معالى الشيم .^٧ فجاءت الكوثر^٨ لذلك ، وكانت الدين قد ختمت بأجل البخل والخلا وأدنى الخلاق : المنع تنفيرا من البخل ومماجره^٩ .
من التكذيب ، فابتدئت الكوثر بأجود الجود . العطاء لأشرف الخلاق رغبيا فيه وندبا إليه ، فكان كأنه قيل : أنت يا خير الخلق غير متلبس بشئ . مما نهت^{١٠} عنه تلك المختمة بمنع الماعون : ﴿ أنا ﴾ بما لنا من العظمة ،

- (١) الثامنة والمائة من سور القرآن الكريم ، مكية ، وعدد آياتها ٣ (٢-٢) سقط بين الرقين من ظ (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : الاب (٤) زيد من ظ و م .
(٥) من ظ و م ، وفى الأصل : بوجوده (٦) من م ، وفى الأصل و ظ :
ولما (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : بإفهامها (٨ - ٨) من ظ و م ، وفى الأصل : فكانت بمجيئها (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : غيت - كذا .

و أكد لأجل تكذيبهم^١ : ﴿ اعطيناك ﴾ أى حولناك مع التمكين^٢ العظيم ،
ولم يقل : آتيناك ، لأن الإيتاء أصله الإحضار وإن اشتهر فى معنى^٣ الإعطاء .
﴿ الكوثره ﴾ الذى هو من جملة الجود على المصدقين يوم الدين .

و لما كان كثير الرئيس أكثر من كثير غيره ، فكيف بالملك فكيف
بملك الملوك ، فكيف إذا أخرجه^٤ فى صيغة^٥ مبالغة فكيف إذا كان فى
مظهر العظمه ، فكيف إذا بنيت الصيغة على الوار الذى له العلو والغلبة
فكيف إذا أتت أثر الفتحه التى لها من ذلك [مثل ذلك -^٦] بل أعظم ،
كان المعنى : أفضنا عليك وأبجناك من كل شيء من الاعيان و المعانى
من العلم و العمل و غيرهما من معادن الدارين و معاونهما الخير الذى
١٠ لا غاية له ، فلا يدخل تحت الوصف ، فأغنياك عن أن تؤثر بذلك
أو توفر مالك بجلب نفع أو دفع ضرر ، ومنه النهر^٧ الذى فى الجنة ويسقى
المؤمنين من الحوض الممدود [منه -^٨] فى المحشر الذى مثاله فى الدنيا
شريعته صلى الله عليه وسلم التى عراها وأسبابها عدد النجوم الذين هم
علماء أمته [المقتدى بهم ، فقد اجتمع لك الغبطتان : أشرف العطاء
١٥ من أكرم المعطين -^٩] وأعظمهم .

وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما نهى عباده عما يلتذ به من

(١) زيد فى الأصل و ظ : أى ، ولم تكن الزيادة فى م لفظناها (٢) من
ظ و م ، وفى الأصل : التمكن (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : منع .
(٤-٥) م م ، وفى الأصل : بصفة ، وفى ظ : بصفة (٥) زيد من م (٦) من
ظ و م ، وفى الأصل : النهى (٧) زيد من ظ و م .

أراد الدنيا وزينتها من الإكثار والكبر والتعزز بالمال والجاه وطلب الدنيا، أتبع ذلك بما منح بنيه مما هو خير مما يجمعون، وهو الكوثر وهو الخير الكثير، ومنه ' الحوض الذي رده أمته في القيامة، لا يظلم من شرب منه /، ومنه مقامه المحمود الذي يحمده^٢ فيه الأولون والآخرون ٨٦٦ / عند شفاعته العامة للخلق^٣ وإراحتهم من هول الموقف، ومن هذا الخير ه ما قدم له في دنياه من 'تحليل الغنائم' والنصر بالرعب و الخلق العظيم إلى ما لا يحصى من خيري^٤ الدنيا والآخرة مما ببض ذلك خير من الدنيا وما فيها إذ لا تعدل الدنيا وما فيها واحدة من هذه العطايا "قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون" و من الكوثر والخير الذي أعطاه الله كتابه المبين، الجامع لعقل الأولين والآخرين، ١٠ والشفاء [١١ - ٦] في الصدور .

ولما كمل له سبحانه من النعم ما لا يأتي عليه حصر مما لا يناسب أدناه نعيم الدنيا بحملتها، قال مينا [له - ١] منها على عظيم ما أعطاه "لا تمدن عينيك إلى ما متعنا" إلى قوله "ورزق ربك خير وابقى" فقد اضمحل في جانب نعمة الكوثر الذي أوتي كل ما ذكره الله تعالى ١٥ في الكتاب من نعيم أهل الدنيا وتمكن^٥ من تمكن منهم، وهذا أحد

(١) من م، وفي الأصل وظ : هو (٢) من ظ و م، وفي الأصل : يحمد .
(٣) من م، وفي الأصل وظ : الحق (٤ - ٤) من ظ و م، وفي الأصل :
جليل الغناء (٥) في ظ و م : خير (٦) زيد من ظ و م (٧) زيدت الواو في
الأصل وظ ولم تكن في م فحذفناها (٨) من ظ و م، وفي الأصل : تمكين .

موجبات تأخير هذه السورة، فلم يقع بعدها ذكر شيء من نعيم الدنيا ولا ذكر أحد من المتنعمين بها لانقضاء هذا الغرض وتمامه، وسورة الدين آخر ما تضمن الإشارة إلى شيء من ذلك كما تقدم من تمهيد إشاراتها، وتبين بهذا وجه^١ تعقيبها بها - والله تعالى أعلم - انتهى .

٥ ولما أعطاه ما فرغه^٢ به للعبادة^٣ وأكسبه غنى لا حاجة معه، سبب عنه قوله آمرا بما هو جامع لمجامع الشكر: ﴿فصل﴾ أى بقطع العلائق من^٤ الخلائق بالوقوف بين يدي^٥ الله فى حضرة المراقبة شكرا لإحسان^٦ المنعم خلافا للساهى عنها والمرأى فيها .

و [لما - ٦] أتى بمظهر العظمة لتكثير العطاء فتسبب عنه الأمر بما ١٠ للملك من العلو، وكان أمره صلى الله عليه وسلم تكوينيا لا إباء معه، وقع الالتفات إلى صفة الإحسان المقتضى للترغيب، والإقبال لما يفيد من التحبيب، مع التصريح بالتوحيد، وإفادة أن العبادة لا تقع إلا شكرا^٧ فقال تعالى: ﴿لربك﴾ أى المحسن إليك بذلك سرا و علنا مراغما من شئت فلا سبيل لأحد عليك ﴿وانحره﴾ أى أنفق له السكوثر من المال ١٥ على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنعهم الماعون لأن النحر أفضل نفقات

(١) من م، وفى الأصل و ظ : الوجه (٢ - ٢) من م، وفى الأصل : منه للعباد، وفى ظ : للعبادة (٣) من ظ و م، وفى الأصل : عن (٤) زيد فى الأصل و ظ : حضرة، ولم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٥) من ظ و م، وفى الأصل : لانعام (٦) زيد من م (٧) من م، وفى الأصل و ظ : شكر .

العرب لأن الجزور الواحد يغني مائة مسكين، وإذا أطلق العرب المال انصرف إلى الإبل، ولذا^١ عبر عن هذا المراد بالنحر ليفهم الزجر عما كانوا يفعلونه من الذبح للأوثان، ومن معناه أيضا أظهر الذل والمسكنة والخشوع في الصلاة بوضع اليمنى على اليسرى تحت النحر هيئة الدليل الخاضع، وقد^٢ قابل في هذا أربعا / من سورة الدين بأربع، وهي البخل ٥ / ٨٦٧ / بالإعطاء، وإضاعة الصلاة بالأمر بها، والرياء بالتخصيص بالرب، ومنع الزكاة بالنحر.

ولما أمره باستغراق الزمان في عبادة الخالق، والإحسان إلى الخلائق بأعلى الخلاق، علله بما حاصله أنه لا شاغل له ولا حاجة أصلا تلم به فقال: (ان شئت) أي مبغضك والمتبرئ منك والمستهين ١٠ بك مع ما أوتيت من الجمال، والخصال الفاضلة والكمال (هو) أي خاصة (الابترع) أي المقطوع من أصله والمقطوع النسل والمعدم والمقطع الخير والبركة والذكر، لا يعقبه من يقوم بأمره ويذكر به وإن جمع المال، وفرغ بدنه لكل جمال، وأنت الموصول الأمر، التابه الذكر، المرفوع القدر، فلا تلتفت إليهم بوجه من الوجوه، فانهم أقل ١٥ من أن يبالى بهم من يفرغ نفسه للفوز بالمثل في حضراتنا الشريفة،

(١) في ظ: لعله (٢) زيد في الأصل: قال، ولم تكن الزيادة في ظ وم
 فحذفناها (٣) زيد في الأصل: له، ولم تكن الزيادة في ظ وم فحذفناها
 (٤-٥) من ظ وم، وفي الأصل: في المثل (٥) زيد في الأصل: والانتعار،
 ولم تكن الزيادة في ظ وم فحذفناها.

و الافتخار بالعكوف في أبوابنا العالية المنيفة ، لك ما أنت عليه ، ولهم
 ما هم فيه ، فالآية الأخيرة ' النتيجة لأن من الكوثر علو أمره و أمر
 محبه و أتباعه في ملكوت السماء و الأرض و نهر الجنة و سفول شأن
 عدوه فيها ، فقد التف ' كما ترى مفصلها بموصلها ، و عرف آخرها من
 أولها ، و علم أن وسطاها كالحدود الوسطى معانقة للأولى بكونها من ثمارها ،
 و متصلة بالآخرى لأنها من غايات مضمارها ، و قد صدق الله و من
 أصدق من الله قولا^٢ ، لم يبق لأحد من مبغضيه ذكر بولد و لا تابع ،
 و لا يوجد [لهم - '] شاكر و لا مادم^٣ و لا رافع ، و أما هو صلى الله عليه
 و سلم فقد ملأت ذريته من فاطمة الزهراء الأرض ، و هم الإشراف
 ١٠ مع مبالغة الملوك في قتلهم ، و إخلاء الأرض من نسلهم ، خوفا من شرفهم
 العالی على شرفهم ، و رفعتهم بالتواضع [الغالب - '] لصلفهم ، و إذا
 راجعت آية " ما كان محمد أباحد من رجالكم و لكن رسول الله "
 من الأحزاب علمت أن توفي بنيه عليهم السلام قبله من إعلاء قدره
 و مزيد تشريفه بتوحيد ذكره ، و أما أتباعه فقد استولوا على أكثر
 ١٥ الأرض و هم أولو الفرقان ، و العلم الباهر و العرفان ، و يؤخذ منها أن
 من فرغ نفسه لربه أهلك عدوه و كفاه كل واحد منهم ، و قد علم

(١) من ظ و م ، و في الأصل : الآخرة (٢) من ظ و م ، و في الأصل :

التفت (٣) زيد في الأصل : و من أصدق من الله حديثا ، و لم تكن الزيادة في

ظ و م لحذفها (٤) زيد من ظ و م (٥) من م ، و في الأصل و ظ : مادم .

(٦) سقط من ظ و م .

أن حاصل هذه السورة المن عليه صلى الله عليه وسلم بالخير العظيم الذى من جلته النهر المادّ من الجنة فى المحشر المورد لمن اتبعه، المنوع من تأبى عنه و قطعه، و أمره بالصلاة و النحر للتوسعة على المحايج، و البشارة بقطع دابر أعدائه و نصر جماعة أوليائه. كما أن من مقاصد الأعراف المناظرة لها فى رد المقطع على المطلع^٢ تهديد الظالمين^٣ بالإهلاك^٥ فى قوله "وكم من قرية أهلكناها" - الآية. و تصوير ذلك بذكر مصارع^٢ الماضين لمخالفتهم الرسل عليهم الصلاة والسلام و الأمر بالصلاة و ستر العورة و ما يقصد بالنحر بقوله "خذوا زينتكم عند كل مسجد و كلوا و اشربوا" الآيات، و ذكر من يمنح ماء / الجنة و من يمنعه بقوله تعالى "و نادى أصحاب النار أصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله" - الآيات، و قوله تعالى "ورحمى وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون و يؤتون الزكاة و الذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يمدونه مكتوبا عندهم" الآيات^٤ - هذا ما يتعلق بتفسير تراكيبها و جملها، و "تأويل تفاصيلها" و مجملها، و كذا نظيرتها فى مبادئ أمرها و مكملها، ثم إن هذه السورة عشر كلمات فى الكتابة^٦ ١٥ إشارة إلى أن [تمام - '] بتر شائه يكون مع تمام السنة العاشرة من

(١) من ظ و م، وفى الأصل: اتبع (٢-٢) من ظ و م، وفى الأصل: تهديدا للظالمين (٣) من ظ و م، وفى الأصل: مصادع (٤) فى ظ و م: الآية. (٥-٥) من ظ و م، وفى الأصل: تفصيل تأويلها (٦) من ظ و م، وفى الأصل: الكتاب (٧) زيد من ظ و م.

الهجرة، وكذا كان، لم تمض السنة الحادية عشرة من الهجرة و في جزيرة العرب إلا من يرى أشرف أحواله بذل نفسه و ماله في حبه، وإذا أضفنا إليها الضميرين المستترين كانت^١ اثنتا عشرة، وفي السنة الثانية عشرة من النبوة بايعه صلى الله عليه وسلم الأنصار [على منابذة الكفار، وإذا أضيف إلى العشرة الضمائر البارزة الخمسة كانت خمس عشرة، فتكون إشارة • إلى أنه صلى الله عليه وسلم -^٢] عند تمام السنة الخامسة عشرة من نبوته ييسر يده العالية لبر أعدائه و^٣ كذا كان^٤ في رقعة بدر الرفيعة القدر، ففي ضمائر الاستتار كانت البيعة و هي مستترة، وفي الضمائر البارزة كانت بدر و هي مشتهرة، وإذا أضيف إلى ذلك الضميران المستتران ١٠ كانت سبع عشرة، وفي السنة السابعة عشرة من نبوته كانت غزوة بدر الموعد، وفي [فيها -^٥] النبي صلى الله عليه وسلم بالوعد^٦ في الإتيان^٧ إلى بدر للقاء قريش للقتال و مقارعة الأبطال، فأذنهم الله فلم يأتوا، وإنما اعتبر ما بعد الهجرة من أحوال النبوة [عند ما عدت الكلمات الخطية العشر لكونها أقوى أحوال النبوة -^٨] كما^٩ أن الكلمات الخطية ١٥ أقوى من الضمائر وإن اشترك الكل في اسم الكلمات، فلذلك أخذ تمام البتر للشأن^{١٠} وهو ما كان في السنة الحادية عشرة من هلاك^{١١} أهل الردة وثبات العرب في صفة الإسلام. ولما ضمت الضمائر البارزة

(١) من ظ و م، وفي الأصل: كانتا (٢) زيد من ظ و م (٣-٢) من م، وفي الأصل و ظ: كان كذلك (٤-٤) من ظ و م، وفي الأصل: إلى إتيان. (٥) زيد في الأصل: ترى، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م، وفي الأصل: اهلاك.

الخسة - التي هي أقرب من المسترة - إلى الكلمات الخطية [و أضعف من الكلمات الخطية - ^١] اعتبر من أول السورة لمناسبة ما كان من ضعف الحال فيما كان ^٢ قبل الهجرة، فوازي ذلك السنة الثانية من الهجرة التي كانت ^٣ فيها غزوة بدر الكبرى، وهي وإن كانت من العظم على أمر بالغ جدا لكنها كانت على وجه مخالف للقياس، فإن حال الصحابة هـ رضى الله عنهم كان [فيها - ^١] في غاية الضعف، ولكونها أول ما وقع فيه ^٤ النصر من الغزوات لم تكن نفوس المخالفين مذعنة لأن ما بعدها يكون مثلها، فاذا ضم ^٥ إلى ذلك الضميران المستتران - وهما أضعف [من - ^١] البارز - انطبق العدد على سنة غزوة بدر الموعد في سنة أربع، وهي وإن كانت قوية لكون قريش ضعفوا عن اللقاء ١٠ لكن [كان - ^١] حالها أضعف من بدر التي وقع فيها القتال وأستر، وكون كلماتها الخطية و الاصطلاحية التي هي أبعاض الكلمات الخطية سبع عشرة مؤذن بأن الأمر في "فصل" مصوب بالذات و بالقصد الأول إلى الصلوات الخمس التي / هي ^٦ سبع عشرة [ركعة - ^١]، وأن من ثابر عليها [كان - ^١] مصليا خارجا من عهدة الأمر، فاذا قصدت ١٥ [في - ^٢] السفر بما اقتضته صفة الترية ^٧ بالإحسان نقصت بقدر عدة

- (١) زيد من ظ وم (٢) سقط من ظ وم (٣) من م، وفي الأصل وظ : كان.
 (٤) من م، وفي الأصل وظ : فيها (٥) من ظ وم، وفي الأصل : انضم .
 (٦) زيد في الأصل : سنة، ولم تكن الزيادة في ظ وم لحذفناها (٧) زيد من م (٨) من ظ وم، وفي الأصل : الربوية .

الضئار سوى الذى 'وفى الامر' بها لان الامر الناشئ عن مظهر العظمة لا يليق فيه التخفيف بنفس كلمة الامر، وإذا أضفنا إليها كلمات البسلة الأربع كان لها أسرار كبرى من جهة أخرى، وذلك أن الكلمات الخطية تكون أربع عشرة إشارة إلى أن ابتداء البئر للاضداد يكون بالقوة القريبة من الفعل^٢ بالتهبى له^٢ فى السنة الرابعة عشرة من النبوة، وذلك عام الهجرة، فاذا أضفنا إليها^٣ الضئار البارزة التى هى أقرب إلى الكلمات الخطية وهى خمسة كانت تسع عشرة، وفى السنة التاسعة [عشرة -^٤] من النبوة وهى السادسة من الهجرة كان الفتح المبين على الشائين الذى أنزل الله فيه^٥ سورة الفتح، فاذا أضفنا إليها الضميرين المستترين كانت^٦ ١٠ إحدى وعشرين وهى سنة ثمان من الهجرة سنة الفتح الأكبر الذى عم العلم فيه بأن الشائى^٧ هو الأبر، وإذا اعتبرت حروفها المتلفظ بها كانت أربعة وأربعين حرفاً، فاذا ناظرناها بالسنين من أول حين النبوة كان آخرها سنة إحدى وثلاثين من الهجرة. وهى سنة البئر الأعظم لشائته الأكبر الذى مزق كتابه، وكان^٨ مالكا لبلاد اليمن، وهو قدر كبير ١٥ من بلاد العرب وكذا لغيرهم مما قارب بلاده. وكانت قريش تجعله من عدادهم كما مضى بيانه فى سورة الروم وهو كسرى^٩ ملك الفرس،

(١-١) من ظ و م، وفى الأصل: بالامر (٢-٢) من ظ و م، وفى الأصل: بالتهويل (٣) من ظ و م، وفى الأصل: اليه (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، وفى الأصل: فيها (٦) من ظ و م، وفى الأصل: كانتا (٧) تكرر فى الأصل فقط (٨) من ظ و م، وفى الأصل: كسر.

ففيها كان انقراض ملكهم بقتل آخر ملوكهم يزدجرد، كما أنك إذا
اعتبرت كلماتها الخطية مع الضمائر البارزة التي هي كلمات اصطلاحية
دون ما استتر - فان وجوب استتاره منع [من - ١] عده - كانت تسع عشرة
كلمة. فاذا اعتبرت بها ما بعد الهجرة وازت وقت موت قيصر طاغية
الروم في سنة تسع عشرة من الهجرة أهلكه الله، وقد تجهز إلى قتال
العرب بالإسكندرية بنفسه، وأمر ألا يتخلف عنه أحد من الروم
فكسر الله بموته شوكة الروم، واستأسدت العرب عند ذلك، فكانت
الأحرف مشيرة إلى بئر الشاني من الفرس، و [الكلمات مشيرة إلى
بئر الشاني من الروم، و [والفرس - ١] أولى بإشارة الأحرف لأنهم ليسوا
بذوى علم، و الروم بالكلمات لأنهم أهل علم، و الكلمات أقرب إلى
العلم، و إذا اعتبرت أحرف البسملة اللفظية كانت ثمانية عشر حرفاً، فاذا
جعلتها سنين^١ من أول النبوة كان آخرها سنة خمس من الهجرة، و فيها
كانت غزوة الأحزاب، قال النبي صلى الله عليه وسلم بعد انصرافهم منها
«الآن نغزوم و لا يغزونا، فهو أول أخذ الشاني في الانتصار^٢، و إذا
اعتبرت الأحرف بحسب الرسم كانت تسعة / عشر آخرها سنة ست، ١٥ / ٨٧٠
و هي عمرة الحديبية سنة الفتح السببي و هو الصلح الذي نزلت فيه سورة
الفتح و سماه الله فتحاً، و قال النبي صلى الله عليه وسلم : لأنه أعظم الفتح
(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و في الأصل : سبعين (٣) من ظ
و م، و في الأصل : الانتصار .

فكان سبب الفتح الأعظم بخاططة الكفار لأهل الإسلام بالصلح، فأسرعوا
إلى الإسلام بالدخول فيه لما رأوا من محاسن الدين و إعجاز القرآن،
فكانوا يوم الفتح عشرة آلاف بعد أن كانوا قبل ذلك بستين يوم
الحديبية ألفا و أربعمئة - والله الموفق، هذا يسير من أسرار هذه السورة
٥ و قد علم منه من إعجازها ما يشرح الخواطر و يبهج النواظر، لأنه يفوق
حسنا على الرياض النواضر، و علم أيضا جنون الخبيث المسخرة مسيلة
الكذاب - عليه اللعنة و التباب، و له سوء المنقلب و المآب، حيث
قال في معارضتها : انا أعطيناك الجاهر، فصل لربك و هاجر، إنا كفييناك
المكار أو المجاهر، لأنه كلام، مع أنه قصير المدى، ركيك اللحم و السدى،
١٠ غريق الساحة و الفنا في الهلك و الفنا، ليس فيه غنى، بل كله نصب
و عنا، هلهل النسيج رث القوى، متفصم العرى، متخلخل الأرجا، فاسد المعنى
و البنا، سافل الالفاظ مر الجنا، لأن العلل منافية للعلولات، و الشوامل
منافرة للشمولات، ثم رأيت في دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر
الجرجاني أن الوسطى من قال : العاهر و جاهر فان كان بالدين لم يمنع
١٥ الصدح بالباطل، و ذلك لا يرضاه عاقل، و إن كان بالحرب كان على
النصف لكل من تدبر فعرى، و لانص فيه على الغلب بمطلوبه، و لا طلب

(١) زيد في الأصل : من، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٢) من م،
و في الأصل و ظ : ان (٣) زيدت الواو في الأصل، و لم تكن في ظ و م
لحذفها (٤) في الأصل بياض ملاءم من ظ و م (٥) من م، و في الأصل
و ظ : في الدين .

مع نقص الجود على كل تقدير، الذى هو المقصود للفقير، والمأمور
والأمير، هذا مع الإغارة على الأسلوب والحذر على المعهود غير محاذ
"فى القصاص حياة" فى إسقاط "القتل أننى للقتل" بالرشاقة مع
الوجازة، والعذوبة مع البلاغة، فى إصابة حاق المعنى بما يقود إلى
السماح^١ بالنفس، ويحمل على المبادرة إلى امثال الأمر، و الأولى من هـ
سحيق عقل الخسيف، وأكله؟ إلى الخلق مع نقصان المعنى السار للأسرار
والأخرى مهملة^٢ لذوى الشبه^٣ والستر مع ما فاتها من قصر الخسار
وخصوص التبار إلى ما حوت من بيان الكذب البتار للأعمار المخرب
للديار تصديقا للنبي صلى الله عليه وسلم البار بأيدي صحابته الأخيار^٤، إن
فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار - فسبحان من علا فعلا كلامه كل كلام، ١٠
والسلام^٥ والحمد لله على كل حال^٥ .

(١) من م، وفى الأصل و ظ : الساحة (٢ - ٢) من م، وفى الأصل
و ظ : لذى الشبهة (٣) من م، وفى الأصل و ظ : الخيار (٤ - ٤) سقط إما
بين الرئين من ظ و م .

سورة الكافرون^١ وتسمى الإخلاص والمقشقة/ ٨٧١ / مقصودها إثبات مقصود الكوثر بالدليل^٢ الشهودى على منزلها كامل العلم

شامل القدرة لأنه المنفرد بالوحدانية، فلذلك لا يقاوى من كان معه،
ولذلك لما نزلت قرأها صلى الله عليه وسلم [عليهم -] في المسجد أجمع
ه ما كانوا، وهذا المراد بكل من أسمائها. أما الكافرون فن وجهين، ناظر

إلى إثبات، و ناظر إلى نفي، أما المثبت فن حيث أنه إشارة إلى تأمل جميع
السورة من إطلاق البعض على الكل، وأما النافي فن جهة أنهم إنما كفروا^٣
بانكار ما هو مقصودها إما صريحا كالوحدانية وتمام القدرة، وإما
لزوما وهو العلم فانه يلزم من نقص القدرة نقصه، وأما الإخلاص
١٠ فلائن من اعتقد ذلك كان [مؤمنا -] مخلصا بريئا من كل شرك

و^٤ كل كفر، وأما المقشقة فلائها أبرأت من كل نفاق وكفر، من
قولهم: تقشقت قروحه - إذا تقشرت للبر، وعندى أنه من الجمع
أخذا من القش الذى هو تطلب المأكول من ههنا و ههنا فانهما جمعت

(١) التسعة و المائة من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آياتها ٢ (٢) من ظ
وم، وفى الأصل: بابل (٣) زيد من م (٤) من م، وفى الأصل وظ:
من كل (٥) زيد فى الأصل: انه، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فخذناها.
(٦ - ٦) من ظ و م، وفى الأصل: ما كانوا (٧) زيد فى الأصل: من،
ولم تكن الزيادة فى ظ و م فخذناها.

جميع أصول الدين ، فاثبتتها على آتم وجه ، فلزم من ذلك أنها جمعت
جميع أنواع الكفر لحذفها ونقتها ، وقد تقدم تمام توجيه ذلك في
براءة ، فأمرهما دائر على الإخلاص ، و من المعلوم أن من أخلص لله
كان من اهل ولايته حقا ، فحق له ما يفعل الولي مع وليه ، ولذلك
- والله أعلم - سنت قراءتها مع " قل هو الله أحد " في ركعتي الفجر
ليحوز 'فاعل ذلك' بالبراءة من الشرك و الاتصاف بالتوحيد أول النهار ه
ثمرة ما ورد أن من صلى الصبح كان في ذمة الله ، و من كان كذلك
كان جديرا بأن ينال ما أشارت إليه السورتان اللتان بين سورتي
الإخلاص من الفتح له و النصر و الخيعة لعدوه و الخسر و الحسرة :
(بسم الله) المحيط علما و قدرة ، فهو الواحد الذي لا يستطيع أحد أن
يقدر قدره (الرحمن) الذي عم برحمته البيان من أوجب عليهم شكره ١٠
(الرحيم) الذي خص أهل وده فالتزموا 'نهيه و أمره' .
لما أخبره في الكوثر* أن العريق في شتائه عدم ، و جب أن يعرض
[عنه - '] و يقبل بكليته على من أنعم عليه بذلك ، فقال معلما له ما
يقول و يفعل : (قل) و لما كان شائه أعرق الخلق في الضلال و البعد
من الخير ، قال مناديا له بأداة البعد و إن كان حاضرا معبرا بالوصف ١٥

(١) زيد في الأصل : جميع ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها (٢ - ٣) من
ظ و م ، وفي الأصل : فاعلها (٣) من م ، وفي الأصل و ظ : برحمته .
(٤ - ٥) من ظ و م ، وفي الأصل : امره ونهيه (٥ - ٥) من ظ و م ، وفي
الأصل : أخبر بالكوثر (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : شائه (٧) زيد من ظ و م .

المؤذن بالرسوخ : ﴿يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ أي الذين قد حكم بثباتهم على الكفر، فلا انفكاك لهم عنه فستروا ما تدل عليه عقولهم من الاعتقاد الحق لو جردوها من أدناس الحظ، وهم كفرة مخصوصون وهم من حكم بموته على الكفر بما طابقه من الواقع، وبما دلت عليه التعبير بالوصف ١
 ٨٧٢ / ٥ دون الفعل، واستغرقت اللام كل من كان على هذا / الوصف في كل مكان و كل زمان، وإنما عبر بالجمع الذي هو أصل في القلة وقد يستعار للكثرة إشارة إلى البشارة بقلة المطبوع على قلبه من العرب المخاطبين بهذا في حياته صلى الله عليه وسلم وإشارة إلى حقارة الكافر وذلة وإن كان كثيرا - كما يشير إليه جعل كل كلمة منها بحرف من ١٠ الكوثر كما سيأتي، وفي مناداتهم بهذا الوصف الذي يستردلون في بلدتهم ومحل عزهم ٢ وحيثهم إيدان بأنه محروس منهم علما من أعلام النبوة.

وقال [الإمام - ٤] أبو جعفر ابن الزبير : لما انقضى ذكر الفريقين المتردد ذكرهما في الكتاب العزيز من أوله إلى آخره على اختلاف أحوال ١٥ كل فريق وشتى درجاتهم، وأعنى بالفريقين من أشير إليه في قوله سبحانه وتعالى "اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم" فهذا طريق أحد الفريقين، وفي قوله "غير المعضوب عليهم ولا الضالين"

(١) من م، وفي الأصل و ظ : من الوصف (٢) في ظ : يأتي (٣) من ظ وم، وفي الأصل : عزتهم (٤) زيد من ظ وم .

إشارة إلى طريق من كان في الطرف^١ الآخر من حال أولئك الفريق
إذ ليس إلا طريق السلامة أو طريق الهلاك "فريق في الجنة وفريق في
السعير"، "فمنكم كافر ومنكم مؤمن" والسالكون^٢ طريق السلامة فأعلى درجاتهم
مقامات الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ثم يليهم أتباعهم من
صالحى العباد وعلماهم العاملين وعبادهم وأهل الخصوص منهم والقرب^٥
من أحوال من تنسك منهم، ورتبتهم مختلفة وإن جمعهم جامع
وهو قوله "فريق في الجنة"، وأما أهل التشكك عن هذا^٢ الطريق وهم
الهالكون فعلى طبقات أيضا، [و-^٤] يضم جميعهم طريق واحد فكيفما
تشعبت الطرق فالى ما ذكر من الطريقين [مرجعهما -^٤]، وباختلاف
سبل الجميع^٥ عرفت [آى-^٤] الكتاب وفصلت، ذكر كله تفصيلا^{١٠}
لا يبق معه ارتياب لمن وفق، فلما انتهى ذلك كله بما يتعلق به، وتداولت
بيانه الآى من لدن قوله بعد أم القرآن "هدى للتقين" إلى قوله
"إن شئتكم هو الأبر" أتبع ذلك بالتفاصيل والتسجيل فقال تعالى "قل
يا أيها الكفرون"، فبين سبحانه أن من قضى عليه بالكفر والوفاة^٨
عليه لا سبيل له إلى خروجه عن ذلك، ولا يقع منه الإيمان أبدا "ولو^{١٥}
أتانا زنا لإيهم الملائكة وكلهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : طرف (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : كون .
(٣) من ظ ، وفي الأصل و م : هذه (٤) زيد من ظ و م (هـ-هـ) من ظ و م ،
وفي الأصل : سبيل الجمع (٦-٦) من ظ و م ، وفي الأصل : وقف (٧) من
ظ و م ، وفي الأصل : لما (٨) من ظ ، وفي الأصل و م : الموافة .

ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله“ و لو أنهم بعد عذاب الآخرة ومماينة
 'العذاب و' البعث وعظيم تلك الأهوال وسؤالهم الرجوع إلى الدنيا
 وقولهم "ربنا فارجعنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل" فلو^٢ أجيوا
 إلى هذا و^٣ رجعوا لعادوا إلى حالهم الأول "ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه"
 تصديقا لكلمة الله وإحكاما / لسابق قدره "افن حق عليه كلمة العذاب افانت
 تنقذ من في النار" فقال لهم "لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما
 اعبد" إلى آخرها، فبان أمر^٤ الفريقين وارتفع الإشكال، واستمر كل
 [على - °] طريقه "فلا تذهب نفسك عليم حشرات" [إن - °] عليك
 الا البلاغ" فتأمل موقع هذه^٥ السورة وأنها الخاتمة لما قصد في الكتاب
 ١٠ يلح لك وجه تأخيرها - والله أعلم - انتهى .

و لما كان القصد لإعلامهم بالبراءة منهم من كل وجه، وأنه لا يبالى
 بهم بوجه لأنه محفوظ منهم، قال مؤذنا بصدق خبره تعالى آخر الكوثر
 من حيث أنه مع الجزم بالمنازمة لا يستطيعون له نوع مكابدة نافذة^٦،
 بادئا بالبراءة من جهة لأنها الأهم: (لَا اعْبُدْ) اى الآن ولا في مستقبل
 ١٥ الزمان لأن "لا" للمستقبل و"ما" للحال، كذا قالوا، و ظاهر عبارة سيويه
 في قوله: "لن" نفي لقوله "سيفعل" "ولا" لقوله "يفعل"، ولم يقع:

(١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ و م (٢) من ظ و م، وفي الأصل: فلم.
 (٣) زيد في الأصل: لو، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٤) في الأصل
 بياض ملأناه من ظ و م (٥) زيد من ظ و م (٦) من م، وفي الأصل و ظ:
 هذا (٧) من م، وفي الأصل و ظ: نافذ (٨) من ظ و م، وفي الأصل: قوله .

أنها تقع للمضارع الذي لم يقع سواء كان في غاية القرب من الحال أم لا، كما نقلته عنه في أول^٢ البقرة عند "ولن تفعلوا" على أن نطقنا بهذا الكلام لا يكاد يتحقق حتى يمضى زمن فيصير [مستقبلا -^٢]، فلذا عبر بـ"لا، دون [دما -^٢] بشارة بأنه سبحانه يثبت^٢ على الصراط المستقيم، ولا يظفرهم^٤ به - علما من أعلام النبوة .

٥

ولما كان في معبوداتهم ما لا يعقل، وكان المقصود تحقير كل ما عبده سوى الله، عبر بـ"دما، فقال: ﴿ما تعبدون﴾ أي الآن وفي آتى الزمان من دون الله من المعبودات الظاهرة والباطنة بوجه من وجوه^٥ العبادة في^٦ سر ولا أعلن لأنه [لا -^٢] يصلح للعبادة بوجه .

ولما بدأ بما هو اللاحق بالبداة^٧ وهو البراءة من الشرك، والظاهرة^{١٠} من وضر الإفك، لأنه من دره^٨ المفاسد، فأبلغ في ذلك بما هو الحقيق بحاله صلى الله عليه وسلم، وكانوا هم يعبدون الله تعالى على وجه الإشراك، وكانت العبادة مع الشرك غير معتد بها بوجه، نفي عبادتهم له في الجملة الاسمىة الدالة على الثبات لا في الفعلية الدالة على نفي كل قليل وكثير من حيث [أن -^٢] الفعل نكرة في سياق النفي فقال: ﴿ولا أنتم تعبدون﴾^{١٥} أي عبادة معتد بها بحيث يكون أهلا لأن تكون وصفا ثابتا .

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : سورة (٢) زيد من ظ و م (٣) من م ، وفي الأصل و ظ : ثبته (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : لا يظفر (٥) من م ، وفي الأصل و ظ : الوجوه (٦) من م ، وفي الأصل و ظ : لا من (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : بالبراءة (٨) من م ، وفي الأصل و ظ : وراء .

ولما كانوا لا نزاع لهم في أن معبوده عالم، وكانت "ما" سالحة
 اللاطلاق عليه سبحانه وتعالى، عبر فيه أيضا بها لأن ذلك - مع أنه
 لا ضرر فيه - أقرب إلى الإنصاف، فهو أدعى إلى عدم المراء^٢ أو الخلاف،
 فقال^٣: (مَا اعْبُدْ) أى الآن وما بعده لأن معبودى^٤ - [وله -^٥] العلم
 التام والقدرة الشاملة - أبعدكم عنه فلا مطمع في الوفاق بيننا .

ولما كان ما نقي عن النبي صلى الله عليه وسلم [لا يدخل فيه الماضى،
 وكان عدم المشاركة بوجه من الوجوه في زمن من الأزمان أدل على
 البراءة وأقعد في دوام الاستهانة، وكانوا يعدون سكوته صلى الله عليه
 وسلم عنهم -^٥] فيما قبل النبوة عبادة، وكانوا / غير مقتصرين^٦ على
 ١٠ عبادة أصنامهم التى^٧ اتخذوها، بل إذا خرجوا من الحرم فنزلوا منزلا
 نظروا لهم حجرا ليستحسنوه فيعبودونه، فان لم يروا^٨ حجرا جمعوا شيئا من
 تراب و حلبوا^٩ عليه شيئا من لبن و عبودوه ما داموا في ذلك المنزل،
 وكان ذلك من أشد^{١٠} ما يعاب به من جهة عدم الشباب وأنه^{١١} لا معبود

- (١) زيد في الأصل و ظ : عدم ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها .
 (٢) في الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٣) من م ، وفي الأصل و ظ : قال .
 (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : معبدى (٥) زيد من ظ و م (٦) من م ،
 وفي الأصل : مسقصرين ، وفي ظ : مختصرين (٧) من ظ و م ، وفي الأصل :
 الذين (٨) من م ، وفي الأصل و ظ : لم يجدوا (٩) من ظ و م ، وفي
 الأصل : حلوا (١٠) من ظ و م ، وفي الأصل : ابتداء (١١) من م ، وفي
 الأصل و ظ : انهم .

لهم معين، قال منبها على ذلك كله: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ﴾ أى متصف بعبادة
﴿ما عبدتم﴾ أى فيما سلف، لم يصح وصنى قط بعبادة ذلك من أول
زمانكم إلى ساعاتنا هذه، فكيف ترجون ذلك منى وأنا لم أفعله ولا قبل
النبوة ولا كان من شأنى قط .

ولما كان هو صلى الله عليه وسلم ثابتا على إله واحد لم يعبد غيره ٥
ولم يلتفت يوما لفت سواه . وكان قد اتقى عنه بالجملة هذه الماضية
والتي أول السورة أن يعبد باطلهم حالا أو مآلا، وأن يكون^١ عبده
قبل ذلك، وكان ربما ظن ظان أن النفى عنهم إنما هو لعبادة معبوده
في الحال، نفي ذلك في الاستقبال أيضا علما من أعلام النبوة مع تأكيد
ما أفادته الجملة الماضية جريا على مناهيج^٢ العرب في التأكيد قطعا لآمالهم ١٠
منه على أنهم وجه وآكده لأنه على وجه لا يقدر على ما تفيد كل
جملة مع^٣ التأكيد من فائدة جديدة مهمة، فقال: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ﴾
أى عبادة هى لكم وصف معتد به في الحال أو الاستقبال .

ولما لم يكن قبل البعث مشهورا عندهم بعبادة الله سبحانه وتعالى،
عبر بما لا يتوجه [لهم ٦] إليه إنكار، وهو المضارع الذى ظاهره ١٥

(١) زيد فى الأصل: قد، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ
وم، وفى الأصل: مناهج (٣) من ظ و م، وفى الأصل: من (٤) من م،
وفى الأصل وظ و و (٥) من ظ و م، وفى الأصل: لم (٦) زيد
من ظ و م .

الحال أو الاستقبال^١ مراداً به ما^٢ يشمل الماضي لما ذكر أبو حيان وغيره في سورة الحج عند "ان الذين كفروا و يصدون عن سبيل الله" من أنه يطلق المضارع مراداً به مجرد إيقاع الفعل من غير نظر إلى زمان معين، فقال: ﴿مَا أَعْبُدْهُ﴾ أى وجدت منى عبادته و اتصفت بها الآن ٥ وفي ماضى الزمان^٣ ومستقبله اتصافاً يعتد به .

و لما كان ذلك كله^٤، و بدأ النفي فى الجمل^٥ السابقة بالنسب إليه صلى الله عليه و سلم إيداناً بالاقتمام ببرائته منهم، أنتج قطعاً قوله مقدماً لما يتعلق بهم على وجه اختصاصهم به تأكيداً لما صرح به ما مضى من براءته منهم: ﴿لَكُمْ﴾ أى خاصة ﴿دينكم﴾ أى الذى تعلون أنه لا أصل له يثبت عليه، و لا دليل يرجع بوجه إليه، لا أشارككم فيه بوجه ١٠ و لا ترجعون عنه بوجه بل تموتون عليه موتاً لبعضكم حتف الآثف و لآخرين قتلاً على يدى بالسيف ﴿ولى﴾ أى خاصة ﴿دين﴾ من واسع روضة الإسلام إلى [أعلى -] مقام: [مقام -] الإيقان و الإحسان، وأنتم تعلون - لو جردتم^٦ / عقولكم عن الهوى و اخلصتم أفكاركم من ١٥ الحية و الإبا - أنه كله دليل و فرقان و نور و حجة و برهان، لا تشاركونى فيه بوجه، و لا تقدرُونَ على ردِّى عنه أصلاً، فكانت هذه علماً

/ ٨٧٥

(١ - ١) من ظ و م، وفى الأصل: مریداً لما (٢) من ظ و م، وفى الأصل: الازمان (٣) من ظ و م، وفى الأصل: كلمه (٤) من ظ و م، وفى الأصل: الجملة (٥) من ظ و م، وفى الأصل: ايكم (٦) زيد من ظ - (٧) زيد من م (٨) من ظ و م، وفى الأصل: جردتكم .

من أعلام النبوة من حيث أنه مات منهم ناس كثير بعد ذلك على الكفر وآثم الله له هذا الدين، فصدق سبحانه فيما قال، وثبت مضمون الكوثر بأكل استدلال، وأما من آمن بعد ذلك فليس^٢ مراداً لأنه لم يكن عريقاً في وصف الكفران، ولا راسخاً في الضلال والطغيان، فأُسعده وصف الإسلام والإيمان، وساق الجمل كلها غير مؤكد إشارة إلى أنها هـ من الوضوح في حد لا خفاء به أصلاً. ولا شك أن آخرها الذي هو اختصاص كل بدينه هو أولها الذي أفاد أنه لا يعبد معبودهم ولا يعبدون معبوده فصار آخرها أولها. ومفصلها موصولها - هذا هو الذي دل عليه السياق، وليس فيه إذن في الكفر ولا منع عن الجهاد ليجتاج إلى نسخ، ومن أعظم دلائل إعجازها وجمعها للاماني في إشارتها^{١٠} وإيجازها أن حاصلها قطع رجاء أهل الكفران من أن يقاربهم النبي صلى الله عليه وسلم في أن يعدل بربه^{١١} أحداً في زمن من الأزمان، وذلك من أعظم مقاصد المناظرة لها في رد الآخر على [أول - ٧] الانعام لأنها^{١٢} السادسة في العد من الأول، كما أن هذه السادسة في العد من الآخر "أغیر الله أتخذ ولياً" "أغیر الله أبغى ربا وهو ١٥

(١) من ظ و م، وفي الأصل: يعبد (٢) ف م: هو (٣) من ظ و م، وفي الأصل: فلم يكن (٤) من م، وفي الأصل و ظ: واهلها (هـ) من ظ و م، وفي الأصل: اثباتها (٦) من ظ و م، وفي الأصل: به (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م، وفي الأصل: كانها.

رب كل شيء - إلى غير ذلك من الآيات، و الفواصل و الغايات، هذا ما يتعلق بمعاني رآكيها و نظومها على [ما - '] هي عليه و زاتيها و سياقاتها^٢ و أساليها، و كلماتها الخطية سبع و عشرون إلى أربع كلمات البسمة إحدى و ثلاثون إلى أربعة^٣ ضمائر مستترة خمس^٤ و ثلاثون إلى تسعة بارزة، فذلك أربع^٥ و أربعون كلمة الضمائر منها ثلاثة عشر هي مدة^٦ الإقامة بمكة المشرفة قبل الهجرة لأنها في الحفاء كالضمائر في خزائن السرائر، و لا سيما الأربع الأول منها الموازية لضمائر الاستتار و غير الضمائر إحدى و ثلاثون المناظر لها من السنين سنة إحدى و ثلاثين، و هي سنة قتل يزيد جرد ملك الفرس أكفر^٧ الكفرة من أهل ذلك الزمان و أعتاهم، و موافقة كلماتها في العدة لأحرف الكوثر مشيرة إلى أن اليسير من أتباعه صلى الله عليه و سلم أكثر و أكبر من كثير شائبه و أضداده و حاسديه، و قد دل على ذلك شاهد الوجود في يوم الفتح و المسلمون عشرة آلاف، و الكفار^٨ من قريش / و ممن حولهم لا يحصون كثرة، و قد كان فعلهم في ذلك اليوم ما شهد به اعتذار حماس الذي كان يعد امرأته أن يخدمها بعض المسلمين في قوله و قد فر هارباً و لم يستطع أن يغلق وراءه، بل قال

/ ٨٧٦

(١) زيد من م (٢) من م، و في الأصل و ظ : سياقتها (٣) من م، و في الأصل و ظ : أربع (٤) زيد في الأصل : وتسعون، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٥) من ظ، و في الأصل و م : أربعة (٦) من ظ و م، و في الأصل : عدة (٧) من م، و في الأصل و ظ : المشركون .

[لها - ١] : أغلق بابي ، فقالت [له - ١] : أين ما كنت تعدني به ؟ فقال :

إنك لو شهدت يوم الخندمة إذ فرصفوان و فر عكرمه

و استقبلتهم بالسيوف المسلمة يقطن كل ساعد و جمجمه

ضربا فلا يسمع إلا غمغمه بهم تهب^١ خلفنا و مهممه

لم تنطق باللوم^٢ أدنى كلمة

هذا مع [أن - ١] النبي صلى الله عليه و سلم كان^٣ أوصام^٤ ألا يقاتلوا
إلا من بدأم بالقتال . وهذا مع ما كان من أهل الإسلام حين قصدهم
الكفار يوم الخندق و المشركون [في - ١] عشرة آلاف و هم لا يلبغون
ربهم و لا مدد لهم ممن حولهم و لا ناصر إلا الله ، بل جاءتهم الأعداء -
كما قال الله تعالى - من فوقهم^٥ و من أسفل منهم^٦ و ما زادهم^٧ إلا إيمانا ١٠
و تسليما ، و إلى هذا أيضا^٨ أشار بلوغ عدد^٩ كلمات النصر خطيها
و اصطلاحها ظاهرها و مستترها إلى عدد كلمات الكافرون الخطية ، فذلك
رمز إلى أن أضعف أهل الإسلام^{١٠} لا يضعف عن مقاومة أقوى أهل
الكفر و أرسخهم في كل صفة يريدونها^{١١} - و الله هو الموفق .

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و في الأصل : تهمت - كذا (٣) من
ظ و م ، و في الأصل : باليوم (٤) زيد من م (٥) زيد في الأصل : من ،
و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٦) في ظ : فوقكم (٧) في ظ : منكم ،
و الكلمة ساقطة من م (٨) زيد في ظ و م : ذلك (٩-٩) من ظ و م ، و في الأصل :
الإشارة بلوغ (١٠) من م ، و في الأصل و ظ : الانسان (١١) زيد في الأصل :
الله تعالى ، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها .

سورة النصر^١ و تسمى التوديع

مقصودها الإعلام بتمام الدين اللازم عن 'مدلول اسمها' النصر، اللازم عنه موت النبي صلى الله عليه وسلم، اللازم عنه العلم بأنه ما برز إلى عالم الكون والفساد إلا لإعلاء كلمة الله تعالى وإدحاض كلمة الشيطان^٢ .
 ٥ - 'لعنة الله تعالى عليه' - اللازم عنه أنه 'صلى الله عليه وسلم خلاصة الوجود' ، و أعظم عبد للولى الودود، و على ذلك أيضا دل اسمها التوديع و حال نزولها و هو أيام التشريق [من - ٦] سنة حجة الوداع ﴿ بسم الله ﴾ الذى له الأمر كله . فهو العليم الحكيم ﴿ الرحمن ﴾ الذى أرسلك رحمة للعالمين ، فعمهم بعد نعمة الإيجاد بأن بين لهم إقامة لمعاشهم ١٠ و معادهم بك طريق النجاة غاية البيان ، بما أنزل عليك من معجز القرآن الذى من سمعه فكأنما سمعه من العلى العظيم ﴿ الرحيم ﴾ الذى خص من أرادته بالإقبال به إلى حزبه و جعله من أهل قربه بلزوم انصراف المستقيم^٣ .

(١) اعاشرة والمائة من سور القرآن الكريم، مدنية، وعدد آياتها ٣ (٢-٢) من ظ و م ، وفى الأصل : مدلولها (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : الله (٤-٤) سقط ما بين الرقين من ظ و م (٥) وقع فى الأصل قبل « خلاصة الوجود » والترتيب من ظ و م (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : معجزات .
 (٨) زيد فى الأصل : انتهى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .

٨٧٧ /

/ لما دلت التي قبلها على أن الكفار قد صاروا إلى حال لا عبرة بهم
 فيه ولا التفات ولا خوف بوجه منهم ما دام الحال على الماركة، كان
 كأنه قيل: فهل يحصل نصر عليهم و ظفر بهم بالمعاركة، فأجاب بهذه
 السورة بشارة [للمؤمنين - ١] ونذارة للكافرين، ولكنه لما لم يكن هذا
 بالفعل إلا عام حجة الوداع بعد فتح مكة يستين كان كأنه لم يستقر
 [الفتح - ٢] إلا حينئذ، فلم ينزل سبحانه وتعالى هذه السورة إلا في
 ذلك الوقت وقبل منصرفه من غزوة حنين، فقال تعالى تحقيقاً لأنه
 ينصر المظلوم ويعلي دينه ويمهل ولا يهمل، فانه لا يعجزه شيء، حثاً
 على التفويض له والاكتفاء به، مقدماً معمول «سبح» تعجيلاً للشارة:
 (إذا) .

١٠

ولما كانت المقدرات متوجهة من الأزل إلى أوقاتها المعينة لها،
 يسوقها إليها سائق القدرة، فتقرب منها شيئاً فشيئاً، كانت كأنها آتية إليها،
 فلذلك حصل التجوز بالمجئى عن الحصول فقال: (جاء) أى استقر
 وثبت في المستقبل بمجيء وقته المضروب له في الأزل، وزاد في
 تعظيمه بالإضافة ثم بكونها اسم الذات فقال: (نصر الله) أى الملك
 الأعظم الذى لا مثل له ولا أمر لاحد معه على جميع الناس فى ١٥
 [كل - ١] أمر يريده .

ولما كان للنصر درجات، وكان قد أشار سبحانه بمطلق الإضافة

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد من م (٣) من ظ و م، وفى الأصل؛
 فان لك .

إليه ثم بكونها إلى الاسم الأعظم إلى أن المراد أعلاها، صرح به فقال:
 ﴿وَالْفَتْحُ ١﴾ أي المطلق الصالح لكل فتح الذي نزلت فيه سورته بالحديبية
 مبشرة له بغلبة حزبه الذين أنت قاتدهم و هاديههم و مرشدهم، لاسيما
 على مكة التي بها بيته و منها ظهر دينه، و بها كان أصله، و فيها استقر
 ٥ عموده، و عز جنوده، فذل بذلك جميع العرب، و قالوا: لا طاقة لنا
 بمن أظفره الله بأهل الحرم، فعزوا بهذا الذل حتى كان ببعضهم تمام^٢
 هذا الفتح، و يكون بهم كلهم فتح جميع البلاد، و الإشارة إلى العلبة
 على جميع الأمم ساقه تعالى في أسلوب الشرط، و لتحقيقها عبر عنه
 بـ "إذا" إعلاما بأنه لا يخلف الوعد و لا ينقص ما قدره و إن توهمت العقول
 ١٠ أنه فات وقته، و إيذاناً بأن القلوب بيده يقلبها كيف يشاء ليحصل
 لمن علم ذلك الإخلاص و الخوف و الرجاء، فأشعرت العبارة بأن الوقت
 قد قرب، فكان المعنى: فكان متربحاً لوروده و مستعداً لشكره .

وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما كل دينه و اتضحت شريعته
 ٨٧٨ / و استقر أمره / صلى الله عليه وسلم و أدى أمانة رسالته حق أدائها عرف
 ١٥ عليه الصلاة و السلام نفاذ عمره و انقضاء أجله، و جعلت له على ذلك

- (١) من م، وفي الأصل و ظ: الذي (٢) من ظ و م، وفي الأصل: فعدوا.
 (٣) زيد في الأصل و ظ: عام، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها.
 (٤) من ظ و م، وفي الأصل: إلى (٥) من ظ و م، وفي الأصل: عنها.
 (٦) من ظ و م، وفي الأصل: الأمانة .

علامة دخول الناس في دين الله جماعات بعد التوقف و الشبط "حكمة بالغة ولو شاء الله لجمعهم على الهدى" و أمر بالإكثار من الاستغفار المشروع في أعقاب المجالس و في أطراف النهار و خواتم المآخذ بما عسى أن يتخلل من لغو أو قنور، فشرع سبحانه و تعالى الاستغفار ليحرز لعباده من حفظ أحوالهم ورعى أوقاتهم ما^١ يفي بعلى أجورهم كما وعدمهم^٥ "وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته" وقد بسطت ما أشارت إليه هذه السورة العظيمة - و كل كلام ربنا عظيم - فيما قيدته في غير هذا، وأن أبا بكر رضى الله عنه عرف منها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نعت إليه^٢ نفسه السكرينة على ربه و عرف بدنو أجله، و قد أشار إلى هذا الغرض أيضا بأبعد من الواقع في هذه السورة قوله تعالى ١٠ "اليوم أكملت لكم دينكم و آمنت عليكم نعمتى و رضيت لكم الإسلام دينا" و سورة براءة و أفعاله عليه الصلاة و السلام في حجة الوداع لكن لم يبلغنا استشعار أحد من الصحابة رضى الله عنهم تعين الأمر إلا من هذه السورة . و قد عرفت بإشارة براءة و آية المائدة تعريفا شافيا، و استشعر الناس عام حجة الوداع و عند نزول^٣ براءة ذلك لكن لم يستيقنوه و غلبوا ١٥ رجاءهم في حياته صلى الله عليه وسلم ، و منهم من توفى، فلما نزلت "إذا جاء نصر الله و الفتح" استيقن أبو بكر رضى الله عنه [ذلك - °]

(١) في ظ : الساجد (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : بما (٣) من م ، وفي الأصل : له ، وفي ظ : عليه (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : نزل (هـ) زيد من ظ و م .

استيقانا حمله على البكاء لما قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم - انتهى .
ولما عبر عن المعنى بالمجىء، عبر عن المرتى بالرؤية فقال:
﴿ورأيت﴾ أى بعينيك^١ ﴿الناس﴾ أى العرب الذين كانوا حقيرين عند
جميع الأمم، فصاروا بك هم^٢ الناس - كما دلت عليه لام الكمال، وصار
ه سائر أهل الأرض لهم أتباعا، وبالنسبة إليهم رعايا، حال كونهم ﴿يدخلون﴾
شيئا فشيئا متجددا دخولهم مستمرا ﴿فى دين الله﴾ أى شرع من
لم تزل كلمته هى العليا فى حال إباء الخلق - بقهره لهم على المكفر الذى
لا يرضاه لنفسه عاقل - ترك الحظوظ، وفى حال طواعيتهم بقسره لهم على
الطاعة، و عبر عنه بالدين الذى معناه الجزاء لأن العرب كانوا لا يعتقدون
١٠ القيامة التى لا يتم ظهور الجزاء إلا بها ﴿افواجا﴾ أى قبائل قبائل وزمرا
زمرا و جماعات كشفت كالكبيلة بأسرها أمة بعد أمة كأهل مكة والطائف
و هوازن و همدان و سائر القبائل من [غير -^٢] قال فى خفة وسرعة
و مفاجأة و لين بعد دخولهم واحدا واحدا ونحو ذلك لأنهم قالوا:
أما إذا ظفر بأهل الحرم و قد كان الله أجارهم من أصحاب الفيل الذين
١٥ لم يقدر أحد على ردهم فليس لنا بهم يدان . فبين أن هذا القياس المنتج
هذه النتيجة البديهة بقصة أصحاب الفيل ما رتبته الله إلا لإرهاصا لنبوته
و تأسيسا لدعوته فآلقوا بأيديهم، و أسلبوا قيادهم حاضرم و باديههم .

/ ٨٧٩

(١) فى م: أى نفسك (٢) من م، وفى الأصل: أهم، وفى ظ: اندهم -

كذا (٣) زيد من ظ .

و لما كان التقدير : فند سبحانه نفسه باخذ بابعاد نجس^١ الشرك
عن جزيرة العرب بالفعل ، قال إيدانا بأنه منزّه عن القائص التي منها
إخلاف الوعد ، وأن له مع ذلك الجلال و الجمال ، معبرا بما يفيد
التعجب لزيادة التعظيم للتعجب منه ليشمر ذلك الإجلال و التعظيم و التذلل
و^٢ التقبل لجميع^٣ الأوامر . و يفهم أمره تعالى للنبي صلى الله عليه و سلم^٥
بالاشتغال [بخاصة نفسه بدنو أجله ، و أن اشتغاله -^٢] بالناس قد
اتهى ، لأن الدين قد كمل فلم يبق له صلى الله عليه و سلم شغل في دار
الكدر^٤ : (فسبح) أى نزه أنت بقولك^٥ و فعلك بالصلاة و غيرها
موافقة لمولاك فيما فعل ، و زد في جميع أنواع العبادة ، تسيحا متلبسا
(بحمد) أى بكال^٦ و إجلال و تعظيم^٦ (ربك) أى الذى أنجزاك^{١٠}
الوعد بإكمال الدين و قمع المعتدين ، المحسن إليك بجميع ذلك ، لأنه
كله لكرامتك ، و إلا فهو عزيز حميد على كل حال ، تعجبا لتيسير الله من
هذا الفتح مما لم يخطر بالبال ، و شكرا لما أنعم به سبحانه و تعالى [عليه -^٣]
من أنه أراه^٧ تمام ما أرسل لأجله ، و لأن كل حسنة يعملها أتباعه
له مثلها .

١٥

و لما أمره صلى الله عليه و سلم بتنزيهه عن كل نقص ، و وصفه تنزلا

- (١) في ظ : جيش (٢-٢) من ظ و م ، و في الأصل : ليقبل بجميع (٣) زيد
من ظ و م (٤) زيد في الأصل : فقال ، و لم تكن الزيادة في ظ و م لخذفناها .
(٥) من ظ و م ، و في الأصل : بقوله (٦-٦) سقط ما بين الرقنين من ظ
و م (٧) من ظ و م ، و في الأصل : اراده .

عن غيب الغيب إلى الغيب بكل كمال مضافا إلى الرب تدليا إلى مشاهدة
الافعال، وصل إلى نهاية التنزل من الخالق إلى المخلوق مخاطبا لأعلى
الخلائق كلهم^١ فأمره بما يفهم العجز عن الوفاء بحقه لما^٢ له من العظمة
المشار إليها بذكره مرتين بالاسم الأعظم الذي له من الدلائل على العظم
و العلو إلى محل الغيب الذي لا مطمع في تركه ما تنقطع الاعناق دونه
ليفهم عجز غيره من باب الأولى، فقال معلما بأن^٣ من كماله أن يأخذ
بالذنب إن شاء ويغفر إن شاء وإن عظم الذنب، ليحث ذلك على
المبادرة إلى التوبة و تكثير الحسنات و حسن الرجاء: ﴿واستغفره^٤﴾
أى اطلب غفرانه إنه كان غفارا إيذانا بأنه لا يقدر أحد أن يقدره حق
قدره كما أشار / إلى ذلك الاستغفار عقب الصلاة التي هي أعظم العبادات
ليقتدى بك أمك في المواظبة على الأمان الثاني لهم، فان الأمان الأول
- الذى هو وجودك^٥ بين أظهرهم قد دنا رجوعه إلى معدنه فى الرفيق الأعلى
و المحل الأقدس الأولى، وكذا فعل صلى الله عليه وسلم - كان يقول
«سبحانك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» و دخل يوم
١٥ الفتح مكة مطاطئا رأسه حتى أنه ليكاد يمس واسطة الرحل تواضعا لله
سبحانه و تعالى لإعلاما لأصحابه رضوان الله تعالى عليهم أجمعين* أن ما وقع*

(١) سقط من ظ و م (٢) من م ، وفى الأصل و ظ : بما (٣) من ظ و م ،
وفى الأصل : بأنه (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : وجدك (هـ-هـ) من ظ و م ،
وفى الأصل : و الذى فتح .

إنما هو بحول الله ، لا بكثرة من معه من الجمع ، وإنما جعلهم^١ سببا
لظما منه بهم^٢ ، و لذلك نه من ظن منهم أو هجس في خاطره أن للجمع
مدخلا بما وقع من الهزيمة في حزين أولا ، وما وقع بعد من النصرة
بمن بثت مع النبي صلى الله عليه وسلم وهم لا يبلغون ثلاثين^٣ نفسا
ثانيا ، فالتسييح الذي هو تنزيه عن النقص إشارة إلى إكمال الدين تحقيقا^٤
لما [كان -]^٥ تقدم به وعده^٦ الشريف . : الاستغفار إشارة إلى أن عبادته
صلى الله عليه وسلم التي هي أعظم العبادات قد شارفت الانقضاء .
ولا يكون ذلك إلا بالموت ، فلذلك أمر بالاستغفار لأنه يكون في خاتمة
المجالس و الأعمال [جبرا -]^٧ لما اعله وقع فيها على نوع من الوهن
و اعترافا^٨ ببدل العبودية^٩ و العجز .

١٠

ولما امر بذلك فأرشد السياق إلى أن التقدير : و تب إليه^{١٠} ، علله
مؤكددا لأجل استبعاد من يستبعد مضمون ذلك من رجوع الناس في
الردة و من غيره بقوله : (أنه) أي المحسن إليك^{١١} غاية الإحسان^{١٢}
بخلافته لك في أمتك ، و يجوز أن يكون التأكيد لأجل دلالة ما تقدم
من ذكر الجلالة مرتين على غاية العظمة و القوت عن الإدراك^{١٣}

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : جعله (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : به .
(٣) من م ، وفي الأصل و ظ : ثلاثون (٤) زيد من ظ و م (٥) زيد في
الأصل : صلى ، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٦ - ٦) من ظ و م ،
وفي الأصل : بالربوبية (٧) من ظ ، وفي الأصل و م : عليه (٨ - ٨) سقط ما
بين الرقمين من ظ و م .

بالاحتجاب بارادته الكبرياء والعز والتجبر والقهر مع أن المألوف أن
 من كان على شيء من ذلك كان بحيث لا يقبل عذرا ولا يقبل نادما
 ﴿كان﴾ أى لم يزل 'على التجدد والاستمرار' ﴿توابع﴾ أى رجاءا
 بمن ذهب به^٢ الشيطان من أهل رحمته فهو، الذى رجع بأنصارك عما كانوا
 عليه من الاجتماع على الكفر^٣ والاختلاف والعداوات^٤ فأيدك بدخولهم
 فى الدين شيئا فشيئا حتى أسرع بهم بعد سورة الفتح إلى أن دخلت
 مكة فى عشرة آلاف، وهو أيضا يرجع بك إلى الحال التى يزداد بها
 ظهور رفعتك فى الرفيق الأعلى و يرجع عن تخلخل من أمتك فى دينه
 ردة أو معصية دون ذلك إلى ما كان عليه من الخير، ويسير بهم
 ١٠ أحسن سير، فقد رجع^٥ آخر السورة إلى^٦ أولها بأنه لولا^٧ تحقق وصفه
 بالتوبة لما وجد الناصر الذى وجد به الفتح^٨ والتحم مقطعا أى/التحام
 بمطلعها، وعلم أن كل جملة منها مسية عما قبلها، فتوبة الله^٩ على عبده^{١٠}
 نتيجة توبته^{١١} باستغفاره الذى [هو - ١٢] طلب المغفرة بشروطه، وذلك
 ثمرة اعتقاده الكمال فى ربه، وذلك ما دل عليه إعلانه لدينه، وقصره
 ١٥ للداخلين فيه على الدخول مع [أنهم - ١٣] أشد الناس شكائهم وأعلام

/ ٨٨١

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : اليه .
 (٣-٣) من ظ و م ، وفى الأصل : العداوات والاختلاف (٤) من م ، وفى
 الأصل و ظ : ترجع (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : على (٦) من ظ و م ، وفى
 الأصل : لو (٧) زيد فى الأصل : الأعظم، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .
 (٨-٨) من ظ و م ، وفى الأصل : بعبده (٩) من م ، وفى الأصل : بتوبته ،
 وفى ظ : توبة عبد (١٠) زيد من ظ (١١) زيد من ظ و م .

هما' و عزائم. وقد كانوا في غاية الإباء له و المغالبة للقائم به، وذلك هو فائدة الفتح الذي هو آية النصر، وقد علم أن الآية الأخيرة من الاحتباك: دل بالامر بالاستغفار [على الامر بالتوبة، وبتعليل الامر بالتوبة على تعليل الامر بالاستغفار-^١]، و علم أن السورة أشارت^٢ إلى وفاته^٣ صلى الله عليه وسلم بالحث على الاستغفار الذي هو الأمان الثاني، ومن شأنه أن تحتم به الأعمال و المجالس* بعد ما اشار إليه إعلامها بظهور الدين على الدين كله و نزولها في أوسط [أيام-^٤] التشريق من حجته عليه أفضل الصلاة و السلام سنة عشر كما ذكرته في كتابي «مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور، و كتابي «الاطلاع على حجة الوداع، و ذلك بعد نزول آية المائدة - التي هي نظيرتها^٥ في رد المقطع على المطلع - في يوم عرفة^٦ "اليوم اكملت لكم دينكم و اتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الاسلام دينا" و من المعلوم أنه لا يكون في هذه الدار كمال إلا بعده^٧ نقصان، و لذلك سماها النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع و خطب الناس فيها، فعلمهم^٨ أمور دينهم و أشهدهم على أنفسهم و أشهد الله عليهم

-
- (١) من، ظ و م، وفي الأصل: هماما (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، وفي الأصل: اشارة (٤) من ظ و م، وفي الأصل: انه (٥) من ظ و م، وفي الأصل: المحاسن (٦) زيد في الأصل: في عدد السور و، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٧) زيد في الأصل: قوله تعالى، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٨) من م، وفي الأصل و ظ: بعد (٩) من ظ و م، وفي الأصل: يعلمهم.

بأنه بلغهم، وودعهم^١ وقال: لا أدرى لعل [لا - ٢] ألقاكم بعد عامي هذا، وأشار إلى ذلك أيضا بالتوبة وإلى وقوع الردة بعده صلى الله عليه وسلم ورجوع من ارتد إلى أحسن ما كانوا عليه من اعتقادهم في الدين^٢ وثباتهم عليه بقتل من كان مطبوعا على الكفر المشار إليهم بقوله تعالى "ولو أسمعهم - أي إسماع^٣ قهر و غلبة و قسر - لتولوا وهم معرضون" فكان وجودهم ضررا صرفا من غير منفعة و قتلهم نفعاً لا ضرر فيه بوجه، و لأجل إفهامها حلول الأجل للإيدان بالتام بكى^٤ العباس رضى الله تعالى عنه - و في رواية: ولده عبد الله - عند نزولها فسأله النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال: نعت إليك نفسك، فقال: إنه لكما تقول. كما بكى عمر رضى الله عنه عند نزول آية المائدة، و علل بهذا - والله الهادي، وقد ظهر بهذا^٥ أن حاصلها الإيدان بكال الدين و دنو الوفاة لحاتم النبيين، و النصر على جميع الظالمين "الطاغين الباغين"، وذلك من أعظم مقاصد^٦ المائدة، المناظرة لهذه في التطبيق بين البائدة والعائدة، / كما أشار إليه [قوله تعالى - ١] "اليوم أكملت لكم دينكم"

/ ٨٨٢

- (١) من ظ و م، و في الأصل: وعدهم (٢) زيد من م (٣-٣) من ظ و م، و في الأصل: عليه (٤) من ظ و م، و في الأصل: آية (٥) من م، و في الأصل و ظ: سماع (٦) من م، و في الأصل و ظ: نعم (٧) من ظ و م، و في الأصل: يبكي (٨) - قط من م (٩-٩) سقط ما بين الرقنين من ظ و م. (٩) من ظ و م، و في الأصل: نظار (١٠) زيد من ظ و م.

الآية، وقوله تعالى ' "و من يتولى الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون" وقوله تعالى ' "لله ملك السماوات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير" و من أعظم لطائف هذه السورة و دقيق بدايتها و لطيف منازعها أن كلماتها تسدل بأعدادها على أمور^١ جليلة و أسرار جميلة، فإنها تسع عشرة كلمة، وقد كان في سنة^٢ تسع عشرة^٣ من الهجرة موت قيصر طاغية الروم، وذلك أن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه لما فتح الإسكندرية قال قيصر: لئن غلبونا على الإسكندرية لقد هلك الروم، فتجهز ليياشر قتالهم بنفسه، فعند ما فرغ من جهازه صرعه الله فمات و كفى الله المسلمين^٤ شهرا، و ذل الروم بذلك ذلا كبيرا، و استأسدت^٥ العرب، و في هذه السنة أيضا فتح الله قيسارية من بلاد الشام فلم يبق بالشام^٦ أقصاها و أدناها عدو، و فرح المسلمون بذلك فرحا شديدا، و كان فيها أيضا فتح جلولا، من بلاد فارس، و كان فتحها يسمى فتح الفتوح، لأن المرس^٧ لم يتجهزوا بعده^٨، هذا إن عددنا ما يوازي كلماتها من سنة الهجرة، و إن عددنا من سنة نزول السورة في^٩ سنة عشر فقد فتحت سنة تسع و عشرين من الهجرة - و هي التاسعة عشرة من نزولها -

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) من ظ و م، و في الأصل: كلمات.
 (٢-٢) من ظ و م، و في الأصل: تسعة عشر (٣) سقط من ظ و م (٤) من ظ و م، و في الأصل: استأسدت (٥) من ظ و م، و في الأصل: ما يوازي (٦) من ظ و م، و في الأصل: من بلاد الشام (٧-٧) من ظ و م، و في الأصل: لم يتجهزوا بعد (٨) من ظ و م، و في الأصل: من.

مدينة اصطخر، و اشتد ضعف الفرس، و أمر ملكهم يزدجرد [و -^١]
اجتهاده في الهرب من العرب حتى قتل سنة إحدى و ثلاثين من الهجرة
بعد ذلك بستين^٢، و ذلك هو العد الموازي لعد كلماتها ظواهر و ضمائر
مع كلمات البسمة^٣، و إذا نظرت إلى ما هنا من هذا و طبقت بينه و بين
ما ذكر في سورة الفتح من مثله زاد عجبك من باهر هذه الآيات -
و الله موفق، ثم إنك إذا اعتبرت اعتبارا آخر وجدت هذه السورة
كما دلت بمحملتها على انقضاء زمن النبوة بموت النبي صلى الله عليه و سلم
دلت بمفردات كلماتها على انقضاء خلافة النبوة لتمام ثلاثين^٤ سنة كما
قال النبي صلى الله عليه و سلم فيما رواه أبو داود^٥ و الترمذي^٦ و النسائي
و ابن حبان في صحيحه عن سفينة مولى النبي صلى الله عليه و سلم و رضى
عنه : خلافة النبوة ثلاثون، ثم يؤتى [الله -^٧] الملك من يشاء . و ذلك
أنك إذا عددت كلماتها مع البسمة كانت باعتبار الرسم ثلاثا و عشرين
كلمة، و ذلك مشير إلى انقضاء الخلافة التي لم تكن قط خلافة مثلها،
و هي خلافة الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه باستشهاده في
ذى الحجة سنة ثلاث و عشرين من الهجرة، فإذا ضمنت إلى ذلك
الضمائر البارزة / و هي خمسة، و المستترة و هي ثلاثة، فكانت أحدا و ثلاثين،

/ ٨٨٣

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و في الأصل : بستى (٣-٣) من ظ
و م، و في الأصل : ظواهرها و ضمائرهما مع كلماتها و البسمة (٤) من ظ
و م، و في الأصل : ثلاث (٥) راجع السنن - أبواب السنة (٦) راجع الجامع -
أبواب الفتن .

وحسبت من عین نزول السورة على النبي صلى الله عليه وسلم في ذي الحجة سنة عشر كان ذلك مشيراً إلى انقضاء خلافة النبوة كلها باصلاح أمير المؤمنين الحسن بن علي رضي الله عنهما في شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين، وذلك عند مضي ثلاثين سنة من موت النبي صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول سنة عشر من الهجرة لا تزيد شهراً ٥ ولا نقصه، وإن أخذت الضمائر وحدها بارزها ومستترها دلت على فتح مكة المشرفة بعينه، فانها - كما مضى - ثمانية وقد كان الفتح سنة ثمان من الهجرة، ومن لطائف الأسرار وبدائع الأنظار أنها تدل على السنين بحسب التفصيل، فالبارز يدل على سنة النصر والظهور على قريش لأنهم المقصودون بالذات لأن العرب لهم تبع، والمستتر يدل على ضد ذلك، ١٠ وشرح هذا أنه لما كانت قد خفقت [في - ١] السنة الأولى من الهجرة رأيات الإسلام في كل وجه، وانتشرت أسده في كل صوب، وانبثت سراياه في كل قطر، أشار إليها التاء في « ورأيت » التي هي ضميره صلى الله عليه وسلم إشارة إلى ما يختص بفهمه من البشارة . ولما كان في السنة الثانية بغزوة بدر من واضح الظفر وعظيم النصر ما هدّ قلوب الكفار، وشد ١٥ قلوب الانصار في سائر الأمصار، وأعلى لهم القدر، أشار إلى ذلك وار « يدخلون »، ولما حصل في السنة الثالثة ما لم يخف من المصيبة في غزوة أحد التي ربما أوهمت بعض من لم يرسخ نقصا، أشار إلى ذلك الضمير

(١) من ظ و م، وفي الأصل : الامطار (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، وفي الأصل : من (٤) في ظ : انتشر .

المستتر في "فسيح"، ولما كان الخبر في الرابعة باجلاء بني النضير وإخلاف قريش للوعد في بدر جبا وعجزا حيث وفي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله تعالى عنهم شجاعة وقوة بحول الله وانقلبوا، منها بنعمة من الله وفضل لم يمسهم سوء، أشار إلى ذلك الكاف في "ربك" ه ولما كان في الخامسة غزوة الأحزاب أشار إليها المستتر في "و استغفره"

[ولما كان في السادسة عمرة الحديبية التي سماها النبي صلى الله عليه وسلم فتحا، أنزل الله فيها سورة الفتح -^٢] لكونها كانت سببا للفتح، فكان ذلك علما من أعلام النبوة، وبعث النبي صلى الله عليه وسلم فيها إلى الملوك يدعوهم إلى الله تعالى أشار إلى ذلك الضمير البارز في "و استغفره"

١٠ و أكد قوته [كونه -^٣] للرب تعالى، ولما كان في السابعة غزوة خيبر و عمرة القضاء أشار إليها الضمير الظاهر في "انه" ولما كان ضمير [كان، الله، و كان له سبحانه حضرتان : حضرة غيب و بطون، وحضرة شهادة و ظهور، و كانت حضرة -^٤] الغيب هي حضرة الجلال والكبرياء والعظمة والتعالى، و حضرة الشهادة حضرة التنزل بالأفعال؛ و الاستعطاف بالاقوال، كانت / الحضرتان للنصر، وكانت حضرة الغيب أعظمهما نصرا ١٥ / ٨٨٤

وأشدهما إزرا، فلذلك كان ضمير الاستتار دالا على الفتح الأكبر بالانتصار على السكان والديار بسطوة الواحد القهار، على أنا إذا نظرنا إليه من حيث كونه جازئ البروز كان البارز فله حكمة - فسبحان من شمل عليه، ودقت حكمته فنقد حكمة.

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) زيد من ظ (٣) زيد من ظ و م .

(٤) من ظ و م ، وفي الأصل : في الأفعال (ه) من ظ و م ، وفي الأصل : له .

سورة تبت^١

مقصودها البت والقطع الحتم بخسران الكافر ولو كان أقرب الخلق إلى
أعظم الفائزين، اللازم عنه أن شارع الدين له من العظمة ما يقصر عنه
الوصف، فهو يفعل ما يشاء لأنه لا كفؤ له أصلاً، حثاً على التوحيد من
سائر العبيد، ولذلك وقعت بين سورة^٢ الإخلاص المقرون بضمان النصر^٥
وكثرة الانصار، واسمها تبت واضح الدلالة على ذلك بتأمل السورة
على هذه الصورة ﴿بسم الله﴾ الجبار المتكبر المضل الهاد ﴿الرحمن﴾
الذي عم الولي و العدو بنعمة البيان بعد^٢ الإكرام بالإيجاد^٢ ﴿الرحيم﴾
الذي خص بالتوفيق أهل الوداد .

لما قدم سبحانه وتعالى في سورة النصر القطع بتحقيق النصر لأهل ١٠
هذا الدين بعد ما كانوا فيه من الذلة^١، والأمر الحتم بتكثيرهم بعد الذي
مر عليهم^٢ مع الذلة من^٣ القلة، وختمها بأنه التواب، وكان أبو لهب - من
شدة العناد لهذا الدين و الأذى لإمامة النبي صلى الله عليه وسلم سيد العالمين
مع قربه منه - بالحمل الذي لا يجهل، بل شاع واشتهر، وأحرق الأكباد

(١) في ظ : أبي لهب ، وهي الحادية عشرة والمائة من سور القرآن الكريم ،
مكية ، وعدد آياتها (٢) في ظ : سورتي (٣-٣) من ظ وم ، وفي الأصل : الإيجاد
والإكرام (٤) في ظ : الدلالة (٥-٥) من ظ وم وفي الأصل : من الذلة مع .

و صهر ، كان بحيث يسأل عن حاله إذ ذاك هل ثبت عليه أو يذل ، فشنق
 ع هذا السؤال ، وأزيل بما يكون [له - ٢] من النكال ، وليكون
 [ذلك - ٣] بعد وقوع الفتح ونزول الظفر والنصر ، والإظهار على
 الأعداء بالعز والقهر ، مذكرا له صلى الله عليه وسلم بما كان في أول
 الأمر من جبروتهم وأذاهم وقوتهم بالعدد والعدد ، وأنه لم يكن عنهم
 شيء من ذلك ، بل صدق الله وعده في قوله سبحانه وتعالى " قل للذين
 كفروا ستعذبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد " وكذبوا فيما كانوا
 فيه من التعاضد والتناصر والتحالف والتعاقد ، فذكر تعالى أعدائهم له
 وأقربهم إليه في النسب إشارة إلى أنه لا فرق في تكذيبه لهم بين
 القريب والبعيد . وإلى أنه لم ينفعه قربهم له ليكون ذلك حاملا لأهل
 الدين على الاجتهاد في العمل من غير ركون إلى سبب أو نسب غير ما
 شرعه سبحانه ، فقال تعالى معبرا بالماضي دلالة على أن الأمر قد قضى
 بذلك وفرغ منه ، فلا بد من كونه ولا محيص / : (ثبت) أي حصل
 القطع الأعظم والحتم الأكمل ، فإنها خابت وخسرت غاية الخسارة ،
 ١٥ وهي المؤدية إلى الهلاك لأنه لا نجاة إلا نجاة الآخرة ، وجعل خطاب
 هذه السورة عن الله ولم يفتحها بـ و قل ، كأخواتها لأن هذا أكثر

/ ٨٨٥

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : ثبت (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد من م .
 (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : نزول (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : قد
 نزل (٦-٦) من ظ و م ، وفي الأصل : لم يمنعهم (٧) زيد في الأصل : والله
 أعلم ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها .

أدبا و أدخل في باب العذر و أولى في ' مراعاة ذوى الرحم ، و لذلك لم يكرر ذكرها في القرآن ، و أشد في انتصار الله سبحانه و تعالى [له صلى الله عليه وسلم - ٢] و أقرب إلى التخويف و تجويز سرعة الوقوع .

و لما كانت اليد محل قدرة الإنسان ، فاذا اختلت اختل أمره ، ه فكيف إذا حصل^٢ الخلل في يديه جميعا ، قال مشيرا بالثنية إلى عموم هلاكه بأن قوته لم تغن عنه شيئا ، و لأن الثنية يعبر بها عن النفس ، و مشيرا بالكنية و إن كان يؤتى بها غالبا للتشريف إلى مطابقة^٣ اسمه لحاله ، و مجانسته الموجبة لعظيم نكاله : (يدآ ابى لهب) فلا قدرة له [على - ٠] إعطاء و لا منع ، و لا على جلب و لا دفع ، و إشارة إلى أن ١٠ حسن صورته لم تغن عنه شيئا من قبيح سيرته لقوله صلى الله عليه وسلم و إن الله لا ينظر إلى صوركم و لا أموالكم و لكن ينظر إلى قلوبكم و أعمالكم ، لأنه [إنما - ٠] كنى بهذا لإشراق وجهه و توقد وجتيه ، و لأنها أشهر ، فالبيان بها أقوى ، و أظهر ، و التعبير بها - مع كونه أوضح - أقعد في قول التي [هى - ٠] أحسن ، لأن اسمه عبد الازى و هو قبيح ١٥ موجب للعدول عنه غيرة^٤ على العبودية^٥ أن تضاف إلى غير مستحقها .

- (١) من ظ و م ، و في الأصل : من (٢) زيد من م (٣) من ظ و م ، و في الأصل : حضر (٤) من ظ ، و في الأصل : ما يبطقه ، و في م : ما يبطقه . (٥) زيد من ظ و م (٦-٧) من ظ و م ، و في الأصل : للعبودية .

وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: هذه السورة وإن نزلت على
سبب خاص وفي قصة معلومة فهي مع ما تقدمها واتصل بها في قوة
أن لو قيل: قد انقضى عمر ك يا محمد، وانتهى ما قلده من عظيم أمانة
الرسالة أمرك، وأديت ما تحمّلتها وحان^٢ أجلك، وأما ذلك دخول
٥ الناس في دين الله أفواجا، واستجابتهم بعد تلكهم، والويل لمن
عاندك وعدل عن متابعتك وإن كان أقرب الناس إليك، فقد فصلت
سورة "قل يا أيها الكافرون" بين أوليائك وأعدائك، وبأن بها حكم
من اتبعك ومن عاداك، ولهذا سماها عليه الصلاة والسلام المبرئة من
النفاق، وليعلم كفار قريش وغيرهم أنه لا اعتصام لأحد من النار
١٠ إلا بالإيمان، وأن القربات غير نافعة ولا مجدية^٣ شيئا إلا مع الإيمان "لكم
دينكم ولى دين" "أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون"، "والمؤمنون
والمؤمنات بعضهم أولياء بعض" وهذا انتهى أمر الكتاب بحملته - انتهى .
ولما كان ربما خص التباب بالهلاك، وحمل على هلاك اليمين
حقيقة، وكان الإنسان لا يزول جميع منفعته بفوات يديه وإن كان قد
١٥ يعبر بهما عن النفس، قال مصرحا بالمقصود^٤: ﴿وتب﴾ أى هو بحملته
/ بتمام "الهلاك والخسران"، فحقق بهذا ما أريد من الإسناد إلى اليمين
/ ٨٨٦

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : افضل (٢) من ظ و م . وفي الأصل : آن .
(٣) من ظ و م ، وفي الأصل : مجزية (٤) زيد في الأصل : وإشارة الى هذا
بقوله ، ولم تكن الزيادة في ظ و م فخذناها (٥) زيد في الأصل : قال تعالى ،
ولم تكن الزيادة في ظ و م فخذناها (٦-٧) سقط ما بين الرقین من ظ .

من الكناية عن الهلاك الذى لا بقاء بعده، و الظاهر أن الأول دعاء
و الثانى خبر، و عرف بهذا أن الانتماء إلى الصالحين لا يغنى^١ إلا أن
وقع الاقتداء بهم فى أفعالهم لأنه عم النبي صلى الله عليه وسلم .

ومادة «تب، و دبّت» - الجامعة بجمع التاء و الباء للسيدى الأدنى الباطنى
و الأعلى الظاهرى - تدور على القطع المؤدى فى أغلب أحواله إلى الهلاك ، ه
لأن من انقطع إلى الأسباب معرضا عن مسيئها كان فى أعظم تباب،
و ربما كان القطع باستجماع الأسباب ، فحصل^٢ الفوز بالمقاصد و المحاب،
قال ابن مكتوم فى الجمع بين المحكم و العباب : التب و التباب : الخسار،
و تباله - على الدعاء، و تبا تيبيا - على المبالغة، قال الإمام أبو عبد الله القزاز :

كأنك قلت : خسارنا له ، و هو المصدر ، نصب^٣ نصب سقيا^٤ له ، قال ابن
دريد : و كأن التب المصدر و التباب الاسم ، و [التب و -] ^٥ [التباب و -] ^٥ [التيب :

الهلاك ، [و التيب -] ^٥ [النقص و الخسار ، و كل هذا واضح فى القطع
عن الخير و الفوز ، قال : [و -] ^٥ [التاب : الكبير من^٦ الرجال ، و الأنثى

تابة ، و قال القزاز : إذا سألت الرجل عن المرأة قلت : أشابة هى أم

تابة ، أى أم [هى -] ^٥ [عجوز فانية ، [و -] ^٧ [معلوم أن كبر السن مقرب ١٥

من القطع و الهلاك ، و التاب : الضعيف ، و الجمع أتاب - هذلية ، و حمار

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : لا يفتنى (٢) من ظ و م ، و فى الأصل :

لفصر (٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : نفسا سيفا (٤) زيد من م (٥) زيد

من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : هو (٧) زيد من ظ .

تاب الظهر :- إذا دبر، و جمل [تاب - ١] كذلك نادرة، و لاشك أن الدبر
و الضعف ملاك في المعنى، و تب : قطع مثل بت، أى بتقديم الموحدة،
و وقعوا في تبوب منكرة، و هو بته أى بحالة شديدة، و التبي - بالفتح
و الكسر : ضرب من تمر البحرين، قيل : هوردي. يأكله سقاط الناس،
٥ و أتب الله قوته : أضعفها، و تيوم تنبيا : أهلكوهم، و تبتب : شاخ،
و كل ذلك واضح في القطع بالهلاك و الخسار، و التبوب - يعنى بالضم :
[ما - ١] انطوت عليه الاضلاع كالصدر و القلب، و هذا يحتمل^٢ الخير
و الشر، فان القلب إذا فسد فسد الجسد كله، و إذا صلح صلح الجسد
كله، فيكون حينئذ القمع بالفوز و النجاة، أو لأن انطواء الاضلاع
١٠ عليه قطعه عن الخارج، و استتب الأمر : تهاً و استوى. و قال القزاز :
و يقال : هذه العلة لا تستتب في نظار هذا القول، أى لا تجرى في نظاره،
كأنه من باب الإزالة إذ أن السين لما^٣ جامع حرق السين آذنت^٤
بالنجاح و الفوز [و الفلاح - ١]، فانها حرف تدل على الاستيفاء في
الإنباء عن الشيء و التتمة و الألفة، و أحسن من هذا أنها إذا جرت
١٥ في النظائر أو ضحتها و كشفت معانيها / ففصلتها و أبانتها و قطعتها^٥ عن
غير النظائر^٦ بما أزالته من الإلباس^٧ بها، و الذى يحقق معانى التبت و يظهر

/ ٨٨٧

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل : محتمل (٣) من ظ،
و فى الأصل و م : لا (٤) فى م : آذنته (٥) من ظ و م، و فى الأصل :
قطعتها (٦) من ظ و م، و فى الأصل : النظار (٧) من ظ و م، و فى
الأصل : الالباب .

أنه يؤل إلى القطع مقلوبه، وهو البت - بتقديم الموحدة التي هي السبب
الظاهر الذي هو أقوى من حيث أنه لا يتحقق إلا بكال السبب الباطنى،
يقال: بت الشيء ببتة بتا، و أبته: قطعه^١ قطعا مستأصلا، وبت هو بُيت
و بيت بتا و انبت، و اعله استوى فيه المجرد و المزيد فى التعدية دلالة
على أن ما حصل بالمجرد من القطع هو من الكمال بحيث لا مزيد عليه، ه
و كذا استوى القاصر مجردا و مطاوعا مع^٢ المتعدى فى أصل المعنى.
و صدقة بته: بتلة باينة من صاحبها. و طلقها ثلاثا بته و إثباتا، أى قطعا
لا عود فيه، و لا أفعله البته - كأنه قطع فعله، قال سيويه: و قالوا: قد
البته - مصدر مؤكد، و لا يستعمل إلا بالآلف و اللام، و بت عليه القضاء
بتا و أبته: قطعه، و سكران ما بُيت كلاما و ما بُيت / أى [ما - ٢] ١٠ / ٨٨٨
يقطعه، قال القزاز: بُيت من أبت، و بُيت من آبت، و سكران بات: منقطع
عن العمل بالسكر، و أبت يمينه: أمضاها، أى قطعها عن الحدث،
و بتت هي: وجبت و حلت^٣ بتا و بته^٤ و بتاتا، و كل ذلك من القطع،
و أبت بغيره، أى قطعه بالسير^٥، و المنبت فى الحديث^٦: [الذى - ٢] أتعب
دابته حتى أعطب ظهره^٧ فبقى منقطعا به، و قال القزاز: هو الذى أتعب^٨

(١) من ظ و م، و فى الأصل: يقطعه (٢) زيد فى ظ: التقدير (٣) زيد من
ظ و م (٤-٤) من ظ و م، و فى الأصل: بته و بتا (٥) من ظ و م، و فى
الأصل: من السير (٦) راجع تاج العروس - البت (٧-٧) من ظ و م،
و فى الأصل: أعطب دابته .

دأته حتى قطع ظهرها فبقى منبأه، أى منقطعا به، وبت عليه الشهادة
و أبتها: قطع عليه بها و ألزمه إياها، وبت عليه [القضاء - '] و أبتة:
قطعه، و البات: المهزول الذى لا يقدر أن يقوم - كأنه قد انقطعت قوته،
و فى الحديث^٢: لا صيام لمن لم يبت^٣ الصيام من الليل، فمعناه: يوجه، أى
٥ يقطعه على نفسه قبل الفجر، من أبت عليه الحكم - إذا قطعه، و روى:
يبت، من بت - إذا قطع، و كلاهما بمعنى، و هما لغتان فصيحتان،
و روى فى حديث: من لم يبت^٤ - من البيات^٥، و أحق بات: شديد الحق -
كذا قاله الليث، و قال الأزهري: هو تاب - بتأخير الموحدة، و البت:
كساء غليظ مهلهل مربع أخضر، و قيل: هو من وبر و صوف، و الجمع
١٠ بتوت، و البتات أى بالتخفيف: متاع البيت و الزاد، كأن ذلك يقطع
صاحبه عن الحاجة. و بتوته: زودوه^٦، أو أن ذلك من الإزالة لأنه صلة
لصاحبه ورفد لأن الاستقراء حاصل بأن^٧ كل مادة لها معنى غالب تدور
عليه و فيها شيء لإزالة ذلك المعنى، و فلان على بتات أمر - إذا
أشرف على فراغه، فانه ينقطع حينئذ، و تقول: طحنت بالرحى بتا - إذا
١٥ إبتدأت الإدارة عن يسارك، كأنه دال على القطع بتمام المزمة لأن
ذلك أقوى للطاحن و أمكن، و انبت الرجل: انقطع ماء ظهره، و يقال:
(١) زيد من ظ و م (٢) راجع تاج العروس - البت (٣) من ظ و م، و فى
الأصل: لم يبيت (٤-٤) - سقط ما بين الرقعين من ظ (٥) من م، و فى الأصل:
لم يبيت، و فى ظ: لم يلبت (٦) فى ظ: البت (٧) من ظ و م، و فى الأصل:
يزودوه (٨) من م، و فى الأصل و ظ: فان .

هذا جبل بت - إذا كان طاقا واحدا، كأنه لما كان كذلك فكان سهل القطع أطلق عليه القطع مبالغة مثل عدل، وقد انبت فلان عن فلان - إذا انقطع و انقبض .

ولما أوقع سبحانه الإخبار بهلاكه^١ على هذا الوجه المؤكد لما كان لصاحب القصة وغيره من الكفار من التكذيب بإسان حاله^٥ و^٢ قاله لما له من المال والولد، وما هو فيه من القوة بالعدد والعدد، زاد الأمر تحققا لإعلاما بأن الأحوال الدنيوية لا غناء لها فقال مخبرا، أو مستفهما منكرا: ﴿ مَا أَغْنَى ﴾ أى أجرى وناب وسد ﴿ عنه ﴾ أى عن أبى لهب الشقى الطريد المبعود عن الرحمة مع العذاب ﴿ ماله ﴾ أى الكثير الذى جرت العادة بأنه ينجى من الهلاك .

ولما كان الكسب أعم من المال، وكان المال قد يكسب منافع هى أعظم منه من الجاه وغيره، وكان الإنسان قد يكون فائزا ولأمال له بأمور أثلها بسمعه خارجة عن المال، قال مفيدا لذلك مينا أنه لا ينفع إلا ما أمر الله به: ﴿ وما كسب^٥ ﴾ أى وإن كان ذلك على وجه هائل من الولد والأصحاب والعز بعشيرته^٦ التى كان يرضيها باتباع^{١٥}

- (١) من ظ و م، وفى الأصل: فكانه (٢) من ظ و م، وفى الأصل: بهلاك الأعداء (٣) من ظ و م، وفى الأصل: أو (٤ - ٤) سقط ما بين الرقين من ظ و م (٥) زيد فى الأصل: يكون، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها . (٦) من ظ و م، وفى الأصل: لا يقع (٧) من ظ و م، وفى الأصل: بعشير .

النبي صلى الله عليه وسلم في المحافل يؤذيه ويكذبه وينهى الناس عن
تصديقه 'مع أنه كان قبل ذلك يتأديه بالصادق الأمين'. وكان ابنه عتبة
شديد الأذى للنبي صلى الله عليه وسلم 'حتى قال' النبي صلى الله عليه
وسلم: اللهم سلط عليه كلبا من كلابك، فكان أبو لهب يعرف أن هذه
الدعوة لابد أن تدركه، فلما حان الأمر وكان قد آن ما أراد صاحب
العز الشامخ، سبب له أن سافر^٢ إلى الشام فأرصى به أبوه الرفاق لينجوه
رغم من هذه الدعوة، فكانوا يحدقون به إذا نام ليكون وسطهم،
والحمول محيطة به وهم يحيطون بها والركاب محيطة بهم، فلم ينفعه ذلك
بل جاء الأسد فتشم^٣ الناس حتى وصل^٤ إليه فاقتلع رأسه ولم ينفع
١٠ أباه ذلك، بل استمر على ضلاله 'لما سبق في علم الله تعالى' حتى كانت
وقعة بدر فلم يخرج، فيها فلما جاء الفلاني^٥ كان منهم ابن أخيه أبو سفيان^٦
ابن الحارث فقال: هلم يا ابن أخي فعندك الخبر، فقال: نعم! فوالله ما
هو [إلا -^٧] أن لقيناهم فنحنأهم أكتافنا / يقتلوننا كيف شاءوا [وبأسرونا
كيف شاءوا -^٨]، ومع ذلك والله ملكت الناس لقينا رجالا أيضا
١٥ على خيل بلق بين السماء والأرض ما تليق شيئا - [أى -^٩] ما تبقى -

/٨٨٩

(١ - ١) سقط ما بين الرمين من ظ و م (٢ - ٢) في ظ و م : فقال (٣ - ٣) في ظ
و م : فسافر (٤) في ظ : فتشم (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : صل (٦) من
ظ و م ، وفي الأصل : الفلاني (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : ابني سفيان .
(٨) زيد من ظ و م (٩) زيد من م .

ولا يقوم لها شيء، قال أبو رافع غلام العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه وكان جالسا^١ فى حجرة فى المسجد يرى نبلا، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت وكنا نكتم إسلامنا، فاملكت نفسى أن قلت: تلك والله الملائكة. قال: فرفع أبو لهب يده فضرب وجهى ضربة شديدة. قال: وثأورته فاحتلمنى^٢ فضرب بى^٣ الأرض^٤ ثم برك^٥ على^٦ يضربنى • وكنت رجلا ضعيفا، فقامت أم الفضل - يعنى سيدته - ابنة العباس رضى الله عنهما إلى عمود الحجرة -^١ أى الخيمة^٢ - فضربته [به -^٣] ضربة فلقت فى رأسه شجة منكرة وقالت: استضعفته أى عدو الله ان غاب^٤ عنه سيده، فقام^٥ موليا ذليلا فوالله ما عاش إلا سبع ليال أو ستا حتى رماه الله بالعدسة فقتله وما نفعه إبعاده عن الخطر^٦ بتخلفه عن بدر، والعدسة بثرة^٧ تشبه ١٠ العدسة تخرج فى مواضع من الجسد من جنس الطاعون تقتل^٨ غالبا، قال القزاز: كانت تعدى فى الجاهلية قلما يسلم منها أحد، تقول: عدس الرجل فهو معدوس، كما تقول: طعن فهو مطعون - إذا أصابه الطاعون - انتهى • ولأجل تشاؤم العرب بها ترك أبو لهب من غير دفن ثلاثا

- (١) من م، وفى الأصل و ظ: جالس (٢-٢) من ظ و م، وفى الأصل: فضربى (٣-٣) من ظ و م، وفى الأصل: فبرك (٤-٤) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، وفى الأصل: قام (٧) من ظ و م، وفى الأصل: فغاب (٨) من ظ و م، وفى الأصل: الخطوب (٩) من ظ و م، وفى الأصل: نثره - كذا (١٠) من ظ و م، وفى الأصل: فقتل.

حتى أنن، ثم استأجروا بعض السودان حتى دفنوه، و يقال: إنهم
حفرُوا له حفرة بعيدة عنه من شدة ثننه ثم دفعوه بخشب طوالاً حتى
رموه فيها و رجموه بالحجارة و التراب من بعيد حتى طموه، فكان ذلك
سنة في رجمه فهو يرجم إلى الآن، و ذلك من أول إجماز هذه الآيات
ه أن كان سبة^٢ في العرب [دون أن - ٢] يعنى عنه شيء [مما يظن أنه
يعنى عنه - ٢] .

و لما أخبر سبحانه و تعالى بوقوع هذا التبار الأعظم به، و كان
لا عذاب يدانى عذاب الآخرة . بينه بقوله: ﴿ سَيُصْلَى ﴾ أى عن قرب
بوعده لا خلف فيه ﴿ نارا ﴾ أى فیدس فيها و تعطف عليه
١٠ و تحيط به .

و لما كان المقصود شدة نكايته بأشد ما يكون من الحرارة كما أحرق
أكباد الأولياء، و كانت النار قد تكون جراً ثم تنطفئ عن قرب قال:
﴿ ذات لهب ﴾ أى لا تسكن و لا تخمد أبداً لأن ذلك مدلول الصفة
المعبر عنها بـ « ذات »، و ذلك بعد موته، و ليس في السورة دليل قاطع على
١٥ أنه لا يؤمن لجواز أن يكون الصلى على الفسق، فلا دليل فيها لمن يقول:
إن فيها التكليف بما علم أنه محال ليكون^٣ قد كلف بأن يؤمن و قد علم
(١) من ظ و م، و في الأصل: طول (٢) من م، و في الأصل و ظ: سنة -
(٣) زيد من ظ و م (٤) سقط من م (٥) من ظ و م، و في الأصل و
النفیحة (٦) من ظ و م، و في الأصل: الجواز (٧) من م، و في الأصل
و ظ: لأنه يكون .

٨٩٠ /

أنه حكم بأنه لا يؤمن، 'وإن كان الله قد حقق هذا الخبر بموته كافرًا في الثانية' من الهجرة عقب / غزوة بدر وهي الخامسة عشرة من النبوة، لكن ما عرف تحتم كفره إلا بموته كافرًا لا بشيء في هذه السورة ولا غيرها، ومن الغرائب أن الكلمات المتعلقة به في هذه السورة خمس عشرة كلمة، فكانت مشيرة إلى سنة موته بعد أن رأى تبايه في وقعة بدر وغيرها ه بعينه، فاذا ضمنا إليها كلمات البسملة الأربع وازت سنة ست من الهجرة، وهي سنة عمرة الحديبية سنة الفتح السبي التي تحقق^٢ فيها تبايه [وخساره - ٢] عند كل من عنده إيمان بالغيب ودفع للريب، فاذا ضمنت إليها الضميرين البارزين اللذين هما^٣ أقرب^٤ إلى الكلمات^٥ الاصطلاحية من المستترة وازت سنة ثمان من الهجرة التي كان فيها^٦ الفتح الحقيقي، فتحقق عند قريش كافة ما أنزل فيه في هذه السورة، فاذا ضمنت إليها الضمائر الثلاثة^٧ المستترة وازت سنة إحدى عشرة على أنك إذا بدأت بالضمائر المستترة حصلت المناسبة أيضا، وذلك أنها توازي سنة تسع وهي سنة الوفود التي دخل^٨ الناس فيها^٩ في الدين أفواجا وحج^{١٠} فيها بالناس^{١١} أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أميرا، ونودي^{١٢}

(١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) في م : حقق (٣) زيد من ظ و م .
 (٤) تكرر في الأصل نقط (ه - ه) من ظ و م ، وفي الأصل : للكلمات .
 (٥) من م ، وفي الأصل و ظ : الثلاث (٧ - ٧) من ظ و م ، وفي الأصل :
 فيها الناس (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : وكان الحج (٩) زيد في الأصل
 و ظ : مع ، ولم تكن الزيادة في م فحذفناها .

في الموسم ببراءة، وأن لا ينجح بعد العام مشرك، 'فتحققت خيبة'^١
 أبي لهب عند^٢ كل من حضر الموسم لاسبابا من كان يعلم دورانه
 وراء النبي صلى الله عليه وسلم و تكذيبه له من مسلم وغيره، فاذا
 ضممنا إلى ذلك الضميرين البارزين وازت سنة إحدى عشرة أول سنة
 ٥ خلافة الصديق رضي الله عنه التي فتحت فيها [جميع -^٣] جزيرة العرب
 بعد أن لعب الشيطان بكثير من أهلها، فرجعوا بعد أن قتل الله منهم
 من علم أنه مخلوق لجهنم، و تحقق حينئذ ما لأبي لهب من التباب و النار
 ذات الالتهاب عند العرب كافة بإيمانهم عامة في السنة الحادية عشرة^٤
 من الهجرة بعد مضي ثلاث و عشرين سنة من النبوة، و استقر الأمر
 ١٠ حينئذ، و علم أن الدين قد رسخت أوتاده و ثبت^٥ عماده، و أن الذي
 كان يحمله في حياة النبي صلى الله عليه وسلم قد حماه^٦ بعده وهو سبحانه^٧
 حي لا يموت و قادر لا يعجزه شيء، و عدد دلكيات السورة ثلاث
 و عشرون و هي توازي سنة حجة الوداع سنة عشر، فانها السنة الثالثة
 و العشرون من المبعث و فيها كمل الدين و نزلت آية المائدة، و أخبر
 ١٥ النبي صلى الله عليه وسلم أن الشيطان قد أيس أن يعبد بأرض العرب،

(١) من ظ و م، وفي الأصل: في هذا (٢ - ٢) من ظ و م، وفي الأصل:
 لحقق خيبته (٣) من ظ و م، وفي الأصل: عن (٤) زيد من ظ و م (٥) من
 م، وفي الأصل و ظ: الحادية عشر (٦) من ظ و م، وفي الأصل: ثبتت.
 (٧-٧) من ظ و م، وفي الأصل: سبحانه وهو.

٨٩١ /

/ فتحقق كل الناس لاسيما من حضر الموسم تباب أبي لهب الذي كان
يدور في تلك المشاهد وراه النبي صلى الله عليه وسلم يكذبه ويؤذيه
”إن في ذلك لعبرة“ .

و لما أخبر سبحانه وتعالى عنه بكال التباب الذي هو نهاية
الخسار، و كان أشق ما على الإنسان هتك ما يصونه من حريمه حتى ه
أنه ييذل نفسه دون ذلك لاسيما العرب، فانه لا يدانيهم في ذلك أحد،
زاده تحقيرا بذكر من يصونها^١ معبرا عنها بما صدرها بأزرا صورة
و أشنعها^٢، فقال مشيرا إلى أن^٣ خلطة الاشرار غاية الخسار، فان الطبع
وإن كان جيدا يسرق من الردي، فكيف إذا كان رديئا و إن أرضى^٤
الناس بما يسخط الله أعظم الهلاك : ﴿وامراته﴾ أى أم جميل أخت ١٠
أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي مثل
زوجها في التباب و الصلى من غير أن يغنى عنها شوه^٥ من مال ولا حسب
ولا نسب، و عدل عن ذكرها بكنيتها لان صفتها القباحة و هى ضد كنيها،
و من هنا تؤخذ كراهة^٦ التلقيب بناصر الدين و نحوها لمن ليس متصفا
بما دل عليه لقبه، ثم وصفها بما أشار إليه ذنبها و أكمل قبيح صورتها ١٥
فقال: ﴿حالة الخطب﴾ أى الحاملة أقصى ما^٧ يمكن حمله من حطب

(١) من م، وفي الأصل و ظ : يصونه (٢) من م، وفي الأصل و ظ :
اشقها (٣) زيد في الأصل : في، ولم تكن الزيادة في ظ و م لخذناها (٤) في
ظ : رضى (٥) من م، وفي الأصل و ظ : شيئا (٦) من ظ و م، وفي
الأصل : كراهية (٧) من م، وفي الأصل و ظ : من .

جهنم بما كانت تمشى به وتبالغ فيه من حمل حطب البهت و النيمة الذى
تحمل به على معاداة النبی صلى الله عليه وسلم وشدة أذاه وإيقاد نار الحرب
والخصومة عليه صلى الله عليه وسلم ، من قول الشاعر^١ :

من البيض لم تصطد على ظهر لامة^٢ ولم تمش بين الحى بالحطب الرطب

٥ أراد النيمة، وعبر بالرطب للدلالة على زيادة الشر بما فيه من التدخين،
وشبهت النيمة بالحطب لأنها توقد الشر فتفرق بين الناس كما أن
الحطب يكون وقودا للنار فتفرقه، وكذا بما كانت تحمل من الشوك
وتثره ليلا فى طريق النبی صلى الله عليه وسلم لتؤذيه، وكانت تفعله
بنفسها من شدة عداوتها وتباشره ليلا لتستخفى به لأنها كانت شريفة،
١٠ فلما نزلت السورة صورّتها بأقبح صورة فكان [ذلك - ٣] أعظم فاضح^٣

لها، وقراءة عاصم بالنصب للقطع على الشتم تؤيد أن امرأته مبتدا
وأن الخبر (فى جيدها) أى عنقها وأجود ما فيها - هو حال على التقدير
الأول (جبل) كالحطابين تخسيسا^٤ لأمرها وتحقيرا لحالها (من مسدع)
أى ليف أوليف المقل^٥ أو من شئ قد قتل وأحكم قتله، من قولهم:

١٥ / ١٨٩٢ رجل مسود الخلق، أى مجدوله - وقد رجع آخرها على أولها، / فان
من كانت امرأته بصورة مصورة بصورة خطابة على ظهرها حزمة حطب معلق

(١) زيد فى الأصل : حيث قال ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .
(٢) من ظ و م ، وفى الأصل : لاته (م) زيد من ظ و م (ع) من م ، وفى
الأصل و ظ : فاتح (ه) من ظ و م ، وفى الأصل : تحسينها (٦) فى ظ : القتل .

حبلها^١ في جديها فهو في غاية الحقارة، والتباب والخساسة والخسارة،
وحاصل هذه السورة أن أبا لهب قطع رحمه وجار^٢ عن قصد السبيل
واجتهد بعد ضلاله في إضلال غيره، وظلم الناصح له الرؤف به^٣ الذي
لم يأل جهدا في نصحه على ما تراه من أنه لم يأل [هو - ^٤] جهدا
في أذاه واعتمد على ماله وأكسابه فهلك وأهلك امرأته معه^٥ ومن ه
تبعه من أولاده، ومن^٦ أعظم مقاصد 'سورة النساء' المناظرة لها في
رد^٧ المقطع على المطلع^٨ التواصل والتقارب والإحسان لاسيما لذوى
الأرحام، والعدل في جميع الأقوال والأفعال، فكان شرح حال الناصح
الذى لا ينطق عن الهوى، [و حال الضال الذى إنما ينطق عن الهوى - ^٩]
قوله تعالى "ريد الله لبيّن لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم" الآيات، ١٠
وختمها إشارة إلى التحذير من مثل حاله، فكأنه قيل: بين الله لكم أن
تضلوا فتكونوا كآبى لب في البوار، وصلى النار - كما تبين لكم، فتكونوا^{١٠}
على حذر من كل ما يشابه حاله وإن ظهر لكم خلاف ذلك، فأنا أعلم
منكم - والله بكل شيء عليم "والحمد لله رب العالمين".

- (١) من م، وفي الأصل وظ: حبل (٢) في ظ: جاء (٣) من ظ و م، وفي
الأصل: له (٤) زيد من م (٥) زيد في الأصل: خزايم الله جميعا، ولم تكن
الزيادة في ظ و م فحذفناها (٦) سقط من ظ و م (٧-٧) من ظ و م، وفي
الأصل: هذه السورة النساء (٨) من ظ و م، وفي الأصل: رده (٩) من ظ
و م، وفي الأصل: انطبع (١٠) من م، وفي الأصل وظ: تكونوا.
(١١-١١) سقط ما بين الرقيين من ظ و م.

سورة 'الإخلاص' وتسمى 'الأساس'

و المقشقشة و قل هو الله أحد

مقصودها بيان حقيقة الذات؛ الأقدس بيان اختصاصه بالاتصاف بأقصى
 الكمال للدلالة على صحيح الاعتقاد للإخلاص في التوحيد بآيات الكمال،
 ونفي شوائب النقص والاختلال، المشر لحسن الأقوال والأفعال، وثبات
 اللجوء والاعتماد في جميع الأحوال، وعلى ذلك دل اسمها الإخلاص
 الموجب للخلاص، وكذا الأساس والمشقشة، قال في القاموس:
 المقشقشان* الكافرون والإخلاص أى المبرتان من النفاق والشرك كما
 يقشش الهناء الجرب، الهناء: القطران، وقال الإمام عبد الحق في كتابه
 ١٠ الواعى: كما يرى المريض من علته إذا برئ منها - انتهى. وهو مأخوذ
 من القش بمعنى الجمع، فسميتا بذلك لانهما تتبعتا النفاق بجميع أنواعه،
 وكذا الشرك والكفر، فجمعتاه ونفتاه عن قارئها حق القراءة، وقد
 تقدم الكلام على هذا الاسم مبسوطا في براءة، وكذا اسمها "قل هو
 الله أحد" دال على مقصودها / بتأمل جميع السورة وما دعت إليه من

/٨٩٣

- (١) الثانية عشرة والمائة من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آياتها .
 (٢) العبارة من هنا إلى «المشقشة» ساقطة من ظ (٣) من م، وفي الأصل :
 الأس (٤) من ظ و م، وفي الأصل : ذات (٥) من م، وفي الأصل و ظ :
 المقشقشان (٦) من م، وفي الأصل و ظ : قسمها .

معاني التبرئة اليسيرة الكثيرة، وهذه السورة اعظم مفيد للتوحيد في القرآن، قال الرازي : والتوحيد مقام يضيق عنه نطاق النطق لأنك إذا أخبرت عن الحق فهناك مخبر عنه ومخبر^٢ به ومجموعهما، وذلك ثلاثة، فالعقل يعرفه ولكن النطق لا يصل إليه، مثل الجنيد عن التوحيد فقال : معنى تضمحل [فيه - ٣] الرسوم، وتشوش فيه العلوم، ويكون الله كما لم يزل. ٥
وقال الجنيد أيضا : أشرف كلمة في التوحيد ما قاله الصديق رضى الله عنه : سبحان من لم يجعل خلقه سبيلا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته .
(بسم الله) الذى له جميع الكمال بالجلال والجمال (الرحمن) الذى أفاض من طوله على جميع الموجودات عموم الأفاضل (الرحيم) الذى خص أهل وداده من نور الإنعام بالإتمام والإكمال . ١٥

لما كانت الكوثر علة للنهى عما تضمنه^٤ التكذيب من مساوىء الأفعال، وعلم بها أنه صلى الله عليه وسلم محتص بالخير المستلزم لأن شائه هو الأبر، فكان موضع السؤال عما يفعل مع الشائتين من معاركة أو متاركة، جاءت الكافرون للتاركة لقله أهل الدين إذذاك، [إشارة - ٥] إلى أن هذه الدار مبنية على الأسباب، فعلم بالكافرون ١٥
أن الشائ^٦ [بما - ٢] لا يعبا به، فتحركت النفس إلى سؤال عن وقت الصلاحية

-
- (١) من ظ و م ، وفي الأصل : مقام (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : مخبر .
(٣) زيد من م (٤) من م ، وفي الأصل و ظ : كلمته (٥ - ٥) من ظ و م ،
وفي الأصل : بالتمام والكمال (٦) في م : تضمنته (٧) زيد من ظ و م .

للمعاركة بعد هذه المتاركة ، و ما يترتب^١ على المعاركة من قهر الشان^٢ بالفعل ،
 فجاءت سورة النصر لذلك مع الإشارة إلى أنه [بما -^٣] لا يسأل عنه
 بمتى ، لتغيير ذلك في وجه الإحسان في التسليم ، وإما يسأل عما يفعل
 عند وقوعه من الإحسان في التعبد ، معبرا بأداة التحقق^٤ [علاما بأنه آت^٥]
 ٥ . لا محالة ، فالسؤال عن^٦ وقته ليس من دأب السائرين . و لما ظهرت
 ذخائر هذه الكنوز بدقائق تلك الرموز ، و ما انضم إليها من القرآن
 الظاهرة ، استحضرنا حال أبي لهب لما كان فيه مع قرابته القرية من
 شدة العناد ، و الاجتهاد العظيم في كل ما يضاد أشرف العباد . [واشتد^٧ -
 الشوف إلى انقلاب حاله إذذاك هل يكون بما ختمت به النصر من
 ١٠ . التوبة أو بخذلانه و انقلابه بأعظم الحية و الحوبة ؟ فجاءت سورته
 لذلك بيانا لأنه غلب عليه الشقاء فنزل به في دركاته مانعا من معالي درج
 الارتقاء ، فلما بين سبحانه بذلك إهلاكه^٨ عدوه صلى الله عليه و سلم ،
 و ختم بأعدى أعدائه لحكم بهلاكه و هلاك زوجه هلاكا لا جبر له على
 وجه مبين أنه في أدنى دركات الحقارة ، و أعظم أنواع الخسارة ، فرقص
 ١٥ الفكر^٩ طربا من هذه الأمور ، و سكر اللب من عجائب المقدور ، و اهتز

(١) من ظ و م ، و في الأصل : يتركب (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ
 و م ، و في الأصل : لتحقيق (٤) من ظ و م ، و في الأصل : الى (٥) من ظ
 و م ، و في الأصل : من (٦) من ظ و م ، و في الأصل : الالتقاء (٧) من م ،
 و في الأصل و ظ : اهلاك (٨) من ظ و م ، و في الأصل : العقل .

٨٩٤ /

السامع / غاية الاهتزاز إلى وصف الفاعل ذلك لذى هو خارج عن طوق البشر، وخارق للعوائد، وهو إظهار شخص واحد على الناس كافة مع شدة عداوتهم له، جاءت الإخلاص كاشفة لما ثبت من العظمة لولى النبي صلى الله عليه وسلم سبحانه وتعالى الذى أمره بهذا الدين وفعل له هذه [الأمور - ١] العظيمة الموجبة لمن له قلب^٢ أو ألقى السمع وهو شهيد، لئلا يستبعد عليه سبحانه وتعالى شيئاً من ذلك ولا غيره، وإن تمثيل جميع ما يأمر^٣ به كائناً ما كان وكائناً فيه ما كان على أى وجه كان موافقة لأمره وطاعة له و منبئة للاعتقاد الحق الذى اوجب هذه النصرة،^٤ وورادة^٥ على جميع فرق الضلال، هذا - فى انعطاف الآخر على الأول بالنسبة إلى السور - من أعظم المناسبات فى ذلك بالنظر إلى ١٠ الآيات أنه سبحانه شرح بالفيلى وما بعدها^٦ من السور آيات^٧ الفاتحة كلها [ثم - ١] من أول البقرة إلى آية التوحيد، فأشار بالفيلى إلى استجماع الصفات الكمال بأن له الحمد بما حرس به بيته من الملوك وحماه من كيد الجبابرة وأحسن التربية لقريش الذين هم أشرف العالمين وبصلاحهم صلاح بلدتهم أم القرى، وبصلاحها^٨ صلاحها، فدل ذلك على أنه يدين ١٥

-
- (١) زيد من ظ و م (٢) من ظ، وفى الأصل و م : لب (٣) من م، وفى الأصل : يمر، وفى ظ : يومر (٤-٤) من م، وفى الأصل و ظ : واردة . (٥) من ظ و م، وفى الأصل : بعد (٦) من ظ و م، وفى الأصل : بأن . (٧) من م، وفى الأصل : بصلاحهم، والعبارة فى ظ سائطة من « صلاح » إلى « صلاحها » .

العباد يوم التناد، ولذلك أعطى رأس الهداة الدين الذى أفرد به بالعبادة
والاستعانة بالكوث، وهداه إلى الصراط المستقيم، وأعاده من^١ طريق
الكافرين المعاندين والضالين، وأشار أول البقرة إلى دخول المتقين
- الذين الكتاب هدى لهم - فى الدين أفواجا وإن أغنى أهل الكفر^٢
هـ وأعتاهم سواء عليهم الإنذار وعدمه فى أنه لا يؤمن وهو أبو لهب
ومن سار بسيره من مجاهر ومسار ويعمهم الخسار، ويشملهم الهلاك
والتبار، بحكم الواحد القهار، المأمور بعبادته وتوحيده فى الآية الجامعة
للدعوات التوحيد "يا أيها الناس اعبدوا ربكم" المتصف بما فى سورة
الصمد التى لم ينزل^٣ فى وصفه مثلها، فتم الدين عند ذلك [بما له -^٤]
١٠ سبحانه من كمال الأوصاف، وجلال النعوت^٥ بالجهوت والالطاف،
فلم يبق إلا تعويد أهل الدين من أن يدخل عليهم خلل، أو يلحقهم
نزغ أو زلل، فختم بالمعوذتين لذلك، والله المسؤول فى الإنعام بعائد
السؤل لكل سالك .

ولما كان المقصود من القرآن دعوة العباد إلى المعبود، وكان
١٥ المدعو إلى شئ. أحوج ما يكون إلى معرفته، وكان التعريف تارة
للذات وتارة للصفات وتارة للأفعال، وكانت هذه [الآمة -^٦]

(١) من ظ وم، وفى الأصل: عن (٢) من م، وفى الأصل و ظ: الكفرة.

(٣) من ظ وم، وفى الأصل: لم ثل - كذا (٤) زيد من ظ وم (هـ) من

ظ وم، وفى الأصل: النعوات

أشرف الأمم لأن نبيها أعلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، و'كان هي' الختام، أشبع الكلام في تعريفه سبحانه في القرآن، وأنهى' البيان في ذلك إلى حد لا مزيد عليه ولم يقاربه في ذلك كتابا من الكتب / السالفة، ٨٩٥ / ولكنه لما كان الكبير إذا تناهى كبره عزت معرفة ذاته، وكان الله تعالى هو الأكبر مطلقا، وكانت معرفة ذاته - كما أشار إليه الغزالي في هـ الجواهر، والفخر الرازي في كتبه - أضيق ما يكون مجالا وأعسر^٢ مقالا، وأعصاه على الفكر^٣ منالا، وأبعده عن قبول الذكر استرسالا، لأن' القرآن لا يشتمل من ذلك إلا على تلويحات وإشارات* أكثرها يرجع إلى ذكر التقديس المطلق كقوله تعالى "ليس كمثل شيء" وهو السميع البصير"، وإلى التعظيم المطلق كقوله "سبحانه وتعالى عما يصفون" ١٠ فكان القياس أن يقتصر على ذلك مع التعريف بالصفات والأفعال، لكن لما كانت هذه الأمة في الذروة من^٤ حسن الأفهام مع ما نالته من الشرف، حباها سبحانه وتعالى بسورة الإخلاص كاملة بيان لا يمكن أن تحتمل عقول البشر زيادة عليه، وذلك ببيان أنه ثابت ثباتا لا يشبهه ثبات على وجه لا يكون لغيره أصلا، وأنه سبحانه وتعالى منزّه عن الشبيه ١٥ والنظير والمكافئ^٥ والمثيل، فلا زوجة له ولا ولد، ولا حاجة بوجه

(١ - ١) من ظ و م، وفي الأصل: لما كان هو (٢) من ظ و م، وفي الأصل: اعنده (٣) من ظ و م، وفي الأصل: الكفر (٤) سقط من م. (٥) زيدت الواو في الأصل ولم تكن في ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م، وفي الأصل: و (٧) من ظ و م، وفي الأصل: المكان.

إلى أحد، بل له الخلق و الأمر، فهو يهلك من اراد و يسعد من شاء،
 فقال آمرا لنبه صلى الله عليه و سلم ليكون أول كلمة فيها دالة على
 رسالته ردا على من كذبه في خاصة نفسه و على البراهمة القائلين: إن في
 العقل غنى عن الرسل. و يكون البيان جاريا على لسانه صلى الله عليه
 و سلم ليكون إلى فهم الخلق عنه لتلك الصفات العلى أقرب لما لهم به
 من المجانسة: ﴿قل﴾ أى يا أكرم الخلائق و من لا يفهم عن مرسله
 حق الفهم سواء، و إطلاق الأمر بعدم التقيد^٢ بمقول له^٢ يفهم عموم
 الرسالة، وأن^٣ المراد كل من يمكن القول له سواء كان سائلا عن ذلك^٤
 بالفعل أو بالقوة حثا على [استحضار-°] ما لرب هذا^٥ الذين- الذى حاطه
 هذه الحياطة و رباه هذه التربية- من العظمة و الجلال، و الكبرياء و الكمال،
 ففى الإطلاق المشير إلى^٦ التعميم رد^٧ على من أقر بارساله صلى الله عليه
 و سلم إلى العرب خاصة، و يدل على أن مقول القول لا ضرر فيه على
 أحد فان ظواهره مفهومة لكل أحد لا فتنة فيها^٨ بوجه، و إنما تأتى الفتنة

(١) من ظ و م، و فى الأصل: يشاء (٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل:
 بقوله (٣) زيد فى الأصل: كان، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها.
 (٤-٤) من ظ و م، و فى الأصل: عن ذلك سائلا (٥) زيد من ظ و م.
 (٦) من ظ و م، و فى الأصل: على (٧) زيد فى الأصل: هذه الصفات،
 و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٨) من ظ و م، و فى الأصل: ردا.
 (٩) من ظ و م، و فى الأصل: فيه.

عند تعمق الضال إلى ما [لا - '] يحتمله عقله .

و لما كان أهم المقاصد الرد على المعطلة الذين هم ضرب من يقول
 " نموت ونحيا و ما يهلكنا الا الدهر " أثبت وجوده سبحانه على أم
 الوجوه و أعلاها و أوقاها و أجلاها بما معناه أن حقيقته ثابتة ثباتا لا يتوجه
 نحوه شك بوجه^٢ من الوجوه^٢، فقال مكاشفا للأسرار - فانه لا يمكن هـ

٨٩٦ /

غيبته [عنها -^٢] أصلا - / [و -^٢] للوالهين؛ (هو) فابتدأ بهذا الاسم
 الشريف الذى هو أبطن الأسماء إشارة إلى أنه غيب الغيب بالنظر
 إلى ذاته [كالألف ، و إلى أنه واجب الوجود لذاته - '] ، و أن هويته
 ليست مستفادة من شيء سواها و لا موقوفة على شيء سواها ، فان كل
 ما^١ كانت هويته مستفادة من غيره أو^١ موقوفة عليه^٢ فتى لم يعتبر غيره ١٠
 فلم يكن هو هو ، و ما^١ كانت هويته لذاته فهو هو سواء اعتبر^٢ غيره
 أو لم يعتبر ، فاذأ لا يستحق هذا الاسم غيره أصلا على أن الهاء بمفردها
 مشيرة - بكونها من أبطن - الخلق إلى أنه هو الاول و الباطن المبدع^٣ لما
 سواه ، و الواو - بكونها من [أظهر - '] حروف الشفة - إلى أنه الآخر
 و الظاهر ، و أن إليه المنتهى ، و ليس وراه مرمى ، و نأه المبدئى المعيد ١٥
 - كما يشير إلى ذلك تكرير الواو فى اسمها ، و إلى أنه محيط بكل شيء لما

(١) زيد من ظ و م (٢ - ٢) سقط ما بين الرّتين من ظ و م (٣) زيد من م .
 (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : من (٦ - ٦) من ظ و م ، و فى
 الأصل : هو موقوف (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : اعتبره (٨) من ظ
 و م ، و فى الأصل : المبتدع .

فيها من الإحاطة .

ولما كان وجوده سبحانه لذاته، ولم يكن مستفادا من غيره،
فإن ما استفيد وجوده من غيره كان ممكنا، [كان - ١] لا يمكن شرح
اسمه الذي هو هو، لا اسم الحقيقة غيره يقوم من جنس ولا نوع
٥ ولا فصل لأنه لا جنس له ولا نوع [له - ٢] ولا سبب يعرف به،
والذي لا سبب له لا يمكن معرفته إلا بلوازمه، واللوازم منها سلبية
ومنها إضافية، ومنها قريبة ومنها بعيدة^٢، [والتعريف بالإضافة وبالقرية
أتم من التعريف بالسلبية وبالبعيدة - ٣]، لأن البعيد كالضاحك الذي
هو بعد المتعجب بالنسبة إلى الإنسان لا يكون معلولا^٣ شيء [بل - ٢]
١٠ معلولا لمعلوله، وبالجمع بين السلبية والإضافة أتم من الاختصار على
أحدهما، فلذلك اختير اسم جامع^٤ للنوعين ليكون التعريف^٥ أتم، وذلك^٦
هو كون تلك الهوية إلها، فاختر لذلك اسم دال عليها وهو مختص
غير مشترك، وهو أول مظاهر الضمير كما أن الهمزة أول مظاهر الألف،
ولهذا قال بعضهم: الاسم الأعظم آخر الظواهر من الأسماء، ولهذا
١٥ كانت كلها صفات له وهو أول البواطن،^٧ فقال مكاشفا للأرواح^٨

(١) زيد من م (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، وفي الأصل: بعيد.

(٤) من ظ و م، وفي الأصل: معلوما (٥) من ظ و م، وفي الأصل: الجامع.

(٦) زيد في الأصل: بذلك، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٧) من ظ

وم، وفي الأصل: لذلك (٨-٨) في الأصول: نقيل مكاشفة الأرواح - كذا.

وللوحدين: (الله) أى الموجود الذى لا موجود فى الحقيقة سواه!
هو المسمى بهذا الاسم، واختير هذا الاسم للاخبار عنه لدلالته على
جميع صفات الكمال: 'الجلال والجمال' ولأنه اسم جامع لجميع [معاني-^٢
الاسماء الحسنى، وهو أقرب اللوازم للهوية لأنه [لا -^٢] لازم لها
أقرب من وجوب الوجود الذى هو مقتضى الذات على ما هى عليه من ه
الصفات، لا بواسطة شيء آخر، وبواسطة وجوب وجوده كان مقيضا
باختياره الإيجاد [على كل شيء أراده، و مجموع الوجوب الذى هو
سلب وحده والإيجاد -^٢] الذى هو اختيار للوجود^٤ [بإضافة الوجود-^٢
وإضافة للالهية^٥ التى جمعتها الجلالة، وهى أقرب اللوازم إلى الذات^٦
القدس، ودل التعبير به على أنه [لا -^٢] مقوم للهوية من جنس ١٠
ولا غيره ولا سبب^٧، وإلا لكان العدول عنه إلى التعريف^٨ باللازم
قاصرا، وعلى أن إلهيته^٩ على الإطلاق / لجميع الموجودات، فكان
شرح تلك الهوية باللازم أبلغ البلاغة وأحكم الحكمة، لأنه - مع كونه
هو الحق - مشير^{١٠} إلى ما ذكر من الدقائق .

ولما ذكر الذات [التى -^٢] لا سبب لها ولا مقوم من جنس ١٥

- (١) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ و م فحذفناها (٢ - ٢) سقط ما
بين الرقمين من ظ (٣) زيد من ظ و م (٤) فى ظ : للوجود (٥) زيد فى ظ :
هو الالهية (٦) من ظ و م، وفى الأصل : ذات (٧) من ظ و م، وفى
الأصل : بسبب (٨) فى ظ : التعبير (٩ - ٩) من ظ و م، وفى الأصل :
لإطلاق (١٠) من ظ و م، وفى الأصل : مشيرا .

ونوع وغيره أصلاً بل هي مجرد وحده وتنزه عن تركب لا كثرة لها ولا اثنية بوجه، وعرفها باسم جامع 'الأنواع السلوب' والإضافات اللازمة لها هو أقرب اللوازم إليها، فأنشرح وجودها المخصوص على ما هو عليه، فكان [ذلك - ٢] تعريفاً كاملاً لأن تعريف ما لا تركب فيه باللوازم^٢ القريبة في الكمال كتعريف المركبات بمقوماتها، فإن التعريف البالغ هو أن يحصل في النفس صورة مطابقة للعقول، وكانت الزيادة في الشرح مطلوبة لأنها أكل لاسيما في الأمور الباطنة الخفية، أتبع ذلك باسم سلبى إشارة إلى [أن - ٢] النظر في هذه الدار إلى جانب الجلال ينبغي كونه أعظم، وذلك الاسم قربه من الجلالة كقربتها ١٠ من الهوية، فإنه دال على الوحدة الكاملة المجردة وهو منزل^٣ الجلالة كما أنها منزل الهوية، وهو كما أن الجلالة لم يقع فيها شركة^٤ أصلاً قد ضاهاها في أنه لا شركة لغيره تعالى فيه عند استعماله مفرداً بمعناه الحقيقي إلا [أن - ٢] في النفي إشارة إلى أن كل ما عداه سبحانه عدم، فقال مكاشفاً للقلوب و للعارفين مكذباً^٥ للنصارى القائلين بالآب والابن ١٥ و روح القدس، و لليهود القائلين بأنه جسم، و للجوس الذين يقولون (١ - ١) من ظ، وفي الأصل: نوع الاسلوب، وفي م: لنوع السلوب. (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، وفي الأصل: بالارم (٤) من ظ و م، وفي الأصل: تنزل - كذا (٥) من ظ و م، وفي الأصل: من شرك. (٦) من ظ و م، وفي الأصل: تكذيباً.

بأنه اثنان: نور يخلق الخير، وظلام يخلق الشر، وللصابئة الذين يعبدون
النجوم، وللشركين القائلين بالهية الاصنام، مخبرا 'خبرا آخر'، أو مبدلا
من الجلالة، أو مخبرا عن مبتدا محذوف: (احدى) وهو لاجل كونه
خاصة^٢ في الإثبات حال الانفراد به تعالى معرفة غنى عن [وآل، -^٢]
المعرفة، وهو أعرق في الدلالة على صفات [الجلال كما أن الجلالة هـ
أعرق في الدلالة على صفات -^٢] الكمال لأن الواحد الحقيقي ما يكون
منزه^٤ الذات عن أنحاء التركيب والتعدد [و-^٥] ما يستلزم أحدهما
كالجسمية والتحييز والمشاركة في الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة
الكاملة والحكمة النامة المقنضية للالوهية من غير لزوم دور و[لا-^٥]
تسلسل من جهة تركب أو غيره، وقرئ بإسقاط 'قل'، هنا و في ١٠
المعوذتين مع الاتفاق^٦ على إنباتها^٦ في الكافرون ونفيها في تبت،
ولعل الحكمة أن الكافرون مخاطبة للكفار بما بين مشاققة ومشاركة^٧،
فناسب الحال أن يكون [ذلك-^٥] منه صلى الله عليه وسلم،^٨ وتبت
معاتبه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوينخه فلا يناسب أن يكون
ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم،^٩ والباقيات ما بين 'توحيد' وتعوذ، ١٥

(١-١) من ظ و م، وفي الأصل: أخرا (٢) في ظ: خاصا (٣) زيد من م.

(٤-٤) من ظ و م، وفي الأصل: بالذات عن إيجاد (هـ) زيد من ظ و م.

(٦-٦) من ظ و م، وفي الأصل: في إنباتها (٧) من ظ و م، وفي الأصل:

تاركة (٨-٨) سقط ما بين الرقيين من ظ (٩-٩) من ظ و م، وفي الأصل:

توحيد.

فناسب أن يؤمر بتبليغه و أن يدعو به ، و رتب الأحدية على الإلهية دون
العكس ، لأن الإلهية عبارة عن استغنائه عن الكل ، واحتياج الكل إليه ،
و كل ما كان كذلك كان واحدا مطلقا ، و إلا لكان محتاجا إلى أجزائه ،
[فالإلهية من حيث هي تقتضى الوحدة ، و الوحدة لا تقتضى الإلهية ، و عبر
به دون واحد ، لأن المراد الإبلاغ في الوصف بالوحدة إلى حد لا يكون
شيء أشد منه ، و الواحد - قال ابن سينا - مقول على ما تحته بالتشكيك ،
و الذى لا ينقسم بوجه أصلا أولى بالواحدية مما ينقسم من بعض الوجوه ،
و الذى ينقسم انقساما عقليا أولى مما ينقسم بالحس ، و الذى ينقسم
بالحس و هو بالقوة أولى من المنقسم بالحس بالفعل ، و إذا ثبت أن
١٠ الوحدة قابلة للأشد و الأضعف ، و أن الواحد مقول على ما تحته بالتشكيك
كان الأكمل في الوحدة الذى لا يمكن أن يكون شيء آخر أقوى منه
فيها ، و إلا لم يكن بالغاً أقصى المرام ، و الأحاد جامع لذلك دال على
الواحدية من جميع الوجوه ، و أنه لا كثرة هناك أصلا ، لا معنوية من
المقومات من الأجناس و الفصول و لا بالأجزاء العقلية^٢ كالمادة و الصورة ،
١٥ و لاحسية بقوة و لافعل كما في الأجسام ، و ذلك لكونه سبحانه منزها^٣
عن الجنس و الفصل و المادة و الصورة و الأعراض و الأبعاد و الأعضاء
و الأشكال و الألوان و سائر وجوه الثنية^٤ التى تلم الوحدة الكاملة الحققة
(١) العبارة من هنا إلى ما سنبه عليه زيدت من ظ و م (٢) في ظ : الفعلية .
(٣) من ظ ، و في م : متره (٤) في ظ : استشبيه .

اللائقة بكرم وجهه وعز جلاله أن يشبهه شيء أو يساويه لأن كل ما كانت هويته إنما تحصل من اجتماع أجزاء كانت هويته موقوفة على حصول تلك الأجزاء، فلا يكون هو هو لذاته بل لغيره، فلذا كان منزها عن الكثرة بكل اعتبار، ومتصفا بالوحدة من كل الوجوه، فقد بلغ هذا النظم من البيان أعظم شأن، فسبحان من أنزل هذا الكلام ما ه أعظم شأنه وأقهر سلطانه، فهو منتهى الحاجات، ومن عنده نيل الطلبات، ولا يبلغ أدنى ما استأثره من الجلال و"العظم والبهج" أقصى نعوت الناعتين وأعظم وصف الواصفين، بل القدر الممكن منه الممتع أزيد منه هو الذى ذكره فى كتابه العزيز، وأودعه وحيه المقدس الحكيم، وبالكلام على معناه ومعنى الواحد تحقق ما تقدم، قال الإمام ١٠ أبو العباس الاقلشئى^٢ فى "شرح الاسماء: فن أهل اللسان من ساوى بينهما جعلهما مترادفين، ففهم من قال: أصل أحد^٣ واحد سقطت منه الألف ثم أبدلت الهمزة من الواو المفتوحة، [ومنهم من قال: ليس أصله واحد وإن كانا بمعنى واحد، بل أصله وحد - من الوحدة - يحذف هو وحد -] مثل حسن يحسن فهو حسن^٤ - من الحسن، أبدلت الواو همزة، وأما من فرق ١٥ بينهما ففهم من قال: أحد اسم على حياله لا إبدال فيه ولا تغيير، ومنهم من قال: أصله وحد، أبدلت الواو همزة - انتهى، وقد استخلصت

(١-١) فى ظ: العظمة والبهجة (٢) راجع معجم المؤلفين ٢ / ١٨١ (٣) فى

ظ: من (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ .

الكلام على الاسمين الشريفين من عدة شروح للأسماء الحسنی و غيرها
 منها شرح الفخر الرازی و الفخر الحرالی و غيرها، قالوا: الواحد
 الذى لا كثرة فيه بوجه لا بقسمة ولا بغيرها مع اتصافه بالعظمة ليخرج
 الجواهر الفرد وهو [أيضا - ٢] الذى لا يتثنى، أى لا ضد له ولا شبهه،
 ه فهو سبحانه واحد بالمعنيين على الإطلاق لا بالنظر إلى حال ولا شيء،
 قال الإمام أبو العباس الاقليشى فى شرح الأسماء: هذه حقيقة الوحدة عند
 المحققين، فلا يصح أن يوصف شيء مركب بها إلا مجازاً، كما تقول: رجل
 واحد، و درهم واحد، و إنما يوصف بها حقيقة ما لاجزء له كالجواهر
 الفرد عند الأشعرية غير أنك إذا نظرت فوجدت وجوده من غيره
 ١٠ علمت أن استحقاقه لهذا الوصف ليس كاستحقاق موجد له، و هو أيضا
 إنما يوصف به لحقارته، و موجد سبحانه موصوف به مع الاتصاف
 بالعظمة، فاتصافه بالوحدة على الإطلاق، و اتصاف الجواهر بالنظر إلى
 عدم التركيب من الجسم مع أن صحة اتصافه بأنه جزء يزيل عنه حقيقة
 ذلك، و الوحدة أيضا بالنظر إلى المعنى الثانى و هو ما لا نظير له لا تصح
 ١٥ بالحقيقة إلا له سبحانه، و كل ما نوعيته فى شخصيته كالعرش و الكرسي
 و الشمس و القمر يصح أن يقدر لها نظائر، و له معنى ثالث و هو
 التوحد بالفعل والإيجاد، فيفعل كل ما يريد من غير توقف على شيء،
 والفرق بين هذا الوجه و الذى قبله أن الاول ناظر إلى نفي إله ثان،
 و هذا ناف لمعين و وزير، و كلاهما وصف ذاتى سلبى، و الحاصل أن

(١-١) فى ظ: الأسماء (٢) زيد من ظ .

النظر الصحيح دل على 'أن لنا' موحدا واحدا بمعنى أنه لا يصح أن يلحقه نقص القسمة بوجه من الوجوه و بمعنى أنه معدوم النظير بكل اعتبار، و بمعنى أنه مستبد بالفعل مستقل بالإيجاد و متوحد^٢ بالصنع متفرد بالتدبير، قضى بهذا شاهد العقل المعصوم من ظلمة الهوى و كثافة الطبع، و ورد به قواطع النقل و نواطق السمع، و لهذا كان من أعظم الحق ٥ دعاؤه سبحانه لجميع الخلق، و كانت دعوة رسوله الخاتم صلى الله عليه و سلم للخلق كافة، و قال الإمام - [حجة الإسلام أبو حامد الغزالي في آخر شرحه للأسماء في بيان رد الأسماء الكثيرة إلى ذات واحدة و سبع صفات : الأحد المسلوب عنه النظير، و قال في الشرح المذكور : الواحد هو الذى لا يتجزى 'و لا يشئى، أما الذى لا يتجزى' فكالجوهر ١٠ الواحد الذى لا ينقسم فيقال : إنه واحد - بمعنى أنه لاجزء له، و لذلك النقطة لاجزء لها، و الله تعالى واحد - بمعنى أنه يستحيل تقدير الانقسام فى ذاته، و أما الذى لا يشئى فهو الذى لا نظير له كالشمس مثلا فانها و إن كانت قابلة للانقسام بالوهم متحيزة فى ذاتها لأنها من قبيل الأجسام فهي لا نظير لها إلا أنه يمكن أن يكون لها نظير، و ليس فى الوجود موجود يتفرد ١٥ بخصوص وجوده تفردا لا يتصور أن يشاركه فيه غيره أصلا إلا الواحد المطلق أزلا و أبدا، و العبد إنما يكون واحدا إذا لم يكن له فى أبناء جنسه نظير فى خصلة من خصال الخير، و ذلك بالإضافة إلى أبناء جنسه

(١-١) -قط ما بين الرقین من ظ (٢) فى ظ : موجد (٣) زيد من ظ .

وبالإضافة إلى الوقت إذ يمكن أن يكون في وقت آخر^١ مثله، وبالإضافة إلى بعض الخصال دون الجميع، فلا وحدة على الإطلاق إلا الله تعالى، وقال الإمام محمد بن عبد الكريم الشهرستاني في مقدمة كتابه الملل والنحل: و اختلفوا في الواحد أهو من العدد أم هو مبدأ العدد وليس داخلا في العدد، وهذا الاختلاف إنما ينشأ من اشتراك^٢ لفظ الواحد، فالواحد يطلق ويراد به ما يتركب منه العدد، فان الاثنين لا معنى له إلا واحد، تكرر أول تكرير، وكذا الثلاثة والأربعة، و يطلق ويراد به ما يحصل منه العدد، أي هو علة^٣ ولا يدخل في العدد^٤ أي لا يتركب منه منه العدد، وقد تلازم الواحدية جميع الأعداد لا على أن العدد تركب منها بل وكل موجود فهو جنسه أو نوعه أو شخصه واحد يقال: إنسان واحد، وشخص واحد، وفي العدد - [٥] / كذلك فان الثلاثة في أنها ثلاثة واحدة، فالواحدة بالمعنى الأول داخلة في العدد، وبالمعنى الثاني علة العدد^٦، وبالمعنى الثالث ملازمة للعدد، وليس من الأقسام الثلاثة قسم يطلق على البارئ تعالى معناه: فهو واحد لا كالأحاد أي هذه الوحدات والكثرة منه وجدت ويستحيل عليه الانقسام بوجه من وجوه^٧ القسمة - انتهى، وهو واحد^٨ أيضا بنفسه لا بالنسبة إلى ثان بوجه

/ ٨٩٨

- (١-١) من ظ، وفي م: آخر (٢) من ظ، وفي م: اشتراط.
(٣) من ظ، وفي م: علة (٤) من ظ، وفي م: العدد (٥) وإلى هنا انتهت الزيادة من ظ وم واستأنف الأصل (٦) من ظ وم، وفي الأصل: لتعدد.
(٧) من ظ وم، وفي الأصل: الوجوه (٨) من ظ وم، وفي الأصل: احد.

من الوجوه، و قال بعضهم: الواحد يدل على الأوليّة والأولية، لأن
الواحد في الاعداد ركنها وإظهار مبدئها، والواحد يدل على بينوته
من خلقه في جميع صفاته ونفى أبواب الشرك عنه، فالواحد بنى لنفى ما
يذكر معه من العدد، والواحد اسم لمفتتح العدد، وقال الإمام أبو حاتم
محمد^٢ [بن مهران -^٢] الرازي في كتابه الزينة، قال بعض الحكماء: إنما ه
قيل له سبحانه «واحد» لأنه عز وجل لم يرل قبل الخلاق متوحدا بالأزل
لاثنى معه ولاخلق، ثم أبدع الخلق، فكان الخلق كله مع احتياجه إليه
سبحانه * محتاجا بعضه إلى بعض ممسكا بعضه بعضا متعاديا ومتضادا
ومتشاكلا ومزدوجا ومتصلا ومنفصلا، واستغنى عز وجل عن الخلاق
فلم يحتاج إلى شيء فيكون ذلك الشيء مقرونا به لحاجته إليه. ولاناواه ١٠
شيء فيكون ذلك الشيء أضدا له نصرا^٦ به، فيكون ذلك الضد والقرين
له ثانيا، بل توحيد الغنا عن جميع خلقه لأنه كان قبل كل شيء، والأولية
دلت على الوحدانية، فالواحد^٢ اسم يدل على نظام واحد يعلم باسمه أنه
واحد ليس قبله شيء:

و في كل شيء له آية تدل على أنه واحد^٨ ١٥

-
- (١) من ظ و م، وفي الأصل: الله (٢) من معجم المؤلفين ١/٣٥، وفي الأصول:
أحمد (٣) زيد من ظ و م إلا أن فيهما «حمدان» والتصحيح من معجم المؤلفين.
(٤) من ظ و م، وفي الأصل: الحكمة (٥) زيد في الأصل: وكذا، ولم تكن
الزيادة في ظ و م لحذفناها (٦-٧) من ظ و م، وفي الأصل: ضلاله مقربا.
(٧) في ظ: فالوحدانية (٨) سقط البيت من ظ و م.

و الواحد من العدد في الحساب ليس قبله شيء، بل هو قبل كل عدد
و هو خارج عن العدد، و الواحد كيفما أدرته لم يزد فيه شيء و لم ينقص
منه شيء، تقول: واحد في واحد بواحد^١ - فلم يزد على الواحد شيء، فدل
على أنه لا شيء قبله، و إذا دل على أنه لا شيء قبله دل على أنه محدث
الشيء^٢، فإذا دل على أنه محدث الشيء^٣ دل على أنه مغف الشيء، و إذا كان

مغف الشيء دل على أنه لا شيء بعده، فإذا لم يكن قبله شيء و لا بعده شيء
فهو المتوحد بالآزل، يعنى فهو الواحد الذى لا نظير له فهو الأحد، قال:

فلذلك قيل: هو واحد و^٢ أحد، / و قلنا: إن الأحد هو اسم أكمل
- أى أعم - من الواحد، ألا ترى أنك إذا قلت: فلان لا يقوم له واحد،

/ ٨٩٩

١٠ جاز في المعنى أن يقوم له اثنان أو ثلاثة فافوقها، و إذا قلت: فلان

لا يقوم له أحد، فقد جزمت بأنه^٥ لا يقوم له واحد و لا اثنان و لا ما

فوقها، فصار الأحد أكمل من الواحد، و في الأحد خصوصية ليست

في الواحد، تقول: ليس في الدار واحد، يجوز أن يكون واحداً^٦ من

الدواب أو الطير أو^٦ الوحش أو الإنس، فكان الواحد يعم الناس و غير

١٥ الناس، و إذا قلت: ليس في الدار أحد، فهو مخصوص للآدميين دون

سائرهم، و الأحد ممتنع من الدخول في الضرب و في العدد و في القسمة

(١) سقط من ظ (٢-٢) تكرر ما بين الرقيين في ظ (٣) من ظ و م، و في

الأصل: فهو (٤) من ظ و م، و في الأصل: هم (٥) في ظ و م: أنه (٦) من

ظ و م، و في الأصل: واحد (٦) من ظ و م، و في الأصل «و».

و في شيء من الحساب، و هو منفرد بالاحدية، و الواحد منقاد للعدد
و القسمة و غيرها داخل في الحساب، تقول: واحد و اثنان و ثلاثة،
فهذا و إن لم يكن من العدد فهو علة العدد، و داخل في العدد، لأنك
إذا ضربت واحداً في واحد لم يزد، و اثنان هو جذر الحساب، و تقول:
واحد في اثنين أو في ثلاثة فما فوقها فهذا هو الضرب، و تقول في ٥
القسمة: واحد بين اثنين أو ثلاثة، لكل واحد من الاثنين نصف، و من
الثلاثة ثلث، فهذه القسمة، و الأحاد تمتع من هذا، لا يقال: أحد
و اثنان و لا أحد في أحد و لا أحد في واحد و لا في اثنين أو ثلاثة،
و الواحد و إن لم يتجزأ من الواحد فهو يتجزأ من [الاثنين و - ٢]
الثلاثة فما فوقها، تقول: جزؤ واحد من جزئين أو ثلاثة فما فوقها، ١٠
و لا يجوز: جزأ أحد من جزأين فما فوقهما، و قد سمي الله نفسه واحداً
أحداً و وصف نفسه بالوحدانية و الاحدية، فالواحد نعت يلزمه على
الحقيقة لأنه كان قبل و لاثنان معه، و الثاني خلاف الواحد، فهو واحد
لاتحاده في القدم، و الخلق اثنان لاقرانه بالحدث^١ لأن الحدوث ثان
للقدم، و به ظهرت الثنية، فالواحد هو الأحاد في ذاته فهو لا شيء قبله ١٥
و لا من شيء و لا في شيء و لا على شيء و لا شيء^٢ و لا مع شيء، فيكون
ذاك الشيء ثانياً معه بل هو الواحد من شيء و الأشياء كلها [له - ٣]،
(١) من ظ و م، و في الأصل: متعاد (٢) من م، و في الأصل وظ: واحد.
(٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و في الأصل: اثنين (٥) من ظ و م،
و في الأصل: بالخلق (٦-٧) سقط ما بين الرقنين من ظ .

وهو المتحد بذاته ممتنع من أن يكون له شيء ثانيا بوجه من الوجوه
والخلق كله له وإن كان يسمى بالواحد، أو كانت هذه الصفة قد لزمت
جميع الأشياء في وجه فانها تزول عنها في وجه. كما قيل: إنسان واحد
وفرس واحد وبعير واحد. وكذلك يقال لسائر الأشياء، وهذه صفة
٥ تلزمها في اللفظ، والمسمى لا يخلو من معان كثيرة مجتمعة [فيه - ١]

كالجسم والعرض، وهو واحد^٢ بمجموع من أشياء متفرقة. وكل شيء
لا يخلو من ازدواج^٣ وتضاد وتشاكل وحد وعد، وهذه الصفات كلها
تنفي عنه معنى الأحادية والواحدية، / و [في - ١] الواحد عن العرب

/ ٩٠٠

لغات كثيرة، يقال: واحد وأحد ووحيد وحاد وأحاد
١٠ و موحد [و أحد - ١] - وهذا كله راجع إلى معنى الواحد، وإن
كان^٤ في ذلك معان لطيفة ولم يجيء في صفة الله عز وجل إلا الواحد
والأحد، قلت: والوحيد على بعض الإعرابات في المدر، قال: وكلها
مشتقة من الواحد، وكأن ذلك مأخوذ من الحد، كأن الأشياء كلها
إليه^٥ انتهأؤها وهي محدودة كلها غيره عز وجل وهو محدود، بل هو
١٥ غاية المحدودين وغاية الغايات لا غاية له، والأحد يجيء في الكلام
بمعنى الأول وبمعنى الواحد، فإذا جاء بمعنى الأول وبمعنى الواحد جاز

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، وفي الأصل: أحد (٣) من ظ و م،
وفي الأصل: ازواج (٤-٤) من ظ و م، وفي الأصل: فكان (٥) من ظ
و م، وفي الأصل: إليها.

ان يتكلم به في الخبر كقولك : هذا واحد أحد ، والعرب كانت تسمى
 [يوم - '] الأحد في الجاهلية أولا ، وقولك « يوم الأحد ، دليل على
 أنه اليوم الأول ' من الأسبوع » ، والاثنين دليل على أنه اليوم الثاني ،
 وفي التوراة أن الله عز وجل أول ما خلق من الأيام « يوم الأحد ، قلت :
 يمكن [أن يكون - '] معنى يوم الأحد يوم الله ، أضيف إليه لكونه هـ
 أول مخلوقاته من الأيام ، فلما أوجد الثاني سمي يوم الاثنين ، لأنه
 ثاني يوم الأحد » ، قال : وضد الواحد اثنان ، وضد الأحد الآخر ،
 قال الله تعالى " قال أحدهما اني أراي اعصر خرا " [ثم قال في ضده - ']
 " وقال الآخر " فهذا دليل على [أن - '] معنى قولهم « يوم الأحد ،
 اليوم الأول » لانهم قالوا لما بعده اثنان ، ولم يقولوا : الآخر ، لأن ١٠
 الأحد إذا لم يكن بمعنى الأول فضده الآخر ، وإذا كان الأحد بمعنى
 الأول جاز الخبر والجحد ، وإذا لم يكن بمعنى الأول و كان بمعنى
 الواحد جاز في الخبر و جاز في الجحد ، قال الله تعالى : " فابعدوا احدكم بورقكم
 هذه " [فهذا - '] من الخبر ، فاذا لم يكن أحد بمعنى الأول و بمعنى
 الواحد لم يحز أن يتكلم به إلا في الجحد ، تقول : ما جاءني أحد ، ١٥
 ولا يحوز : جاءني أحد ، وكلني أحد ، قال الله تعالى في معنى
 الجحد " يحسب أن لن يقدر عليه أحد " [وأحد - '] يستوى

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) سقط ما بين الرقین من ظ و م (٣) من ظ و م ،
 وفي الأصل : أحد (٤) تكرور في الأصل فقط (هـ) من ظ و م ، وفي الأصل :
 الحجة (٦) زيد في الأصل : من ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لخفاها (٧) من
 ظ و م ، وفي الأصل : لا تقول .

فيه^١ المذكر والمؤنث ، قال الله تعالى : يا نساء النبي لستن كأحد من النساء“
 وواحد لا يستوى فيه المذكر والمؤنث حتى يدخل فيه^٢ الهاء فيقال
 «واحدة»^٣ لا يجوز دكو أحد من النساء ، وأحد يكون بمعنى الجمع ، تقول
 العرب : يظل أحدنا الأيام لا يأكل ، بمعنى كلنا [لا -^٤] يأكل ، فاحتمل معنى
 الواحد والجماعة - انتهى ، فالواحد من الأسماء الثبوتية الإضافية ، يكون
 في أصل اللغة بالنسبة إلى ثان هو نصفه ، وثالث هو ثلثه ، و [هكذا -^٥]
 هو صفة الله تعالى بمعنى المتوحد في الاتصاف بالآلوهية حتى لا يقبلها
 غيره بوجه ، فلا شريك [له -^٦] ، والأحد من النعوت السلبية ، بل
 هو مجمعا ، هو أحد في نفسه لا يقبل العدد ولا التركيب بوجه لا بالقسمة
 ١٠ ولا بغيرها سواء نظر إليه بالنسبة إلى الغير أولا ، فهو متمحض للسلب .
 فهو وصف راجع إلى نفس الذات بمعنى أنه كامل في ذاته لا يؤثر في
 مفهومه النظر إلى شيء أصلا ، والفرد ناظر إلى نفي العدد ، فافترقت الأوصاف
 الثلاثة وإن كانت متقاربة في المعنى .

وقال الإمام أبو الخير القزويني الشافعي في / كتابه ” العروة الوثقى / ٩٠١

١٥ في أصول الدين “ ناقلًا عن بعض من فرق بينه وبين الواحد : إن
 الأحد اسم لنفي ما يذكر معه ، وعن بعضهم أنه الذي لا يجوز له التبعض
 لا فعلا ولا وهما ، فهو أحد بذاته وأحد بصفاته ، وتوحيد الله تعالى

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : في ذلك (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : في .

(٣) من ظ و م ، وفي الأصل : واحد (٤) زيد من ظ و م (٥) زيد من م .

(٦) راجع معجم المؤلفين ١ / ١٦٧ .

لنفسه عليه بأنه واحد، وإخباره بذلك و توحيد العبد له عليه بذلك مع
 إقراره به ؛ وقال الإمام فخر الدين الرازى فى شرح الاسماء الحسنى: فإله
 سبحانه وتعالى أحد فى ذاته، أحد فى صفاته، أحد فى أفعاله، أحد
 لا عن أحد غير متجزئ ولا متبعض^١، أحد غير مركب ولا مؤلف،
 أحد لا يشبهه شيء ولا يشبه^٢ شيئاً، أحد غنى عن كل أحد - انتهى، ٥
 وهذا معنى ما نقله العربون عن ثعلب أنه فرق بينهما بأن واحداً يدخله
 العدد، وأحد لا يدخله ذلك، يقال: الله أحد، ولا يقال: زيد أحد،
 لأن الواحد خصوصية الله تعالى، وزيد يكون منه حالات، ونقض
 عليه بالعدد المعدد^٣ المعطوف، يقال: أحد وعشرون وأثنان وعشرون،
 ورد بأن أحداً فيه بمعنى واحد، وقال الإمام فخر الدين فى شرح الاسماء: ١٠
 إنه اختص به البارئ سبحانه، أما الواحد فيحصل فيه المشاركة، ولهذا
 السبب أعزى من لام التعريف لأنه صار نقلاً لله عز وجل على
 الخصوص، فصار معرفة، وقال الأزهري: سئل أحمد بن يحيى عن
 الأحاد هل هى جمع [أحد، فقال: معاذ الله ليس للحد جمع، ولا يبعد
 أن يقال أنه جمع -]^٤ واحد كالأشهاد جمع شاهد - انتهى، وقال ١٥
 الأقلشئى فى شرح الاسماء: الأحد هو الذى ليس ينقسم ولا متجزئ،

(١) من م، وفى الأصل و ظ: مبعوض (٢) من ظ و م، وفى الأصل ؛
 لا يشبهه (٣) سقط من م (٤) من ظ و م، وفى الأصل: معنى (٥) زيد
 من ظ و م .

فهو على هذا اسم لعين الذات، فيه سلب السكثرة عن ذاته، فتقدس بهذا الوصف عن صفات الأجسام القابلة للتجزى والانقسام، والنقطة والجوهر الفرد عند مثبتته - يعنى من المتكلمين، والجوهر البسيط^١ عند مدعيه - يعنى من الفلاسفة، وإن كانت هذه لا تتجزى ولا تنقسم وإنها مخالفة للبارئ ه تعالى فى أحديته، أما النقطة فعرض عند بعضهم إذ هى عبارة عن طرف الخط، وإذا كان الخط عرضا فالنقطة أولى بالعرضية^٢، وأما الجوهر الفرد فانه وإن كان لا ينقسم فهو^٣ مقدر بجزءه، وكل ما قدر بجزءه فلا يخلو من الأكوان وهو كيفما كان على رأى من أثبتته من المتكلمين وإن كانوا فى أوصافه متنازعين فلا يخلو من الاعراض، ١٠ وأما الجوهر البسيط عند من أثبتته فوجوده عندهم ليس عينه إذ اثنيته غير ماهيته، وما هو بهذا الوصف عندهم فقيه اثنيته، ففارق البارئ سبحانه وتعالى بأحديته هذه الموجودات كما فارق بذاته الأجسام، فوجوده عن^٤ ذاته^٥ وليست^٦ صفاته تعالى مغايرة^٦ لذاته، وأما الواحد فهو وصف لذاته، فيه سلب الشريك والنظير عنه، فافترقا - يعنى بأن الواحد ناظر ١٥ إلى نفس الذات، والواحد إلى أمر خارج عنها، وقال البيهقي فى كتاب الأسماء والصفات: الأحاد فيما يدعو^٧ المشركون إلها [من دونه لا يجوز

(١) من ظ و م، وفى الأصل: البسيطة (٢) من ظ، وفى الأصل و م؛
العرضية (٣) من ظ و م، وفى الأصل: فانه (٤) من ظ و م، وفى الأصل:
فى (هـ) من ظ و م، وفى الأصل: فليست (٥) من ظ و م، وفى الأصل:
متغايرة (٦) من ظ و م، وفى الأصل: يدعيه .

٩٠٢ /

أن يكون [إلها -^١] إذ كانت إمارات الحدث من التجزى / والتناهى
 قائمة فيه لازمة له ، والبارئ سبحانه و تعالى لا يتجزى ولا يتناهى ،
 فقد مر أن الأحد خاص بالله سبحانه و تعالى ، إنه لا فرق في إطلاقه
 عليه سبحانه و تعالى بين تعريفه و تنكيده لأنه معرفة في نفسه ، فطاح
 اعتراض من قال من الملحدين : الجلالة معرفة و أحد نكرة لا ينعت ه
 به ، وعلى تقدير التسلم يجوز جعله بدلا كما تقدم ولا مانع من إبدال
 النكرة من المعرفة مثل لنسفاً بالناسية ناصية كاذبة ، قال صاحب
 كتاب الزينة : وعلى هذه القراءة - أى قراءة التنكير - أجمعت الأمة ، وروى
 قوم عن أبي عبد الله بن جعفر بن محمد الصادق أنه قرأ قل هو الله الأحد
 الله الواحد الأحد الصمد ، و قال الإمام أبو الحسن الحرالى فى شرح الأسماء ١٠
 [الحسنى -^٢] : الأحد اسم أعجز الله العقول عن إدراك آيته فى الخلق
 إثباتا فلم تستعمله العرب مفردا قط أى وهو بمعناه^٣ الحقيقى لا بمعنى
 واحد ولا بمعنى أول مثلا إلا فى النفي لما علموا أنه مفصح عن إحاطة
 جامعة لا يشذ عنها شئ ، وذلك بما تدركه العقول والحواس فى النفي
 ولا تدركه فى الإثبات فيقولون : ما فى الدار أحد - نفيًا لكل ١٥
 ولا يسوغ فى عقولهم أن يقولوا : فى الدار أو فى الوجود [أحد -^٢] ،
 إذ لا يعقل عندهم ذات إنسان هى جامعة لكل إنسان ، فلما ورد عن
 (١) زيد من ظ و م إلا أن الزيادة فى الأول متوقفة على « من دونه »
 (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : معناه .

الله اسمه في القرآن تلقاه المؤمنون بالإيمان وأجبت قلوبهم سورة ذكره
 لجمعها لما لا يحصى من ثناء الرحمن وهي أحد الأنوار الثلاثة في القرآن ،
 [القرآن - ١] نور "ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا"
 ونور نوره [سورة - ١] ذكر الأحـد في ختمه وآية السكـرى في
 ٥ ابتدائه وسورة يس التي هي قلبه في محلها منه واحد مبين عن اسم [الله
 الذي هو بكل شيء محيط ، لا يتطرق إليه شرك في حق ولا باطل ،
 وهو واحد مبين عن اسم - ١] الإله الذي لا يصح فيه الشرك حقا ،
 وقد يتطرق إليه باطلا " واتخذوا من دون الله آلهة " وذلك لأن
 الواحد يضائف^٢ الثاني ، وأحد جامع محيط لم يبق خارج عنه فيضايفه
 ١٠ يعنى أن مفهومه ناظر إلى كونه سبحانه وتعالى الآن كما كان في الأزـل
 وحده ، فإن الخلق فإن فهو في الحقيقة عدم ، وكأنه ما كان لإحاطته
 به و كونه في قبضته وطوع مشيئته ، فلا خارج يكون مضافا له لأنه
 لا يضاف^٢ الشيء إلا مناظر لمساواة أو مباراة بمعاندة أو غيرها ، فالكل
 بالنسبة إليه عدم " انك ميت و انهم ميتون " " كل من عليها فان "
 ١٥ وكل شيء هالك الا وجهه ، [هذا مراده - ١] بدليل سابقه ولاحقه
 فلا شبهة فيه لأهل^٣ الوحدة - عليهم^٤ الخزي واللعة ، قال : والوحدة

- (١) زيد من ظ و م (٢) في ظ و م : التي (٣) من ظ و م ، وفي الأصل :
 يضاف (٤) زيد في الأصل و م : له ، ولم تكن الزيادة في ظ لحذفها .
 (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : غيرهما (٦) زيد من ظ (٧) من إظ و م ،
 وفي الأصل : لاجل (٨) تكرر في الأصل و ظ .

٩٠٣/

من الواحد هي [حد - ١] النهاية، / و الغاية بما^١ هي وحدته، و ما دون
الوحدة التي هي الغاية ثانيه و دونه و جماع إحاطات^٢ كل ذلك أعلى
و أدنى هي الاحدية التي لا يشذ عنها شاذ ولا يخرج عنها خارج، فمن
الاسماء معلوم لخليفة^٣ من خليفته بما أنام منه كالرحيم والعليم، و منها
ما يعجز عنه خلافتهم كالاسماء المتقدمة من اسمه المحصى، و لكن ينال مثلاً ٥
من قولهم^٤، و منها ما لم ينله العلم ولا أدركت مثله العقول و هو اسمه
الاحد، فالله هو الاحد الذي لا أحد إلا هو - انتهى، و قال الإمام^٥
أبو الحكم بن برجان في شرح الاسماء الحسنى: و هو - أي الاحد - أصل
لباب الوحدة، يدل على محض الوحدة، ألا ترى أنه نافٍ لما يأتي معه،
إذا قلت: لم يأتني أحد، انتفى الانسان، ولا تقول: جاني أحد ١٠
كما تقول: جاني واحد، لأن واحداً^٦ تزول عنه الاحدية بضم ثان إليه
بخلاف الاحدية فانها لازمة الواحد لا يفارقه حكمها بعد ضم الثاني بل
لها منه جهة محفوظة عليها يظهر ذاك بالاشفاع والاوتار، فانك تقول:
ما جاني أحد، فتنتفى الاشفاع كما تنتفى الاوتار، وهذا دليل على زيادة
شرفه فان الاسم كلما غمضت دلالاته و تمذرت معرفته عن الافهام وعزب ١٥
عن العقول علمه كان ذلك دليلاً على قربيه من الاسم الأعظم - انتهى،

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و في الأصل: ما (٣) من ظ و م، و في
الأصل: احاطت (٤) في ظ: بخليفته (٥) في ظ: عقولهم (٦) سقط من ظ
و م (٧) من ظ و م، و في الأصل: واحد.

و قال بعض العارفين في كشف معنى الأحد و رتبته : إن الذات الأعظم
 غيب محض [و الأحد أول تعييناتها ، و لذلك بدئ بالهمزة التي هي أول
 تعيينات الألف التي هي غيب محض - '] و ذلك سر مخالفتها للأحرف
 في أن كل حرف يدل على مسماه أول حروف اسمه [إلا - '] الألف
 ه لكونها غيبا ، فكان أول اسمها [الهمزة التي هي أول تعييناتها ، و الهمزة
 لكونها مرقى إلى غيب الألف كان أول اسمها - '] أيضا [غير - ']
 دال على مسماها ، ثم بعد التعيين بالاحدية الشاملة المستغرقة [يتنزل - '] إلى
 الإلهية ثم منها إلى الواحدية ، و لذلك ابتدئ الواحد بالواو التي هي
 وصلة إلى ما فيه من الألف الذي هو غيب ، فان الواحد مرقى إلى
 ١٠ فهم الإله ، و الإله مرقى إلى تعقل الأحد ، و الأحد مرقى إلى التعبد
 للذات الأقدس الأنزه . و من اعتقد أحديثه سبحانه و تعالى ، أتبع له
 ذلك حبه و تعظيمه ، و هو توحيد الألوهية لأن التفرد بذلك يقتضي
 الكمال و الجلال - و الله الموفق .

و قال الإمام [أبو - '] جعفر ابن الزبير : لما انقضى مقصود
 ١٥ الكتاب العزيز بحملته عاد الأمر إلى ما كان ، و أشعر العالم بحالهم من
 ترددهم بين ' عديمين ' " ثم الله ينشئ النشأة الآخرة " فوجودهم منه سبحانه
 و تعالى و بقاؤهم به و هم و جميع ما يصدر عنهم من أقوالهم و أفعالهم
 (١) زيد من ظ و م (٢-٣) من ظ و م ، و في الأصل : ذلك له (٣) من ظ
 و م ، و في الأصل : و لا (٤) من ظ و م ، و في الأصل : من .

٩٠٤/

كل ذلك خلقه واختراعه، وقد كان سبحانه وتعالى ولا عالم ولا زمان ولا مكان، / [وهو الآن على ما - '] عليه كان، لا يفتر إلى أحد^١ ولا يحتاج إلى معين، ولا يتقيد بالزمان، ولا يتحيز بالمكان، فالحمد لله رب العالمين، أهل^٢ الحمد ومستحقه مطلقا، له الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم، وإليه المصير^٣ " قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد^٤ " هو الموجود الحق، وكلامه الصدق، " وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب والدار الآخرة خير للذين يتقون " فطوبى لمن استوضح آى كتاب الله، وأتى الأمر من بابه وعرف نفسه ودنياه، وأجاب داعى الله ولم يرفاعلا في الوجود حقيقة إلا هو سبحانه وتعالى، والحمد لله رب العالمين^٥، ولما كمل مقصود الكتاب، واتضح عظيم رحمة الله^{١٠} به لمن تدبر واعتبر وأناب، كان مظنة الاستعاذة واللجأ من شر الحاسد وكيد الأعداء نختم بالمعوذتين من شر ما خلق وذرا وشر الثقلين - انتهى.

ولما تم البيان لهويته^٦ سبحانه وتعالى على هذا الوجه الذى أنهاه بالأحادية المعللة بالتنزه عن القسمة والنظير، وكان بيان القرآن بالغا أقصى نهايات البيان، وكان الأحد من النعوت المتوغلة في السلب،^{١٥} وكانت الشركة تقع في التعبير به في النفي^٧ وهو بمعناه الحقيقي وتقع

(١) زيد من ظ وم (٢) من ظ وم . وفي الأصل : حد (م) من ظ وم .
 وفي الأصل : اهله (٤-٤) سقط ما بين الرقین من ظ وم (ه) من ظ وم ،
 وفي الأصل : لهو (٦) من ظ ، وفي الأصل وم بالتزوي (٧-٧) من ظ وم ،
 وفي الأصل : بالنفي .

فيه بالإثبات^١ والسلب على حد سواء، أو دلالاته على الكمال والإضافة
أكمل، وبناء على الاسم الأعظم الذي هو آخر الأسماء الظاهرة وأول
الأسماء الباطنة، ولم يقع فيه شركة بوجه دفعا لكل تعنت، وإشعارا
بأن من لم يسم به لم يتسحق الألوهية، وأخلى الجملة عن عاطف لأنها
كانت نتيجة الأولى^٢ والدليل عليها، فقال مكاشفا لنفوس المؤمنين والعلماء^٣

معيدا الاسم ولم يضر لثلا يظن تقيد بحيثية غيب أو غيرها: ﴿الله﴾ أى
الذى ثبتت إلهيته وأحديته، لا غيره ﴿السمد﴾ الذى تنهى سؤدده
المطلق فى كل شيء [إلى حد تنقطع دونه الآمال، فكان بحيث لا يحتاج
إلى شيء - °] وكل شيء إليه محتاج، وتزده عن الجوفية فلم تدن من
١٠ جنبه بفعل ولا قوة لأنه تزده عن القسمة بكل اعتبار مع العظمة التى
لا يشبهها عظمة، فكان واحدا بكل اعتبار، وذلك هو مفهوم الأحدية
عبارة وإشارة، فكان مصمودا إليه فى الحوائج أى مقصودا لأجلها،
فهو الموصوف بهذا الاسم على الإطلاق، وبكل اعتبار، فكان موجدا
للعالم لأن العالم مركب بتلليل المشاهدة فكان ممكنا فكان محدثه واجبا
١٥ قديما، نقيما للدور والتسلسل المحالين، وخلق [له - °] بالقدرة والاختيار

(١) فظ: من الآثبات وهو بمعنى الواحد مثلا أبين أحديته وأنهى اكليته
بيانه إلى أنهى عناياته باسم جامع بين الإضافة (٢) من ظ و م، وفى الأصل:
الأول (٣) من ظ و م، وفى الأصل: العلماء (٤) من ظ و م، وفى الأصل:
نحوها (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، وفى الأصل: واحد.

٩٠٥ /

لأنه / لو كان بالطبع والإيجاب لكان وجوده مع وجوده لأن العلة لا تنفك
 عن المعلول، فيلزم من قدم البارئ عز وجل قدم العالم، ومن حدوث
 العالم حدوث البارئ جل وعز، وذلك جمع بين القيصين وهو محال،
 وقصر الصمدية عليه لأن اشتداد الألف حاجة الشيء إلى غيره ربما
 كان موجبا لحفاء اختصاصه به، ولم يقصر الأحدية إما للتنبيه على أن ه
 ذلك لشدة ظهوره غنى عن التأكيد. وإما استلذا لهم لئلا ينفروا
 قبل سماع تمام^٢ السورة^١ على أنه^٣ بظهور قصر الصمدية التي أحد معنيها^٤
 لازم الأحدية ظهر الاختصاص بالأحدية، قال العلماء رحمهم الله تعالى:
 والصمد من صمد^٥ إليه - إذا قصده، وهو كالأحد، بنى على هذا
 الوزن لأنه لا تلحقه المضارعة ولا تدن منه المشابهة لأنه اسم خاص ١٠
 فهو السيد المصمود إليه، وهو أيضا الذي لا جوف له ولا رخاوة بوجه
 فيه، لأن الأجواف^٦ وعاء، وكل وعاء محتاج إلى موعيه، يقال: شيء
 مصمد، أى صلب، وحجر صمد: أملتس لا يقبل الغبار ولا يدخل فيه
 شيء ولا يخرج منه شيء، قال ابن قتيبة: وهو على هذا الدال فيه^٧
 مبدله من التاء وهو المصمت، وهو أيضا العالى الذى تنهى علوه، تقول ١٥
 العرب لما أشرف من الأرض: صمد - باسكان الميم، وبناء صمد أى

(١) فى م: لأنه (٢) فى م: تأكيد (٣-٢) من ظ و م، وفى الأصل: تمام
 سماع (٤-٤) من ظ و م، وفى الأصل: لأن (٥) زيد فى الأصل: ظاهر،
 ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م، وفى الأصل: الصمد.
 (٧) فى ظ: الأجوف (٨) من ظ و م، وفى الأصل: منه .

معلى^١، فهو على التفسير الأول من الصفات الإضافية بمعنى أنه سيد لكل موجود، والكل محتاجون إليه في ابتداء إيجادهم وفي تربيتهم، فهم يصمدون إليه في الحوائج ويقصدون إليه في جميع الرغائب، وهو غنى على^٢ الإطلاق، وذلك هو اتصافه بصفات الإلهية، قال [الافليشى -^٣]:

٥ فعلى هذا - أى أنه الذى يلجأ إليه ويعتمد عليه لتناهى سؤدده - يتشعب من صفة الصمد صفات السؤدد كلها من الجود والحلم، وغير ذلك، وإذا قلنا: إن الصمد العالى تشعبت منه صفات^٤ تعالى كلها من العزة والقهر والعلو ونحوها - انتهى، وقد روى البيهقي رحمه الله تعالى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله "الصمد" قال: هو^٥ السيد الذى

١٠ كمل فى سؤدده، واشريف الذى كمل فى شرفه، والعظيم الذى كمل فى عظمته، والحليم الذى [قد -^٦] كمل فى حلمه، والغنى الذى [قد -^٧] كمل فى غناه، والجبار الذى [قد -^٨] كمل فى جبروته، والعالم الذى قد كمل فى علمه، والحكم الذى قد كمل فى حكمه^٩، وهو الذى كمل فى أنواع الشرف والسؤدد وهو الله عز وجل، هذه صفته لا تنبغى إلا له،

(١) من ظ و م، وفى الأصل: مطلق (٢) من ظ و م، وفى الأصل: عن. (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، وفى الأصل: الحكم (٥) زيد فى الأصل: المعالى و، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٦) سقط من ظ و م (٧) من ظ و م، وفى الأصل: حكمته (٨) زيد فى الأصل: قد، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها.

٩٠٦/

ليس له كفوء، وليس كمثل شيء، فسبحان الله الواحد القهار، وقال
 أبو العباس ابن تيمية [الحنبلي - ٢] في كتابه «الفرقان بين أولياء الرحمن
 وأولياء الشيطان»: أجمع سلف الأمة وأئمتها أن الرب سبحانه وتعالى
 / بائن من مخلوقاته، يوصف بما وُصف به نفسه وبما وُصف به رسوله
 صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف
 ولا تمثيل. «يُوصف من صفات الكمال [دون صفات النقص، ونعلم
 أنه ليس كمثل شيء ولا كفوء له في شيء من صفات الكمال - ٥] كما قال
 الله تعالى "قل هو الله أحد الله الصمد" - إلى آخرها، قال ابن عباس
 رضى الله عنهما: الصمد - إلى آخر ما مضى عنه، وقال ابن مسعود
 رضى الله عنه وغيره: هو الذى لا جوف له، والاحد الذى لا نظير ١٠
 له. فاسم الصمد يتضمن اتصافه بصفات السكالات ونفى النقائص عنه،
 واسم الواحد يتضمن أنه لا مثل له، وقال الحرالي: الصمد - يعنى
 بالسكون: - التوجه بالحاجات إلى ملى بقضائها لا يحتاج إلى سواه، فلذلك
 يكون [الصمد - ٧] سيدا لا يساد، السيد الله - انتهى، وعلى التفسير
 الثانى: هو من النعوت السلبية، فهو دال على نفي الماهية التى تعنت^١ بها ١٥
 فرعون لاقتضائها المقومات المستلزمة للحاجة إلى ما به التقويم، وعلى

(١) تكررت في الأصل فقط (٢) زيد من ظ، وراجع ترجمته معجم المؤلفين ١/ ٢٦١.
 (٣) من ظ و م، وفي الأصل: ما (٤ - ٤) في م: بصفات (٥) زيد من م.
 (٦) من ظ و م، وفي الأصل: ان (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م،
 وفي الأصل: نعت.

إثبات^١ الهوية المنزهة عن كل شائبة نقص، فإن كل ما له ماهية كان له جوف وباطن، وهو تلك الماهية، وهو ما لا باطن له، وهو موجود فلا جهة ولا اعتبار في ذاته إلا الوجود، فهو واجب الوجود غير قابل للعدم، وقد علم بهذا أنه جامع لما ذكر فيما قبله، فإن هذا التفسير الثاني ٥ يتشعب منه من الأسماء ما ينظر إلى نقي التركيب كالأحد [ونحوه -^٢] و هذان التفسيران الأول والثاني جامعان لجميع ما فسر به و لما عسى أن يقال فيه سبحانه من صفات الكمال، ونعوت العظمة والجلال، فن كان^٣ مضمودا إليه في جميع الحاجات و متعاليا عن كل سمت حدث وشائبة نقص كان موجدا لكل ما يريد من نفع و ضر و نافع و ضار، ١٠ قادرا على حفظ ما يريد، وكان معلوما كالشمس أنه لا شريك له، وأنه هو وحده المستحق للعبادة لاحتياج الكل إليه الاحتياج المطلق، وغناه عنهم الغنى المطلق، وتفرد بصفات الكمال والانعطاف عن قرين، وإلى الصمدانية^٤ ينتهي التوجه وهو الإقبال بالكلية، وهي ترد^٥ على الفلاسفة القائلين بتدبير العقول، والصاية القائلين بتدبير النجوم، وعلى ١٥ غيرهم من [كل من -^٦] ادعى تدبرا لغير الله سبحانه وتعالى، ومن اعتقد

(١) من ظ و م، وفي الأصل: لثبات (٢) زيد من ظ و م (م) من ظ و م، وفي الأصل: ما (٤) من ظ و م، وفي الأصل: نعوذ - كذا. (٥-٥) من ظ و م، وفي الأصل: فكان (٦-٦) من ظ و م، وفي الأصل: سمت كل (٧) من ظ و م، وفي الأصل: المدانية (٨) من ظ و م، وفي الأصل: يريد.

صمدية المقضية لكمال الذات والصفات وشمول التدبير، أتج له كمال
 التفويض والتوكل وهو توحيد الربوبية، وهذه الأسماء الأربعة مشيرة
 إلى مقامات السائرين ومرامات^١ الحائرين والجائرين، فالمقربون نظروا
 إلى الأشياء فوجدوا كل ما سواه سبحانه وتعالى معدوما بالذات، فكان
 ذكرهم وهو، [و- ٢] أصحاب اليمين نظروا إلى وجود الممكنات فعينوا هـ
 مرادهم وميزوا مذكورهم بالجلالة، وأصحاب الشمال جوزوا الكثرة
 في الإله فاحتاجوا / في تذكيرهم^٢ إلى الوصف بالأحادية والصمدية، وهي
 رادة^٣ على أهل الاتحاد أعظم رد، فانهم يقولون: إن الإله هو هذا
 العالم، وهو منقسم بالحس فضلا عما عداه [و- ٢] محتاج أشد
 احتياج^٤.

١٠

ولما انتهى بيان حقيقته سبحانه وتعالى، وأنه غير مركب أصلا،
 وبين سبحانه بصمدية المستلزمة لوحديته^٥ أن الكل مستند إليه ومحتاج
 إليه، وأنه المعطى لوجود جميع الموجوات، والمفيض للوجود على كل
 الماهيات. فلا يحانس شيئا ولا يحانسه شيء، ولا يكون له نظير في
 شيء من ذلك. وكان ربما تعلق بوم وام أن تولد غيره عنه يكون ١٥
 من تمام سؤدده المعبر به عن قدره، بين أن ذلك محال لاقتضائه الحاجة
 بما لا تعلق له بالقدرة لأن القدرة من شأنها أنها لا تتعلق بالمحال، وهذا

(١) من ظ وم، وفي الأصل: مرمرات (٢) زيد من ظ وم (٣) في ظ: تفكيرهم.

(٤-٤) من ظ وم، وفي الأصل: هو راد (٥) من ظ وم، وفي

الأصل: الاحتياج (٦) من ظ وم، وفي الأصل: الوحدانية.

محال، لأنه سبحانه صمد. فكان ذاك [يانا -'] للصمدية في كلى معنيها، فقال من غير عاطف دالا على انتفاء الجوف الذي هو أحد مدلولي^٢ صمد، مكاشفا^٣ للعقلاء شارحا لأنه لا يساويه شيء من نوع يتولد عنه ولا جنس يولد هو عنه، ولا غير ذلك بوازيه^٤ في وجود ولا غيره: ٥ ﴿لم يلد﴾ أى يصح ولم ينبغ بوجه من الوجوه أن يقع تولد الغير عنه مرة من المرات، فكيف بما فوقها لأن ذلك مستلزم للجوف وهو صمد لا جوف له، لأن الجوف من صفات النفس المستلزم للحاجة وهو مستغن بدوامه في أبديته عن مخلقه أو يعينه^٥ لا متناع الحاجة و الفناء عليه. فهو رد على من قال: الملائكة بنات الله أو عزير أو المسيح ١٠ أو غيره .

ولما بين أنه لا فصل له، ظهر أنه لا جنس له، فدل عليه بقوله: ﴿ولم يولد﴾^٦ لأنه لو تولد عنه غيره تولد هو عن غيره كما هو المعهود والمعتقول، فهو قديم لا أول له بل هو الأول الذى لم يسبقه عدم، لأن الولادة لا تكون ولا تشخص إلا بواسطة المادة وعلاقتها، وكل ١٥ ما كان ماديا أو [كان -'] له علاقة بالمادة، كان متولدا عن غيره، فكان لا يصح أن يتولد عنه شيء لأنه لا يصح أن يكون هو متولدا^٧

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : مدارول (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : تكاشفا (٤) في ظ و م : بموازته (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : يعينه (٦) زيد في الأصل : ان ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها . (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : متولده .

عن غيره لأنه لا ماهية له ولا اعتبار لوجوده سوى أنه هو ، فهو به لذاته ،
 [ومن كانت هويته لذاته -^١] لم يصح بوجه أن يتولد عن غيره [لأنه
 لو تولد عن غيره -^١] لم يكن هو هو لذاته ، ولا يكون أحدا حقيقيا^٢
 ولا صمدا ، فينتفى من أصله ، ولا يكون له من ذاته إلا العدم ، فقد تبين
 أنه واجب الوجود ، فوضح كالشمس أنه ليس^٣ ماديا لأنه غير محتاج
 بوجه ، فلا يصح أن يتولد عنه غيره ، لأنه لم يصح أن يتولد هو عن
 غيره ، ومن كان كذلك لم يكن له مثل ، فلا يصح بوجه أن يساويه^٤
 شيء . ليصح أن يقوم مقامه فيما بين ما انتفى في الأول والآخر ، فدل
 على ذلك / إتماما لشرح حقيقته المعبر عنها بهو^٥ بقوله : ﴿ ولم يكن ﴾ ٩٠٨ /
 أى لم يتحقق ولم يوجد بوجه من الوجوه ولا بتقدير من التقادير^٦ ﴿ له ﴾ ١٠
 أى خاصة ﴿ كفوا ﴾ أى مثلا ومساويا ﴿ احدي ﴾ على الإطلاق ، أى
 لا يساويه فى قوة الوجود لأنه لو ساواه فى ذلك لكانت مساواته باعتبار
 الجنس والفصل ، فيكون وجوده متولدا عن الازدواج الحاصل من الجنس
 الذى يكون كالأم ، والفصل^٧ الذى يكون كالآب ، وقد ثبت أنه
 لا يصح بوجه أن يكون فى شيء من الولادة ، لأن وجوب وجوده لذاته ، ١٥
 فانتفى أن يساويه شيء فى قوة وجوده ، فانتفى قطعا أن يساويه أحد فى

(١) زيد من ظ و م (٢) من م ، وفى الأصل و ظ : حقيقا (٣) زَيْدٌ فى
 الأصل : له ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م ، وفى
 الأصل : يساوى (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : التقديرات .
 (٧-٧) تكرر ما بين الرقعين فى الأصل فقط .

شئ من قوة أفعاله ، فعطف هاتين الجملتين على الجملة التي قبلها لأنّ الثلاث
 شرح الصمدية النافية لأقسام الأمثال ، فهي كالجملّة الواحدة ، و قدّم الظرف
 في الثالثة لأن المقصود الأعظم نفي المكافأة عن الذات الأعظم ، فكان
 أم "و كفوا" حال من أحد . ويجوز أن يكون "كان" ناقصة ويكون
 ٥ "كفوا" خبرها ، و سوغ خبريته تخصيصه بـ "له" كما قالوا في "ان كانت
 لكم الدار الآخرة عند الله ، و قد وضع أن هذه السورة أعظم مبین
 للذات الاقدس بترتيب لا يتصور في العقل أن يكون شئ يساويه ،
 و كلمات لا تقع في الوم أن يكون شئ يساويها أو يساوي شيئاً منها ،
 فأثبت أولاً حقيقته المحضة وهويته بأنه هو ، لا اسم لتلك الحقيقة من
 ١٠ حيث هي إلا ذلك ، فلم أنه واجب الوجود لذاته لا لشيء آخر أصلاً ،
 ثم عقب ذلك بيانا له بذكر الإلهية التي هي أقرب اللوازم لتلك الحقيقة
 وأشدّها تعريفاً .

و لما اقتضت الإلهية الوحدة لأنها عبارة عن الاستغناء المطلق واحتياج
 الغير^٢ إليه الاحتياج المطلق ، دل عليها بالأحد ، و دل على تحقيق معنى
 ١٥ الإلهية والوحدة معا بالصمدية لما لها من المعنيين : وجوب الوجود بعدم
 الجوف وجوداً^١ أو تقديراً ، و^٣ السيادة المفيضة لكل وجود على كل

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : لذلك (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : بيان .
 (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : غيره (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : تحقق .
 (٥) العبارة من هنا إلى « موجود وجوداً » ساقة من ظ (٦) من م ، وفي
 الأصل : وجوباً (٧) من م ، وفي الأصل : أو .

موجود وجودا لا يشبه وجوده سبحانه :

« وأين الثريا من يد المتناول ، الأمر أعظم من مقالة قائل ، »

وبين المعنيين كليهما بعدم صحة التوليد منه وله وعدم المساوى ، فمن أول السورة إلى آخر الاسماء في بيان حقيقته سبحانه وتعالى ولوازمها الأقرب فالأقرب و وحدتها بكل اعتبار ، ومن ثم إلى آخرها في بيان أن لا مساوى له لأنه لا جنس له ولا نوع حتى يكون هو متولدا عن شيء أو يكون متولدا عنه شيء ، أو يكون شيء موازيا له في الوجود ، وبهذا القدر حصل تمام معرفة ذاته ، وأنه لا يساويه شيء في قوة وجوده فلا يساويه في تمام

أفعاله / بدلالة شاهد الوجود الذى [كشف - '] عنه ^١ والشهود بنصر ٩٠٩ /

فيه صلى الله عليه وسلم الذى كلن يدعو أباهب و جميع الكافرين ١٠ الشاتين وحده وم مل الأرض ويخبرهم مع تحاملهم كلهم عليه أنهم مغلوبون ، وأنه أنام بالذبح لأن لمن أرسله الإحاطة الكاملة بجميع الكمال ، وقد كان الأمر كما قال صلى الله عليه وسلم ، فقد صدقت مقالاته ، فثبت إلى الخلق كافة رسالاته ، وثبت ^٢ مضمون جميع السورة بما ثبت

-
- (١) في ظ وم : موازاة (٢) زيد من ظ وم (٣) زيد في الأصل : الوجود و ، ولم تكن الزيادة في ظ وم لحذفها (٤) من ظ وم ، وفي الأصل : اذلم . (٥) سقط من ظ وم (٦) من ظ وم ، وفي الأصل : رسالته ، والعبارة من بعده إلى « المشهورة » ساقطة من ظ (٧) من م ، وفي الأصل : بينت .

من هذه الأدلة المشهورة، والبراهين القاطعة المنصورة^١، وقد ثبت^٢ أنه
 صمد بما دل على [أحد-^٢] معنيه الذى هو انتفاء الجوفية بعدم التولد،
 وعلى المعنى الآخر الذى هو بلوغ المنتهى^٣ من السيادة بعدم^٤ المكافئ^٥،
 فإن أنه هو لذاته فلا إله غيره، فانطبق آخرها على أولها، والتحم
 ٥ أى التحام مفصلها بموصلها، فلم أنه هو [هو-^٢] لاغيره بزيادة أنه الأحد
 ولا أحد حقا غيره، ومن تحقق آخرها قبل بكيته إله سبحانه، فلم
 يلتفت إلى غيره لأن الكل فى قبضته، وقد نقلت فى كتابي مساعد
 النظر [عن الإحياء-^٢] للامام الغزالي رحمه الله تعالى عليه فى شيء من
 أمرار هذه السورة كلاما هو فى غاية النفاسة. وروى الترمذى^٦ عن
 ١٠ أبى بن كعب رضى الله تعالى عنه أن المشركين قالوا: يا محمد انسب لنا
 ربك، فأنزل الله تعالى: ^٧قل هو الله أحد - إلى آخرها، قال: لأنه ليس
 شيء يولد إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا سيورث، وأن الله تعالى^٨
 لا يموت ولا يورث، ولم يكن له كفوا أحد - انتهى. ومن كان كذلك
 فهو الجامع^٩ للأسماء الحسنى والصفات العلى كلها، و علم أن حاصلها تنزيه
 ١٥ المعبود عن أن يكون له مجانس، أو يكون له مكافئ، والرد على كل
 من يخالف فى شيء من ذلك، وأعظم مقاصد آل عمران المناظرة^{١٠} لها

-
- (١) من ظ وم، وفى الأصل: المصورة (٢) من ظ وم، وفى الأصل: بينت.
 (٣) زيد من ظ وم (٤) من ظ وم، وفى الأصل: النهاية (٥) من ظ وم، وفى
 الأصل: مع عدم (٦) راجع الجامع ١٧٢/٢ (٧-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ.
 (٨) من ظ وم، وفى الأصل: جامع (٩) من ظ وم، وفى الأصل: الناظرة.

في رد المقطع على المطلع ، المفتحة بالحى القيوم ، المودعة أوضح الأدلة
على كفر من كفر بالله سبحانه و تعالى لاسيما^١ من ادعى أن عيسى عليه
الصلاة والسلام إله^٢ أو أنه ولد له سبحانه و تعالى وكذا غيره الدلالة^٣
على بطلان مذهب من ادعاه إلهها و على أن عيسى عليه الصلاة و السلام
عبد من عبده أوجده على ما أراد كما أوجد من^٤ هو أغرب^٥ حالاً منه^٥
و إبطال قول من ادعى فيه غير ذلك . ولما عرفت هذه السورة حقيقة
الذات أتم تعريف ، و كان الغرض الأقصى من طلب^٦ العلوم بأسرها
معرفة ذاته سبحانه و تعالى و صفاته و كيفية صدور [الأفعال -^٧] عنه ،
و كان القرآن العظيم كفيلاً بجميع هذه العلوم ، و كانت هذه السورة منه
قد تكفلت بجميع ما يتعلق بالبحث عن الذات على سبيل التعريض^{١٠}
و الإيمان ، كانت معادلة لثلث القرآن^٨ و هي ثلث أيضاً^٩ باعتبار آخر و هو أن
الدين اعتقاد ، و فعل لسانى يترجم عن الاعتقاد ، و فعل / يصحح ذلك ، هي^{٩١٠/}
وافية بأمر^{١٠} الاعتقاد بالوحدانية الذى هو رأس الاعتقاد ، و باعتبار
أن مقاصده كلها محصورة في بيان العقائد و الأحكام و القصص ، و هذه

(١) زيد في الأصل و ظ : ان ، و لم تكن الزيادة في م لحذفها (٢) من ظ
و م ، و في الأصل : الها (٣) من ظ و م ، و في الأصل : ما (٤ - ٤) من ظ
و م ، و في الأصل : منه حالا (٥) من ظ و م ، و في الأصل : مغلوب -
كذا (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م ، و في الأصل : هو (٨) من ظ
و م ، و في الأصل : آخر (٩ - ٩) من ظ و م ، و في الأصل : مانى من امر .

السورة على وجازتها قد اشتملت على جميع المعارف الإلهية، والرد على من ألد فيها، ولأجل أن هذا هو المقصود بالذات الذي يتبعه جميع المقاصد عدلت في بعض الأقوال بجميع القرآن، وحاصل شرح هذه السورة العظمى أنه سبحانه وتعالى دل على الذات الأقدس بالهوية، وعبر عنها بالضمير لإشارة إلى نفي الماهية التي غلط أو غلط^١ فيها الكفور الأعظم فرعون - لعنة الله عليه وعلى أتباعه أهل الإلحاد. وأنصاره وأشياعه من أهل الاتحاد، ودل على ذلك بالاسم الأعظم المجمع عليه ودل عليه بالوحدة الجامعة للنفى، النافية للكثرة^٢ الموجبة للحاجة. ودل عليها بالصمدية النافية للجوفية المثبتة للسيادة الخفية، ودل على أول معنيها بانتفاء الولادة منه ١٠ وله، الدالان على نفي الجنس للقوم والفصل المقسم، ودل على الثاني بعدم المكافئ، ودل على هذا العدم بأفعاله العظيمة المشاهدة التي أشار قطعاً ترتيب السور بما انتهى إليه وضع هذه السورة في هذا الموضع إلى استحضارها، وتأمل ما كان منها من تربية هذا الدين بنصر^٣ نبيه الذي أرسله صلى الله عليه وسلم لإقامته، وسلط الكافرين - وهم ملء الأرض - على أذاه، وجعل أعظمهم له أذى أقربهم إليه نسبا عمه أبالهب الذي كان يتبعه في تلك المشاهد والقبائل، ويلزمه في تلك المواسم والمعاهد والمحافل، يصرح بتكذيبه كلها دعا الناس إلى الحق، ويواجه بما هو أشد الأشياء على النفس كراهه^٤ وأشق، فكانت تلك الشهرة عين الرفعة

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : غلط (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : لكثرة .

(٣) من ظ و م ، وفي الأصل : لنصر (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : كراهية .

و النصره ، لأن الشيء إذا خرج عن حده انقلب إلى ضده ، فانه إذا
تأهت شهرته ثم بان بطلانه أو صحته رجعت شهرته بكونه باطلا أو صحيحا
أعظم منها لولم يتقدمها شهرة بغير ذلك ، فانقلبت النصره ، و عظمت
الكثرة ، فجلت المعاونة ، وزالت المباينة ، و حصل الوفاق ، و زال الشقاق ،
فدل هذا الفعل الأعظم من صدق الرسول صلى الله عليه و سلم و هو ه
وحده ، 'و كذب' المعاندين و هم من لا يحصيهم إلا الله في كل ما قال ،
و جمع ما قالوا على عزته سبحانه و تعالى بكونه نصر عبده على ذلك
الوجه الخارق للعاده و على حكمته بما سلطهم به عليه حتى أسرع الشهرة
و عمت النصره ، فلم بتلك المشاهده أنه العزيز الحكيم كما دلت عليه

سورة التوحيد المناظرة لهذه في رد المقطع على المطلع ، و هي آل عمران ١٠

٩١١ / المناظرة لهذه في الدلالة على التوحيد و المحاجة لمن ادعى أن له صاحبة
و ولد ، فلم قطعا أنه لا كفوء له ، فلم أنه لا يصح أصلا أن يلد و لا أن
يولد ، فطلت قطعا دعوى إلهية عيسى عليه الصلاة و السلام و غيره من ادعى
فيه الولدية بالأحادية لما تقتضيه الولادة 'من المادة' المقتضية للكثرة ،

الموجبة للحاجة ، و عظم البيان بما دل عليه الاسم [الأعظم - °] من ١٥
الإجماع بما تقتضى الإلهية ، و لا إجماع على غيره ، و جل الأمر و انقطع

(١-١) من ظ و م ، و في الأصل : فكذب (٢) من ظ و م ، و في الأصل :

المشاهد (٣) من ظ و م ، و في الأصل : ولد (٤) سقط ما بين الرقین من ظ .

(٥) زيد من ظ و م .

النزاع بما دل عليه الضمير من وجوب الوجود الثافي لما سواه من كل موجود - والله الهادي، فلقد أبانت السورة على أعظم الوجوه أن مرسله صلى الله عليه وسلم أجل موجود وأشرف حقيقة وأنفس معلوم، وأعظم ذات، وذلك يستلزم نفي كل ما لا ينبغي، وحصول ٥ كل ما ينبغي استلزاما لا يقبل الانفكاك، كالفردية في الوتر، والزوجة في الشفع، وتفصيل ذلك بعشرة أشياء تبسط على كلمات السورة على الترتيب: الأول أنه تعالى له الوجود الذي ما مثله فليس [هو^١] كالممكنات المسبوقة بالعدم والمنقطعة بالانعدام، والمنصرمة في الدوام، بل هو أزلي^٢ لا أول له أبدى لا آخر له، قيوم لا انصرام له، الثاني أن ١٠ له السبوحية الآتية على نفع كل نقص وعيب، الثالث أن له القدوسية المشتمة على الاتصاف بكل كال، من جلال وجمال، وتعال، الرابع أن له العظمة والجلالة عن أن يكون عرضا أو كالأعراض، أو جوهرًا أو كالجواهر، أو جسما أو كالأجسام، الخامس أن له العلو عن أن يحل في شيء أو [يحل فيه شيء أو يتحد بشيء أو -^٣] يتحد به شيء، السادس ١٥ أنه تعالى له الغنى عن الموجد^٤ كالأرب والموجب كالآب والمفيد أي لشيء من الكمالات، السابع أنه تعالى له الوجدانية التي ليس فيها شبه

(١) زيد في الأصل: حصول، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، وفي الأصل: أول (٤) زيد في الأصل: وكان، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م، وفي الأصل: جوهر. (٦) من ظ و م، وفي الأصل: الوجود والوجود.

أى فى صفاته ، و لامثيل أى فى نوع و لانسب [أى - ١] كالقراءة ،
 الثامن أنه تعالى له الفردانية^٢ التى لا يصح فيها شرك ، لافى الملك - بكسر
 الميم ، و لافى الملك - بضمها ، و لافى التدبير ، و لافى التأثير ، التاسع أنه تعالى
 له الكبرياء المنافية لفوت كمال^٣ أو كمال كمال ، العاشر أنه تعالى له العزة
 المنافية لأن يكون له ضد - و هو المفسد لما يفعله ، أو ند - و هو الموجد لمثل ه
 ما يوجد^٤ ، و تنزيل هذه العشرة على السورة واضح لمن تأمل الكلام
 و تدبره ، و ابتداء سبحانه السورة بالضمير قبل الظاهر بعد التصريح بالنصر
 و الفتح و خسارة أهل الكفر بخسارة أبى لىب الذى هو أعلام و أعزم
 إشارة إلى [أن] من صحح باطنه باسم الله تعالى نصر^٥ و فتح له^٦ - كما يشير
 [إليه - ١] تعقيب الأمر فى آخر سورة البقرة بالرغبة إليه فى النصر على ١٠
 الكافرين بقوله " الله لا اله الا هو الحى القيوم " فانه ترجمة أول هذه
 السورة التالية للنصر و الكافرون سواء بالضمير و الاسم الأعظم [و التوحيد
 الأعظم - ١] المقرون^٧ بدليله و هو القيومية ، فقد بين آخر السورة الذى
 هو نتيجتها و رد مقطعتها على مطلعها^٨ أنه أحد حاضر فى كل زمن^٩
 لا يغيب أصلا ، و لا أحد يكافئه أو يشابهه ، لأنه لم يتولد عنه شىء و لا تولد ١٥

- (١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : القرانية - كذا (٣) من
 ظ و م ، وفى الأصل : الكمال (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : يفعله (٥) من
 ظ و م ، وفى الأصل : او (٦ - ٦) من ظ و م ، وفى الأصل : اله و فتح .
 (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : المقرونة (٨) من ظ و م ، وفى الأصل :
 موصلا (٩) فى ظ : ذهن .

هو عن شيء، لأنه صمد لا جوف له^١ مطلقا لا في ذاته بالفعل، ولا بحيث
يخوّزه الوم لأنه أحد محيط بكل شيء لأنه^٢ هو الله المحيط بجميع
صفات الكمال والجمال^٣، وهو غيب محض لأنه لا يقوى غيره على معرفته
إلا باللوازم من الصفات المعقولة تقريبا، والأفعال المشاهدة آثارها،
هـ وهو هو الذي [هو -^٣] - مع كونه غيب الغيب - مستحضر في كل أب، لا يظهر
بغيب عن^٤ أحد بما له من الآثار، التي^٥ ملائمة الاقطار، ولذلك استحق
التسمية به هو، ولم يستحقها غيره لحضوره^٦ لكل قلب وغية غيره بكل
اعتبار، لأنه ليس للغير من ذاته إلا الغيبة^٧ بالعدم، وأما هو^٨ فهو
الواجب^٩ وجوده، وهو الذي أوجد غيره، وركز في [كل -^٣]
١٠ فطرة ذكره^٩، لما له سبحانه من الكمال، ولغيره من شدة الحاجة إليه
والاختلال، فكان سبوحا قدوسا جامعا بين الوصفين لأنه ممدوح بالفضائل
والمحاسن، التقديس مضمّر في صريح التسييح، والتسييح مضمّر في صريح
التقديس، وقد جمع الله سبحانه وتعالى بينهما في هذه السورة بالأسماء
التي جلاها أولها، فهو صريح التقديس، ومن ثم إلى آخرها صريح التسييح،

(١) زيد في الأصل: أصلا، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها (٢-٢) في ظ
و م: الذي هو جامع لصفات الكمال (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد في الأصل:
كل، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها (٥) سقط من م (٦) في م:
بمحضوره (٧) من ظ و م، وفي الأصل: لغيبة (٨-٨) من ظ و م، وفي
الأصل: فالواجب (٩) من ظ و م، وفي الأصل: ذكر.

والامران راجعان إلى إفراده و توحيده و نفي التشريك و التشبيه عنه،
وذلك هو الجمع بين الإثبات و النفي على تهيج ما وقع في كلمة
الإخلاص ليعلم أن الإثبات^١ لا يكمل إلا بصيائمه عن كل ما يتضمن مخالفته،
لكن كلمة الإخلاص تركبت^٢ من نفي ثم إثبات، و سورة الإخلاص
من إثبات ثم نفي،^٣ فأولها إثبات^٢ و آخرها نفي، و آخر الإثبات ه
الصمد، [فهو -^٤] جامع بين الأمرين فإنه جمع كل صفة لا يتم الخلق إلا بها
لأن أحد مدلوليه^٥ في اللغة: السيد الذي يرجع إليه، فاقضى ذلك
إثبات صفات الكمال التي بها يتم اتساق الأفعال و نفي كل صفة ينزه عنها،
لأن ثاني مدلوليه في اللغة: الذي لا جوف له، و ذلك يتضمن نفي النهاية
و نفي الحد و الجهة و الجسم و الجوهر، لأن من اتصف بشيء من ذلك ١٠
لم يستحل اتصافه بالتركيب و وجود الجوف، فقررت هذه الكلمة وجوب^٦
المعرفة بالنفي و الإثبات ليميز بين الحق و الباطل، لأن من [لم -^٧]
يتحقق صفاء الباطل لم يتقرر له المعرفة بالحق، و لذلك كان الصحابة
رضى الله تعالى عنهم و أرضاهم أجمعين يسألون النبي صلى الله عليه وسلم
/ عن الحق لصحة الاعتقاد و المعرفة، و عن الباطل و الشر للتمكن من ١٥ / ٩١٣
مجانته حتى قال حذيفة رضى الله تعالى عنه: كان [الناس -^٨] يسألون

(١) العبارة من هنا إلى « ثم إثبات » ساقطة من ظ (٢) من ظ و م، و في
الأصل تركيب (٣-٣) تكرر ما بين الرقنين في الأصل فقط (٤) زيد من ظ
و م (ه-ه) من ظ و م، و في الأصل: فاجل مدلوليته (٦) من ظ و م،
و في الأصل: وجوف .

النبي صلى الله عليه وسلم عن الخير ، و كنت أسأله عن الشر . و ذلك لأن من لم يعرف الشر يوشك أن يقع فيه ، و أن ما خالفت كلمة الشهادة في الترتيب لأن تلك أتت للدخال في الدين ، و الأليق بمن كان خارجا أو ضعيفا فيه - وهم الأكثر - نفي الباطل أولا و محوه من لوح القلب

هـ ليأتى^١ لإثبات الحق فيه وهو فارغ^٢ فيقر فيه ، فلما^٣ نفت أولا كل غير كان^٤ سببا للجانبية و البعد عن حضرات القدس ، ثم^٥ أثبتت الذات^٦ الأقدس و المسمى الأشرف الأنفس ، أكدت^٦ سورة الإخلاص لأنها للكل الذين تخلقوا بما قبلها من السور ، هذا الإثبات عند استحضاره ، وشهود الجليل من آثاره ، ثم ختمت بنفي الأغيار ، ليكون بذلك تجلي ختام الأعمار^٧ ،

١٠ عند الرجوع إلى الآثار ، بالعرض على الواحد القهار ، و قد بين^٨ بهذه السورة أنه طريق بين الخلق و الأمر ، فلما فتح الخلق بمتشابه خلق آدم عليه الصلاة و السلام لأن^٩ المتشابه ما خرج^٩ عن أشكاله ، و ختمت أقسامه الأربعة بمتشابه خلق عيسى عليه الصلاة و السلام - كما تقدم^{١٠} عند

- (١) من ظ و م ، وفي الأصل : ليتأتى (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : فارق (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : ولا (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : كانت (٥-٥) من ظ و م ، وفي الأصل : أثبت ذات (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : أكد (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : الأعمال (٨) في ظ و م : تبين . (٩-٩) من ظ و م ، وفي الأصل : الشابهة ما خرجت (١٠) زيد في الأصل : في ، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها .

”ان الله اصطفى“ في آل عمران المناظرة لهذه السورة، لذلك فتح الامر بعد أم الكتاب بمتشابه^١ الحروف المقطعة، و ختم دون المعوذتين اللتين هما في الحال المرتحل كالمقدمة، والافتتاح بالتعوذ لأم الكتاب بمتشابه هو سورة الإخلاص، وكان متشابه أوله متشابه^٢ من جميع وجوهه، لا يمكن أحدا أن يقول فيه قولاً مقطوعاً به أو مظنوناً ظناً راجحاً^٣، و متشابه آخره لا يقنع فيه بدون القطع في أوله فيما كلفنا أمره في هذه الدار وهو أصول الدين، و وراء ذلك [ما - °] لا يدركه أحد من الأبرار ولا المقربين، و هو الذات الأقدس، فن رجع متشابه الخلق فوق منزلته كفر، و من وضع متشابه الأمر عن رتبته العلية كفر، وجعل آخره أجلى من أوله من بعض الوجوه إشارة إلى ترقية الموفق في أمره، ١٠ و أنه في الآخرة يكون^٤ أجلى انكشافاً وأوضح معرفة، و تلاه بالتعوذ إشارة إلى سؤال الاعتصام في شأنه، و الحفظ التام في مضمار عرفانه، و كرر بالثنائية لأجل الإحاطة بأمرى^٥ الظاهر و الباطن^٦، و التأكيد تنبيهاً على صعوبة المرام، و خطر المقام .

ولما افتتح القرآن^٧ بسورة مشتملة على جميع معانيه، ختم بسورتين ١٥

- (١) من ظ و م، وفي الأصل : لمتشابه (٢) من ظ و م، وفي الأصل : متشابه (٣) من ظ و م، وفي الأصل : راجحاً (٤) من ظ و م، وفي الأصل : هذا (٥) زيد من ظ و م (٦-٧) من ظ و م، وفي الأصل : يكون في الآخرة . (٧-٧) من ظ و م، وفي الأصل : الباطن والظاهر (٨) من ظ و م، وفي الأصل : المقام .

يدخل معناهما ، وهو التعوذ ، ويندب ذكره في جميع أجزائه ومبانيه ،
وفي ذلك لطيفة أخرى عظيمة جدا ، وهي أنه لما علم بالإخلاص تمام
العلم وظهور الدين / على هذا الوجه الأعظم ، لحصل بذلك غاية السرور ،
وكان التمام في هذه الدار مؤذنا بالنقصان ، جاءت المعوذتان ' لدفع شر
ذلك ، وقد انقضى الكلام على ما يسره الله تعالى من كنوز معاني سورة
الإخلاص بحسب التركيب والنظم والترتيب ، وبقي الكلام على ما فتح الله
به من أسرارها في الدلالة على مقصود السورة بالنظر إلى كلماتها مفردة
ظواهر وضمائر ثم حروفها ، ففيها من الأسماء الحسنى والصفات العلى^١ ،
التي أسس عليها بانيها ، وانبث عليها أركانها ، خمسة هي العشر من كلمات
١٠ [آية - ٢] الكرسي كما أن الصلوات المكتوبات خمس وهي خمسون
في أم الكتاب ، الحسنة بعشر أمثالها ، فن لطائف إشاراتها أنها كدعائم
الدين الخمس ، فالضمير مشير^٢ إلى تصحيح ضمير القلب بالإيمان ، وصحة
القصد والإذعان ، حتى يقوم بناء العبادة ، والاسم الأعظم إشارة^٣ إلى
أن ذلك التصحيح لأجل التأله بالخضوع للآله الحق باستحضار اسمه الأعظم
١٥ كما أن الصلاة أعظم عبادات البدن ، هذا للهيئة في الدخول في العبادة ،
ثم إن الدخول فيها شرطه أحدية التوجه تحقيقا للصدق في صحة العزم

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : المعوذات (٢) من ظ و م ، وفي الأصل :
العليا (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : مشيرا (٥) من ظ
وم ، وفي الأصل : اشار (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : كان .

عليها كما أن الزكاة تكون مصدقة للإيمان، وذلك التوحيد في التوحيد
 يكون لأجل الصدق في التأله بما يشير^١ إليه إعادة الاسم الأعظم كما
 هو شأن الحاج الأشعث الأغبر المتجرد، ويكون ذلك التأله باستحضار
 افتقار العابد إلى المعبود و تداعيه إلى الهلاك بكل اعتبار لأنه أجوف^٢،
 و غنى المعبود على الإطلاق بما يشير إليه الاسم الإضافي الصمد كما هو ه
 شأن الصائم في عبادته، واستحضاره لحقارته و شدة حاجته، و جلالة
 مولاه، و تعاليه في غناه، فن صحت له هذه الدعائم الخمس كانت عبادته في
 الذروة العليا من القبول، وإلا كان لها اسم الحصول من غير كثير محصول -
 والله الموفق، و كونها خمس عشرة كلمة إشارة إلى أنهم في السنة الخامسة
 عشرة من النبوة يعلمون - بغلبة قهره و سطوة سلطانه و تاييده للمستضعفين ١٠
 من حزبه، و تقويته لهم في وقعة بدر في السنة الثانية من الهجرة - أن
 مرسله لا كفوء له بعلم شهودى لا يقدر أحد على تكذيبه و دفعه، فيقوم
 به دليل الإخلاص، و لات حين مناص، و إذا ضممت إليها الضمير
 الواجب الاستتار في " قل " كانت^٣ ستة عشرة^٤ إشارة إلى أنه في السنة
 السادسة عشرة من النبوة و هي الثالثة من الهجرة في غزوة أحد يكون ١٥
 الظاهر فيها اسمه تعالى الباطن، فانه كان فيها من المصيبة ما هو مذكور في
 السير تفصيله من قتل سبعين من الصحابة رضى الله تعالى عنهم منهم *

(١) من ظ و م، وفي الأصل: كما (٢) من ظ و م، وفي الأصل: احرف.

(٣-٢) من ظ و م، وفي الأصل: ستة عشر (٤) من ظ و م، وفي الأصل:

من (٥) من ظ و م، وفي الأصل: فمنهم -

حمزة بن عبد المطلب / رضى الله تعالى عنه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
أسد الله و أسد رسوله صلى الله عليه وسلم ، و ذلك بعد أن ظهر
فيها النبي صلى الله عليه وسلم في أول النهار ، ظهوراً بيناً حتى كانت هزيمة
الكفار ، لاشك فيها - كما قال الله تعالى " و لقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم
بأذنه حتى إذا فتلتم و تنازعتم " - الآيات ، ثم أخفى الله ذلك في إزالة
الكفار في أثناء النهار ، فهزم الصحابة رضى الله تعالى عنهم حتى لم يبق
مع النبي صلى الله عليه وسلم منهم إلا نفر يسير جداً أكثر ما ورد في
عددهم^١ أنهم يقاربون الأربعين و هو ثابت بهم - صلى الله عليه وسلم -
في نحر العدو و هم نحو من ثلاثة آلاف فيهم مائتا فارس يحاولهم
١٠ و يصارهم يشتملون عليه مرة و يفرقون عنه^٢ أخرى ليعلم أن الناصر
إنما هو الله سبحانه و تعالى وحده^٣ . و قد قال ابن عباس رضى الله عنهما :
ما نصر النبي صلى الله عليه وسلم في موطن من المواطن ما نصر في غزوة
أحد ، و قال أبو سفيان ابن حرب يوم إسلامه في عام الفتح للنبي صلى الله
عليه وسلم : ما قاتلتك^٤ من مرة إلا ظهرت على^٥ ، أظن لو كان مع الله غيره
١٥ لقد أغنى شيئاً . ولكن الذي ظهر منها ما كان في آخر النهار من ظهور
الكفار ، فأخفى الله تعالى نصره لئيه صلى الله عليه وسلم فيها باسمه الباطن
إلا على أرباب البصائر ، فاعلم ذلك [إلا - ^٥] بوجه خفي جداً مناسبة

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : عدم (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : عليه .

(٣) من ظ و م ، وفي الأصل : أحد (٤) من م ، وفي الأصل و ظ : قاتلك .

(٥) زيد من ظ و م .

للضمير الباطن الواجب الاستتار، وإذا ضمنت إلى ذلك الضميرين المستترين الجائزى^١ الظهور، فكانت الكلمات بذلك ثمانى عشرة، كانت إشارة إلى أن فى السنة الثامنة عشرة^٢ من النبوة - وهى الخامسة من الهجرة - دلالة عظيمة على أنه لا كفوف له^٣ أيوجب الإخلاص على وجه هو^٤ أجلى مما كان فى غزوة أحد^٥ وإن كان فيه نوع خفاء، وذلك هـ فى غزوة الأحزاب وبنى قريظة حين رد الله الكفار بغیظهم لم يتألوا خيرا بعد أن كانوا فى عشرة آلاف مقاتل غير بنى قريظة، يقولون: إنه لا غالب لهم، وكفى الله المؤمنين القتال،^٦ وكان الله قويا عزيزا قاهرا لهم^٧ بریح وجنود لم يروها، وأمکن [من - ^٨] بنى قريظة، وكان الله قويا عزيزا، وذلك فى شوال وذى القعدة سنة خمس من الهجرة. فاذا ١٠ ضمنت إليها الضمير الآخر البارز^٩ بالفعل فى "له" فكانت تسع عشرة، كانت إشارة / إلى مثل ذلك على وجه [أجلى - ^{١٠}] فى^{١١} عمرة الحديبية فى ذى القعدة سنة ست من الهجرة، فانه كان فيها الفتح السبى الذى أنزل الله سبحانه وتعالى فيه سورة الفتح، وكان فيها من دلائل الوجدانية

(١) من ظ و م، وفى الأصل: الجائزين (٢) من ظ و م، وفى الأصل: الثانية عشرة، ويريد بعده فى الأصل: كانت إشارة الى ان فى السنة الثمانية عشر، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٣-٤) من ظ و م، وفى الأصل: على وجه يوجب الاخلاص (٥) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (هـ-هـ) سقط ما بين الرقین من ظ و م (٦) زيد من ظ و م (٧) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ و م لحذفها (٨) من ظ و م، وفى الأصل: من .

أمر كثيرة توجب الإخلاص، وإن كان في ذلك نوع خفاء مناسبة للضمير وإن كان بارزا بالفعل. فقد خفي على كثير من الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين حتى نبههم النبي صلى الله عليه وسلم، فاذا ضمنت إليها كلمات البسملة الأربع كانت ثلاثا وعشرين توازي السنة العاشرة من الهجرة، وهي الثالثة والعشرون من النبوة، وفيها كان استقرار الفتح الأكبر والإخلاص الأعظم بنفي الشرك وأهله من جزيرة العرب لحجة الوداع التي قال النبي صلى الله عليه وسلم فيها: [إن الشيطان - ٢] قد آيس أن يعبد في أرض العرب. ولذلك توفي الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم عقبها بعد إظهار الدين وإذلال الكافرين وإتمام النعمة، ١٠. وقام سبحانه بنصر الأمة وحده بعد أن مهد أسباب النصر بنبيه صلى الله عليه وسلم حتى علم قطعا في الردة وأحوالها، وموج الفتنة وأحوالها، وغلبة رعبها على القلوب وزلزالها، في ذلك الاضطراب الشديد، أنه الإله وحده الذي لا كفوء له لحفظ الدين في حياة نبيه صلى الله عليه وسلم [و - ١] بعده، وكذا فيما بعد ذلك من فتوح البلاد، وإذلال الملوك العتاة الشداد، مع ما لهم من السكينة والقوة بالأموال والأجناد، ١٥. والتمكن العظيم في البلاد، وجعل النصر عليهم بأهل الضعف والقلة

(١-١) من ظ وم، وفي الأصل: كان فيها (٢) زيد من ظ وم (٣-٣) من ظ وم، وفي الأصل: بنبيه (٤) من ظ وم، وفي الأصل: الأحد (٥) زيد في الأصل: العباد و. ولم تكن الزيادة في ظ وم لحذفها.

آية في آية، و دلالة بالغة في ظهورها الغاية، و إذا سلك طريقا
 آخر في الترتيب في الكلمات الخطية و الاصطلاحية ذلك على مثل ذلك
 بطريق آخر، و ذلك أن تضم إلى الكلمات الخمس عشرة كلمات البسلة
 الأربع لتكون تسع عشرة فتوازي سنة ست من الهجرة، و ذلك سنة
 عمرة الحديبية التي سماها الله تعالى فتحا، و أزل فيها سورة الفتح ه
 لكونها كانت سبب الفتح الذي هو عمود الإخلاص، فإذا ضمنت إليها
 الضمير المستتر كانت عشرين، فوازت سنة سبع التي كانت فيها عمرة
 القضاء، فأظهر الله فيها الإخلاص على عبده و رسوله صلى الله عليه
 وسلم بين أظهر المشركين في البلد الذي كان بعثه منه وفيه على وجه ظهر
 فيه أنه لا كفوء له، و لكن كان ذلك بوجه خفي، فإذا ضمنت إليها ١٠
 الضميرين المستترين الجائزي البروز / كانت اثنتين^١ و عشرين موازية
 لسنة تسع سنة الوفود [و - ٢] دخول الناس في دين الله أفواجا،
 فالإلهية من حيث هي تقتضي الوحدة، و الوحدة لا تقتضي الإلهية، و عبر
 به دون الواحد لأن المراد الإبلاغ في الوصف بالوحدة إلى حد لا يكون
 شيء أشد منه، و الواحد - قال ابن سينا - مقول على ما يحته من التشكيك، ١٥
 و الذي لا ينقسم بوجه أصلا أولى بالواحدانية مما ينقسم من بعض الوجوه،

(١) من ظ و م . وفي الأصل : الأربعة (٢) من م ، وفي الأصل و ظ :
 اثنين (٣) زيد من ظ (٤-٥) من ظ ، وفي الأصل و م : الدين (٥) العبارة
 في م من هنا و في ظ من « وعبر به » حاقطة إلى ما سنبه عليه، و حذفها أولى
 إلا أنا أبقيتها على وجه الاحتياط .

والذى ينقسم انقساماً عقلياً أولاً بما ينقسم بالحس، [و-^١] الذى ينقسم بالحس وهو بالقوة أولاً من المنقسم بالحس بالفعل، وإذا ثبت أن الوحدة قابلة للأشد والأضعف وأن الواحد مقول على ما تحته بالتشكيك (٩) كان الأكمل فى الفعل الذى لا يمكن أن يكون شئ آخر أقوى منه فيها ٥ وإلا لم يكن بالغاً أقصى المرام، والآخر جامع لذلك دال على الواحدية من جميع الوجوه، وأنه لا كثرة هناك أصلاً، لامتزجية من المقولات من الأجناس والفصول ولا بالأجزاء العقلية كالمادة والصورة، ولا حسيّة بقوة ولا فعل كما فى الأجسام، وذلك لكونه سبحانه وتعالى منزهاً عن الجنس والفصل والمادة والصورة والأعراض والأبغاض والأعضاء ١٠ والأشكال والألوان وسائر الوجوه وجوه التشبيه التى تشمل الوحدة الكاملة الحققة اللاتقية بكرم وجهه وعز جلاله أن يشبهه شئ أو يساويه شئ. لأن كل ما كانت هويته أن تحصل من اجتماع آخر كانت هويته موقوفة على تلك الأجزاء فلا يكون هو لذاته بل لغيره، فلذا كان منزهاً عن الكثرة بكل اعتبار ومتصفاً بالوحدة من كل الوجوه، فقد بلغ هذا ١٥ النظم من البيان أعظم شأن، فسبحان من أنزل هذا الكلام ما أعظم شأنه وأقهر سلطانه فهو منتهى الحاجات. ومن عنده نيل الطلبات، ولا يبلغ أدنى ما استأثره من الجلال والعظمة والبهجة أقصى نعوت الناعتين، وأعظم وصف الواسفين، بل القدر الممكن منه الممتع أزيد منه هو الذى ذكره فى كتابه العزيز، وأودعه وحيه المقدس الحكيم، وبالكلام على معناه ٢٠ والمعنى الواحد تحقق ما تقدم، قال الإمام أبو العباس الأفلحى فى شرح

(١) زيد ولا بد منه .

الأسماء الحسنى، فن أهل اللسان من ساوى بينهما جعلها مترادفين، ومنهم من قال: أصل «أحد» واحد، استقطت منه الألف، ثم أبدلت الهمزة من الواو المفتوحة مثل حسن يحسن فهو حسن - من الحسن، أبدلت الواو همزة، وأما من فرق بينهما ففهم من قال: «أحد» على خياله، لا إبدال فيه ولا تغيير، ومنهم من قال: أصله وحد - أبدلت الواو همزة - انتهى. وقد استخلصت الكلام ٥ على الاسمين الشريفين من عدة شروح للأسماء الحسنى وغيرها، منها شرح الفخر الرازى والفخر الحزالى وغيرهما - قالوا: الواحد الذى لا كثرة فيه بوجه لا بقسمة ولا بغيرها مع اتصافه بالعظمة / ليخرج الجوهر الفرد وهو الذى لا يشئ^١، أى لا ضد له ولا شبيه، فهو سبحانه وتعالى واحد بالمعنيين على الإطلاق لا بالنظر إلى حال ولا شئ، قال الإمام أبو العباس ١٠ الأقبلى فى شرح الأسماء الحسنى: هذه حقيقة الوحدة عند المحققين فلا يصح أن يوصف شئ مركب بها إلا مجازا كما نقول: رجل واحد ودرهم واحد، وإنما يوصف بها حقيقة ما حواله (٢) كالجوهر عند الأشعرية غير أنك إذا نظرت فوجدت وجوده من غيره علت أن استحقاقه لهذا الوصف ليس كاستحقاق موجد له، وهو أيضا إنما يوصف به لحقارته، ١٥ وموجد سبحانه وتعالى موصوف به مع اتصافه بالعظمة، فاتصافه بالوحدة على الإطلاق، والاتصاف بالجوهر بالنظر إلى عدم التركيب من الجسم مع صحة اتصافه بأنه جزء يزيل عنه حقيقة ذلك، والوحدة أيضا بالنظر إلى المعنى الثانى - وهو ما لا نظير له - لا تصح بالحقيقة إلا له سبحانه

(١) فى الأصل: لا يتكنى .

و تعالى، وكل ما نوعيته في شخصيته كالعرش و الكرسي و الشمس و القمر
يصح أن يقدر لها نظائر، و لها معنى ثالث و هو التوحيد بالفعل و الإيجاد،
فيفعل كل ما يريد من غير توقف على شيء، و الفرق بين هذا الوجه
و الذي قبله أن الأول ناظر إلى نفي إله ثان، و هذا ناف لمعين و وزير،
٥ و كلاهما وصف ذاتي سلبى، و الحاصل أن النظر الصحيح دل على أن
لنا موجدا واحدا بمعنى أنه لا يصح أن يلحقه نقص لقسمته بوجه من
الوجوه، و بمعنى أنه معدوم النظير بكل اعتبار، و معنى أنه مستبد بالفعل
مستقل بالإيجاد و متوحد بالصنع منفرد بالتدبير، قضى بهذا شاهد
العقل المعصوم من ظلمة الهوى و كثافة الطبع، و ورد به قواطع النقل
١٠ و نواطق السمع، و لهذا كان من أعظم الخلق دعاؤه سبحانه و تعالى
لجميع الخلق، و كانت دعوة رسوله الخاتم صلى الله عليه و سلم للخلق كافة،
و قال حجة الإسلام أبو حامد الغزالي في آخر شرحه للأسماء الحسنى في
شرحه في بيان رد الأسماء الكثيرة إلى ذات: الواحد و سبع صفات
الواحد المسلوب عنه النظير، و قال في الشرح المذكور: الواحد هو الذى
١٥ لا يتجزى ولا يثنى، أما الذى لا يتجزى فكالجوهر الذى لا ينقسم فيقال
عنه: إنه واحد - بمعنى أنه لا جزء له، و كذلك النقطة لا جزء لها، و الله تعالى
واحد بمعنى أنه يستحيل تقدير الانقسام فى ذاته، و أما الذى لا يثنى
فهو الذى لا نظير له كالشمس مثلا فانها - وإن كانت قابلة للانقسام بالوهم -
متحيزة فى ذاتها / لأنها من قبيل الأجسام فهى لا نظير لها إلا أنه يمكن
٢٠ لها نظير، و ليس فى الوجود موجود يتفرد بخصوص وجوده تفردا

(١) فى الأصل: النظر .

لا يتصور أن يشاركه فيه غيره أصلاً إلا الواحد المطلق أزلاً وأبداً، والعبد إنما يكون واحداً إذا لم يكن له في أبناء جنسه نظير في خصلة من خصال الخير، وذلك بالإضافة إلى بعض الحاصل دون الجميع، فلا وحدة على الإطلاق إلا لله سبحانه و تعالى، وقال محمد بن عبد الكريم الشهرستاني في مقدمة كتاب الملل والنحل : واختلفوا في الواحد أهو من العدم أم ه مبدأ العدد و ليس داخلاً في العدد، وهذا الاختلاف إنما ينشأ من اشتراط لفظ الواحد أيضاً، فالواحد يطلق به و يراد به ما يتركب منه العدد، فان الاثنين لا معنى له إلا الواحد تكرر أول تكرير و كذا الثلاثة والأربعة، و يطلق و يراد به ما يحصل منه العدد الذي هو علة، و لا يدخل في العدد الذي لا يتركب منه العدد، وقد يلزم الواحدية جميع الأعداد ١٠ لاعلى أن العدد يتركب بها بل و كل موجود فهو جنسه أو نوعه أو شخصه واحد، يقال : إنسان واحد. و في العدد أنه لا كفوء له و لكن كان ذلك بوجه خفي، فاذا ضمنت إليها الضميرين المستترين الجائزى البروز كانت اثنين و عشرين موازية لسنة تسع سنة الوفود و دخول الناس في الدين أفواجا، و حجة أبي بكر رضى الله عنه و تطهير المسجد الحرام ١٥ من نجس الإشراك بالبراءة من المشركين و زجرهم عن^٢ أن يحج بعد^١ ذلك العام مشرك، و نهىهم عن قربانهم المسجد الحرام لأنهم نجس، و انتشار الإخلاص في أغلب بلاد العرب، و ذلك أجلى مما مضى مناسبة

(١) و من هنا تستأنف العبارة في ظ و م (٢) في ظ : من (٣) من ظ و م ،

و في الأصل : في (٤-٥) في ظ و م ، و في الأصل : دار

لما دل عليه، وفيه نوع خفاء عند من كان بقي من المشركين، وإذا ضمنت
إليها الضمير الآخر البارز بالفعل كانت ثلاثا وعشرين^١ توازي سنة
حجة الوداع سنة عشر^٢، وهي التي تتم فيها الإخلاص ولم يحج بها مشرك،
و أيس الشيطان فيها أن يعبد في جزيرة العرب، و [في - ٢] ذلك - لكون
ه الكلمة ضميرا - نوع يسير من الخفاء بما دل عليه بعد ذلك من الردة،
وكان ذلك أنسب الأشياء بالكلمة المتحملة لذلك الضمير وهي له،
هذا ما يسره الله من أسرار كلماتها بحسب الأعداد، و أما حروفها فن
الأسرار العظيمة أنها صفة الله، و أن حروفها مع البسمة بالنظر إليها
من حيث اللفظ وكذا من حيث الرسم ستة* وستون حرفا، وكذا
١٠ عدة حروف الجلالة المفوطة وكذا المرسومة بحساب الجمل، فكل ما دعت
إليه هو مدلول هذا الاسم الأعظم، وهذه العدة إذا أخذت من أول
مولد النبي صلى الله عليه وسلم كان آخرها منطبقا على سنة موت صديقه
الأكبر الذي سبق غيره بما رقر في صدره / وهو أبو بكر رضي الله
/ ٩٢٠
تعالى عنه، و ذلك دلالة على أنه لا يوازيها أحد في الإخلاص، وأنهما
١٥ وصلا فيه إلى الرتبة العليا، وإن كان النبي صلى الله عليه وسلم أعلى
الخلق فيه، وفي ذلك أيضا دلالة على أنه لا كفوء له لأنه نبي الإشراف
١) من ظ و م، وفي الأصل: عشر (٢) من ظ و م، وفي الأصل: عشرة.
٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، وفي الأصل: انه (ه) من ظ و م،
وفي الأصل: ست (٦) في ظ: راءة.

بجذافيه من جميع جزيرة العرب بعد أن كانوا مطبقين عليه ، وأطلقهم^١
 سبحانه وتعالى على من يليهم من [ملوك -^٢] الأهم حتى أظهر الله بهم
 الدين - وقد كانوا أذل الأمم - على الدين كله ، ونفوا جبارة الملوك صغرة
 بعد أن^٣ كان عندهم أنه^٤ لا غالب لهم ، وحروفها الملفوظة هي بعدد
 [كلمات -^٥] آيات التوحيد ، وهي آية الكرسي أعظم آية في القرآن ، ه
 وذلك خمسون حرفا إلا واحدا^٦ هو ألف "كفؤا" الذى هو مرسوم
 غير ملفوظ ، وهو الدال على الضمير الذى هو غيب الغيب ، [فهو غيب -^٧]
 من جهة عدم اللفظ به ، ووجود و ظهور من جهة شاهد الرسم و مسموع
 الاسم ، كما أن الذات غيب محض من جهة الحقيقة يدرك بمشاهدة الأفعال ،
 ومسموع الأسماء العوال - والله الهادى^٨ من الضلال^٩ .

١٠

(١) فى ظ : اطلقه (٢) زيد من ظ و م (٣-٤) من ظ و م ، وفى الأصل :
 كانوا (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : واحد (٥) زيد من م (٦-٧) سقط ما
 بين الرقيين من ظ و م .

سورة الفلق^١

مقصودها الاعتصام من^٢ شر كل ما انفلق عنه الخلق الظاهر والباطن،
واسمها ظاهر الدلالة على^٣ ذلك ﴿بسم الله﴾ الذى له جميع الحول ﴿الرحمن﴾
الذى استجمع كمال الطول ﴿الرحيم﴾ الذى آتم على أهل وداده جميل
النول بالسلام من على القول .

لما افتتح سبحانه وتعالى هذا الذكر الحكيم بالهداية فى قوله
تعالى "اهدنا الصراط المستقيم" وبالهداية والتقوى التى هى شعار التائب
فى قوله تعالى "هدى للتقين" وذلك أول منازل السالين، وختم
بتقرير أمر التوحيد على وجه لا يتصور أن يكون أكمل منه، وتقرير الإخلاص
١٠ فيه كما يشعر به الأمر بـ "قل" وذلك هو نهاية المقامات عند العارفين،
قم بذلك الدين، وانتهى سير السالكين، وختم الإخلاص المقررة لذلك
بأنه تعالى لا كفوء له، فتوفرت الدواعى على الانقطاع إليه والعكوف عليه
وألقت^٤ عصاها واطمأن بها النوى كما قرعنا بالإياب المسافر
أمر بالتعوذ برب هذا الدين، موافقة لإياك نعبد وإياك نستعين، من

- (١) الثالثة عشرة بعد المائة من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آياتها .
(٢) زيد فى الأصل و ظ : كل ، ولم تكن الزيادة فى م لحذفناها (م) من ظ
وم ، وفى الأصل : فى (٤) سقط من ظ وم (٥) من ظ وم ، وفى الأصل :
ذكر (٦) من ظ وم ، وفى الأصل : هذا (٧) من ظ وم ، وفى الأصل : نفت .

شر ما يقدح فيه ضرر في الظاهر أو في الباطن^١ وهم الخلائق حتى على
 الفناء في الغنا، وبدأ بما يعم شياطين الإنس والجن في الظاهر والباطن.
 ثم اتبع بما يعم القليلين^٢ ويخص الباطن الذي يستلزم صلاحه صلاح
 الظاهر، إعلاما بشرف الباطن على وجه لا يخل بالظاهر، وفي ذلك إشارة
 إلى الحث على معاودة القراءة^٣ من أول / القرآن كما يشير إليه قوله تعالى هـ / ٩٢١
 "فإذا قرأت القرآن - أى أردت قراءته - فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم"
 فقال تعالى: ﴿ قل ﴾ أى لكل من يبلغه القول من جميع الخلائق تعليما
 لهم وأمرأ، فانهم كلهم مربوبون مقهورون لانجاة لهم في شيء من
 الضرر إلا بعصته سبحانه وتعالى، فعلى كل منهم أن يفزع أول ما تصيبه
 المصيبة إلى مولاه القادر على كشفها تصحيحا لتوكله فانه يرتقى بذلك إلى ١٠
 حال الرضا بمر القضاء، ولا يأخذ في الاعتماد على جلادته وتديره
 بحوله وقوته فانه يشتد أسفه ولا يرد ذلك عنه شيئا: ﴿ اعوذ ﴾
 [أى - ٥] أستجير والتجى وأعتصم وأحتز.

ولما كان هذا المعنى أليق شيء بصفة الربوبية لأن الإعاذة من المضار
 أعظم تربة قال: ﴿ رب الفلقه ﴾ أى الذى يريه وينشئ منه ما يريد، ١٥
 وهو الشيء المفلوق بإيجاده ظلمة العدم كالعيون التى فُلقت بها ظلمة

-
- (١) من م، وفي الأصل وظ: باباطن (٢) من م، وفي الأصل وظ: القليلين.
 (٣) من ظ و م، وفي الأصل: القرآن (٤-٤) من م، وفي الأصل وظ:
 عند ذلك (٥) زيد من ظ و م (٦) زيد في الأصل: من، وفي ظ: عن،
 ولم تكن التريادة في م لحذفها.

الأرض و الجبال، و كالأمطار التي فلقت بها ظلمة الجو و السحاب،
 و كالنبات الذي فلقت به ظلمة الصعيد، و كالأولاد التي فلقت بها ظلمة
 الأحشاء، و كالصبح الذي فلقت به ظلمة الليل، و ما كان من الوحشة
 إلى ما حصل من ذلك من الطمأنينة و السكون و الأمان و السرور إلى
 ٥ غير ذلك من سائر المخلوقات، قال الملوى : و الفلق - بالسكون و الحركة :
 كل شيء انشق عنه ظلمة العدم و أوجد من الكائنات جميعها - انتهى،
 و خص في العرف بالصبح فقيل : فلق الصبح، و منه قوله تعالى " فلق
 الإصباح " لأنه ظاهر في تغير الحال و محاكاة يوم القيامة الذي هو أعظم
 فلق يشق ظلمة الفناء و الهلاك بالبعث و الإحياء، فإن القادر على ما قبله
 ١٠ بما نشاهده قادر عليه، لأنه لا فرق، بل البعث أهون في عوائد الناس لأنه
 إعادة، كذا سائر الممكنات، و من قدر على ذلك قدر على إعادة المستعبد
 من كل ما يخافه و^٢ يخشاه .

ولما كانت الأشياء قسمين : عالم الخلق، و عالم الأمر، و كان
 عالم الأمر خيرا كله . فكان الشر منحصرا في عالم الخلق خاصة بالاستعاذة
 ١٥ فقال تعالى معمما فيها : ﴿ من شر ما خلق ﴾ أي من كل شيء سوى الله
 تعالى عز وجل و صفاته، و الشر تارة يكون اختياريا من العاقل^٢ الداخل
 تحت مدلول " لا " و غيره من سائر الحيوان كالكفر و الظلم و نهش السباع

(١) من ظ و م، و في الأصل : جميعا (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ و م .

(٣) من ظ و م، و في الأصل : العقل .

ولدغ ذوات السموم ، و تارة طبيعيا كاحراق النار و إهلاك السموم .
و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : قد أشير - أى فى الكلام على
ارتباط الإخلاص - إلى وجه ارتباطها آنفا ، و ذلك واضح إن شاء الله
تعالى - انتهى .

و لما كان عطف الخاص على العام يعرف بأن ذلك الخاص / ٥ / ٩٢٢ /
أولى 'أفراد العام' بما ذكر له من الحكم ، و كان شر الأشياء الظلام ،
فانه أصل كل فساد ، و كانت شرارته مع ذلك و شرارة السحر و الحسد
حفية . خصها بالذكر من بين ما عمه الخلق لأن الخفى يأتى من حيث
لا يحتسب الإنسان ، فيكون أضر . و لذا قيل : شر العداة المداجى ،
و كانت مادة "عسق" تدور على الظلام و الانصباب ، فالعسق - محركة : ١٠
ظلمة أول الليل ، و غسقت العين : أظلمت أو دمعت . و اللبن : انصب
من الضرع ، و الليل : اشتدت ظلمته ، و العسقان - محركة : الانصباب ،
و الفاسق : القمر ، و كأنه سمي به لسرعة سيره و انصبابه فى البروج
و لأنه ليس له من نفسه إلا الإظلام ، و الثريا - إذا سقطت - ° و الله
أعلم ° ، قال فى القاموس : لسكثرة الطواعين و الأسقام عند سقوطها ، ١٥
و الذكر - إذا قام ، كما قاله جماعة و روى عن ابن عباس رضى الله

(١-١) من ظ و م ، و فى الأصل : افراد العالم (٢) وقع فى الأصل بعد « يأتى »
و الترتيب من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : كذا (٤) من ظ و م ،
و فى الأصل : محرك (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٦) راجع القاموس .

عنهما، وهو سبب للجهل الذي هو ظلام كله، قال تعالى: (ومن شر غاسق) أي مظلم بارد منصب ظلامه و برده سواء كان أصلا في الظلام حسيا أو معنويا أو كان حاملا عليه مثل الذكر إذا قام لما يجر إليه من الوسوس الرديئة لغلبة الشهوة واستحكام سلطان الهوى، و مثل القمر لما يحدث منه من الرطوبات المفسدة للأبدان و غير ذلك اذ سبابا له غاية القوة كانصباب ما يفيض عن امتلاء في انحدار، ونكره إشارة إلى أنه ليس كل غاسق مذموما - 'والله أعلم' .

و لما كان الشيء الذي ' اتصف بالظلام يكشف فيشتد انصبابه و أخذه في السقوط إلى أن يستقر و يستحكم فيما صوب إليه مجتمعا جدا ١٠ كاجتماع الشيء في الوقبة وهي النقرة في الصخرة، و كان الظلام لا يشتد أذاه إلا إذا ' استقر وثبت'، قال معبرا بأداة التحقق: (إذا وقب!) أي اعتكر ظلامه و دخل في الأشياء بغاية القوة كدخول الثقل الكثيف المنصب في النقرة التي تكون كالبر في الصخرة الصماء المساء، و هذا إشارة إلى أنه يسهل علاجه و زواله قبل تمكنه، و في الحديث: لما رأى الشمس قد وقبت قال: هذا حين حلها - يعني صلاة المغرب، وفيه

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م، و زيد أيضا بعده في الأصل: وقال بعضهم، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها (٢) من ظ و م، و في الأصل: إذا (٣) زيد في الأصل: انتصف و، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها . (٤) زيد في الأصل: ثم، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها (٥) راجع النهاية - وقب .

عند أبي يعلى^١ أنه قال لعائشة رضى الله تعالى عنها عن القمر: تعوذى بالله من شر هذا الفاسق إذا رقب. وأكثر الأقوال أنه الليل، خص بالاستعاذة لأن المضار فيه تكثر ويسر دفعها^٢، وأصل الفسق الظلام، ويلزم منه الامتلاء، وقيل: إن الامتلاء هو الأصل، وأصل الوقوب / الدخول في وقبة أو^٣ ما هو كالوقبة و هى النقرة .

٥ / ٩٢٣

ولما كان السحر أعظم ما يكون من ظلام الشر المستحكم في العروق الداخلة في وقوبها. لما فيه من تفريق المرء من زوجه وأبيه وابنه، ونحو ذلك، وما فيه من ضنى الأجسام وقتل النفوس، عقب ذلك بقوله تعالى: ﴿ومن شر﴾ .

ولما كان كل ساحر شريراً بخلاف الفاسق والحاسد، وكان السحر ١٠ أضر من الفسق والحسد من جهة أنه شر كله، ومن جهة أنه أخفى من غيره، وكان ما هو منه من النساء أعظم لأن مبنى صحته وقوة تأثيره قلة العقل والدين ورداءة الطبع وضعف اليقين وسرعة الاستحالة، ومن أعرق في كل من هذه الصفات وأرسخ، وكان ما وجد منه من جمع وعلى وجه المبالغة أعظم من غيره عرف وبالنخ و جمع وأنث ١٥ ليدخل فيه ما دونه من باب الأولى فقال تعالى: ﴿النفثت﴾ [أى النفوس - ٢] الساحرة سواء كانت نفوس الرجال أو نفوس النساء أى

(١) راجع المعالم ٧ / ٢٦٩ (٢) من ظ و م ، وفى الأصل: نفعها (٣) من اظ و م ، وفى الأصل « و » (٤) زيد من ظ و م .

التي تبالغ في النفث وهو التفل وهو النفخ مع بعض الريق - هكذا
 في الكشف، وقال صاحب القاموس: وهو كالنفخ^١ وأقل من التفل،
 وقال: تفل: بزق، وفي التفسير عن الزجاج أنه التفل بلا ريق،
 ﴿في العقد﴾ [أى -^٢] تعقدهما للسحر في الخيوط وما أشبهها^٣، وسبب
 ٥ نزول ذلك أن يهوديا سحر النبي صلى الله عليه وسلم فرض كما يأتي
 تخريجه، فإن السحر يؤثر باذن الله تعالى المرض ويصل إلى أن يقتل،
 فإذا أقر الساحر أنه قتل بسحره وهو بما يقتل غالبا قتل بذلك عند
 الشافعي، ولا ينافي قوله تعالى "والله يعصمك من الناس" كما مضى
 بيانه في المائدة، ولا يوجب ذلك صدق الكفرة في وصفه صلى الله عليه
 ١٠ وسلم بأنه مسحور، فإنهم ما أرادوا إلا الجنون أو ما يشبهه من فساد
 العقل واختلاله، والمبالغة في أن كل ما يقوله لاحقيقه له كما أن ما
 ينشأ عن المسحور يكون مختلطا لا تعرف حقيقته .
 ولما كان أعظم حامل على السحر وغيره من أذى الناس الحسد،
 وهو تمنى زوال نعمة المحسود:

١٥ "و داريت كل الناس إلا لحاسد" مداراته عزت و شق نواها
 وكيف يدارى المرء حاسد نعمة إذا كان لا يرضيه إلا زوالها
 قال تعالى: ﴿ ومن شر حاسد ﴾ أى ثابت الاتصاف بالحسد معرق

(١) من ظ و م، وفي الأصل: النفخ (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م،
 وفي الأصل: أشبهتها (٤) من ظ و م، وفي الأصل: ما (٥) سقط اليتان
 من ظ و م (٦) من ظ و م، وفي الأصل: فقال .

فيه ، و نكره لانه ليس كل حاسد مذموما ، و أعظم الحسدة الشيطان
الذى ليس له دأب إلا السعى فى إزالة نعم العبادات عن الإنسان
/ بالنفلات .

٩٢٤ /

و لما كان الضر من الحسد إنما هو ما أظهر و عمل بمقتضاه بالإصابة
بالعين أو غيرها قال مقيدا^١ له : (إذا حسد ع) أى حسد بالفعل بعينه ه
الحاسدة ، و [أما - ٢] إذا لم يظهر الحسد فانه لا يتأذى به إلا الحاسد
لا غنامه بنعمة غيره ، و فى إشعار الآية الدعاء بما يحسد عليه من نعم^٢
الدارين لأن خير الناس من عاش محسودا و مات محسودا ، و من لم يلق
بالا للدعاء بذلك^٣ و يهَم بتحصيل ما يحسد عليه ضحك منه لميليس إذا
تلا هذه الآية لكونه ليس له فضيلة يحسد عليها ، و لعله عبر بأداة التحقيق ١٠
إشعارا بأن من كان ثابت الحسد متمكنا من الاتصاف به بما أشعر به
التعبير بالوصف تحقق منه إظهاره ، و لم يقدر على مدافعتة فى الأغلب
إلا من عصم الله تعالى ، و قد علم بكون الحسد علة السحر - الموقع فى القتل
الذى هو أعظم المعاصى بعد الشرك و فى الشرك ، لانه لا يصح غاية الصحة
الإامع الشرك^٤ - أن الحسد شر ما انقلب عنه ظلام العدم ، و الشاهد لذلك ١٥
غلبته على الأمم السالفة و تحذير الأمة^٥ التى هى خير أمة أخرجت للناس

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : معيدا (٢) زيد من هامش م (٣) من م ،
و فى الأصل و ظ : نعمة (٤-٥) من م ، و فى الأصل : الا بالدعاء كذاك ، و فى
ظ : بالا بالدعاء كذاك (٥) فى م : مشرك (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : لامته .

منه بشهادة هاديها صلى الله عليه وسلم ، أخرج الإمام أحمد^١ و أبو داود^٢
 الطيالسي عن الزبير بن العوام رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم
 قال : دب^٣ إليكم داء^٤ الأمم قبلكم : الحسد والبغضاء ، ألا والبغضاء هي
 الخالقة ، لا أقول : إنها تخلق الشعر و لكن تخلق الدين . و في الباب^٥
 ٥ عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما و ابن مسعود رضى الله عنه ، و أعظم
 أسباب^٦ الخالقة أو كلها الحسد ، فلم بهذا رجوع آخر السورة على أولها ،
 و انعطاف مفصلها على وصلها ، و من أعيد من هذه المذكورات انقلب (١)
 سماء قلبه عن شمس المعرفة بعد ظلام ليل الجهل ، فأشرقت^٧ أرجاؤه
 بأنوار الحكم ، إلى أن يضيق الوصف له عن بدائع الكشف :

١٠ هناك ترى ما يملأ العين قرة و يسلى عن الأوطان كل غريب
 فينقطع التعلق عما سوى الله بمحض الاتباع و البعد عن الابتداع بمقتضى
 ” قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله “ و قد بطل بالامر
 بالاستعاذة قول الجبرية : إنا كالألة لا فعل لنا أصلا ، و إنما نحن كالخجر
 لا يتحرك إلا بمحرك ، لأنه لو كان هو المحرك لنا بغير اختيار لم يكن اللامر
 ١٥ فائدة ، و قول القدرية : إنا نخلق أفعالنا ، و قول الفلاسفة : [إنه - ^٨]

(١) راجع المسند ١ / ١٦٧ (٢) زيدت الواو في الأصل و لم تكن في ظ و م
 لحذفها (٣) من ظ و م ، و في الأصل : رب (٤) من ظ و م ، و في الأصل :
 داء الحسد - كذا (٥) من ظ و م ، و في الأصل : اللباب (٦) من م ، و في
 الأصل و ظ : الأسباب (٧) زيد في الأصل : انواره ، و لم تكن الزيادة
 في ظ و م لحذفها (٨) زيد من ظ و م .

٩٢٥ /

إذا وجد السبب و المسبب حصل التأثير من غير / احتياج إلى ربط لـ^١لهى
 كالنار و الحطب ، لأنه لو كان ذلك لكنت^٢ هذه الأفعال المسييات [إذا
 وجدت من فاعليها الذين هم الأسباب ، أو الأفعال التي هي الأسباب-^٣] ،
 و المسييات التي هي الأبدان المراد تأثيرها أثرت و لم تنفع الاستعانة ،
 و الشاهد خلافه ، و ثبت قول الأشاعره أهل السنة و الجماعة أنه إذا
 وجد السبب و المسبب توقف وجود الأثر على إيجاد الله تعالى ، فإن أنفذ^٤
 السبب وجد الأثر ، وإن لم ينفذه لم يوجد ، و السورتان معلتان بأن البليات
 كثيرة و هو قادر على دفعها ، فهما حاملتان على الخوف و الرجاء ، و ذلك
 هو لباب العبودية ، و سبب نزول الموعودتين على ما نقل الواحدى عن
 المفسرين رحمة الله عليهم أجمعين و البغوى^٥ عن ابن عباس و عائشة ١٠
 رضى الله عنهم أن غلاما من اليهود كان يخدم النبي صلى الله عليه و سلم
 فدبت^٦ إليه اليهود فلم يزالوا به حتى أخذ مشاطة^٧ رأس النبي صلى الله
 عليه و سلم و عدة أسنان من مشطه فأعطاهها اليهود فسحروه فيها ، و تولى
 ذلك ليبد بن الأعصم اليهودى ، فرض رسول الله صلى الله عليه و سلم
 و انتشر شعر رأسه ، و يرى أنه يأتى النساء و لا يأتين ، يذوب و لا يدري ١٥
 ما عراه ، فيينا هو نائم ذات يوم أتاه ملكان فقعدا أحدهما عند رأسه

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : لكان (٢) زيد من م (٣-٣) من ظ و م ،
 و فى الأصل : فإذا نفذ (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : لم ينفذ (٥) راجع
 للعالم ٢٧٦ / ٧ (٦) فى ظ : فذست (٧) من ظ و م ، و فى الأصل :
 ما مشطة .

و الآخر عند رجله ، فقال الذى عند رجله للذى عند راسه : ما بال
الرجل ؟ قال : طب ، قال : وما طب ؟ قال : سحر ، قال : ومن سحره ؟
قال : لبيد بن الأعصم اليهودى ، قال : وبما طبه ؟ قال : بمشط ومشاطة^١ ،
قال : وأين هو ؟ قال : فى جف طلعة ذكر تحت راغوفة فى بئر ذروان -
٥ بئر^٢ فى [بنى - ٢] زريق ، والجف : قشر الطلع ، و الراغوفة : حجر
فى أسفل البئر يقوم عليه المائح ، فانتبه النبي صلى الله عليه وسلم وقال
« لعائشة رضى الله عنها : يا عائشة ! أما شعرت أن الله أخبرنى بدأى ! ثم
بعث عليا والزبير وعمار بن ياسر رضى الله عنهم فزحوا البئر كأنه^٣
نقاعة الحناء ، ثم نزعوا الصخرة [وأخرجوا الجف - ٢] فاذا فيه مشاطة^٤
١٠ رأسه وأستان مشطه ، وإذا وتر معقد فيه إحدى عشرة عقدة مفروزة
بالإبر ، فأنزل الله سبحانه وتعالى سورتي المعوذتين ، وهما^٥ إحدى
عشرة آية : الفلق خمس^٦ والناس ست ، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة ،
و وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خفة حتى^٧ انحلت العقدة الأخيرة فقام
كأنما نشط من عقال ، وجعل جبرئيل عليه الصلاة والسلام يقول : بسم الله
١٥ أريقك من كل شيء يؤذيك ومن حاسد وعين والله يشفيك . فقالوا :

(١) من ظ ، وفى الأصل وم : ماشطة (٢) من ظ وم ، وفى الأصل : بين .
(٣) زيد من ظ وم (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ وم (٥) من ظ
وم ، وفى الأصل : كأنها (٦-٦) من ظ وم ، وفى الأصل : أحد عشر
(٧) من ظ وم ، وفى الأصل : خمسة (٨) من ظ وم ، وفى الأصل :
حين .

يا رسول الله !^١ أفلا تأخذه فنقتله ؟ فقال : أما أنا فقد شفاني الله ، وأكره

أن أثير على الناس شراً . وفي رواية أنه^٢ صلى الله عليه وسلم أتى

البئر بنفسه ثم رجع / إلى عائشة رضى الله عنها فقال : والله لكأن^٣

٩٢٦ /

ماءها نقاعة الحناء ، لكأن نخلها رؤوس الشياطين ، هلت له : يا رسول الله !

هلا أخرجته ؟ فقال : أما أنا فقد شفاني الله ، وكرهت أن أثير على^٤

الناس منه شراً . و يجمع بأنه أناها صلى الله عليه وسلم بنفسه الشريفة

فلم يخرجها ثم إنه وجد بعض الالم فأرسل إليه ، فأخرجه فزال [الآلم -^٥

كله ، و روى البخارى^٦ و مسلم^٧ عن عائشة رضى الله عنها قالت : سحر

النبي صلى الله عليه وسلم حتى أنه ليخيل إليه أنه فعل الشيء و ما فعله

حتى إذا كان ذات يوم وهو عندى دعا الله ودعاه ، ثم قال : أشعرت^٨

يا عائشة أن الله تعالى [قد -^٩] أفتانى فيما استفتيته فيه ، قلت : وما ذاك

يا رسول الله ، [قال -^{١٠}] : أتانى ملكان - فذكره ، و روى النسائى فى المحاربة^{١١}

من سننه وأبو بكر ابن أبى شيبة^{١٢} و أحمد بن منيع و عبد بن حميد

و أبو يعلى^{١٣} الموصلى فى مسانيدهم و البغوى فى تفسيره " كلهم عن زيد

ابن أرقم رضى الله عنه قال : كان رجل يدخل على النبي صلى الله عليه^{١٤}

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : ان لا يأخذه فقتله (٢) من ظ و م ، وفى الأصل :

ان النبى (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : كان (٤) زيد من ظ و م (٥) راجع

صحيحه - الطب (٦) راجع صحيحه - السلام (٧) زيد من م (٨) راجع بحرة

أهل الكتاب (٩) راجع المصنف ٢٩ / ٨ (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل :

ابى يعلى (١١) راجع المعالم ٢٦٧ / ٧ .

و سلم فأخذ له فسحر النبي صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود فاشتكى
 لذلك أياما ، فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال : إن رجلا من
 اليهود سحر ك ، عقد^١ لك عقدا في بئر كذا و كذا .^٢ أو قال : فطرحه^٣ في
 بئر رجل من الأنصار ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستخرجوها
 ٥ فجئى بها فخلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل كلما حل عقدة وجد
 لذلك خفة ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما نشط من عقال ،
 فما ذكر ذلك لذلك اليهودى ولا رآه في وجهه^٤ قط ، وفي رواية : فأتاه
 ملكان يعوذانه ففعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجله فقال
 أحدهما : أتدرى ما وجهه^٥ ؟ قال : كان الذى يدخل عليه عقد له وألقاه
 ١٠ في بئر ، فأرسل إليه رجلا ، وفي رواية : عليا رضى الله عنه ، فأخذ
 العقد فوجد الماء قد اصفر ، قال : فأخذ العقد فخلها فبرأ ، فكان الرجل
 بعد ذلك يدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فلم يذكر له شيئا ولم يعاتبه فيه .
 وهذا^٦ الفضل لمنفعة^٦ المعوذتين كما منح الله به^٧ رسوله صلى الله عليه
 وسلم فكذا تفضل به على سائر أمته . و روى أبو داود و الترمذى
 ١٥ - وقال : حسن صحيح - والنسائي^٨ مسندا أو مرسل - قال النووى : بالإسناد

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : تعقد (٢-٢) تكرر ما بين الرقين في الأصل
 فقط (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : وجه (٤) من ظ و م ، وفي الأصل :
 رجه (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : لم يذكر (٦-٦) من م ، وفي الأصل :
 الفعل بمنعه ، وفي ظ : الفضل بمنعه (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : بنبيه و .
 (٨) راجع السنن - الاستعاذة .

الصحيحة - عن عبد الله بن خبيب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأ قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمشي^١ وحين تصبح [ثلاث مرات -^٢] بكفيك^٣ كل شيء . . والأحاديث في فضل [هذه -^٤] ' السور الثلاث ' كثيرة جدا . وجعل التعويذ / في سورتين / ٩٢٧ / إشارة إلى استحباب تكريره ، وجعلنا إحدى عشرة آية ندبا إلى تكثيره ه في تكريره ، وقدمت الفلق التي خمس آيات مع ما مضى من المناسبات لأن اقترانها بسورة التوحيد أنسب ، وشفعها بسورة الناس التي هي ست آيات أنسب ، ليكون الشفع بالشفع ، والابتداء بالوتر بعد سورة الوتر ، وحاصل هذه السورة العظمى في معناها الأبداع الأسمى الاستعاذة بالله بذكر اسمه " الرب " المقتضى للاحسان والتربة بحلب النعم ودفع النقم ١٠ من شر ما خلق ومن السحر والحسد ، كما كان أكثر البقرة^٥ المناظرة لها في رد المقطع على المطلاع لكونها ثانية من الأول كما أن هذه ثانية من الآخر في ذكر أعداء النبي صلى الله عليه وسلم الحاسدين له على ما أوتي من النعم ، وفي تذكيرهم بما منحهم من النعم التي كفروها ، وأكثر ذلك في بني إسرائيل الذين كانوا^٦ أشد الناس حسدا له صلى الله عليه ١٥ وسلم ، وكان من أعظم ما ضلوا^٧ به السحر المشار إليه بقوله تعالى

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : تمشي (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد في الأصل : اقه ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٤-٥) من م ، وفي الأصل : السورتين ، وفي ظ : السور (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : البقرة (٦) زيد في الأصل : الذين ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : قبلوا .

”و اتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان“ حتى قال : ”فيتعلمون منها ما يفرقون به بين المرء وزوجه“ إلى أن قال ”ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم“ و كان السحر من أعظم ما أثر في النبي صلى الله عليه و سلم من كيدهم حتى أنزل^١ فيه المعوذتان ، و كان الساحر له منهم ، و قد انقضى ما يسر الله من الكلام على انتظام معانيها بحسب تركيب كلماتها ، و بقى^٢ الكلام على كلماتها من حيث العدد ، فيما تشير إليه من البركات والمدد^٣ ، هي ثلاث وعشرون كلمة إشارة إلى أنه صلى الله عليه و سلم في السنة^٤ الثالثة و العشرين من النبوة يأمن من أذى حاسديه ، و ذلك بالوفاة عند^٥ تمام الدين و يأمن الحاسدين من كل شيء من الأذى في الدين و الدنيا ، و خلاص النبي صلى الله عليه و سلم من كل كدر ، فاذا ضمنت إليها الضمائر و هي خمسة كانت ثمانى و عشرين ، و هي توازى سنة خمس عشرة من الهجرة ، و ذلك عند استحكام أمر عمر رضى الله عنه في السنة الثانية من خلافة^٦ بيت العساكر و إنفاذه إلى ملك الفرس و الروم و تغلغل هيته في قلوبهم ١٥ و تضعضع الفرس بقلب العرب على رستم أكبر أمرائهم ، و الروم بقلبهم على ماهان أعظم رؤسائهم ، فاضمحل أمر المناقين^٧ و الحاسدين^٨ ، و أيسوا

(١) من ظ و م ، و في الأصل اثر (٢) من ظ و م ، و في الأصل : نفى .
(٣) زيدت الواو بعده في الأصل و لم تكن في ظ و م فحذفناها (٤) سقط من ظ و م (٥) من ظ و م ، و في الأصل : عن (٦) من ظ و م ، و في الأصل : خلافة (٧-٧) تكرر ما بين الرقيين في الأصل نقط .

من [تأثير - ١] أدنى كيد من أحد من الكائدين ، فإذا ضم إليها أربع كلمات البسلة كانت / اثنتين و ثلاثين ، إذا حسبت^٢ من أول النبوة وازتها السنة التاسعة عشرة من الهجرة ، وفيها كان فتح قيسارية [الروم - ٢] من بلاد الشام ، و بفتحها كان فتح جميع بلاد الشام ، لم يبق بها بلد إلا وهي في أيدي المسلمين ، فزال عنها دولة الروم ، وفيها أيضا كان فتح جلولا من بلاد فارس و كان فتحا عظيما جدا هتأجنادهم وملوكهم ، و لذلك سمي فتح الفتوح ، و حصل حينئذ أعظم الخزي^٣ للفرس و الروم الذين هم أحسد الحسدة ، لما كان لهم من العزة و القوة بالأموال و الرجال ، و إن حسبت من الهجرة وازتها سنة انقراض ملك أعظم الحسدة الاكاسرة الذين^٤ شقق ملكهم كتاب النبي صلى الله عليه و سلم ، و أرسل ١٠ إلى عامله باذان - الذي كان استخلفه^٥ على بلاد اليمن - يأمره أن يغزو النبي صلى الله عليه و سلم ، فأخبر الله نبيه صلى الله عليه و سلم بأنه يقتله سبحانه في ليلة سماها ، فلما أتت تلك الليلة أخبر النبي صلى الله عليه و سلم رسل باذان بذلك ، فرجعوا إلى باذان فأخبروه فقال : إن كان صادقا فسيأتي الخبر في يوم كذا ، فأتى الخبر^٦ في ذلك^٧ اليوم بصدقه صلى الله عليه ١٥

(١) زيد من ظ و م (٢) من م ، وفي الأصل و ظ : حسبتها (٣) زيد من ظ .

(٤) من م ، وفي الأصل و ظ : فتحها (٥) من م ، وفي الأصل : القره ، وفي

ظ : المقرئ (٦) من م ، وفي الأصل و ظ : الذي (٧) من ظ ، وفي الأصل

و م : استخلفهم (٨-٨) من ظ و م ، وفي الأصل : بذلك .

و سلم [فأسلم -^١] باذان و من معه من الأبناء الذين كانوا في بلاد اليمن
لم يتخلف منهم أحد ، و أوفد منهم وفدا على النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك ، و تولى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم - رضى الله عنهم
و الله أعلم^٢ .

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ و م .

سورة الناس^١

مقصودها الاعتصام بالإله^٢ الحق من شر الخلق الباطن ، و اسمها دال على ذلك لأن الإنسان مطبوع على الشر ، و أكثر شره بالمكر و الخداع ، و أحسن من هذا أنها للاستعاذة من الشر الباطن المأنوس به المستروح إليه ، فإن الوسوسة لا تكون إلا بما يشتهي ، و الناس مشتق من الأنس ، فإن أصله أناس ، و هو أيضا اضطراب الباطن المشير إليه الاشتقاق من النوس ، فطابق حيثئذ الاسم المسمى ، و مقصود هذه السورة معلول لمقصود الفاتحة الذى هو المراقبة ، و هى شاملة لجميع علوم القرآن التى هى مصادقة الله و معاداة الشيطان ببراعة الختام^٣ ، و فذلك النظام^٤ ، كما أن الفاتحة شاملة لذلك لأنها براعة الاستهلال ، و رعاية^٥ الجلال و الجمال^٦ ، فقد اتصل ١٠ الآخر بالاول اتصال العلة بالمعلول ، و الدليل بالمدلول ، و المثل بالممثول ، و الله المسئول فى تيسير السؤل ، و تحقيق المأمول ، فإنه الجواد ذو الطول ، و به يستعان و عليه التكلان^٧ : / ﴿ بسم الله ﴾ المحيط [علما - ٧] بكل

٩٢٩ /

- (١) آخر سورة من سور القرآن الكريم ، مكية ، و عدد آياتها ٦ (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : باله (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : النظام (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : الختام (٥-٥) من ظ و م ، و فى الأصل : الجمال و الجلال . (٦-٦) سقط ما بين الرقيين من ظ و م (٧) زيد من ظ و م .

باطن كاحاطته بكل ظاهر ﴿الرحمن﴾ الذي عمت نعمته^١ كل باد و حاضر
 ﴿الرحيم﴾ الذي خص أوليائه باتمام النعمة عليهم في جميع أمورهم
 الأول منها و الائناء و الآخر .

لما جاءت سورة الفلق للاستعاذة من شر ما خلق من جميع المضار
 البدنية و غيرها العامة للإنسان و غيره^٢، و ذلك هو جملة الشر الموجود
 في جميع الأكوان و الأزمان، ثم وقع فيها التخصيص بشروط^٣ بأعيانها
 من الفاسق و الساحر و الحاسد، فكانت الاستعاذة فيها عامة للمصائب
 الخارجة التي ترجع إلى ظلم الغير، و المعايب الداخلة التي ترجع إلى ظلم
 النفس، ولكنها في المصائب أظهر، و ختمت بالحسد فلم أنه أضر المصائب،
 ١٠ و كان أصل ما بين 'الجن و الإنس' من العداوة الحسد، جاءت سورة
 الناس متضمنة للاستعاذة من شر خاص، و هو الوسواس، و هو
 أخص من مطلق الحاسد، و يرجع إلى المعايب الداخلة اللاحقة للنفوس
 البشرية التي أصلها كلها الوسوسة، و هي سبب الذنوب و المعاصي كلها،
 و هي من الجن أمكن و أضر، و الشر كله يرجع إلى المصائب و المعايب،
 ١٥ فقد تضمنت السورة كالفلق استعاذة و مستعاذاته و مستعاذا منه و أمرا
 بإيجاد ذلك، فالأمر: ﴿قل﴾ و الاستعاذة ﴿اعوذ﴾ و المستعاذ به هو

(١) زيد في الأصل: على، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٢) من ظ
 و م، و في الأصل: غيرها (٣) من م، و في الأصل و ظ: لشروط .
 (٤-٥) من ظ و م، و في الأصل: الإنس و الجن (٥-٦) من ظ و م، و في
 الأصل: يرجع كله (٦) من ظ و م، و في الأصل: بإيجاب .

الله سبحانه و تعالى ، لكن لما كانت صفة الربوبية من صفات كماله سبحانه ألقى بالحماية^١ والإعانة والرعاية والخلق والتدبير والتربية والإصلاح ، المتضمن للقدرة التامة والرحمة الواسعة ، والإحسان الشامل والعلم الكامل ، قال تعالى : ﴿ رب الناس ﴾ [أى أعصم به - ٢] أى أسأله أن يكون عاصمًا من العدو أن يوقعنى في^٣ المهالك ، قال المولى : والرب من له^٤ ملك الرق وجلب الخيرات^٥ من السماء والأرض وإبقاؤها ، ودفع الشرور ورفعها ، والنقل من النقص إلى الكمال ، و^٦ التدبير العام العائد بالحفظ والتعيم على المربوب ، وخص الإضافة^٧ بالمرزولين المضطرين^٨ في الأبدان والأديان من الإنس والجان لخصوص المستعاذ منه ، وهو الأضرار^٩ التي تعرض^{١٠} للنفوس العاقلة وتخصها ، بخلاف ما في الفلق فانه^{١٠} المضار البدنية التي تعم الإنسان وغيره .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : وجه تأخرها عن شقيقتها عموم

الأولى وخصوص الثانية ، ألا ترى عموم قوله " من شر ما خلق " وإيهام

-
- (١) من ظ و م ، وفي الأصل : بالجماعة (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : من (٤) زيد في ظ : رق التملك (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : الخير (٦) زيد في الأصل وظ : جلب ، ولم تكن الزيادة في م لحذفناها . (٧-٧) من ظ و م ، وفي الأصل : بالمضطرين والمرزولين (٨-٨) من م ، وفي الأصل وظ : المتعرض (٩) زيد في الأصل : من ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها .

”ما“، و تنكير ”غاسق“ و ”حاسد“. و العهد فيما استعيز من شره
 في سورة الناس و تعريفه و نعته، فبدأ بالعموم ثم أتبع بالخصوص ليكون
 أبلغ في تحصيل ما قصدت الاستعاذة منه، و أوفى^١ بالمقصود، و نظير
 هذا في تقديم المعنى الأعم ثم لإتباعه بالأخص بتناول الدقائق و الجلائل / ٩٣٠
 ه قوله سبحانه و تعالى ”بسم الله الرحمن الرحيم“ في معنى الرحمن و معنى
 الرحيم واحد لا في عموم الصفة الأولى و كونها للبالغة، و قد تعرض لبيان
 ذلك المفسرون و لذلك نظائر - انتهى .

و لما كان الرب و الملك متقاربين في المفهوم، و كان الرب أقرب في
 المفهوم إلى اللطف و الترية، و كان الملك للقهر و الاستيلاء و إظهار العدل
 ١٠ أكرم، و كان الرب قد لا يكون ملوكاً فلا يكون كامل التصرف، اقتضت
 البلاغة تقديم الأول و إتباعه الثاني، فقال تعالى^٢: ﴿ملك الناس﴾^٣
 إشارة إلى أن^٤ له كمال التصرف و نفوذ القدرة و تمام السطآن، و إليه
 المفزع و هو المستعان، و المستغاث و الملجأ و المعاد .

و لما كان الملك قد لا يكون إلهاً، و كانت الإلهية خاصة لا تقبل شركاً
 ١٥ أصلاً بخلاف غيرها، أنهى الأمر إليها و جعلت^٥ غاية البيان فقال :

(١) من ظ و م، و في الأصل : وافي (٢) من ظ و م، و في الأصل : آو.
 (٣-٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٤) زيد في الأصل : اي، و لم تكن الزيادة
 في ظ و م لحذفها (٥) من م، و في الأصل و ظ : انه (٦) من م، و في
 الأصل و ظ : جعل .

(إله الناس^١) إشارة إلى أنه كما انفرد ربوبيتهم وملكهم لم يشركه^٢ في ذلك أحد، فكذلك هو وحده إلههم لا يشركه في إلهيته أحد، وهذه دائما طريقة القرآن محتج عليهم باقرارهم بتوحيدهم له^٣ في الربوبية^٤ والملك على ما أنكره من توحيد الإلهية والعبادة، فمن كان ربهم وملكهم فهم جذرون بأن لا يتألهوا^٥ سواه ولا يستعبدوا بغيره^٥ كما أن أحدهم إذا دهم أمر استعاذ بوليّه من أبناء جنسه واستغاث به، والإله من ظهر بلطف صنائعه التي أفادها مفهوم الرب والملك في قلوب العباد فأحبوه واستأنسوا به ولبأوا إليه في جميع أمورهم، [وبطن -^٦] احتجابا بكبريائه عن أن يحاط به أو بصفة^٧ من صفاته أو شيء من أمره، فهابته العباد ودعاهم الحب إلى الوله شوقا إلى لقائه،^{١٠} وزجرتهم الهيبة فجزعوا خوفا من طرده لهم عن فئانه، وكرر الاسم^٨ الظاهر دون أن يضر فيقول مثلا: «ملكهم»، «إلههم»، تحقيقا لهذا المعنى وتقوية له بإعادة اسمهم الدال على شدة الاضطراب المقتضى للحاجة عند كل اسم من أسمائه الدال على الكمال المقتضى للغنى المطلق، ودلالة على أنه حقيق بالإعادة قادر عليها لبيان أنه المتصرف فيهم من جميع الجهات،^{١٥} وبيانا لشرف الإنسان ومزيد الاعتماد بمزيد البيان، واثلا يطن أن شيئا من هذه الأسماء يتقيد بما أضيف إليه الذي قبله من ذلك الوجه،

(١) من م، وفي الأصل: لم يشاركهم، وفي ظ: لم يشركهم (٢-٢) من ظ وم، وفي الأصل: بالربوبية (٣) في ظ: لا يستألهوا (٤) زيد من ظ وم. (٥) من ظ وم، وفي الأصل: صفة (٦) من ظ وم، وفي الأصل: اسم.

/ ٩٣١

لأن الضمير إذا أعيد كان المراد به عين ما عاد إليه ، فاشير بالإظهار
إلى أن كل صفة منها عامة غير مقيدة بشئ أصلاً ، و اندرج / في هذه
الاستعاذة جميع وجوه الاستعاذات من جميع 'وجوه الترية' و جميع الوجوه
المنسوبة إلى المستعذ من جهة أنه في قهر الملك بالضم ، و جميع
هـ الوجوه المنسوبة إلى الإلهية لثلا يقع خلل في وجه من تلك الوجوه تنزيلاً
لاختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات إشعاراً بعظم الآفة المستعاذ
منها ، و لم يعطف بالواو لما فيها من الإيذان بالمغارة ، و المقصود الاستعاذة
بمجموع هذه الصفات الواقعة على ذات واحدة حتى كأنها صفة واحدة ،
و قدم الربوبية لعمومها و شمولها لكل مربوب على حد سواء ، فلا فعل
١٠ لأحد إلا و هو خلقه سبحانه و تعالى و هو الباعث عليه ، و آخر الإلهية
لخصوصها لأن^٢ من لم يقيد^٣ بأوامره و نواهيه فقد أخرج^٤ نفسه من أن
يجعله إله و إن كان في الحقيقة لا إله سواه ، و وسط صفة الملك لأن
الملك هو المتصرف بالأمر و النهي ، و ملكه لهم تابع لخلقهم إياهم فملكه
من كمال ربوبيته ، و كونه إلههم الحق من كمال ملكه ، فربوبيته تستلزم ملكه
١٥ و تقتضيه ، و ملكه يستلزم إلهيته و تقتضيها ، و قد اشتملت هذه الإضافات
الثلاث^٥ على جميع قواعد الإيمان ، و تضمنت معاني أسمائه الحسنی ، فان
(١ - ١) من م ، و في الأصل و ظ : الوجوه القريبة (٢) من ظ و م ، و في
الأصل لا (٣) في ظ و م ؛ لم يتعبه (٤) زيد في الأصل : أخرافه فقد ،
و لم تكن الزيادة في ظ و م لخذفناها (هـ - هـ) في ظ : الأوصاف الثلاثة .
٤٢٨ (١٠٧) الرب

الرب هو القادر الخالق إلى غير ذلك مما يتوقف الإصلاح والرحمة والقدرة 'التي هي' معنى الربوبية عليه من أوصاف الجمال^٢، والملك هو الأمر الناهي المعز المذل - إلى غير ذلك من الأسماء العائدة إلى العظمة والجلال، وأما الإله فهو الجامع لجميع صفات الكمال ونعوت [الجلال-^٢]، فيدخل فيه جميع الأسماء الحسنى، فلتضمنها جميع معاني الأسماء كان المستعبد^٥ جديراً بأن يعوذ، وقد وقع ترتيبها على الوجه الأكمل الدال على الوحدانية، لأن من رأى ما عليه من النعم الظاهرة والباطنة، علم أن له مريباً، فاذا تغفل في العروج في درج معارفه سبحانه وتعالى علم أنه غنى عن الكل، والكل إليه محتاج^٦، وعن أمره تجري أمورهم، فيعلم أنه ملكهم، ثم يعلم بأفتراده بتدبيرهم بعد إبداعهم أنه المستحق للالهية بلا مشارك [له -^٨] ١٠ فيها، فقد أجمع القراء في هذه السورة على إسقاط الألف من "ملك" بخلاف الفاتحة كما مضى لأن الملك إذا أضيف إلى "اليوم" أنهم اختصاصه بجميع ما فيه من جوهر وعرض، وأنه لا أمر لأحد معه ولا مشاركة / في شيء من ذلك، وهو معنى الملك - بالضم، وأما إضافة المالك إلى ٩٣٢ / الناس فإنها تستلزم أن يكون ملكهم، فلو قرئ به هنا لنقص المعنى، ١٥ و أطبقوا في آل عمران على إثبات الألف في المضاف وحذفها من المضاف

(١-١) في م: الذي هو (٢) من م، وفي الأصل و ظ: الجلال (م) زيد من ظ و م (٤) من م، وفي الأصل: فيضمها، وفي ظ: فليضمها (ه) من م، وفي الأصل و ظ: من (٦) من ظ و م، وفي الأصل: معانيه (٧) من ظ و م، وفي الأصل: محتاجون (٨) زيد من م.

إليه لأن المقصود بالسياق أنه سبحانه وتعالى يعطي الملك من يشاء ويمنعه من يشاء، والملك - بكسر الميم - أليق بهذا المعنى، وأسرار كلام الله سبحانه وتعالى أعظم من أن تحيط بها العقول^١، وإنما غاية أولى العلم الاستدلال بما ظهر منها على ما وراءه، وأن باديه إلى الخافي يشير.

٥ ولما اكمل الاستعاذة^٢ من جميع^٣ وجوهها التي مدارها الإحسان أو العظمة أو القهر أو الإذعان والتذلل، ذكر المستعاذ منه فقال: (من شر الوسواس^٤) هو اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة، والمراد الموسوس، سمي بفعله مبالغة لأنه صفته التي هو في غاية الضراوة عليها كما بولغ في العادل بتسميته بالعدل، والوسوسة الكلام الخفي: إلقاء المعاني إلى القلب في خفاء ١٠ وتكرير، كما أن الكلمة الدالة عليها دوس، مكررة، وأصلها صوت الحلي، وحديث النفس، وهمس الكلاب، ضوعف لفظه^٥ مناسبة لمعناه^٦ لأن الموسوس يكرر^٧ ما ينفثه^٨ في القلب [ويؤكد في خفاء-^٩] ليقبل، ومصدره بالكسر كالزلزال كما قال تعالى " وزلزلوا زلزالا شديدا " وكل مضاعف من الزلزلة والرضضة معناه متكرر^{١٠}، والموسوس^{١١} من

- (١) من ظ و م ، وفي الأصل : الكلام (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : العقل (٣-٢) من م ، وفي الأصل : مجموع ، وفي ظ : بمجموعها (٤) من م ، وفي الأصل وظ و (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : لعظمة (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : معناه (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : تكرير (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : ينفثه (٩) زيد من ظ و م (١٠) من ظ و م ، وفي الأصل : متكررا . (١١) زيد في الأصل : أي الوسوسة ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لخصفها .

الجن يجرى من ابن آدم مجرى الدم - كما في الصحيح^١، فهو يوسوس بالذنب سرا ليكون أجلى، ولا يزال يزينه و يثير الشهوة الداعية إليه حتى يواقعه الإنسان، فإذا واقعه وسوس لغيره أن فلانا [فعل - ٢] كذا حتى يفضحه بذلك، فإذا افتضح ازداد جرأة على أمثال ذلك لأنه يقول: قد وقع ما كنت أخفرك من القالة، فلا يكون شيء غير^٣ الذى ه كان، وشره^٤ التحبيب إلى الإنسان بما يميل إليه طبعه حتى يشاكله في رذيلة الطبع و ظلة النفس، فينشأ من ذلك شرور لازمة و متعدية أضرها الكبر و الإعجاب اللذان أهلكا الشيطان، فيوقع الإنسان بها فيما أوقع نفسه فيه، و ينشأ من الكبر الحقد و الحسد يترشح^٥ منه بطر^٦ الحق - وهو عدم قبوله، و منه الكفر و الفسوق و العصيان، و غمص الناس - ١٠ وهو احتقارهم المعلوم من قول الشيطان "أنا خير منه" و منه تنشأ الاستهانة بأولياء الله تعالى بترك احترامهم و منع حقوقهم و الاعتداء عليهم و الظلم لهم، و يترشح من الحقد الذى هو العداوة العظيمة إمساك الخير و الإحسان و بسط اللسان و اليد بكل سوء و إيذاء، و يترشح من الحسد / لإفساد ذات البين كما يشير إليه "ما نهاكا ربكنا عن هذه ١٥ / ٩٣٣ الشجرة" - الآية، و الكذب و المخادعة كما عرف به "و قاسمهما إني لكما لمن

(١) راجع كتاب الخلق و غيره (٢) زيد من ظ و م (٣) من م، و في الأصل وظ : غيره (٤) زيد في الأصل وظ : الى، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها. (٥) من ظ، و في الأصل : فيترشح، و في م : يترشح (٦) من ظ و م، و في الأصل : بطريق .

الناصحين فدلاهما بغرور“ و يترشح عن الإعجاب التسخط^١ للقضاء و القدر
 كما آذن به ”قال أاسجد لمن خلقت طينا“ و مقابلة^٢ الأمر بالعلم بما
 أشعر به ”لم أكن لأسجد لبشر خلقت من صلصال“ و استعمال القياس
 في مقابلة النص بما هدى إليه ”أنا خير منه“ - الآية، و استعمال التحسين
 ه و التقييح بما أفهمه ”لم أكن لأسجد لبشر خلقت من صلصال من حماء
 مسنون“ و الإذلال و هو الجرأة على المخالفات فينشأ عن ذلك شرور
 متعدية، و هي السعى في إفساد العقائد و الأخلاق و الأعمال و الأبدان
 و الأرزاق، ثم لا يزال يتجنب إلى الإنسان بما يميل إليه طبعه من هذه
 الخباثات و هو يوافق فيها حتى تصير له أخلاقا راسخة، فيصير ردئ الطبع
 ١٠ فلا ينفع فيه العلاج، بل لا يزيد إلا خبثا كالبليس، و من كان أصله طيبا
 و اكتسب ما يخالفه بسبب عارض كان يمكن الإزالة كالعلاج كما وقع لآدم
 عليه الصلاة و السلام .

و لما كان الملك الأعظم سبحانه لم ينزل داء إلا أنزل له دواء،
 و كان قد جعل دواء^٢ الوسوسة ذكره سبحانه و تعالى، فانه يطرد الشيطان
 ١٥ و بنير القلب و يصفيه، و صف سبحانه و تعالى فعل الموسوس عند استعمال
 الدواء إعلاما بأنه شديد العداوة للإنسان ليشتد حذره منه و بعده عنه
 فقال: ﴿ الخناس ١ ﴾ أى الذى عادته أن يخنس أى يتوارى؛ و يتأخر

(١) من ظ و م، و فى الأصل : التسح - كذا (٢) من ظ و م، و فى الأصل :
 مقالة (٣) من م، و فى الأصل و ظ : داء (٤ - ٤) من م، و فى الأصل
 و ظ : فيتوارى .

ويحتق بعد ظهوره مرة بعد مرة ، كلما كان الذكر خنس ، وكلما بطل عاد إلى وسواسه ، [فالذكر - ١] له كالمقامع التي تقمع المفسد ، فهو شديد النفور منه ، ولهذا يكون شيطان المؤمن هزبلا كما [ورد] عن بعض السلف أن المؤمن ينس شيطانه كما ينس الرجل بعيره في السقر ، قال البغوي ^١ : له خرطوم كخرطوم الكلب في صدر الإنسان ، ويقال : رأسه كرأس الحية ه واضع رأسه على يمين القلب يحدثه ، فإذا ذكر الله خنس ، وإذا ^٢ لم يذكر الله رجع و وضع رأسه - خزاه الله تعالى ^٣ .

ولما ذكر صفة المستعاذ منه ، ذكر إبرازه لصفته بالفعل فقال : (الذي يوسوس) أي يلقى ^٤ المعاني الضارة على وجه الخفاء والتكرير بحيث تصل مفاهيمها من غير سماع ، وأشار إلى كثرة وسوسته بذكر ^٥ ١٠ الصدر الذي هو ساحة القلب ومسكنه فقال : (في صدور الناس) أي المضطرين ^٦ إذا غفلوا عن ذكر ربهم ، فإنها دهايز القلوب منها تدخل الواردات إليها ، وذلك كالقوة الوهمية فان العقل يساعد في / المقدمات [الحق - ١] المنتجة للأمر المقطوع به ، فإذا وصل الأمر إلى ذلك ^٧ خنس الواهمة ريثما يفتر [العقل - ١] عن النتيجة فرة ما ، فتأخذ الواهمة ١٥

٩٣٤ /

(١) زيد من ظ و م (٢) نقلا عن فتادة - راجع المعالم ٧ / ٢٦٩ ، وزيد بعده في الأصل : وغيره ، ولم تكن الزيادة في ظ و م فخذناها (٣ - ٢) من ظ و م والمالم ، وفي الأصل : قتر عن ذكر (٤ - ٤) - سقط ما بين الرقنين من ظ و م . (٥ - ٥) من ظ و م ، وفي الأصل : المضار (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : التكوين (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : المضطرين (٨) زيد في الأصل : الحال ، ولم تكن الزيادة في ظ و م فخذناها .

في الوسوسة و تقبل [منها - '] الطبيعة بما لها بها من مجاسة الظلة الوهمية،
و الناس - قال في القاموس : يكون من الإنس و من الجن ، جمع إنس
أصله أناس جمع عزيز أدخل عليه [أل - '] - انتهى ، ولعل إطلاقه
على هذين المتقابلين بالنظر إلى النوس الذي أصله الاضطراب و التذبذب
ه فيكون منحوتا من الأصلين : الإنس و النوس ، و من ثالث و هو النسيان .
و لما كان الذي يعلم الإنسان الشر تارة من الجن و أخرى من
الإنس ، قال مينا للوسواس تحذيرا من شياطين الإنس كالتحذير من
شياطين الجن ، مقدما الأهم الأضر ، و يجوز أن يكون يانا لـ " الناس "
و لا تعسف فيه لما علم من نقل القاموس : (من الجنة) أى الجن الذين
١٠ في غاية الشر و التمرد و الخفاء (و الناس ع) أى أهل الاضطراب
و الذبذبة^١ سواء كانوا من^٢ الإنس أو الجن ، فيكون المعنى أن الجن
مسلط بعضهم على بعض كما هم مسلطون على الإنس ، فدخل شيطان الجن في
الجنى [كما يدخل في الإنسى - '] و يوسوس له - قاله ' البغوى ' عن
الكلبي ، و قال : ذكر عن بعض العرب أنه [قال - '] : جاء قوم من
١٥ الجن فوقوا ققيل : من أتم ؟ قالوا : أناس من الجن ، قال : وهذا معنى
قول الفراء .

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و في الأصل : الدمدم - كذا .
(٣) في م : الجن أو الإنس (٤) من م ، و في الأصل و ظ : قال (ه) راجع
م ، و في الأصل و ظ : فقالوا .

و قد ختمت السورة بما بدئت به، والمعنى الثانى أوفق بردها
على أولها فانه يكون شرعا للناس الذين أضيفت لهم الصفات العلى،
و الخواطر الواردة على الإنسان قد تكون وسوسة، وقد تكون إلهاما،
و الإلهام تارة يكون من الله بلا واسطة، و تارة يكون بواسطة الملك،
و يكون كل منهما فى القلب، و الوسوسة تارة من الشيطان، و أخرى ه
من النفس، و كلاهما يكون فى الصدر، فان كان الإنسان مراقبا دفع
عن نفسه الضرر، و إلا هجمت الواردات عليه و تمكنت منه و يتميز^٢
خير الخواطر من شرها بقانون الشرع على أن الامر مشكل، فان الشيطان
يجهتد فى التليس، فان وافق الشرع فلينظر، فان كان فعله ذلك الحين
أولى من^٣ غير تقويت^٢ لفضيلة أخرى^١ هى أولى منه [بادر إليه -]^٤ و إن ١٠
كان الخاطر دنيويا و أدى الفكر إلى أنه نافع من غير مخالفة للشرع
زاد على شدة تأمله الاستشارة لمن يثق^١ بدينه و عقله، ثم الاستخارة
لاحتمال أن^٢ تتوافق عليه العقول، و يكون فيه خلل لتقصير وقع فى النظر،
و قد جعل بعضهم قانون الخاطر الرحمانى أن ينشرح له الصدر^٣ و يطمئن

- (١) زيد فى الأصل : تكون، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٢) من
ظ و م، و فى الأصل : تميز (٣-٢) من م، و فى الأصل و ظ :
التقويت (٤) زيدت الواو فى الأصل : و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .
الأصل : بقوله و يقول، و تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٥) من ظ و م،
(٥) زيد من ظ و م (٦) زيد و فى الأصل : انه (٨) من ظ، و فى الأصل
و م : الصدور .

/إليه النفس، و^١ الشيطاني والنفسى أن ينقبض عنده الصدر و تعلق النفس، بشهادة الحديث النبوى فى البر والإثم، ويعرف الشيطاني بالحمل على مطلق المخالفة، فان الشيطان لاغرض له فى مخالفة بعينها، فإذا حصل الذكر زال ذلك، و النفسانى ملزوم شئ. بعينه سواء كان نفعا أو ضرا، ه ولا ينصرف عنه بالذكر، وقد يكون الشيطان إنسيا من أزواج وأولاد ومعارف، وربما كان أضر من شيطان الجن، فدواؤه المقاطعة والمجانبة بحسب القدرة، ومن أراد قانونا عظيما لمن يصاحب ومن يجانب فعليه بآية الكهف "و اصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه"^٢ ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا^٣ ولا تطع ١٠ من أغفلنا قلبه عن ذكرنا و اتبع هواه وكان أمره فرطا، وكما رجع مقطعا على^٤ مطلعها كذلك كان من المناسبات العظيمة مناسبة معناها للفاتحة ليرجع مقطع القرآن على مطلعها، و يلتحم مبدؤه بمرجه على أحسن وجه، كما تقدم بيان ذلك من سورة قريش إلى هنا سورة سورة، فنظر^٥ هذه السورة إلى الفاتحة والتحامها بها من جهة أن الفاتحة اشتملت ١٥ على ثلاثة أسماء: الله و الرب و الملك، وزادت بكونها أم القرآن بالرحمن الرحيم، لاشتياهما على جميع النعم الظاهرة والباطنة التى تضمنتها

(١) زيد فى الأصل: اما، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٢-٢) ما بين الرقين فى الأصل و ظ: الى قوله (م) زيد فى الأصل: موصلها و، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٤) زيد فى الأصل و م: الى، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها.

صفة الربوبية، و سورة الناس على الرب و الملك و الإله الذى هو
الأصل^١ فى اسم الجلالة، و اختصت الفاتحة بالاسم الذى لم^٢ يقع فيه
شركة أصلاً، فلما تقرر فى جميع القرآن أنه الإله الحق، وأنه لا شركة
لغيره فى الإلهية يحق بوجه من الوجوه كما أنه لا شركة فى الاسم الأعظم
الذى افتتح به القرآن أصلاً بحق و لا بباطل، ختم القرآن الكريم به
معبراً عنه بالإله لوضوح الأمر و اتقاء اللبس بالكلية، و صار
الاختتام بما كان به الافتتاح على الوجه الأجل و الترتيب الأولى، وبقى
الاسمان الآخران على نظمهما^٣، فيصير النظم إذاً ألصقت آخر الناس بأول
الفاتحة، إله ملك رب [الله رب -^٤] الرحمن رحيم ملك، إعلاما بأن مسمى
الاسم الأعظم هو الإله الحق، و هو الملك الأعظم لأن^٥ له الإبداع
و حسن التربية و الرحمة العامة و الخاصة، و حاصل سورة الناس الاستعاذة
بهذا الرب الموصوف من وسوسة الصدر المثمرة للمراقبة كما أن حاصل
سورة^٦ الفاتحة فراغ السر من الشواغل المقتضى لقصر^٧ الهمم عليه سبحانه
و تعالى و البقاء فى^٨ حضرته الشاء بقصر البقاء عليه و الحكم بالفناء على
ما سواه، و ذلك هو أعلى درجات المراقبة، فإذا أراد الحق إعانة عبد
حملة على الاستعانة [بالاستعاذة -^٩] فيسر عليه صدق التوكل، فيقتد بصير

٩٣٦ /

- (١) من ظ و م، وفى الأصل: اصل (٢) من ظ و م، وفى الأصل: به .
(٣) من م، وفى الأصل وظ: معظمهما (٤) زيد من ظ و م (٥) من م، وفى
الأصل وظ: ان (٦) من ظ و م، وفى الأصل: الثمرة (٧) سقط من م .
(٨) من ظ و م، وفى الأصل: على .

عابدا صادقا في العبودية فيكون إلهه سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي
يصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وينبغي أنه
كلما زاده سبحانه و تعالى تقريرا ازداد له عبادة حتى ينفك من مكر
الشیطان بالموت كما قال تعالى لا اقرب خلقه إليه محمد صلى الله عليه وسلم
هـ "واعبد ربك حتى ياتيك اليقين" ومن نقص من الأعمال شيئا اعتمادا
على أنه وصل فقد تزندق، وكان مثله مثل [شخص في - ٢] بيت
مظلم أسرج فيه سراجا فأضاء، فقال: ما أوقدت السراج إلا بضئ.
البيت^٢ فقد أضاء، فلا حاجة لي الآن إلى السراج، فأطفأه فعاد الظلام
كما كان، وقد ندب النبي صلى الله عليه وسلم إلى افتتاح القرآن بعد
١٠ ختمه كما أشار إليه اتصال المعنى بما بينته، وسمى ذلك الحال المرتحل،
وكان القارئ ذكر بالامر بالاستعاذة لإرادة افتتاح قراءته، فكأنه قيل:
استعد يا من ختم القرآن العظيم لتفتحه، وكأنه لما استعاذ بما أمر به في
هذه السورة قيل له: ثم ما ذا تفعل؟ فقال: أفتح، أو أنه لما أمر
بالاستعاذة قال: ماذا أفعل؟ فقيل: افتح بسم الله الرحمن الرحيم الذي
١٥ تجب مراقبته عند خواتم الأمور وفواتحها، لأنه لا يكون أمر إلا به،
أو أن البسمة مقول القول في "قل" على سبيل البدل من "أعوذ"
أو بدل من "رب الناس" وكأنه أمر بالتعوذ، [والتسمية أمر بالدفع

(١) سقط من ظ و م (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، وفي الأصل:
المكان (٤) من ظ و م، وفي الأصل: اراد (هـ) في ظ: ما (٦ - ٧) من ظ
وم، وفي الأصل: أو أنه.

و الجلب ، و ذلك لأنه لما أمر بهذا التعوذ - ١ [و كان قد قال سبحانه
 "فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم" علم أن المراد
 ابتداءه بالقرآن فنسبتها^٢ إلى الفاتحة نسبة المعلول إلى علته ، فكأنه قيل :
 استعذ بهذا الرب الاعظم الذى لا ملك^٣ و إلإله غيره لأن له الحمد ،
 و [هو - ١] الإحاطة بكل شيء ، فهو القادر على كل شيء ، فهو القاهر لكل
 شيء فيه المعاد و هو الملجأ و المفرج لا إله إلا هو ، فإن الاسم هو الوصف
 و المراد به الجنس ، فعنى بسم الله أى بوصفه أو بأوصافه الحسنى ، و الحمد
 هو الثناء بالوصف الجميل ، فكأنه قيل : أعوذ برب الناس بأوصافه الحسنى
 لأن [له - ١] الحمد و هو جميع الأوصاف الحسنى فإن البدء^٤ فيه يحتاج
 إلى قدرة^٥ ، فله القدرة التامة ، أو إلى علم فاعلم صفته ، أو كرم فكذلك^٦ ، ١٠
 و الحاصل أنه كأنه^٧ [قيل - ١] : تعوذ به من الشيطان بما له من الاسم
 الذى لم يسامه فيه أحد لكونه جامعا لجميع الأسماء الحسنى أى الصفات
 التى لا يشوبها نقص خصوصا صفة الرحمة العامة / التى شملت أكنافها ،
 ٩٣٧ / و أقامنى اسمائها ، ثم الرحمة الخاصة التى أنا أجدر الناس باستمطارها
 (١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : فنسبته (٣) زيد فى الأصل :
 إلا له : وفى ظ : له ، ولم تكن الزيادة فى م لحذفنا (٤) من ظ و م ، وفى
 الأصل : المبدوا - كذا (٥) زيد فى الأصل : الله تعالى ، ولم تكن الزيادة فى
 ظ و م لحذفنا (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : فذلك (٧) من ظ و م ،
 وفى الأصل : كان .

لما عندى من النقص المانع لى منها والمبعد لمن اتبع الحظوظ عنها،
 فأسأله أن يجعلنى من أهلها، ويجعلنى فى الدارين بوصلها، لاكون من أهل
 رضاه، فلا أعبد إلا إياه، ولك أن تقر الاتصال والالتحام بوجه
 آخر ظاهر الكمال بديع النظام فنقول : لما قرب التقاء نهاية الدائرة
 ٥ السورية آخرها بأولها ومفصلها بموصلها اشتد تشاكل الرأسين، فكانت
 هذه السور الثلاث الأخيرة مشكلة للثلاث الأولى فى المقاصد، وكثرة
 الفضائل والفوائد : الإخلاص بسورة التوحيد آل عمران، وهو را ،
 والفلق للبقرة طباقا ووفقا، فان الكتاب الذى هو مقصود سورة البقرة
 خير الأمر، فهى للعون بخير الأمر، والفلق للعوذ من شر الخلق المحص
 ١٠ لكل خير، وفى البقرة "أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين" "يعلمون
 الناس السحر" - الآيات، "ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من
 بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم" [الآية - ٢]، والناس للفتحة،
 فانه إذا فرغ الصدر الذى هو مسكن القلب الذى هو مركب الروح
 الذى هو معدن العقل كانت المراقبة . فكان ذلك بمنزلة تقديس النفس
 ١٥ بالتوحيد والإخلاص، ثم الاستعاذة من "كل شر" ظاهر ومن كل سوء
 باطن للتأهل لتلاوة سورة المراقبة بما دعا إليه الحال المرتحل وما بعدها

(١) من ظ وم، وفى الأصل : تلاولى (٢) من ظ وم، وفى الأصل : لتعوذ .
 (٣) زيد من م (٤) من ظ وم، وفى الأصل : كانه (٥ - ٥) من ظ وم،
 وفى الأصل : شر كل (٦) زيد فى الأصل : بما دعت إليه سورة المراقبة ،
 ولم تكن الزيادة فى ظ وم لحذفها .

من الكتاب، على غاية من السداد و الصواب، و كأنه اكتفى أولاً
 بالاستعانة المعروفة كما يكتب في أوائل الأمور بأيسر مأمور، فلما ختم
 الختمه جوزى بتعوذ من القرآن، رقية إلى مقام الإحسان، فاتصل الآخر
 بالاول أى اتصال بلا ارياب، و اتحد به كل اتحاد - إن في ذلك لذكرى
 لأولى الألباب، هذا ما يسره الله من مدلولات نظومها و جعلها، بالنسبة ه
 إلى مفهوماتها^١ و عللها، وبقى النظر إلى ما يشير إليه أعداد كلماتها،
 بطائف^٢ رموزها و إشاراتنا، فهي عشرون كلمة توازيها إذا حسبت من
 أول النبوة سنة عمرة القضاء و هي السابعة من الهجرة، بها تبين^٣ الأمن
 بما وسوس به الشيطان سنة عمرة الحديبية من أجل رؤيا النبي صلى الله
 عليه و سلم لدخول البيت و الطواف به، فإذا ضمنت إليها الضمائر الثلاث ١٠
 كانت ثلاثاً و عشرين فوازت السنة العاشرة من الهجرة و هي سنة حجة الوداع
 و هي القاطعة لتأثير وسواس الشيطان الذى كان في أول السنة الحادية
 عشرة / عند موت النبي صلى الله عليه و سلم إلى العرب بأمر الردة^٤، فأعاذ الله
 من شره بهمة الصديق رضى الله تعالى عنه حتى رد الناس إلى الدين
 و أزال به وسواس^٥ الشياطين المفسدين، [فاتنظمت كلمة المسلمين -^٦] ١٥

٩٣٨ /

(١) من ظ و م، و في الأصل: مدلولها (٢) من ظ و م، و في الأصل:
 بطائف (٣) من م، و في الأصل و ظ: تين (٤) من ظ و م، و في الأصل:
 كانتا (٥) زيد في ظ و استطعت (٦) زيد في الأصل: الشيطان و، و لم تكن
 الزيادة في ظ و م لحذفناها (٧) زيد من ظ و م.

تصديقا لقول النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع « إن الشيطان قد آيس أن يعبد في جزيرة العرب بعد اليوم » ، فإذا ضمنت إليها كلمات البسمة صارت سبعا وعشرين توازي سنة استحكام أمر عمر بن الخطاب الفاروق رضي الله عنه الذي ما سلك لجا إلا سلك الشيطان لجا غيره ،
 • وذلك سنة أربع [عشرة - '] من الهجرة ، هذا بالنظر إلى كلماتها ، فان نظرت إليها من جهة الحروف كانت لها أسرار كبرى من جهة أخرى ، منها أن كلماتها مع كلمات الفاتحة انتظمت من ستة وعشرين حرفا وهي ما عدا الاء المثلثة والراء والطاء المعجمة من حروف المعجم التسعة [والعشرين كل واحدة منهما من اثنين و - '] عشرين حرفا اشتركتا^١
 ١٠ في ثمانية عشر^٢ منها ، واختصت كل [واحدة - '] منهما^٣ بأربعة : الفاتحة بالحاء والطاء المهملتين ، والضاد والغين المعجمتين ، والناس بالجيم والحاء والشين المعجمتين^٤ والفاء ، وقال ابن ميلق : سقط من الفاتحة سبعة أحرف « ثج خز شظف » - انتهى ، فلعل في ذلك - والله أعلم - إشارة إلى [أن - '] تكامل نزول القرآن من أوله إلى آخره في عدد الحروف التي اشتمل [عليها - '] كل من سورتي أوله وآخره من السنين وذلك اثنان وعشرون ، والثالثة والعشرون سنة القدوم على منزله^٥

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد من م (٣) من م ، وفي الأصل و ظ : اشتراكا .
 (٤) زيد في الأصل : حرف ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها (٥) سقط من م (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : المعجمات (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : منزله .

الحى القيوم سبحانه و تعالى ما أعظم شأنه ، و أعز سلطانه ،
و أقوم برهانه .

قال مؤلفه رحمه الله تعالى : وهذا تمام ' ما أردته ' من نظم الدرر
من تناسب الآى و السور ، ترجمان القرآن مبدى مناسبات الفرقان ،
التفسير الذى لم تسمح الأعصار بمثله ، ولا فاض [عليها - ٢] من التفسير ه
على كثرة أعدادها كصيب وبه ، فرغته فى المسودة يوم الثلاثاء سابع
شعبان سنة خمس و سبعين و ثمانمائة ، بمسجدي من رجة ' باب العيد بالقاهرة
المغرية ، و كان ابتدائى فيه فى شعبان سنة [لإحدى و ستين ، فتلك أربع
عشرة سنة كاملة ، و فرغته فى هذه الميضة عصر يوم الأحد عاشر شعبان
سنة - ١] اثنتين [وثمانين - ٢] و ثمانمائة ، بمنزلى الملاصق للدرسة ' البادرانية ١٠
من دمشق ، فتلك اثنتان و عشرون ' سنة بعدد سنى النبوة الزاهرة
الأنيسة العلية الطاهرة المباركة الزكية ، ولولا معونة ' الله أضحى معدوما ،
أو ناقصا مخروما ، فأنى بعد ما توغلت فيه ' واستقامت ' لى مبانيه ،
فوصلت إلى قريب [من - ٢] نصفه ، فبالغ [الفضلاء - ٢] فى وصفه

(١) من م ، وفى الأصل وظ : آخر (٢) من م ، وفى الأصل وظ : اورده .
(٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : رحمة (ه) زيد من م .
(٦) من م ، وفى الأصل وظ : ادرسة (٧-٧) من ظ و م ، وفى الأصل :
اثتان وسبعون (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : معرفة (٩-٩) من ظ و م ،
وفى الأصل : فاستقامت .

/ ٩٣٩

بحسن سبك و غزارة معانيه و إحكام رصفه ، دب داء الحسد في جماعة
 أولى النكد، / و المكر و اللد ، يريدون' الرئاسة بالباطل ، و كل منهم
 من جوهر العلم عاطل ، مدّ ليل الجهل فيهم ظلامه ، و آثار نفع السفه على
 رؤسهم سواده و قتامه ، صوبوا سهام الشرور ، و الأباطيل و أنواع
 الزور ، فأكثرُوا التشيع بالتشيع ، و التقيح بالتبشيع ، و التخطئة بالتضليل ،
 بالنقل من التوراة و الإنجيل ، فصنفت في ذلك الأقوال القويمة ، في
 حكم النقل من الكتب القديمة ، يثبت فيه أن ذلك سنة مستقيمة ، لتأييد
 الملة الخفية العظيمة ، و أخرجت بذلك [نص - ٢] الشافعي ، و كلام
 النووي و الرافعي ، و استكتبت على الكتاب : العلماء الانجاب ، فكتبوا
 ١٠ ما أودعته [مصاعد - ٢] النظر للاشراف على مقاصد السور ، فأطفا
 الله^٢ نارهم ، و أظهر عوارهم ، و شهر خزيمهم و عارهم ، ثم قاموا^٣ في
 بدعة دائم^٤ المعروف ، فصنفت فيها القول المعروف ، و بينت مخالفتهم
 للكتاب و السنة ، و وقوعهم في عين الفتنة ، و خرقهم لأعظم الجنة ،
 و صريح [نص - ٢] الشافعي و نقول العلماء ، فكانوا كمن أقم الحجر^٥
 ١٥ أو^٦ ملي^٧ فله بالماء ، ثم قاموا في فتنة ابن الفارض ، و كلهم معاند معارض ،

(١) من ظ و م ، و في الأصل : يرون (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد في
 الأصل : لهم ، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٤) زيد في الأصل و ظ :
 و اظلم به نورهم ، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٥ - ٥) من م ،
 و في الأصل و ظ : قاموا (٦) من م ، و في الأصل و ظ : دعا - كذا
 (٧) في ظ : الحجر (٨) في م « و » .

و ألبوا على رعاي الناس، فاشتد شعاع البأس، فكادوا أن يطبقوا على الانعكاس، وصوبوا طريق الإلحاد، وبالغوا في الرفع من أهل الاتحاد، و لجوا بالخصام^٢ في العناد، وأفتوا^٣ بمحض الباطل، وبثوا السم القاتل، إلا ناسا قليلا، كان الله بنصرهم على ضعفهم كفيلا، فسألتهم سؤالا، جعلهم ضلالا جهالا، فداولوه فيما بينهم و تناقلوه و عجزوا عن جوابه ه بعد أن راموه أشد الروم، و حاولوه فظهر لاكثر الناس حالهم، و اشتهر بينهم ضلالهم، و غيهم الواضح و محالهم، و صنفت في ذلك عدة^٤ مصنفات، بانت فيها مخازيهم و ظهرت المخبات، منها صواب الجواب للسائل المرتاب، و منها القارض لتكفير ابن القارض، و منها تدمير المعارض في تكفير ابن القارض، و منها تنبيه الغبي على تكفير ابن عربي، و منها تحذير [العباد - *] من أهل العناد بيدعة^٥ الاتحاد، أنفقت فيها عمرا مديدا، و بددوا فيها أوقاتي - بددتم الله تبديدا، و هدد أركانهم و أعضادهم تهديدا، و قرعتهم بالعجز عن الجواب، الكاشف للارتباب، صباحا و مساء، و إعادة و إبداء، فحملهم التقرير، و التويخ و التبخيخ، على كتابة جواب، لم يخل من ارتجاج و اضطراب^٦، و شك ١٥

- (١) من م، و في الأصل: صبوا، و في ظ: ضربوا (٢) من ظ و م، و في الأصل: في الخصام (٣) من ظ و م، و في الأصل: اتوا (٤) سقط من ظ . (٥) زيد من ظ و م (٦) زيد في الأصل: أهل الإلحاد و، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٧) من ظ و م، في الأصل: ارتياب .

وارتياب، 'بينت أن' جامعه [أخطأ - ٢] في جميعه الصواب، وكفر^٢
في أربعة مواضع كفرا صريحا، وكذب^٣ في ثمانية فصار [بذلك - ٥]
جريحا، بل هالكا طريقا. فأطلت بذلك التفرع، والتويخ والتبشيع،
فذلك أعناقهم، / وضعف شقائهم^٤، وخنى نفاقهم، غير أنه حصل في كل

/ ٩٤٠

٥ واحدة من هذه الوقائع، من الشرور وعجائب المقدور، ما غطى ظلامه
الشموس الطوالع. وطال الأمر في ذلك سنين، وعم الكرب حتى
كثر الآنين، والتضرع في الدعاء والحنين. وثبت الله ورزق الصبر
والإناة حتى أكمل هذا الكتاب، على ما تراه من الحسن والصواب.
وقد قلت مادحا للكتاب المذكور، بما أبان عنه^٥ من عجائب

١٠ المقدور، وغرائب الأمور، شارحا لحالي، وحالهم وظفر آمالي،

[و - ٦] خية آمالهم من مجزوء الرجز، وضربه مقطوع، والقافية

متواز مطلق محرد، مسميا له بـ 'كتاب لَمَّا'، لأن جل مقصوده بيان ارتباط

الجل بعضها ببعض حتى أن كل جملة تكون آخذة بحجزة^٦ ما أمامها

متصلة بها، وذلك هو المظهر المقصود من الكلام وسره ولبابه، الذي

١٥ هو [للكلام - ٧] بمنزلة الروح وبيان معاني المفردات، وكل جملة على

حيالها بمنزلة الجسد، فالروح هو المقصود الأعظم يدرك ذلك من ينوق

(١-١) من ظ و م، وفي الأصل: بيتان - كذا (٢) زيد من ظ و م.

(٣) من ظ و م، وفي الأصل: كفروا (٤) في ظ: كفر (٥) زيد من م،

وموضعه في ظ: في ذلك (٦) في الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٧) من ظ

و م، وفي الأصل: منه (٨) من ظ و م، وفي الأصل: معجزة.

و يفهم، و يسرى ذهنه في ميادين التراكيب^١ و يعلم، و دلاء طرف يراد بها
ثبوت الثاني بما دخل عليه بثبوت الأول على غاية المسكنة بمعنى أنها
كالشروط تطلب جملتين^٢ يلزم لذلك الملزوم، فتم الكتاب في هذا النظم
ب دلاء لآتي أكثر من استعمالها فيه لهذا الغرض:

- هـ هذا كتاب لما لم الممانى لما
غدت بحور عليه تمد مدا جما
[بشرت من يحسده بأن يموت غما - ٢]
فان قصدى صالح جاهدت فيه الهما
فربنا يقبله كيفية و كما
فبالذى أردته لقد أحاط علما
١٠ كابدت فيه زمنا من حاسدى ما غما
عدوا^٣ سنين عددا يسقون قلبى السما
و كم دهونى مرة و كم رمونى سهما
و أوسقوا^٤ قلبى أذى و أوسعونى ذما
و كم بغونى^٥ عثرة فما رأوا الى جرما
١٥ و قتروا من قاصدى مهممة و عزما

(١) من ظ و م، وفي الأصل: التركيب (٢) من ظ و م، وفي الأصل:
الجملتين (٣) زيد من م (٤) من ظ و م، وفي الأصل: عمدوا (٥) من ظ
و م، وفي الأصل: سقوا (٦) من ظ و م، وفي الأصل: بغوا الى .

و أوعدهم بالآذى و أوهنهم رجما
 ألقى إذا اشتد لظى أذى إذا هم رجما
 ألقى إذا الليل دجا و بالبلا ادلها
 إذا هم و ظلمهم بدعوة في الظلما
 / أستصرخ الله بهم أقول يا اللهما
 يا رب إني جاهد فافرج إلهي الغما
 لا ذنب لي عندهم إلا الكتاب لما
 جرت بنايع الهدى منه فصارت بما
 صنعتها و في بحو رعلها ما طما
 و قد علا^٢ تركيبه و عاد يحلو نظما
 عملته نصيحة لمن يجب العلما
 أودعته فرائدا^٣ يرقص منه الفهما
 تجلو العمى من لطفها و تسمع الأصما
 خص نفيس عليها و للأناسي عما
 تنطق من تغنى بها و إن يكونوا^٤ بكما
 أفعالها جليلة أعيذها بالأسما
 سهل ربي أمره على حتى تما

٥ / ٩٤١

١٠

١٥

(١) سقط من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : في دعوة (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : عا (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : فوائدا (هـ) من ظ و م ، وفي الأصل : يكون .

- في أربع وعشرة من السنين صما^١
 قال لسان عدما دونك بدرا تما
 وليس يلقي^٢ ناقصا يا صاحبي يوما
 أعيذه بالمصطفى من شر وعدما
 ومن حسود^٣ قد غدا من أجله مهتما
 فليس ينبغي ذمه إلا بغیضا أعا
 كفاه ربى شرم و زان منه الاسما
 وردّ في تدبيرهم تدميرهم و الفرما
 [و ردّم بغیظهم لما ينالوا غلما - ٤]
 و زاده سعاده و لازمه النعما
 ١٠

قال ذلك منسبه أحوج الخلائق إلى عفو الخالق أبو الحسن إبراهيم بن
 عمر بن حسن الرباط ابن علي بن أبي بكر البقاعي الشافعي رحمه الله تعالى
 قائلا : الحمد لله رب العالمين و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه و سلم
 تسليما كثيرا دائما أبدا إلى يوم الدين ، و حسنا الله و نعم الوكيل .
 [و كان الفراغ من هذا الجزء على يد أقل عبيد الله و أحوجهم إلى ١٥

لطف الله و عفوه عبد الكريم بن علي بن محمد المحولي الشافعي نزيل بلد

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : صما (٢) من م ، وفي الأصل : يكنى ، وفي
 ظ : يلقي (٣) من ظ ، وفي الأصل و م : حسد (٤) زيد من م (٥) سقط
 من ظ و م .

الله الحرام - غفر الله له ولوالديه ولمشائخه وللسلمين - . . . بمكة
المشرقة في يوم السبت المبارك السادس والعشرين من شهر صفر
الحير سنة أربع وأربعين و تسعمائة ، وقد تجاوز سنن الآن خمسة وسبعين
عاما - أسأل الله حسن الخاتمة والثبات على دين الإسلام والوفاة بأحد
ه حرميه بمنه ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا
دائما أبدا إلى يوم الدين وحسبنا الله ونعم الوكيل -^١ ولا حول ولا قوة
إلا بالله العلي العظيم .

/ وقال بعض تلامذة المصنف وهو العرس خليل بن موسى المقرئ

/ ٩٤٢

مادحا^٢ للكتاب المذكور المسمى بـ «دلاء» :

١٠ برهان دين [الله -^٣] أضحي موضعا أسرار قول الله في القرآن
وأق بما ترك الوري من بعده تمشي الورا أبدا مدى الأزمان
فن ادعى نسجا على منواله فقد ادعى ما ليس في الإمكان
وإذا المفسر^٤ رام يوما أنه بمثاله يأتي بلا إذعان
قلنا له فسر وقايس بعد ذا ولنا الدليل عليك بالبرهان

* * *

١٥ وكان الفراغ من نسخ هذا النصف الأخير من الكتاب المسمى بـ «دلاء»
مناسبات القرآن العظيم على من أنزل عليه أفضل الصلاة والسلام في

(١) زيدت العبارة المحجوزة من م (٢) زيد في الأصل : له أي ، ولم تكن
الزيادة في ظ و م لخدقناها (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفي
الأصل : المضر - كذا (٥) والعبارة من هنا إلى النهاية ساقطة من ظ و م .

الليلة الثالثة عشرة من شهر جمادى الأولى من شهور سنة سبع و تسعين
و ألف على يد أحقر العباد، و أحوجهم إلى مغفرة ربه الجواد، محمد بن
أحمد البدرشني بلدا، الشافعي مذهبا، مصليا و مسلما على أفضل و أكمل
و أجمل خلق الله محمد بن عبد الله بن عبد المطلب و على آله و أصحابه
و أزواجه و ذريته و أهل بيته الطيبين الطاهرين صلاة و سلاما دائما ه
متلازمين بدوام ملك الله و لاحول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم، و حسبنا الله
و نعم الوكيل آمين آمين .

إن تلق عيبا فلا تعجل بسبك لي إلى امرؤ لست معصوما من الزلل



خاتمة الطبع

لقد تم - و الحمد لله - طبع الجزء الثانى و العشرين من تفسير
"نظم الدرر فى تناسب الآى و السور" - و به تم الكتاب - للشيخ العلامة
برهان الدين أبى الحسن إبراهيم بن عمر البقاعى الشافعى رحمه الله تعالى
يوم الاثنين ٦ / ذى الحجة سنة ١٤٠٤ هـ = ٣ / سبتمبر سنة ١٩٨٤ م ،
تحت إشراف مدير الدائرة و سكرتيرها صاحب الفضيلة السيد شرف الدين
أحمد - قاضى المحكمة العليا سابقا - بآرك الله جهوده ، و ضاعف له أجوره .

و تولى مهمة تصحيحه و التعليق عليه مصحح الدائرة أخى الفاضل
محمد عمران الأعظمى الأنصارى العمرى (أفضل العلماء - جامعة مدراس)
و قام بقراءة ملازمه مصحح الدائرة السيد الفاضل القاضى محمد عطاء الله
النقشبندى القادرى (كامل الجامعة النظامية) - حفظهما الله .

و اهتم بتنقيحه و لإنهائه خادم العلم و العلماء مقدم هذه الخاتمة -
كان الله له و لوالديه .

و نهائيا نسأل الله مولانا الكريم أن يتفعلنا به و يوفقنا لما يحبه
و يرضاه ، و هو المسئول لحسن الخاتمة ، و نصلى و نسلم على من علم فوائده الخير
و خواتمه سيدنا و مولانا محمد و على آله و صحبه أجمعين ، و آخر دعوانا
أن الحمد لله رب العالمين .

المستمسك بحبل الله المتين

المفتى محمد عظيم الدين

رئيس قسم التصحيح بدائرة المعارف العثمانية